برعاية العتبة الحسينية المقدسة وجامعة وارث الانبياء
تقيـــم كليـــة العلـــوم الاسلاميـــة
بالتعاون مع جامعات من داخل وخارج العراق

جامعة جاكرتا/اندونسيا - جامعة المنصورة/مصر
الجامعـــة اللبنانيـــة - جامعة قـــم
جامعة بغداد - جامعة كربلاء - الجامعة المستنصرية
جامعـــة الكوفـــة - جامعـــة السليمانيـــة
جامعـــة تكريـــت - جامعـــة البصـــرة

الإسلام حياة

وقائع
مؤتمر الإســـلام حيـــاة الرابـــع
الموسوم بالهوية الإسلامية والتحديات المعاصرة

جامعة وارث الانبياء
UOWA.EDU.IQ

2023 م
1444 هـ

ISBN: 978-9922-21-412-2

كلمة المؤتمر

الإسلام حياة:

مؤتمر ذاع صيته وسط المحافل العلمية، ولا سيما الوسط الأكاديمي، فقد تبنت كلية العلوم الإسلامية في جامعة وارث الانبياء هذا المؤتمر في السنة الأولى من نشأة الكلية عام ٢٠١٨م، فكان من باكورة أعمالها، وارتقت به إلى العام الدراسي ٢٠٢٢م . ٢٠٢٣م برعاية العتبة الحسينية المقدسة وبالمشاركة مع بعض الجامعات العراقية، بيد أنَّ جائحة كورونا حالت بينها وبين هذا المؤتمر لسنتين، ولأنَّ المؤتمر اهتم بكبريات القضايا الإسلامية التي هي محل اهتمام الفرد والمجتمع، حرصت اللجنتين العلمية والتحضيرية دراسة اهم الموضوعات ذات الصلة بالإسلام ونظامه الحياتي من جهة، وبشأن الإنسان عامة والمسلم خاصة واهتماماته وما يخص رؤيته النظرية والعملية.

في ضوء ذلك كان انتخاب اللجنتين لعنوان المؤتمر "الهوية الإسلامية والتحديات المعاصرة" بلحاظ أنَّ الموضوع من الموضوعات المهمة التي تعد قراءتها فلسفيًا قراءة ذات صلة بتفكير الإنسان وإدراكه لتساؤلاته العقلية ومعطيات ظرفها الزماني والمكاني، فضلًا عن آثارها النفسية وما تؤول إلى سلوك إجرائي، والتي قد تأخذ مساحة واسعة وسط تزاحم هويات الإنسان المسلم حين تقاطع أو تعارض بعضها لظرف ما، لا سيما حين يفقد بوصلة الرؤية الإسلامية الكونية لها ولمتعلقاتها، وعدم تعارض بعضها، للوازم انسجام الاعم الأغلب منها، حينئذ نلحظه يدخل وسط صراع تقديم تلك الهوية متغافلًا عن حقيقة قراءة النظرية الإسلامية لها، عبر قاعدة التزاحم وتقديم الأهم منها على المهم بما تحمل من معطيات معرفية ونظم قيمية تؤمن حلول التزاحم ومتطلبات الإنسان المشروعة على وفق الشريعة الإسلامية المقدسة ونظامها التشريعي.

وسط هذه الرؤية أدركت اللجنتين العلمية والتحضيرية للمؤتمر أهمية هذه الظاهرة التي ضربت بعض المسلمين ممن تأثروا بالعولمة الفكرية والتزاحم الأيدولوجي والتحديات المعاصرة التي فرضتها الماكنة السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الإنسان وقيدته بصياغة قوانينها ونظم عاملها من جهة، وفتحت الأبواب على مصرعيها نتيجة التطورات التكنولوجية وتقنياتها الحديثة المتسارعة التي ذوبت كل الحدود من جهة أخرى، كل ذلك كان وراء اختيار موضوع المؤتمر "الإسلام حياة" بنسخته الرابعة "الهوية الإسلامية والتحديات المعاصرة" كما حرصت اللجنتين مشاركة أُمات الجامعات العراقية وهي كل من " بغداد، المستنصرية، البصرة، تكريت، السليمانية، ديالى، الكوفة، كربلاء، فضلاً عن جامعة وارث الأنبياء / كلية العلوم الإسلامية" وبعض من

ISBN: 978-9922-21-412-2

جامعات من خارج العراق، وقد شارك في إحياء المؤتمر ونجاحه مجموعة من الباحثين من داخل العراق وخارجه، تمخض منها مجموعة بحوث ارتأت اللجنتين نشرها في منشور خاص كوقائع للمؤتمر.

ولا يخفى على القارئ أنَّ الحديث عن الهوية الإسلامية لا يقتصر على الجانب الفكري للشريعة الإسلامية بل يتعدى الأمر إلى قراءة النص الديني ومنظومته القيمية، ومسائله الفقهية وصياغة الحكم الشرعي الذي قد يرتهن بالثابت والمتغير، والعرف، والحكم الأولي والثانوي، ومصلحة النظام، وما شابه ذلك من مباني تنصاع بها الاحكام الشرعية بموضوعاتها، بما يحقق مبدأ صلاحية الشريعة الإسلامية للإنسان المتقدم والمتأخر والأجيال القادمة، وتذليل جميع التحديات المعاصرة والمتغيرات المتسارعة والقضايا المستحدثة له، والتي كانت منها الهوية، لذا وظفت على أنها غاية كبرى بلحاظ أنَّ ذلك ما يتميز به الإنسان عن غيره وينتمي إليه فيكون مطابقا لواقع فرضته كينونته الفلسفية ومسائلها الخاصة به فيصبح "ما به من الشيء هو هو باعتبار تشخصه" لدرجة أنْ يتشبه بالشيء وجوهره، فيتسم به متميزًا عن غيره، في الوقت الذي بينت الشريعة الإسلامية عدم تعارض الهويات على وفق محددات ومقاسات شرعية.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ISBN: 978-9922-21-412-2

آيار ٢٠٢٣- شوال ١٤٤٤هـ

أبعاد التنمية المستدامة بمنظور اقتصادي وإسلامي

م.م أحمد إبراهيم حسين: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – دائرة البعثات والعلاقات الثقافية
ahmedalirussia2020@yahoo.com
م.م. سوسن محسن حاشوش: وزارة التربية – مديرية تربية ذي قار - ثانوية تبارك للبنات

ملخص البحث

يحاول الباحثان تسليط الضوء على قضية من القضايا العالمية الهامة المطروحة على الساحة الدولية اليوم وبكل قوة وهي التنمية المستدامة وأبعادها وأهدَافها من منظور الشريعة الإسْلاميّة، رغم المناداة بها في الفكر الوضعي العالمي الحديث لمعالجة القضايا ذات العلاقة بحياة الإنسان وفعالياته المختلفة ، استناداً لما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبويَّة الشريفة، وهي خير دليل على ملائمة هذا الدين لكل عصر، وقدرته على حل أعصى مشاكله، كيف لا وهو تنزيل من خالق أدرى بما يلائم مخلوقاته؛ فقد حفل القرآن الكريم والسنة النبويَّة المطهرة بالعديد من النصوص التي تمثل الركائز الأساسيَّة للتنمية المستدامة، وتضع الضوابط التي تحكم علاقة الإنسان بالمجتمع والبيئة والاقتصاد. وتهدف التنمية في نظام الإسْلام إلى تيسير سبل العبودية لله تعالى وحده بحيث تسخر العملية التنموية بكل أبعادها الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسياسية وغيرها وبكل فعالياتها في إرساء مبدأ التوحيد والعبودية عند الفرد، وتكون التقوى بأبعادها الإنسانية الداخلية والخارجية هي قاعدة الانطلاق في البناء التنموي، فمسلك التقوى أساس ضروري للتنمية في مفهوم الإسْلام، حيث جوهر التنمية هو تنمية الإنسان نفسه. فهي تنمية أخلاقية تهدف إلى تكوين الإنسان السوي الذي يشكل مجتمع المتقين، بالتوازي مع مختلف أنواع التنمية المادية بما يجعلها تقوم على بعدين أساسيين: تنمية الإنسان وبناؤه وإعمار الأرض والحفاظ على ثرواتها، كل ذلك وفق المنهج الرباني الحكيم وضوابط شرعه بما يضمن طيب الحياة في الدارين الأولى والآخرة.

- **مشكلة البحث** : تشكل البيئة الإطار العام الذي يتأثر بالأنشِطَة الاقتصاديَّة بالإضافة إلى سلوكيات الأفراد، ولذلك فإن أي برنامج للتنمية المستدامة لا يتحقق إلا عبر التوافق والانسجام بين ثلاثة عناصر (الاقتصاد، المجتمع، والبيئة) ، فقد أكد الإسْلام ضرورة إعمار الأرض التي تمثل البيئة وتنميتها واستهلاك موارد الطبيعة بصورة رشيدة دون إسراف أو تبذير ، رغم ذلك ظهر مفهوم التنمية المستدامة كأنه اختراع غربي خالص، وكمفهوم لم يأخذ حظه الوافر من الدراسة من المنظور الإسْلامي، وهنا تظهر الحاجة إلى أهمية إجراء المزيد

ISBN: 978-9922-21-412-2

من البحوث والدراسات المستفيضة للتعرف على ريادة الإسْلام في مجال الاستخدام الرشيد للموارد والمحافظة على البيئة، بالإضافة الى استنباط كل الأحكام الشرعية المتعلقة بطريقة التعامل مع بالبيئة ومواردها وتبيان النصوص الشرعية التي تؤكد على أن الإسْلام كان أسبق من أي نظرية وضعية في هذا المجال، إذ يجب أن يكون الوازع الديني للمسلم هو الدافع الحقيقي لحماية البيئة وتبني برامج التنمية المستدامة وترسيخ مبادئه، وذلك من خلال تعزيز ثقافته الإسْلاميّة وهويته الإسْلاميّة الأصيلة.

- **هدف البحث العام** : تسليط الضوء على محاور التنمية المستدامة بالإفادة من الهوية الإسْلاميّة للوصول إلى استدامة المجتمع الإسْلامي بشكل خاص والمجتمع الدولي بشكل عام ومعرفة أبرز التحديات التي تواجه دول العالم اليوم
- **أهمية البحث** : تنبع أَهمية البحث من أهمية دراسة وتطوير البحث في مجال التنمية المستدامة من منظور الاقتصاد الإسْلامي، إضافة إلى قلة عدد البحوث والدراسات التي تدرس وتحلل عمليات التنمية وأنماطها من وجهة نظر التنمية المستدامة القائمة على حماية البيئة والحفاظ على الموار، وكذلك تتمثل أهمية البحث الحالي من خلال بيان موقع العراق الحالي ضمن أبعاد التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠ ومساعدة متخذي القرار في العراق لصياغة استراتيجيات ووضع خطط تنموية تضع في اعتبارها البعد البيئي للتنمية لضمان تنمية مستمرة في المدى الطويل تحفظ مستوى معيشي لائق للأجيال اللاحقة، مع تمهيد الطريق أمام الباحثين لإجراء بحوث حول ريادة الإسْلام في المناداة بحماية البيئيَّة، والاستخدام الرشيد للموارد، والحث على جعل ذلك منهجاً وسلوكاً .
- **فرضية البحث الرئيسة** : للإسلام رؤية متكاملة للتنمية المستدامة والمحافظة على البيئة، من خلال استخدام الموارد بشكل متوازن.
- **خطة البحث** : من أجل تحقيق هدف البحث العام سنقوم بتقسيم البحث إلى أربع مباحث فقط.

مقدمة :

يشكل موضوع التنمية Development بمختلف مفاهيمه أهمية بارزة على الصعيد الدولي، وخاصة في الآونة الأخيرة ، ولا يخفى علينا أن الدين الإسْلامي الحنيف هو أول من نادى بذلك من خلال تكريم الإنسان واعتباره جوهر عملية التغيير في المجتمع الإسْلامي . أما عالم اليوم فقد لوحظ أن هناك اهتماما دوليا متزايداً موجهاً نحو الحاجة إلى التنمية المستدامة للوصول إلى

ISBN: 978-9922-21-412-2

مستقبل مستدام، وذلك بعد أن كان العالم يتجه نحو مجموعة من الكوارث البشريَّة والبيئيَّة المحتملة. فالاحتباس الحراري، والتدهور البيئي، وتزايد النمو السكاني والفقر، وفقدان التنوع البيولوجي واتساع نطاق التصحر وما إلى ذلك من مشاكل بيئية كلها عوامل أدت إلى تغير النظرة العامة والاعتراف بأن المشاكل البيئة لا تنفصل عن مشاكل الرفاه البشري ولا عن عملية التنمية الاقتصاديَّة بصورة عامة، حيث أن كثيرا من الأشكال الحالية للتنمية تنحصر في الموارد البيئيَّة التي يعتمد عليها العالم. وبهذا فإن مصطلح التنمية المستدامة اكتسب اهتماماً عالمياً كبيراً من خلال ما توصل له تقرير بروندتلاند الشهير "مستقبلنا المشترك" الصادر عن اللجنة العالمية للتنمية والبيئة في عام ١٩٨٧، والذي أكد على أن هناك حاجة إلى طريق جديد للتنمية، طريق يستديم التقدم البشري فيه ليس فقط لبضع سنوات أو ضمن حدود معينة، بل للعالم بأسره وصولا إلى المستقبل البعيد. وقد تم صياغة أول تعريف للتنمية المستدامة في هذا التقرير كما يلي "التنمية التي تفي وتلبي احتياجات الحاضر دون المجازفة والمساس بقدرة الأجيال المقبلة على الوفاء وتلبية احتياجاتها" (اللجنة العالمية للتنمية والبيئة). وعلى هذا فإن التنمية المستدامة هي حلول منطقية للتعايش بين الأجيال الحالية والمستقبلية، حيث تتطلب أن يعمل كل جيل بالتناسب مع الزيادة السكانية وأن يستند إلى منطق التوزيع العادل وتحسين نوعية الحياة، وذلك في توازي تام مع عملية التطوير والنمو الاقتصادي دون الإضرار بالموارد الطبيعيَّة والبيئيَّة. وبهذه الصيغة تكون التنمية موجهة لفائدة المجتمع، مع الآخذ بعين الاعتبار حاجات وحقوق الأجيال القادمة وهذا ما يعطيها طابع الاستدامة.

المبحث الاول : التنمية المستدامة لغةً و اصطلاحاً

ورد في المعجم الوسيط لمؤلفه إبراهيم أنيس الجزء الأول الصادر عن مجمع اللغة العربية – مؤسسة الشروق الدولية الطبعة الرابعة لسنة ٢٠٠٤ فيما يتعلق بمتغيرات البحث الحالي :

(التنمية) : من الفعل نمى بمعنى زيادة وانتشارا وشاع.

(نما) الشيءُ – نماءً ، ونموا : زاد وكثر .

(الشريعة) : من الفعل شرع مبالغة في شرع.

(اشترع) الشريعة : سنها واتبعها يقال اشترع شرعة فلان : أي تبع نهجه .

(التشريع) : سن القوانين .

(استدام) الشيءُ : دام

(استدامه) : استدام الشيءُ استمر ، وثبت ودام.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الشريعة اصطلاحا :

(الشريعة) : ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام.

كذلك ورد في كتاب لسان العرب لأبن منظور(دار صادر، بيروت، الجزء الخامس عشر، صفحة ٣٤١) أن التنمية في اللغة مصدر من الفعل (نمّى). يقال: أنميت الشيء ونمّيته: جعلته ناميا. أما كلمة (المستدامة) فمأخوذة من استدامة الشيء، أي: طلب دوامه .

ومن الناحية الاصطلاحية يراد بالتنمية زيادة الموارد والقدرات والإنتاجية. وهذا المصطلح – برغم حداثته – يستعمل للدلالة على أنماط مختلفة من الأنشِطَة البشريَّة، مثل: التنمية الاقتصاديَّة، والتنمية الاجتماعيَّة، والتنمية البشريَّة، الخ. وفي الاصطلاح يُراد بالتنمية الاقتصاديَّة: الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعيَّة والبشريَّة، لغرض تحقيق زيادات مستمرة في الدخل تفوق معدلات النمو السكاني. أما التنمية الاجتماعيَّة فالمراد منها هو إصلاح الأحوال الاجتماعيَّة للسكان عن طريق زيادة قدرة الأفراد على استغلال الطاقة المتاحة إلى أقصى حد ممكن، وبتحصيل أكبر قدر من الحرية والرفاهية. وتعني التنمية البشريَّة: تخويل البشر سلطة انتقاء خياراتهم بأنفسهم، سواء فيما يتصل بموارد الكسب، أو بالأمن الشخصي، أو بالوضع السياسي. ويلاحظ أن ثمة تداخلا بين كل هذه الأنماط التنموية، إذ يرتبط كل نمط منها مع سائر الأنماط الأخرى ارتباطاً وثيقاً من حيث التأثير المتبادل بينهما. ولذلك وجدنا من يدمج كل هذه الأنماط المختلفة من التنمية تحت مسمى واحد هو التنمية المتكاملة.

المبحث الثاني : مفهوم التنمية المستدامة ومميزات المجتمع المستدام

يدل مصطلح (التنمية المستدامة Sustainable Development) للدلالة على مجموعة الأنشِطَة التي تلبي احتياجات الحاضر دون أن تؤثر في قدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها. وعلى هذا فقد عرفت التنمية المُسْتَدَامَة بأنها: "الأعمال التي تهدف إلى استثمار الموارد البيئيَّة بالقدر الذي يحقق التنمية، ويحد من التلوث، ويصون الموارد الطبيعيَّة ويطوِّرها، بدلاً من استنزافها ومحاولة السيطرة عليها. وهي تنمية تراعي حق الأجيال القادمة في الثروات الطبيعيَّة للمجال الحيوي لكوكب الأرض، كما أنها تضع الاحتياجات الأساسيَّة للإنسان في المقام الأول، فأولوياتها هي تلبية احتياجات المرء من الغذاء والمسكن والملبس وحق العمل والتعليم والحصول على الخدمات الصحيَّة وكل ما يتصل بتحسين نوعية حياته المادية والاجتماعيَّة. وهي تنمية تشترط ألا نأخذ من الأرض أكثر مما نعطي" ، أي إنها تتطلب تضامناً بين الجيل الحالي والجيل المستقبلي، وتضمن حقوق الأجيال المقبلة في الموارد البيئيَّة. وتتمثل أهدَاف

ISBN: 978-9922-21-412-2

التنمية المُسْتَدَامَة في تحسين ظروف المعيشة لجميع سكان العالم، وتوفير أسباب الرفاهية والصحة والاستقرار لكل فرد.

تقوم عملية التنمية المُسْتَدَامَة على ثلاثة عناصر أساسية، هي: الاقتصاد والمجتمع والبيئة، ومن الملاحظ أن هذه العناصر يرتبط بعضها ببعضه الآخر، وتتداخل فيما بينها تداخلا كبيرا. فالاقتصاد أحد المحركات الرئيسية للمجتمع، وأحد العوامل الرئيسية المحددة لماهيته (مجتمع صناعي أو زراعي أو رعوي، إلخ). والمجتمع هو صانع الاقتصاد، والمُشكِّل الأساسي للأنماط الاقتصاديَّة التي تسود فيه، اعتمادا على نوع الفكر الاقتصادي الذي يتبناه المجتمع (الرأسمالي، الاشتراكي، الإسْلامي).

والبيئة هي الإطار العام الذي يتأثر بالأنشِطَة الاقتصاديَّة ويؤثر فيها. كما تتأثر البيئة بسلوكيات أفراد المجتمع وتؤثر في أحوالهم الصحيَّة وأنشطتهم المختلفة. ولذلك فإن أي برنامج ناجح للتنمية المُسْتَدَامَة لابد له أن يحقق التوافق والانسجام بين هذه العناصر الثلاثة، وأن يصهرها كلها في بوتقة واحدة تستهدف الارتقاء بمستويات الجودة لتلك العناصر معا: أي تحقيق النمو الاقتصادي، وتلبية متطلبات أفراد المجتمع، وضمان السلامة البيئيَّة، مع المحافظة في الوقت نفسه على حقوق الأجيال القادمة من الموارد الطبيعيَّة وعلى التمتع ببيئة نظيفة. والعلاقة بين التنمية المُسْتَدَامَة وحماية البيئة علاقة وثيقة. وفي هذا الصدد تمثل حماية البيئة الهدف الأول في برامج التنمية المُسْتَدَامَة، ويرجع ذلك إلى أن البيئة هي المصدر الأساسي لجميع الموارد التي تتطلبها برامج التنمية المُسْتَدَامَة ومشروعاتها. والإخلال بالتوازن البيئي يؤدي إلى تدمير النظم البيئيَّة وتدهور حالة الموارد الطبيعيَّة (الحية وغير الحية) والتعجيل بنفاد بعضها أو إفسادها بحيث يتعذر استخدامها بشكل مناسب اقتصاديا. ولهذا فإن حماية البيئة تتطلب وضع ضوابط خاصة لبرامج التنمية المُسْتَدَامَة بحيث تكفل هذه الضوابط عدم تدهور النظم البيئيَّة الطبيعيَّة. وتتضمن هذه الضوابط ما يلي:

١- المحافظة على سلامة البيئة (خصوبة التربة، تدوير عناصر الغذاء، نظافة المياه، جودة الهواء).

٢- المحافظة على الموارد الوراثية للأحياء الحيوانية والنباتات، والحد من فقدان التنوع الحيوي.

٣- ترشيد الاستخدام المتواصل للموارد الطبيعيَّة (وبخاصة الموارد النباتية والحيوانية)، بحيث لا يكون الاستهلاك أكبر من قدرة هذه الموارد على التكاثر والإنتاج.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وتقضي التنمية المُسْتَدَامَة بأن يراعي الإنسان هذه الضوابط، ويراعي أهمية صون النظم البيئيَّة، وأن يخطط معدلات استهلاكه بحيث يحافظ على التوازن بين احتياجاته، وبين طاقة تلك النظم وقدرتها على الاستمرارية والعطاء.

أما المجتمع المستدام (sustainable community) فهو المجتمع الذي يزدهر لأنه يبني توازنا فعالا مدعما بالتبادل بين الرخاء الاجتماعي والفرص الاقتصاديَّة وجودة البيئة. ففي المجتمع المستدام، يجب أن تأخذ القرارات بعين الاعتبار التأثيرات والنتائج على المدى البعيد؛ وترابط النظم الطبيعيَّة والاجتماعيَّة؛ ويجب أن تتم ضمن عملية صنع قرار شفافة وشاملة مبنية على المشاركة؛ وتأخذ أيضا بعين الاعتبار العدل بين مختلف شرائح المجتمع وفي نفس الوقت العدل بين الأجيال؛ وتوقع المشاكل ومنعها قبل أن تظهر. النقاط الثلاث التالية تمثل الميزات الأساسيَّة للمجتمع المستدام:

- سليم بيئيا: بحيث تركز عملية صنع القرار على تقليل مخاطر النمو السكاني والتنمية على الموارد الطبيعيَّة والبيئة.
- منتج اقتصاديا: بحيث يقوم أعضاء المجتمع باستثمار رؤوس أموالهم محليا، من أجل مساندة الموارد البشريَّة والطبيعيَّة المحلية وإنتاج عوائد مالية كافية من تلك الاستثمارات.
- منصف وعادل اجتماعيا: بحيث يعزز توزيع الغذاء والفوائد بين مختلف قطاعات المجتمع نتيجة الوصول العادل إلى المصادر والمشاركة في عملية صنع القرار.

ISBN: 978-9922-21-412-2

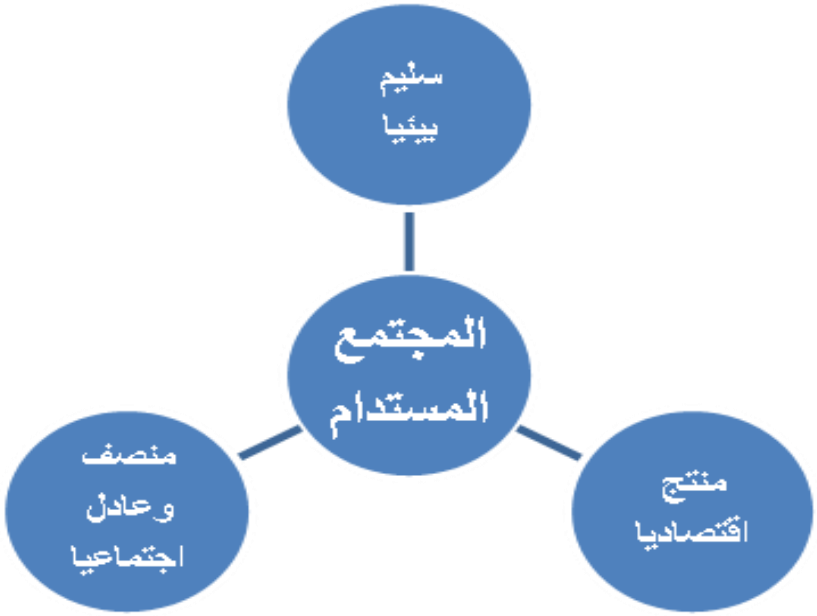

أهم التحديات التي يواجهها العالم اليوم بمنظور (الأمم المتحدة، ٢٠٠١):

١. تخفيف حدة الفقر وخاصة في المجتمعات الريفية التي يعيش فيها معظم فقراء العالم.
٢. تحسين قدرة جميع البلدان، وعلى الأخص البلدان النامية، على التصدي لتحديات العولمة، بما في ذلك زيادة بناء القدرات ونقل الأموال والتكنولوجيات الملائمة بيئيا.
٣. التشجيع على اتباع أنماط استهلاك وإنتاج مسؤولة،؛ للتقليل من كمية النفايات ومن الإفراط في الاعتماد على الموارد الطبيعيَّة.
٤. كفالة إمكانيّة وصول جميع الناس إلى مصادر الطاقة اللازمة لتحسين حياتهم.
٥. الحد من المشاكل الصحيَّة المتصلة بالبيئة التي تتسبب في كثير من الأمراض في العالم حاليا.
٦. تحسين إمكانية الحصول على الماء النقي بحيث يتم توفيره للذين يضطرون حاليا إلى الاعتماد في تربية أبنائهم وكسب أرزاقهم على مصادر غير مأمونة وغير صحية.

المبحث الثالث : مفهوم التنمية المُسْتَدَامَة في الإسْلام

رغم من حداثة مصطلح (التنمية المُسْتَدَامَة) فإن مفهومه ليس بجديد على الإسْلام والمسلمين؛ فقد حفل القرآن الكريم والسنة النبويَّة المطهرة بالعديد من النصوص التي تمثل الركائز الأساسيَّة للتنمية المُسْتَدَامَة، وتضع الضوابط التي تحكم علاقة الإنسان بالبيئة من أجل ضمان استمراريتها صالحة للحياة إلى أن يأتي أمر الله. ومن الجدير بالذكر أن مفهوم التنمية المُسْتَدَامَة

ISBN: 978-9922-21-412-2

في الإسْلام أكثر شمولا، بل إنه أكثر إلزاما من المفهوم المناظر الذي تم تبنيه في أجندة القرن الحادي والعشرين المنبثقة عن قمة (ريو) ١٩٩٢؛ فالنظرة الإسْلاميّة الشاملة للتنمية المُسْتَدَامَة توجب ألا تتم هذه التنمية بمعزل عن الضوابط الدينية والأخلاقية، لأنَّ هذه الضوابط هي التي تحول دون أية تجاوزات تفقد التنمية المُسْتَدَامَة مبررات استمراريتها. وفي الوقت نفسه فإن النظرة الإسْلاميّة الشاملة للتنمية المُسْتَدَامَة تعنى بالنواحي المادية، جنبا إلى جنب مع النواحي الروحية والخلقية، فلا تقتصر التنمية المُسْتَدَامَة على الأنشِطَة المرتبطة بالحياة الدنيا وحدها، وإنما تمتد إلى الحياة الآخرة، بشكل يضمن تحقيق التوافق بين الحياتين، ويجعل صلاحية الأولى جسر عبور إلى النعيم في الحياة الأخرويّة التي هي الحيوان، أي الحياة الحقيقية المستمرة بلا انقطاع وبلا منغصات.

ومن وجهة نظر الباحثين فإن مهمة التنمية المُسْتَدَامَة في المنظور الإسْلامي هي توفير متطلبات البشريَّة حاليا ومستقبلا، سواء أكانت مادية أو روحية، بما في ذلك حق الإنسان في كل عصر ومصر في أن يكون له نصيب من التنمية الخُلقية والثقافية والاجتماعيَّة. وهذا بُعد مهم تختلف فيه التنمية المُسْتَدَامَة في المنظور الإسْلامي عن التنمية المُسْتَدَامَة في النظم والأفكار الأخرى، لأنه يعتمد على مبدأ التوازن والاعتدال في تحقيق متطلبات الجنس البشري بشكل يتفق مع طبيعة الخلقة الإلهية لهذا الكائن. والتنمية المُسْتَدَامَة في المنظور الإسْلامي لا تجعل الإنسان ندا للطبيعة، ولا متسلطا عليها، بل تجعله أمينا بها، محسنا لها، رفيقا بها وبعناصرها، يأخذ منها بقدر حاجته وحاجة من يعولهم، بدون إسراف، وبلا إفراط ولا تفريط. كما أنها تُعَدّ لونا من ألوان شكر المنعِم على ما أنعم به على خَلقه، انطلاقا من كون العمل في الأرض نمطا من أنماط الشكر لله تعالى.

أما أهدَاف التنمية المُسْتَدَامَة في القرآن الكريم والأحاديث النبويَّة الشريفة فقد وردت في مبادرة التقارير الإسْلاميّة أن هناك نصوصا قرآنية واضحة وصريحة تتعلق بجميع أهدَاف التنمية المُسْتَدَامَة العالمية لعام ٢٠٣٠ ، وقد ذكرها الله تعالى قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة، ووردت على لسان رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكما يلي :

الهدف الأول: القضاء على الفقر

- ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ

ISBN: 978-9922-21-412-2

وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

- ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٍ﴾ [البقرة: ٢٧١].
- ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].
- ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٨، ٣٩].

الهدف الثاني: القضاء على الجوع وتوفير الأمن الغذائي والتغذية المحسنة وتعزيز الزراعة المحسنة المُسْتَدَامَة:

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].
- ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١].
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

الهدف الثالث: الصحة الجيدة والرفاه

- ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].
- ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

الهدف الرابع: التعليم الجيد

- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ – ٥].
- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

ISBN: 978-9922-21-412-2

- ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة:١١].

الهدف الخامس: المساواة بين الجنسين [في فرص التعليم، والرعاية الصحيَّة، والعمل اللائق، والتمثيل السياسي والاقتصادي، واتخاذ القرارات

- ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].
- ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾ [الأحزاب: ٣٥].
- ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].
- ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].
- قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ) (صحيح البخاري (١/٨٠).

الهدف السادس: المياه النظيفة والنظافة الصحيَّة

- ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].
- ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنسان إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾ [عبس: ٢٤ – ٣٢].
- ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩ – ١١].

الهدف السابع: ضمان حصول الجميع بتكلفة ميسورة على خدمات الطاقة الحديثة والموثوقة والمُسْتَدَامَة:

- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ

ISBN: 978-9922-21-412-2

دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

- أَن رَسُول الله – صَلَّى الله عَلَيْهِ واله وَسلم – قَالَ: (ثَلَاث لَا يُمنَعن: المَاء، والكلأ، وَالنَّار) .

الهدف الثامن: العمل اللائق ونمو الاقتصاد:

- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].
- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) صحيح البخاري(٢/١٢٣).
- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ، قَالَ: (قَالَ اللَّهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ).

الهدف التاسع: الصناعة والابتكار والهياكل الأساسيَّة: إقامة بنى تحتية قادرة على الصمود وتحفيز التصنيع الشامل للجميع والمستدام، وتشجيع الابتكار

- ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].
- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٣ – ٥٥].
- ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]

الهدف العاشر: الحد من انعدام المساواة داخل البلدان وفيما بينها (الفقر- الخدمات الصحيَّة والتعليمية)

- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].
- ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥) وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ

ISBN: 978-9922-21-412-2

وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٥، ٦].

- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء: ٣٦، ٣٧].

الهدف الحادي عشر: جعل المدن والمستوطنات شاملة للجميع وآمنة وقادرة على الصمود ومستدامة

- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].
- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٥ – ١٩].

الهدف الثاني عشر: الاستهلاك والإنتاج المسؤولان

- ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].
- ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

الهدف الثالث عشر: اتخاذ اجراءات عاجلة للتصدي لتغير المناخ وآثاره

- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].
- ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].
- ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ISBN: 978-9922-21-412-2

الهدف الرابع عشر: حفظ المحيطات والبحار والموارد البحرية واستخدامها على نحو مستدام لتحقيق التنمية المُسْتَدَامَة:

- ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].
- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢].

الهدف الخامس عشر: حماية النظم الايكولوجية البرية (الغابات، التصحر، تدهور الأراضي، التنوع البيولوجي)

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].
- ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٤٦ – ١٥٢].

الهدف السادس عشر: السلام والعدل والمؤسسات القوية

- ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٧ – ١٣].
- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

الهدف السابع عشر: عقد الشراكات لتحقيق الأهداف:

ISBN: 978-9922-21-412-2

- ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]

المبحث الرابع : التوصيات

١- ضرورة التأصيل للقيم الحضارية المعاصرة استنادا إلى القرآن الكريم والسنة النبويَّة العطرة .

٢- إعادة قراءة السنة النبويَّة الشريفة من منظور عصري لاستخلاص المبادئ والأفكار التي تفيد في حل قضايا التنمية المُسْتَدَامَة المعاصرة والمحافظة على البيئة وثرواتها، وضرورة ترجمة هذه المبادئ إلى اللغات الأخرى لتعريف غير المسلمين بالدور العظيم لنبي الإسْلام في هذا الموضوع، وكيف أنه كان رحيما بالبيئة محسنا لها ان على النقيض من أولئك الزعماء الذين يتشدقون الآن ببرامجهم البيئيَّة وفي الوقت نفسه لا يتورعون عن تدمير البيئة باستخدام أسلحة الدمار الشامل في حروبهم.

٣- يجب دراسة قضايا التنمية المُسْتَدَامَة وحماية البيئة من منظور إسلامي، وتعريف الآخرين بذلك، نظرا لأهمية ذلك في التصدي للمشكلات البيئيَّة التي يعاني منها العالم حاليا.

٤- التأكيد على أهمية التعاون بين الباحثين الشرعيين والبيئيين لمعالجة قضايا التنمية المُسْتَدَامَة والبيئة.

٥- يجب أن تراعى القيم الأخلاقية المتعلقة بحماية البيئة في برامج التنمية المُسْتَدَامَة ومشروعاتها التي يجري تنفيذها في دول العالم الإسْلامي.

٦- تضمين مناهج التعليم في المراحل المختلفة منهج الإسْلام في حل قضايا التنمية المُسْتَدَامَة والتعامل مع البيئة والمحافظة عليها، ووضع الحلول لمشكلاتها وفق الشريعة الإسْلاميّة.

٧- دعوة المفكرين والفقهاء والباحثين وخبراء التنمية المُسْتَدَامَة إلى التعاون فيما بينهم لعرض الرؤية الإسْلاميّة الشاملة للتنمية المُسْتَدَامَة وسبل تحقيقها في دول العالم الإسْلامي، والعمل على تصحيح المسار وبيان مواطن الخلل كلما أتيحت لهم الفرصة في المحافل العلمية والفكرية.

٨- التحول نحو الاستدامة المنشودة لا يبدو ممكنا بدون حدوث تغير رئيس وجذري على مستوى النموذج المعرفي السائد بعيدا عن قيم الحداثة، والاستغلال المتمركز حول الإنسان باتجاه بلورة نموذج معرفي جديد يتصف بالشمول ولا يتمركز حول الإنسان وينظر للعالم كوحدة كلية مترابطة، بدلا من أن يكون مجموعة متناثرة من الأجزاء، ويمكن من خلاله دمج جهود التنمية المُسْتَدَامَة وجهود الحفاظ على البيئة بطريقة مفيدة للطرفين من أجل الصالح العام للجيل الحالي

ISBN: 978-9922-21-412-2

والأجيال القادمة على السواء، وأن يكون ذلك التحول مصحوبا باهتمام بالبناءات السياسية والاجتماعيَّة التي يمكن أن تكون أكثر دعما للاستدامة.

وأخيرا نرجو أن تسهم هذه الدراسة في استثارة مزيد من النقاش والدراسات حول أهمية الفكر والسياسة في البحث عن طريق ممكن تجاه الاستدامة.

المصادر

١- مبادرة التقارير الإسْلاميّة ، https://islamicreporting.org

٢- د. محمد عبد القادر الفقي، ركائز التنمية المُسْتَدَامَة وحماية البيئة في السنة النبويَّة www.nabialrahma.com

٣- المعجم الوسيط لمؤلفه إبراهيم أنيس الجزء الأول الصادر عن مجمع اللغة العربية – مؤسسة الشروق الدولية الطبعة الرابعة لسنة ٢٠٠٤ .

٤- كتاب لسان العرب لابن منظور(دار صادر، بيروت، الجزء الخامس عشر، صفحة ٣٤١)

٥- نظرة إلى مفهوم التنمية المُسْتَدَامَة في الأراضي الفلسطينية – معهد الأبحاث التطبيقية- القدس ، دولة فلسطين .

٦- مجموعة محاضرات في الاقتصاد والتنمية – جامعة الجنوب الفيدرالية الروسية – مدينة روستوف ، ٢٠٢٣

ISBN: 978-9922-21-412-2

الضمانات الشرعية لحصانة الهوية الاسلامية

أ.د. صهيب محمد ناصر/ كلية التربية – الجامعة العراقية
أ.م.د. زهور كاظم صادق/ كلية التربية الاساسية- الجامعة المستنصرية
almosul1978@gmail.com

مقدمة :

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، سيدنا محمد وعلى اله الطيبين وصحابته المنتجبين وبعد:

فأن بناء أنظمة الاسلام على اساس من الكتاب والسنة وما أستُمدّ منهما من قواعد واحكام، بشكل اعظم ،ضمانة لقوة إلزامها وحسن الالتزام بها ،ولها نتائج وآثار على درجة كبيرة من الاهمية .

ومبادئ حقوق الانسان وواجباته في الاسلام جزء من النظام الاسلامي العام ،وضمانات حسن الالتزام بها وتطبيقها نابعة من التزام المسلم واعتزازه بهويته الاسلامية ، لان مصدرها التشريعي هو الله تعالى ،ولا يخفى لما لهذه الصفة من الهيبة والقدسية والاحترام مما تفتقر الى مثله الانظمة البشرية وان المسلم يعظمها لا لأنها مجرد مبادئ تنظم حياته ،بل لأنها جزء من عقيدته ودينه، والمسلم الغيور على دينه حريص عليه معظِم له قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

لذلك نجد المسلم يلتزم التزاما عميقاً وحقيقياً بهذه المبادئ، فيؤدي ما عليه من واجبات تجاه الله، او تجاه امته، او تجاه المجتمع الانساني، ويتعرف الى حقوقه فتؤدى له ،ولا يحاول الخروج على هذه المبادئ حتى مع سنوح الفرصة للخروج، بخلاف الانظمة البشرية الذي ينقصها هذا القدر من الهيبة والقدسية والاحترام، الذي هو الضمانة الحقيقية لحسن الالتزام.

وبسبب الاعتزاز بالهوية الاسلامية، نجد ان الفرد او الجماعة يطيعونها وينقادون اليها طاعة اختيارية وتلقائية منبعثة من داخل النفس، لان هذه الطاعة وهذا التسليم لشرع الله هو شرط الايمان ،قال تعالى﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ .

كذلك يستمد هذا الاعتزاز بالهوية الاسلامية، وقوة الزامها وحسن الالتزام بها من خلال الضمانات التشريعية، إذ شرع الله الكثير من العقوبات الرادعة على الذين يعتدون على حقوق الاخرين من غير وجه حق، فقد شرع عقوبة القتل على من يعتدي على حق الاخرين في الحياة، وشرع عقوبة

ISBN: 978-9922-21-412-2

قطع يد السارق على من يعتدي على اموال الاخرين بالسرقة، وغيرها من التشريعات التي تعد ضمانة قوية في الزام الفرد والجماعة بالحقوق والواجبات وحسن الالتزام بها .

كما تلعب الاخلاق دوراً كبيراً في ضمان التزام الحقوق واداء الواجبات ،ولقد ربى المجتمع الاسلامي ابناءه على قاعدة رصينة من الاخلاق، وحثهم على حسن الخلق، وحذر من سوء الخلق في آيات كثيرة واحاديث نبوية لا حصر لها، وهي ايضا تشكل ضمانةً قويةً من ضمانات حقوق الانسان وواجباته .

واحال الاسلام على ضمير المسلم نوعا من الرقابة، والضمانة في احترام هذه الحقوق والواجبات وحسن الالتزام بها تسمى الاعتزاز بالهوية الاسلامية.

مما تقدم اخذنا على عاتقنا كتابة بحث –يبين مدى اهتمام الشارع الحكيم بهوية المسلم فجعلوا ضمانات اداء للحقوق والواجبات الملقاة على عاتقه– تحت مسمى (الضمانات الشرعية لحصانة الهوية الاسلامية) ، يمكن حصرها في اربعة انواع موزعة على اربعة مباحث هي:

المبحث الاول: الضمانات العقائدية

المبحث الثاني: الضمانات التشريعية

المبحث الثالث: الضمانات الاخلاقية

المبحث الرابع : الاحالة على الضمير الانساني

ثم ختمنا البحث بخاتمة ذكرنا فيها أهم ما توصلنا اليه من نتائج وبقائمة لأهم المصادر والمراجع .

مبحث تمهيدي: مفهوم الهوية الاسلامية وفق المنظور الشرعي

اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالهوية الاسلامية ، وبينها رسول الله ﷺ بجملة من الحقوق والواجبات في خطبة حجة الوداع ، وفي مناسبات واحاديث عدة.

اذ يقوم الاساس الاسلامي في نظرته للهوية الاسلامية على التكريم الالهي للإنسان ، وأن الله تعالى خلقه في احسن صورة ، وانه اكرمه تكريما خاصا ، وجعله خليفته في الارض وأمر الملائكة بالسجود له ، وسخر له ما في السماوات والارض ، وانزل عليه الكتب السماوية، وارسل له الرسل والانبياء لهدايته الى الحق في الاعتقاد ، والحق في السلوك والتصرفات، والمساواة بين

ISBN: 978-9922-21-412-2

بني الإنسان، وشرع الإسلام الاحكام لبيان الحقوق والواجبات في جميع جوانب الحياة، والزم المسلمين اداءها والوقوف عندها والتقيد بها.[١]

قال تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(النساء: ١٣-١٤) . وقال جل شأنه ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾(البقرة: ١٨٧)

اذن فالهوية الاسلامية هي مجموعة الحقوق والواجبات ، والاوامر والنواهي ، والحق والباطل ، والعدل والظلم والحلال والحرام في الاحكام المطلوب تطبيقها ، لتحقيق المصالح والسعادة في الدنيا والاخرة ، لذلك نرى ان الاساس الاسلامي في نظرته لحقوق الإنسان وواجباته – هو ما قرره الخالق في تشريعاته واحكامه – وأن هذه الحقوق هي منحة ورحمة من رب العالمين للناس اجمعين[٢].

و إذا اردنا ان نلقي نظرة على واقع البيئة التي ظهر فيها الإسلام ، فقد كان المجتمع العربي قبل ظهور الإسلام مجتمعا مفككا يسوده التناحر بين القبائل التي كانت تشكل كل منها دولة مستقلة ،يربطها ولاء التعصب القبلي ، وكان الغزو امرا طبيعيا ، ووأد البنات من العادات المتعارف عليها آنذاك، فلا حقوق للفرد، بل ان القبيلة كانت اساس هذه الحقوق والواجبات

وبعد ان جاء الإسلام بمعيار خاص للحقوق والواجبات ، يختلف كثيرا عما اتبعته النظريات التي استندت في فكرها على قوة الإنسان وقدرته الذاتية ، فقد اعتمد الإسلام معيارا اساسه الايمان بقوة الله وارادته لتقرير حقوق الإنسان وواجباته وحمايتها، ومن المعلوم ان الشريعة الاسلامية كانت وما زالت مصدرا تاريخيا ومهما لحقوق الإنسان وحرياته الاساسية ، وتعريفه بواجباته التي يجب القيام بها ، ولا خلاف ان القرآن الكريم هو دستور الإسلام الى جانب السنة النبوية الشريفة ، ووفقا للقرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ فأن الشريعة الاسلامية جاءت نظاما متكاملا شاملا لكل جوانب الحياة ، وضمانا لحرية الإنسان وحقوقه[٣]

---

(١) ينظر الإسلام وحقوق الإنسان – د. القطب طبلية ط٢ – دار الفكر العربي – القاهرة ١٤٠٤ هـ – ٩٨٤/ ٦٧

(٢) ينظر: الإسلام وحقوق الإنسان /٦٨ وما بعدها ، وحقوق الإنسان بين الشريعة الاسلامية والقانون الدولي ، د. محمد الحسيني – دار النهضة العربية ١٩٨٨ م /٥٤ .

(٣) ينظر حقوق الإنسان في نظر الشريعة الاسلامية ، عبد السلام الترمانيتي – دار الفكر العربي– القاهرة – ١٩٨٤ م / ١٨

ISBN: 978-9922-21-412-2

وقد امتاز مفهوم الهوية الاسلامية في القرآن الكريم بجملة خصائص اهمها انها من عند الله تعالى ، وهو الذي صاغها ، وبالتالي فأنها مقدسة وملزمة، واتصافها بالإلزام اوجب على الافراد مسؤولية حمايتها(١).

فمن امن بالله رباً وخالقاً ومشرعاً عرف حقوقه والتزم بها ، وحرص عليها ، وامتنع من التنازل عنها وجاهد في سبيلها لأنها منحة الهية وامانة وضعها الله في عنقه ، ومن امن بالله ربا وخالقا للبشر اجمعين ادرك حق العباد في الحقوق ، وأن جميع الناس مخلوقون من الله تعالى ومتساوون في الحقوق ، وأن اداء الحق للإنسان هو واجب ديني وفريضة شرعية وتنفيذ لأمر الله تعالى ووسيلة لكسب رضوانه (٢).

لقد نظر القرآن الكريم الى حقوق الإنسان وواجباته نظرة شاملة ، فلم تقتصر على حق دون غيره، ولم تقرر واجبا وتذر واجبا اخرا ، وجملة ما ورد في القرآن الكريم من الحقوق والواجبات من شأنه ان يرقى بالمجتمع الى مصافي الفضيلة والصلاح ،واقر الحق في المساواة بين الناس ، بعد ان كان المجتمع مقسما الى طبقات ، كانت الفوارق بينها كبيرة ، وهي فوارق تكرس التمييز بين الناس ، ويتجلى موقف القرآن بالدعوة الى المساواة ، بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)

كما سعى القرآن الكريم الى ضمان الحرية الشخصية وامن الفرد في شخصه وتحريم الاعتداء عليه كإنسان في نفسه او ماله او عرضه ، فشرع القصاص في قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩)

وبهذا التشريع أقر الله حق الحياة ، ويتضح ذلك في العقوبات التي فرضها القران على القاتل الذي ينهي حياة شخص اخر من غير حق لقوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الانعام: ١٥١)، كما جعل الإسلام الإنسان مكلفا بالحفاظ على حياته لقوله تعالى﴿ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(البقرة: ١٩٥)، واعترف القرآن بحرية الاعتقاد ،فأكد على ان الإنسان حر في اختيار عقيدته ودينه ، لقوله تعالى: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)(الكافرون: ٦)، وقوله جل شأنه : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة: ٢٥٦) ، فلم تكره الشريعة

(١) ينظر حقوق الإنسان (تطورها ومضامينها وحمايتها) / ١١ وحقوق الإنسان وتاريخه / ٨

(٢) ينظر الإسلام عقيدة وشريعة – د . محمود شلتوت – دار القلم – القاهرة / ١٧٨ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

الاسلامية الناس على ترك عقائدهم التي اختاروها حسب قناعتهم وادراكهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(البقرة: ٦٢) ، لذلك نرى ان القرآن الكريم يقدم ضمانا واضحا لغير المسلمين ، كما يعترف بحقوق الاقليات الاخرى على اساس من العدل والتسامح والاحترام ، اذ يضمن لغير المسلمين الامن ، والحفاظ على اموالهم وممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية ، وما يمارسون من اعمال واستغلال للموارد بلا فارق عن غيرهم من الافراد[١]

بل واقر الإسلام حرية الرأي لجميع الافراد باعتبارها حق مقدس فقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(النحل: ١٢٥)، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(العنكبوت: ٤٦)، كذلك كفل الإسلام الحقوق السياسية حيث جعل نظام الحكم قائما على الشورى قال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾(الشورى: ٣٨)، اقرارا من الشريعة الاسلامية بحق المشاركة في الحياة العامة ، كما جاءت حياة الرسول ﷺ حافلة وقائمة على الحوار والشورى[٢]

كما اقر القران حقوق المرأة مساويا بين الذكر والانثى في اغلب جوانب الحياة ، فالإسلام يعد اول من اعترف للمرأة بالشخصية القانونية المستقلة عن الرجل بما يعود على المجتمع بالنفع ، ويؤكد على التضامن بين اعضائه ومن صور استقلال المرأة في الإسلام عن زوجها هو احتفاظها باسم عائلتها ، فلا تغير اسمها الى اسم الزوج ، كما هو الحال في المجتمعات الغربية ، كما لها حق المشاركة في الحياة العامة بمختلف صورها من تعاقدات ، واتفاقات ، وضمانات ، وممارسة الاعمال ، والتجارة بمفردها إذا ارادت ذلك ، فقد كانت السيدة خديجة رضي الله عنها زوج الرسول ﷺ تتولى تجارتها بنفسها ،كما ضمن الإسلام للمرأة استقلالا ماليا واقتصاديا لا دخل للزوج فيه [٣].

كما ركز الإسلام على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فالحق بالتعليم اقره الإسلام لقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(العلق:١)، وقوله ﷺ (طلب العلم فريضة على كل

---

(١) ينظر حقوق الإنسان (تطورها ومضامينها وحمايتها) / ١٣ – ١٤.

(٢) ينظر حقوق الإنسان (تطورها ومضامينها وحمايتها) / ١٢ – ١٦

(٣) ينظر السيرة النبوية لأبن هشام – تحقيق – مصطفى السقا ، وابراهيم الابياري ، وعبد الحفيظ شلبي – الناشر – دار الفكر – بيروت – بغداد – ١ / ١٨٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

مسلم)[1] ، وفي مجال الحقوق الاقتصادية اعتبر الإسلام العمل مصدرا اساسيا للملكية قال تعالى : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(الملك:١٥) ، كما ضمن حق الملكية وعدم جواز انتزاع ملكية الافراد الا لأغراض المصلحة العامة ، وبتعويض عادل لقوله تعالى : ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾(البقرة:١٨٨) ، كما حمى الإسلام حقوق العمال ، فقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾(التوبه:١٠٥) ، والى غير ذلك من الحقوق والواجبات.

واذ يقر الإسلام هذه الحقوق والواجبات ، ويضفي عليها الصفة الشرعية ، ويحميها فهو في الوقت نفسه يضع القواعد التي تنتظم ضمنها هذه الحقوق والواجبات، ويحدد طريقة ممارسة الحريات في الإسلام ومن هذه القواعد :-

١- كل شيء مباح اصلا ، وبالتالي لا يجوز التحريم الا بنص من الكتاب والسنة .

٢- حدود حرية الفرد ليست مطلقة ، بل يقف حقه وحريته عند حدود حرية وحقوق الاخرين .

٣- إذا تقاطعت مصلحة الفرد في حقوقه وحرياته مع المصلحة العامة ، ومصلحة المجتمع ، فأن الالتزام بالمصلحة العامة امر لا بد منه ، وتقدم على مصلحة الفرد وحقوقه .

٤- وجوب الالتزام بأخلاقيات الإسلام في ممارسة الحريات واستعمال الحقوق ، فعلى الفرد ان يجادل بالحسنى ويدعو بالحكمة ولا يجهر بالسوء من القول الا اذا وقع عليهم الظلم ، ولا يقول ما لا يفعل .

٥- القاعدة الاساسية التي تمارس في اطارها الحقوق والواجبات هي الشورى ، كمنهاج للسلوك[2].

سنتكلم في المباحث اللاحقة عن الضمانات التي اقرها الشارع الحكيم للحفاظ على الهوية الاسلامية وهي:

المبحث الاول: الضمانات العقائدية

إن الناس في المجتمع الاسلامي يتعاطون الحقوق والواجبات، ويلتزمون بها التزاماً تلقائياً، ويقفون عندها وقوفاً حسناً، لا لأن سيف القضاء مسلط على رؤوسهم او الرقابة تلوي اعناقهم، كما هو

---

(١) رواه ابن ماجة – سنن ابن ماجة – محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت ١/ ٨١ ، والطبراني في المعجم الأوسط – تحقيق طارق بن عوض وعبد المحسن ابراهيم – دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥ هـ – ١ / ٧

(٢) ينظر حقوق الإنسان ، (تطورها ومضامينها وحمايتها) / ١٢

ISBN: 978-9922-21-412-2

الحال في الانظمة الغربية او الشرقية، اذ يطيعها الناس لئلا يقعوا تحت طائلة القضاء او العقاب، وتقل طاعتهم كلما سنحت الفرصة للإفلات من ذلك، لكن المؤمنين يطيعون الله تعالى في ما اقره من الحقوق والواجبات، ويحسنون الالتزام بها ليحصل شرط ايمانهم وابتغاء رضوان الله تعالى، وطمعاً في حسن الجزاء في الاخرة، لذلك نجد المسلمين يتعاطون الحقوق والواجبات بينهم بتلقائية عالية، والكثير منها لا يرفع اصلاً للقضاء ،حيث قدم لنا التاريخ امثلة فريدة في ذلك ،فقد ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه القضاء في عهد ابي بكر رضي الله عنه فظل سنتين لا يأتيه متخاصمان(١)

لقد ربط الله سبحانه وتعالى اداء الحقوق والواجبات بالعقيدة والايمان بالله في كثير من الآيات ،فنجده تارة يربط بين الحق والايمان بالله ،وتارة اخرى يربط بين الحق والثواب والعقاب، وبذلك يجعل رقابة الانسان في حسن الالتزام بالحقوق والواجبات نابعاً من حبه لعقيدته و اعتزازه بها، مما يشكل ضمانة قوية لقيام الفرد والجماعة بهذه الحقوق والواجبات، وحسن الالتزام بها، ولكي تصبح الصورة اكثر وضوحاً نتناول بعض الآيات من سورتي النساء والمائدة التي تربط بين الحقوق والواجبات، وبين الايمان بالله تعالى، او بينها وبين الثواب او العقاب في الاخرة، كضمانة قوية وتلقائية، تدفع المسلم للالتزام بهذه الحقوق والواجبات

١. قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ (النساء:١٠)

لقد حذر الله الاولياء أو الاوصياء على اليتامى، من ظلم اليتامى ،او الاعتداء عليهم بأكل اموالهم او افسادها، وجعل عقاب فاعل ذلك اليماً ،وبين النبي ﷺ عاقبة الذين يأكلون اموال اليتامى بالباطل، وعده من الكبائر بقوله ﷺ:(إجتنبوا السبع الموبقات وعدّ منهن وأكل مال اليتيم)(٢).

وقد بين الله في هذه الآية، ورسوله في الحديث حق اليتيم في حفظ أمواله واصلاحها، وعدم اكلها او اضاعتها، وربط بين الاعتداء على هذا الحق وعدم الالتزام، وبين العقاب الاخروي وهو العذاب بالنار ،فاذا استطاع آكل مال اليتيم من النجاة من العقوبة في الدنيا وذلك بعدم التنبه له،

---

(١) ينظر تاريخ الاسلام السياسي د. حسن ابراهيم حسن ط٧-دار الكتاب العربي -بيروت -لبنان -٢٥٦/١

(٢) جزء من حديث رواه البخاري -فتح الباري شرح صحيح البخاري-احمد بن علي بن حجر العسقلاني حقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز -ط١-دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان-١٤١٠هـ-١٩٨٩م -٤٩٤/٥ الرقم ٢٧٦٦

ISBN: 978-9922-21-412-2

فلن ينجو من عذاب الاخرة، لان الله تعالى لا تخفى عليه خافية ،لذا كان لزاماً على كل عاقل تولى امر يتيم ان يتقِ الله تعالى ربه، وان يعمل في اموال ذلك اليتيم بما يصلحها ولا يفسدها، وفي ذلك ضمانة نابعة من عقيدة المسلم، وايمانه بان الله سيحاسبه يوم القيامة ،ولاشك ان في ذلك عامل قوي لالتزام المسلم بالحقوق والواجبات.

٢. قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (النساء:٩٣)

فان قتل النفس من اعظم الذنوب ومن اكبر الكبائر، إذ فيها تعدٍ على حق الانسان في الحياة والمعتدي الظالم الجهول أذا لم يكن هناك ما يردعه ويوقفه عند حده ...إذاً لبغي القوي على الضعيف، ولأنتشر الفساد في الارض، ولعمّت الفوضى أركان الارض وجنباتها، فمن حكمة الله تعالى أن حدّ الحدود وامر بتطبيقها[١] ،كضمانة تشريعية تلزم الناس احترام حقوق الاخرين وعدم التجاوز عليها ،ولكن الله تعالى لم يكتف بهذه الضمانات التشريعية ،انما وضع ضمانات قوية ورادعة تنبع من صلب عقيدة المسلم وايمانه بالله وامتثاله لأوامره تعالى ،فالمسلم حينما يقرأ في كتاب الله العقوبة الاخروية لمن يعتدي على حق الانسان بالحياة وذلك بإزهاق روحه عمداً ،يجد ان الله تعالى بين حكم قتل المؤمن عمداً وغلّظ في العقوبة لأن جرمه عظيم، ولم يذكر له كفّارة، بل جعل عقابه أشد عقاب توعدّ به الكافرين ،وهو الخلود في جهنم واستحقاق غضب الله ولعنته، عدا العذاب الشديد الذي اعده الله له يوم القيامة[٢] وفي الحديث (لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل رجل مسلم)[٣]، ففي الآية السالفة وضع الله سبحانه وتعالى من الضمانات العقائدية ما يغرس في نفوس المسلمين من الهيبة والقدسية، واحترام حقوق الانسان، ويقوم حائلاً بينه وبين الاستهانة بهذه الحقوق

٣. ويقول تعالى في الاية التي تليها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾(النساء:٩٤)

---

(١) ينظر الاستنارة بما جاء في البشارة، يعقوب بن يوسف محمد/١٥٨

(٢) ينظر روائع البيان تفسير آيات الاحكام من القران ،محمد علي الصابوني ٤٩٤/١

(٣) رواه الترمذي ١٦/٤،والنسائي ٨٢/٧،والبيهقي في السنن الكبرى ٢٢/٨

ISBN: 978-9922-21-412-2

يأمر الله المؤمنين إذا خرجوا مجاهدين في سبيله أن يتثبتوا في قتل من أشكل عليهم أمره ، فلم يعلموا أهو مسلم أم كافر ؟ فلا يُقدموا على قتله الاّ بعد التحقق من كفره ،واما اذا استسلم وأظهر الاسلام، فلا يحل قتله، طمعاً في متاع الدنيا الزائل، وقد ذكرهم بأنهم كانوا مشركين كفارا فمنّ الله عليهم بالهداية الى الاسلام وكفى بها نعمة(١).

إن عقيدة المسلمين وإيمانهم بالله تعالى واستحضارهم فضل الله بأن منّ عليهم بالهداية الى الاسلام وقد كانوا قبل ذلك مشركين ،كلّ ذلك يشكل ضمانة عقائدية تضمن صيانة حقوق الاخرين، والقيام بالواجبات، ومنها واجبات التثبت في دماء المسلمين، وعدم الخوض فيها بالشبهات او التأويلات، واحترام هذه الحقوق والواجبات على اكمل وجه لان الرقيب والمحاسب يوم القيامة هو الله تعالى.

٤. قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢)، يقرر الله سبحانه وتعالى في هذا المقطع من الآية، ان الواجب على الناس ان يعين بعضهم بعضاً على ما فيه البر والتقوى، وليس للناس ان يعين بعضهم بعضاً على العدوان، فاذا تعدى واحد منهم على الاخر، تعدى ذلك الاخر عليه، فان الباطل لا يجوز ان يعتدى به ،واتقوا الله ولا تستحلوا شيئاً من محارمه، إن الله شديد العقاب ،لا يطيق احد عقابه، وربط الله تعالى هنا بين واجب التعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على الاثم والعدوان، وبين التهديد والوعيد بالعقاب الشديد من الله تعالى كضمانة عقائدية تلزم الناس باحترام هذا الواجب واقامته(٢).

٥. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم ﴾(المائدة:٣٣)

يقول جلّ ثناؤه في هذه الآية ما معناه :لا جزاء للمفسدين في الارض، وهم القوم الذين يجتمعون ولهم منعة ممن ارادهم بسبب انهم يحمي بعضهم بعضاً، ويقصدون المسلمين في ارواحهم ودمائهم واموالهم ،الاّ القتل والصلب، وقطع اليد والرجل من خلاف، او النفي من الارض، عقوبة

(١) ينظر تفسير الكشاف ٤٢٥/١،وتفسير القرطبي ٣١٣/٥،ومجمع البيان ٩٢/٣

(٢) ينظر تفسير الرازي ١٣٣/١١- ١٣٤

ISBN: 978-9922-21-412-2

لهم في الدنيا وخزياً[1]، وهي عقوبة تشريعية بسبب اعتداءهم على حق الاخرين بالحياة وحق حفظ اموالهم، الاّ أن الله سبحانه وتعالى لم يكتف بهذه العقوبة التشريعية، بل ربط الاعتداء على هذه الحقوق بالجزاء الاخروي، وهو قوله(وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، وهي ضمانة عقائدية تلقائية منبثقة من داخل النفس ،لان المسلم يدرك ان عذاب الاخرة أشد و اعظم من العقوبات الدنيوية، مما يحدو بالمسلم أن يحترم هذه الحقوق والواجبات ولا يعتدي عليها.

٧. قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(المائدة: ٣٨)

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عقاب كلٍ من السارق والسارقة ، وأمر بقطع ايمانهما عند توفر الشروط ،وبين ان تلك العقوبة جزاء بما كسباه من السرقة ،وعقوبة من الله لهما لإقدامهما على هذه الجريمة المنكرة، وليكون هذا العقاب الصارم عبرة للناس، حتى يرتدع اهل البغي والفساد ،ويامن الناس على اموالهم وارواحهم، وهذا تشريع العزيز في سلطانه، الحكيم في امره ونهيه ،فلا تخفى عليه مصالح العباد[2] ، لقد ذيل الله هذه الآية بقوله(وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) بعد ان ذكر جريمة السرقة وعقوبتها في الدنيا، وهي قطع يد السارق والسارقة، اللذان يعتديان على حقوق الاخرين بسرقة اموالهم. فمعنى قوله عزيز حكيم، أي (عزيز في انتقامه ،حكيم في شرائعه وتكاليفه ، قال الاصمعي ،كنت أقرأ سورة المائدة ومعي اعرابي ، فقرأت الآية فقلت: (والله غفور رحيم) سهواً، فقال الاعرابي :كلام من هذا ؟ قلت كلام الله ،قال :أعد، فأعدتُ: والله غفور رحيم، ثم تنبهت فقلت: والله عزيز حكيم ، فقال: الان أصبت، فقلت كيف عرفت ؟ قال يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع، فلو غفَر ورحمَ لما امر بالقطع[3].

وفي هذا التذييل ضمانة عقائدية لحسن الالتزام بالحقوق والواجبات، وفيه ايضاً قوة رادعة زاجرة مصدرها الايمان بالله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني: الضمانات التشريعية

ارسل الله سبحانه وتعالى الرسل، وانزل الكتب لتحقيق مصالح العباد التي هي مقاصد الشريعة، فما من شيء فيه مصلحة لهم الا واوجده سبحانه وحث عليه ،وحصنّه وحافظ عليه، وما من شيء فيه مضرة لهم الا ونهاهم عنه. وحاجات الناس مختلفة من حيث الاهمية ، فجاء الشرع

(١) ينظر تفسير الرازي ٢٢١/١١، وروائع البيان تفسير آيات الاحكام ٥٤٧/١

(٢) ينظر روائع البيان تفسير ايات الاحكام ٥٤٧/١ –٥٤٨

(٣) تفسير الرازي ٢٣٦/١١

ISBN: 978-9922-21-412-2

الحكيم مع هذا الاختلاف والترتيب في الحفاظ عليه وعلى اقامته وضمانه ،فبعض المصالح والحاجات ضروري وجوهري[١]، ويتعلق بوجود الانسان ومقومات حياته، وبعضها يأتي في الدرجة الثانية ليكون وسيلة مكملة للمصالح الضرورية السابقة وتساعد الانسان على الاستفادة الحسنة من جوانب الحياة المختلفة في السلوك، والمعاملات ،وتنظيم العلاقات، وبعض المصالح لا تتوقف عليها الحياة ،ولا ترتبط بحاجات الانسان الاساسية، وانما تتطلبها مكارم الاخلاق، والذوق السليم ،والعقل الصحيح ،لتامين الرفاهية للناس وتحقيق الكماليات لهم[٢]، ولقد بين الشرع احكام العقيدة وشرع انواع العبادات، ثم اوجد وسائل الحفاظ على الدين، وعدم الاعتداء عليه ،فكانت احكام الجهاد واحكام المرتد، خير مثال على ذلك[٣]، وشرع الاسلام احكام ايجاد النفس وتكوينها كالزواج، وشرع وسائل الحفاظ عليها، فأوجب تناول الطعام والشراب ،وأوجب القصاص والديه وغيرها[٤]، وهكذا نجد بقية المصالح.

والضمانات التشريعية إن من اهم الضمانات والوسائل التي تفضي الى صيانة حقوق الانسان وواجباته واحترامها، وتكفل حمايتها من كل جور واعتداء ،وتضمن للمجتمع أمنه واستقراره، فإن الله سبحانه وتعالى حينما اقر للفرد او المجتمع حقوقاً، واوجب عليهم واجبات، وطلب اليهم ان يتعاطون بها ولا ينقضونها او يعطلونها فيما بينهم، سواء كانوا حكاماً ام محكومين، لان في إقامة هذه الحقوق والواجبات خيرهم وصلاحهم ، وفي نقضها و تركها فساد المجتمع وهلاكه ،وبما ان الانسان تتجاذبه قوتان، وهما قوتا الخير والشر ،وتبعاً لاستقواء احدهما على الاخرى، يكون التزام الانسان بهذه الحقوق والواجبات من عدمه ،لذلك شرع الله في كتابه العزيز، وعن طريق سنة نبيه عليه الصلاة والسلام قوانين وتشريعات دقيقة وتفصيلية كضمانة رادعة تحول بين الانسان، وبين انتهاك هذه الحقوق والواجبات .

---

(١) يقول الامام الغزالي :(ومقصود الشرع من الخلق خمسة :وهو ان يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم ،ومالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذه الاصول الخمسة فهو مصلحة ، وكل ما يفوت هذه الاصول فهو مفسدة ،ودفعها مصلحة) المستصفى في علم الاصول ابو حامد الغزالي –ط٢–دار الكتب العلمية–بيروت – لبنان –١٤٠٣هـ–١٩٨٣–١/٢٨٧

(٢) ينظر ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول –محمد علي الشوكاني –ط١–مطبعة مصطفى البابي الحلبي –مصر –١٣٥٦هـ–١٩٣٧م –١/٣٥٠،وقواعدالاحكام للعز بن عبدالسلام ١/٢٩ وما بعدها

(٣) ينظر المستصفى للغزالي ١/٣٨٧ ،والموافقات للشاطبي ٢/٥

(٤) ينظر المصادر نفسها ١/٣٨٧ –٣٨٨، ٢/٥– ٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ولقد شرع الله جلت حكمته العقوبات الدنيوية على الافراد او الجماعات ممن يعتدون على حقوق الاخرين ، ولاريب انّ في هذه العقوبات الضمانة القوية، لردع الناس وتحذيرهم من الاعتداء على هذه الحقوق ولولا العقاب لساء الادب، لأن الاوامر والنواهي لا تكفي للنفوس الضعيفة الايمان ولا ترتدع ،كما أن في القصاص حياة، إذ فيه يُحافظ على مصلحة المجتمع ويصون حقوقه وواجباته، ويضمن بقائها ، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة: ٧٩)، فيكون تشريع العقاب في الشريعة الاسلامية من رحمة الله بعباده فهو للفرد المجرم بمنزلة قطع العضو المتسمم، فبقطعه يحفظ الجسم من انتشار التسمم فيه، كما ان في هذا العقاب مصلحة مؤكده للمجتمع، حيث يترتب عليه اطمئنان الناس على حياتهم واموالهم[١]

وهذه العقوبات جاءت على نوعين ،احدهما :عقوبات مقدرة لجرائم الحدود والقصاص، فتنفيذ عقوبات الحدود واجبة لتعلقها بحق الله تعالى، ولا يجوز إسقاط هذه العقوبات بعد ثبوت الجريمة امام القضاء[٢]، كالعقوبات المقدرة على جرائم القتل العمد والزنا وقطع الطريق (الحِرابة) والسرقة والردة والبغي والقذف

وثانيهما :عقوبات جرائم التعزير[٣]، وهي المحظورات الشرعية التي ليس لها عقوبة مقدرة من الشرع الاسلامي، ويعود تقديرها الى القاضي، ليلاحظ ظروف المجرم، وظروف الجريمة وملابساتها، مثل الخلوة بالأجنبية وخيانة الامانة[٤] (2).

ومن الامثلة على الضمانات التشريعية التي شرعها الله تعالى للحفاظ على حقوق الفرد او الجماعة وواجباتهما :

١- قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (النساء: ٩٢)

---

(١) ينظر النظم الاسلامية/٤٣٦

(٢) ينظر المصدر نفسه /٤٢٩

(٣) التعزير :- (هو ضرب دون الحد)المفردات /٣٣٣.

(٤) ينظر السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية –احمد بن عبد الحليم بن تيمية –ط١ – دار الشعب – القاهرة ١٩٧١م / ١١٩ – ١٢٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

يقول الله جل ثناؤه ما معناه وما كان من شأن المؤمن ولا ينبغي له أن يقوم على قتل مؤمن، الا اذا وقع هذا القتل خطأ ،فإذا حصل ووقع القتل بطريق الخطأ ، فعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة، ودية مسلمة الى اهل القتيل، تدفعها عاقلته، الا اذا عفوا عنه واسقطوا الدية باختيارهم، فلا تجب حينئذٍ ، واذا كان المقتول مؤمنا واهله من اعدائهم، فالواجب على قاتله عتق رقبة مؤمنة، ولا تجب الدية لأهله، لانهم اعداء محاربون، فلا يعطون من اموال المسلمين ما يستعينون به على قتالهم ، واما اذا كان المقتول معاهداً او ذميا، فالواجب في قتله كالواجب في قتل المؤمن، دية مسلمة الى اهله تكون عوضاً عن حقهم ،وعتق رقبة مؤمنة كفارة عن حق الله تعالى ، فمن لم يجد الرقبة التي يحررها فعليه صوم شهرين قمريين متتابعين ،توبة من الله على عباده المذنبين، وكان الله عليماً بما يصلح للناس حكيماً في تشريعه[١].

لقد بيّنت الآية حق الحياة، وعرضت تفصيلياً ضمانات هذا الحق التشريعي، فالاعتداء على حق الحياة يكون بالقتل، والقتل ثلاثة اقسام عمد وخطأ وشبه العمد[٢]، فأما القتل العمد ،فهو ان يقصد قتله بما يفضي الى الموت، كسيف او سكين او سلاح، فهذا عمد يجب فيه القود (القصاص) لأنه تعمد قتله بشيء يقتل في الغالب[٣]،فمن علم انه اذا قتل شخصاً فانه سيقتل به كان ذلك رادعاً قوياً له، وفي هذا التشريع أعظم الضمانات للحفاظ على حق الحياة.

واما القتل الخطأ ،فهو ضربان :احدهما ،ان يقصد رمي المشرك او الطائر فيصيب مسلماً .الثاني ان يظنه مشركاً بان كان عليه شعار الكفار فيقتله، والاول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد[٤].

واما شبه العمد ،فهو ان يضربه بعصا خفيفة لا تقتل غالباً فيموت فيه ،او يلطمه بيده او يضربه بحجر صغير فيموت، فهذا خطأ في الفعل، وإن كان عمدا في الضرب[٥].

لقد اوجب الله تعالى على القاتل خطأ أن يعتق رقبة مؤمنة، لان اطلاقها من قيد الرق كأحيائها، وعليه كذلك دية مؤداة الى ورثة المقتول، الاّ اذا عفا الورثة عن القاتل فاسقطوا الدية ، وعليه فان

---

(١) ينظر روائع البيان تفسير ايات الاحكام من القران ٤٩٣/١ – ٤٩٤

(٢) ذهب الامام مالك الى ان القتل إما عمد وإما خطأ ولا ثالث لهما ،وقال :ليس في كتاب الله الا العمد والخطأ. ينظر المصدر نفسه ٤٩٨/١

(٣) ينظر المصدر نفسه ٤٩٨/١– ٤٩٩.

(٤) ينظر روائع البيان تفسير ايات الاحكام من القران ٤٩٩/١

(٥) ينظر المصدر نفسه ٤٩٩/١،ومنهاج المسلم/٤٨٢

ISBN: 978-9922-21-412-2

في القتل الخطأ وشبه العمد شيئين :الكفارة وهي تحرير رقبة مؤمنة في مال القاتل ،والدية وهي مائة من الابل على العاقلة ، الاّ أن الدية تكون في القتل الخطأ مخففة ،وأن الجاني غير آثم، بخلاف شبه العمد فأن الدية فيه مغلظة والجاني آثم(١)، ولا شك ان في هاتين العقوبتين وهي الكفارة والدية الكبيرة، ضمانة ووسيله لردع الناس عن هذه الجريمة النكراء، وهي الاعتداء على حق الحياة.

٢- قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(المائدة: ٣٣)

لقد سبق الحديث عن معنى هذه الآية في(الضمانات العقائدية) والذي يهمنا هنا ان الله سبحانه وتعالى شرعّ الحدود لتكون زواجر للناس عن ارتكاب الجرائم ،وضمانة فعالة في الحفاظ على الحقوق والواجبات، واحترامها وحسن الالتزام بها . فحينما نطبق هذه العقوبات التشريعية التي ذكرتها الآية، وهي القتل او الصلب او تقطيع الايدي والارجل من خلاف او النفي في الارض، بحق هؤلاء الذين يشهرون السلاح في وجوه الناس، فيقطعون طريقهم بالسطو على المارة وقتلهم واخذ اموالهم، فإنها تكون من اعظم الضمانات لحفظ حق الحياة وحق حفظ المال.

٣- شرع الله عقوبة قطع يد السارق والسارقة كضمانة تشريعية لصيانة حق الانسان في الحفاظ على امواله ، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(المائدة: ٣٨).

لقد جعل الله السرقة كبيرة من الكبائر، ولعن رسول الله ﷺ مرتكبها، فقال:(لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده)(٢)، وقال ﷺ في بيان انها حد من حدود الله ، يقام على كل أحد دون محاباة قريب او نسيب، لا فرق بين قوي و ضعيف، وشريف و وضيع، وغني وفقير: (إنما اهلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ،وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)(٣).

---

(١) ينظر صفوة التفاسير ٢٩٦/١،ومنهاج المسلم /٤٨٢

(٢) رواه احمد ٢٥٣/٢،والبخاري ٢٤٨٩/٦،ومسلم ١٣١١/٣،والنسائي ٦٥/٨،وابن ماجه ٨٦٢/٢.

(٣) رواه البخاري ٢٨٢/٣،وابو داود ٥٣٧/٢،والترمذي ٣٧/٤،والنسائي ٧٢/٨

ISBN: 978-9922-21-412-2

إن الردع الذي يحصل في إيقاع هذه العقوبة، ومقدار الالم المادي والمعنوي الذي تحدثه العقوبة للمجرم، وما تسببه من فقدانه عضو من اعضاءه، او ألم فيها فيمتنع من الاجرام بدافع من حب الذات والخوف من أذى الالم إذا ما سولت له نفسه الاجرام بالاعتداء على حق الاخرين، بالحفاظ على اموالهم وممتلكاتهم ،ولاشك ان في هذه العقوبة ضمانة حقيقة لهذا الحق وهو حق حفظ المال.

٤- من رحمة الله علينا أن وهب لنا اعظم نعمة وهي العقل وامرنا الله تعالى ورسوله ﷺ بالمحافظة عليه من كل ما يؤثر فيه او عليه ، فحرم كل مخمّر له، وقد عدّ العلماء العقل من الضروريات الخمس التي يجب على المسلم المحافظة عليها ، لذا حذرنا الله عز و جل من اتباع الشيطان في تعاطي المسكرات فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(المائدة: ٩٠-٩١) بيّنت الآية بأن الخمر والقمار والذبح للأصنام والاستقسام بالأزلام (الاقداح) كل ذلك رجس مستقذر، لا يليق بالمؤمن فعله، وهو من تزيين الشيطان للإنسان، فيجب اجتنابه والبعد عنه، لان غرض الشيطان ان يوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، ويمنعهم عن ذكر الله وأداء الصلاة بسبب هذه المنكرات والفواحش التي يزينها للناس، فانتهوا أيها المؤمنون عن ذلك[١].

المبحث الثالث: الضمانات الاخلاقية

إن المجتمع الذي يقوم على قاعدة متينة من الاخلاق الحسنة والصفات الحميدة، يكون افراده اقرب الى احترام واداء الحقوق والواجبات فيما بينهم، وعدم التعدي علبها او التنصل منها، ولحسن الخلق فضائل عظيمة في الدنيا والاخرة على الفرد والجماعة ،فحسن الخلق امتثال لأمر الله تعالى، قال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الاعراف: ١٩٩)، فقد جمع سبحانه و تعالى مكارم الاخلاق في هذه الآية ،وامر بالأخذ بها ،والتحلي بما ورد فيها[٢]

كما ان حسن الخلق طاعة للرسول ﷺ إذ قال:(وخالق الناس بخلق حسن)[٣]، واقتداء بالرسول ﷺ اكرم البشرية اخلاقاً ، وازكاهم نفساً –والله عز و جل يقول :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

(١) ينظر روائع البيان ٥٦١/١

(٢) ينظر سوء الخلق – مظاهره، اسبابه ،علاجه- محمد بن ابراهيم الحمد ط١ السعودية – ١٤٢٥هـ/٨١.

(٣) رواه احمد ١٣٥/٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(الاحزاب:٢١)، وقرباً من مجلس النبي ﷺ يوم القيامة ، إذ قال ﷺ: (إن من احبكم اليّ واقربكم مني مجلساً يوم القيامة احاسنكم اخلاقاً)(١)

وفي حسن الخلق كسب للقلوب فهو يحبب صاحبه للبعيد و القريب ،وبه ينقلب العدو صديقاً، ويصبح البغيض حبيباً، ويصير البعيد قريباً(٢). وحسن الخلق سبب لتيسير الامور لأنه من تقوى الله ، إذ يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾(الطلاق:٤)

كما أن صاحب الخلق الحسن يظفر بمحبة الله تعالى ، فالله سبحانه يحب مكارم الاخلاق ، ويحب اهلها بل ان احب العباد الى الله احسنهم اخلاقاً، فعن اسامة بن شريك قال:(كنا جلوساً عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم ، إذ جاءه اناس فقالوا :من احب عباد الله الى الله ؟ قال :أحسنهم اخلاقاً)(٣)، وقد جاء في العقد الفريد :

(واذا احب الله يوماً عبده القى عليه محبة في الناس)(٤)

كما ان المرء يتمكن بحسن الخلق من الوفاء بالحقوق والواجبات ،كحقوق الاهل والاولاد والاقارب والاصحاب والجيران والمعلمين، وسائر من بينه وبينهم مخالطه او حق ،فكم من حقوق اضيعت من جراء سوء الخلق(٥).

ان الشعور الخلقي في الانسان شعور فطري فطره، عليه الخالق تعالى ،فيحمله على حب بعض صفات الانسان وكراهة اخرى، وان كان متفاوتاً وعلى اقدار متنوعة في مختلف افراد البشر ،الا ان الشعور العام لايزال يحكم على بعض السجايا الخلقية بالحسن، وعلى بعضها بالقبح في كل زمان، فالصدق والامانة والوفاء بالعهد مثلاً، كل ذلك مما عدته الانسانية من الصفات الخلقية الجديرة بالثناء والمدح في كل الازمان، ولم يأت على الانسانية حين من الدهر استحسن فيه الكذب والظلم والغدر والخيانة وقسوة القلب والبخل، كذلك في امر السجايا والطباع خيرها وشرها ،فما نظرت الانسانية الى اعمال الغيبة والنميمة والحسد والتزوير والارتشاء والبذاءة بنظر

---

(١) رواه احمد ١٩٣/٤

(٢) ينظر سوء الخلق –مظاهره ، اسبابه، علاجه–محمد بن ابراهيم الحمد /٨٣

(٣) اخرجه الطبراني في الكبير ١٨١/١ رقم ٤٧١،وقال الهيثمي في المجمع ٢٤/٨:(رجاله رجال الصحيح)

(٤) العقد الفريد– ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي –ط٣– دار الكتاب العربي –بيروت لبنان – ١٣٨٤هـ–١٩٦٥م–٣١٢/١، وينظر بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ابو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي –تحقيق محمدمرسي الخولي –دار الكتب العلميه–بيروت لبنان–٦٦٤/٢.

(٥) ينظر: سوء الخلق – مظاهره ،اسبابه ،علاجه/٨٧

التقديس والتمجيد، كما نظر الى بر الوالدين والاحسان الى ذوي القربى والمساكين وعيادة المرضى ومساعدة البؤساء واعانة المنكوبين.

وجملة القول ان الانسانية ماعدّت خير اهل الارض واكرمهم الا الصادقين في اقوالهم، الذين يوثق بهم ويعتمد عليهم في كل شان، والذين ظاهرهم وباطنهم سواء، والذين يقنعون بحظوظهم وحقوقهم، ويتسابقون الى اداء ما عليهم من الحقوق والواجبات لغيرهم، والذين يأمن غيرهم شرهم، ولا يرجى منهم الا الرشد والخير

ومن ذلك يتضح ان القواعد الخلقية هي حقائق ثابتة ما زال جميع ابناء البشر على معرفة بها، فليس الخير والشر مما يخفى على احد بل انهما مما عهده ابن آدم منذ اول امره وجبل على معرفته، ومن ثم ترى القران يسمي الخير(معروفا) والشر(منكرا) ومراده بذلك ان المعروف ما عرفه الناس ورغبوا فيه واستأنسوا به ، وان المنكر ما انكره الناس واشمأزوا منه واستنكفوا عنه[١]، وفي هذا المعنى ورد التنزيل (فالهمها فجورها وتقواها)[٢] ،اي النفس الانسانية.

الاّ انّ القواعد الخلقية في الاسلام تمتاز على غيرها من الاخلاق الانسانية بعدة مميزات، اهمها، اتصالها بالعقيدة واستنادها اليها، فهي ليست مستقلة بنفسها كما هو حال الاخلاق الانسانية الاخرى، التي تمثل همسات توجيهية، غير ملزمة معروضة لمن يشاء ان يأخذ بها حسب رغبته ومزاجه ،كما انها تتصف بالهيمنة على كل افعال الانسان واحواله، فهي تفصيلية وشاملة ،ولازمة للإنسان في وسائله لزومها في غاياته ،وهي ايضاً –اي الاخلاق الاسلامية –تمتلك الوسائل والضمانات لنقل الاخلاق من النظرية الى التطبيق، عن طريق صفتها الملزمة من جهة ،ثم عن طريق وضع الوسائل العلمية لتقويم الاخلاق من جهة ثانية[٣].

تحتل الاخلاق منزلة عظيمة في الاسلام اختارها الله تعالى شيئاً متميزاً عظيماً، تتبين فيه عظيم منزلة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام بسبب توافرها فيه في صورتها المثلى فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم:٤) كما بين ﷺ الحكمة من بعثته فقال:(إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الاخلاق)[٤].

---

(١) ينظر النظم الاسلامية /١٣٣.

(٢) ينظر نظام الحياة في الاسلام –ابو الاعلى المودودي /٨،والايه في سورة الشمس/٨

(٣) ينظر النظم الاسلامية /٧٣

(٤) رواه احمد ٣٨١/٢ والبيهقي في السنن الكبرى ١٩١/١٠

ISBN: 978-9922-21-412-2

ولقد عرّف النبي ﷺ الدين بانه حسن الخلق، حينما جاءه رجلٌ فقال :يا رسول الله ، ما الدين ؟ فقال ﷺ: (حسن الخلق)[1] واعتبر ان حسن الخلق مع التقوى اثقل شيء في الميزان يوم القيامة فقد قال ﷺ (ما من شيء يوضع في الميزان اثقل من تقوى الله وحسن الخلق)[2]،وجعل حسن الخلق ميزاناً للتفاضل بين المؤمنين فقال ﷺ :(اكمل المؤمنين ايماناً اكملهم خلقاً) [3]

لقد فصّل القران الكريم الاخلاق تفصيلاً كاملاً وشاملاً ،وامر بالحسن والجيد منها اسعاداً للفرد والجماعة ،وناهياً عن القبيح منها ومبيناً ضررها وعقابها ،جاعلاً من هذه الاخلاق ضمانات ووسائل لإحقاق الحقوق واداء الواجبات ،وسنذكر هنا بعض الاخلاق التي امر بها القران و امتدحها، ثم نذكر فيما بعد بعض الاخلاق التي نهى عنها القران او ذمها و عاقب عليها:

أولاً : أخلاق أمر بها القران الكريم واثنى عليها:

١. امر الله تعالى في اول اية من سورة النساء بصلة الارحام والقربى، حيث قال تعالى ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ (النساء:١)

٢- الاحسان لكل محتاج اليه، ولاسيما للوالدين ولذي القربى والجار، قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ (النساء:٣٦)

٣- اداء الأمانة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾(النساء:٥٨).

٤- الاخاء واصلاح ذات البين ، قال تعالى: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾(النساء:١١٤)

٥- الوفاء بالعقود ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾(المائدة:١).

٦- التعاون على البر والتقوى وكل ما هو خير، قال تعالى:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾(المائدة:٢)

---

(١) رياض الصالحين للإمام النووي /٢٧٧

(٢) رواه الترمذي ٣٦٣/٤ وقال حديث حسن صحيح ،وسبل السلام ٢١١/٤

(٣) رواه الطبراني في المعجم الاوسط ٣٥٦/٤

ISBN: 978-9922-21-412-2

٧- العدل في جميع الاحوال حتى مع الكافر، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة:٨)

٨- التراحم المتبادل بين المؤمنين وعدم التذلل للكافرين، قال تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:٥٤)

ثانياً: أخلاق نهى عنها القران وذمها:

١- أكل مال اليتيم ، قال تعالى : ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً ﴾ (النساء:٢)، وقال تعالى ايضاً : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ (النساء:١٠)

٢- البخل وكنز الاموال، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٣٦- ٣٧)

٣- الكبر و العجب بالنفس، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾(النساء:٤٩).

٤- الحسد و الطمع ، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(النساء:٥٤).

٥- الخيانة والدفاع عن الخونة، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾(النساء:١٠٧)

٦- الرياء، قال تعالى: ﴿يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(النساء: ١٤٢)

٧- معاونة الغير على الشر ، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة:٢)

٨- اللامبالاة امام المنكر والشر العام، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾(المائدة: ٧٨- ٧٩)

فالأخلاق اذا لها اثر بالغ في التزام الناس بأداء الواجبات واكتساب الحقوق اللازمة لهم، فالمجتمع الفاضل القائم على الاخلاق الحسنة، يعرف كل واحد من افراده ما له وما عليه، فيأخذ كل ذي حق حقه ،وهذا ظاهر من خلال دراسة المجتمعات المختلفة وفي شتى الازمنة ،فنعلم مدى تأثير الاخلاق في الحياة الانسانية، ومدى كونها ضمانة للحقوق و الواجبات.

المبحث الرابع: الإحالة على الضمير الانساني

حينما يكون الضمير الانساني حاضرا و فاعلاً في النفس الانسانية، ورقيباً اميناً على سلوك الفرد و المجتمع ، فان هذا الضمير يكون ضمانة حقيقية لتطبيق الحقوق والواجبات، واحترامها على

ISBN: 978-9922-21-412-2

ارض الواقع، تضاف الى جانب الضمانات الاخرى التي سبق الحديث عنها. لقد أوجد الله –جلت حكمته– الضمير في النفس الانسانية، وهو الذي يقوم بإدانة الانسان نفسه عند الاساءة، ويدفعه لفعل الخير، وفطرة الانسان يمكنها التمييز بين الظلم و العدل، و بين الصلح والطالح ، وهذه الفطرة هي التي تميزه عن سواه، ولكنه يهدر هذه الفطرة فيقتل بني جنسه ويشردهم[١]. إن محاسبة الانسان نفسه اولاً ،او ما نسميه بمحاسبة الضمير ،تجعل منه ميزاناً لإصلاح المجتمع، فيؤدي الواجب الذي عليه على اكمل وجه ،فمن العقل ان يحاسب الانسان نفسه في الرخاء قبل الشدة، ليعود امره الى الرضا والغبطة، لان من حاسب نفسه علمِ عيوبها و زلاتها ،ومواطن الضعف فيها ،فبدأ بعلاجها و وصف الدواء لها ،فينمي ذلك في النفس الشعور بالمسؤولية و وزن الاعمال والتصرفات بميزان دقيق ،الاّ وهو ميزان الشرع[٢]. إن نفس الانسان و ضميره هو الحكم في كثير من الاحيان، وهو الذي يقود صاحبه للسعادة او الهلاك ، قال ﷺ: (كلكم يدخل الجنة الاّ من أبى، قالوا و من يأبى يا رسول الله ، قال ﷺ : من اطاعني دخل الجنة و من عصاني فقد أبى)[٣]، إن السؤال المطروح هنا، كيف يكون الضمير حياً، وكيف تكون النفس صالحة ؟ يمكن تلخيص ذلك بأن النفس تصلح، والضمير يكون حياً بالتوبة اولاً ، والتخلي عن سائر الذنوب و المعاصي ،المراقبة الدائمة بان ياخذ المسلم نفسه بمراقبة الله تبارك وتعالى، ويلزمها اياها في كل لحظة من لحظات الحياة ،حيث يتم لها اليقين بان الله سبحانه و تعالى مطلع عليها ،عالم بأسرارها، رقيب على اعمالها ،قائم عليها و على كل نفس بما كسبت[٤].

ويضاف الى ذلك المجاهدة، وهي ان يعلم المسلم ان أعدى اعدائه اليه هي نفسه التي بين جنبيه، وانها بطبعها ميالة الى الشر، فرارة من الخير ،أمارة بالسوء ،قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾(يوسف:٥٣)، تحب الدعة والخلود الى الراحة ، وترغب في البطالة، وتنجرف مع الهوى، تستهويها الشهوات العاجلة ،إن كان فيها حتفها وشقاؤها)[٥]، (فاذا عرف المسلم هذا

---

(١) ينظر اصول الدين – د. رشدي عليان ، د.قحطان الدوري – ط١– مطابع دار الحكمة بغداد – ١٩٩٠ /٨٢ و ٣٤٠.

(٢) ينظر قطرات الينابيع –علي بن عبد الخالق القرني–ط١-- دار طيبة الخضراء – مكة المكرمة –١٤٢٥ هـ– ٢٠٠٤ م ٦٦/٤.

(٣) رواه البخاري ٢٦٥٥/٦

(٤) ينظر منهاج المسلم/٨٥ – ٨٧

(٥) ينظر منهاج المسلم /٨٩ – ٩٠

ISBN: 978-9922-21-412-2

عبأ نفسه لمجاهدة نفسه، فأعلن الحرب عليها ، وشهر ضدها السلاح ، وصمم على مكافحة رعونتها، ومناجزة شهواتها، فاذا احبت الراحة أتعبها، واذا رغبت في الشهوة حرمها ،واذا قصّرت في طاعة او خير عاقبها ولامها، ثم الزمها بفعل ما قصرت فيه، وبقضاء ما فوتته او تركته يأخذها بهذا التأديب حتى تطمئن وتطهر وتطيب) [1]، ومن وصلت نفسه الى هذه السمة كان ضميره حياً يقوده لفعل الصواب و اتباع الحق أينما وجد، تدفعه نفسه لأداء كل واجب على اكمل وجه، ويطلب حقه من غير مغالاة، فينعم المجتمع بالخير والسعادة بعيداً عن كل ظلم و جور.

الخاتمة

مما تقدم من دراسة الهوية الاسلامية ومضمونها نخلص الى النتائج الاتية:

- إن الشريعة الاسلامية تناولت الحقوق و الواجبات ضمن الهوية الاسلامية تناولاً دقيقاً ،وعرضتهما عرضاً شاملاً ،ويظهر الفرق جلياً بين إقرار الشريعة للحقوق الواجبات ، وبين الدساتير الوضعية الاخرى، فهنالك تطور للمفهوم بالنسبة للثاني وتغيير القوانين بين مدة وأخرى، أما الاول الذي اثبته رب السماء فهو الحق الفصل في كل شيء بخلاف الثاني.
- عرضت السور القرآنية الحقوق الفردية و الجماعية بشكل جميل ودقيق و ملفت للنظر، كحق الحياة واهميته، والمساواة واثرها في الحياة .
- وفي الجانب الاقتصادي فصلت السور القرآنية حق الارث ايما تفصيل وكذلك حق اليتيم والوالدين والاقارب ، والجوار والصحبة والمملوك ، وما الى ذلك من حقوق، بسياقٍ فني جميلٍ متماسك ومتراصف، بإعجاز بياني وتشريعي.
- إن الواجبات اخذت حيزها في العرض و التفصيل انطلاقا من الواجب التعبدي مع الباري سبحانه وتعالى ، كوجوب طاعته وعدم الاشراك به ، والاخلاص له ، والخشية منه ، والتوكل عليه ،كما يجب ذكر نعمته تعالى ، والوفاء بميثاقه ، وعدم تعدي حدوده ،والحكم بما انزل سبحانه ،وما الى ذلك من واجبات تجب له عز وجل.
- إن الواجب تجاه النبي ﷺ هو الايمان به والتزام سنته ، وطاعته، وتوقيره لنيل السعادة في الدارين.

(١) ينظر المصدر نفسه /٩٠

ISBN: 978-9922-21-412-2

•الالتزام بالواجبات الاخرى الفردية و الجماعية كواجب الوفاء بالعقود، واداء الامانة، والحكم بالعدل ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،والتعاون على البر و التقوى الى اخر ذلك من الواجبات.

• إن الشريعة الاسلامية وضعت الضمانات الكفيلة بإقامة الحقوق و الواجبات ، والحفاظ عليها ، كالضمانات العقائدية ، التي لها اطار مقدس يلزم الناس الالتزام بها، والضمانات التشريعية وما لها من إلزام و ردع ، يحققان إقامتها ، والضمانات الاخلاقية التي طالما سار الناس عليها ،وضمانات الضمير النابع من عمق الانسان، فهذه الضمانات هي التي تلزم الناس لإقامة هذه المضامين السامية.

المصادر والمراجع

١- ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول –محمد علي الشوكاني –ط١–مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر –١٣٥٦هـ–١٩٣٧م

٢- الاستنارة بما جاء في البشارة – يعقوب بن يوسف – ط١ – دار ابن حزم – بيروت – لبنان –١٤٢٣ هـ –٢٠٠٣ م

٣- اصول الدين – د. رشدي عليان ، د.قحطان الدوري – ط١– مطابع دار الحكمة بغداد – ١٩٩٠

٤- بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، ابو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي –تحقيق محمد مرسي الخولي –دار الكتب العلمية–بيروت .

٥- تاريخ الاسلام السياسي د. حسن ابراهيم حسن ، ط٧– دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان

٦- تفسير الرازي المسمى بـ (التفسير الكبير و مفاتيح الغيب) فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي – ط٣ – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٧- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الاقاويل – جار الله محمود بن عمر الزمخشري – دار المعرفة للطباعة و النشر – بيروت – لبنان (بدون طبعة ولا سنة طباعة).

٨- الجامع لأحكام القران – محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي – تحقيق احمد عبد العليم البردوني –ط٢ – دار الشعب – القاهرة –١٣٧٢هـ.

٩- روائع البيان تفسير آيات الاحكام من القران – محمد علي الصابوني –مؤسسة عز الدين للطباعة – بيروت (بدون طبعة و لا سنة طباعة).

ISBN: 978-9922-21-412-2

١٠- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين – ابو زكريا يحيى بن شرف النووي – تحقيق عبد الله احمد ابو زينة – دار القلم – بيروت – لبنان (بدون طبعة ولا سنة طباعة).

١١- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع ادلة الاحكام – للامام الصنعاني – مكتبة الرسالة الحديثة – القاهرة – ١٩٥٨م(بدون طبعة).

١٢- سنن ابن ماجه – محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي –دار الفكر – بيروت –(بدون طبعة و لاسنة طباعة).

١٣- سنن ابي داود – سليمان بن الاشعث السجستاني – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – دار ر الفكر (بدون طبعة ولا سنة طباعة

١٤- سنن البيهقي المسماة بـ (السنن الكبرى)احمد بن الحسين البيهقي – تحقيق – محمد عبد القادر عطا – مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م(بدون طبعة)

١٥- سنن الترمذي المسماة ب(الجامع الصحيح) – محمد عيسى الترمذي –تحقيق احمد محمد شاكر واخرون – دار احياء التراث العربي – بيروت (بدون طبعة ولا سنة طباعة

١٦- سنن الدرامي – عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي تحقيق –فواز احمد ،خالد السبع – ط١ – دار الكتاب العربي – بيروت –١٤٠٧ هـ (بدون طبعة

١٧- سنن النسائي – احمد بن شعيب ابو عبد الرحمن النسائي – تحقيق عبد الفتاح ابو غدة – ط٢ – مكتبة المطبوعات الاسلامية – حلب ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م

١٨- السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية –احمد بن عبد الحليم بن تيمية –ط١ – دار الشعب – القاهرة ١٩٧١م /

١٩- صحيح ابن حبان – محمد بن حبان بن احمد السبتي – تحقيق شعيب الارنؤوط – ط٢ – مؤسسة الرسالة – بيروت –١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م

٢٠- صحيح البخاري – محمد بن اسماعيل البخاري – تحقيق د.مصطفى اديب – ط٣ – دار ابن كثير – اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م

٢١- صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج النيسا يوري – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار احياء التراث العربي – بيروت (بدون طبعة و لا سنة طباعة)

٢٢- صفوة البيان لمعاني القران حسنين محمد مخلوف – ط٣ –(لايوجد مكان طبع و لا سنة طباعة)

٢٣- صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني – ط٩ –دار الصابوني (بدون سنة طباعة).

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢٤- العقد الفريد – ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي – ط٣ – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥م.

٢٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري–احمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز –ط١–دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان–١٤١٠هـ–١٩٨٩م

٢٦- قطرات الينابيع –علي بن عبد الخالق القرني–ط١– دار طيبة الخضراء – مكة المكرمة – ١٤٢٥ هـ– ٢٠٠٤ م

٢٧- قواعد الاحكام في مصالح الانام – عز الدين بن عبد السلام – مطبعة الاستقامة – القاهرة (بدون طبعة و لا سنة طباعة.

٢٨- مجمع الزوائد – للهيثمي – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧ هـ- (بدون طبعة)

٢٩- المستصفى في علم الاصول ابو حامد الغزالي –ط٢–دار الكتب العلمية–بيروت –لبنان – ١٤٠٣هـ–١٩٨٣

٣٠- مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني – مؤسسة قرطبة – القاهرة(بدون طبعة و لا سنة طباعة)

٣١- مصنف عبد الرزاق – ابو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني – تحقيق – حبيب عبد الرحمن الاعظمي – ط٢ – المكتب الاسلامي – بيروت – ١٤٠٣ هـ. المفردات

٣٢- المعجم الاوسط – سليمان بن احمد الطبراني تحقيق طارق بن عوض وعبد المحسن ابراهيم – دار الحرمين – القاهرة –– ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣م.

٣٣- منهاج المسلم – ابو بكر جابر الجزائري – دار الكتاب الحديث – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م(بدون طبعة)

٣٤- الموافقات من اصول الفقه – للشاطبي – تحقيق – عبد الله دراز – دار المعرفة – بيروت (بدون طبعة)

٣٥- نظام الحياة في الاسلام – ابو الاعلى المودودي – ط٢ – القاهرة – مصر –(بدون سنة طباعة)

٣٦- النظم الاسلامية – د.منير البياتي ،فاضل شاكر النعيمي – ط١ – مطبعة التعليم العالي – بغداد – ١٩٨٧م.

ISBN: 978-9922-21-412-2

"الأنمي" وأثره في استلاب الهوية الإسلامية للشاب الجامعي العراقي: دراسة تحليلية

م.م أماني نوري سعيد/ جامعة البصرة-كلية الآداب/قسم الترجمة
الإيميل الرسمي: amani.saeed80@yahoo.com

المستخلص

يعيش العقل العربي المسلم صراعًا حقيقيا تحت تأثير المفاهيم الثقافية المعلمنة التي ساقته طوعا أو كرها الى تبنّي الذوق الحضاري الغربي المعاصر وما يتسم به من تخبط وفراغ وتيه وجودي كبير. ومن بين أكثر الموجات الثقافية الغربية تأثيرا واستلابا لهوية الشباب المسلم في زماننا هذا هي أفلام " الأنمي" اليابانية.

فقد أصبحت الأنمي ثقافة عالمية رائجة تبث مختلف الثقافات والفلسفات والعقائد الغربية التي تفصل الشاب المسلم عن عقيدته وحضارته وتراثه وواقع أمته. ومن اللافت للنظر أن الشباب الجامعي يشكل نسبة كبيرة من المشاهدين المتأثرين بهذه القصص الصورية الخيالية المشبعة بالمفاهيم الغربية، بل ويتخذون من أبطالها نماذج وقدوات لهم في الحياة. وقد قامت الباحثة في هذه الدراسة المسحية بعمل استبيان حول علاقة الشاب الجامعي بأفلام الأنمي، إذ شارك في الاستبيان ما يقارب ٧٤٠ طالبًا وطالبة من جامعات محافظة البصرة فقط. وأظهرت النتائج أن نسبة ٨٠% منهم يتابعون الأنمي بشكل يومي ومولعون بتفاصيل حياة أبطالها وسرديتها الخيالية، بل ويتخذون من الأنمي وشخصياته إنموذجا معياريا يقيسون عليه ثقافتهم وتصوراتهم عن الكون والحياة والناس. فنتج عن ذلك جيل مستلب الهوية، تائه عن معنى وجوده وأدوراه الإستخلافية، منفصل عن واقع أمته وهمومها ورسالاتها. ومن الحلول المقترحة لهذه الظاهرة المستشرية في المجتمع الإسلامي هو طرح بدائل ثقافية تعيد بناء المفاهيم التي تشوهت وانحرفت عن مسارها الإسلامي الصحيح من قبيل 'طمعنى الحياة'ط، وط الغاية من وجود الانسانط، وط مركزية الآخرقط، والتفريق بين الفضيلة والرذيلة بمعاييرها الإسلامية الصحيحة. وكما ان صناعة الانمي قائمة على سرديات خيالية تمتلك قوة تأثير كبيرة على وعي الشاب وتصوراته، لذا يجب علينا ان نركز على صناعة السرديات الصحيحة انطلاقا من القرآن وسنة المعصومين وسيرة المهتدين بهديهما والتصورات السليمة للواقع والسعي الجاد لاستعادة الفضاءات التي غزتها المفاهيم الغربية المعولمة التي ولدت واقعا حياتيا مخالفا لشرعة ديننا وحضارتنا الاسلامية الأصيلة. كما وينبغي اهتمام الأسرة والمربين بغرس المفاهيم الصحيحة لدى الأطفال والناشئة، وبيان زيف السرديات الباطلة من خلال متابعة ما يشاهده الأبناء والتحري عن الأفكار

ISBN: 978-9922-21-412-2

والموضوعات التي يتلقونها الى جانب إقامة الندوات والحلقات النقاشية التربوية في المدرسة او الجامعة لبيان أثر هذه الثقافات على مستقبلهم ورؤيتهم الكونية عموما وتعريفهم بالحقائق المرتبطة بالوحي والمشتملة على كل ما يعنى به الانسان في مسيرة حياته من غير تخبط أو زيف.

المقدمة

في تقريره الموسوم بـ"الهويات المستقبلية" ، صرح جون بيدنغتون، كبير المستشارين العلميين في الحكومة البريطانية قائلا: "على مدى السنوات العشر المقبلة، من المرجح أن تتأثر هويات الناس بشكل كبير بفعل العديد من محفزات التغيير المهمة، لاسيما سرعة وتيرة التطورات الحادثة في مجال التكنولوجيا"[١] حيث كانت الرسالة الأساسية في تقريره هي الخطر المترقب من جراء تغول الحداثة في حياة الشباب وأثرها في تشكيل هوياتهم المستقبلية. ومما لا شك فيه أن وسائل الاعلام تعد جزءا مهيمنا في مجتمعاتنا؛ وتسهم بشكل كبير في التنشئة الاجتماعية والفكرية والعقلية للأفراد، فهي بشكل وباخر تؤثر في تشكل هويتنا ورؤيتنا الكونية. وقد وصف بعض علماء النفس والاجتماع وسائل الإعلام بكونها أداة لغرس قيم و مواد متنوعة لتحقيق استجابات معينة داخل عقول الأفراد؛ وهو ما أطلقوا عليه بنظرية "حبل الاستجابة"[٢].

فالإعلام هو الوسيلة الاشد تأثيرا في تشكيل عقول الناس ووعيهم ومواقفهم ازاء القضايا الكبرى والمفاهيم المجتمعية المختلفة.

إن لكل مجتمع ثقافة تميزه عن باقي المجتمعات والحضارات الأخرى. و إن نسبة ثقافة ما الى مجتمع او جماعة من الناس كالثقافة العربية، والغربية، واليابانية، والكورية، الخ تعني ان لها خصوصية تميزها عن باقي الثقافات وإلا فلا قيمة لهذه النسبة اساسا. الا ان هذا التمايز لا يعني الانغلاق والانعزال عن باقي الثقافات الاخرى، بل إن رصيد المنظومة الثقافية لأي مجتمع يثري نفسه من خلال الاتصال والتواصل مع بقية الثقافات الاخرى.

وهنا قد يجد المثقف نفسه امام اشكالية وهي ثنائية ضرورة التمايز والاتصال الثقافي معا. وهذا الاشكال يحل بالنظر الى كون التمايز الثقافي ضرورة تفرضها البنية القيمية التي تشكل الركيزة

---

١ Government Office for Science (2013). Future Identities: Changing identities in the UK: The next 10 years.

٢ أرثر أسا بيرغر. وسائل الإعلام والمجتمع: وجهة نظر نقدية. ترجمة: صالح خليل أبو إصبع. سلسلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت، العدد ٣٨٦، ٢٠١٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الاساسية التي تبتنى عليها الهوية الدينية والثقافية الخاصة بكل فئة. أما الاتصال الثقافي فينظر الى كونه ضرورة انسانية حتمية لمواكبة التطور والتجدد في مجالات المعرفة المتنوعة[١]، إلا ان المعضلة الأكبر تكمن في حقيقة ان التواصل الثقافي هو في الواقع عملية تبادل وتفاعل ثقافي وفكري وحضاري، وحين يكون الانفعال والتفاعل بين الامم الغالبة والمغلوبة فان الامم الغالبة بطبيعة الحال تكون الطرف الاقوى في عملية التفعيل الثقافي على حساب الامم المغلوبة وهذا ما يسمى بعملية "الغزو أو الاحتلال الثقافي". وقد اسهمت شبكات التواصل والتقنيات الحديثة بشكل كبير في دخول مختلف الثقافات من البلدان المهيمنة علميا واقتصاديا وسياسيا الى بلداننا العربية المسلمة التي توقفت فيها عجلة التقدم منذ أمد بعيد، بل أصبحت ميزتها التراجع والاستهلاك العشوائي المتخم بالغث مما ادى الى تفشي ظاهرة التبعية الثقافية بشكل واسع وملفت لكل طامع.

والغزو الثقافي يختلف في سياقاته واهدافه عن عملية التبادل الثقافي الطبيعي المتزن في كونه جزءا من مشروع مخطط له لتحقيق غايات كبرى لصالح الدول المهيمنة ومن بين تلك الأهداف وأهمها هو "توحيد نمطي مقصود للثقافة البشرية"[٢] لخدمة غاياتهم الأمبريالية. فالنظام العالمي يرفض الخصوصية الدينية والاخلاقية والثقافية والفكرية للشعوب ولا يقبل بهم إلا كأتباع للنظام الكوني العالمي الموحد لا جزءا منه. فاندرجت، للأسف ، الكثير من الشعوب ذات الارث الحضاري العريق تحت سلطة وهيمنة النموذج العالمي المعلمن وتلاشت هوياتها الثقافية والفكرية جراء هذا الذوبان القسري. وقد كان للاعلام الدور الاكبر في بث الافكار والمعلومات والمفاهيم المعلمنة عن طريق الافلام والمسلسلات والبرامج التلفزيونية وشبكات التواصل الاجتماعي التي ساهمت بشكل كبير جدا في صياغة معتقدات الناس وقيمهم وسلوكهم وافكارهم وانظمتهم التربوية. وتعد أفلام الأنمي الكرتونية واحدة من أبرز منتجات المنصات الاعلامية الكبرى ذات التأثيرات البصرية والسمعية القوية على المشاهد. حيث يقول عنها دوريون تشونج، وهو من كبار المشرفين على متحف أم بلس للثقافة المرئية في هونغ كونغ" لدى الأنمي خيال سردي غير مسبوق ، وهذا هو أساس نجاحه العالمي"[٣]

---

(١) علي القيم، الغزو الثقافي والحضاري. مجلة المعرفة، إصدار (١) و العدد ٦٠٦، ٢٠١٤.

(٢) أحمد محمد قدور، الهوية الثقافية والغزو الثقافي. مجلة المعرفة. إصدار (١)، العدد ٤١٧، ١٩٩٨.

(٣) سي أن أن: صناعة الأنمي.. قوى اليابان الناعمة التي تجلب لها المليارات – ساسة بوست – نشر بتاريخ ٢٠١٩/٨/٢٤ على الرابط

ISBN: 978-9922-21-412-2

ما هو الأنمي؟

الأنمي مفردة يابانية الاصل وهي مشتقة من كلمة "انيميشن" الأنجليزية وتعني الرسوم المتحركة. وهو نوع من الرسوم المتحركة الذي ظهر في اليابان وأصبح له متابعين بالملايين في جميع انحاء العالم.

ويتميز الأنمي بنمط خاص من الحوار والرسوم والألوان والموضوعات التي تجعله متميزا عن باقي الرسوم المتحركة الاوربية والعربية. ووفقا لجمعية الرسوم المتحركة اليابانية، فإن اليابان تنتج ما يقارب ٢٠٠ مسلسل أنمي في العام الواحد وقد وصل معدل مبيعات الانمي حول العالم الى ما يزيد عن ١٨ مليار و ٣٠٠ ألف دولار في عام ٢٠١٧ وقد زادت الأرباح في السنوات القليلة المنصرفة الى ٢ تريليون دولار أي ما يعادل ١٧ مليار دولار سنويا[١]

وقد كان دخول الأنمي الى العالم العربي قي مطلع التسعينيات عن طريق قناة سبيستون العربية والتي كانت تحرص على تقديم الانميات المدبلجة التي تناسب الخلفية الثقافية والتربوية للطفل العربي عموما. لكن مع التطور في العصر الحديث لم يعد الانمي المدبلج يعبر عن تلك المادة البريئة الموجهة للأطفال، إنما اصبح يشكل أنساقا أيديولوجية ثقافية تخاطب عقول الشباب والمراهقين، وتصادم عقائدهم وأفكارهم، وتدغدغ مشاعرهم، وتملأ غياب المفاهيم والقيم لديهم.

ولا يكمن خطر الأنمي المدبلج بما ذكرنا وحسب، وانما بما يشتمل عليه من فلسفات واعتقادات ذات روافد ومذاهب مختلفة أيضا.

فأغلب هذه القصص الكارتونية مشحونة بالمعتقدات البوذية والهندوسية والطاوية والكونفوشيوسية مثل أنمي "يو جي او" و " دراكون بول"، الى جانب العقائد اليهودية والغنوصية والفلسفات الوثنية والالحادية المختلفة كأنمي "سايكو باس" و " ديث نوت" و "ديث بارايد" و"يوغي" الذي كان يشكك في وجود الله ويردد عبارات إلحادية من قبيل (لا يهمني إن كان الإله موجودًا أم لا) و أن (الإله ليس سوى فكرة صنعها رجل ليخيف الناس) وأمثال هذه العبارات.

وقد أسهمت أفلام الأنمي كذلك في الترويج الى الكثير من أفكار العصر الحديث من قبيل طقوس السحر وخرافات الطاقة مثل: الطاقة الخارقة التي اكتسبها كوروساكي من إله الموت في

/https://www.sasapost.com/translation/japan-anime-global-identity-hnk-intl

(١) الأنمي وأنواعه. تعرّف على عالم الرسوم المتحركة اليابانيّة – الجزيرة – نشر بتاريخ ٢٠١٨/٩/٢٦ على الرابط

/https://www.aljazeera.net/midan/art/criticism/2018/9/26

أنمي "بليتش ورموز النجمة الخماسية والعين المفردة وترويج فكرة العلاقة والاندماج مع إبليس والشياطين وتناسخ الأرواح وغيرها . ومع ان الانمي هو فن كارتوني تابع للثقافة اليابانية ومرتبط بها الا انه لاقى رواجا عالميا منقطع النظير ولا سيما في البلدان العربية.

وعلاوة على ذلك، هناك صنف آخر من الأنمي الذي يتجاوز حدود الترفيه والمتعة الخيالية البسيطة الى المشاهد الدموية والعلاقات المشبوهة ومشاهد التعري والسلوكيات اللاأخلاقية، بل يتعداها الى عرض ثقافة العلاقات المحرمة. فهناك فئة من الأنمي تسمى "شونن" تكون موجهة للمراهقين والشباب، وهناك فئة أعلى تسمى "سينين" تختص بالبالغين ممن تتراوح أعمارهم بين ١٨-٤٠، أما (الشوجو) فيستهدف المراهقات من البنات، بينما يخاطب "الجوسي" الشابات والسيدات. وغالب ما يعرض لهذه الفئات هو الاثارة والخيال والغموض والعلاقات الغرامية والتأله والقضايا ذات البعد الفلسفي المعقد وجميعها لا تخلو من الايحاءات الجنسية والمشاهد اللاأخلاقية. إلا ان هناك أربعة فئات من الانمي موسومة بالاصل بتوجهها الاباحي والشاذ وهي (الهانتاي) و(والياوي((اليوري) و(حريم).(نفس المصدر السابق)

التأثير السلبي للأنمي على فئة الشباب

لقد بلغ تأثير الانمي في المراهقين والشباب الى حد تقليد نمط ثيابهم وتسريحات شعرهم وطريقة مشيتهم وحركاتهم، إلى جانب وضع صورهم في بروفايلاتهم الشخصية على الميديا وتداول العبارات التي يستخدمها الشخصيات في الأنمي والترويج لها. والأخطر من ذلك هو محاكاة هذه الشخصيات في نمط حياتهم ونظرتهم الكونية للحياة والناس من حولهم. ففي إحدى المحاورات اللاصفية التي قامت بها الباحثة مع عدد من طلبتها الجامعيين، وقد دار النقاش حول السلبيات التي واجهها بعض مدمني الأنمي قبل أن يقرروا تركها فكان بعض الطلبة يشيروا الى أن الأنمي برغم بعض موضوعاته الانسانية الطيبة كموضوعة الوفاء والشجاعة والصداقة وغيرها، إلا أنه زرع في نفوسهم فكرة عبثية وجود الانسان في هذا الكون وأنه لا وجود لحياة بعد الموت.

وقال أحد الطلبة انه كان متأثرا بأحد شخصيات الأنمي الذي كان خيرا و محبا للخير لكنه يقترف المحرمات وكان يؤمن أن الشر لا يعد شرا حتى يتجاوز أثره الى الاخرين فمادام الشخص لا يؤذي أحدا بممارسته الرذيلة فهو ليس مذنبا. بل تعدى الامر الى وقوع بعض الشباب في حب الفتيات من عالم الانمي وإعلان ارتباطهم بهن وكأنهن فتيات حقيقيات وهي ظاهرة تسمى في مجتمعات الانمي بال "الوايفو" وهي حالة متطرفة من الهوس بشخصية من شخصيات الانمي والأرتباط بكل تفاصيلها.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أما البقية فقد كان العامل الرئيس الذي دق ناقوس الخطر بالنسبة اليهم هو ضياع الوقت وتراجع اداءهم العلمي والوظيفي الحياتي بسبب صرف الساعات الطوال في مشاهدة الانمي والمنافسة في متابعة أكبر عدد ممكن من حلقاته وقد انعكس ذلك سلبا على نشاطهم وقدرتهم على التفكير وممازجة الحياة الواقعية في الخارج. وقد أُجريَت دراسة(١) على عيّنة تتألف من ٣٨٥ فردًا بعنوان (بطلات الأنمي اليابانيات قدوات لليافعين واليافعات في أميركا) عام ٢٠١٢ والتي أوضحت أنَّ مستهلكي الميديا ومنها (الأنمي) يكوِّنون علاقات قوية مع شخصيات الأنمي ويدمجون شخصياتهم بها ويشعرون بالفرح والسرور والقلق لما يجري لها، ومن ثَمَّ يكوِّنون علاقات معها في خيالهم.

إلى جانب ذلك، نجد مسألة "الإنتحار" من المسائل التي يركز عليها الأنمي والتي تشكل جزءا من الموروثات الثقافية والدينية اليابانية. فالانتحار يمثل جانبا من سرديات الفضيلة في الديانة البوذية، وهذا ما يفسر حالات الانتحار المتكررة التي تشهدها اليابان كل يوم، ففي عام ٢٠٢١ سُجلت اليابان أكثر من ٢٠ ألف حالة انتحار خلال عشرة أشهر فقط، وقد جسد الانمي هذه المسلكيات التي تختص بها الثقافة اليابانية واصبح الشباب والمراهقون يتعرضون لهذه الافكار بشكل مستمر بل ويتعاملون معها بالتقبل والتطبيع والتسامح. وقد تنبهت روسيا الى خطورة مشاهدة بعض أفلام الأنمي من قبل المراهقين وارتباط ذلك بارتفاع حالات الانتحار خصوصا بعد انتحار فتاة عام ٢٠١٣ بعد تأثرها بمسلسل الانمي "مفكرة الموت" والذي منع لاحقا من العرض على الشاشات الروسية الى جانب حظر أفلام "أكيرا" و"الهجوم على العمالقة" لاعتقاد بعض علماء النفس والاجتماع في روسيا تأثيرها على النمو العقلي والأخلاقي للأطفال(٢).

---

(١) Ramasubramanian, S. (2012). Japanese Anime Heroines as Role Models for U.S. Youth: Wishful Identification, Para-social Interaction, and Intercultural Entertainment Effects. Journal of International and Intercultural Communication (https://www.researchgate.net/journal/Journal-of-International-and-Intercultural-Communication-1751-3057) 5(3):189-207 .DOI:10.1080/17513057.2012.679291.(http://dx.doi.org/10.1080/17513057

(٢) حيدر محمد الكعبي. الأنمي وأثره في الجيل العربي. المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية/ العتبة العباسية المقدسة. ٢٠٢٢

ISBN: 978-9922-21-412-2

أما في بيلاروسيا، فقد أطلق جماعة من الشباب على انفسهم أسم (عبدة العناكب) وهم فئة من الشباب والمراهقين الذين يميزون انفسهم بالشعر الاسود القاتم والثياب السوداء الموشومة بصورة العنكبوت ويقوموا بمهاجمة من لا يؤمن بعقيدتهم وقد استوحوا فكرة عبادة العنكبوت من أحد أفلام الأنمي.

وعلى كل حال، فأن الجانب الذي يعد أكثر خطورة في قضية الأنمي هو "التطبيع" معه . فقبل عدة شهور، جرى في أرض بغداد مهرجانا للأنمي حضره عدد من الاسر والشباب من متابعي الأنمي وقد كان الحاضرون يرتدون ثيابا ذات أنماط غريبة وهيئات صورية مشوهة وابتذال صارخ لا يليق بأبناء الأمة المسلمة وشبابها العربي ولا سيما العراقي. كما شهدت بعض الدولة العربية اقامة مهرجانات للأنمي، مثل مهرجان إيجي كن في مصر عام ٢٠١٤، ومهرجانات أخرى في الامارات والسعودية والجزائر وغيرها. والأغرب من ذلك هو تفاعل الناس والأسر مع هذه المهرجانات ووصفهم لها بانها خطوة جبارة نحو التقدمية والرقي الثقافي. فلم يعد المنكر منكرا لغياب الموازين الفطرية والعقلية في الحكم على القضايا وقبولها أو رفضها، بل أصبح الاستحسان الشخصي والمزاجات الذوقية هي الحاكمة في المشهد. كما ان تكرارها والتسامح معها بذريعة الحرية والاستحسانات يقلل من قبحها في نظر الاخرين ويمنحها رخصة الانتشار في المجتمع من غير النظر والتحقيق في مآلتها واضراراها.

الجانب العملي

يشتمل الجانب العملي للدراسة على استبيان وتحليل ومناقشة ونتائج. أما الأستبيان فكان مصمما بصيغة الكترونية و موجها عبر القنوات الجامعية الالكترونية الى الطلبة الجامعيين الذين تتراوح اعمارهم بين ١٩–٢٢ سنة من جامعات محافظة البصرة فقط. وقد تضمن الاستبيان ١٥ سؤالا يتعلق بمشاهدة أفلام الأنمي وشارك في الاستبيان ٧٠١ طالبا وطالبة من متابعي الأنمي (٤٦١ طالبة، ٢٤٠ طالبا) من تخصصات انسانية وعلمية مختلفة.

١,٤. تحليل بيانات الاستبانة

تم اختيار المنهج الوصفي المناسب لموضوع الدراسة الحالية التي تهدف الى معرفة علاقة تأثر الشاب الجامعي بأفلام الأنمي وانعكاس ذلك على هويته الدينية والثقافية والفكرية. وقد أظهرت بيانات الاستبانة النقاط التالية التي سيتم مناقشتها وتحليلها فيما بعد:

ISBN: 978-9922-21-412-2

١. قرابة ٨٠% ممن شاركوا بالاستبيان يصنفون أنفسهم ضمن فئة الـ " اوتاكو" أو مهووسي الأنمي. وهم الفئة الذين يتابعون كل تفاصيل عالم الأنمي ويقضون أوقاتا طويلة في مشاهدة الأنمي ويشاركون في فعاليات ونشاطات الكترونية متعلقة به.

٢. يشكل الاناث النسبة الأكبر بين متابعي الانمي ضمن ال ٧٠١ طالبا الذين شاركوا في الاستبانة، حيث شكل الاناث نسبة ٦٠% مقابل ٤٠% للذكور.

٣. أغلب المشاركين في الأستبانة أظهروا تفضيلا واضحا للعيش ضمن عالم الأنمي دون العالم الواقعي الذي ينتمون اليه.

٤. ٤٠% من المشتركين أعربوا عن رفضهم للسماح لأبناءهم في المستقبل في مشاهدة أفلام الأنمي من غير أن يدلوا بأسباب واضحة.

٥. ٤٣% من الطلبة المشتركين من متابعي الأنمي يعتقدون أن افلام الأنمي تحتوي على أفكار وتوجهات ومفاهيم تخالف العقيدة الاسلامية والمنظومة الاخلاقية للانسان.

٦. ٦١% من المشتركين في الاستبيان قالوا أنهم يرغبون بتعلم اللغة اليابانية كلغة ثانية والتعرف على الحضارة والثقافة اليابانية أكثر نتيجة تأثرهم بعالم الأنمي، بينما أشار اخرون الى بدأهم بتعلم اللغة اليابانية واتقانهم عددا كبيرا من مفرداتها وعباراتها.

٧. من أبين ابرز الأسباب التي دعت الطلبة الجامعيين المشتركين في الاستبيان الى اللجوء الى عالم الانمي ، الى جانب الفراغ والسعي لتحصيل المتعة، هو البحث عن "المعنى".

٨. الغالبية العظمى من المشتركين في الاستبانة من الشباب الجامعي يجهلون معنى كون الانسان خليفة الله في الأرض وحقيقة أدواره الأستخلافية التي أصطفاه الله تعالى لأدائها.

٢,٤. تحليل ومناقشة ونقد

١,٢,٤. شبابنا المسلم وأزمة البحث عن المعنى

تفترض الرؤية الإسلامية أن الإنسان كائن باحث عن المعنى والغاية، وأن سؤال المعنى هو حاجة فطرية تنبع من اعماق البنية الوجودية للانسان في سياق سيره التكاملي في هذا الوجود. فهو لا يرضى بالمعاني السطحية التي تغلف حياته وممارساته اليومية المختلفة. وبسبب تغول الحداثة في حياة الانسان المعاصر بصيغتها المادية العلمانية فقد أدى ذلك الى اضعاف الادراك الفطري للانسان في كونه قيمة لا يمكن ان تنفصل عن مرجعية عليا تمنح معنى لوجوده. وهذا هو أصل المأزق الذي وقع فيه شبابنا المعاصر: غياب المرجعية العليا الحقيقية عندهم والتي يستمد منها معنى وجوده وغاية حياته، والمتمثلة بالله تعالى وشرعته ووحيه. فقد عملت الحداثة

ISBN: 978-9922-21-412-2

بلباسها المادي العلماني على فصل الانسان عن جميع موروثاته الدينية والحضارية الأصيلة، وجعلت الرؤية النفعية الفردية الآنية هي المدار الذي يطوف حوله الانسان المعاصر في ممارساته وطموحاته وغاياته. ذلك، أصبح غالب الشباب اليوم يبحثون عن معنى لحياتهم في مساحات بعيدة عن وجودهم الواقعي ومسؤولياتهم الادوارية الكبيرة التي انيطت بهم بمقتضى التكاليف الشرعية الاسلامية. فأخذوا يلجؤون الى عوالم المتعة والخيال والسرديات التي تشغلهم عن أدوارهم الاستخلافية في هذه الأرض وعن موقفهم ازاء الاخرة والسعي لها. وقد أفصح قرابة ٧٠% من الطلبة الجامعيين المشاركين في الأستبانة أنهم يقضون أكثر من ٦ ساعات يوميا في مشاهدة أفلام الأنمي هروبا من الملل والفراغ، ولعل هذا ما أطلق عليه الدكتور عبد الله الوهيبي بنظرية "التشتيت"[١]، والتي تنطوي على محاولة الانشغال والانغماس بممارسات وهوايات ومتع يومية متكررة لا تحمل قيمة حقيقية غير الهروب من سؤال المعنى. لكن الحقيقة هي ان الله تعالى لم يخلق الانسان عبثا حاشاه، بل لغايات عظيمة وحكمة شريفة، فالإنسان مخلوق للتكليف، لا للهو والمتعة، وهو مسؤول وفاعل ومنفعل، ولا بد أن تترتب على أفعاله وقراراته نتائج واقعية، خيرا أو شرا.

لذلك، كان لزاما ان تكون هنالك اسس ومرجعيات عليا تضبط حركة الانسان وممارساته وأولوياته."وإذا كانت الهوية أو الذات تعني –كما يقول عالم النفس غوردون البورت (ت١٩٦٧م)– وجود محور مركزي ينظم إمكانات الفرد النفسية والعقلية نحو هدف معين، فإن غياب المحور والهدف يبعثر الذات ويفكك الهوية"[٢].

وهنا يكمن دور الدين في حياة الانسان، فإذا انتفى وجود المرجعية الدينية العليا في حياة الانسان، سقط في قبضة السيولة والنسبية الاخلاقية والمعرفية حيث لا حق ولا باطل ولا وهم ولا حقيقة. ومعنى نسبية الاخلاق هو عدم وجود حقيقة أخلاقية كلية تشكل معيارا للحكم على التنوع في المعتقدات الأخلاقية، وأن المعايير الاخلاقية تختلف من عصر الى عصر ومن ثقافة الى ثقافة[٣] وهذا المعنى المغلوط هو من خصائص 'العقل' الحديث. فقد تغير موقع الانسان في هذا الوجود واصبح هو المشرع لنفسه وللمجتمع من غير حاجة الى توجيه إلهي. وحيث ان الاخلاق

(١) عبد الله الوهيبي. معنى الحياة في العالم الحديث. مركز تكوين. ٢٠٢١

(٢) نفس المصدر السابق، ص٨٦

(٣) ولتر ستيس. الدين والعقل الحديث. ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: مكتبة مدبولي. ١٩٩٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ترتكز على الدين بالدرجة الاولى فإن تقويض الدين وفصله عن مصدره الالهي يعني انحلال المنظومة القيمية الاخلاقية وتلاشيها.

٢,٢,٤. الشباب وثقافة "اللهو والتسلية"

واحدة من أوجه إنحلال الانسان تحت تأثير الغزو الثقافي والفضاءات التواصلية هو تفشي حالة البحث عن اللهو والترفيه التي تتسم بالعبثية والتسطيح وغياب الجدية. يصف باسكال بروكنر التسلية التي اتسم بها العالم الحديث على انها " السعي إلى الانشغال الدائم خارج الذات والدوران في فلك الضوضاء والأضواء، أي تحويل قبلة الإنتباه والإصغاء من الداخل الى الخارج ومن اللب الى القشور"[١]. فقد أسهمت التكنولوجيا الحديثة ووسائل التواصل الثقافي والاجتماعي بنشر ثقافة التسلية واللهو التي جعلت الشباب مبعثرين يستعيضون عن الحركة التفكرية والعملية في إطار مكانتهم الوجودية بحركة خارجية التوجه والاتجاه تنطوي على هروب كامل من المسؤولية والتحديات والانشغال عنها بتوافه الأمور. بل أضحى السعي نحو الترفيه والتسلية لدى الشاب حاجة يومية تتحصن من خلالها في رقعة فردية ينشغل بها عن الواقع وتحدياته وما يتضمنه من تفاعل مع الكون والافراد.

فقد أصبحت "الشاشة" بعوالمها وأفرادها هي محور وجود الشاب وفضائه ومصدر المعرفة لديه. فمفهوم الترفيه و مفهوم شديد الخطورة. إذ إنه لا يتصل من بعيد أو قريب بالقضايا الجادة للعالم، وإنما هو مجرد ملء ساعة من الفراغ. ولا نستبعد أن هناك أيديولوجية مضمرة بالفعل في كل أنواع القصص الخيالية التي تبث للشباب. فعنصر الخيال يفوق في الأهمية العنصر الواقعي في تشكيل آراء الناس.

ولا ريب في ان منتجات الاعلام الحديث تسوق كما هائلا من المشتتات والمثبطات التي من شأنها عزل الشاب عن غاية وجوده في هذا الكون وتعيقه عن سعيه المطلوب لتزكية النفس وبناء الذات. فهناك ما هو أشبه بالـ "هروب الجماعي" في زماننا هذا من قيمة الجِد، وسعي مستمر للإفلات من مكابدة الاجتهاد في طريق العلم والعمل.

وقد نبه الإمام الامام الصادق عليه السلام على خطورة أن يفرط الشباب برأس ماله (العمر والوقت) في اللهو والفراغ وبين أهمية ان يكون جهد الشاب منصب في طلب العلم اللازم للعمل الصالح حيث

---

(١) باسكال بروكنر. بؤس الرفاهية: ديانة السوق وأعدائها. ترجمة د. السيد ولد أباه. مكتبة العبيكان، ٢٠٠٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

قال عليه السلام: (لست أحب أن أرى الشاب منكم إلا غاديا في حالين: إما عالما أو متعلما، فإن لم يفعل فرط، فإن فرط ضيع، فإن ضيع أثم، وإن أثم سكن النار والذي بعث محمدا بالحق)[1].

إن إدمان مشاهدة الافلام الخيالية والسرديات الغير واقعية تضع الشاب في موقع المشاهد لا الشاهد ؛ وبعبارة أخرى: المتفرج على الحياة من خارجها لا من داخلها وهذا حبسه عن الفعل والانفعال الواقعي في محيطه. وهذا التعلق والمتابعة المستمرة للسرديات الخيالية السمعية والبصرية تعطل الذهن عن التفكير والتركيز وتجعله آلة استهلاكية خاملة مسخرة لصالح المنظومات الرأسمالية الكبرى.

٣,٢,٤. جهل الشباب بأدوارهم الإستخلافية على الأرض

يفترض المذهب الوضعي في علم النفس والمدرسة التحليلية ان سن ال ١٨ هو سن تحمل المسؤولية من قبل الشباب والقيام بالوظائف الحياتية الرئيسية. وهذا أيضا ما قررته الرؤية الاسلامية قبل قرون متطاولة فيما يتعلق بالشباب ومرحلة تحمل المسؤوليات والقيام بالمهام الكبرى.

فالمستفاد من النصوص والاحاديث الشريفة يؤكد على ذلك أيضا، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (لا يَزالُ العَقلُ وَالحُمقُ يَتَغالَبانِ عَلَى الرَّجُلِ إلى ثَمانِيَ عَشرَةَ سَنَةً ، فَإذا بَلَغَها غَلَبَ عَلَيهِ أكثَرُهُما فيهِ)[2]، وفي رواية أخرى، أن الانسان يسير في مرحلة الرشد العقلي الى ٢٨ سنة، إذ قال عليه السلام: ومنتهى عقله ٢٨ سنة (أي مرحلة النضج العقلي) الا التجارب، فالرواية تستثني التجارب لأنها تمتد مع الانسان طوال حياته، وهذا متوافق مع ما يذكره علم النفس ان للانسان عقلين: عقل موضوعي ذاتي واخر تجريبي، فالعقل الذاتي يبدأ من سن ال ١٨–٢٨ عام، والتجريبي ينتهي بسن ال ٤٠ .

إذن فمرحلة الشباب هي مرحلة النضوج وتكامل الملكات العقلية للانسان، ويخبرنا الوحي أن الانسان جزء من كل مترابط بنحو الحقيقة الارتباطية ،أي أنه ليس كائنا يعيش بشكل مستقل لا يرتبط بما حوله، بل إنه في هذا الكون مسؤول وله وظائف ومهام عابرة لإطار وجوده الشخصي المحدود، ولذا يقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام "واعلموا أنكم مسؤولون حتى عن بقاع الأرض وحتى عن البهائم" وحقيقة هذا الدور الاستخلافي لا تقتصر على عمارة عالم الإمكان

(١) أمالي الطوسي:٣٠٣/٦٠٤

(٢) كنز الفوائد : ج ١ ص ٢٠٠

ISBN: 978-9922-21-412-2

فحسب، إنما هو مفهوم أعمق وأوسع، وبتعبير فلسفي عرفاني، كما أشار إليه الشيخ محمد السند في الإمامة الألهية (فإن الانسان هو المظهر الجامع للأسماء الحسنى التي تتجلى في أفعاله ودرجات وجوده بخلاف بقية الكائنات)[1]. وعليه، فمن غير الممكن أن يكون المخلوق بهذه الامكانيات الالهية أن يُخلق عبثا ولهوا، بل لا بد أن يكون لأجل شى ء أعلى وهدف أسمى ينسجم مع هذه المنزلة الاصطفائية العظيمة كمثل هداية الناس والقيام بالمسؤوليات الرسالية المختلفة وإقامة حكم الله وشريعته ونصرة دينه. فكيف لشبابنا الغارق في وحل المادية والعبثية والذي يصرف جل وقته في الافلام والاحداث الخيالية تصور هذه المفاهيم الكبرى المتعلقة بغاية وجودهم وسيرهم التكاملي في هذه النشأة فضلا عن العمل بها وأداء حقها؟!

٤,٢,٤. أنت حر مالم تضر!

عندما سئل الطلبة المشاركون في الاستبيان عن سبب ارتباطهم العميق بسرديات الانمي وحلولها هذا المركز الكبير في حياتهم وتفضيلاتهم رغم اشتمالها على الكثير من الانحرافات الفكرية والسلوكية كانت اجابة عدد منهم إنها مسألة "ذوق واستحسان". وبما انها مسألة ذوق، فلا يحق لأحد تقييم أذواق الناس واختياراتهم الشخصية. وهكذا الامر بالنسبة لأختياراتهم بخصوص المظهر الخارجي والحريات والتوجهات الجنسية وغيرها، فما يعدّه العرف والشارع المقدس انحطاط وابتذال وفراغ قيمي، يراه بعض الشباب المعاصر وفق مبدأ "الذوق" حرية و ابداعا وخصوصية وفنا. وهذا المبدأ في حقيقته قائم على ركيزتين: الفهم المغلوط لقاعدة لا ضرر، ونسبوية الخير والشر.

فالليبرالي قائم على فكرة أن لكل فرد الحق في فعل ما يشاء طالما أنه لا يسبب الضرر والأذى لغيره (بالمفهوم المادي) وهذا هو معيار قبول الافعال او عدم قبولها لديه. وهذه الرؤية المادية الضيقة تشكل تصادما كبيرا مع الرؤية الاسلامية التي تجعل من المصلحة العامة للافراد والمجتمع والامة الى جانب مصلحة الفرد المادية والغيبية المدار في تحديد معنى الضرر ومآلاته وحدوده. والانسان، كما تقرر العلوم الاجتماعية، كائن اجتماعي لا يستطيع العيش بمعزل عن محيطه ومجتمعه وهو بالتالي فاعل ومنفعل معه وانه يمتلك بالفطرة ميولا غريزية لتقليد الاخرين والتأثر بهم. بل ويخبرنا علم الاعصاب ان هناك خلايا دماغية مرآتية تنشط عند مشاهدتها اي

(١) الشيخ محمد السند البحراني. الإمامة الإلهية، ج ١، مركز الابحاث العقائدية، ٢٠١٣. ص٣٣٥

ISBN: 978-9922-21-412-2

فعل لكائن اخر وكأنها هي من يقوم بهذا الفعل، وهذه الخلايا تحديدا تلعب دورا اساسيا في قضايا التعليم والتقليد وسائر العلاقات الاجتماعية والثقافية المتنوع [١].

إذن فكل فعل يمارسه الانسان لا يمكن اعتباره فعلا محايدا لا يلحق الضرر بالاخرين مادام فعله يحفز الاخرين ويجعلهم متفاعلين معه ومتأثرين به، وهذا ما يفسر جنوح هذا العدد الكبير من الشباب الى التأثر بأفلام الانمي ووضع صور شخصيات الانمي كهوية تعريفية لهم في مواقع السوشيال ميديا المختلفة والإهتمام بالفنون والأحداث المرتبطة بهم. فقد صرح عدد كبير من المشتركين في الاستبانة انهم دخلوا عالم الانمي عن طريق مشاهدة صور شخصيات الانمي في صفحات اصدقائهم ومعرفاتهم الشخصية واستخدامهم لرموز واشارات تتعلق بعالم الانمي، ثم بدأ الشباب بالتأثر بالأنماط المعروضة من صور وموضات فبدؤا بتغيير تسريحات شعرهم بالشكل الموافق لما يفعله أبطال الأنمي، وكذلك الحال بالنسبة للفتيات فيما يتعلق بتأثرهن بموضة ثيابهن وتصفيفة شعرهن وممارساتهن المختلفة. هذا السلوك لا يقتصر أثره على الفرد لوحده ولا يمكن النظر اليه على أنه مجرد خيار شخصي لا أثر له على الأخرين. بل أن آثاره تمتد الى النسيج المجتمعي والمنظومة القيمية الاخلاقية والثقافية الاسلامية برمتها فضلا عن أثرها في مسخ هوية الشباب المسلم وتشويهها.

٥,٢,٤. شبابنا في قبضة "الصيرورة"

من الأمور التي تستند اليها العلمانية المعاصرة في سعيها لضرب هويات الاخرين هي فكرة توحيد النموذج. فشبابنا– في الواقع– أسرى لشبكة المعلومات ووسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي المتنوعة. وغاية هذه الشبكات، الى جانب الهيمنة الرأسمالية والاقتصادية، هو توجيه سلوكنا وبالتالي ثقافتنا وهوياتنا الفكرية والحضارية. ومع مرور الزمن يبدو لنا الحال كما لو انه تشكيل لهوية جديدة لم تكن موجودة قبل ذلك. والهوية في جوهرها "تأريخ" وأي تاريخ لا يكون كذلك دون تفاعل مع الزمن وأفراده ومجرياته، وهذا التفاعل هو الذي يفرز لنا هذا التغيير الذي هو الصيرورة[٢]، هذا التغيير بطبيعته يعمل على ايجاد عادات ومفاهيم جديدة لتحل محل المفاهيم والعادات والثقافات الماضية. وهذا ما يعرف بمسخ الهوية.

---

(١) Gallese, V., Fadiga, L., Fogassi, L., and Rizzolatti, G. 1996. Action recognition in the premotor cortex. Brain 119:593–609. doi: 10.1093/brain/119.2.593

(٢) أحمد فؤاد سليم. الهوية والعولمة وتسليع الفن، مجلة العصور الجديدة، إصدار (١) العدد (٢). ١٩٩٩

فنحن في الواقع نعيش حالة صدام أو "صراع للحضارات" كما أطلق عليه صمويل هنتنجتون (١٩٩٨)[١]. والحضارات المتصارعة هي الاسلامية والاميركية واليهودية واليابانية والكونفوشية والهندية بشكل رئيس، وهو صراع ثقافي بالدرجة الاولى وادواته ثقافية فكرية، وقد كان للعولمة اليد الطولى في التعدي على الهويات والخصوصيات تحت ذريعة الديمقراطية والحرية والثقافة والتطور والتنوع والانسانوية المزعومة وغيرها. فلم تعد الهوية الاسلامية تحت تأثير العولمة واضحة المعاني راسخة اليقين والوجهة. ولم تعد اللغة العربية والثقافة العربية فضلا عن الثقافة الاسلامية تمتلك نصيبا ولو ضئيلا في ثقافة الجيل المعاصر الذي بدأ ينظر الى كل ما دون الثقافة الغربية ومتعلقاتها نظرة ازدراء وتحقير، فاللغة التي هي جزء أصيل في جوهر الهوية الثقافية للانسان تبدلت وتغيرت وتهجنت وأصبح معيار الثقافة والرقي لدى شبابانا العربي المسلم هو مدى تمكنك من اللغات الاجنبية ولهجاتها.

ولعل سائل يسأل: أين المشكلة في أن يتحدث شبابنا اللغات الاجنبية ويتداولوها؟ في الحقيقة، لا تكمن مشكلة اللغة بصورتها الظاهرية التي تتشكل من حروف وأصوات وكلمات، إنما بما تنطوي عليه من ثقافات ومفاهيم وما تستتبعه من سلوك وممارسات وثقافات وما تفرضه من قطيعة مع تراثنا التاريخي والفكري والثقافي كعرب ومسلمين. فاللغة وعاء للفكر بل هي كما يصفها أحمد سليم ب "درع الهوية الواقي"[٢] ، فحين نتحدث لغة قوم ما فنحن نتداول افكار وثقافات ومفاهيم ذلك البلد وتلك الحضارة وأولئك القوم. وقد أشار عدد كبير من المشتركين في الاستبانة الى رغبتهم الجادة في تعلم اللغة اليابانية والكورية وتداولها فيما بينهم، وتشجيع المهرجانات والفعاليات الفنية والثقافية التي تعرف الشباب بحضارة اليابان وثقافتهم.وهذه واحدة من صور الهيمنة الثقافية الغربية التي حققته أفلام الأنمي والذي يهدف في جوهره الى خلخلة بنى ثقافة وهوية الامة المغلوبة والحاقها وظيفيا وبنيويا بحركتها المعبرة عن مآلاتها الايديولوجية، واللغة أولى أدواته [٣].

الخاتمة والتوصيات

عالجت الدراسة ظاهرة متابعة افلام الانمي من قبل شريحة كبيرة من الشباب الجامعي وانعكاس ذلك على غياب الهوية الدينية الاسلامية وغياب المرجعيات السلوكية الأصيلة لدى الشباب.

---

(١) صدام الحضارات. صمويل هنتنجتون، ترجمة طلعة الشايب. ١٩٩٨.

(٢) أحمد فؤاد سليم. الهوية والعولمة وتسليع الفن، مجلة العصور الجديدة، إصدار(١) العدد (٢): ١٩٧

(٣) ابراهيم محمود. ملاحظات حول مفهوم الغزو الثقافي عربيا. مجلة الآداب ١٠(العدد١-٢)

ISBN: 978-9922-21-412-2

والانمي ما هو الا نموذج واحد فقط من أدوات القوى الناعمة التي تسللت الى مجتمعاتنا وأفرادنا في الآونة الاخيرة. والتفكر في الواقع الثقافي السائد في المجتمع العراقي على وجه الخصوص والعربي عموما يستتبع دون ريب القول اننا نشهد اليوم منعطفا حضاريا كبيرا وان ابناءنا انخرطوا في سياق يشكل بالنظر الى جذوره وانتشاره الكوني انقلابا هائلا في القيم والمفاهيم والمرجعيات العليا بسبب البعد عن المنظومة القيمية والتربوية الاصيلة لدين الإسلام.

وهذا ما يفرض على من يقفون على ثغور المسؤولية والاصلاح من اسرة ومعلمين ومربين ومبلغين وغيرهم ضرورة تحصيل الفهم الشامل العميق لما يجري في المجتمع وما يشغل عوالم واذهان شريحة الشباب؛ لأن الوعي بحقائق الواقع الاجتماعي يعد الخطوة الاولى في سبيل الاصلاح والحفاظ على هويتنا الاسلامية وانتمائاتنا الفكرية الاصيلة. وعليه، فقد أضحت الحاجة ملحة بشأن ضرورة العمل على الخروج من إطار تغييب الحقائق الكبرى للإسلام الى تعريف الشباب الذين هم عماد الأمة وركنها الأهم بعظم الأدوار الرسالية والاستخلافية التي أوكلت إليهم للخروج من أفق الفردانية المظلم الى رحاب الرسالية التي هي جوهر الوجود الانساني.

فانشغال شبابنا بتوافه الامور دليل على جهلهم بمعنى وجودهم وأدوارهم العظيمة التي ينبغي النهوض بها. وهذا الأمر يتطلب جهودا على المستويات التالية:

١.الإعداد الفردي للشاب على مستوى بناء عقيدته، وصناعة همته، وتعريفه بأسس الاسلام وقضاياه الكبرى ورسالته العالمية العظمى وبأدواره الإستخلافية المرتبطة بعمارة الأرض وهداية الخلق، والإعداد والاستعداد الى إقامة دولة الحق المرتقبة.

٢. التركيز على إقامة الندوات والورش الثقافية والحلقات النقاشية داخل المؤسسات التعليمية من مدارس ومعاهد وجامعات للتعريف بالقيم الاخلاقية والدينية والانسانية العظيمة التي جاء بها الوحي لهداية الانسان. فإن معظم الجيل الحالي ينظرون الى الدين عموما والى الاسلام خصوصا على انه سبب التخلف في العالم العربي والاسلامي، والحل الوحيد للخروج من حالة التخلف هذه هو بالتخلص من الدين وقضاياه!

٣. الوعي الثقافي الشامل للقضايا المحيطة بشبابنا اليوم من قبل النخب من المثقفين والمبلغين والاساتذة والمربين من أجل ردم الهوة بينهم وبين الأفراد والدخول الى عوالمهم والتعرف على المفاهيم والرموز التي يستوردونها من الغرب والتحري عن جذور الافكار التي يتبنونها والجهات التي ينجذبون اليها لغرض توعيتهم وتنبيههم وبيان مآلات هذه الافكار والتوجهات.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٤.تقديم النماذج الثقافية الاسلامية الأصيلة التي تعكس روح الاسلام وقيمه التربوية العليا كبدائل ثقافية تعمل على اعادة تجذير الشاب المسلم في تربته، وذلك من خلال صناعة السرديات الفنية الهادفة ذات المحتوى القيمي الرسالي الصحيح وعدم ترك الساحة مفتوحة للثقافات الغربية والمخالفة في فلسفاتها وعقائدها لثقافة الاسلام وحضارته. والعمل على رفد المؤسسات الثقافية الدينية ودعمها للعمل على طرح منتوجات ثقافية تجذب المراهقين والشباب الى الموضوعات القيمية التي تؤصل لخصوصيتهم الوجودية الاسلامية الاصيلة وتعمل على إعادة التوازنات المطلوبة.

المصادر والمراجع

١. Government Office for Science (2013). Future Identities: Changing identities in the UK: The next 10 years.

٢. أرثر أسا بيرغر. وسائل الإعلام والمجتمع: وجهة نظر نقدية. ترجمة: صالح خليل أبو إصبع. سلسلة عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت، العدد ٣٨٦، ٢٠١٢.

٣. علي القيم. الغزو الثقافي والحضاري. مجلة المعرفة، إصدار (١)و العدد ٦٠٦، ٢٠١٤.

٤. أحمد محمد قدور. الهوية الثقافية والغزو الثقافي. مجلة المعرفة. إصدار (١)، العدد ٤١٧، ١٩٩٨.

٥. سي أن أن: صناعة الأنمي.. قوى اليابان الناعمة التي تجلب لها المليارات – ساسة بوست – نشر بتاريخ ٢٠١٩/٨/٢٤ على الرابط
https://www.sasapost.com/translation/japan-anime-global-identity-/hnk-intl

٦. الأنمي وأنواعه. تعرّف على عالم الرسوم المتحركة اليابانيّة – الجزيرة – نشر بتاريخ ٢٠١٨/٩/٢٦ على الرابط
/https://www.aljazeera.net/midan/art/criticism/2018/9/26

٧. Ramasubramanian, S. (2012). Japanese Anime Heroines as Role Models for U.S. Youth: Wishful Identification, Para-social Interaction, and Intercultural Entertainment Effects. Journal of International and Intercultural Communication

(https://www.researchgate.net/journal/Journal-of-International-and-Intercultural-Communication-1751-3057) 5(3):189-207
DOI:10.1080/17513057.2012.679291.(http://dx.doi.org/10.1080/1751-3057.

٨. حيدر محمد الكعبي. الأنمي وأثره في الجيل العربي. المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية/ العتبة العباسية المقدسة. ٢٠٢٢

٩. عبد الله الوهيبي. معنى الحياة في العالم الحديث. مركز تكوين. ٢٠٢١

١٠. ولتر ستيس. الدين والعقل الحديث. ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام. القاهرة: مكتبة مدبولي. ١٩٩٨.

١١. باسكال بروكنر. بؤس الرفاهية: ديانة السوق وأعدائها. ترجمة د. السيد ولد أباه. مكتبة العبيكان، ٢٠٠٦.

١٢.الشيخ محمد السند البحراني. الإمامة الإلهية، ج ١، مركز الابحاث العقائدية، ٢٠١٣. ص٣٣٥

١٣. Gallese, V., Fadiga, L., Fogassi, L., and Rizzolatti, G. 1996. Action recognition in the premotor cortex. Brain 119:593–609. doi: 10.1093/brain/119.2.593

١٤. أحمد فؤاد سليم. الهوية والعولمة وتسليع الفن، مجلة العصور الجديدة، إصدار (١) العدد (٢). ١٩٩٩

١٥.صدام الحضارات. صمويل هنتنجتون، ترجمة طلعة الشايب. ١٩٩٨.

١٦. ابراهيم محمود. ملاحظات حول مفهوم الغزو الثقافي عربيا. مجلة الآداب ١٠(العدد١-٢)

العَلَاقَات العَامَّة ودورها في نشر الوعي والحفاظ على الهويَّة الإسْلاميَّة

الباحثة : آمنة هاشم صيهود / جَامِعَة بابل ، كلية الآداب/ قسم الإعلام
البريد الالكتروني : amnahashim1996@gmail.com
الباحثة : إستبرق قمر موسى الأسدي
البريد الالكتروني : astbrqmon1234@gmail.com

ملخص البحث

بيّن البحث دور العَلَاقَات العَامَّة في نشر الوعي الثقافي للحفاظ على الهويَّة الإسْلاميَّة ، إذ شهدت العَلَاقَات العَامَّة تطورًا هائلاً ودراماتيكيًا حيث زادت المؤسسات المعاصرة اهتمامها بممارسة وظيفة العَلَاقَات العَامَّة في السنوات الأخيرة حيث لم يعد من الممكن إخفاء هذه الوظيفة داخل الهيكل التنظيمي الإداري لأي مؤسسة. خَاصَّة المؤسسات الدّينيَّة ، إذ يعتمدون عليها لتحقيق أهدافهم . و تعد الهويَّة الإسْلاميَّة من أهم عوامل تعزيز وتطوير المواطنة مستندة على العَلَاقَات العَامَّة والتي تعد من أهم ركائز نمو وإثراء هذا القطاع.

إذ تلعب العَلَاقَات العَامَّة دورًا فاعلًا في إعداد الأفراد وتشكيلهم وذلك من خلال تعلم الآداب فضلاً عن توجيه السلوك الفردي والتحكم فيه ، إن التشابك والترابط بين الوعي الدّيني وحماية الهويَّة والتغيير الاجتماعي عزز مهام المؤسسات الاجتماعيَّة والدّينيَّة ، وتحدد العَلَاقَات العَامَّة مسؤولياتها في تزويد الأفراد بالوعي الدّيني وتعزيز مشاعرهم الدّينيَّة. إن من أهم الركائز التي تلعبها العَلَاقَات العَامَّة في وقتنا الحالي هو توظيف العوائد القوية للدين من خلال القنوات الإعلامية المنتشرة وما شابهها دورًا مهمًا في التأثير على الوعي الدّيني للفرد .

المبحث الأول : الإطار المنهجي

١ - مشكلة البحث :

مع استمرار تطور وسائل الإعلام وظهور التحولات السريعة التي أثرت على ثقافة المجتمعات، وارتباط هذه التغيرات الجذرية بالهويَّة الإسْلاميَّة، ومع تطور دور العَلَاقَات العَامَّة في نشر الوعي المجتمعي والوطني والدولي وفقاً لأهميَّة الأحداث المندرجة تحت إطار هذا العالم الذي يستطيع إخفاء فحوى أكثر الأمور أهميَّة وتطلعاتها، ظهر العديد من المتمكنين تقنياً وعلمياً متخصصين في هذا الشأن؛ لمواكبة هذا التطور الهائل وموائمته بعد الثورة التكنولوجية الكبيرة التي أعقبتها الحرب العالمية الثانية، وإيجاد أبرز الحلول للحفاظ على الهويَّة الإسْلاميَّة متماسكة ومؤثرة لدى أفراد المجتمع، والعَلَاقَات العَامَّة تساهم أيضاً بدورها في نشر الوعي وترسيخه في سلوك الأفراد

ISBN: 978-9922-21-412-2

متجلية ومندمجة مع أبرز الأمور أهميَّة وأكثرها صحة. لذلك فإن القول بأن خطر تفكك الهويَّة الإسْلاميَّة يسمح بالتغطية عن القيم المُهِمَّة ويبرز الشائعات، والعولمة الحديثة تعد كغطاء ساتر لهذا التفكك، يبدو غير كاف! وذلك لأن إدراك ماهية الخطر الذي يسببه فقدان الهويَّة الإسْلاميَّة حقيقة، أي ستر الرسائل المبطنة للأحداث، وإلهاء الأفراد بالحداثة ومواكبة التطور، يقتضي معرفة السبب الرئيسي وراء كل هذا، من خلال الإجابة على السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية:

يتمثل السؤال الرئيسي بـ: ماهو دور العَلَاقَات العَامَّة في الحفاظ على الهويَّة الإسْلاميَّة ونشر الوعي؟

وتتمثل الأسئلة الفرعية ب:

١- ما هي العَلَاقَات العَامَّة؟ وما هو دورها؟

٢-ما الدور الذي تؤديه الهويَّة الإسْلاميَّة في تصحيح السلوك المجتمعي؟

٣-ما مدى تمسك أفراد المجتمع الاسلامي في الهويَّة الدّينيَّة؟

٢. أهداف البحث:

يهدف هذا البحث لرصد وتحليل السلوك المجتمعي (السلبي والإيجابي) المترتب على تعامل المجتمع العراقي مع الهويَّة الإسْلاميَّة في ظل هذه العولمة المتطورة دائما. وأن هناك علاقة سيميائية بين العَلَاقَات العَامَّة وطريقتها لنشر الوعي السليم وترسيخه في سلوك الأفراد لغرض تكوين رؤى ثابتة ومستقرة وليست عابرة حول الهويَّة الإسْلاميَّة القوية. فالعَلَاقَات العَامَّة دائماً ما تلجأ لترتيب أولويات الأحداث بما يخدم التنافس أو الصراع سواء لتثبيت الفكر أو توجيه سلوك والتحكم بمعطيات المعلومة وتوجيهها بما يخدم القضية. فلذلك يجب:

١- أن يأخذ خطر تزحزح الفرد عن الهويَّة الإسْلاميَّة بعين الاعتبار وتوضيح مدى السلبيَّات التي يخلفها للعامة جراء الانطباعات التي تتركها الثقافة الغربية عن طريق السوشيال ميديا لدى الأفراد؛ بحيث يتم إطلاق برامج علاقات عامة مخططة ومدروسة للتوعية بخصوص هذا المجال سواء كانت واقعية، أم ألكترونية.

٢-جعل العَلَاقَات العَامَّة وبرامجها الفَعَّالة وسيلة دائمة لنشر ودعم كل ما يمت للهويَّة الإسْلاميَّة بصلة مع مراعاة خصوصيات العمل المهني أثناء التنفيذ.

٣-أهميَّة البحث:

ترجع أهميَّة هذا البحث في الدور القيادي البارز الذي تؤديه العَلَاقَات العَامَّة في نشر الوعي، حيث يشكل الوعي حجر الأساس في تحسين سلوكيَّات أفراد المجتمع كافة، وأيضا لا يخفى علينا

ISBN: 978-9922-21-412-2

أن نشر الوعي يؤدي دورا كبيرا ومهما في بناء الفرد وتكوينه المعرفي والوجداني والسلوكي من خلال عمل العَلَاقَات العَامَّة على زيادة رصيد الفرد من المعلومات والخبرات التي تنسج سلوكيَّاته وتصرفاته وآراءه، وهذا ما يؤدي بشكل دوري إلى تعزيز تمسك الفرد بهويته الإسْلاميَّة بعد كل الدراسات المستفيضة حول طريقة إيصال المعلومة للفرد وطريقة نشرها بحيث لا تخلق في نفسه النفور وتغيير الاتجاه سواء أكان دينيا أم ثقافيا أو الاثنين معا.

٤- حدود البحث:

-الحدود المكانية: أُجري هذا البحث في العراق-محافظة بابل-مركز المدينة.

-الحدود الزمانية: وذلك كل ما يخص محتوى العصر والتطور الفائق الحديث في عام ٢٠٢٣.

-الحدود الموضوعية: أن يتحقق البعد الموضوعي في عنوان بحثنا والمتمثل ب(العَلَاقَات العَامَّة ودورها في نشر الوعي والحفاظ على الهويَّة الإسْلاميَّة)

٥- نوع الدّراسة ومنهجها

دراسة وصفية استقرائية تحليلية قائمة على تحليل المعطيات الفكريَّة الواقعية في كتابة هذا البحث، وذلك بقراءة كل ما هو مرتبط بموضوع الهويَّة الإسْلاميَّة، وجمع المعلومات والحقائق، وصياغتها بأسلوب مبسط، مع التحليل الكامل واستخلاص العبر والمواعظ التي يستفاد منها الفرد بشكل كامل.

التعريف اللغوي والاصطلاحي لكل من:

(العَلَاقَات العَامَّة، الوعي الدّيني، الهويَّة الإسْلاميَّة)

العَلَاقَات العَامَّة/ لغةً:

العلاقة: هي اتصال أو تفاعل بين شخصين أو شيئين.

عامّة: هي اسم ومن الناس خلاف الخَاصَّة والجمع عَوامُّ

العَلَاقَات العَامَّة: هي التي تقوم بعمليّة الاتصال بين المنظمات والجمهور وتشرح وتفسر كلاً منهما للآخر.[1]

اصطلاحاً:

(١) د.عبد الحميد، احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٤٢٤هـ

ISBN: 978-9922-21-412-2

يعرفها إدوارد بيرنيز بأنها جملة من المعلومات المقدمة إلى الجمهور والإقناع المتجه إلى الجمهور لتغيير اتجاهاته وسلوكيَّاته، والجهود التي تعمل على دمج اتجاهات وسلوك مؤسسة ما مع جَمَاهِيرها.(١)

وقد عرفها الدكتور علي عجوة بأنها الجهود المخططة التي يقوم بها الفرد أو المُؤَسّسة أو الدولة لكسب ثقة الجمهور، وتحقيق التفاهم المتبادل من خلال الاتصالات المستمرة والسياسات والأفَعَّال المرغوبة لتلبية احتياجات الجمهور في إطار ما هو ممكن ومشروع.(٢)

الوعي الدّيني:

لغةً: هو كلمةٌ تدلُّ على ضمِّ شيء. وفي قواميس اللغة العربية وَعَيْتُ العِلْمَ أعِيهِ وَعْياً، ووعَى الشيء والحديث يَعِيه وَعْياً وأَوْعاه: حَفِظَه وفَهِمَه وقَبِلَه، فهو واعٍ، وفلان أَوْعَى من فلان أَي أَحْفَظُ وأَفْهَمُ.(٣)

اصطلاحاً: ويعرف إصطلاحاً بأنه إدراك الفرد لتعاليم الشريعة الإسْلاميَّة في الجوانب الحياتية المختلفة المعاملات بما يتناسب مع سنه وتزويده بالخبرات اللازمة بهدف التأثير على:

١-معلوماتهم واتجاهاتهم وسلوكيَّاتهم ايجابياً نحو الأفضل عن طريق المؤسسات التربوية المختلفة.

٢-يعبر عن كونه محصلة أفكار وقيم وممارسات البشر الدّينيَّة وهو بذلك يحدد آرائهم ومواقفهم وتفضيلاتهم ومن ثم تصرفاتهم في الحياة .(٤)

ويرتبط مفهوم الوعي الدّيني بمفهوم الوعي بشكل عام من ناحية وبمفهوم الدّين من ناحية أخرى.

الهويَّة الإسْلاميَّة:

لغةً: وردَت كلمة هويَّة في معاجم اللغة بمعنى: "بئر بعيدة المهواة"، وقيل: هي تصغير كلمة (هوة)، وهي: "كل وهدة عميقة"(٥)، وهي بهذا المعنى تتساوى مع مصطلح (هُوَ، هُوَ) الفلسفي،

---

(١) بيرنيز ادوارد، العلاقات العامة فن، ترجمة:وديع فلسطين وحسين خليفة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.

(٢) د.علي العجوة/الأسس العلمية للعلاقات العامة، علم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٧.

(٣) قلالة، نور الدين، ماهو الوعي، مقالة منشورة، موقع إسلام أونلاين نت.

(٤) سلامة، محمد سعيد محمد، تصور مقترح لتنمية الوعي الديني ببعض القضايا الإسلامية لدى معلمي المرحلة الإعدادية في ضوء بعض التحديات الحضارية المعاصرة، رسالة ماجستير، جامعة قناة السويس، ٢٠١٨.

(٥) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، المطابع الأميرية، ١٤٠٣- ١٩٨٣م، ص ٢٠٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

والذي يشير إلى ثبات الشيء بالرغم مما طرأ عليه من تغيرات، فالجوهر هُوَ هُوَ وإن تغيرت أعراضه [١]

اصطلاحاً: الهويَّة الإسْلاميَّة ونقصد بها: "الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والفخر في الانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافيَّة، وتسليط الضوء على الطقوس الإسْلاميَّة، والفخر والالتزام بها، والشعور بالتميز والاستقلال الفردي والجماعي، والقيام بحق الرسالة والرسالة والتبليغ بشأنها، والشهادة على أفراد المجتمع. "

المبحث الثاني: الإطار النظري

المحور الأول: العَلَاقَات العَامَّة دورها وتأثيرها.

تمهيد:

أصبحت العَلَاقَات العَامَّة مع التطور الهائل في مجال تكنولوجيا الاتصالات ضرورة لا غنى عنها استطاعت التأثير في سلوك الأفراد وسلوك الجماعة وسياسة الحكومة وصانعي القرارات والمشرعين فيها من الأفراد والجماعات والحكومات. ولها دور مهم في تكوين الرأي العام وتعديله لأنها تمتلك قُوَّة جبارة كالقُوَّة الحديثة في مجال الطاقة حيث أنها قادرة على جذب انتباه الناس وتعديل أفكارهم وتغير اتجاهاتهم من خلال وسائل الإعلام وأساليب لإقناع ولها دورها للوصول الى كافة جَمَاهِير المُؤَسّسة، وتلقى المعلومات منهم وتقدم النصح والمشورة للإدَارَة العليا من خلال ما توصل إليه من نتائج وكانت تسعى للتقليل من حدة صراع المصالح عن طريق خلق مناطق اهتمام مشتركة[٢] في تأدية دور مهم في التأثير على الجَمَاهِير من خلال القدرة على معاملة الناس وإقناعهم بلباقة اللفظ والعبارة وقُوَّة الشخصية وأما من جانب آخر توثر بالأشخاص عن طريق الكتابة الجيدة والتعبير الواضح الدقيق والمنظم والكلام الفعلي والتفكير المنطقي المنظم . وأن لها دوراً في تكوين علاقات اجتماعيَّة بالرؤساء والقادة والمسؤولين؛ لأنها وظيفة الإدَارَة المستمرة والمخططة التي تسعى بها المنظمات العَامَّة والخَاصَّة لكسب تفاهم وتعاطف وتأييد الجَمَاهِير[٣] وكانت تواكب التطور وتستخدم نظام تنبؤي يساعد في التعرف على الاتجاهات وتوقعاتها .

---

(١) لسان العرب لابن منظور، دار ناشر، لبنان، بيروت، ص ٢٠٧.

(٢) محمد بهجت كشك،العلاقات العامة والخدمة الاجتماعية المكتب الجامعي الحديث،١٩٩٠ص٢٢.

(٣) أبو النيل ،محمود السيد ، التقرير الإداري،كتب معالجة أثر الأزمات ،علم الاداره.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وتستخدم بحوث الاتصال وأساليب وفنون وأسس أخلاقية لتحقيق المهام الأساسيَّة وهنا عدت العَلَاقَات العَامَّة دعامة رئيسية من دعائم المؤسسات في المجتمع، ويؤكد الخبراء أنها الدعامة الرابعة بالإضافة إلى الإنتاج والاتصالات والتوزيع والتمويل، فليست إدَارَة العَلَاقَات العَامَّة ترفا أو دعاية إنما هي جزء لا يتجزأ من نشاط المُؤَسّسة تسعى للحصول على ثقة الجمهور وكسب الرأي العام .

فقد وجدت تعريفات متعددة للعلاقات العَامَّة عرفها الدكتور علي عجوة "هي الجهود المخططة التي يقوم بها الفرد أو المُؤَسّسة أو الدولة لكسب ثقة الجمهور وتحقيق التفاهم المتبادل من خلال الاتصالات المستمرة والأفعَّال المرغوبة لتلبية احتياجات الجمهور بما هو ممكن ومشروع [١] .

مفهوم العَلَاقَات العَامَّة: ظهر مفهوم العَلَاقَات العَامَّة في نهاية القرن التاسع عشر، وشاع استخدامه في منتصف القرن العشرين، وعلى الرغم من شيوعه في أوساط الأعمال لأنه كان يستخدم لوصف مجموعة متنوعة وواسعة النشاطات.

وتعد العَلَاقَات بمفهومها الحديث وظيفة إداريَّة متميزة تساعد في تعزيز الخطوط المتبادلة للاتصال والفهم والقبول والتعاون بين المُؤَسّسة والجمهور. أي إنها تساهم في حل المشكلات، وإدَارَة الصراع والتواصل مع الجمهور. ويستخدم مفهوم العَلَاقَات العَامَّة بثلاث معاني:

١-العَلَاقَات مع أولئك الذين يمثلون جمهور المُؤَسّسة

٢-السبل والطرق المستخدمة لتحسين تلك العَلَاقَات

٣-طبيعة المكانة التي تحتلها تلك العَلَاقَات العَامَّة وأن مفهوم العَلَاقَات العَامَّة مفهوم فضفاض وواسع جدا. لم يستقر ولم يثبت على تعريف واحد ما ينتج عن هذا الأمر بعض الإيجابيّات وبعض السلبيَّات ومن إيجابيّات باب الاجتهاد والابتكار والتطور مفتوح. أما السلبيَّات من وجهة نظر الباحث استمرار وجود الغموض بالنسبة لطبيعة هذه المهنة وأهدافها وقواعدها وأساليبها والصورة السلبية ناتجة عن خلط الكثير من الكتاب بين العَلَاقَات العَامَّة، وقد تعددت تعريفات العَلَاقَات العَامَّة، وعرفها إدوارد بيرنيز [٢] هو أحد خبراء في مجال العَلَاقَات العَامَّة بأنها عملية

---

(١)زياد رمضان "واقع العلاقات العامة في مؤسسات الجهاز المصرفي الأردني .المجلد السادس عشر "العدد الثالث "الكويت ١٩٨٨ص٢٠٠.

(٢) إدوارد بيرنيز ،العلاقات العامة فن ،ط٢ترجمه وديع فلسطين حسن خليفة القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٧،ص١٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

التوصل بالمعلومات والإقناع والتكيف لكسب التأييد العام. كما عرف إبراهيم إمام [1] العَلَاقَات العَامَّة فن التعامل مع الناس والفوز بثقتهم ومحبتهم وتأييدهم.

دور العَلَاقَات العَامَّة:

العَلَاقَات العَامَّة وظيفة إداريَّة ونشاط تمارسه كل منظمة تقوم بدور فَعَّال في تدعيم المصالح الأساسيَّة للمجتمع المحلي من خلال ممارستها المهنية في خدمة المصالح المشتركة بين المنظمة وجَمَاهِيرها.[2]

ومن خلال الممارسة العلمية وجدت أهميَّة الدور الذي تقدمه هو دور منظم يعمل للوصول إلى الأهداف المطلوبة في المُؤَسّسة وكذلك يستهدف الفئة المرغوبة من الجمهور والتي يجب التعامل معها من أجل بلوغ الغاية المرجوة لتحقيق متطلباتهم ومن خلال إتمام دور العَلَاقَات العَامَّة باحترافية تتمكن المُؤَسّسة من بناء علاقات قوية مع الجمهور صعب التأثير عليه سلبا وهنا تظهر المُؤَسّسة بصورة أكثر حياة للعملاء المستهدفين بحيث يسهل رؤيتها، والتعامل معها وبناء علاقة وطيدة تتمكن المُؤَسّسة من القيام بدورها وتسعى العَلَاقَات العَامَّة لكسب الجمهور حيث يتصف برنامج العَلَاقَات العَامَّة بالديمومة والاستمرارية وخلق جو من التفاهم والثقة مع الجمهور الداخلي والخارجي[3].

إن العَلَاقَات العَامَّة تقوم بدور هام وفَعَّال في تغيير العادات السيئة وغير المناسبة وتسعى من خلال زيادة الوعي عن طريق الندوات و المحاضرات والأفلام الوثائقية والدعوة إلى ترشيد الأنماط السلوكية غير الصحيحة التي تظهر أحيانا في الأفراح والمآتم والمناسبات الدّينيَّة والتأكيد على القيم الروحية الصحيحة والقضاء على العادات غير المناسبة.

إن تأثير العَلَاقَات العَامَّة على الفرد من خلال توعية وإرشاد العاملين في الدولة بالحرص على المصلحة العَامَّة من خلال التعامل مع الجَمَاهِير، أو من خلال التأثير بالقرارات والإجراءات التي يتم اتخاذها وتنفيذها . والتأثير المهم على توعية العاملين بالحرص والالتزام الشديد على إقامة

---

(١) إبراهيم أمام ،العلاقات العامة،ط٢ القاهرة،مكتبة الانجلو المصرية ،١٩٦٨- ص٩-١٠

(٢)عبد الباري إبراهيم درة ،إدارة العلاقات العامة والبروتوكولات، عمان ،دار وائل للنشر والتوزيع ط٢٠١٠ص٣١

(٣) سالم بركات ،دور العلاقات العامة في تفعيل ثقافة المنظمة رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الجزائر -كلية العلوم الاقتصادية والتجارية ٢٠١١-٢٠١٢ص٥-٦

علاقات طيبة وودية ومتواصلة مع الجَمَاهِير التي تتعامل معها، وأن رجل علاقات العَامَّة بمثابة ممثل عن الحكومة وبصفته يجب أن يحرص على أن يكون خير ممثل متمكن وقادر على توثيق الروابط وتعزيز الثّقة ويسعى على التأثير والتعاون بين المُؤَسّسة وجَمَاهِيرها وأداء واجباته بكل كفاءة وأمانة حتى تصبح العلاقة طيبة بين الطرفين وعلاقة دائمة على المدى البعيد .

أولاً : دور العَلَاقَات العَامَّة في نشر الوعي والحفاظ على القيم.

هناك دور أساسي للعلاقات العَامَّة والإعلام، حيث تقوم وسائل الإعلام بنشر الوعي بين أفراد المجتمع وشهدت تلك الوسائل تطوراً في العصر الحالي مما زاد من أهميتها ودورها في حياة المجتمعات، وأصبحت هذه الوسائل ذات قدرة في السيطرة على الأفراد والتأثير بهم. وخَاصَّة في بعض القضايا المُهِمَّة وخلق رأي عام حولها. وتهدف العَلَاقَات العَامَّة إلى تنمية الوعي لدى الجمهور والمسؤولين وتوجيه سلوكيَّاتهم وأنشطتهم للوصول إلى حالة من الوعي الكامل بالقضايا العَامَّة. وهذا ما يؤدي إلى تغير نمط المجتمع وسلوكيَّاتهُ الضارة.

وهناك فئات من المجتمع غير متعلمة تكون من أشد الفئات حاجة إلى التوعية. وتشير الدراسات من انتشار أجهزة الاستقبال الإذاعي في العالم، وهذا الانتشار يزيد من أهميَّة الوسائل المسموعة في نشر الوعي والمحافظة على القيم.

أثبتت الدّراسة أن العَلَاقَات العَامَّة نجحت في خلق عمليات اتصال فَعَّالة ساهمت في ترسيخ مفهوم نشر الوعي ورفع مستويات المعرفة والاتجاهات والممارسات المخصصة من قبل إدَارَة العَلَاقَات العَامَّة، وفهم كيف يتناسب الشخص بشكل مباشر مع المجتمع والعالم، وكيف نحصل على ما نحتاجه من العالم. على المدى الطويل ، بالإضافة إلى تعزيز المعلومات مع الآخرين ، والتواصل والتعاون ، ستساعدنا العَلَاقَات العَامَّة على فهم مهارات الوعي الاجتماعي ويساعد هذا في تنمية روح المهنية في العمل لدى العاملين. فمن وجهة نظري الشخصية ، يعد الوعي الاجتماعي جزءاً مهمًا في تطوير وإقامة علاقات صداقة وعلاقات شخصية، والتي يمكن أن تساعد على عيش حياة سعيدة ومرضية. على الرغم من أن الوعي الاجتماعي لا يزال يتطور خلال عام سنوات تعلم الأطفال، إلا أنه أحد المهارات المُهِمَّة التي يجب على الأطفال تعزيزها. هذا ليس فقط بسبب تأثير الحياة، ولكنه يساعدهم أيضًا على الحصول على أقصى فوائد من التعليم. في المدارس التي تحافظ على القيمة في المدارس، يمكن للأطفال ذوي الوعي الاجتماعي القوي أن يتكيفوا مع المجتمعات المتغيرة، مع مراعاة شعور الآخرين، وسوف يشاركون في سلوك أقل تدميراً، ومن هنا سوف نفهم كيف تنتشر العَلَاقَات العَامَّة في مجتمعنا:

ISBN: 978-9922-21-412-2

– من خلال تنظيم حملة لوسائل التواصل الاجتماعي لإشراك صناع القرار في المجتمع وزيادة الضغط.

–تطقس المجتمع وأخبر الناس في بيئتك الخَاصَّة عن مشكلة تجدها مُهِمَّة.

– رتب مناقشة حول موضوع محدد في المدرسة والمجتمع والمستشفى ومركز الشباب.

–نظم مسيرة أو مظاهرة سلمية من خلالها يتم نشر الوعي والمحافظة على القيم .

– توزيع الكتيبات والنشرات الثرية بالمعلومات العَامَّة على الأفراد.

– قم بعمل فَعَّاليات مختلفة كعرض تمثيلي أو عزف موسيقى وغناء أغنية أو رسم لوحة فنية حول موضوع ما.

ثانياً: تأثير العَلَاقَات العَامَّة على سلوك الجمهور.

كان في السابق يعتقد أن بروز تأثير وسائل الاعلام والعَلَاقَات العَامَّة يكون واقعا في المجتمعات التي تتمتع بحريَّة التعبير التي تعني الحق في نقل الأفكار والآراء والمعلومات بدون أي قيود بهدف تشجيع نقل الأفكار التي تتيح سهولة ودقة اتخاذ القرارات المناسبة حول الشؤون العَامَّة ومصلحة المجتمع. لكن هذه الحريَّة لا تكون مصطفة، إذ تتغير بأخلاقيات مهنة الإعلام التي تحكمها أسس أخلاقية عامّة كالصدق والشرف والنزاهة وغيرها من الأخلاقيّات التي يكون الهدف منها تحسين أداء العمل في العَلَاقَات العَامَّة والتحكم بوسائل الإعلام لخدمة مصالح المجتمع وقضاياه الأساسيَّة. حيث أن في الإعلام وخَاصَّة العَلَاقَات العَامَّة مسؤولة تهتم بإبراز سياسة العمق والبناء والجدية وتبادل المعلومات المُهِمَّة والمجدية ونشر المعلومات الصحيحة والانسجام الاجتماعي وخلق صورة ذهنية ثابتة لدى الجمهور، كونها تعتمد في نشاطاتها الواسعة على ثلاث فَعَّاليات رئيسية وهي (الإعلام – الاستعلام – التنسيق)، وهذا وحده كفيل بإبراز ما نود إيصاله للمجتمع. فدائما ما تلجأ العَلَاقَات العَامَّة إلى استخدام البحث العلمي والاتصال والتقويم كوظائف أساسيَّة لها من أجل خلق التأثير وقياس التأثر وذلك عن طريق العمل المهم والمدروس من أجل الوصول للغاية المنشودة.

ويمكن تمييز القيمة عن الدوافع أو الاتجاه أو غير ذلك من المفهومات الدالة على السلوك الإنساني من خلال أن القيمة مفهوم ينطوي على تلك المفاهيم جميعاً ويزيد عليها بالعنصر أو الشرط المعيار[1].

(١) عبدالباسط محمد حسن ،علم الاجتماع الصناعي،مكتبة غريب القاهرة، ١٩٨٢ص١٤٢

ISBN: 978-9922-21-412-2

المحور الثاني: فاعلية العَلَاقَات العَامَّة في ترسيخ الهويَّة الإسْلاميَّة والقيم الوطنية لدى الجمهور.

أولاً: فاعلية العَلَاقَات العَامَّة في ترسيخ الهويَّة الإسْلاميَّة.

إن العَلَاقَات العَامَّة مثل الخزّان الكبير، تشترك فيها مئات، بل آلاف الجزيئات الكلامية والمواضيع المختلفة، فهي تُعَد من الشبكات العملاقة التي يَسقُط تحت ظلها العديد من المشكلات والتطورات والاختراعات، وحتى أفكار العَامَّة، وأعدها شخصياً من الفلسفات الضمنية الموغلة في التقدم والتطور وترسيخ المفاهيم، ولذا أن النظام المعرفي الذي نود زرعه ونتمنى أن يُثمر دائماً؛ أن يكون من الأشياء التي يُرائى بها للحضور ولا يتواجد ويُعلن عن نفسه ولا يتجسد، كوننا نعلم إن في وقتنا الحاضر كل شيء معرفي وعلمي وثقافي إذا أردنا ترسيخه يجب أن يكون ضمنياً وغير ظاهرياً، فكل شيء ظاهري نجده يفشل وتتم معارضته ويصبح لدى كل شخص فلسفة خَاصَّة بشأنه أما إذا كان ضمنياً فسيحقق ما يعجز الظاهري على تحقيقه، على أن لا يكمن جوهر الهويَّة والترسيخ في إنه الشيء الوحيد الذي يجب الالتزام به والانضباط بشأنه، بل بشرح إيجابيّاته دائماً سواء أكان ذلك لكل فرد إم مجتمعات مختلفة. وليس من شك في أن للعلاقات العَامَّة تاريخاً أو ما يشبه التاريخ الذي يحسن بنا أن نناقشه ولو بإيجاز؛ كوننا نرى بها توسيعاً و إستفاضة في كل محور تدخل ضمنه العَلَاقَات العَامَّة لاسيما إن كانت الهويَّة الإسْلاميَّة. فالفكرة الأساسيَّة تكمن في أن الهويَّة الإسْلاميَّة تمر بثلاثة آراء يتقبلهم أفراد المجتمع كلاً حسب استجابتهِ وميلانه، فالرأي الأول هو القائد ويدخل ضمنه صفوة المجتمع (المفكرين والمؤثرين ومن على شاكلتهم)، والثاني هو المستنير ويدخل ضمنه (المثقفين والمتعلمين ومن يسيرون على هذا الطريق)، أما الثالث فهو المنقاد (يتقبل كل ما يُقال له بحيث يصبح متزمت في عقيدته). فكل رأي من هذه الآراء يولد أنظمته الفكريَّة الخَاصَّة به. في الرأي القائد تبتعث الحقيقة الفعلية للهويَّة ويمكن أن تسمى باكتساب الحكمة الدّينيَّة التي تُمليها العَلَاقَات العَامَّة. ويعطي الرأي المستنير نموذجاً مرحباً به يسود فيه الفكر والتقبل وحُكم الهويَّة الإسْلاميَّة.

ومع الرأي المنقاد، ينخفض نوعاً ما إلى مصافِّ الانقياد، ويقرر أنظمته الفكريَّة الخَاصَّة والأحكام المستدامة بما فيها صعوبة التقبُل وتفسير وجهات النظر واختلاف الأزمان. أن لكل مجتمع مبادئ وقيم وأركان وأخلاق ثابتة تقوم عليها الهويَّة الإسْلاميَّة وكذلك مقدماتها الدّينيَّة، فتصبح على الفرد في هذا المجتمع مسؤولية كبيرة أمام الله ، ثم أمام التاريخ والأمة كلها، ثم أمام أنفسهم، أفكارهم وقراراتهم. لا شك أن الهويَّة الإسْلاميَّة مرتبطة بأهميَّة القيم والمبادئ العظيمة التي يقوم عليها كيان المجتمع العربي والإسلامي، وأن الحضارة الضخمة التي يتحدث عنها

ISBN: 978-9922-21-412-2

العالم كله هي لهذه الأمة الإسْلاميَّة. وفيه يعود الفضل – بعد الله عز وجل – إلى التمسك بهذا الإيمان وهذه الهويَّة الصحيحة. في ضوء كل هذا يظهر لنا دور العَلَاقَات العَامَّة ورجل العَلَاقَات بوضوح في بناء مجتمعنا العربي الإسلامي وحضارته العريقة وأهميَّة هويته الإسْلاميَّة في ترسيخ القيم والمبادئ والمثل والأهداف السامية في القلوب. من أفراد المجتمع، وبالتالي يمكننا الحفاظ على حضارتنا على أسس متينة من الإيمان والأخلاق الكريمة والتوجيه السليم. التوجيه والتوعية والتعليم، فأجيالنا الصاعدة أمانة في أعناقنا، وعلينا أن نغرس في نفوسهم أصول هذا الدّين القويم حتى ننشئ بذلك جيلاً عربيا مسلما مسلحا بسلاح العقيدة والهويَّة الإسْلاميَّة المتينة التي لا تتزعزع ولا تؤثر بها الأفكار الضالة ولا الأبواق المأجورة، ولا الشعارات الدخيلة أياً كانت وأن هذا التراث والحضارة العميقة التي رُسخت في نفوسنا كما في نفوس أنبيائنا ورسلنا – بلا شك – مبنية على هذه الأسس، وهذه القيم والمبادئ وهذه الهويَّة. وإذا كان التراث الحضاري لأية أمة يشمل القيم والعادات والتقاليد والهويَّة الإسْلاميَّة والآداب العَامَّة بالمجتمع الإسلامي إلى جانب ما ذكرناه آنفا فإننا لا ننسى الدور الثقافي والتربوي في تكوين البيئة الاجتماعيَّة، وهو من أهم العناصر في بناء المجتمع العربي والإسلامي دينياً وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، لذا فإن تحقيقها يتطلب من كافة الوسائل الإعلامية جهوداً مكثفة وخطط علمية سليمة واستراتيجيات منظمة في جميع مراحل الإعداد والتهيؤ، وتوفير كافة متطلبات نجاحها، والتعاون والتنسيق المثمر بين القطاعات المختصة والحوزات الدّينيَّة ورعاية نموها وترسيخها والمحافظة عليها وتطويرها وترسيخها.[1]

ثانياً: دور الهويَّة الإسْلاميَّة في الحفاظ على القيم وتكاملها.

تتولى الهويَّة الإسْلاميَّة المسؤولية الأكبر في إطار عملية حفظ القيم ودمجها، خَاصَّة القيم المرتبطة بجانب الدّين، وهي أيضًا الوسيلة الأكبر والأكثر تأثيرًا في تحقيق الهدف الأساسي للوظيفة الدّينيَّة، بالتساوي، بغض النظر عما إذا كان يتعلق بباقي المجتمعات أم لا. في ظل الثورة التكنولوجية والتطورات التي أسفرت عن كل هذه التغييرات والانفتاح العالمي واندماج ثقافة المجتمعات في البيئة الواحدة لكل مجتمع، أرى أن العالم اليوم يتعرض لكثير من الأفكار والآراء التي تحمل في داخله تصورات وأفكار عديدة لا تتناسب مع معطيات الإسلام، خَاصَّة إذا كان أصحاب هذا الاتجاه من أصحاب الدّين السياسي الذين يستهدفون بالآراء والأفكار الخَاصَّة بهم

(١) الشريف، راشد الراجح، مصدر سابق.

ISBN: 978-9922-21-412-2

في عدة محاولات لتقويض الدول التي يعيشون فيها، وبالتالي فهم لا يساعدون الإسلام والمسلمين، لكنهم يعملون على مساعدة الإسلاموفوبيا، وهو الخوف غير العقلاني أو الإرهاب من شيء يفوق خطره الفعلي المفترض. لذا لا بد من توضيح الخلل المنهجي في التعامل مع الأفكار والمطالبة بالحقيقة الكاملة، في حين أنه مبني على النزوة والاعتقاد الخاطئ والتفسير غير المقبول، عقلانيًا أو قانونيًا أو شرعياً [١] .

لذا فقد حكمت الهويَّة ممارسة سلطتها وبقاء القيم الحقيقية والحفاظ عليها؛ لتحقيق الريادة وسط كل هذا التشبع والتضخم التكنولوجي والانفتاح الواسع الذي ساهم بشكل مباشر في الاستفادة الفعلية من استدامة تكامل القيم واستقرارها كمستودع للدين لذلك النشاط غير المسبوق أو الوسط الحي. بين كل تلك المحفزات والتغيرات السلوكية الكبيرة في كل المجتمعات. مع الأخذ بعين الاعتبار أهميَّة القيم الدّينيَّة وخصوصية الهويَّة الإسْلاميَّة، وامتدادها من حيث الزمان والمكان، فإن الفكر الدّيني والبناء الإسلامي، في الفكر المسبق، يميل إلى محاولة ضمان عدم تأثر الفرد بكل تلك المغريات بما تشمل عليه من ممارسته للعبادات على أمدٍ بعيد، وأخذه للنصائح ونقلها لعائلته وأبنائه، فقد أثمر بمخططات واعدة واتفاقيات فذة بهذا الصدد، حيث أوضح لنا (تركي الحمد) في تعريفه للهويَّة وهو ما يوصف ما كتبناه بشكل مختصر حيث قال: الهويَّة طالما أنها مركب من العناصر، فهي تتغير بالضرورة، وفي الوقت نفسه تتميز باستقرار معين، مثل شخص يولد ، يكبر ويتطور، وتتغير ملامحه وسلوكيَّاته وأحيانًا يتغير ذوقه، لكنه لا يزال في النهاية هو نفس الشخص وليس شخصًا آخر [٢] .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نلاحظ بوضوح مستوى التماسك الدّيني بين الهويَّة والقيم في مجال الحفاظ على التنمية الثقافيَّة المستدامة (استدامة القيم)، باعتبارها فكرة لجذب الاهتمام العالمي سلفاً ودخلت في أغلب البحوث والمقتنيات الكتابية المتعلقة بهذا الجانب بشكل أساس، ولا يخفى علينا الدور المميز الذي يتجدد سنوياً في ذكرى واقعة كربلاء ووفاة سيد الشهداء الإمام الحسين (سلام الله عليه) لنقل ما يمكن أن ترسخ تلك الهويَّة في نفس كل فرد وكل مجتمع وكل دولة وكل عالم.

---

(١) د. بن محمد، إبراهيم، أثر الأيديولوجيات الوضعية على الهوية الإسلامية، جامعة جازان، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد السادس، الإصدار الثاني، الجزء الثالث، ٢٠٢١

(٢) أليكس ميكشيللي: الهوية، دار الوسيم، دمشق، ١٩٩٣، ص ٤٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

إن عملية التنشئة الدّينيَّة هي عملية تكييف الفرد مع هويته الإسْلاميَّة. يولد الفرد مجهزًا بالقدرة على التعلم، لكنه لم يولد مجهزًا بالتعاليم والأخلاق والدّين. يتعلم هذه من بيئته الاجتماعيَّة والعائلية.

إن التعلم والحفاظ على الدّين والهويَّة يصوغ شخصيته بما يجعله صالحًا يتمسك بتعاليم الدّين الصحيح. هذه القدرة الفائقة على التعلم، التي يمتلكها الإنسان بغريزته، هي الأساس الذي يعتمد عليه الدّين في التحكم في ميول الفرد وتحديد دوافعه بحيث يتوافق سلوكه مع البيئة الدّينيَّة السائدة في مجتمعه. وحدة الفكر والحكم والسلوك داخل الحياة الاجتماعيَّة. القيم هي من بين السمات الشخصية التي تؤثر بشكل كبير على الإطار الثقافي والدّيني في المجتمع. لكل مجتمع نظام قيم خاص به كان دائمًا مشتركًا بين أعضائه. تساعد معرفة القيم السائدة في المجتمع على معرفة نوع الثقافة السائدة فيه، وتساعد على تحديد وفهم الفلسفة العَامَّة لهذا المجتمع، على أساس أن القيم انعكاس للأسلوب الذي يفكر به الناس، في إطار ثقافة معينة وفي فترة زمنية محددة. ولذلك فقد اتسمت الهويَّة الإسْلاميَّة باهتمامها الجوهري بالقيم وضرورة الحفاظ على تكاملها باختلاف الأزمان والأماكن، حيث يلاحظ على القرارات التي تحافظ على هذا النحو بما تدعو اليه تلك الهويَّة أنها تعطي الأولوية في الخيارات لاستدامة الهويَّة والقيم ضمن موضوع التنمية الرئيسي المستدام بوجه عام، بل تجعلها مرجعاً رئيساً لتمام البناء النفسي وتكامل الدّين في حياة الفرد لما يكمن في معناها من قيمة معنوية ونفسية لديهم. وبوجه عام فإنه يمكن القول بأنّ موضوع الحفاظ على القيم في ظل قُوَّة الهويَّة الإسْلاميَّة مهم جداً؛ فكلاهما يمتدان لنفس المخرج أحدهما يكمل الآخر، فلا يمكن بدون احد الخيارين.

ثالثاً: الهويَّة الإسْلاميَّة وضرورة العمل على حمايتها.

إن النتيجة الحتمية التي تجعلنا نسلم بها دون شك، وفي ذات الوقت تخفف من شدة الخطاب الدّيني المتشدد، هي المحافظة على الهويَّة الإسْلاميَّة محافظة من شأنها الوحدة لا الفرقة، البناء لا الهدم، في كل ما من شأنه أن يحافظ على هذه الهويَّة، وأن يجعلها متماسكة قوية بعيدة كل البعد عن الغلو والتشدد والاستغلال، بحيث نقبل الرأي و الرأي الآخر، وهذه طبيعة الإسلام الوسطية، قال تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّين وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.(الممتحنة:٨).

ISBN: 978-9922-21-412-2

فالآية فيها الرخصة بصلة نوع من غير المسلمين ومعاملتهم بالبر والإحسان من باب المكافأة على صنيعهم، وهذا لا يستلزم مودتهم بالقلب.(١)

فعلى الرغم من الجانب المعنوي المهم للهويَّة الإسْلاميَّة لدى الكثير من المجتمعات، فإن جانبها الدّيني يبقى الأبرز والأشد صلابة وترسيخاً، وعليه فقد يقتضي ضرورة العمل على حمايتها من بعض السياسات التكنولوجية والفكريَّة المستغلة لتحقيق غرض ما، وعلى هذا الأساس فقد دخلت الهويَّة الإسْلاميَّة في كثير من التَّحديَّات الصعبة والتلاعب الدّيني الرهيب الذي أخذ حيزاً واسعاً من حياة المجتمعات وأفرادها. إن من بين التَّحديَّات الكبيرة التي نواجهها الإرهاب ومحاولة تشويه صورة الاسلام بطرقه البشعة والغزو الفكري والاستشراق، وكذلك جميع الجوانب العقائدية والثقافيَّة والاخلاقية والاجتماعيَّة والاقتصادية والعسكرية والسياسية.... وغيرها لكل أمم العالم، ولكن ضررها على الهويَّة الإسْلاميَّة أمر واضح؛ لأن الهويَّة الإسْلاميَّة ذات خصوصية منفردة، فهي تحتوي الهويات الأخرى وترفض أن يحتويها أحد؛ لأنها ربانية المنبع(٢).

لذا تعد الانتهاكات المجحفة أحيانا من الأسباب الأساسيَّة التي تؤدي الى دخول الهويَّة الإسْلاميَّة في مثل هذه الدوامات المغرضة. ولذلك نقول: إن الخطر الذي يهدد الهويَّة الحضارية والخصوصية الثقافيَّة خطر حقيقي واقع فعلاً، ويزحف نحو المزيد من الغزو والاكتساح والعدوان، وهو حقيقة واقعية قائمة في حياتنا، نعيشها و نشاهد آثارها المدمرة للعقل والوجدان، و المهددة لسلامة الكيان الإسلامي بصورة عامة باعتبار أن الحرب ضد الهويَّة يقصد بها تمهيد الطريق نحو فرض الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والثقافيَّة.(٣)وعليه، فإن عملية حماية وتعزيز الهويَّة الإسْلاميَّة تُشكل أداة وقائية، كما أن مقاربات الدفاع والأمن تجاه الهويَّة الإسْلاميَّة تساهم في الاستفادة من ذلك بما يساهم في تحقيق سلام وقائي مستدام. يوفر إطار العلاقة المعياري أساسا سليما لمعالجة القضايا الحرجة داخل البلدان أو فيما بينها والتي إذا لم يتم تناولها، قد تؤدي إلى نشوب صراع. على الرغم من أن المعلومات والتحليلات لاستطلاعات العَلَاقَات العَامَّة هي أداة للإنذار المبكر والعمليات المستهدفة المبكرة، إلا أنها لم تستخدم بعد إلى

---

(١) الفوزان،الإعلام بنقده كتاب الحلال والحرام، جامعة الإمام/محمد بن مسعود الإسلامية، ط ٢، ص ١١.

(٢)د.حسين عبد الغني، الهوية الاسلامية رؤية تأصيلية في ضوء التحديات المعاصرة،جامعة الأزهر، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٧٨.

(٣) د.عبد العزيز عثمان التويجري،العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٥٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أقصى حد. وتجدر الإشارة في هذا المحور إلى أنه على الرغم من وجود هذه التَّحديَّات المتدهورة في نطاق الحياة الواسع والمنافسة الساحرة، فإن الهويَّة الإسْلاميَّة قادرة على الصمود والحفاظ على نجاحها الدائم حتى لو تأثرت بمثل هذه الشوائب العابرة، خَاصَّة إنه موجه بشكل أساسي إلى انتهاك حرمة قبول الفرد المتدين للتغيير في معتقداتهم ، العَامَّة والخَاصَّة. بيد أن ما يجب معرفته حقيقة أنّ الإسلام ذو طبيعة حيوية، يدعو إلى حريَّة التعبير عن الرأي، وقبول الآخر بكل انتماءاته، وقبول التعددية المحمودة، والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع، ولا شك أن هذا كله يثمر العديد من الثمار المُهِمَّة في الداخل والخارج؛ أما الثمار الداخلية فهي تقوية العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وأما الثمار الخارجية فهي التعريف بالإسلام الحقيقي ومعطياته.((١))

بعض من الدراسات السابقة التي عرضت الموضوع

الدّراسة الأولى/ (الهويَّة الإسْلاميَّة حقيقتها ووسائل الحفاظ عليها ودور الدعاة في ذلك)

استهدفت الدّراسة التي أجراها د.صالح بن عبد الله الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسْلاميَّة بكلية الدعوة وأصول الدّين في جَامِعَة أم القرى، بيان حقيقة الهويَّة الإسْلاميَّة بعد التأكيد على وجودها، ومعرفة حقيقة الانتماء إليها والوسائل التي يمكن من خلالها المحافظة عليها مستعملاً المنهج التحليلي الاستنباطي، حيث كانت القراءة منصبة على موضوع البحث وكل ما هو متعلق بالهويَّة الإسْلاميَّة والعولمة، وكل ما هو مرتبط بموضوع الهويَّة كالمؤلفات في الشخصية الإسْلاميَّة، وقد خرج بالنتائج الآتية:

١- الهويَّة الإسْلاميَّة حقيقة لا جدال فيها، وتنبع أهميتها من مقوماتها التي يأتي على رأسها كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)

٢-الانتماء للهويَّة الإسْلاميَّة ليس انتماء بالوراثة أو انتماءً عاطفيا أو مصلحيا، بل هو انتماء حقيقي كامل مصيري لا رجعة فيه ولا نكوص عنه، وبدونه يُلغى وجود الامة.

٣-معنى الهويَّة يتضمن القناعات الفكريَّة التي تميز الناس بعضهم عن بعض، والتطبيقات السلوكية والتصرفات العملية النابعة من تلك القناعات، فيتلازم في الهويَّة الأمران: التصورات والتصرفات، وتخلّف أحدهما عن الآخر يجعل الانتماء للهويَّة لا حقيقة له.

٤- للحفاظ على الهويَّة الإسْلاميَّة طرق متعددة ومناهج مختلفة، أبرزها الحماية والذب عنها والبناء والاصلاح لها

(١) د. بن محمد، إبراهيم، مصدر سابق، ص ٢٧٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وأوصى الباحث بالتوصيات التالية:

١- لابد من العناية بغرس الهويَّة الإسْلاميَّة في قلوب أبناء الأمة واتخاذ الوسائل لذلك ومن أهمها: تفعيل دور الإعلام في خدمة الهويَّة الإسْلاميَّة وترسيخها في قلوب أبناء الأمة الإسْلاميَّة، وممارسة الدور الهام في هذا الجانب فإن لم يكن فليس أقل من أن لا يستخدم لعزل أبناء الأمة عن هويتهم.

٢-وجوب التصدي للمناوئين للهويَّة الإسْلاميَّة في الداخل والخارج وكشفهم وإظهارهم على حقيقتهم لأجل أن لا يغتر بهم مغتر.

٣-الهويَّة الإسْلاميَّة تجمع أبناء الأمة على الرابط الأعظم الذي متى ما ترسخ فإنه لا يعدله رابط آخر مهما كان، فالعناية بالروابط الأرضية لا يمكن أن يقدم للأمة ما يقدمه الرابط الالهي العظيم.

الدّراسة الثانية/ (أثر الأيديولوجيات الوضعية على الهويَّة الإسْلاميَّة)

استهدفت الدّراسة التي أجراها د.إبراهيم بن محمد أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية الشريعة والقانون في جَامِعَة جازان، إلى استعراض الموقف العام من الأيديولوجيا الوضعية على الهويَّة الإسْلاميَّة في فترة تصاعد العولمة من جهة وتمكين إيديولوجيات ما يعرف بالإسلام السياسي من الخطاب الإسلامي من جهة أخرى، وتبيان الاتجاه المخالف في أثر ذلك وعرض حيوية الدّين وطبيعته في حريَّة التعبير عن الرأي وقبول الآخر، والقبول بالتعددية، وتثبيت قواعد المواطنة، والتعايش السلمي، وذلك عن طريق دراسة رؤية أصحاب الاتجاه المخالف، و عوار منهجهم ومذهبهم، الذي يدعو بلا أدنى شك للتفرقة والتشدد، ومن ثم إبراز طبيعة هذا الدّين في قبول كل ما يمت للحريَّة والإنسانية بصلة الرحمة والمودة والحب.

وقد استخدم الباحث للوصول إلى نتائج بحثه المنهج التاريخي، وتم تتبع من خلاله أصل المشكلة ونشأتها وتطورها ومواقف مختلف الآراء والأفكار، وأيضاً المنهج النقدي لعرض أوجه النقد التي وجهت للفكرة ذاتها.

وقد خرج بالنتيجة الآتية:

إن المحافظة على الهويَّة الإسْلاميَّة محافظة من شأنها الوحدة لا الفرقة البناء لا الهدم في كل ما من شأنه أن يحافظ على هذه الهويَّة وأن يجعلها متماسكة قوية بعيدة عن الغلو والتشدد والاستغلال بحيث نقبل الرأي والرأي الآخر وهذه طبيعة الإسلام الوسطية.

وبعد أن أنهى الباحث دراسته أوصى بالتالي:

ISBN: 978-9922-21-412-2

١- بتوخي الدقة والموضوعية في مثل هذه القضايا الحساسة.

٢- على الدارسين إثراء الفكر المعاصر بالعديد من الدراسات البحثية التي تبرز المسألة بوضوح.

٣-المواطنة وضرورة تفعيل معطياتها الحقيقية.

٤- التسامح في الإسلام له أهميَّة عظيمة مع المسلم وغير المسلم.

الخاتمة

قد أنهينا هذا البحث الذي يدور حول دور العَلَاقَات العَامَّة في نشر الوعي والحفاظ على الهويَّة الإسْلاميَّة، حيث يعد من الموضوعات الهامة التي لا تنفك عن مواجهة التَّحديَّات المتطورة باستمرار تام دون كل أو مل، كون موضوع التَّحديَّات شائك لم يوجد له حل إلى الآن، ولا يوجد مستقبلاً أيضاً، لذا يجب العمل على مجاراتها دائماً ووضع الخطط طويلة الأمد وقصيرة الأمد بمساعدة العَلَاقَات العَامَّة الهادفة في ذلك لتجاوز ما أمكن منها.

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات:

١. إن عملية اشراك العَلَاقَات العَامَّة في حماية وتعزيز الهويَّة الإسْلاميَّة تُشكل أداة وقائية ملهمة ومُهِمَّة تساهم في تحقيق سلام وقائي مستدام عبر مختلف البرامج والإمكانيات.

٢. إن عملية التنشئة الدّينيَّة هي عملية تكييف الفرد مع هويته الإسْلاميَّة، فهي تتناسب مع معطيات البيئة المجتمعية وتصوغ شخصيته بما يجعله صالحًا يتمسك بتعاليم الدّين الصحيح.

٣. تعد العَلَاقَات العَامَّة من الفلسفات الضمنية الموغلة في التقدم والتطور وترسيخ المفاهيم، ولذا إن النظام المعرفي الذي نود زرعه ونتمنى أن يُثمر دائماً؛ للحفاظ على هويتنا الإسْلاميَّة يبدأ أولاً بالتعاون المعرفي والثقافي بين دمج العَلَاقَات العَامَّة مع البرامج الدّينيَّة ودراستها وعرضها وقياس نتائجها الفعلية النافعة.

٤. إن العَلَاقَات العَامَّة من الوظائف الإداريَّة المستمرة والمخططة التي تسعى بها المنظمات العَامَّة والخَاصَّة لكسب تفاهم وتعاطف وتأييد الجَمَاهِير حيث إنها كانت تواكب التطور وتستخدم نظام تنبؤي يساعد في التعرف على الاتجاهات وتوقعاتها وهذا فعلا ما ساهم في تنمية الفرد في بيئته الدّينيَّة.

التوصيات:

ISBN: 978-9922-21-412-2

١. للعلاقات العَامَّة دور محوري هادف وصادق في نفس الوقت تعتمده أغلب الدول والحكومات على وجه خاص في مسايرة أعمالها وتنفيذها، لذا إن فكرة عدها ضمن الأساسيات المكملة التي تساهم في الوصول إلى الغاية المنشودة فكرة لا يمكن الاستغناء عنها.
٢. أن تدريب العاملين في مجال العَلَاقَات العَامَّة تدريباً صحيحاً يهدف هو الآخر في تمهيد الطريق لتحقيق النجاح وبالتالي إنبات المعلومات بصورتها الواقعية بطريقة فذة ونافعة وبصورتها الحقيقة دون تحريف أو تفنيد جزء منها، وهذا وحده يعد من الانجازات الكبيرة التي يسعى اليها أي شخص مسؤول عن وحدة دينه ووطنه.
٣. بالرغم من كثرة الوسائل المتاحة في عصر التطور التكنولوجي إلا أن اختيار الوسيلة الملائمة التي تناسب نشر الحدث أو الخبر الدّيني شيء رئيسي ومهم يحد من ظاهرة نشر المعلومات المغلوطة حفاظاً على المجتمع وأفراده.
٤. تعد برامج العَلَاقَات العَامَّة المتخصصة ذات أهميَّة كبيرة في ترسيخ المعلومات كونها تستخدم طرقاً شاملة تنفذها بعد دراسة مستفيضة من أجل تحقيق الهدف المنشود، لذا أن اعتمادها ضمن خطة بناء الهويَّة الإسْلاميَّة وترسيخها لدى الافراد تعد واحدة من الخطوات المُهِمَّة التي يجب إدراجها ضمن أي عمل تنموي وتوعوي ذو هدف سامي.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم
١. د.عبد الحميد، احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٤٢٤.
٢. بيرنيز ادوارد، العَلَاقَات العَامَّة فن، ترجمة:وديع فلسطين وحسين خليفة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م
٣. د.علي العجوة/الأسس العلمية للعلاقات العَامَّة، علم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م.
٤. قلالة، نور الدّين، ماهو الوعي، مقالة منشورة، موقع إسلام أونلاين نت.
٥. سلامة، محمد سعيد محمد، تصور مقترح لتنمية الوعي الدّيني ببعض القضايا الإسْلاميَّة لدى معلمي المرحلة الإعدادية في ضوء بعض التَّحديَّات الحضارية المعاصرة، رسالة ماجستير، جَامِعَة قناة السويس، ٢٠١٨.
٦. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية، القاهرة ،١٩٨٣.
٧. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.
٨. كشك محمد بهجت، العَلَاقَات العَامَّة والخدمة الاجتماعيَّة، المكتب الجامعي الحديث ١٩٩٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٩. أبو النيل ،محمود السيد، التقرير الإداري،كتب معالجة أثر الأزمات ،علم الإدَارَة.
١٠. زياد رمضان "واقع العَلَاقَات العَامَّة في مؤسسات الجهاز المصرفي الأردني .المجلد السادس عشر 'العدد الثالث 'الكويت ١٩٨٨.
١١. بيرنيز ادوارد، العَلَاقَات العَامَّة فن ،ط٢ترجمه وديع فلسطين – حسن خليفة القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٧.
١٢. إبراهيم أمام، العَلَاقَات العَامَّة،ط٢ القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٦٨.
١٣. عبد الباري إبراهيم درة ،إدَارَة العَلَاقَات العَامَّة والبروتوكولات، عمان ،دار وائل للنشر والتوزيع، ط ٢٠١٠.
١٤. سالم بركات، دور العَلَاقَات العَامَّة في تفعيل ثقافة المنظمة رسالة ماجستير غير منشورة جَامِعَة الجزائر –كلية العلوم الاقتصادية والتجارية 2012–2011
١٥. عبدالباسط محمد حسن ،علم الاجتماع الصناعي،مكتبة غريب القاهرة، ١٩٨٢.
١٦. د. بن محمد، إبراهيم، أثر الأيديولوجيات الوضعية على الهويَّة الإسْلاميَّة، جَامِعَة جازان، مجلة كلية الدراسات الإسْلاميَّة والعربية للبنات بدمنهور، العدد السادس، الإصدار الثاني، الجزء الثالث، ٢٠٢١
١٧. أليكس ميكشيللي: الهويَّة، دار الوسيم، دمشق، ١٩٩٣.
١٨. الفوزان، الإعلام بنقده كتاب الحلال والحرام، جَامِعَة الإمام/محمد بن مسعود الإسْلاميَّة، ط ٢.
١٩. د.حسين عبد الغني، الهويَّة الإسْلاميَّة رؤية تأصيلية في ضوء التَّحديَّات المعاصرة،جَامِعَة الأزهر، القاهرة، ٢٠١١.
٢٠. د.عبد العزيز عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤.

الهوية الوطنية الاسلامية في العراق : دراسة في المحتوى والمضمون

ا.د. حمدية صالح دلي الجبوري/جامعة القادسية – كلية التربية /قسم التاريخ
Hamdia.Dli@qu.edu.iq
م.د.عبد الكريم جعفر الكشفي مدير عام تربية ديالى السابق
K2kk1951@gmail.com

الخلاصة

ان الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م،أظهر حالة تبدو للآخر أن هناك عدم اندماج بين مكونات الشعب العراقي عمل على تكريسها الاحتلال قسراً، وإن التعددية التي يتمتع بها المجتمع العراقي ليست حالة سلبية أو حالة فريدة بين دول العالم، لذا يتطلب من النظام السياسي في العراق أن يؤمن بالتعددية، ويحفظ الحقوق والحريات العامة لكل أفراد الشعب من دون تمييز، ورفع مصلحة الوطن فوق الانتماءات الفرعية ، في ظل هذه الظروف كانت هناك محاولة لفرض الهوية الاسلامية الوطنية العراقية، الا ان هذه المحاولات اصطدمت بالتغيرات الحاصلة ما بعد ٢٠٠٣م التي اعتمدت المحاصصة الطائفية والمناطقية والقومية، مما عقد إشكالية بناء الهوية الاسلامية الوطنية .

ولابد من القول ان للهوية الاسلامية الوطنية جملة ايجابيات ، حري بنا ابرازها منها المشتركات التي تجمعهم، وتميزهم عن دول الجوار ، ومسألة بناء هوية اسلامية وطنية لم يكن وليد الساعة ، بل كانت هناك محاولات عديدة منذ قيام الدولة العراقية المعاصرة عام ١٩٢١م ، الا انها لم تنجح في بناء هوية اسلامية وطنية جامعة تجمع مكونات الشعب المختلفة ،رغم جهود رفع الشعارات القومية في البدايات الاولى .وكان التنوع المجتمعي معوقاً في بناء وتعزيز الهوية الاسلامية الوطنية وترسيخها .

تنطلق فرضية البحث من محاولة فرض هويات وأيدولوجيات، كانت عقبة أمام بناء الهوية الاسلامية الوطنية العراقية، وان التغيير بعد ٢٠٠٣م قد عقد إشكالية بناء الهوية الاسلامية الوطنية، وان افتقادها ألقى بظلالها على الاستقرار السياسي والاجتماعي للبلاد، وفي هذه الدراسة كانت للباحثان محاولة لتحليل الإشكالية وتقديم مقترحات لإعادة بناء الهوية الاسلامية الوطنية على أسس مناسبة وحسب المحاور الاتية:

المحور الأول :إشكالية بناء الهوية الوطنية الاسلامية في العراق منذ تأسيس الدولة وحتى اليوم.

المحور الثاني: إعادة تشكيل وبناء الهوية الوطنية الاسلامية العراقية بمنظورها الصحيح.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المقدمة

تعد الهوية من القضايا القديمة المتجددة التي ما تلبث أن تفرض نفسها عند معالجة أي بعد من أبعاد التنمية بالمفهوم الاسلامي الإنساني الشامل بصفة خاصة ومشاريع الإصلاح والتطوير بصفة عامة. وقد اتسع تداول مصطلح الهوية لما يحمله من معاني المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، إذ إن صفة الهوية لا تعني فقط الانتساب للوطن، والارتباط به كتابع، وإنما هو بهذه الصفة عنصر فاعل في مختلف المجالات الإسلامية وغير الاسلامية، له كيانه المستقل، وقناعاته الخاصة، ومن حق صاحب الهوية أن يعبر بحرية عن آرائه واختياراته الشخصية، وأن يضطلع بدور إيجابي في الحياة العامة.

مشكلة البحث

تتركز مشكلة البحث في تأصيل لفظة الهوية الوطنية الاسلامية في المجتمع ،إذ لا يستقيم البناء الديموقراطي لأي دولة دون تجلي روح الهوية والمواطنة،في علاقات كل فرد بمؤسسات الدولة التي يعد الهدف الأساسي، من وجودها هو خدمة الهوية والمبدأ والمواطنه،وتوفير ما يحتاج إليه الناس في حياتهم الفردية والجماعية، من أمن واطمئنان واستقرار، والسهر على تنظيم شؤونهم العامة انطلاقا من خياراتهم، ووفق رغباتهم وحاجاتهم، وفي المقابل يرتبط الأفراد بالولاء الكامل للهوية والوطن الذي لا يعني مجرد حيز جغرافي، وعلم يرفرف فوق البنايات الرسمية، وإنما يشمل في مفهومه الواسع مجموعة من القيم الاسلامية والمبادئ والقضايا التي تعكس الإرادة العامة للمواطنين.

فرضية البحث

قائمة على ايجاد مجتمع ناجح يوظف مفاهيم الهوية الاسلامية والمواطنة على الصعيد الاجتماعي

هدف البحث

يهدف البحث الى القاء الضوء على مفهوم الهوية الاسلامية الوطنية واثرها في التنمية الاجتماعية من حيث:

١. بيان وتحديد الأسباب الحقيقية التي تقف حجر عثرة أمام الهوية الوطنية، اعتمادا على التحليل العلمي الذي تحدده منهجية هذا البحث.
٢. طرح الحلول العملية من خلال الخطط الاجتماعية لضمان تحقيق تنمية وتطوير شاملين مستمرين ومتواصلين في جميع ربوع البلاد.

ISBN: 978-9922-21-412-2

منهجية البحث

استخدمنا في هذا البحث المنهج الموضوعي التحليلي المبني على دراسة آراء وتصريحات جميع المسؤولين في مختلف دوائر الدولة وعلى اختلاف درجاتهم الوظيفية ومواقعهم في السلم الوظيفي والإداري. وقسم البحث إلى محورين رئيسين هما : المحور الأول : مفهوم الهوية الإسلامية الوطنة ومقوماتها،والمحور الثاني: ابرز الوسائل المستخدمة للتربية على الهوية الوطنية الاسلامية والمواطنة.

المحور الاول : اشكالية بناء الهوية الوطنية الاسلامية في العراق منذ تأسيس الدولة وحتى اليوم

مفهوم الهوية الاسلامية المواطنة لغة واصطلاحاً

الهوية الاسلامية الإيمان بالعقيدة الاسلامية للامة، والاعتزاز بها والانتماء إليها، واحترامها الحضاريا والثقافيا، وإبراز الهوية الاسلامية واحترام شعائرها، والتمسك والاعتزاز بها، والشعور بالتميز والاستقلالية،والعمل بالرسالة كواجب ، والشهادة على الناس بالهوية الإسلامية،والهوية هي من الفعل هوى بمعنى ميل النفس كما يقول الراغب الاصفهاني في مفرداته صفحة ٨٤٩قال تعالى﴿ ولا تتبع الهوى﴾الاعراف:٢٦ .

اما المواطنة والمواطن مأخوذة في اللغة العربية من الوطن : أي المنزل الذي تقيم به وهو " موطن الإنسان ومحله" [١]، وطن يطن وطناً : أقام به ، وطن البلد : اتخذه وطناً ، توطن البلد : أتخذه وطناً ، وجمع الوطن أوطان : منزل إقامة الإنسان ولد فيه أم لم يولد [٢]، وتوطنت نفسه على الأمر : حملت عليه ، والمواطن جمع موطن : هو الوطن أو المشهد من مشاهد الحرب[٣]، قال الله تعالى: " لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ" [٤] ،والمواطن : الذي نشأ في وطن ما أو أقام

(١) ابن منظور ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب ، ط. صادر، ٢٠٠٥، ٣٠٧/١٠.

(٢) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي؛ مختار الصحاح، مكتبة لبنان؛ ١٩٨٦، ص٤١١.

(٣) الفيروز ابادي ، محمد بن يعقوب مجد الدين ، القاموس المحيط تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط. الرسالة، :مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥ ،ص١٧٤.

(٤) سورة التوبة – الآية ٢٥ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

فيه . وأوطن الأرض : وطنها واستوطنها ، و اتطنها أي أتخذها وطناً ومواطنة : مصدر الفعل واطن بمعنى شارك في المكان إقامة ومولداً [١].

أما في الاصطلاح فالوطنية تأتي بمعنى حب الوطن Patriotism في إشارة واضحة إلى مشاعر الحب والارتباط بالوطن وما ينبثق عنها من استجابات عاطفية [٢]، أما المواطنة Citizenship فهي صفة المواطن والتي تحدد حقوقه وواجبا ته الوطنية ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجبا ته عن طريق التربية الوطنية ، وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي والتطوعي في تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحد من أجلها الجهود وترسم الخطط وتوضع الموازنات [٣].

وتشير دائرة المعارف البريطانية إلى أن الهوية الإسلامية هي " علاقة بين فرد ودولة والعقيدة الاسلامية كما يحددها قانون تلك الدولة متضمنة مرتبة من الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات وتسبغ عليه حقوقاً دينية مثل التوحيد وسياسية مثل حقوق الانتخاب وتولي المناصب العامة،وميزت الدائرة بين الهوية والمواطنة والجنسية التي غالباً ما تستخدم في إطار الترادف، إذ أن الهوية تعني المعتقد اما الجنسية تضمن بالإضافة إلى المواطنة حقوقاً أخرى مثل الحماية في الخارج[٤].

في حين لم تميز الموسوعة الدولية وموسوعة كولير الأمريكية بين الهوية والجنسية والمواطنة فالهوية والمواطنة في (الموسوعة الدولية) هي عضوية عقائدية كاملة في دولة أو بعض وحدات الحكم، وتؤكد الموسوعة أن المواطنين لديهم بعض الحقوق مثل الايمان وإبراز الهوية الإسلامية وحق التصويت وحق تولي المناصب العامة وكذلك عليهم بعض الواجبات مثل حق العبادة

---

(١) جاريث ستانسفيلد، الانتقال إلى الإرث التاريخي والهويات الصاعدة والميول الرجعية ، ص٤٣؛ ستيفز، جاكلين ،حول فكرة الجنسية والمواطنة ، ترجمة علاء الدين ابو زينة.موقع جريدة الغد، ٢٩ ايار ٢٠١٢،

(٢) المرجع نفسه.

(٣) البكري ، الهوية ، ص٥.

(٤) المرجع نفسه.

ISBN: 978-9922-21-412-2

والعيش واجب دفع الضرائب والدفاع عن بلدهم. وفي موسوعة (كولير) الأمريكية ان الهوية والمواطنة هي " أكثر أشكال العضوية اكتمالا في جماعة سياسية ما "[1].

مستويات الشعور بالهوية الإسلامية الوطنية

أن هناك مستويات للشعور بالهوية الوطنية الإسلامية والمواطنة أوردها رضوان أبو الفتوح في النقاط التالية :

١. شعور الفرد بالروابط المشتركة بينه وبين بقية أفراد الجماعة كعقيدة الدين والدم والجوار والموطن وطريقة الحياة بما فيها من عادات وتقاليد ونظم وقيم ومهن وقوانين وغيرها.
٢. شعور الفرد باستمرار هذه الجماعة على مر العصور، وأنه مع جيله نتيجة للماضي وأنه وجيله بذرة المستقبل.
٣. شعور الفرد بالارتباط بالدين والوطن وبالانتماء للجماعة، أي بارتباط مستقبله بمستقبلها الديني وانعكاس كل ما يصيبها على نفسه، وكل ما يصيبه عليها.
٤. اندماج هذا الشعور الاسلامي المؤمن بالله في فكر واحد واتجاه واحد حركة واحدة،فالهوية الإسلامية لا تؤمن بحقوق الإنسان فحسب بل تؤمن بحقوق الحيوان،فمثلا لا يجوز ذبح الشاة المعدة للذبح دون إعطائها الماء.

ومعنى ذلك أن مصطلح الهوية الوطنية الإسلامية يستوعب وجود علاقة بين الدولة أو الوطن والمواطن،وأنها تقوم على الايمان بالله واليوم الآخر والكفاءة الاجتماعية والسياسية للفرد، كما تستلزم الهوية الإسلامية الوطنية الفاعلة توافر صفات أساسية في المواطن تجعل منه شخصية مؤثرة في الحياة العامة، والتأثير في الحياة العامة والقدرة على المشاركة في التشريع واتخاذ القرارات .

وإذا ربطنا مفهوم الهوية الإسلامية الوطنية بالديمقراطية نجد أن الهوية الإسلامية هي ركيزة الديمقراطية، فلا يوجد مجتمع ديمقراطي، لا يعتمد في بنيانه على كل مواطن[2].

الهوية الاسلامية الوطنية

---

(١) سوسيولوجية في الاثنيات والطوائف والطبقات ، معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد بيروت، ٢٠٠٦ ، ص ٣٤٧؛ شنار،دومنيك، وكريستيان شوفالييه ،ماالمواطنة ترجمة :سونيا محمود نجا ، المركز القومي للترجمة ،القاهرة ، ٢٠١٦، ص ٨٧.

(٢) علي عباس مراد، إشكالية الهوية في العراق.. الأصول والحلول، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٩٠ ، آب ٢٠١١ ، ص ٨٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

نعني بها الرابطة في الدولة الحديثة بين الدولة والشعب، هي رابطة تقوم علي علاقة الايمان برب العزة والجنسية، فكل من يحمل جنسية الدولة، يعد من مواطني الدولة، ومواطنو الدولة يتمتعون بنفس الحقوق، ويتحملون ذات الواجبات.

لا تفرقة بينهم بسبب الدين أو الجنس أو الاعتقاد، فكل مواطن يساوي أي مواطن آخر بصرف النظر عن دينه أو لونه أو جنسه أو اعتقاده(١).

المسلم والمسيحي واليهودي ومن لا دين له كلهم مواطنون يحملون الهوية الإسلامية،لأن الإسلام تعني هنا الايمان بالله واليوم الآخر قال تعالى﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ال عمران:١٩، فالأبيض والأسود ومن هو بين بين كلهم مواطنون، الماركسي والرأسمالي والاشتراكي ومن يؤمن بالتعاون ومن لا يؤمن بشيء من ذلك كله،فكلهم مواطنون لهم هويتهم، وبما أنهم جميعاً مواطنون فهم جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات(٢).

تطور مفهوم الهوية الإسلامية الوطنية

ومفهوم الهوية الإسلامية الوطنية في العصر الحاضر موضوع مهم،يجد جذوره في الفلسفة اليونانية وفي الممارسة الديموقراطية البدائية في أثينا، ولو أن تلك الممارسة كانت تقصي الاعتراف بالايمان والانسان، فقد كانت تنبني على مبدأ تساوي الذكور الأحرار في اتخاذ القرارات المتعلقة بتدبير الشأن العام، أي التساوي في المشاركة السياسية، الأمر الذي يشكل عنصرا جوهريا في المفهوم الحديث للهوية وللمواطنة.

والمتابعة لصفحات التاريخ يجد ان كلمة الهوية الإسلامية الوطنية وردت في التراث العربي الإسلامي بكثرة،لأنها كانت الأساس الأول للأمة وهي حجر الزاوية هي إدارة كيان المسلمين عند الجيل الاول، غير أن ما تعبر عنه هذه الكلمة في العصر الحاضر، من قيم الايمان بالله والحرية والعدل والمساواة والمشاركة والمسؤولية، تعد من المبادئ التي دعا إليها الإسلام المحمدي، وإن كانت الممارسة السياسية منذ حكم الأمويين فضلا عن العباسين لم تتقيد بالمبادئ الإسلامية الصحيحة، كما أن عدم تطوير نظام الشورى، والصراعات الدموية من أجل الاستفراد بالحكم واحتكار السلطة،أدى إلى غياب الهوية الإسلامية الوطنية،وغياب حرية النقد السياسي،

---

(١) سوسيولوجية في الاثنيات ، ص ٣٤٧.

(٢) احد سلمان محمد شناوة ، ما تبقى من الاسلامية العراقية ، ، ٢٣ – ٢٢ / ٤ / ٢٠١٠ – الحوار المتمدن – العدد: ٢٩٨٣؛زاهد ، عبد الامير،واخرون ، وثيقة المدينة ،مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، بيروت ، ٢٠١٤، ص٦٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وانعدام فرص التقويم العقلاني لأساليب تدبير الشأن العام، كل ذلك أدى إلى إبعاد المجتمعات الإسلامية عن تعاليم الإسلام ومقاصده، وحال دون انخراطها في التطور السياسي الذي عرفته شعوب وأمم أخرى، عرفت كيف تستفيد من الحضارتين الإغريقية والرومانية، ومن المبادئ التي ارتكز عليها الإسلام نفسه(١).

وإذا كانت أوربا الغربية قد عرفت مرحلة من السبات العميق خلال القرون الوسطى، حيث سادت أنظمة من الحكم الفردي المطلق، الذي لا يقيم اعتبارا للهوية والمواطنة، فإن الفكر السياسي والقانوني في دائرة الحضارة الغربية منذ القرن الثالث عشر، قام بصياغة مبادئ، واستنباط مؤسسات، وإبداع وتطوير آليات جديدة للحكم، أمكن بعد إدخالها حيز التطبيق بكيفية تدريجية، تأسيس وتنمية نظم حكم قومية مقيدة للسلطة، وتم ذلك من خلال حركات الإصلاح التي لم تتحقق أهدافها دائما بشكل عفوي، أو بخطوات سلسة، وإنما اقترن نضال تلك الحركات بثورات شعبية أتت على نمط الحكم المطلق، الذي يجمع فيه الحاكم الفرد كل السلط، وتتركز بين يديه كل القرارات، وفتحت المجال لقيام الديموقراطية، التي تجعل الشعب هو مصدر السلطات، والإرادة العامة هي مناط الحكم(٢).

وتعد الثورات الإسلامية والانتفاضات التي شهدتها القرون الاسلامية الوسطى،من اجل بناء هوية إسلامية وطنية هي حجر الزاوية في الثورات المطالبة بالهوية،كما تعد الثورة الفرنسية من أهم تلك الثورات التي عرفتها أوربا، ومعها عرف مفهوم الهوية والمواطنة تطورا هاما حيث تمت القطيعة مع الطقوس والعلاقات الفيدرالية، وصدر بيان حقوق الإنسان والمواطن سنة ١٧٨٩، فأصبح مفهوم المواطنة يشمل الحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مع إقرار مبدأ المساواة أمام القانون، وعدم إقصاء الأقليات أو أي فئة في المجتمع.

وأثرى فلاسفة الأنوار المفاهيم السياسية بمصطلحات جديدة، مثل (المجتمع المدني، والرأي العام، والسيادة الوطنية)، مما ساهم في توسيع مفهوم المواطنة، ليشمل مختلف الأدوار التي يمكن أن يقوم بها الأشخاص المواطنون، وسائر المجالات التي تهم حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأعطى جان جاك روسو(من خلال مقولته الشهيرة:) الإرادة العامة مفهوما أوسع للمواطنة يرتكز على تدبير شؤون المجتمع من لدن أشخاص مدنيين فاعلين،

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) Uhttp://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=212605U

ISBN: 978-9922-21-412-2

والذين هم أساس مشروعية ممارسة السلطة [١] ويحدد (سييس) صفات المواطن الفاعل من خلال التمثيلية التي تجعل المواطنة لا تنحصر فيمن لهم أهلية الانتخاب، أي أن الذين لم يبلغوا بعد سن التصويت لا تنتفي عنهم صفة المواطنة، وأن المنتخب يمثل الأمة بكاملها خلال ولاية محددة المدة، وتخول المواطنة حق متابعة المؤسسات التمثيلية، ومطالبتها بتحقيق الرغبات العامة، وبذلك لا يكون الأفراد المواطنون مجرد تابعين خاضعين، وإنما مشاركين فاعلين[٢]

ومع تطور الديموقراطية، أصبحت الحقوق التي تخولها الهوية والمواطنة، كالايما بالعقيدة والمشاركة في الحياة السياسية وفي اتخاذ القرارات، ترتبط بحرية تأسيس الأحزاب والنقابات والجمعيات المدنية، وحرية الانتماء إليها، والمشاركة من خلالها في تكوين الرأي العام، وبلورة توجهاته؛ وهنا يتبين الارتباط الوثيق بين المواطنة والديموقراطية، فلا مواطنة دون توفر مقومات النظام الديموقراطي السليم، الذي يقوم أساسا على سلطة المؤسسات المنبثقة من الشعب، ويضمن الحريات الفردية والجماعية، واحترام حقوق الإنسان، والتعددية الحزبية التلقائية، التي يفرزها اختلاف المصالح، وتعدد وجهات النظر حول أساليب تدبير الشأن العام.

والعلاقة بين الهوية الإسلامية والمواطنة، والمواطن، والوطن، لا تنحصر في الاشتقاق اللغوي، وإنما تمتد إلى الارتباط الوثيق في المضامين، فلا مجال لتجسيد مفهوم المواطنة بما يعنيه من مشاركة مباشرة أو غير مباشرة . في تدبير الشأن العام، ومسؤولية تجاه الوطن، دون وجود مواطن يُدرك بوعي حقوقه وواجباته، في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويشعر بأنه معني بما يجري داخل الفضاء الذي يسمى الوطن، فلا مواطنة بدون مواطن، ولا مواطن بدون ولاء للوطن، وتفاعل إيجابي مع قضاياه، وانخراط حقيقي في شؤونه.

وفي العصر الحديث الذي يتميز بالتكتلات السياسية والاقتصادية الكبرى، بدأت تبرز أشكال جديدة للهوية والمواطنة، لا تنحصر فيها روابط المواطن بالدولة التي ينتمي إليها، وإنما تتسع هذه الروابط لتشمل مجموعة من الدول التي تجمع بينها مواثيق لتنسيق وتوحيد مواقفها وبرامجها السياسية والاقتصادية والثقافية، كما هو الحال بالنسبة للاتحاد الأوربي[٣].

---

(١) علي حسن الربيعي، تحديات بناء الدولة العراقية صراع الهويات ومأزق المحاصصة الطائفية ، من مجموعة باحثين، ص٦١.

(٢) مراد، إشكالية الهوية ، ص ٨٥.

(٣) احد سلمان محمد شناوة ، ما تبقى من الاسلامية العراقية ، ، ٢٣ – ٢٢ / ٤ / ٢٠١٠ – الحوار المتمدن – العدد: ٢٩٨٣ ، ص٩٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

مقومات الهوية الاسلامية الوطنية

من خلال ما تقدم يتبين أن الهوية الإسلامية والمواطنة ليست وضعية جاهزة يمكن تجليها بصورة آلية عندما تتحقق الرغبة في ذلك، وإنما هي سيرورة دينية تاريخية، وديناميكية مستمرة، وسلوك يكتسب عندما تتهيأ له الظروف الملائمة، وهي ممارسة في ظل مجموعة من المبادئ والقواعد، وفي إطار مؤسسات وآليات تضمن ترجمة مفهوم المواطنة على أرض الواقع؛ وإذا كان من الطبيعي أن تختلف نسبيا هذه المتطلبات من دولة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر بسبب اختلاف الثقافات والحضارات، والعقائد والقيم، ومستوى النضج السياسي، فإنه لابد من توفر مجموعة من المقومات الأساسية المشتركة، ووجود حد أدنى من الشروط التي يتجلى من خلالها مفهوم المواطنة في الحياة اليومية للمواطنين، وفي علاقاتهم بغيرهم، وبمحيطهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وفيما يلي نشير إلى أهم المقومات والشروط التي لا مجال للحديث عن الهوية الإسلامية الوطنية في غيابها:

١. المساواة وتكافؤ الفرص:

لا تتحقق الهوية الإسلامية والمواطنة إلا بتساوي جميع المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات، وتتاح أمام الجميع نفس الفرص، ويعني ذلك التساوي أمام القانون الذي هو المرجع الوحيد في تحديد تلك الحقوق والواجبات، وإذا كان التساكن والتعايش والشراكة والتعاون من العناصر الأساسية التي يفترض توفرها بين المشتركين في الانتماء لنفس الوطن، فإنها تهتز وتختل في حالة عدم احترام مبدأ المساواة، مما يؤدي إلى تهديد الاستقرار، لأن كل من يشعر بالحيف، أو الحرمان دون حق مما يتاح لغيره، وتنغلق في وجهه أبواب الإنصاف، يصبح متمردا على قيم المواطنة، ويكون بمثابة قنبلة موقوتة قابلة للانفجار بشكل من الأشكال[١].

والوطن الذي تتعدد أصول مواطنيه العرقية، وعقائدهم الدينية، وانتماءاتهم الثقافية والسياسية، لا يمكن ضمان وحدته واستقراره إلا على أساس مبدأ المواطنة الذي يرتكز على منظومة قانونية وسياسية واجتماعية وأخلاقية متكاملة، والمساواة كمقوم رئيسي للمواطنة، تعني أنه لا مجال للتمييز بين المواطنين على أساس الجنس، أو اللون، أو الأصل العرقي، أو المعتقد الديني، أو

---

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر نادية فاضل عباس فضلي، المواطنة والهوية المشتركة دورها في بناء الدولة العراقية، تحرير علاء عكاب، مجموعة باحثين إستراتيجية بناء دولة العراق بعد الانسحاب الأمريكي،من أعمال المؤتمر السنوي لقسم الدراسات،.(السياسية بيت الحكمة، مطبعة شفيق ٢٠١١ ، ص ٦٩٨ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

القناعات الفكرية، أو الانتماء والنشاط السياسي والنقابي والجمهوري، واختلاف الفئات وصفاتها وانتماءاتها لا يجعل أيا منها أكثر حظا من غيرها في الحصول على المكاسب والامتيازات، كما لا يكون سببا في انتقاص الحقوق، أو مبررا للإقصاء والتهميش، وحسن تدبير الاختلاف والتعدد لا يتم إلا في إطار المواطنة التي تضمن حقوق الجميع، وتتيح لكل المواطنين والمواطنات القيام بواجباتهم وتحمل المسؤوليات في وطنهم على أسس متكافئة، وإرساء مبدأ المواطنة في منظومة الروابط والعلاقات التي تجمع بين أبناء الوطن الواحد وبينهم وبين مؤسسات الدولة، لا يمكن أن يقوم على إلغاء الصفات والانتماءات والمعتقدات وغيرها من خصوصيات بعض الفئات، وإنما يقوم على احترامها، وإتاحة أمامها فرص المشاركة في إغناء الوطن وتنمية رصيده الثقافي والحضاري.

ولحماية مبدأ المساواة بين جميع المواطنين والمواطنات داخل المجتمع الذي تتناقض فيه المصالح والأغراض، فإنه لابد من وجود ضمانات قانونية وقضاء مستقل وعادل يتم اللجوء إليه من طرف كل من تعرضت حقوقه للمس أو الانتهاك من لدن الآخرين سواء كانوا أشخاصا طبيعيين أو اعتباريين.

والدستور المغربي على غرار معظم الدساتير في العالم ينص على أن » جميع المغاربة سواء أمام القانون« ، ويلاحظ أن المشرع استعمل كلمة(المغاربة) عوض (المواطنين والمواطنات) التي تحيل بشكل واضح من الناحية الاصطلاحية على مبدأ المواطنة، كما يلاحظ أن واقع الحياة اليومية في مختلف المجالات ما زالت تعرف الكثير من التجاوزات التي تخل بالمبدأ الدستوري الذي يقر المساواة، وتحول بالتالي دون تجلي قيم المواطنة، ولذلك لا تقف بعض الدساتير في الديموقراطيات الغربية عند حد تسجيل المبدأ، وإنما تذهب إلى أبعد من ذلك لضمان احترامه في الممارسة، مثل الدستور الإيطالي الذي بعد تأكيده على أن »[1] لكل المواطنين نفس القدر من الكرامة الاجتماعية، وهم سواء لدى القانون، دون تمييز في الجنس، أو العرق، أو اللغة، أو الدين، أو الأفكار السياسية، أو الأوضاع الشخصية والاجتماعية« يضع على الدولة مسؤولية« إزالة جميع العوائق الاقتصادية والاجتماعية التي تحد في الواقع من حرية المواطنين والمساواة

(١) شناوة ، ما تبقى من الاسلامية ، ص٩٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

بينهم، وتحول دون التنمية التامة للشخصية الإنسانية، ودون مشاركة جميع العاملين الفعلية في بنية البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية«[1].

٢. المشاركة في الحياة العامة:

ولا يكفي ضمان المساواة والتكافؤ في القوانين المسطرة، والأنظمة المتبعة، وفي الممارسة، لكي يتجلى مبدأ الهوية الإسلامية، وإنما لابد كذلك من المشاركة الفعلية للمواطنين والمواطنات في الحياة العامة، الأمر الذي يتطلب توفر استعدادات حقيقية لدى كل المشتركين في الانتماء للوطن، وهذه الاستعدادات لا تتوفر إلا في حدود ضيقة في ظروف قمع الحريات، ومصادرة الفكر المتحرر من التبعية والخنوع، وفي ظل الأنظمة التي تناهض العمل السياسي الذي يحمل رؤية انتقادية، أو موقف معارض للحكام وللسياسات المتبعة؛ ففي مثل هذه الظروف التي تعرفها المجتمعات المتخلفة عموما، ومنها البلاد العربية والإسلامية، يلاحظ انزواء كثير من الكفاءات، وبروز الفردانية، والابتعاد عن المشاركة في الحياة العامة، والنفور من العمل السياسي، وغير ذلك من الظواهر المناقضة للمواطنة، فالأنظمة القمعية، ولو اختفت وراء ديموقراطيات شكلية، مسؤولة عن تقليص فرص المشاركة، ومدمرة لقيم المواطنة؛ ولا يتأتى نمو استعداد المواطنين والمواطنات للمشاركة في الحياة العامة إلا في ظل حرية الفكر والتعبير، وحرية الانتماء والنشاط السياسي والنقابي والجمهوري، وفي إطار الديموقراطية التي يكون فيها الشعب هو صاحب السيادة ومصدرا لجميع السلطات.

والمشاركة في الحياة العامة تعني أن إمكانية ولوج جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية متاحة أمام الجميع دون أي ميز، بدءا من استفادة الأطفال من الحق في التعليم والتكوين والتربية على المواطنة وحقوق الإنسان، واستفادة عموم المواطنات والمواطنين من الخدمات العامة، ومرورا بحرية المبادرة الاقتصادية، وحرية الإبداع الفكري والفني، وحرية النشاط الثقافي والاجتماعي، وانتهاء بحق المشاركة في تدبير الشأن العام بشكل مباشر كتولي المناصب العامة وولوج مواقع القرار، أو بكيفية غير مباشرة كالانخراط بحرية في الأحزاب السياسية، وإبداء الرأي حول السياسات المتبعة، والمشاركة في انتخاب أعضاء المؤسسات التمثيلية على المستوى المحلي والوطني والمهني.

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن مفهوم المواطنة ينظر جواد مطر الموسوي ، المواطنة وتدريس حقوق الإنسان ، المجلة السياسية. ٢٠١٠ ، ص ١٢٩ ، والدولية ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية، السنة ٤، العدد ١٤.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وعندما تتاح الفرص المتكافئة للمشاركة أمام كل الكفاءات والطاقات يكون المجال مفتوحا للتنافس النوعي الذي يضمن فعالية النخب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويضفي الحيوية على المشهد الوطني، مما يساهم في خلق واقع ينشد التطور المتواصل والارتقاء المستمر[١].

والمشاركة بالمفهوم الواسع المبين أعلاه، تعني توفر فرص الانخراط التلقائي في مختلف مجالات الحياة العامة وحقولها، ولذلك فهي تختلف عن الإشراك الذي ينطوي على مفهوم المنح من سلطة عليا تحكم بأمرها، لرعايا تابعين خاضعين لنفوذها، لأن الإشراك بهذا المعنى يتناقض مع مفهوم المواطنة ويتعارض مع مقوماتها[٢].

٣.الولاءللدين والوطن:

ويعني الولاء للدين والوطن أن الرابطة التي تجمع المواطن بوطنه تسمو عن العلاقات القبلية والعشائرية والحزبية، ولا خضوع فيها إلا لسيادة الشريعة الربانية والقانون، وأن هذه الرابطة لا تنحصر في مجرد الشعور بالانتماء وما يطبع ذلك من عواطف، وإنما تتجلى إلى جانب الارتباط الروحي والوجداني، في إدراك واعتقاد المواطن بالله وأن هناك التزامات وواجبات نحو الدين والوطن لا تتحقق الهوية الإسلامية الوطنية دون التقيد الطوعي بها.

ولا تتبلور في الواقع صفة الهوية الإسلامية الوطنية والمواطن كفرد له حقوق وعليه واجبات، بمجرد توفر ترسانة من القوانين والمؤسسات، التي تتيح للمواطن التمتع بحقوقه والدفاع عنها في مواجهة أي انتهاك، واستردادها إذا سلبت منه، وإنما كذلك بتشبع هذا المواطن بقيم الدين والمواطنة وثقافة القانون، التي تعني أن الاحتكام إلى مقتضياته هو الوسيلة الوحيدة للتمتع بالحقوق وحمايتها من الخرق، وبالتالي لا مجال لاستعمال العلاقات الخاصة مع ذوي النفوذ، أو الاحتماء بمركز الفرد في القبيلة أو العشيرة، وهي ظواهر ما زالت حاضرة في الكثير من العقليات والسلوكيات داخل مجتمعنا المغربي والمجتمعات المتخلفة عموماً [٣]،والتي ترفضها هويتنا الإسلامية.

---

(١)

Uhttp://www.mesopot.com/default/index.php?option=com_content&viewarticle&id=246%3A2010-08-08-04-52-24&catid=41&limitstart=2U1

(٢) للمزيد من التفاصيل عن النظام التوافقي ينظر شاكر الانبا ري (اعداد) الديمقراطية التوافقية مفهومها ونماذجها، معهد الدراسات. الاستراتيجية ط. ١، بيروت – بغداد، ٢٠٠٧ ، ص ٥.

(٣) خيمتنا، اب ٢٠٠٥ ،من المادة ٤٥ – الى المادة ٧٧ ، ص –ص ١٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ويعني الولاء للدين والهوية الاسلامية للون شعور كل مواطن بأنه معني بخدمة الوطن، والعمل على تنميته والرفع من شأنه، وحماية مقوماته الدينية واللغوية والثقافية والحضارية، والشعور بالمسؤولية عن المشاركة في تحقيق النفع العام، والالتزام باحترام حقوق وحريات الآخرين، واحترام القوانين التي تنظم علاقات المواطنين فيما بينهم، وعلاقاتهم بمؤسسات الدولة والمجتمع، والمساهمة في حماية جمالية ونظافة المدينة أو القرية التي يقيم بها، وحماية البيئة فيها، والمشاركة في النفقات الجماعية، والانخراط في الدفاع عن القضايا الوطنية، والتضامن مع باقي المواطنين والهيئات والمؤسسات الوطنية في مواجهة الطوارئ والأخطار التي قد تهدد الوطن في أي وقت، والاستعداد للتضحية من أجل حماية استقلال الوطن، والذود عن حياضه، وضمان وحدته الترابية، والارتكاز في ذلك على مبدأ عام يُفترض أن يربط بين مختلف فئات المواطنين وهو اعتبار المصالح العليا للوطن فوق كل اعتبار، وأسمى من كل المصالح الذاتية الخاصة والأغراض الفئوية الضيقة[1].

والولاء للدين والوطن لا ينحصر في المواطنين المقيمين داخل حدود التراب الوطني، وإنما يبقى في وجدان وضمير وسلوك المواطنين الذين تضطرهم الظروف للإقامة في الخارج، لأن مغادرة الوطن لأي سبب من الأسباب، لا تعني التحلل من الالتزامات والمسؤوليات التي تفرضها الهوية الإسلامية الوطنية والمواطنة، وتبقى لصيقة بالمواطن تجاه وطنه الأصلي حتى ولو اكتسب الجنسية في دولة أخرى.

المحور الثاني : إعادة تشكيل وبناء الهوية الاسلامية الوطنية العراقية بمنظورها الصحيح

إذا كان التعلق العاطفي بالوطن يوجد لدى الإنسان بالفطرة، فإن الوعي بمقومات بالهوية الإسلامية الوطنية ، وما يتبعه من إحساس بالمسؤولية، والتزام بالواجبات نحو الوطن، يكتسب بالتعليم والتأهيل، عن طريق الأسرة، والمدرسة، ووسائل الإعلام، والثقافة، والمجتمع، وإذا كانت كل هذه القنوات تتكامل أدوارها في إشباع الأجيال بقيم المواطنة، فإن النتائج لابد وأن تكون ملموسة في تسريع وتيرة ارتقاء المجتمع وتحضره.

وفي ضوء أحكام الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل المعتمدة سنة ١٩٨٩، فإن الطفل الذي يجب أن يلج المدرسة، وأن يحظى بتنشئة اجتماعية في ظروف جيدة، لا يمكن النظر إليه كمجرد تلميذ ينبغي إعداده لكي يكون مواطنا في المستقبل يحمل الهوية الإسلامية الوطنية، فهو مواطن في

(١) الموسوي ،المواطنة ، ص٢٩٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الأصل، وتربيته على الهوية الإسلامية الوطنية تعني تحضيره للمشاركة الفاعلة في خدمة وطنه، وتزويده بالمعارف والمهارات والقيم التي تؤهله لتحمل المسؤوليات في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وتُعده للمساهمة الإيجابية في تطوير المجتمع الاسلامي نحو الأفضل.

وهناك اهتمام متزايد في الدول الاسلامية والديموقراطية في غرب أوربا كفرنسا بموضوع التربية على الهوية والمواطنة [١] وتأسست لجان للتنسيق على مستوى الاتحاد الأوربي في هذا المجال، سبق أن أعدت برنامج عمل مشترك للتربية على المواطنة الديموقراطية (E.C.D.) يهم الفترة (٢٠٠١- ٢٠٠٤) وتم التحضير لجعل سنة ٢٠٠٥ سنة أوربية للمواطنة بالتربية[٢].

ويحدد المكتب الدولي للتربية (B.I.E.)، أربعة أبعاد للتربية على المواطنة وهي:

- حقوق الإنسان: كونية حقوق الإنسان،الدين والمساواة في الكرامة، والانتماء إلى المجتمع.
- الديموقراطية: إعداد الفرد للحياة السياسية والمدنية.
- التنمية: إكساب اليافعين والشباب الكفاءات والمؤهلات الضرورية لمواكبة التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية لمحيطهم، ومقومات التنمية المستدامة ووفق المنظور الاسلامي.
- الاسلام: كنتيجة وسيرورة المواطنة المستمدة من حقوق الإنسان، والهادفة للتنمية المستدامة[٣].

ومن أبرز أسباب ومظاهر التخلف في معظم بلدان العالم الثالث، النقص في التربية على الهوية الإسلامية الوطنية، وما يترتب عن ذلك من ضعف الإحساس بالدين وبالمسؤوليات والالتزامات تجاه الوطن؛ وإذا كان من الممكن تبرير اقتران هذه الظاهرة السلبية بأشخاص لم يلجوا المدرسة، أو انقطعوا عنها في مستويات متدنية، فإنه من الغريب أن تقترن بأشخاص يُفترض أنهم من النخبة، بالنظر لمستوياتهم التعليمية، ومواقعهم المهنية والاجتماعية، والتزام الأفراد بمقومات الهوية الإسلامية الوطنية يرتبط بالسلوك الحضاري الذي قد يتحلى به أحيانا مواطن عادي ولو

---

(١) د.إبراهيم الحيدري، مفهوم الهوية الاسلامية الجمعة، ٨ شباط ٢٠٠٨ ،ص٣٢؛ "١٩٣٦ Constitution of the USSR. Chapter II: The Organization of the Soviet State,p24.

(٢) نظلة الجبوري، المواطنة. تحولات المفهوم والخطاب ، مجلة دراسات سياسية ، بيت الحكمة ، بغداد، العدد ١٢ص ٨٢.

(٣) المرجع نفسه.

ISBN: 978-9922-21-412-2

لم ينل حظه الكافي من التعليم، وقد لا يتحلى به شخص حاصل على شهادات عليا ومتحمل لإحدى المسؤوليات في الدولة.

ومن المؤسف أن نرى أشخاصا يرددون كلمة الهوية الإسلامية الوطنية كشعار، ولا يترجمون في سلوكهم اليومي ما تفرضه الهوية الإسلامية الحقيقية من واجبات والتزامات، كمن تسيطر عليهم الأنانية الذاتية فيعيشون لأنفسهم فقط، ويعتبرون أن الوطن يجب أن يوفر لهم ما يحتاجون إليه من خدمات عامة متنوعة دون أن يساهموا بأي عمل لصالح هذا الوطن، أو الذين يتهربون من أداء الضرائب، أو يتعمدون الغش في نشاطهم المهني، أو يستغلون مواقع النفوذ للارتشاء وممارسة المحسوبية والزبونية، وتشجيع الوصولية، أو ينهبون المال العام، أو يستغلون الممتلكات العمومية لمصلحتهم الخاصة، أو يهربون الأموال إلى خارج البلاد، والذين يهمشون اللغة أو اللغات الوطنية، ويعملون على إحلال لغة أجنبية محلها، فلا يستعملونها للتعرف على الثقافات الأجنبية، وللتحاور مع الأجانب، وإنما يستعملونها في حياتهم اليومية، ويتحدثون بها داخل محيطهم الاجتماعي، ومع أبنائهم، وما يتبع ذلك من استلاب وتنكر للقيم وللثقافة الوطنية،بسبب الابتعاد عن الإيمان بالله .

وعندما لا تتوفر الايمان بالله وحدة المدرسة، ولا يتلقى أبناء الوطن الواحد نفس التعليم، فيتوجه أبناء بعض الأسر الميسورة إلى البعثات الأجنبية، بدافع البحث عن الجودة في التعليم، ويتوجه الآخرون إلى التعليم الوطني الرسمي أو الخاص، فإن الآثار المترتبة عن ذلك لا تنحصر في هدم مبدأ تكافؤ الفرص بين المواطنين، وإنما ينتج عن ذلك أيضا التناقض في السلوك، والتضارب في القيم، لأن التعليم الأجنبي فضلا عن تلقينه باللغة الأجنبية، فهو يغرس في التلميذ قيما ومفاهيم وسلوكيات ترتكز على المرجعية الثقافية للمدرسة الأجنبية التي تلقى تعليمه فيها، ويصبح بعيدا . ولو لم يرغب في ذلك . عن لغته وثقافته الأصليتين، وتحصل فجوة بينه وبين باقي المواطنين.

ولذلك فإن التربية الإسلامية على الهوية الإسلامية الوطنية ، فضلا عما تتطلبه من إيمان بالله واليوم الآخر توجيه سليم، وقدوة صالحة، داخل الأسرة والمجتمع، تتوقف على وحدة المدرسة، التي ترتكز على مبدأ أساسي وهو أن التربية والتعليم حق لكل طفل، وتضمن تكافؤ الفرص والمساواة بين جميع أبناء الوطن الواحد، سواء كانوا من أسر ميسورة أو فقيرة، أو كانوا من سكان الحواضر أو البوادي، وتتوحد في تلقين نفس المناهج التي ترتبط بالمحيط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ولا تقتصر على إعطاء التلاميذ مجموعة من المهارات والمعلومات، وإنما

ISBN: 978-9922-21-412-2

تشبعهم بالإضافة إلى ذلك، بقيم الهوية الإسلامية والمواطنة والديموقراطية وحقوق الإنسان، وتنمي لديهم الايمان والإحساس بالمسؤولية، وحب العمل الجماعي، وقبول الاختلاف، والتعايش مع الآخر، وتغذيهم بقيم التسامح، ونبذ العنف والإقصاء، والاعتدال وعدم التطرف، وأخذ المعرفة على أساس النسبية، وتعود التلاميذ على المناقشة والتحليل، واستعمال الفكر، والاحتكام إلى العقل في الاستنتاج، والتمرس بالتعبير عن الرأي، في إطار الحوار المنتج، وتحفزهم على الابتكار والمبادرة الشخصية، وتؤهلهم لولوج عالم المعرفة من أوسع أبوابها، والانفتاح على القيم الإنسانية الكونية[١]،وهذا كله هو جوهر الإسلام المحمدي،الذي يسعى إلى بناء هوية إسلامية وطنية .

ولا يمكن تحقيق الهوية الإسلامية الوطنية عن طريق مادة دراسية ضمن برامج التعليم، وإنما يتم ذلك عبر مناهج اسلامية وطرق التلقين في مختلف المواد، ومن خلال أسلوب تعامل المعلمين والأساتذة والمؤطرين مع التلاميذ، وبمشاركة هؤلاء في اختيار نظام تسيير القسم الدراسي، وتسيير المؤسسة التعليمية بصفة عامة وفق الشريعة الإسلامية ، وذلك بواسطة ممثلين مؤمنين يختارونهم بطريقة ديموقراطية؛ وعندما تتوفر المدرسة مناهج اسلامية بالشروط والمواصفات الشرعية، يمكن أن نطلق عليها:المدرسة الهوية الإسلامية الوطنية.

وفي الدول العربية يلاحظ خلال السنوات الأخيرة، أنه من الناحية النظرية، أصبح موضوع التربية على الهوية الإسلامية الوطنية غير غائب عن الاهتمامات الرسمية، ويتجلى ذلك من خلال بعض برامج الاسلامية الخطب الدينية، وبرنامج التربية على حقوق الإنسان بالتعليمين الأساسي والثانوي، وميثاق برلمان الطفل الذي حدد من ضمن أهدافه «التربية على الديموقراطية والمواطنة والتسامح» [٢]،وهذا هو منهج الاسلام المحمدي الذي ينبع من خلال الواقع الذي تعرفه بلادنا الاسلامية وغيرها من البلدان التي ما زالت تعاني من التخلف، يبدو أن هناك مسافة غير قصيرة ما زالت تفصلنا عن إقامة المدرسة ذات الهوية الإسلامية الوطنية ، بالشروط والمضامين المبينة أعلاه، لتصبح أبوابها مفتوحة أمام جميع أبناء الوطن دون أي ميز، مع خلق مناخ اسلامي ثقافي وإعلامي واجتماعي ملائم للتربية على الهوية الإسلامية الوطنية ، ولا يمكن اجتياز هذه المسافة

---

(١) Uhttp://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=64154U

(٢) نظلة الجبوري، المواطنة.. تحولات المفهوم والخطاب ، مجلة دراسات سياسية ، بيت الحكمة ، بغداد، العدد ١٢ص ٨٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ببساطة، وإنما تحتاج إلى إرادة اسلامية قوية وجهد كبير، يرتبط بشكل وثيق بالعمل على إقامة مجتمع ديموقراطي حقيقي [١].

النتائج والتوصيات :

في نهاية البحث كانت هنالك جملة نتائج خرج بها الباحثان منها :

١. الهوية الإسلامية الوطنية هي تاريخنا المهم والوجه المشرق للمسلمين.
٢. كان للاحتلال الامريكي للعراق ما بعد ٢٠٠٣ نتائج عديدة انعكست سلباً على جميع المفاهيم الاجتماعية ، وعلى رأسها الهوية الإسلامية الوطنية.
٣. حاول الاحتلال الامريكي اضافة سمة التعددية للمجتمع العراقي قائمة على وجود فئات حزبية متنوعة ،الامر الذي ساعد على طمس مفهوم الهوية الإسلامية الوطنية .
٤. ان الجذور الاولى للهوية الإسلامية الوطنية تبدأ من داخل الاسرة نفسها ، لذا فمن الجدير بالدولة الالتفات الى هذه النواة الصغيرة وتثقيفها والعناية بها ، لتكون هي الجذور الاولى لبناء الهوية الإسلامية والمواطن بالصورة الصحيحة .
٥. عند إجراء دراسة تحليلية لموضوع الهوية الإسلامية الوطنية في البلدان العربية ، نلاحظ ان هذا الموضوع بدأ يأخذ حيز واسع الاهتمام على المستوى الاعلامي والاكاديمي ،على العكس مما هو موجود في العراق، لذا وجب التفات الدولة الى الاهتمام بالسلطة الرابعة وتوظيفها توظيف صحيح ، الامر الذي له اثار مباشرة على تنمية مفهوم الهوية الإسلامية الوطنية داخل كل فرد عراقي .
٦. مفهوم الهوية الإسلامية كونه مهم فهو بحاجة إلى مزيد من الدراسات.
٧. من المهم أن يكون مفهوم الوحدة الإسلامية واضح الأهداف والمعالم لأنه يمثل دستور المسلمين.

---

(١) المرجع نفسه.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الهوية ومفهوم الحرية دراسة في العلاقة من منظور إسلامي مفهوم الحرية عند محمد حسين الطباطبائي أنموذجاً

م.م. جعفر صادق أيوب الجزائري/ كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة – أقسام البصرة.
jafar.sadiq@alkadhum-col.edu.iq

مقدمة :

تعتبر (الهوية) من المفاهيم الحسّاسة والجدلية في الطرح المعاصر، لما تواجهه من تعريف ومحدّدات نشأت نتيجة المفاهيم السائدة في دائرة الفكر، والتي لها مرجعيات فكرية وعقدية وفلسفية متنوعة. ويعتبر مفهوم (الحرية) واحد من أهم هذه المفاهيم التي لها دور في تحديد (الهوية). فبين الرؤية الدينية من جهة، والفلسفات المعاصرة المادية المتنوعة من جهة أخرى، وما يتولّد منهما من مفاهيم تتجاذب الإنسان المعاصر في إدارة حياته، هناك مفاهيم اعتبرت بدورها أساساً لنجاح الاجتماع البشري في وقتنا الحاضر، وتكون حجراً أساس في تشكيل (الدولة المدنية) المبنيّة على فلسفة خاصة في العصر الحديث، تصاغ من خلالها سياستها وثقافتها، وأعني هنا خاصة مفهومي (الهوية) و (الحريّة). في هذا السياق خضع مفهوم الحرية لتفسيرات متنوعة، ويواجه صعوبات في التعريف أو التحديد، تعود في أساسها للرؤية المعرفية والفكرية المسبّقة، مما يلقي بضلاله على تعريف (الهوية) في النهاية.

تسعى هذه الدراسة لبيان (مفهوم الحرية) وما يبنى عليه من في ضوء الرؤية الإسلامية، ودوره في خارطة تشكيل الهوية الإسلامية (الدينية)، كل ذلك مقابل نظرية في الاتجاه الآخر لا تؤمن بالرؤية الدينية هذه.

ويعود واقع الأمر لكون هذه الرؤية الدينية تتبنى تفسيرا وتحديداً (للحرية) مطلقا من كل قيد عدا العبودية لله تعالى ، وفي ظل هذه (العبودية) تخضع المحدّدات التي تطرح للمفهوم لنسقٍ واحدٍ تفرضه الرؤية المنبثقة من قِيم محدّدة دينياً، وباتساق مع مفهوم المسؤولية والإرادة الحرة للإنسان في اختيار مصيره. فيبرز كأساس لهذه القوانين – حسب هذه الرؤية الإسلامية – عناصر: التوحيد، والمعاد، والأصول الأخلاقية المبتنية على رؤية توحيدية.

أما مدى تأثير هذه الرؤية على القيم الأخلاقية، وسياسة الإنسان في الاجتماع العام؟ وهل يؤثر تبني رؤية دينية (للحرية) في (هوية) الأحكام الأخلاقية للإنسان المسلم فهذا ما سنعالجه في القسم الثاني من البحث في تحديد العنصرين الأساسين الذين يشكلان ركني (الهوية) الدينية للإنسان المسلم.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وقد كان منهج هذه الدراسة يعتمد التتبع التاريخي للمفاهيم، مع تحليل ووصف لها، مستفيدين من المقارنة والنقد لتأصيل الفكرة وبيان أهداف الدراسة..وختم ذلك بشرح للرؤية الإسلامي لدلالة مفهومي (الهوية) والحرية) من خلال أنموذجا بارز لأحد المفكرين والفلاسفة المعاصرين.

الكلمات الأساسية: الهوية، الحرية، التوحيد، الدين، النظرية الأخلاقية، هيوم، كانت، الطباطبائي.

مدخل:

إن من الضروري والجوهري اكتشاف بنية الهوية الإسلامية كمنظومة متكونة من عناصر أساسية، لها من الصلابة والثبات ما يحفظ ماهيتها وجوهرها الذي أراده لها الله –سبحانه– ، كذلك – وفي نفس الآن – يحتم علينا اكتشاف جهات وحيثيات المرونة والاحتواء في تلكم العناصر الذي يتوافق مع هذه العناصر الثابتة والجوهرية بحيث يجعلها قابلة لكل زمان ومكان رغم كل المتغيرات التي يصطدم بها الإنسان أو يصل لها في تراكمات الفكر البشري على مرور الأوقات..

وهذه ليست دعوى للإيمان بجمع المتناقضات (الثابت – المتغير)، أو لتمييع الهوية وتزييفها بحسب المتغيرات، بل هي دعوى للوقوف على حقيقة هذه العناصر التي لا ينبغي لها إلا أن تكون بهذا الشكل، ولها هذه القابلية من خصوصية الهوية واحتواء المتغيرات..

فالإسلام ، والهوية الإسلامية – بالتبع – ليس حجرا أو نيزكا جاء من الفضاء إلى الأرض ليبقى كل هذه القرون، كما عرفناه آنذاك واليوم، على حاله... بل إنما هو نظام حياة، أريد له – بطبيعة الحال– أن يدير زمام الأمور ويتعاطى مع مختلف الظروف وأنواع التحديات والعصور.. كل ما في الأمر علينا نحن أن نتخلى عن ذاتيتنا ونكتشف الأمور بموضوعية أكبر، فسيمكننا ذلك من استنطاق مختلف لكل متغير بحسبه وينسجم مع روح عصره من دون تناقض في البين.

هذا الاحتواء لمختلف التغيرات لا يضر بهوية الإسلام إلا عند من هو مقتنع أن الإسلام له صفة واحدة جامد عليها، وله فهمٌ واحدٌ قد أدركه سلفنا من قبل وقرّره بلغته آنذاك وانتهى الأمر!! أمّا من يرى الإسلام ذا معدنٍ نفيسٍ ومعطى غنيٍ بكل ما هو ثمين لكل زمن، ونستطيع نحن أن نتفاعل معه لنأخذ منه بحسب نوع التعاطي ما ينفعنا، فسوف لا يجد في كل تغيير وتحوّل أيّ حراجة ما دامت المقاصد والبنى العليا محفوظة ومحافظة على الإطار الأساس.

ISBN: 978-9922-21-412-2

١. إشكالية الهوية - الحرية:

يعيش الإنسان المسلم الواعي همّين أساسيين يشغلانه بشكل مستمر، ولا بدّ من ذلك له. الهمّ الأول: الوعي بهويته الدينية والخشية عليها من ذوبانها أو خسارتها نهائياً، والتوفيق بينها وبين الهويات الأخرى التي تشكل تحدياً آخر أو تقاطعاً، مع هويته التي ينتمي لها كإنسان مسلم.

والهمّ الآخر تحدي النهضة والتطوير والنقد وحلّ المشكلات التي يواجهها ، للنهوض بواقعه تجاه ما يجده من نقص يعتري منظومته الفكرية التي يحتويها إطار (الهوية)، فيجد النقص ماثلا للعيان، والإشكالات تتوالد وتأتيه من كل صوب نتيجة الحراك الحضاري الفكري والتحدي الذي يعيشه مع ثقافة الآخر وإشكالاته ونقده المستمر لهويته، والذي يشكّل واقعاً لا مفرّ منه البتة.

ونريد التركيز هنا على عنصر الهوية الدينية والوعي بأهم تحدياتها في هذه الدراسة العاجلة، لكن من جانب واحد وحيثية واحدة؛ لأن – وكما لا يخفى– تغطية كل جوانب التحدي للهوية وبدراسة واحدة بهذا الحجم صعب المنال. وأعني بهذا الجانب: عنصر التحدي الأبرز الذي يهدد الهوية هو (مفهوم الحرية). الذي بات أداة وسوطاً تجلد به كل القيم الأخرى ما لم تلتئم معه بكل ما لها من تفاصيل.

وتتهم بالجمود أو الرجعية والتخلف ما لم تجامل أو تقبل هذا المفهوم (المتغطرس)، نعم أضحى مفهوم (الحرية) أيقونة التعريف: للحضاري، والمدني، والمتجدد، والليبرالي، وللعقلاني،..إلخ والعلمي كذلك. فهذا المفهوم السحري إذا لم تتضمنه منظومتك الفكري فإنّك ستكون بعيداً عن العقلانية واحترام الإنسانية فيك.. ولن ينال تنظيرك حظوة الانسجام المنطقي والعلمي أبداً !

٢. تحليل مفهوم الحرية وتاريخه:

٢,١ مفهوم الحرية في الفلسفة الغربية:

لم يكن مفهوم الحرية تاريخياً في الفلسفة الغربية ذا دلالة واحدة ثابتة، بل كان لمفهوم الحرية تطور كبير في معناه، لكن المسلّم أنّ أشد معانيه جدلاً هو ما نشأ بعد ثورة الإصلاح الديني في أوربا في ما بعد في القرون المتأخرة. أما قديماً: " فأصل مفهوم الحرية ينبغي البحث عنه في النطاق القانوني وفي عصور ما قبل التاريخ فالإنسان الحر كان من الوجهة القانونية مختلفاً عن العبد الذي كان مملوكا له"[(١)] ثم تطور المفهوم تدريجياً.

---

(١) مفهوم الحرية في الإسلام – تأليف فرانتر روزنتال – ترجمة و تقديم د. معن زيادة – د. رضوان السيد صادر عن معهد الإنماء العربي ص ١٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٣,١,١ مفهوم الحرية في الفكر اليوناني والعصور الوسطى:

الحرية الدينية، بمعنى حرية الاعتقاد، هي في التسلسل الزمني أول الحرية [١] ، بالإضافة إلى أنها شرط سابق للحريات الحديثة كلها ، حيث لم تكن الحرية كمفهوم ذات تميّز محوري في صبغة السياسات أو الرؤية الفلسفية التي تقدّم كمثل أعلى، أو تمثّل تحدياً كمحور برأسه قبال الفلسفات المطروحة. بل كانت تشكل لبنة ضمن بناء مفهوم (العدالة) عند أفلاطون لتحقيق التوازن لأخلاق الإنسان وقدرته على تطبيق هذا التوازن في قوى النفس[٢]. أو ممارسة في تحقيق السعادة التي نشدها أرسطو بعيداً عن مثالية أفلاطون، لأنّ الإنسان كان بنظره حيواناً سياسياً[٣] يدبّر أمره بروح الاجتماع البشري ولا يستقيم ذلك من دون ممارسة حرية الإرادة كأناس أحرار متساويين في كافة الحقوق والواجبات[٤]. وهكذا كانت (الحرية) عنصر ومنهج بناء لا أكثر، يذوب داخل منظومة الدولة والاجتماع السياسي، ويخضع له المواطن خضوعاً مدنياً واجتماعياً. لكن وبعد ذلك وفي العصور الوسطى حين أصبح تأثير الديانة المسيحية له سطوته على مجرى الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية في أوربا، أصبحت إشكالية الحرية تأخذ منعرجاً ودوراً أهم، وبات التفكير في (قيمة الإنسان) وحريته قبال ما يفرض عليه من (الإله) أمراً متاحاً للجدل وتطاول الفكر. فجعل أوغسطين (مبدأ الحرية) ملازماً لمبدأ الإرادة، وما دامت الإرادة حرّة فهي خيّرة، ولذا لما كانت إرادة الإله حرّة مطلقاً فهي خيّرة بشكل مطلق لا يقبل الاستثناء[٥] (= يلاحظ جذور التفكير وتأثيره على الفيلسوف كانت)،

٣,١,٢ مفهوم الحرية في الفلسفة الحديثة:

وإنّ نظرة ثاقبة لمفهوم الحرية في الفلسفة الحديثة تبيّن لنا أنّ هذا المفهوم بما وصل له ليس ذا تركيبة بسيطة واحدة، كما كان عليه في عصور سابقة (= الإرادة الحرة)، إذا بعد التمرد على سلطة الكنيسة أضحت الحرية ليست امتداداً لحرية الدين، بل نقلت من الوضع الميتافيزيقي الفلسفي، إلى متعلق يرتبط بوجود الإنسان، فأصبحت ذات منشأ إنساني بحت، وأنّ "على

---

(١) جيل ، أنطوني ، الأصول السياسية للحرية الدينية، ص٦٣.

(٢) وهبة، مراد، الحرية في الفلسفة اليونانية، ص١٧٧.

(٣) ريمون ، غوش، الفلسفة السياسية في العهد السقراطي، دار الساقي، لبنان٢٠٠٨، ص١٤٣.

(٤) – وهبة، مراد، الحرية في الفلسفة اليونانية، ص٣٤٨.

(٥) – كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، ط القاهرة، ٢٠١٢، ص٤١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الإنسان حين يبحث في المسائل العلمية أن يتحرر من كل سلطة إلا سلطة العقل"[١] كما هي فكرة ديكارت.

ثم توالت التحديثات على مفهوم الحرية بعد أن بات معطياً إنسانياً وشرطاً في إنسانية الإنسان وعلمية تفكيره، أصبحت الرؤى والنظريات التي تصوغ السياسات لحل الأزمات التي تعصف بالعالم الغربي آنذاك، في القرن الثامن عشر تحديداً، وتؤسس لثورة ضد تسلط الكنيسة وقيودها التي تفرضها على الإنسان، وقتئذٍ أصبح مفهوم الحريّة مضمناً في كل صياغات (النظريات الأخلاقية) في ذلك الوقت بمعناها الأعم الذي يشمل إدارة السياسة والاجتماع، وأنّ التوجهات الأخلاقية للفرد منوطةٌ باستقلال إرادته، فليس من المستغرب أن يبرز تأصيلا فلسفياً لنظريات (الإرادة الحرة) و (العقد الاجتماعي)[٢] يكون فيها (مفهوم الحرية) هو المحور الأساس قبال استبداد الكنيسة وسطوتها. ورفعاً لمآسي الوضع السياسي المتدهور في تلك الحقبة. وتحديد وتقييد لسلطة الدين بشكل مباشر وصريح.

واستمر الإنسان الأوربي يعيد صياغة (مفهوم الحرية) ويطوره بما يتلاءم مع رؤيته الفلسفية للحياة، حتى أضحى هذا المفهوم تعبيراً مختزلا عن تفاصيل المذهب الأخلاقي أو الاجتماعي برمته، وتعبيراً مختزلاً عن فلسفة كاملة وتصوّر مجمل لتفاصيل حقوقية في شتى ميادين الحياة. ومن هنا يمكن أن نميز نوعين من الحريات التي استقرت في أفق الفلسفة ، بعد هذا التطور في المفهوم، كما حددها مونتسكيو في كتابه (روح القوانين) وهما : "الحرية الفلسفية : و التي تتمثل في إعمال الإرادة بوجه عام . والحرية القانونية: و التي تحدد حقوق المواطن داخل مجتمعه.[٣]

---

(١) – النشار، مصطفى، فلاسفة أيقظوا العالم ، دار قباء للنشر، ط٣، القاهرة ١٩٩٨، ص٢٣٧.

(٢) – محمد الجلالي، ملامح الحداثة السياسية في فلسفة جان جاك روسو من الحياة العارية إلى بناء المجتمع السياسي . مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٥٠، ٢٠١٩، جامعة الحسن الثاني – المغرب، ص٥(= نقلا عن صبايحي ، صبرينة، الحرية عند جا جاك روسو، سنة ٢٠١٩-٢٠٢٠، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.)

(٣) انظر: مونتسكيو، روح الشرائع، ترجمة عادل زعيتر، طبع القاهرة ١٩٥٣، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (الاونسكو).

ISBN: 978-9922-21-412-2

فأضحت الحرية بعد أن كان مجرد تعبير عن حالة قبال العبودية والرق، إلى تعبير عن الإرادة الحرة في مستواها الحقوقي القانوني، في كافة تجلياته في الحياة الأخلاقية والسياسية والاجتماعية.

ومن هنا نفهم أنّ (مفهوم الحرية) لم يعد، بنسخته الأخيرة، مفهوماً ذائباً في منظومة أو لبنة في جدار نظرية، أو شرطاً في منهج.. بل أصبح يمثل – في نوعه الحقوقي (القانوني)– تجلياً كاملاً لنظرية في الأخلاق، ورؤية في السياسة ذات أبعاد متكاملة وإن اختزلت بلفظ مختصر.

فما نواجهه من تضاد وتحدٍّ على مستوى (الهوية) ليس المفهوم بمستواه الأول الذي يمثل الإرادة الحرة (= فلسفياً)، بل ما يتضاد مع هويّة المجتمع الإسلامي هو (دلالة المفهوم) في آخر تجلياته، المعبر عن رؤية متكاملة ذات أبعاد محددة فكرياً، وسياسياً واجتماعياً. فمن الخطأ المغالطة بإطلاق (مفهوم الحرية الفلسفي) كبديهة لا بد منها في التعقّل والبحث، والخلط بينه وبين (مفهوم الحرية القانوني) الذي هو وجه آخر لدلالة ولرؤية متكاملة في الحياة ذات محددات خاصة بها.

٣,٢ مفهوم الحرية إسلامياً:

تتعاطى الأدبيات الإسلامية مع مفاهيم معادلة دلالة في المعنى لـ (مفهوم الحرية) في مستواه الفلسفي عند الفكر الغربي. أمّا كمفردة ولفظ، وإن وجدت مادته اللغوية في تعبيرات التراث شعراً أو في نصوص دينية، لكن من المؤكد أنّ هذه المادة لم تستخدم بهذه الصيغة لهذا المعنى، أو على الأقل لم أعثر على من وجدها كذلك.

فمفاهيم من قبيل: (الإرادة) و(الاختيار) هي المعادل المعنوي لمفهوم (الحرية) الغربي في معناه الفلسفي. وهذا المستوى من المعنى لم يجد تحدٍّ في ذوبانه داخل (الهوية الإسلامية) من دون تعارض بتاتاً، وبات من سمات العقلانية في التدين الإسلامي. وأضحى صحة التكليف، وحسنه، مشروطاً بالقدرة والإرادة والاختيار، ولا يصح من دونها. وعلى الرغم من النزاع (الجبري) في التراث الكلامي الإسلامي، لكنه لم يكن يمثّل تحدٍ للهوية إطلاقاً، بل كان غاية الجدل بيان (تبرير) التكليف وتصحيحه داخل إطار (إسلامي) معترف به من طرفي النزاع. فالقول بالتفويض او الجبر أو الأمر بين الأمرين هو محاولة لتصحيح ما هو واقع من ظاهرة دينية، ومحاولة لرفع الشكوك في منطقيتها لا أكثر. وإن اختلف توجيه المعنى الديني لموضوع التكليف بين المتنازعين آخر المطاف.

ISBN: 978-9922-21-412-2

نعم على مستوى (شبهات) واردة على علم الكلام، وليس نزاعاً داخلياً، كان الدفاع يكون للحفاظ على تماسك هذه الهوية ومنطقيتها لكن هذا التحدي لم يكن واسعاً ولم يكن في إطار صناعة الهوية بمقدار ما كان لتفسيرها للوافد وإقناعه بها.

التحدي الأساس برز في المقارنة بين تطبيق الدين في تفصيلاته التشريعية (= الأخلاقية) القانونية مع نضوج الفكر الأوربي للدولة الحديثة الليبرالية، واستحكام إطارها التشريعي وقوانينها، والتي ترفض تدخل (سلطة النص) أو (الأوامر الإلهية) في قيادة المجتمع أو توجيه الإنسان.

هنا – وكما تلاحظ– كان ولا زال صراع الهوية محتدماً لكنه على مستوى اصطدام رؤية برؤية أخرى ، ومنظومة فكرية بمنظومة فكرية مغايرة، على مستوى تفصيلات التشريع وتحديد الحقوق.

فشكل هذا الصراع تحدياً يهدد (الهوية الدينية) في تماسكها المنطقي، بعد أن وجهت سهام النقد إلى (الدين) على مستويات متعددة أولها وأهمها:

- (المعرفي = آبستمولوجي)، من خلال اتهام الدين بأنّه ليس لديه القدرة على توليد (الأخلاقيات/ التشريعات) التي تدير الحياة، أمّا لأنّ الأخلاقيات لا يمكن ويستحيل أن تكون خاضعة للثواب والعقاب، وهذا ما يفعله الدين، لانّ الأخلاق تتعارض مع مبدأ الغايات وتفقد أخلاقيتها بحسب أخر صيحات الأخلاق الغربية (=كانت) .أو لانطواء ذلك على ثغرة منطقية جوهرية غير قابلة للتجاوز برأيهم. والتي عرفت باستحالة استنباط الممكن من الواجب أو (إشكالية هيوم)[1].

- اعتراض إجرائي بأن التشريعات الدينية تتعارض مع حريات الإنسان والحقوق والقوانين التي أقرتها الفلسفات الحديثة، واعتبرتها بديهيات يدركها الإنسان، وتدخل في بنية إنسانيته (=الوجودية مثلاً).

على أنّ كل ما يدعى كونه تشريعاً فهو مبني على مصادرات غير مثبتة منطقياً، ولا تمتلك حقّانية يطمئن الوجدان العلمي بالرجوع لها والركون إليها. وبهذا يصبح التشريع الديني عبارة عن ظاهرة تأريخية انتهت صلاحيتها مع أول نقلة فلسفية لمفهوم (الحرية) وتوظيفه في توصيف الجانب القانوني (=الحقوق) لحياة الإنسان على يد (كانت) ومن قاربه زماناً من تراكم فكري فلسفي لتطوير مفهوم وأخلاقيات الدولة المدنية الحديثة.

(١) – انظر: ضاهر، عادل، الأسس الفلسفية للعلمانية، دار الساقي، ص

ISBN: 978-9922-21-412-2

على هذا المستوى من التصادم الأيدلوجي، بدأت في الساحة الإسلامية مرحلة متأخرة نسبياً من الوعي لإعادة تشكيل (الهوية الدينية) من خلال إبراز الإطار النظري الذي تشتمل عليه كرؤية متكاملة متماسكة، لتكون قبال الإطار النظري الذي هاجم (الهوية الدينية) وحاول أن يهدم أركانها المعرفية والتشريعية.

فنجد محاولات جبّارة ومهمة على ساحة الفكر الإسلامي – بمختلف تياراته ومدارسه– لترميم هذين الجانبين ليظهر البناء الإسلامي متماسكاً قادراً على الصمود والإقناع كما يراد له.

هذه المحاولات مهمة في الفكر الإسلامي الحديث، نقلت إطار البحث في الفكر الديني من الجدل النصوصي إلى بحوث منهجية ترقى لمستوى نظريات علمية حديثة، وتعد نقلات عملاقة على مستوى الفكر الديني ، في ردم الهوة التي تركتها السنين، وتحريك الجمود الذي أصاب تطور الفكر الإسلامي على مستوى مناهج البحث.. فكانت هذه المحاولات محاولات جادة ورصينة للتعبير عن تأسيس فلسفي لـ (الهوية الدينية)، ولإنقاذ الفكر الديني التقليدي، ودفعه على سكة البحث المنهجي في صياغة النظريات المتكاملة التي يراد لها أن تقود (دولة) بالمعنى الحديث الذي وصلت له البشرية من تطور فكري فلسفي، لكنها – وبكل تأكيد – مهما بدأت عظيمة، لا تزال بحاجة لكثير من التطوير والتثوير لتكون على المستوى المطلوب من التحدي.

وأخص منها محاولة محمد باقر الصدر المعرفية [1]، ومحاولة الدكتور محمد عبد الله دراز في وضع الإطار والدستور النظري لنظرية أخلاقية قرآنية – فلسفية[2]. ومحاولة ثالثة للفيلسوف محمد حسين الطباطبائي. والتي سنتناولها خاصة هنا بمقدار ما يسمح به المجال.

٣. التأسيس الفلسفي للهوية الدينية عند محمد حسين الطباطبائي:

---

(١) – انظر: الصدر محمد باقر ، الأسس المنطقية للاستقراء ، والذي قام بإثبات – واقتبس من المؤلف – : " الدليل التجريبي على وجود الله . الذي يضع هذا الكتاب أساسه المنطقي . أقرب إلى الفهم البشريّ العام، وأقدر على ملء وجدان الإنسان . أيّ إنسان . وعقله بالإيمان من البراهين الفلسفيّة ذات الصيغ النظريّة المجرّدة التي يقتصر معظم تأثيرها على عقول الفلاسفة وأفكارهم" ص ٤٧٠، ط درا الكتاب الإسلامي، ١٤١٠ هـ.

(٢) – انظر: دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن. وهو رسالته للدكتوراه، كتبها بالفرنسية، وترجمها عبد الصبور شاهين، وهي من أروع ما كتب في مجال التنظير في فلسفة الأخلاق الإسلامية، وبناء الهوية الدينية على أسس عقلانية فلسفية، تأخذ بعين الاعتبار الدفاع عن أهم الإشكالات الفلسفية المطروحة على تشكيل النظرية والهوية الدينية، في المجال الأخلاقي والتشريعي.

ISBN: 978-9922-21-412-2

عندما يتناول الطباطبائي مفهوم الحرية داخل الإطار الديني، يرسم له مخططاً منطقياً يغطي الجوانب المتعددة المتعلقة بـ (الهوية الدينية) التي يراها، والتي لها مساس مباشر في تحديد إطار الهوية، والحفاظ عليها من الذوبان في الآخر. يركز الطباطبائي على جانبين أساسيين يشكلان بناء الهوية الدينية: أولهما: العقيدة (التوحيد). والآخر: نوع السلوك (الأخلاقيات والتشريعات).

فأين يقع (مفهوم الحرية) في خارطة البحث التي تشكل (الهوية الدينية) ؟ هذا ما سنتعرف عليه من خلال توضيح رؤية الطباطبائي لهذين العنصرين وتداخل (مفهوم الحرية) معهما .

٤,١ الجانب الأول للهوية الدينية : العقيدة تحدّد تعريف الدين وهويته :

يحدد محمد حسين الطباطبائي وبوضح معالم (الهوية الدينية) وذلك من خلال اشتراط (الإلوهية) في تسمية الدين بأنّه دين حقيقة، يقول الطباطبائي: " بيد أن الدين الذي ينطوي على القيمة الحقيقية للدين، ويستحق اسم الدين الالهي، هو فقط الذي يعبد فيه (الله الأحد)، وأثبت رابطة النبوة، وقال بعقيدة المعاد (اي ابتنى على الأصول الثلاثة: التوحيد، النبوة، والمعاد) و هذه المواصفات تنصرف الى الأديان الأربعة:اليهودية و النصرانية و المجوسية والاسلام." [١]

ويقول في تفسير الميزان: " حد الدين ومعرّفه[٢]، وهو أنه نحو سلوك في الحياة الدنيا يتضمن صلاح الدنيا بما يوافق الكمال الأخروي، والحياة الدائمة الحقيقية عند الله سبحانه، فلا بد في الشريعة من قوانين تتعرض لحال المعاش على قدر الاحتياج."[٣] وهكذا فإن العلامة الطباطبائي يرى أنّ الإطلاق (الصحيح) وفق النظرة الإسلامية لـ (مصطلح الدين) هو خصوص الدين الإلهي والإسلامي خصوصا:

"أما بقية الأديان، فلا يرى الإسلام إنها تستحق قيمة الدين الواقعي الذي يضمن السعادة الإنسانية و يحقق للبشرية ويؤمّن لها منافع الدنيا والآخرة، رغم أنها تنطوي على نظريات واقعية

---

(١) الطباطبايى، محمد حسين، الشيعة: نص الحوار مع المستشرق كوربان، مؤسسة أم القرى للتحقيق و النشر – بيروت، ط٢ ، ص٥٠.

(٢) – في الأصل الكلمة وردت هكذا (معرفة) بالتاء المربوطة، وراجعت أكثر من نسخة وقد تكرر الأمر، وأظن أنّه خطأ طباعي.

(٣) الطباطبائى، محمد حسين، الميزان فى تفسير القرآن، ناشر إسماعيليان – قم، ط ٢، سنة ١٣٧١. ج٢ ؛ ص١٣٠

ISBN: 978-9922-21-412-2

حقّة، من قبيل إثبات الصانع، و تحمل شيئا من الأخلاقيات والمعنويات القابلة للتصديق".[1] لكنه لا يرى أنّها تامة ومكتملة مثل الدين الإسلامي، فهو المصداق الأكمل لهذا المصطلح.

٤,١,١ العقيدة ومفهوم الحرية:

يفسّر العلامة الطباطبائي علاقة (مفهوم الحرية) فيما يخص بناء (العقيدة) الدينية بأنّه بمعنى الحرية الفلسفية وما يساوق (الاختيار/ الإرادة الحرّة) والتفكّر والتعقّل والتدبّر، والتي يتبين من خلالها أنّ الإنسان ذو إرادة حرّة في اعتناق وتبنّي عقيدته الدينية. وبطبيعة الحال الإسلام كما فسح المجال في حرية الاعتقاد، لكنه وبنفس الدرجة هيأ العوامل الأساسية التي يحتاجها الإنسان لكي يحسن اختياره ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣]، وكذلك حثّ على التفكر والتدبّر واستخدام عنصر (الإرادة الحرة) بشكل رائع ليتحقق من اختياره لأنّه يمثل مصيره، وبيّن له طرق هذا التدبّر ومناهجه، وذلك ليتمّ للإنسان حاجته الفطرية للمعرفة .. فتكاد كلمات (التدبر/ التفكّر/ والاعتبار..) بآيات الله تعالى تكررت في القرآن ما يقرب من أكثر ثلاثمئة مرة داعية الإنسان لإعمال إرادته الحرة في فحص هذه الآيات التي وزعها الله تعالى في حياة الإنسان وخلقته، وبقوالب متعددة كقوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ)، (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ، (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)، (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)، (فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ)، (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا...)..إلخ. وهذا ما يجعل النداء بالحرية وعدم الإكراه في الآية الكريمة : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] منسجماً مع الرؤية الدينية، على خلاف ما لو تمّ تفسير (مفهوم الحرية) بمعناه الحقوقي والقانوني، والذي انتهت له الفلسفات الغربية الحديثة، فإنّ هذا المعنى من الحريات يصطدم بشكل مباشر مع تفاصيل التعليم الديني وكل ما يشكل (الهوية الدينية)، ولا يمكن بحال قبول (حرية) بمعنى الانفلات والخروج عن تشريعات الدين وتعاليمه الإلزامية.

٤,١,٢ الهداية وعناصر الوقاية من الضلال:

ربما يتصور أنّ اعطاء الحرية على مستوى العقيدة، لا يشكّل ضمانة لحسن الاختيار، وفي آخر المطاف قد تضيع أهداف الدين التي يرجوها والتي راهن فيها على (الإرادة الحرّة) في اختيار

---

(١) الطباطبايي، محمد حسين، الشيعة: نص الحوار مع المستشرق كوربان، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر – بيروت، ط٢، ص٥١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

العقيدة التي يريده الإله فقط. هذا الكلام منطقي وصحيح، وفي الحقيقة هو توضيح لهوية وروح الاختيار وقيمته الأخلاقية، ولا يشكّل هاجس خوف وقلق البتّة، بل إنّ العنصر الذي يريده الله تعالى لينطبق عليه عنوان (العبودية) لله تعالى يجب أن يتحقق على هذا النحو وبواسطة (الاختيار / الإرادة الحرة) لا غير، وإلا سيفقد أي قيمة لكونه (إنساناً) بمعنى هذا الكائن المتميّز عن المخلوقات الأخرى التي تفتقر لعنصر الاختيار والإرادة.

لكن – وبحسب الطباطبائي – وعلى الرغم من ذلك لم يترك الإنسان لتتلاطمه أمواج الضلال ويتيه في تحديات الحياة لوحده من دون هداية، فيفقد بوصلته ويضيع جهده. بل زرع الله تعالى هذه الهداية في روح الإنسان وجعلها (فطرة) وبوصلة توجهه إذا ما أراد الاسترشاد بها.. فالتحديات التي تواجه الإنسان يمكن أن تكون على أنواع ثلاث عالجها الدين من خلال مشروعه ورؤيته المتكاملة من دون المساس بعنصر (الإرادة الحرة = الحرية) الذي بدأنا به ليحسن الإنسان اختيار عقيدته (التوحيد = الهوية الدينية):

٤,١,٣ تحديات الإرادة الحرّة:

يحدد الطباطبائي تجاه حياة الإنسان وحسن إعمال إرادته الحرّة، ثلاث تحديات يحتاج لتجاوزها والتغلب عليها ، وكالتالي:

التحدي الأول: اختلاف الأخلاق النفسانية والصفات الباطنة:

ويتكلم فيها الطباطبائي عن تفاوت الأنفس في قابلياتها واستعدادها، وبحسب ما انطوت عليه من ملكات وراثية أو تربوية، يقول: " اختلاف الأخلاق النفسانية والصفات الباطنة من الملكات الفاضلة والردية فإنّ لها تأثيراً وافراً في العلوم والمعارف الإنسانية من حيث الاستعدادات المختلفة التي تودعها في الذهن فما إدراك الإنسان المنصف وقضاؤه الذهني كإدراك الشَّموس المتعسّف، ولا نيل المعتدل الوقور للمعارف كنيل العجول والمتعصّب، وصاحب الهوى والهمجي الذي يتبع كل ناعق والغويّ الذي لا يدري أين يريد؟ ولا أنّى يراد به، والتربية الدينية تكفي مؤنة هذا الاختلاف فإنها موضوعة على نحو يلائم الأصول الدينية من المعارف والعلوم، وتستولد من الأخلاق ما يناسب تلك الأصول وهي مكارم الأخلاق"[1] ، ونلاحظ أنّ القرآن يرصد لها علاجاً يتمثل بالممارسة الأخلاقية التي تجعل الإنسان معتدل المزاج قويم الذهن قوي الإرادة .قال تعالى:

(١) – الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص١٢٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٦)

التحدي الثاني: اختلاف الأفعال:

حيث يرى الطباطبائي أنّ أفعال الإنسان لها نتائج على طبيعة اعتقاداته واختياره، ويكون الإنسان هو المسؤول عن توجيه اختياراته من خلال ما يزود نفسه به من ملكات الأفعال التي يمارسها حسنة أو قبيحة، فـ (الإرادة الحرة) لا تنتفي عن الإنسان، لكنه هو (المسؤول) عن جودة أدائها وبيده زمام الأمر "..فإن الفعل المخالف للحق كالمعاصي وأقسام التهوّسات الإنسانية ومن هذا القبيل أقسام الإغواء والوساوس يلقن الإنسان وخاصة العامي الساذج الأفكار الفاسدة ويعد ذهنه لدبيب الشبهات وتسرب الآراء الباطلة فيه وتختلف إذ ذاك الأفهام وتتخلف عن اتباع الحق!"[١] وكذلك هنا لم يترك الإنسان وحده ليواجه التحدي منفرداً بل وزعت المهمة على أقرانه في المجتمع ، وتم تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اجتماعياً "حيث أمر المجتمع بإقامة الدعوة الدينية دائما، أولا. وكلّف المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثانياً، وأمر بهجرة أرباب الزيغ والشبهات"[٢] وبين ذلك وحث عليه بشكل مؤكد وجعله وظيفة اجتماعية منوطة بالفرد بما هو عنصر مجتمعي، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

التحدي الثالث: العامل الخارجي عن ذات الإنسان:

العامل الثالث الذي يشكّل تحدياً في إعمال (الإرادة الحرة) في حسن الاختيار والوصول للحق في (العقيدة الدينية) مع توفر (الحرية) الكاملة له، هو البعد عن مصادر المعرفة أو بلادة الذهن وصعوبة الفهم ونيل الحقائق، ويبرز الطباطبائي هنا عنصر البعد عن مصدر المعرفة المكاني، فلا يصله التبليغ الديني أو بعد في قدرةً في الاستيعاب ودرك الحقيقة لبرودة ذهنه وبلادته؛ لعدم تمرّسه على تداول المعارف والتفكر فيها، فيعبر عنها: " كبعد الدار وعدم بلوغ المعارف الدينية إلا يسيرة أو محرفة أو قصور فهم الإنسان عن تعقل الحقائق الدينية تعقلا صحيحا كالجربزة والبلادة المستندتين إلى خصوصية المزاج"[٣] .وبنفس المستوى يوظف الإسلام عنصراً مهماً للإنقاذ وتفكيك هذا الخطر بحدوده الإنسانية المعقولة، وبما يتناسب مع شروط الاجتماع البشري .

---

(١) – – الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص١٢٨.

(٢) – المصدر السابق، ص١٢٨

(٣) – المصدر السابق، ص١٢٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

فالعلاج يبدأ أولاً بتعميم الوعي ونشره قدر الإمكان ليصل إلى أكبر عدد ممكن وابعد مكان . ثم ينتهج هنا منهجاً يكمّل المسؤولية يعتمد الرفق، والمخاطبة باللين.. والنزول لنفس مستوى العقل والمخاطبة بلغة يفهما " وهذان [التعميم والرفق] من خصائص السلوك التبليغي في الإسلام، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، ومن المعلوم أن البصير بالأمر يعرف مبلغ وقوعه في القلوب وأنحاء تأثيراته المختلفة باختلاف المتلقين والمستمعين فلا يبذل أحد إلا مقدار ما يعيه منه، وقد قال رسول الله ﷺ على ما رواه الفريقان: إنا معاشر الأنبياء نكلّم الناس على قدر عقولهم ، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.[التوبة: ١٢٢]"(١)

٤,٢ . الجانب الثاني للهوية : التشريع الديني والسلوك الأخلاقي وعنصر الحرية :

يرصد محمد حسين الطباطبائي تشريع الخلاق على مستويين مهمّين، الأول المستوى العقلائي الذي يصدر من الإنسان بما هو عنصر عاقل في الاجتماع البشري. والمستوى الآخر: التشريع الديني الذي جاءت به رسالة السماء بالوحي.

ويجعل الطباطبائي هذين المستويين معاً مرتبطين رباطاً وثيقاً رغم مناشئهما التي تبدو ظاهراً مختلفة، فالتشريع الأول منشؤه العقل الإنساني وحاجته لتحقيق سعادة الاجتماع البشري، باعتبارات عقلائية يفرضها ويعتبرها لتحقيق مرامه.

أمّا التشريع الديني، فهي أخلاق وحيانية جاءت بها رسالة السماء ترتكز على عنصر (التوحيد) والعقيدة التي تكلمنا عنها في الجانب الأول. فهي أخلاق توحيدية بكل مضمونها.

لكن السؤال كيف يوطد الطباطبائي بين هذين المستويين ويجعلهما يسيران نحو هدف واحد، بله ينبعان من منبعٍ واحدٍ أيضاً !

يحاول الطباطبائي توضيح أنّ عنصر الاختيار (= حرية الإرادة/ الحرية) هنا وسيلة وشرط لانتخاب الأعمال الصالحة التي تساعد الإنسان لبلوغ كماله الذي تخطّه له الشريعة الأخلاقية الدينية بما هو إنسان مكّلف، حيث من شروط التكليف القدرة والاختيار. فيغدو (مفهوم الحرية) هنا وسيلة في الانتخاب وتقرير المصير، وليس غاية يسعى لتطبيقها كهدف نهائي لفعل الإنسان ما يريد وكما يريد، وهو ما تهدف له الفلسفات الغربية الحديثة. فيحافظ مفهوم الحرية على طابعه

(١) – المصدر السابق ص١٢٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الفلسفي في الانتماء وتحمّل المسؤولية تجاه التكاليف الشريعية داخل إطار التكاليف الدينية. فيحفظ هويته ويتكامل من خلالها. لكن هذا الانتخاب يتواجد على مستويين في حياة الإنسان، مستوى عقلائي لا علاقة له بالتشريع الديني، ومستوى ديني مصدره وحي السماء..فكيف يوفّق الطباطبائي في دمجهما معاً ؟

٤,٢,١ المستوى الأول: الإنسان لديه (الإرادة الحرّة) على صنع واعتبار قضايا لتحقيق أغراض الحياتية الاجتماعية:

يعتقد العلامة الطباطبائي أنّ الإنسان العاقل ذي الإرادة الحرّة ينتج (=يعتبر) بعض القضايا التي يحتاجها ليدير بها شأنه الاجتماعي بنفسه، فهو عندما يعتبر شخصا ما رئيسا ويعطي الحق (بالرئاسة) إنما اعتبر ذلك لصالح الاجتماع، ولكي يحقق مصلحة معينة عقلائية استهدفها، فسيترتب على اعتبار (زيد) كونه (رئيساً) أثر خارجي نتيجة لهذا الاعتبار الذي ليس له ما بإزاء خارجا وحقيقة قبل قيامنا بالاعتبار. وهكذا عندما يجوع الإنسان يستنتج أنه (يجب عليه أن يأكل) ليسد جوعه. وعندما يجد شيئاً نافعا يستنتج أن عليه فعله بشكل ضروري وواجب لتحقيق هذا الغرض.

يقول العلامة: " المتأمل في شئون الاجتماع الإنساني، والناظر في الخواص والآثار التي يتعقّبها هذا الأمر المسمى بالاجتماع من جهة أنّه اجتماع لا يشك في أنّ هذا الاجتماع إنّما كوّنته ثمّ شعّبته وبسطته إلى شعبه وأطرافه الطبيعة الإنسانية؛ لمّا استشعرت بإلهام من الله سبحانه بجهات حاجتها في البقاء والاستكمال إلى أفعال اجتماعية فتلتجئ إلى الاجتماع وتلزمها لتوفق إلى أفعالها وحركاتها وسكناتها في مهد تربية الاجتماع وبمعونته.

ثمّ استشعرت وألهمت بعلوم (صور ذهنية) وإدراكات توقعها على المادة، وعلى حوائجها فيها وعلى أفعالها، وجهات أفعالها تكون هي الوصلة والرابطة بينها وبين أفعالها وحوائجها كاعتقاد الحسن والقبح، وما يجب، وما ينبغي، وسائر الأصول الاجتماعية من الرئاسة والمرؤوسية والملك والاختصاص، والمعاملات المشتركة والمختصة، وسائر القواعد والنواميس العمومية والآداب والرسوم القومية التي لا تخلو عن التحول والاختلاف باختلاف الأقوام والمناطق والأعصار.

ISBN: 978-9922-21-412-2

فجميع هذه المعاني والقواعد المستقرة عليها من صنع الطبيعة الإنسانية بإلهام من الله سبحانه، تلطفت بها طبيعة الإنسان، لتمثل بها ما تعتقدها وتريدها من المعاني في الخارج، ثم تتحرك إليها بالعمل، والفعل والترك، والاستكمال".[١]

وهكذا يؤكد في مكان آخر: "العلوم العملية والتصديقات الوضعية الاعتبارية التي نضعها للعمل في ظرف حياتنا، والاستناد إليها في مستوى الاجتماع الإنساني فنستند إليها في إرادتنا ونعلل بها أفعالنا الاختيارية، وليست ممّا يطابق الخارج بالذات .

فالاعتقاد بأنّ زيدا رأس ورئيس إنّما هو في الوهم لا يتعداه إلى الخارج، غير أنّا نعتبره معنى خارجيا لمصلحة الاجتماع، وعلى هذا القياس كل معنى دائر في المجتمع الإنساني معتبر في الحياة البشرية متعلق بالأعمال الإنسانية فإنّها جميعا مما وضعه الإنسان وقلبها في قالب الاعتبار مراعاة لمصلحة الحياة لا يتعدى وهمه."[٢].

٤,٢,٢ هذه القضايا الاعتبارية ذات منشأ حقيقي وواقعي ولها آثار وإن كانت بنفسها اعتبارية :

ثم يقرر الطباطبائي أنّ الإنسان يمارس حريته وما هو مجبول عليه بتمام اختياره، فيعمل على وضع أحكاماً على شكل قوانين؛ ينشد من خلالها تحقيق مصلحته وسعادته. وهذه المناشئ والاعتبارات مما يحتاج إلى مبرر ومعطى واقعي، فسيكون المبرر والغاية هي الغرض الخارجي المراد تحقيقه، وهو يتمثل بتحقيق شؤون الاجتماع البشري وضرورة الحياة (السعادة/ الكمال). وحينئذ ما هو المبرر المنطقي لهذه القضايا الاعتبارية ليكون لها أثراً واقعياً ؟ فإذا كانت مجرد قضايا وهمية، كيف تسنى لنا أن نتصورها وأن يوجدها الذهن؟ ثم كيف ترتب عليها أثر واقعي حقيقي مع أنها غير واقعية؟ وإنما هي اختراع من الوهم والاعتبار؟ يجب العلامة على هذه المسألة من خلال قوله:

" ... حقيقة الأمر أنّ هذه ونظائرها أمور اعتبارية وضعية لها أصل حقيقي، وهو أنّ الإنسان– ونظيره سائر الحيوانات الاجتماعية كل على قَدره– في مسيره الحيوي الذي لا يريد به إلاّ إبقاء الحياة ونيل السعادة ناقصٌ محتاج يرفع جهات نقصه وحاجته بأعماله الاجتماعية الصادرة عن الشعور والإرادة، فاضطره ذلك إلى أن يصف أعماله والأمور التي تتعلّق بها أعماله في طريق الوصول إلى غاية سعادته والتجنب عن شقائه بأوصاف الأمور الخارجية من حسن وقبح

(١)– الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص: ٣٣٧، سورة البقرة الآيات ١٤٢ – ١٥١.

(٢) – الميزان في تفسير القرآن، ج٨، ص٥٣ – ٥٤، سورة الأعراف: ١٠ إلى ٢٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ووجوب وحرمة وجواز وملك وحق وغير ذلك ويجري فيها نواميس الأسباب والمسببات فيضع في إثر ذلك قوانين عامة وخاصة، ويعتقد لذلك نوعا من الثبوت الذي يعتقده للأمور الحقيقية حتى يتم له بذلك أمر حياته الاجتماعية."[١]

مصدر هذا الاعتبار الطبيعة البشرية، والفطرة الإنسانية، وعقل الإنسان وإلهامه تعالى له، ثم يربط العلامة بين هذا القانون التكويني المفطور عليه الإنسان وبين خلق الإنسان نفسه من قبل الله تعالى: " و من عظيم الجرم أيضا أن نعزل العقل عن تشخيص أفعاله تعالى في مرحلتي التكوين والتشريع أعني أحكام العقل النظرية والعملية.

وأمّا في مرحلة العمل فليتذكر أنّ هذه الأحكام العملية والأمور الاعتبارية دعاو اعتقادية ومخترعات ذهنية وضعها الإنسان ليتوسل بها إلى مقاصده الكمالية وسعادة الحياة فما كان من الأعمال مطابقا لسعادة الحياة وصفها بالحسن ثم أمر بها وندب إليها، وما كان منها على خلاف ذلك وصفها بالقبح والمساءة ثم نهى عنها وحذر منها- وحسن الفعل وقبحه موافقته لغرض الحياة وعدمها- والغايات التي تضطر الإنسان إلى جعل هذه الأوامر والنواهي وتقنين هذه الأحكام واعتبار الحسن والقبح في الأفعال هي المصالح المقتضية للجعل ففرض حكم تشريعي ولا حسن في العمل به ولا مصلحة تقتضيه كيفما فرض فرض متطارد الأطراف لا محصل له."[٢]

فمن هنا يجد العلامة أن لا ثغرة منطقية في البين في استنتاج قضايا الأخلاق (الممكنة) من قضايا واقعية دينية أو عقلية أخرى (ضرورية).. بعد أن أوجد المبرر المنطقي للاستنتاج وهو الحاجة العرفية العملية ومتطلبات الاجتماع، فالاستنتاج يتم وفق مقتضيات الحاجة الواقعية، ومنبعثاً وأخذا بنظر الاعتبار قضايا حقيقة مقرّة في الواقع وغير منفصل عن الواقع.

فبحسب رأي العلامة : أن الإنسان موجود مختار (= مفهوم الحرية)، ولما كانت أفعاله وحركاته تصدر عن إرادة واختيار تام منه[٣] فلا شك على هذا . وعلى الرغم من العلاقة ما بين الفعل ونتيجته أمر ضروري، والعلاقة بين الفعل والإنسان نفسه (من حيث كونه صاحب إرادة واختيار) علاقة إمكان، ونسبة الإمكان من حيث تحقّق الفعل أو عدمه متساوية . لو أرد أن يحقق هذا

---

(١)- الميزان في تفسير القرآن، ج٧، ص١٢٠ – ١٢١، سورة الأنعام – ٥٦ – ٧٣ .

(٢)- الميزان في تفسير القرآن، ج٨، ص٥٥ – ٥٦، سورة الأعراف – ١٠ إلى ٢٥.

(٣)- الميزان في تفسير القرآن، ج ١١، ص: ١٥، سورة هود الآيات ١٠٠ – ١٠٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الإمكان فلابد أن يتم تبديله إلى ضرورة، ولما كان الإنسان باعتبار فاعلاً مختاراً، ولكي يحقق ويوجد أفعاله يقوم بإيجاد اعتبار (وجوب) أو (ما ينبغي) بين نفسه والصورة العلمية للشعور بفعله، فيقوم بتوهم واعتبار (الوجوب) لتحقق هذه الضرورة لإيجاد فعله.[١]

يُمثل العلامة لذلك بالإنسان حين يريد تناول الطعام في حالة الجوع[٢]، يتصور حال الشبع قبل ذلك، ويتصور العلامة بينه وبين الشبع بنحو ضروري ملزم، ثم يضيف هذا الوجوب (وجوب الشبع) لحالته الخاصة، وبالتأكيد لا يمكن أن تحقق حالة الشبع هذه من دون المرور بعملية المضغ والبلع، وتناول الطعام ووضعه في الفم... الخ. فيعطى الإنسان لهذه الأفعال صفة (الوجوب) وضرورة التحقق.

وأيضا يمكن إضافة تشبيه بسيط آخر لذلك وهو مثال في حياتنا اليومية نعيشه يومياً: فعندما يقول الطبيب للمريض أن الطعام الكذائي مضر بالجهاز الهضمي والأعضاء الباطنة للبدن. وهي قضية ومقولة من العلم التجريبي، ثم يقول للمريض: (لا تأكل الغذاء الكذائي) وهي قضية إنشائية من نوع (ما ينبغي). نرى حينئذ قد أصبح لدينا استنباط قضية أخلاقية من قضية واقعية تجريبية من دون ان واجه استنكارا أو ثغرة منطقية في ذلك.[٣] وهذه المعالجة تذكرنا بما طرحناه في أول الدراسة، حول الثغرات التي استغلت لضرب (البنية الدينية التشريعية) وجعلها لا تملك تبريراً منطقياً للتشريع القانوني. والذي يعتقد –خطأً – بأنّه يقيد حرية الإنسان. فكما نلاحظ أنّ كل الخطوات تتم من خلال الإرادة الحرّة للإنسان في ترتيب أوضاع اجتماعه، ونيل ما يعتقد أنّه نفع وسعادة له وللمجتمع.

٤,٢,٣ الفطرة من ضرورات الأخلاق:

يجعل العلامة لـ (الفطرة) دورا محورياً في نظريته الأخلاقية، ويعتبرها دعامة أساسية ومنبعاً مهما لاهتداء الإنسان نحو تشخيص القيم، ولمقياس الفضيلة وانتخاب الحسن والقبيح من

---

(١). يمكن اعتبار هذا التحليل، مع تتميم وتوضيح أكثر، جواباً على إشكالية الفيلسوف (ديفيد هيوم) التي تقرر: الاستحالة المنطقية للاستنتاج بين قضايا العقل العملي والعقل النظري، أو ما يعبر عنه القضايا الممكنة والقضايا الواجبة.

(٢)– الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص: ٣٥٥–٣٦١

(٣)– آملي، جواد، مبادئ الأخلاق في القرآن النص مترجم بتصرف عن كتاب (مبادى اخلاقي در قرآن) ص٤٧–٤٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الأفعال. فالفطرة، والتي يُطلق عليها أحياناً (الضمير = المعادل الغربي للفطرة)[١] أو الإلهام الباطني في بعض الدراسات المعاصرة، مسمّيات شتى لمصداق واحد، هو ذلك المنبع تجاه الإحساس بحسن الأشياء أو قبحها، وكونها (مما ينبغي فعله أو لا ينبغي فعله) فـ " الهداية الفطرية عامةٌ بالغةٌ، لا يستثني منها إنسان لأنّها لازم الخلقة الإنسانية وهي في الأفراد بالسوية غير أنّها ربما تضعف أو يلغو أثرها لعوامل وأسباب تشغل الإنسان وتصرفه عن التوجه إلى ما يدعو إليه عقله ويهديه إليه فطرته أو ملكات وأحوال رديئة سيئة تمنعه عن إجابة نداء الفطرة "[٢] فحين تضعف الهداية الفطرية التي هي الخزين المعرفي تجاه ما ألهم الإنسان من خير الأفعال أو شرها " ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٧و٨] وإعمال لـ (إرادته الحرة) يبدأ يواجه صعوبات في الاختيار، يأتي دور العلاج الرباني عن طريق هداية أخرى ظاهرية متمثلة بالديانات ودعم الأنبياء لنداء الفطرة، وإيقاظ الفطرة عن غفلتها بل إحياءها ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]. يقول العلامة الطباطبائي: " والهداية التي هي نوع إيذان وإعلام منه تعالى للإنسان : هداية فطرية، هي تنبيه بسبب نوع خلقته وما جهز به وجوده بإلهام من الله سبحانه على حق الاعتقاد وصالح العمل، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها﴾ ... وهداية قولية من طريق الدعوة يبعث الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الشرائع الإلهية. ولم يزل التدبير الربوبي تدعم الحياة الإنسانية بالدعوة الدينية القائم بها أنبياؤه ورسله ..."[٣]

وسوف نلاحظ مقدار ما سوف يعطيها العلامة الطباطبائي من دور مهم في حديثنا عن بناء النظرية في جانبها القرآني (التوحيدي).

ضرورة النبوّات لدعم الأخلاق

وفقا لنصوص العلامة في تفسير الميزان فإن هناك حاجة أساسية للنبوّات في تدعيم ودعم الأخلاق. وذلك بواسطة "... هداية قولية من طريق الدعوة ببعث الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال

---

(١)- انظر: المظفر، محمد رضا، المنطق ، ط دار التعارف، ص: ٢٩٥. حيث يقول: " والصحيح في هذا الباب أن يقال: إن الله تعالي خلق في قلب الانسان حسّاً، وجعله حجة عليه يدرك به محاسن الافعال ومقابحها وذلك الحسّ هو (الضمير) بمصطلح علم الاخلاق الحديث وقد يسمي بالقلب او العقل العملي أو العقل المستقيم او الحسّ السليم عند قدماء الاخلاق. وتشير اليه كتب الاخلاق عندهم."

(٢)- الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٣ – ١٢٤، سورة الإنسان الآيات ١ – ٢٢.

(٣)- الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٣ – ١٢٤، سورة الإنسان الآيات ١ – ٢٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الكتب وتشريع الشرائع الإلهية. ولم يزل التدبير الربوبي تدعم الحياة الإنسانية بالدعوة الدينية القائم بها أنبياؤه ورسله ..." [١]

بل لا يمكن أن تكن ثمة أخلاق من دون إلهام أو رعاية النبوات والديانات. وهذا يثبت العلاقة والرابطة المتينة ما بين الأخلاق العقلائية التي أسس لها وحللها الطباطبائي، وبين تعاليم الدين عند العلامة الطباطبائي، وإن بدا تفسيره لبعض القضايا المتعلقة بالأخلاق، ومن حيثية معرفية بحتة وإعطائها جانباً تحليلا، وإن بدا عقلياً ومنقطعا ومنفصلا عن الجانب الديني. لكنه يعود في آخر المطاف ليربط ما بين هو ديني وما هو عقلي أخلاقي برباط وشيج لا تنحل عراه برأيه.

يقول العلامة الطباطبائي: "إن قلت: كفى في الدعوة ما يدعو إليه العقل من اتباع الإنسان للحق في الاعتقاد والعمل، وسلوكه طريق الفضيلة والتقوى، فأيّ حاجة إلى بعث الأنبياء؟!

قلت: العقل الذي يدعو إلى ذلك، ويأمر به هو العقل العملي الحاكم بالحسن والقبح، دون العقل النظري المدرك لحقائق الأشياء كما مر بيانه سابقا، والعقل العملي يأخذ مقدمات حكمه من الإحساسات الباطنة، والإحساسات التي هي بالفعل في الإنسان في بادي حاله هي إحساسات القوى الشهوية والغضبية، وأمّا القوة الناطقة القدسية فهي بالقوة، وقد مر أن هذا الإحساس الفطري يدعو إلى الاختلاف "[٢] .

فيجد العلامة الطباطبائي في النبوّات صمام أمان للعقل العملي (الضمير) في ممارسة إرادته الحرّة، والذي يحرك ويحكم بالقضايا الأخلاقية. لأن العقل لا يعصم نفسه عن الخطأ في الاختيار، وهو يتأثر بعوامل وقوى النفس والتربية المحيطة المؤثرة بها والظروف المكتنفة له. يقول أيضا: " وأنت إذا حلّلت المفاسد الاجتماعية والفردية حتى في المفاسد المسلّمة التي لا ينكرها منكر وجدت أن الأساس فيها هي الأعمال التي يبطل بها حكومة العقل، وأن بقية المفاسد وإن كثرت وعظمت مبنية عليها "[٣]، ويدعم قوله باستدلال في خاتمة تفسيره يؤيد ما ذكر في أجزاءه الأول، قائلا: " والهداية التي هي نوع إيذان وإعلام منه تعالى للإنسان هداية فطرية، هي تنبيه بسبب نوع خلقته وما جهز به وجوده بإلهام من الله سبحانه على حق الاعتقاد وصالح العمل، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها﴾ ... وهداية قولية من طريق

---

(١)- م.ن

(٢)- الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤٨، سورة البقرة – ٢١٣ .

(٣)- الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨٨، سورة النساء – ٩٥ – ١٠٠ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

الدعوة يبعث الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الشرائع الإلهية. ولم يزل التدبير الربوبي تدعم الحياة الإنسانية بالدعوة الدينية القائم بها أنبياؤه ورسله.

ومن الفرق بين الهدايتين أنّ الهداية الفطرية عامة بالغة لا يستثني منها إنسان لأنّها لازم الخلقة الإنسانية وهي في الأفراد بالسوية غير أنّها ربما تضعف أو يلغو أثرها لعوامل وأسباب تشغل الإنسان وتصرفه عن التوجه إلى ما يدعو إليه عقله ويهديه إليه فطرته أو ملكات وأحوال رديئة سيئة تمنعه عن إجابة نداء الفطرة ....

وأما الهداية القولية وهي التي تتضمنها الدعوة الدينية فإنّ من شأنها أن تبلغ المجتمع فتكون في معرض من عقول الجماعة وإرادتهم فيرجع إليها من آثر الحق على الباطل ....

ثم من الدليل على أن الدعوة الإلهية وهي الهداية إلى السبيل حق يجب على الإنسان أن يتبعها فطرة الإنسان وخلقته المجهزة بما يهدي إليها من الاعتقاد والعمل، ووقوع الدعوة خارجا من طريق النبوة والرسالة، فإنّ سعادة كل موجود وكماله في الآثار والأعمال التي تناسب ذاته وتلائمها [=اختيار] بما جهزت به من القوى والأدوات فسعادة الإنسان وكماله في إتباع [=اختيار] الدين الإلهي الذي هو سنة الحياة الفطرية وقد حكم به العقل وجاءت به الأنبياء والرسل عليهم السلام."[1] فيكون جوهر عمل الإنسان على حسن اختياره. وتكون الإرادة الحرة هي وسيلة الكمال والسعادة، وليست قيمة بذاتها بصرف النظر عمّا يكون من مقصدها.

٤,٣ الأخلاق التوحيدية أخلاق الحب والعبودية لله تعالى

ويختتم الطباطبائي ببيان المسلك النهائي الذي ينبغي على الإنسان أن يسير فيه ويختاره بإرادته الحرة وبدعم النبوات له، وهو المسلك الذي اختص القرآن ببيانه والتأكيد عليه حيث تكون الغاية فيه (رضوان الله تعالى). فهذا مسلك وطريق[2] لتهذيب النفس وإصلاح الأخلاق، وعلى حد تعبير العلامة الطباطبائي فإنّ هذا المسلك من مختصات القرآن الكريم ولا تجده في غير تعاليمه. ويعتمد على فهم هذه النكتة: ألا وهي أن يصل الإنسان بنفسه إلى مقام العبودية لله (عبداً لله) وتكون كل حركاته وسكناته بدافع رضوان الله تعالى. فهنا – فضلاً عن أنه لا يعتني بالمنفعة الدنيوية أو بتحسينات الآخرين وآراءهم – سوف لا يكون همّه الثواب الأخروي ولا النجاة من

(١)– الميزان في تفسير القرآن ، ج ٢٠، ص: ١٢٣ – ١٢٤، سورة الإنسان الآيات ١ – ٢٢ .

(٢) – يذكر العلامة ثلاث مسالك أخلاقية ، لكنّه يرجح هذا المسلك ويعتبره أكملها ومدعوم قرآنياً.

ISBN: 978-9922-21-412-2

العقاب. سيكون همه الوحيد (=إرادته) جلب وتحقيق رضوان الحق تعالى والوصول لمقام العبودية ، وحالة من الحب بين الخالق والمخلوق:" وقد أهدى هذا المسلك إلى الاجتماع الإنساني جماً غفيراً من العباد الصالحين، والعلماء الربانيين، والأولياء المقربين رجالا ونساء، وكفى بذلك شرفا للدين.

على أن هذا المسلك ربما يفترق عن المسلكين الآخرين بحسب النتائج، فإن بناءه على الحبّ العبودي، وإيثار جانب الرب على جانب العبد ومن المعلوم أن الحب والوَلَه والتيم ربما يدل الإنسان المحبّ على أمور لا يستصوبه العقل الاجتماعي الذي هو ملاك الأخلاق الاجتماعية، أو الفهم العام العادي الذي هو أساس التكاليف العامة الدينية، فللعقل أحكام، وللحبّ أحكام"[١]

قد يقال أن الإنسان شاء أو أبى لا بد من قصد وغاية لأفعاله في جلب منفعة أو دفع مضرة، لكن هنا في هذا المسلك لا يكون المحور للعمل هو كسب النفع أو دفع الضرر الشخصي، أو البحث عن الحرية بمعناها الحقوقي الغربي؛ لأن العبد هنا يصل – حسب الافتراض – إلى مقام لا يرى لوجوده استقلالية ليكون له غاية في جلب النفع لنفسه أو دفع الضرر عنها، بل سيكون أساس ومحور حركته هو مقام الشوق والمعرفة الإلهية. فيكون هدفه هو المحبوب الله تعالى، ولا يوجد دوافع أو أي أهداف لها قيمة قباله، لأنّه اطلع وأدرك حقيقة وقيمة نفسه في هذا الوجود في مقام الخالق والمحبوب فيستحيل عليه أن يقدم على فعل لغاية نفسية، وهو لا يرى لنفسه شأناً من الشأن ولا غاية له إلا كسب رضوان الله ورضا المحبوب. فيؤكد الطباطبائي: "وهاهنا مسلك ثالث مخصوص بالقرآن الكريم لا يوجد في شيء مما نقل إلينا من الكتب السماوية، وتعاليم الأنبياء الماضين سلام الله عليهم أجمعين، ولا في المعارف المأثورة من الحكماء الإلهيين، وهو تربية الإنسان وصفا وعلما باستعمال علوم ومعارف لا يبقى معها موضوع الرذائل، وبعبارة أخرى إزالة الأوصاف الرذيلة بالرفع لا بالدفع. ...إلخ"[٢].

والعنصر الفاعل في هذا المسلك والذي تُستمد الأخلاقية منه، عنصر الإلزام والالتزام لتطبيق المنظومة والتشريعات الأخلاقية –والإلزام جوهر الأخلاق– هو طبيعة العلاقة بين العبد وخالقه، وكل ذلك لا يتم من دون إرادة واختيار حر لذلك، فتأخذ الحرية هنا دوراً داخل الإطار الديني يمكنها من تحقيق غاياتها، ولما كانت الغاية من وجود الأخلاق بوجه عام حثّ الإنسان

(١)– الميزان، مصدر سابق، ج١،ص٣٦١.

(٢)– الميزان ، مصدر سابق، ج١،ص٣٥٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

لنيل السعادة وقيادة المجتمع نحو كماله وسعادته، كان الإيمان بفكرة التوحيد والإيمان بأن لهذا المجتمع والكون خالقاً واحداً، يعبده الناس ويرتبطون معه برباط الحب والشوق ، كفيلاً أن يجعل من الإنسان العارف بمقامه وبخالقه وقتئذٍ ، مطيعاً وملتزماً باختياره وبكامل (حريّته)، ومن المحال أن يعصي هذا الخالق المحبوب أو يخالفه في أوامره أو يرتكب نواهيه وهو بين يديه وحاضر في مملكته، فتكون الأخلاق – أخلاق الحب والتوحيد – رادعاً قوياً وملزماً فاعلا للالتزام بالتوصيات التي يريدها هذا المحبوب الواحد، فتتوّحد إرادة الإنسان واختياراته وحريته مع إرادة المعبود وتشريعاته وعبوديته. فتكون الحرية هنا في اختيار ما يتكامل به الإنسان من تشريعات، وتكون عبودية الإنسان لله الواحد هي أكبر عتق وحرية يحصل عليها الإنسان وغايتها.

وكما لا حظنا، فقد لعبت الفطرة دوراً مهماً وأساسياً في النظرية الأخلاقية لدى العلامة الطباطبائي بشكل عام، سواء في الجانب العقدي أو في الجانب الأخلاقي القرآني التوحيدي (الأخلاق الغائية التوحيدية). فشكلت حلقة مهمة في حل بعض أهم إشكالات الحكم الأخلاقي، كالحرية، والإلزام الأخلاقي، وقوة التشخيص للخير والشر. فكانت هي الخيار الحاسم ونقطة الارتكاز في النظرية في كثير من المسائل .

ومن الطبيعي أن اعتماد الطباطبائي على عنصرٍ (كالفطرة) بما يلعبه من دور مهم في نظريته وفي استحكامها وسد الثغرات المتعددة، سيواجه تساؤلات في عملية منهجية في مستوى التحليل والنقد.. وهذا ما يحتاج إلى بحث مستأنف حوله!

٤. الخاتمة

خلصنا في بحثنا هذا إلى أمور مهمة نحاول إيجازها بنقاط:

١– مفهوم الحرية استخدم تاريخياً بمستويين أحدهما يعبر عن (الإرادة الحرة) وهو الإطلاق الفلسفي. والآخر يعبر عن (منظومة حقوق) يتبناها الفكر الحديث في رؤيته للإنسان المعاصر والدولة المدنية الحديثة.

٢– قد يكون المفهوم (بما هو اصطلاح ومفهوم) غير رائج في الأدبيات الإسلامية الموروثة، لكنه كدلالة ومعنى فهو متأصل في جوانب البحث الفكري في التراث.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٣- ما يمثل تقاطعاً مع الهوية الدينية، هو المفهوم بمعناه الثاني (= مفهوم الحرية القانوني). ويجب أن لا يقع الخلط بين بداهة المفهوم الأول منهجياً، وعدم التسليم بالمفهوم الثاني لأنّه يمثل رؤية فكرية ذات رؤى متعدد الغايات والمقاصد والأهداف.

٤- مثّل مفهوم الحرية داخل المنظومة الإسلامية معنى (الإرادة الحرة) مع ضميمة (المسؤولية) الأخلاقية في تقبل التكليف وتصحيحه أخلاقياً.

٥- من أهم الثغرات التي عانت منها الهوية الدينية كتحدٍ حقيقي، هما: ثغرة معرفية آبستمولوجية، تقطع الإنسان عن الوحي وتجعله في دائرة المحال. وثغرة تشريعية تفرض كذلك استحالة قبول التشريع الإلهي(= الأحكام الشرعية) لأنّه يمثل تقييد (للحرية) التي توصّل لها الفكر البشري.

٦- كانت هناك محاولات على عدة صعد لتجاوز النقد الموجّه للهوية الدينية؛ فقد كانت محاولة وعلاج محمد باقر الصدر للهوة الأولى معرفياً. من خلال كشف استنتاج المعرفة الدينية وفق معطيات العلم التجريبي والاستقرائي، متوصلاً لإثبات حقائق الدين بنفس منهج إثبات العلم والقضايا التجريبية .وكانت محاولة الدكتور محمد عبد الله دراز رائدة في سد الثغرة الثانية، (النظرية الأخلاقية القرآنية) لتثبت أن التشريع الديني لا يستحيل عليه أن يواكب الحياة بتفصيلاتها الحقوقية. مع احتفاظه بـ(هويته الدينية) وخصوصيته الإسلامية.

٧- وأمّا محاولة الطباطبائي الفلسفية التي عنيت بها هذه الدراسة فكانت تركز على جانبي (العقيد) و(الأخلاق) وعلاقة عنصر (الحرية) بهما..وكيف يمكن توطين هذا العنصر بشكل صحيح لا يصطدم مع ثوابت وبنية (الهوية الدينية) التوحيدية.

٨- توصي هذه الدراسة بتثقيف الأجيال الدارسة للفكر الديني، بمد الجسور الفكرية بين عطاءات ومحاولات علمائنا ومفكرينا المتنوعة في الحفاظ على (الهوية الدينية)؛ لإظهار روعة العمل وتكامله من جهة.. ولتلمس الباحث الناشئ مواطن الخلأ ليكون حريصاً على التفكير فيها باحثاً وناقداً جاداً رصيناً.، من جهة أخرى.

٩- كذلك توصي بتكثيف الجهد لتوضيح دلالة مفهوم الحريّة للأجيال الناشئة، لأنّ الاستغلال السيئ للمفهوم والمغالط، هو الذي يبعدهم عن التوجه الديني، ويوقع الشبهة في وجدانهم تجاه تقبّل مفهوم الالتزام الديني في حياتهم العملية.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الهَويَّة الإسلاميَّة وأثرها في التميّز المنظمي

الباحث/ يحيى حسن عبد الموسوي

مقدمة

الحمد لله كما هو أهله، وأفضل الصلوات وأزكى التسليم على محمد آله الطاهرين... الهَويَّة الإسلاميَّة موضوع غاية بالأهمية لما له من تأثير على جميع نواحي الحياة، ولها عدة مديات لا يسع المقام تناولها وسبر أغوارها، من المهم بمكان أن نركز على الجانب التنظيمي للهويَّة الإسلاميَّة وأثرها على التميّز المنظمي.

فالهَويَّة الإسلاميَّة المتميزة بمرجعيتها الربانية، هي التي تزود المجتمع الإسلامي بقيمه، وتحفظ على تماسكه ولا عزة له بدونها. وهذا ما جعل أعداء الإسلام أن يستهدفوا المجتمع الإسلامي عن طريق طمس هويته وتشتيت انتمائه. لذا يعد الاهتمام بتنمية الوعي بحقيقة الهَويَّة الإسلاميَّة وأهميتها، وإيضاح ركائزها، والدعوة إلى تجسيد مبادئها إلى واقع، والدفاع عنها، ومن أهم الركائز لبناء مجتمع حضاري هي السعي لبناء مؤسسات تتمتع بعمق ثقافي تماسك بنيوي تنطلق من خلاله إلى عالم التميّز والجودة، فالهَويَّة الإسلاميَّة وثرائها المعرفي والأخلاقي والسلوكي يجعل الجانب التنظيمي مستند إلى مقومات صلبة ومتينة.

فالهَويَّة الإسلاميَّة تعني كامل الانتماء بكل أبعاده المادية والمعنوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ولا تقتصر على مجرد الانتماء الطقوسي أو المناطقي، فهي تكامل نفسي فكري، وانتماء جاء تحقيقاً وتطبيقاً لقول الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (سورة البقرة: ١٣٨)، فالصبغة هي الهَويَّة، والهَويَّة هي الإسلام، والإسلام يصبغ الإنسان بصبغة خاصة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصوراته وآماله وأهدافه وسلوكه وأعماله.

وخلال المبحث الأول سيتم عرض المفاهيم النظريَّة للهويَّة الإسلاميَّة، بدأً بتعريف مفهوم الهَويَّة التنظيميَّة، ومفهوم الهَويَّة الإسلاميَّة

والمبحث الثاني تم تخصيصه للتميز المنظمي بتناول مفهومه وأبعاده.

وخلال المبحث الثالث تم تسليط الضوء على تأثير الهَويَّة الإسلاميَّة في التميّز المنظمي.

اشكالية البحث:

يعد مفهوم الهَويَّة التنظيميَّة من المفاهيم التي حازت على اهتمام العلماء والباحثين لما لها الأثر الواضح في إنجاح العمل الإداري، البحث سيسلط الضوء على أهمية الهَويَّة الإسلاميَّة في صياغة الهَويَّة التنظيميَّة لتحقيق التميّز المنظمي، وتتمحور مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

ISBN: 978-9922-21-412-2

١- ما هي مفاهيم وأبعاد الهَويَّة الإسلاميَّة؟

٢- ما هي مفاهيم وأبعاد الهَويَّة التنظيميَّة؟

٣- مفهوم التميّز المنظمي؟

٤- كيف تؤثر الهَويَّة الإسلاميَّة في تحقيق التميّز المنظمي؟

أهمية البحث:

١- تكمن المساهمة العلمية لهذا البحث بتناوله لإحدى المفاهيم الحيوية وهي الهَويَّة التنظيميَّة.

٢- توضيح مفهوم التميّز المنظمي وأبعاده.

٣- توضيح ملامح الهَويَّة الإسلاميَّة وأثرها في ترسيخ التميّز المنظمي.

المبحث الأول: المفاهيم النظريَّة للهويَّة الإسلاميَّة

المطلب الأول: مفهوم الهَويَّة التنظيميَّة:

تلعب الهَويَّة التنظيميَّة دوراً هامًا في رفع درجات الإنتاجية وتدعيم الفعالية، فتعزيز الممارسة الإبداعية في المنظمة بخلق الأفكار الجديدة وابتكار المشاريع والخدمات، المنتجات، الأسواق الجديدة وزيادة معدلات الربحية وجود علاقة طردية بين الصورة الانطباعية الداخلية والثقافة التنظيميَّة؛ ممّا يجعل العاملين في المنظمة بالتركيز مرة بعد أخرى على أهمية خلق ثقافة تنظيمية إيجابية، وهذا لا يتأتى إلا إذا آمنت الإدارة العليا للمنظمة بدورها الفعال في تهيئة ووجود تلك الثقافة وأدراك حجم تأثيرها الضخم في ذلك، إيجاباً وسلباً.

وأن الاهتمام بالهَويَّة التنظيميَّة يعود لما لها من وظيفة إيجابية بالنسبة للمنظمة، سواء على مستوى محيطها الداخلي أو الخارجي، أما دورها المتعلق بالمحيط الخارجي فتمثل في إثبات التفرد والتميّز عن باقي الهيئات والمؤسسات؛ ممّا يكسب المؤسسة صفة تنافسية، وأما الدور المتعلق بالمحيط الداخلي للمنظمات فهو لا يقل أهمية عما قبله ويتم توحيد العاملين في المنظمة، على اختلاف خصائصهم الوظيفية على تحقيق أهداف مشتركة، ولهذا تُعتبر الهَويَّة التنظيميَّة من أهم عوامل إدماج وتكيف العاملين، وانطلاقاً من هذه الوظيفة تأخذ الهَويَّة التنظيميَّة أهمية كبيرة وتلزم قيادة المنظمة على التركيز على المهام التي بدورها تعمل على تدعيم الهَويَّة التنظيميَّة في المنظمات.

فعلى مدى أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، أصبحت الهَويَّة التنظيميَّة، من المفاهيم الأكثر أهمية لإعلام المنظمة والبحث الإداري، وقد أدى التعرف على هذه القضايا إلى محاولات متعددة لإعادة تعريف المفهوم، على سبيل المثال، على أنه 'النظريَّة التي يمتلكها أعضاء منظمة حول

ISBN: 978-9922-21-412-2

من هم' وأنها تمثل 'التفسير التوليفي لثقافة المنظمة وتاريخها وهيكلها وخصائصها ومكانتها وسمعتها' ما هو واضح هو أن الهَويَّة التنظيميَّة تدور حول 'المعنى الذاتي المرجعي' أي 'محاولات الكيان لتعريف نفسه' وتتضمن أسئلة مثل 'من هو نحن؟' و 'من نريد أن نصبح؟' جادل ألبرت وويتن (١٩٨٥) بأن هوية المنظمة تتشكل من خلال مجموعة من الادعاءات فيما يتعلق بما هو مركزي ومميز ودائم حولها (He, & Brown، ٢٠١٣) ، قد تساعد القيم والمعتقدات والطقوس والمصنوعات الفريدة أعضاء المنظمة في إثبات ادعاءات هويتهم والتعبير عن تفردهم المتصور (Ravasi & Schultz، ٢٠٠٦)

وتشير الهَويَّة التنظيميَّة إلى الفهم المشترك بين أعضاء المنظمة، فيما يتعلق بخصائصها ومهمتها ومجال نشاطها، والصورة التي يرى بها الأعضاء داخل المنظمة، كذلك الأفراد من خارج المنظمة ذاتها فيما إذا كانت ناجحة أو غير ناجحة، وتشكل الصورة الانطباعية في أذهان الأفراد تجاه منظماتهم بجوانبها السلبية والايجابية، فهي مجموعة القيم والمعتقدات والمبادئ التي تسعى الإدارة العليا ترسيخها لدى العاملين بالمنظمة، ذلك بالتأثير على اتجاهاتهم وادراكهم حتى ينعكس ذلك على تصرفات وأداء العاملين بالمنظمة (بوودن و غليط، ٢٠٢٢)

المطلب الثاني: مفهوم الهَويَّة الإسلاميَّة

الهَويَّة هو مصطلح يستخدم لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فرديته وعلاقته مع الجماعات (كالهَويَّة الدينيّة أو الوطنية أو العرقية...). يستخدم المصطلح خصوصا في علم الاجتماع وعلم النفس، وتلتفت إليه الأنظار بشكل كبير في علم النفس الاجتماعي. كلمة «هوية» منسوبة إلى الضمير «هُوَ»، والهَويَّة هي مجمل السمات التي تميز شيئا عن غيره أو شخصا عن غيره أو مجموعة عن غيرها. كل منها يحمل عدة عناصر في هويته. عناصر الهَويَّة هي شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة وبعضها الآخر في مرحلة أخرى.

الهَويَّة الشخصية تعرف شخصا بشكله واسمه وصفاته وجنسيته وعمره وتاريخ ميلاده. الهَويَّة الجمعية (وطنية أو قومية) تدل على ميزات مشتركة أساسيَّة لمجموعة من البشر، تميزهم عن مجموعات أخرى. أفراد المجموعة يتشابهون بالميزات الأساسيَّة التي كونتهم كمجموعة، وربما يختلفون في عناصر أخرى لكنها لا تؤثر على كونهم مجموعة. ودور الهَويَّة في حياتنا هي مساهمتها في بناء الشخصيّة وتحديدها لطبيعة الانتماء وأهميّتها في رسم التوجّه الفكري والسياسي، أي إنّما تُحدّد (خطّ السير)، وتشكيلها لقاعدة موحَّدة، وإيجاد وسيلة تفاهم وتعايش مشترك، ما تمنحه من قوّة جذب للآخرين، إذن فالهَويَّة (عنوان) و(انتماء)

ISBN: 978-9922-21-412-2

وإذا اتصفت الهَويَّة بصفة (الإسلاميَّة) فإنها تنطلق إلى فضاء رحب وواسع؛ فهي تعني وعي الشخصيّة الإسلاميَّة بمكوّناتها الذاتيّة المميّزة لها. فلكلّ شخصيّة خصائصها وقيمها المعبّرة عن انتمائها. وهي المرآة العاكسة لصورتها الداخليّة (العقليّة والانفعاليّة). في مصادر المعرفة الإسلاميَّة هنالك أكثر من تعبير عن الهَويَّة، فالقرآن الكريم يسمّيها (الفطرة) و(الصبغة) ويطلق عليها التسمية الصريحة أيضاً، كما ورد على لسان إبراهيم (عليه السلام) وهو يعبر باعتزاز عن هُوية هذا الإنسان الربّاني الذي أسلم كلّه لله: ﴿هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ (سورة الحج: ٧٨). كان مسلماً بكلّ معنى الكلمة، أسلم وجهه (حياته كلّها) لله وسلّم زمام أموره كلّها له، ولذلك كانت وصيّته لأبنائه ووصيّة أبنائه من بعده لأبنائهم: ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة البقرة:١٣٢)، والإسلام هو التسليم لله، والانتماء إليه، والاعتقاد به، والفطرة هي الخلقة التي يخلق المولود عليها في بطن أُمّه: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ (سورة الرّوم: ٣٠).

جاء عن النبيّ ﷺ: «كلُّ مولود يولدُ على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه». والفطرة هي الإسلام وتوحيد الله تعالى، وقيل: هي الطبيعة الأولى النقيّة التي يكون عليها المولود وقت ولادته، وإذا كانت سليمة سمّيت (عقلاً). وقيل: الفطرة هي (التديّن) بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها﴾ (سورة الرّوم: ٣٠).

ويمكن فهم الفطرة على أنّها النظام الذي يحكم حياة الإنسان وتصرّفاته، وبهذا نعي أيضاً قول النبيّ ﷺ إنّ المولود يولد على الفطرة، أي كالتربة الصالحة للإنبات –أو كالورقة البيضاء التي يكتب فيها الآباء والمربّون والمعلمون ما يشاءون مما يثبتها على الدّين الحقّ أو يحرّفها عنه. فهو ﷺ، يذكر (الإسلام) في التربية من بين محاولات الأبوين توجيه أبنائهم دينياً، وإنّما قال: (يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه)، ليلفت نظرنا إلى أنّ الإسلام هو الفطرة وهي الاستعداد لتقبّل بذرة التوحيد والطاعة لله، ولكن التيارات الفكريّة والتربويّة والطائفيّة والمذهبيّة المختلفة هي التي تحرّف مسار هذه الفطرة بتعصّبها الجاهل، ولمعرفة الهَويَّة التي هي بدورها إجابة عن ماهيّة الإنسان. يُقال: ما هو؟ أو: مَنْ هو؟ أي أنّ السؤال عن الذاتية والخصوصية: فكراً وثقافةً وأسلوبَ حياة. ولذلك اعتبرها البعض (جوهر الإنسان) وكينونته الثابتة التي تبقى على الرغم من كلّ مظاهر التغيير التي قد تطرأ عليه، وبالتالي فالهَويَّة هي ما يميّز الإنسان عن غيره(البلاغ، ص ٥).

ISBN: 978-9922-21-412-2

المبحث الثاني: المفاهيم النظريَّة للتميز المنظمي

المطلب الأول: مفهوم التميّز المنظمي

من الصعب تحديد مفهوم التميّز التنظيمي، بل إن تحقيق التميّز التنظيمي يعد أكثر صعوبة، لتحقيق التميّز التنظيمي، يجب تحقيق معايير أداء المنظمة بل وتجاوزها، وأنّ مفهوم التميّز متجذر في الفكر الإنساني، فقد كان حاضرًا في حجر الزاوية للمغامرات الفلسفية من قبل العقول الشرقية والغربية في العالم القديم. ككلمة، مشتقة من الكلمة اللاتينية 'Excellentia' (Dahlgaard & Anninos، ٢٠٢٢)، وقد تنوعت التعاريف التي تناولت التميّز التنظيمي، طبقًا لتعدد وتنوع النماذج التي تناولت التميّز ، ويعكس هذا التنوع أهمية المفهوم الذي جعل المناهج الإدارية المعاصرة تركز على تعريف مفاهيم التميّز التنظيمي، فقد أصبح التميّز المؤسسي السمة الأبرز في حياة المنظمات ، باعتبار أن البقاء والنمو مرتبطان بمدى تميز المنظمات عن بعضها البعض. وعرفته المؤسسة الأوربية للجودة (EFQM ٢٠١٢):على أنه الممارسة المتميزة في المنظمة لتحقيق تسعة مفاهيم أساسية، وهي التركيز على العملاء، والإدارة من خلال العمليّة والحقائق، والتعلم المستمر، وتطوير الشراكة والمسؤولية العامة ، والتوجه نحو النتائج ، والقيادة وثبات الهدف ، وتنمية الأفراد والمشاركة ، والابتكار والتحسين، وعرَّف البعض التميّز بأنه 'عمليّة جودة الممارسات التي تشمل التقييم الذاتي لتحسين فاعلية المؤسسة، وموقعها التنافسي، ومرونة العمل فيها، ومشاركة جميع المستخدمين في كل مؤسسة للعمل معًا في جميع الأقسام من خلال الفهم. جميع الأنشطة والعمل على إزالة الخطأ وتحسين العمليّة نحو تحقيق التميّز المؤسسي. (Khalil et al.، ٢٠٢٢:٨٩)

المطلب الثاني: خصائص التميّز المنظمي:

يتكون التميّز التنظيمي من محورين. المحور الأول هو سعي المنظمة للتميز والمحور الثاني هو أن جميع السياسات والقرارات التي تنتج عن إدارة المنظمة والأنظمة التي تتبناها يجب أن تتحلى بالتميّز. يجب أن يتفاعل المحوران ويتشابكان للوصول إلى المنظمة للتميز والإبداع (Alsarayrah & Alsarayrah ، ٢٠٢١:١٦١) تتميز المنظمات المتميزة مؤسسياً بعدد من الخصائص المهمة:

١. التركيز على المعرفة: فإن التميّز هو الأداء الأعلى والأكثر تميزًا؛ لذلك ، يجب على أي منظمة الانتباه إليها. في الوقت الحاضر، في تحقيق سجل أداء عالٍ، يجب على العديد من المنظمات أن تكافح أولاً لتحقيق التميّز التنظيمي لتبرز من المنافسين الآخرين في السوق.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ومع ذلك، فشلت العديد من المنظمات في تحقيق التميّز بسبب نقص المعرفة فيما يتعلق بعمليات ومفاهيم التميّز في الأعمال. إنّ التميّز يتم إنشاؤه لتحديد القدرة التنظيميَّة لتحقيق التميّز في الأداء ، والوعي بنمو الجودة ، والأداء المتفوق والجودة ضمن نموذج تنافسي (Akanmu & Mohamad ، ٢٠٢١: ١١٢).

٢. قبول العمل الشاق: حيث يعد قبولها للعمل الصعب من أهم مصادر التميّز التنظيمي. يوفر للمنظمات فرص التعلم والنمو السريع وتحسين عملياتها. كما أنه يوفر لهم قيادة كفوءة ، حيث أن للقيادة المختصة دور بارز في تشجيع التميّز وتحمل الصعوبات. تكشف الصعوبات عن مستويات القدرة التنظيميَّة، حيث يساهم ارتكاب الأخطاء وفضح الأزمات ومواجهتها في صقل وتميز القدرات التنظيميَّة. علاوة على ذلك، تمتلك المنظمات المتميزة خبرات كافية في خدمة المجتمع ، ولديها برامج تدريبية تساهم في التميّز التنظيمي ، ودقيقة في التنبؤ من خلال اختيار أفضل الأساليب لأداء المهام (Hiba، ٢٠٢٢:١٢٤)

٣. الخدمة المتميزة: في ظل إدارة التميّز، فإن غياب الخدمة المتميزة مؤشر على وجود نقص في المنتج أو الخدمة. لذلك، تحتاج المنظمة إلى اعتماد خطة عمل لتصحيح أوجه القصور أو الأخطاء أولئك الذين يتعاملون مع المؤسسة، بغض النظر عن فئاتهم ، هم مستهلكون لمنتجاتها ومتلقون لخدماتها. عندما يحصلون على منتجات لا تلبي تطلعاتهم ، يلجأون إلى التعامل مع المنافسين للاستفادة من منتجاتهم أو خدماتهم. (Alkharabsheh & Alsarayreh ، ٢٠٢٢:٤٧٧)

٤. وجود قيادة فعالة: القيادة بمثابة نموذج يحتذى به ، ولها دور بارز في تحفيز وتشجيع التميّز، والتزام جميع مستويات القيادة بعمليّة التحسين والتطوير ، وامتلاك القادة لمستوى عالٍ من القدرات والمهارات والابتكار (Hijjawi، ٢٠٢١:٥٧)

٥. الدِقّة: تهدف إلى تعزيز دِقّة نظام التنبؤ الخاص بها من خلال اختيار أفضل التقنيات لإكمال المهام وخلق جو داخلي يؤكد على أهمية دِقّة التنبؤ في التأثير على نجاح المنظمة. والاستثمار في الفرص الحيوية الموجهة من خلال التخطيط الاستراتيجي الفعال، والغرض الواضح ، والالتزام برؤية مشتركة ، والموارد الكافية ، والاجتهاد ، والأداء الفعال (Salih ، ٢٠٢٠:٤)

ISBN: 978-9922-21-412-2

٦. ريادة الأعمال والاستقلال: أن المنظمات يجب أن تنفذ برامج جديدة ومبتكرة. يتم تحقيق ذلك من خلال سهولة الاتصال، واللامركزيَّة في العمل، والحرية وعدم وجود عقبة عند التفاعل مع بعضنا البعض (Mohammed & Alzeidi، ٢٠٢٢:١١٤)

٧. التميّز مفهوم غير قابل للتجزئة: لأنه لا يوجد فرق في أي منظمة في قطاع معين عن الآخرين. بينما يتم تقسيم الأداء في مجال آخر، فإن التشابكات والتوازن تتميز بخاصيتين للتميز في مختلف قطاعات المنظمات التي تضم مقياسين لأجزاء الإدارة الحديثة: الإدارة الحقيقية التي تسعى إلى تحقيق التميّز والأشياء الأخرى التي تأتي من الإدارة مثل اعتماد الأحداث والقرارات والأنظمة التي تتميز بالتميّز (Akanmu & Mohamad ، ٢٠٢١: ١١٤)

٨. التميّز يتطلب قدرات تنظيمية عالية: يتطلب التميّز المؤسسي وجود مكونات قوية داخل المنظمة مثل المرونة والتنوع والابتكار إلى جانب ميزة مستدامة ومرونة واستقرار بالإضافة إلى ذلك، يتطلب الوصول إلى مستوى التميّز التحليل الاستراتيجي المنتظم والهيكلية الذي يفحص إعدادات العمل الداخلية والخارجية للكشف المبكر عن نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات والتحديات ينبع التميّز من قدرة المنظمة على بلورة أدواتها ومواردها للاستجابة بنشاط لأي تغيرات سريعة ، ورفع الشعور بالجودة لتحقيق القدرة التنافسية ، وتطوير الإبداع. (Shakhour et al.، ٢٠٢١)

٩. المواطنة التنظيميَّة: 'التميّز التنظيمي وثيق الصلة بجودة العمل الذي يؤديه العامل ، والسلوك الاجتماعي الذي يسمى سلوك المواطنة التنظيميَّة (Hijjawi، ٢٠٢١:٥٧).

١٠. وجود منظمة متعلمة: يتطلب تحقيق التميّز وجود منظمة تعليمية تتمتع بالقدرات والإمكانيات لمواجهة التطورات الجديدة في المصنع لتكون في المركز الأول مقارنة بالمنافسين الآخرين. تتطلب استدامة التميّز التنظيمي إدارة موارد بشرية متكاملة. العامل البشري للمنظمات هو المفتاح لقيادة المنظمة للتميز(Al-Jedaiah & Albdareen، ٢٠٢٠:٤٩)

١١. التميّز يتطلب ديناميكية في الأداء: إن تحقيق المنظمة للتميز في الأداء يتطلب من أعضائها الابتعاد عن كل ما هو روتين نمطي في أداء وسلوك معظم المنظمات واعتمادها لأنظمة ديناميكية وفعالة، (Hashem، ٢٠٢٢).

ISBN: 978-9922-21-412-2

المطلب الثالث: أبعاد التميّز المنظمي

البعد الأول: الثقافة التنظيميَّة

فهي إحدى العوامل التي تم تحديدها كعامل حاسم يساهم في التحسين التنظيمي ، والاستراتيجيات التنظيميَّة ، وتحسين جميع مستويات التنظيم ، مما يؤدي إلى التميّز التنظيمي(Aldarmaki & Yaakub، ٢٠٢٢:٣٥) ، إذ تضمنت نظريَّة الثقافة التنظيميَّة السلوك التنظيمي جنبًا إلى جنب مع تخصصات العلوم الاجتماعية مثل الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي (Bhabad & Upadhyay ، ٢٠٢٢:٤) يُعتقد أن الثقافة عبارة عن مجموعة مكتسبة من المعرفة التي يوفر تفسيرها وفهمها هوية المنظمة والشعور بالهَويَّة المشتركة بين أعضائها ، فإن الثقافة التنظيميَّة هي العامل الرئيسي الذي يساعد أعضاء المنظمة على فهم عملهم واختيار النهج الصحيح لحل المشكلات. عند العمل معًا، يجب على أعضاء المنظمة فهم أهمية الثقافة التنظيميَّة التي تتعلق بطريقة التفكير والإيمان والسلوك والتي ستؤدي إلى الإدارة الناجحة للمنظمة. بالنسبة لهوفستيد (١٩٩٩)، الثقافة كليّة من حيث أنها تشير إلى الكل الذي هو أكثر من مجموع أجزائه؛ يتم تحديده تاريخيًا من خلال عكس تاريخ المنظمة؛ تم بناؤه اجتماعيًا لأنه تم إنشاؤه والحفاظ عليه من قبل مجموعة الأشخاص الذين يشكلون المنظمة؛ من الصعب تغييرها يتعلق بأشياء الدراسة من الأنثروبولوجيا الثقافية، مثل الأساطير والطقوس والرموز؛ إنه في الأساس برنامج ، بالمعنى الحسابي المنسوب إلى المصطلح (San Jose، ٢٠٢٢؛١٠٠)

البعد الثاني: القيادة

القيادة هي عمليّة معقدة يؤثر من خلالها الشخص على الآخرين لإنجاز مهمة أو مهمة أو هدف ويوجه المنظمة بطريقة تجعلها أكثر تماسكًا وتماسكًا. يعتبر التميّز القيادي من أهم الركائز التي تقوم عليها الإدارة الحديثة ، حيث يتطلب قدرة عالية من القائد ليكون قادرًا على مواكبة التطورات والتغييرات التي يفرضها عصر المعرفة على جميع المواقف التي قد لديك الفرصة لزيادة المنافسة، وقد تدفعهم نحو التميّز. يشير التميّز التنظيمي إلى وجود علاقة مهمة بين أداء الأعمال واستراتيجيات القيادة ، مما يساعد المديرين والأكاديميين على فهم عوامل التميّز التنظيمي والقيادة التي تساهم في رفع أداء الأعمال. يشير مفهوم التميّز التنظيمي أيضًا إلى الجهود المستمرة لإنشاء إطار داخلي للمعايير والعمليات التي تهدف إلى إشراك الموظفين وتحفيزهم على تقديم المنتجات والخدمات التي تلبي متطلبات العملاء ضمن توقعات العمل.

ISBN: 978-9922-21-412-2

علاوة على ذلك، يضمن التميّز التنظيمي أن جميع الأنظمة التنظيميَّة متوافقة وتعمل بشكل متماسك معًا (Darmaki & Noor ، ٢٠٢١:٢٨)

البعد الثالث: الاستراتيجيَّة

مصطلح 'استراتيجي' مشتق من الكلمة اليونانية 'Strategos' التي يرتبط معناها بمفهوم الخطط طويلة المدى في المعارك العسكرية وخطط المواجهة ومحاولات النجاح. هذا يعني أن مفهوم الاستراتيجيَّة هو الأساس الأولي لإدارة الحروب وأن مصطلح 'إستراتيجي' يأتي من الكلمة اليونانية 'Strategos' بعد ذلك تم إدخال مفهوم الاستراتيجيَّة في المجال الإداري لضمان نجاح العمليات التنظيميَّة بناءً على تحليل بيئة المنظمة والعمليات الداخلية والخارجية، ومن ثم الوصول إلى خطة للمنظمة لتحقيق التميّز في الأداء، كمفهوم المجال الإداري، ترتبط الاستراتيجيَّة بالإدارة لتحقيق نمط معين من استجابة المنظمة لمجموعة واسعة من العوامل، سواء في البيئة الداخلية أو الخارجية. يُفهم أيضًا على أنه وضع الخطط والأهداف لتحديد آلية تحقيق الأهداف التنظيميَّة والتصور التنظيمي لما يمكن تحقيقه، تساهم الإدارة الاستراتيجيَّة في تحقيق التميّز للمنظمة من خلال زيادة كفاءة وفعالية الموارد المتاحة ، بالإضافة إلى الاهتمام بالأولويات وفرص الاستثمار ، وكذلك توفير وجهة نظر موضوعية فيما يتعلق بالمشكلات الإدارية وبالتالي المساهمة في حلها. يمكن دعم رغبة المنظمات في التميّز من خلال زيادة التنسيق والرقابة على الأنشطة الداخلية والخارجية عندما يتم إدخال درجة عالية من النظام والشكلية في الإدارة.

المبحث الثالث: تأثير الهَويَّة الإسلاميَّة على التميّز المنظمي

مما تقدم فإن للهويَّة الإسلاميَّة الأثر البالغ في ترسيخ ثقافة التميّز المنظمي، لما أكدت عليه الآيات والأحاديث الشريفة وفي جميع مقومات التميّز، وقد ونقل عن أمير المؤمنين عليه السلام عنه قوله: (لأنسبن إلى الإسلام بنسبة لم ينسبها أحد قبلي، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل الصالح). فالعمل الصالح هو الذي يكون متميزًا وكما يلي:

١. التركيز على التخطيط في العمل: قَالَ الإمامُ جَعْفَر بن محمد الصَّادق عليه السلام: "الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لَا تَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا بُعْدا " (الحراني، ٢٠٠٢: ٢٦٤) أكد الإسلام على أهمية التخطيط في جميع مرتكزات العمل ، فنرى العديد من الأحاديث الشريفة توضح خطوات التخطيط بصورة دقيقة وواضحة بدءاً من التفكر والمشاورة مروراً باعتماد الرأي وانتهاءً بالعزم والتوكل على الله تعالى ذكره، عن أمير المؤمنين عليه السلام

ISBN: 978-9922-21-412-2

:"التدبير قبل العمل يؤمن الندم" و"التدبير قبل الفعل يؤمن العثار"، و"أدل شيء على غزارة العقل حسن التدبير"، و" لا عقل كالتدبير" و "صلاح العيش التدبير" (الآمدي، ١٩٩٢ :٢١) فهنا يكشف أمير المؤمنين عليه السلام العلاقة الوثيقة بين التدبير (التخطيط) وبين صلاح العيش بحيث إن التدبير قبل الإقدام على العمل يؤمن ويمنع الندم.

٢. التركيز على القيادة الفعَّالة: وفي ضوء ذلك تطلق الإمامة أو القيادة في الثقافة الإسلاميَّة على توجيه الناس نحو نظام الحق ومجتمع القيم، أو نظام الباطل والمجتمع الخالي من القيم (الريشهري،١٩٩٦: ٢٣)، وضمن الفكر الإسلامي وفي مدرسة أهل البيت على وجه التحديد فإن القيادة قد نالت الأهمية القصوى، عن الإمام علي عليه السلام: "الإمامة نظام الأمة" وكذلك : "مكان القَّيم بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظام تفرق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا"(الريشهري،٢٠٠١ : ١٤٨) فقد اقترن القائد بالقرآن المجيد بكل ما للاقتران من معنى وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله:"علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض" (الريشهري،٢٠٠١ : ١٨٤)

٣. التركيز على الجودة والتحسين المستمر: الإسلام يركز على جودة العمل وتحسينه لا على كمه، فقد ورد في القرآن المجيد ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾(سورة الملك: ٢) وعن الإمام الكاظم عليه السلام: "من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم يعرف الزيادة في نفسه فهو في نقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة"(الريشهري، ٢٠٠١ : ١٤٩٥)

٤. التركيز على التعاون الجماعي: قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة:٢)، وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: "يد الله على الجماعة، فإذا اشتذ الشاذ منهم اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة الشاذة من الغنم" وعنه صلى الله عليه وآله: الجماعة رحمة والفرقة عذاب (الريشهري، ٢٠٠١ : ٥٣٤).

٥. التركيز على الرقابة: قد تناول القرآن المجيد مبدأ الرقابة بآيات كريمة متعددة منها﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(سورة ق : ١٨)، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾(القيامة:٣٦) ، ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾(العلق : ١٤) ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر :١٤) ، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾(غافر: ١٩)، والعديد من الآيات التي توجه العقول إلى أن الأعمال، بل حتى النوايا هي مرصودة لدى الله السميع العليم فما يعزب عنه مثقال ذرة ، فهذه الرقابة توفر

ISBN: 978-9922-21-412-2

حذر وحيطة من قبل العامل لما يعتقده بأن أعماله خاضعة للرقابة الشاملة والدائمية فيسعى لتحسين العمل .

٦. التركيز على المحاسبة المستمرة: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾(القيامة : ١٤)عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَإِنْ عَمِلَ حَسَناً اسْتَزَادَ اللَّهَ وَ إِنْ عَمِلَ سَيِّئاً اسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهُ وَ تَابَ إِلَيْهِ)، وفي وصية النبي لأبي ذر: (يَا أَبَا ذَرٍّ لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ شَرِيكَهُ فَيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَ مِنْ أَيْنَ مَشْرَبُهُ وَ مِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ أَ مِنْ حَلَالٍ أَوْ مِنْ حَرَامٍ...)

٧. التركيز على الإيثار: يذكر أمير المؤمنين عليه السلام علاقة الإيثار بالقيادة من خلال أحاديثه المباركة : "الإيثار أفضل عبادة وأجل سيادة"، "بالإيثار يسترق الأحرار"، " بالإيثار على نفسك تملك الرقاب (الريشهري، ٢٠٠١: ١٤٨).

٨. التركيز على العفة والنزاهة: عنه عليه السلام: "ألا وأنّ لكل مأموم إماما يقتدي به ويستضئ بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه" (الريشهري، ٢٠٠١: ١٦١).

٩. المبادرة على تلبية حاجات الآخرين: يؤكد الإسلام على أهمية المبادرة إلى قضاء حوائج الإخوان: الإمام علي عليه السلام: "لا يكلف أحدكم أخاه الطلب إذا عرف حاجته" (الريشهري، ٢٠٠١: ٦٥). الإمام علي عليه السلام : "السيد من تحمل المؤونة وجاد بالمعونة" وعنه عليه السلام: "السيد من تحمل أثقال إخوانه وأحسن مجاورة جيرانه" (الريشهري، ٢٠٠١: ١٨٣٤).

١٠. التحفيز على العمل المميز: يقول أمير المؤمنين عليه السلام:(ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَ غِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ) (الشريف الرضي ، ١٤٣٧ : ٦٤١).

١١. الاتقان في العمل والإخلاص: فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) عن أمير المؤمنين عليه السلام: تصفية العمل أشد من العمل، وتخليص النية عن الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد (الريشهري، ٢٠٠١: ١٠٠٦).

١٢. التفاضل يكون حسب النفع: يركز الإسلام على التنافس في إشاعة روح التعاون على البر والتقوى وخير الناس هو الأكثر خدمة ونفعًا للناس يحث عليها الاسلام وبعبارة واضحة وجلية من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله" سيد القوم خادمهم" (الريشهري، ٢٠٠١: ١٨٣٤) "وخير الناس أنفعهم للناس".

ISBN: 978-9922-21-412-2

١٣. التركيز على الأخلاق الطيبة: عن رسول الله ﷺ: (إن أحبكم إلي وأقربكم مني يوم القيامة مجلسا أحسنكم خلقا وأشدكم تواضعا) (الريشهري، ٢٠٠١: ١٠٧٥) ، عن أمير المؤمنين عليه السلام: (عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه) (الريشهري، ٢٠٠١: ١٠٧٢).

١٤. التركيز على البعد العاطفي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: " يا كميل! المؤمنون إخوة، ولا شيء آثر عند كل أخ من أخيه"(الريشهري، ٢٠٠١: ٤٨). الإمام علي عليه السلام: "لا يكون أخوك أقوى منك على مودته" ."يا كميل إن لم تحب أخاك فلست أخاه". (الريشهري، ٢٠٠١: ٥٠).

الخاتمة

كل التعاليم الإسلاميَّة والتي تبلور الهَويَّة الإسلاميَّة توجه المسلمين إلى التركيز على التميّز المنظمي، وإتقان الأعمال فليس التفاضل بالأنساب وإنما بالأعمال الصالحة والتي تجعل الاتقان صفتها السائدة، فالثقافة التي تنتج من القرآن والسنة المطهرة تدعو إلى تجويد الإعمال واتقانها وهو سنام التميّز المنظمي، وكذلك القيادة والإستراتيجيات الإسلاميَّة التي تدعو إلى خلافة الإنسان في الأرض وعمارتها فمن خلال المبادئ التي تحكم الإسلام والتي تتصف بشموليتها وسموها والتي ترسم المسار للإنسان أن ينجح في مهمته في الدنيا وأداء الأمانة التي تكفل بحملها وهي خلافة الله في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة : ٣٠).

فكل آية أو حديث نستطيع أن نستلهم منه الحث على العمل المتميز سواء كان على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة، لذا يتطلب من المسلمين أفرادًا وجماعات ، منظمات ودول ، تفعيل وترسيخ والاعتزاز بالهَويَّة الإسلاميَّة التي تجعل أعمالنا تتصف بالجودة والاتقان والتميّز.

المصادر:

القرآن المجيد

المصادر العربية:

١- الآمدي، عبد الواحد بن محمد(١٩٩٢) ، غرر الحكم ودرر الكلم، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ط١

٢- بوودن، نبيلة وغليط، شافية (٢٠٢٢)، مقومات بناء الهَويَّة التنظيميَّة، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مج ١٠، العدد ٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٣- الريشهري، محمد (٢٠٠١)، ميزان الحكمة، دار احياء التراث العربي، ط١، بيروت.
٤- الشريف الرضي ، محمد (١٤٣٧هـ)، نهج البلاغة، العتبة العلوية المقدسة ، ط١.
٥- لجنة التأليف، مؤسسة البلاغ، هُويَّتي (دراسة في ملامح الهَويَّة الإسلاميَّة) ، https://www.balagh.com/article/%D9%87%D9%8F%D9%88%D9%8A%D9%91%D9%8E%D8%AA%D9%8A
٦- الموسوي، يحيى (٢٠٢٢)، الإدارة القيمية الإسلاميَّة، بحث منشور مقدم إلى المؤتمر الوطني الأول الموسوم (أثر المنظومة القيمية في بناء المجتمع وتنميته)

المصادر الأجنبية:

7- Akanmu, M.& Mohamad , B. (2021), **The Mediating Role of Organizational Excellence Between Total Quality Management Practices and Sustainability: A Preliminary**, Advances in Economics, Business and Management Research, volume 180 ,Proceedings of the 18th International Symposium on Management.

8- Al-Jedaiah,M.& Albdareen, R.(2020),**The effect of strategic human resources management (SHRM) on organizational excellence**, Problems and Perspectives in Management, Volume 18, Issue 4.

9- Alkharabsheh, S.& Al-Sarayreh , A.(2022), **The Impact of Strategic Intelligence Practices in Achieving Organizational Excellence through Human Capital as a Mediating Variable in the Manaseer Companies Group in Jordan**, Journal of Positive School Psychology, Vol. 6, No. 7, 474–483.

10- Bhabad , S.& Upadhyay , A.(2022), **A LITERATURE REVIEW ON ORGANIZATIONAL CULTURE TOWARDS CORPORATE PERFORMANCE**, RED'SHINE PUBLICATION PVT. LTD.

11- Darmaki, S.& Noor , K.(2021), **Organizational Excellence And Its Role In achieving the competitive advantage at Abu Dhabi University, through an applied study to the faculties of Abu Dhabi University** , Perdana: International Journal of Academic Research (Social Sciences & Humanities) Vol. 12. No. 1 – December Issue eISSN: 2600-9463.

12- He, Hongwei & Brown, Andrew (2013), **Organizational Identity and Organizational Identification: A Review of the Literature and Suggestions for Future Research**, Group & Organization Management 38(1) 3–35.

13- Hiba, K. (2022), **Ethical Leadership as a Strategy Towards Organizational Excellence – Case Study of a Sample of Workers in the Cement orporation of Mitiga / Blida**, Strategy and Development Review Volume: 12 / N°: 02(July).

14- Hijjawi, Ghufran (2021), **The effect of entrepreneurship on organizational excellence: The mediating role of visionary leadership**, Management Science Letters 11.

15- Mohammed, R.& Al-Zeidi, N.,(2022), **Knowledge Sharing and Its Role in Organizational Excellence,** International Journal of Research in Social Sciences & Humanities, April-June 2022 Vol. 12, Issue 2; 105-118 DOI: http://doi.org/10.37648/ijrssh.v12i02.006.

16- Ravasi, Davide & Schultz, Majken(2006), **Responding to Organizational Identity Threats: Exploring The Role Of Organizational Culture**. Academy of Management Journal , Vol. 49, No. 3, 433–458.

17- Salih , Dilgash (2020), **The Impact of Green Human Resources Management Practices on Organizational Excellence: An Empirical Study**, Management and Economics Research Journal. Article ID: 1119826 https://doi.org/10.18639/MERJ.1119826.

18- San Jose, Manolito (2022), **Organizational Culture Towards Culture of Excellence**, Journal Politikom Indonesiana: Vol. 7, No.1, June.

19- Shakhour, N., Obeidat, B., Jaradat, M., Alshurideh, M.& Masa'deh, R. (2021), **Agile-Minded Organizational Excellence: Empirical Investigation,** Academy of Strategic Management Journal Volume 20, Special Issue 6.

ثقافة الحوار وأثرها في تعزيز الهوية الإسلامية داخل الاسرة ، دراسة تحليله لواقع الحوار الاسري

زين العابدين علي حسين علي / كلية الإداب جامعة القادسية
البريد الالكتروني : zainalabdinali1997@gmail.com

الملخص

يبين أثر الأسرة في بناء أفرادها حيث تعدُّ الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع وهي المسؤولة عن التربية بكافة أنواعها وأشكالها، ولكي تنجح الأسرة في تحقيق أهدافها في بناء جسور التواصل والحوار الصادق البناء مع الأبناء، لابد أن يكون قائماً على أسس ورؤى سليمة وبيئة تفاهم عبر خلق ثقافة الحوار المفتوح لتنجح الأسرة في تحقيق أهدافها . حيث إن الحوار بين الآباء والأبناء أو الحوار الأسري من أهم وسائل الاتصال في الأسرة والذي له تأثير كبير ومهم في بناء أسرة متكاملة وقوية ومترابطة، وبالطبع له فوائد نفسية وتربوية ودينية واجتماعية وأخلاقية تؤثر بشكل كبير على الفرد، ومن ثمّ على المجتمع ككل ، فالحوار أهمية قصوى يتم عبر ارساء مبادىء الإسلام التي أقرّها واشاعه الهوية الإسلامية ، وبناء على ذلك يسعى الباحث في هذا البحث إلى بيان أثر الحوار في تعزيز الهوية الإسلامية داخل الاسرة.

المقدمة

يوصف العصر والمجتمع الذي ننتمي إليه أنه عصر ومجتمع انتشار المعرفة والثورة العلمية وقد واكب هذه المعرفة كثير من التطبيقات الثقافية والتقنية المختلفة، لذلك فعلى الإنسان الذي يعيش في هذا العصر أن يفكر ويخطط لما سوف يقول حتى يستطيع الاتصال والتواصل مع الآخرين، ومنذ أن خلق الله تبارك وتعالى الإنسان على وجه البسيطة وهو لا يستطيع العيش وحده فالإنسان خلق ليعيش ضمن مجتمع متصل ويتواصل مع الأفراد في داخله وذلك عِبرَ عمليات الحوار والتعايش بين أفراد المجتمع الواحد وإفراد المجتمعات الأخرى في وتكاد لا تخلو كثير من المجتمعات من التناقضات والاختلافات والمتغيرات، ولذلك فالأفراد داخل هذه المجتمعات، ونتيجة لذلك كله أمامهم خيارين الأول: التنازع والنزاع والذي يؤدي إلى الخصومات والعداوة، والثاني: الحوار الذي يؤدي إلى الله ،أهم، والابتعاد عن البغضاء والتنافر، ومن هنا نجد أن الحوار هو إنتاج عقلي جماعي يحترم الآخرين، ولا يحتك و المعرفة والعلم بل يسعى إلى المشاركة مع الآخرين. إن للحوار دورا كبيرا في حل الخصومات والمنازعات بين الناس والتسليم بآراء الآخرين والحوار المتبادل بين شخصين أو فئتين يدل على التقدم والتحضر والرقي الذي وصل إليه هؤلاء الأفراد في داخل المجتمع الواحد، ولقد دلّ على هذا الاتجاهات والاهتمامات

ISBN: 978-9922-21-412-2

الدولية حول الحوار وتعزيز مهاراته. ويعدُّ الحوار في هذا العصر من أهم وسائل التفاهم بين الدول والشعوب من أجل تضييق شقة الخلاف وتقريب الآراء من أجل مزيد من التقدم والمعرفة والرقمية لذلك يعد الحوار وسيلة فعالة في ارساء تعاليم الدين الإسلامي ونشر هويته عبر اقناع الآخرين عن طرق الحوار والمناقشة.

وهنا نجد أن الحوار الأسري ما هو إلا وسيلة من وسائل الإتصال الأسري الفعال فمن الأهمية القصوى أن يتوافر حوار إيجابي بين أفراد الأسرة، عبر الحوار الأسري تنمو المشاعر الإيجابية ويتحقق التواصل بين أفرادها، ويساعد على إشاعة روح المحبة والمودة بينهم، ويساهم الحوار الأسري في التقريب بين الآراء ويتعلم كل فرد في الأسرة أهمية احترام الرأي الآخر، حيث يعد الحوار الأسري أساس للعلاقات الأسرية الحميمة ويساعد على نشأة الأبناء نشأة سوية صالحة لما يخلق من روح التفاعل الإجتماعي مما ينتج من ذلك تعزيز مبادئ الإسلام السامية التي دعت اليها الكتاب والسنة.

المبحث الأول: الاطار العام للبحث

أولًا : عناصر البحث الأساسية

١- مشكلة البحث

ان ما تعانيه الأسرة في الوقت الحاضر غيابًا واضحا لثقافة الحوار بين أفرادها مما ينتج عن الارتباك والاضطراب والابتعاد عن مبادى الاسلام مما يؤثر سلبا على الحياة الاسرية وعلى علاقاتها مع بعضهم البعض ، ولهذا فأن مشكلة الدراسة تتحدد في التعرف على أثر ثقافة الحوار في الأسرة في تعزيز الهوية الإسلامية بين ابنائها وسبل تعزيزها.

٢- اهمية البحث

تتبع أهمية الموضوع ان الحوار لأهمية قصوى في الأسرة وله أثر مهم وريادي في بناء أفرادها على أساس الإسلام بناء صحيح فعال ، فالحوار وسيلة للمسلم يسعى عبرها إلى نشر الدين الإسلامي وطريقة فعالة في دعوة الناس للدين الإسلامي ، وأداة جيدة لنبذ الخلافات وتقريب الآراء المختلفة.

٣- اهداف البحث

- ترسيخ اسلوب الحوار كمنهج للتعامل مع مختلف القضايا.
- الاسهام في نشر مبادى الاسلام و الهوية الاسلامية عبر الحوار البناء.

ثانيا : تحديد المفاهيم

ISBN: 978-9922-21-412-2

١- الحوار: يعرف الحوار حديث شفهي يجري تبادله بين أكثر من فرد سواء في شارع ، بيت، مدرسة أو منتدى إلخ، أو هو الكلام المطبوع في صحيفة أو مجلة فيكون على شكل عرض وجهات نظر او تعقيبات او مداخلات.(١)

٢- الثقافة: وتعرف الثقافة هي جملة الأنماط "القيم والقواعد والأعراف والتقاليد والخطط...إلخ" التي تبدع وتنظم لدى جماعة ما حقل الدلالات "العقلية والروحية" وتحدد بالتالي لدى هذه الجماعة أسلوب استخدامها لإمكانياتها البشرية والمادية ونوعية استملاكها لبيئتها.(٢)

٣- ثقافة الحوار: تعرف ثقافة الحوار بأنها مجموعة معارف مكتسبة تسمح بتنمية الحوار والنقد والقدرة في الحكم على الناس في الأمور والأشياء ، وهي القدرة اللفظية الذي يتم عبرها تداول الأفكار وتقارب الآراء والتعبير عن الرأي وتبادل الخبرات وتنمية التفكير وتفعيل طرائق الاتصال.(٣)

٤- الهوية الاسلامية :الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحقّ الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة على الناس.

٥- الأسرة : وتعرف الاسرة اصطلاحا على أنها الجماعات المرجعية التي يعتمد الطفل على قيمها ومعاييرها وطرق عملها عند تقويمه لسلوكه ، ويتضمن ذلك ان الطفل يثبت شخصيته مع أسرته لدرجة أن طرقها تصبح جزءا من نفسه.(٤)

المبحث الثاني: الحوار وثقافة الحوار

أولًا : الحوار أهميته ومقوماته .

عرف ارسطو الانسان بأنه "حيوان ناطق" اشارة إلى حاجة الإنسان لأخيه الانسان ، وفي نفس الصدد اشار ابن خلدون في كتابه المقدمة " إن الإنسان اجتماعي بطبعه" أي إن الإنسان يميل

---

(١) عبد القادر الشيخلي، اخلاقيات الحوار،دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان،١٩٩٣،ص١٢.

٢))برهان غليون ، اغتيال العقل، المركز الثقافي العربي، المغرب،ط ٤ . ٢٠٠٤،ص٧٩.

(٣) مجاهد حامد الرفاعي،سياسة الحوار بين اتباع الديانات والثقافات،مكتبة الملك فهد الوطنية،جدة،٢٠١٥،ص٣٥.

(٤) محمد محمد بيومى خليل ،سيكولجية العلاقات الاسرية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٠،ص١٤.

ISBN: 978-9922-21-412-2

إلى العيش على شكل جماعات ، وأنه لا يمكنه العيش بعزله عن محيطه الاجتماعي ، يرى علماء الاجتماع أن الإنسان يتمتع بخصائص و مميزات هي :[١]

- الإنسان ناطق ، المقصود به النطق المنبثق عن الفهم والارادة وليس التقليد مثل الحيوانات "الببغاء وبعض الحيوانات الأخرى".
- الإنسان ذو نزعة جماعية ، حيث يولد الانسان وينمو ويترعرع في جماعة ، ويصعب على الانسان الانفصال عن الجماعة التي يألفها.
- الإنسان مفكر ، الغرض من التفكير هو قدرة الإنسان على ايجاد حلول للمشاكل التي تواجه أو للاستكشاف او الاختراع او الابتكار.

ولتحقيق الاتصال بين أفراد الجماعات وليسود التألف الاجتماعي لا بد أن تكون هناك وسيلة تجمع بين الانسان والآخر في المحيط الاجتماعي، ويعد الحوار من أهم أسس الحياة الاجتماعية وضرورة من ضرورياتها، وحاجة أساسية لكل إنسان فهو وسيلة الانسان للتعبير عن حاجاته ورغباته واحاسيسه ومشكلاته وطريقة تصريف شؤون حياته المختلفة، كما ان الحوار وسيلة التواصل والتفاعل مع الآخرين ، فالحوار هو تفاعل بين اثنين أو أكثر من البشر بهدف التواصل الانساني وتبادل الافكار والخبرات وتكاملهما، والحوار نشاط يومي نمارسه ، وقد يكون الحوار ايجابيًا مثمرًا في حياة الفرد وقد يكون سلبيا[٢]، يعد الحوار أسلوبًا من أساليب العلم والمعرفة عمدت له المجتمعات في التواص فيما بينها فالحوار وسيلة للتفاهم والتعاون يسهم في تنمية الفكر وتنقيته ويسعى إلى تنشيط المعرفة ويقرب الآراء من أجل الوصول الى حلول وسطى [٣]، ويعبر عن الحوار على أنه شكل من اشكال الاتصال المناسب للتعامل مع الاختلافات والصراعات في المجتمع ، ويؤدي الحوار إلى تعزيز التفاهم المتبادل للوصول إلى حلول ترضي

(١) علي القائمي ، حوار الحضارات في المنظار الاسلامي ، مكتبة فخراوي ،البحرين ، ٢٠٠٢، ص٥٠.

(٢) هاني السليمان ، الحوار كيف تحاور الاخرين ، دار الاسراء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٨ ، ص١٥.

(٣) اروى بنت سلمان ، دور الانشطة الطلابية في تنمية ثقافة الحوار ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة القصيم ، ٢٠١٧ ، ص٤٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

افراد المجتمع [١]، فالحوار أسلوب يتيح للفرد مجالا لإبداء آراءه وأفكاره ، وهو متنفس للمتحاورين يجدون فيه امكانية التعبير عن القضايا الثقافية والسياسية والاجتماعية .[٢]

وتظهر أهمية الحوار في الحياة الاجتماعية في تحقيق المصالح المشتركة بين أفراد المجتمع ، ان الإنسان في الحياة ليس قادرا لوحده على تحقيق كثير من الامور والاهداف سواء في الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو الناحية السياسية ، حيث تقوم الحياة الاجتماعية على اساس الاخذ والعطاء والتفاهم والتبادل والتواصل بين الآخرين عن طريق الحوار والكلام ، فضلا عن الأثر الذي يؤديه الحوار في فض الحلافات والنزاعات الاجتماعية بين فئات المجتمع عبر نقاط الخلاف وتشخيص حلولها عبر عمليات التأمل والتفكير والبيان والبرهان والمنطق.[٣]

ولضمان الحوار واستمراريته وفعاليته يجب الأخذ بالمقومات والمتطلبات الاتية :

١. الايمان بالحوار: إن الايمان بالحوار يعدّ عنصر أساسي لتأمين الرغبة بالحوار ، فالحوار القائم على الايمان به تقبل عليه أطرافه بمحض ارادتهم مما يجعله حوارًا ايجابيًا فعالًا ، عكس الحوار الذي تجبر عليه اطرافه فانه على الاغلب حوارا غير مثمر .[٤]
٢. امكانية التواصل : يشير التواصل على انه القدرة على نقل رسالة من شخص إلى شخص آخر بحيث يتم فهمها بشكل صحيح من قبل المستقبل [٥]، فالحوار لا يتم إلا بتوافر فرص وامكانية التواصل بين اطراف المحاورين .[٦]
٣. هدف الحوار: إن تحديد هدف للحوار وفهم موضوعه والمحافظة عليه يعدّ من أهم خطوات الحوار الناجح .[٧]

---

(١)Mette Lindgren Helde , The Dialogue Handbook – the art of conducting a dialogue and facilitating dialogue workshops, DUF – Danish Youth, Denmark, 2012,p23..

(٢) محمد نظيف ، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي ، افريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠١٠، ص٦٣.

(٣) علي القائمي ، مصدر سابق ، ص ٥٨-٥٩.

(٤) عبد القادر تومي ، من ثقافة الحوار الى واقع الصراع في زمن العولمة ، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية ، م٤ ، ع١,٢٠١٦ ، ص٩٥.

(٥) سليم محمد شريف و عبد الحكيم محمود ، مصدر سابق ، ص٢١١.

(٦) عبد القادر تومي ، مصدر سابق ، ص٩٥.

(٧) هاني السليماني ، مصدر سابق ، ص ٧.

٤. التهيؤ للحوار: التهيؤ النفسي والعقلي والاستعداد والاستماع والاصغاء والتواضع وتقبل الاخر جميعها سبل لنجاح الحوار .[١]

٥. حفظ الخصوصية : إن حفظ خصوصيات الاطراف المحاورة والاعتراف بها ضرورة لاستقامة الحوار ونجاحة .[٢]

٦. المصداقية : يقصد بالمصداقية الزام اطراف الحوار بالقبول بالنتائج والتنفيذ لها لضمان نجاح الحوار .[٣]

ثانيا : الثقافة والحوار وطبيعة العلاقة بينهما.

منذ ولادة الانسان في المجتمع يكتسب كل شيء تقريبا من محيطه الذي يعيش به ، فنوع اللباس الذي يلبسه والأطعمة التي يتناولها واللغة والمعتقدات والقيم والعادات جميعها تعدّ ثقافة Culture للمجتمع ، فلثقافة هي نمط الحياة التي يعتمدها مجموعة الأشخاص في المجتمع .

تعني الثقافة في منظور علماء الاجتماع جوانب الحياة التي يكتسبها الفرد بالتعلم وليس بالوراثة ويشتركون اعضاء المجتمع بعناصر الثقافة لتتيح لهم التواصل والتعاون لتمثل السياق الذي تعيش عليه أفراد المجتمع [٤]، يرى الفيلسوف الالماني جوهن هيردر Johann herder[٥*] ان كل مجتمع يمتلك عبقرية وروحا ثقافية خاصه به يسميها "Volksgeist" إذ عدّ ثقافة أي مجتمع هي الدم الذي يجري في عروقه ، فالثقافة في معناها الواسع هي مجموع السمات العاطفية ولفكرية والمادية والروحية التي تميز مجتمع او فئات اجتماعية ، عن طريق الثقافة يعبر الإنسان عن نفسه ويمارس اختياراته ويتعرف على ذاته ، فالثقافة منظومة قيمية تتحدد بعناصر موضوعية مثل الدين واللغة والتاريخ والتقاليد فهي مجموعة قيم ومعايير تحدد انماط

---

(١) نفس المصدر ، ص٧.

(٢) عبد القادر تومي ، مصدر سابق ، ص٩٦.

(٣) عبد القادر تومي ، مصدر سابق ، ص٩٥.

(٤) انتوني غدنز ، مصدر سابق ، ص٨٢.

(٥) يوهان جوهن هيردر Johann herder هو كاتب وشاعر وفيلسوف وناقد ولاهوتي ألماني. ولد عام ١٧٤٤ في موراغ، ومات في عام ١٨٠٣ في فايمار. كان والده قائد موسيقى كنسية وينتمي إلى الحركة التقوية، ودرس هردر في الفترة بين ١٧٦٢ و١٧٦٤ الطب وعلوم الدين والفلسفة في جامعة كونيغسبرغ.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الحياة ، ويرى الفيلسوف الكندي ويل كيميلكا Will Kymlicka[1]** "ان الثقافة من حقوق الانسان الاساسية ولا وجود للحريات من دون الثقافة ، فالبشر مخلوقات ثقافية لا يمكنها العيش من دون احساس بالانتماء والارتباط العميقين بالثقافة التي ينتسبون اليها"[٢]، ويرى الناقد الكندي نورثروب فراي Norrtrop Frye [3]*** ان الثقافة اسلوب للحياة اي تلك الطرق التي يمارس المجتمع من حلالها طقوسه الاجتماعية اليومية .[٤]

أما الحوار فهو أسلوب ثقافي يستعمل اللغة والمعاملات اللفظية للمخاطبة الاجتماعية والتواصل بين أفراد المجتمع [٥]، من خلال الحوار يتم تبادل الآراء والافكار والخبرات بين طرفين أو أكثر ، ، فالحوار عملية ربط واتصال بين عدة جهات في المجتمع [٦]، ان الحوار موجود في المجتمعات المجتمعات قديم قدم وجود الشعوب والمجتمعات البشرية وتجاورها وتفاعلها مع بعضها البعض ، حيث كانت المجتمعات تتواصل وتتبادل التجارب والمعارف والسلع وانماط العيش ، ولان الانسان اجتماعي بطبعه فأنه يتواصل مع اخيه الانسان في المجتمع ، وعبر الثقافة يعبر الانسان عن هذا التواصل فكل السلوكيات والافكار والمواقف تنطوي في جوهرها على الثقافة ،

---

(١) ويل كيميلكا Will Kymlicka احد منظري التعددية الثقافة ، هو فيلسوف سياسي كندي اشتهر بعمله في مجال تعدد الثقافات وأخلاقيات الحيوانات. وهو يعمل حاليًا أستاذًا للفلسفة وكرسي أبحاث كندا في الفلسفة السياسية بجامعة كوينز في كينجستون ، وأستاذًا زائرًا متكررًا في برنامج دراسات القومية بجامعة أوروبا الوسطى في بودابست ، المجر.

(٢) محمد سعدي ، دور الثقافة في بناء الحوار بين الامم ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ، ٢٠١٢ ، ص٧-٨.

(٣) هيرمان نور ثروب فراي ناقد ومنظّر أدبي كندي، زميل الجمعية الملكية الكندية وحاصل على وسام كندا، ويُعدّ أحد أكثر الكتاب تأثيرًا في القرن العشرين. أكسبه كتابه التناسق المخيف شهرة عالمية، وساهم الكتاب في إعادة تفسير أعمال وليم بليك الشعرية 'تاريخ ومكان الميلاد: ١٤ يوليو ١٩١٢،كندا تاريخ ومكان الوفاة: ٢٣ يناير ١٩٩١، كندا.

(٤) باربرا ويتمر ، الانماط الثقافية للعنف ، ترجمة ممدوح يوسف عمران ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٧ ، ص٢.

(٥) Bela Banathy and Patrick M. Jenlink, ialogue as a Means of Collective Communication, Kluwer Academic/Plenum Publishers , New York , 2005, p4.

(٦) Suzanne De Lava, Dialogue Methods– An Idea Manua, Swedish Road Administration , Stockholm, 2006, p6.

وعبر الحوار يستطيع الإنسان التعبير عن ثقافته والحوار دعامة أساسية في المجتمع يتم عبرها تبادل الآراء والافكار والثقافات المختلفة [١]، فالحوار ضرورة أساسية في حياة الانسان فكل ما تقدمت العلوم والحضارات والمعارف وتنوعت وتعددت الرؤى الفكرية والسياسية والاقتصادية زادت الحاجة إلى الحوار والتواصل بين افراد المجتمعات .[٢]

أما طبيعة العلاقة بين الثقافة والحوار فهي قائمة على أساس الاختلافات في المجتمع بمختلف مستوياته ، من المتعارف أن المجتمعات تمتاز بتنوع ثقافي وديني واثني ما يلزم ايجاد ارضية مناسبة للتعاون والاحترام المتبادل ، لذلك وجب ايجاد وخلق ثقافة حوارية تجتاز كل الاختلافات وتؤمن بالتنوع والتعدد الثقافي والديني والقومي بالمجتمع ، فتأسيس ثقافة حوار في المجتمع بات مسألة حتمية لان ثقافة الحوار تضع صياغة متناسقة من القيم التي تأخذ بالاعتبار التنوع الإنساني في المجتمع [٣]، ويمكن تناول علاقة الثقافة بالحوار على النحو الآتي :[٤]

٧. تحتوي الثقافة على النظم والقواعد وأساليب الحياة ومهارات التواصل والحوار في المجتمع ، والتي عبرها يتواصل أفراد المجتمع بعضهم مع بعض.
٨. يساعد الحوار على التعرف على الثقافات الأخرى ، عبر التواصل والحوار بين أفراد المجتمعات تمكنهم من التعرف على الثقافات المختلفة.
٩. تساعد الثقافة على تنمية الحوار في المجتمع عبر تقديم الامكانيات و الوسائل في المؤسسات المختلفة و التي تساعد على تواصل الأفراد مع بعضهم البعض.

المبحث الثاني :الهوية الاسلامية

أولًا : الهوية الاسلامية مفهومها ومقوماتها .

الهوية الإسلامية يمكن تعريفها بأنها: "البناء الذاتي، والاجتماعي القائم على الانتماء إلى الإسلام، والالتزام بتعاليمه في جميع مناحي الحياة . ويقصد بالبناء الذاتي: أي بناء الشخصية للفرد المسلم من حيث تكوينها الفكري والسلوكي والاجتماعي: أي وبناء المجتمع، وترابطه مع

---

(١) محمد سعدي ، مصدر سابق ، ص٣.

(٢) محمد نظام ، مصدر سابق ، ص٣٧.

(٣) عمر هاشم ذنون ، دور الجامعات في تعزيز ثقافة الحوار وانعكاسها على مستقبل السلم المجتمعي ، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية ، م٩ ،ع٣٣، ٢٠٢٠، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٤) علاء عبد الله كامل ، مهارات الادلة التاريخية وعلاقتها بثقافة الحوار لدى تدريسيي اقسام التاريخ ، رسالة ماجستير "غير منشورة"،جامعة القادسية ، كلية الاداب ، العراق ، ٢٠٢٢، ص٥١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

بعض، وفق تعاليم الإسلام، ومبدأ الأمة الواحدة. القائم على الانتماء إلى الإسلام وهذا القيد يخرج البناء الشخصي، أو الاجتماعي الذي لا يقوم على الانتماء إلى الإسلام، وإنما على انتماءات وروابط أخرى كالبناء الذاتي، أو الاجتماعي القائم على العصبية لعرق معين، أو دين غير دين الإسلام. والالتزام بتعاليمه في جميع مناحي الحياة يعني أن الهوية الإسلامية ليست أمراً نظرياً، أو مجرد انتساب إلى الإسلام بدون عمل، بل هي فضلًا عن ذلك العمل بما يقتضيه الانتساب إلى الإسلام من تعاليم، وأحكام. وبعد هذا التعريف المعنى الهوية عموماً، والهوية الإسلامية خصوصاً تشير إلى أهم مقومات الهوية الإسلامية، تنتمي الهوية إلى عدة أصول، وتستقي بقاءها من عدة مصادر، تجتمع كلها من أجل أن تكوّن مقوماتها، ونذكر هنا أهمها فيما يأتي:

١- العقيدة الإسلامية

إن أهمّ مميزات هذه الهوية أنها تنضوي تحت العقيدة الإسلامية، والإيمان الراسخ بالله –تعالى– وبعقيدة التوحيد، وهذا يشمل كلّ من ينتمي إلى الأمّة الإسلامية، أن يكون إيمانه مطلقا بهذه العقيدة، وأن يكون مؤمنا بأن الإسلام دينٌ يجب الانقياد إليه، وأنّه دينٌ أممي، يمكن أن يحوي كل البشر، وكل من يرغب في الدخول به، قال الله –تعالى–: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

٢- اللغة العربية

لغة القرآن ولغة رسول الله ﷺ ولغة العلم، والمقوم الرئيس لفهم الإسلام وتعلّمه، قال الله –تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

ج- التاريخ

به يشترك كلّ مسلم، حيث إنّ هذا التاريخ شاركت به كل القوميات؛ العربية وغيرها، فلا بدّ من احترام هذا التاريخ بعيداً عن الفكر العولمي أو الأفكار القوميّة. التراث هو النتاج الحضاري للأمّة الإسلاميّة، بمختلفِ مكوناتها، وأقطارها ولغاتها، وفي كلّ المجالاتِ الدينيةِ والدنيوية؛ كالعمارةِ والفلسفةِ والآدابِ، وغيرها من المجالات.

د- التكوين الروحي والنفسي المشترك

إنّ ما يجعل الأمة الإسلامية أمّة مُميزة عن غيرها، إنتاجها هذه الحضارة القوية، واتسمامها بسماتها؛ من العادات والتقاليد، والثقافات المختلفة، أي إنّ هذا القدر من المُشتركات في تكوين الهوية الإسلامية، يكون مقوم من مقوماتها.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ثانيا : وسائل الحفاظ على الهوية الاسلامية.

تعاني الأمة الإسلامية في هذا العصر من مرض ضياع الهوية، وهو داء عضال لابد له من علاج ناجع، والوصفة الطبية لعلاج هذا المرض العضال تبدأ من الفرد وتنتهي بالمجتمع، والتي تعد من وسائل المحافظة على الهوية الإسلامية على المستوى الفردي والمجتمعي:

١- أثر الفرد في الحفاظ على الهوية الإسلامية

علاج مرض ضياع الهوية يبدأ من أصغر عضو، وهو الفرد، ومن بعض العلاجات الناجعة على المستوى الفردي

العمل الصالح؛ إذ إن خلق الإنسان ومحور الابتلاء يدور حول أعمال الإنسان، والعمل يبدأ من الخاطرة والفكرة والإرادة ثم ينتقل إلى طور التعبير ثم الممارسة العملية، ويشمل ذلك جميع جوانب الحياة؛ الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والقضائية وغيرها، كما ينبغي على المسلم حتى يصلح عمله إن يصلح سره وجهره، يقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾، وبصلاح أعماله ونواياه يترقى المجتمع ويتطور باستمرار.

٢- أثر المجتمع في الحفاظ على الهوية الإسلامية

فيما يلي بعض العلاجات الناجعة التي تساهم في التخلص من داء ضياع الهوية الإسلامية على المستوى المجتمعي:

- الصدق أساس الإسلام، ويجدر بجميع المسلمين تحريا الصدق الذي هو حجر الأساس في الحياة الاجتماعية لنداوي به مجتمعنا، كما يجب الابتعاد عن الكذب والرياء والمداهنة والتصنع والنفاق.
- المحبة والتراحم والتكافل، فللوصول إلى السعادة المجتمعية يجب ترك العداوة والخصومة، واستبدالهما بالمحبة والتقبل للآخر.

٣. أثر الإعلام في الحفاظ على الهوية الإسلامية

للإعلام أهمية كبيرة في الارتقاء بالحياة الاجتماعية، وفي توجيه الرأي العام، نبينه على النحو الآتي:

تنوير العقول وتهذيب النفوس؛ إذ يجب على الإعلامي المسلم الدعوة لتحرير الناس من عبودية العباد وتحريرهم من سيطرة الأهواء والشهوات. العمل على توحيد فكر الأمة، وخلق التآلف والتعارف بينها والتركيز على معاني التراحم والأخوة، وعدم التشهير وتتبع السقطات بين إعلام دول العالم الإسلامي. الدفاع عن مقدسات الأمة، وربط قضايا العصر بالعقيدة. مواجهة

ISBN: 978-9922-21-412-2

الحملات المعادية التي تهدف لتشويه صورة الإسلام. نشر صورة الإسلام السمحة في الدول الغير مسلمة.

مسؤولية المؤسسة التعليمية في الحفاظ على الهوية الإسلامية

هنالك العديد من المؤسسات التعليمية والتربوية التي يمر بها الفرد، بدءاً من الأسرة وانتقالًا إلى المدرسة والجامعة والمساجد والمكتبات العامة والنوادي والمراكز الثقافية، وانتهاءً بوسائل الإعلام، وتعد المدارس والجامعات أهم المؤسسات التعليمية والتربوية؛ إذ إنها أكبر نمط منتشر للمؤسسات التعليمية في الوطن العربي، وفي المدارس والجامعات يتجمع الأقران من مختلف البيئات والطبقات، ويختلفون في الأفكار والطباع والأخلاق، لذلك فعمل المدارس خصوصاً والمؤسسات التربوية عموماً على درجة عظيمة من الأهمية.

عمل المدارس والمؤسسات التربوية في المحافظة على الهوية الإسلامية :

تنشئة جيل واع مؤمن بالله وبرسالة الإسلام. تعليم التلاميذ أداء العبادات والشعائر بالوجه الصحيح. تعليم التلاميذ العلوم الأساسية؛ كالقراءة والكتابة، والمعارف الإنسانية من اكتشافات واختراعات بشكل يناسب قدراتهم العقلية. تقويم السلوكات الخاطئة التي تتنافى مع العادة والعرف. تنمية حب الوطن والفداء والتضحية لحماية المقدسات لدى التلاميذ. ملء أوقات الشباب، وتوجيه طاقتهم نحو الأنشطة الإيجابية المفيدة بدلاً من التفكير السلبي المتولد من الفراغ. تنمية الفضائل والأخلاق الحميدة، ورفد المجتمع بجيل واع بما يدور حوله.

المبحث الثالث: أثر الحوار في تعزيز الهوية الإسلامية

يرى دور كايم Emile Burkheim أن الدين هو نظام موحد لمعتقدات و ممارسات المتعلقة بالأشياء المقدسة لدى الأفراد داخل المجتمع [١]، فالمؤسسة الدينية هي نظام عام من انظمة المجتمع تتكون من مجموعة من القواعد والافكار التي يلتزم بها أفراد المجتمع [٢]، تؤدي المؤسسة الدينية أثرًا مهمًا وهادفًا في المجتمع فهي أحد مكونات النسيج الاجتماعي ، وتؤدي

---

(١) بوتمور ، تمهيد في علم الاجتماع الديني ، ترجمة محمد الجوهري واخرون ، الطبعة الثانية ، دار المعرف ، القاهرة ، ١٩٧٨، ص٢٨١.

(٢) Sune Lægaard, Secular Religious EstablishmentA Framework For Discussing The Compatibility of Institutional Religious Establishment with Political Secularism , Philosophy and Public Issues, Vol. 3, No.2,2013,p125>

هذا العمل في اطار رسمي ضمن قواعد وقوانين مما تتيح للأفراد المنتمين لهذه المؤسسة بممارسة مسئوليات و وظائف والمهام بشكل طبيعي [١]، يرى ريتشار سينيت Richard Sennet [٢*] أن العيش مع بشر مختلفين عنا عرقيا أو اثنيا أو دينيا أو اقتصاديا أحد أكبر التحديات التي يمكن ان نواجها اليوم في المجتمع [٣]، إن اللغة المشتركة بين الأديان هي الصلاح والاصلاح ، فجميع الأديان في العالم تعو إلى الإنسانية ، ان اغلب النصوص الدينية في مختلف الأديان تؤكد على امة الانسان لا أمة دين او امة معتقد أو أمة مذهب حيث جاءت الأديان الا لتؤكد على حقيقة واحدة هي سمو الإنسان وحرمة دمه وماله وعرضه حقيقة مفادها ان الديانات في العالم تدعو إلى التسامح والمحبة وقبول الآخر ونبذ التفرقة .[٤]

إنّ للمؤسسة الدينية طبيعة اجتماعية خاصة حيث تتخذ لنفسها مجموعة من السلوكيات والعادات والتقاليد والادوار ترتبط صفتها بالذات الغيبية "المعبود"، ومن الأهداف السامية التي تتناولها التعاليم الدينية في كل الديانات دعوتها للحوار والسلام والتسامح ونبذ العنف والتعصب والتطرف ، ان الحوار بين الأديان في الوقت الحاضر ضرورة أساسية و واجب إنساني ، فغياب الحوار العقلاني كان له أثر سلبي في المجتمعات أدت إلى صدامات وصراعات دينية وثقافية دفعت المجتمعات ثمننا باهظا لها.

حيث ارسى الدين الاسلامي دعائم الحوار البناء ودعا إليه في ارقى صورة وجعل من الحوار وسيلة هادفة مبنية على قواعد وآداب سامية يتعبها أفراد المجتمعات في الحوارات مع الأديان والثقافات المختلفة ، فالحوار في المنظور الإسلامي هو التعاون بين أطراف الحوار للوصول إلى

---

(١) عبد الهادي الجوهري ، قاموس علم الاجتماع ، ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ٢٠٠٦ ، ص١٢٨.

(٢) ريتشارد سينت كاتب وعالم اجتماع امريكي يدرس مادة الاجتماع في جامعة نيو يورك ، حاصل على جائزة هيغل عام ٢٠٠٦ وجائزة سبينوزا عام ٢٠١٠.

(٣) ريتشارد سينيت ، في مواجه التعصب التعاون من اجل البقاء ، ترجمة حسن بحري ، دار الساقي، بيروت ، ٢٠١٦ ، ص٢.

(٤) محمد ثامر السعدون ، القانون الدولي وحظر التعصب الديني ، المركز العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٧ ، ص٣٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الحقيقة المرضية للأطراف[1]، ان الحوار من المنظور الإسلامي يستند إلى نظام خلقي راقٍ يتجنب الكره والنفي والاستغلال ، إذا لابد من احترام الإنسانية ، وإن أي حوار لا يوافق الحق هو حوار ظالم ، فثقافة الحوار كما دعا إليها الاسلام هو نتاج عقلي ومعرفي قائم على أساس الحرية والعدالة التي تحقق جوهر الوجود الإنساني الكريم .[2]

(١) فهد الخضيري ، ثقافة الحوار في الاسلام دراسة وصفية تحليلية نقدية ، بحث منشور في حولية كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات ، الاسكندرية ، م٣٤ ، ع ١ ، ٢٠١٨ ، ص ٥٥٣.

(٢) حسين جمعة ، ثقافة الحوار مع الاخر ، مجلة جامعة دمشق ، م٢٤ ، ع٣، ٢٠٠٨ ،ص١٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أثر المرشدين التربويين في المدارس الثانوية في ترسيخ الهوية الإسلامية لدى الطلبة

م. م ظاهر حبيب موسى/ مديرية تربية ذي قار
Dhaheralhussini@gmail.com

مقدمة البحث

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على الإجراءات التي يجب أن يقوم بها المرشد التربوي في المدارس الثانوية من أجل ترسيخ الهوية الإسلامية في زمن التحديات، وهل هناك فروق ذات دلالة احصائية في نوعية هذه الاجراءات على وفق متغير الجنس من أفراد العينة (ذكور و اناث) ومن أجل تحيق أهداف البحث قام الباحث بإعداد مقياس مكون من(٥٦) كل فقرة تمثل اجراء معين ، ومن أجل التأكد من صدق المقياس فقد تم عرضه على مجموعة من المحكمين عددهم (٥) في اختصاص التربية وعلم النفس والارشاد النفسي والتوجيه التربوي ، وقد حدد الباحث نسبة القطع(٨٠%) من أجل الابقاء على الفقرة أو حذفها، ونتيجة لهذا الاجراء فقد تم استبعاد (١٥) فقرات لعدم صلاحيتها أو لتكرارها أو لتشابهها مع فقرات أخرى، وبهذا أصبح المقياس مكون من (٤١) فقرة، ومن أجل التعرف على وضوح الفقرات وسهولتها وبساطتها ، ومعرفة مدى الوقت المستغرق للإجابة على فقرات المقياس فقد طبق المقياس على عينة استطلاعية مكونه من (١٠) أفراد من المرشدين التربويين وبواقع (٥) من المرشدين و(٥) من المرشدات ، وعبر هذا الاجراء تبين أن جميع الفقرات واضحة وسهلة الفهم لدى جميع أفراد العينة وأن الوقت المستغرق للإجابة على فقرات الاستبيان كان حوالى (٨-١٠) دقيقة، ومن أجل التأكد من ثبات المقياس الذي يعد من أهم الخصائص السيكو مترية للمقاييس فقد طبق المقياس على عينة مكونة من (١٠) أفراد من المرشدين التربويين وبواقع (٥) من المرشدين و(٥) من المرشدات ، وقد تبين عبر هذا الاجراء ان المقياس قد حصل على معامل ثبات قدره (٧٠%) وهو معامل عالي، وبهذا أصبح المقياس جاهز للتطبيق وطبق على عينة البحث النهائية المكونة من (٥٠) مرشد ومرشدة مناصفتا، بعدها قام الباحث بجمع البيانات وتحليلها وتوصل إلى مجموعة من النتائج منها حصول الفقرات (إن المرشدين يرغبون أن تكون هناك محاضرات ارشادية للمرشد التربوي داخل الصفوف) وفقرة (الابتعاد عن التقليد الأعمى لكل ما هو قادم من الخارج) وذلك بحصول تلك الفقرات على وسط مرجح (٢,٩٨) ووزن مئوي (٩٨%)،وهكذا توالت الفقرات بالترتيب تنازليًا من الفقرات التي حصلت على وسط المرجح والوزن المئوي عالي إلى الفقرات التي حصلت على وسط مرجح ووزن مئوي منخفض وكذلك لا توجد فروق ذات

ISBN: 978-9922-21-412-2

دلالة احصائية في استجابات أفراد عينة البحث على فقرات المقياس على وفق متغير الجنس، وفي ضوء هذه النتائج قام الباحث بوضع عدد من التوصيات ومقترحات ، فالتوصيات تمثلت في على المرشدين التربويين في المدارس الثانوية تصميم برامج ارشادية لمعالجة بعض الأفكار الدخيلة لدى الطلبة والمتمثلة بأفكارهم غير الصحيحة من الدين والوطن، والتوصية الثانية تبسيط المفاهيم الدينية للطلبة وتأطيرها بالإطار التعليم الأكاديمي ،وكذلك التذكير والاشادة بما قدمه رموز الإسلام الحقيقي من انجازات كبيرة وعطية للإنسانية . وما المقترحات فقد تمثلت اجراء نفس البحث الآتي من أجل التعرف على الاجراءات التي ترسخ الهوية الإسلامية لدى الطلبة من آراء فئات أخرى مثل المعلمين المدرسين ، واجراء البحث نفسه ليشمل عينات أكبر ومن محافظات أخرى ومن مناطق جغرافية مختلفة.

مشكلة البحث:

في عصرنا الحالي لابد من التعبير عن هويتنا الإسلامية بأبهى الصور وأقوى شكل فهو عصر الدفاع عنها ونشرها في ظل والأزمات والحروب والحملة التي تشنها وتمارسها العولمة على المجتمعات الاسلمية بهدف اضعاف هويتها الإسلامية وطمس وجودها عبر تفكيك ثوابت استمرارها وبهذا تكون شعوب تلك المجتمعات عامة لاسيّما الشباب منهم معرضين للضياع وهم المستهدفة من تفكك هويتهم الإسلامية وتجعلهم يعانون خللا" تركيبيا" في بنائهم يقودهم في بعض الأحيان إلى التفكك تحت عناوين وهويات فرعية لا تقوى على الصمود والاستمرار لوحدها نتيجة للتزاحم المفترض فيما بينها، أو مع محيطها الإقليمي والدولي. هذه الظروف مرت بها اغلب المجتمعات الاسلامية وخاصة العراق بعد٢٠٠٣ ، إذ أصبحت الهوية الإسلامية مهددة بالخطر بسبب تلك الظروف المتمثلة بالغزو والانفتاح الكبير نحو العالم والتطور التكنولوجي، وولوج العالم مرحلة العولمة بكل أشكالها، وبروز أثر الأقليات في التعبير عن ذاتها عبر استعمال تقنيات والاتصالات والأعلام والمناخ الدولي المشجع لها. هذه الظروف التي يمكن لها أن تأتي على العالم الإسلامي بأفكار وسلوكيات قد لا تتناسب مع عقيدة وهوية الأمة الإسلامية، الأمر الذي يستدعي وجود مرشد تربوي مواكباً لهذا التسارع المعرفي، مرشد يستطيع أن يرعى ابنائه الطلبة عِبر المراقبة والإرشاد والمتابعة، فالعولمة سلاح ذو حدين تجعل الشباب في المدارس متخبطين بين ما هو صالح وما هو طالح وربما أدى بهم ذلك التخبط الانحراف الأخلاقي والبعد عن مصالح المجتمع، من هنا جاء مشكلة البحث الحالي المتمثلة بالتعرف على (أثر المرشدين التربويين في المدارس الثانوية في ترسيخ الهوية الإسلامية لدى الطلبة)

ISBN: 978-9922-21-412-2

أهمية البحث :

تتمظهر الهوية الإسلامية في الواقع الاجتماعي بوصفها برنامج شمولي وسبيل إلى اسلمة الحياة الإنسانية تستمد عوامل استمرارها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهي ليست مجرد تسمية بسيطة بل هي اثبات للحقيقة وتجلياتها ،كما أنّها وقفة مشرفة ووجود حقيقي بِعدِّها روح جماعية تشكل اساس الانتماء في المجتمع الإسلامي ، فهي التي تجمع شملنا وتعزز وحدتنا وتجعلنا كالبنيان المرصوص،(فياض، ٢٠٢١: ٢).

تنبثق أهمية البحث من أهمية الموضوع نفسه ، إذ أنّه يسعى للتعريف على كيفية ترسيخ مفهوم الهوية الإسلامية عند الطلبة ،ووضع تصور للعمل الذي يمكن أن يؤديه المرشد التربوي في غرس وتنمية الولاء للهوية الإسلامية في نفوس الطلبة وكيفية ترسيخها لديهم لأنّ الطلبة اليوم أصبحوا في صراع بين هويتهم الإسلامية التي تدعو للتمسك بالعقيدة الإسلامية والأخلاق الفاضلة والوئام الاجتماعي وبين ما هو وافد عليه من المجتمعات الأخرى ، وبالأخص بعد ظهور مفهوم العولمة التي تعد مهدداً خطيرًا للهويات الثقافية لأنها تحاول فرض نمط ثقافي واحد على العالم أجمع، ومن هنا تتجلى أهمية الدراسة في لفت انظار المرشدين التربويين في المدارس الثانوية إلى ما يحيط بطلبتهم من ظروف وقوفهم مع طلبتهم وارشادهم إلى الصواب والخطأ من أجل تثبيت دعائمهم الإسلامية.(اسماعيل ،٢٠١٨)

أهداف البحث :يهدف البحث الحالي الى التعرف على :

- العمل الذي يجب أن يقوم به المرشد التربوي في المدارس الثانوية من أجل ترسيخ الهوية الاسلامية في زمن التحديات.
- هل هناك فروق ذات دلالة احصائية في نوعية هذه الاجراء ات على وفق متغير الجنس من أفراد العينة (ذكور و اناث) .

حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي بمرشدي ومرشدات المدارس الثانوية الصباحية والمسائية في مدارس محافظة ذي قار للعام الدراسي ٢٠٢٢/٢٠٢٣

تحديد المصطلحات :

- المرشد التربوي: تعريف وزارة التربية العراقية:

هو أحد أعضاء الهيئة التدريسية والمؤهل لدراسة المشكلات الطلبة التربوية والصحية والاجتماعية والسلوكية عبر المعلومات التي تتصل بهذه المشكلة سواء كانت هذه المعلومات

ISBN: 978-9922-21-412-2

متصلة بالطالب نفسه أم بالبيئة المحيطة به لغرض تبصيره بمشكلته ومساعدته على أن يفكر بالحلول المناسبة لهذه المشكلة أو المشكلات التي يعاني منها لاختيار الحل المناسب الذي يرتضيه لنفسه(شندوخ ، ٢٠١٣: ١٧)

- المدارس الثانوية: هي المدارس التي تكون فيها مدة الدراسة ست سنوات وتقسم إلى مستوين مستوى الدراسة المتوسطة ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ومستوى الدراسة الإعدادية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، وتمكن النشء ممن أكملوا الدراسة الابتدائية والتحقوا بالتعليم الثانوي من مواصلة تطوير شخصيتهم.(المظفر، وسوادي ،١٩٩٠: ١٠ –١٥)

الهوية الاسلامية : السمات والسلوكيات والمقومات التي تميز المسلمين عن غيرهم، وتكون ذاتهم وترتبط ارتباط اً واضحاً بالوطنية والقومية المنبثقة من الإسلام(حامد ، ٢٠٠٢: ٨).

أولًا –الاطار النظري:

مفهوم الهوية والهوية الإسلامية:

تعريف الهوية لغةً :جاء في لسان العرب: قال بن الاعرابي هوِيّة أرد أهوِيّة فلما سقطت الهمزة ردت الضمة إلى الها وفي الحديث: إذا أعرستم فاجتنبوا هوى الارض " وهي جمع هوَّة وهي الحفرة والمطمئن من الأرض(مسهير ، ٢٠٩: ٣٩)

،ومصطلح الهوية استعمله العرب والمسلمون القدماء وهو منسوب الى الضمير هو، فهو ليس بالمصطلح الحديث ولكن يمكن القول إن الكلام والكتابات عن الهوية هي الحديثة. والهو هو لفظ مركب من الضمير هو، جعل اسما معرفا باللام ومعناه الاتحاد بالذات. وتعريف الهوية اصطلاحًا: عرف الجرجاني في كتاب التعريفات الهوية بأنّها)الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق. وعرفت في الفلسفة: بأنّها حقيقة الشي من حيث تميزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدة الذات. وعرفها علم النفس: على أنّها كون الشي نفسه أو مثيله من كل الوجوه، والاستمرار والثبات وعدم التغير،(اسماعيل ، ٢٠١٨: ١٢)، وإذا اسقطنا تعريف الهوية على الهوية الإسلامية فيمكن أن تعريفها بأنها السمات والسلوكيات والمقومات التي تميز المسلمين عن غيرهم، وتكون ذاتهم وترتبط ارتباطاً واضحاً بالوطنية والقومية المنبثقة من الإسلام(حامد ، ٢٠٠٢: ٨)

ثانيا- الدراسات السابقة :

دراسة اسماعيل : ٢٠١٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

(أثر المعلم في تعزيز الهوية الإسلامية في ضوء متطلبات عصر العولمة من آراء معلمي المرحلة الثانوية محلية شرق النيل)

يهدف البحث إلى التعريف بمفهوم الهوية الإسلامية وعناصرها، كما يهدف إلى بيان مسؤولية المعلم في غرس وتنمية الولاء للهوية الإسلامية في نفوس طلبته وتعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية في نفوسهم، وبيان تأثير العولمة على الهوية الإسلامية. ولغرض تحقي أهداف البحث قام الباحث بتصميم استبيان مكون من (٤٥)فقرة طبق على عينة مكونة من (١٠٠) معلم وتوصل إلى نتائج تمثلت في أن المعلم يقوم بتعزيز الهوية الإسلامية لدى الطلبة عِبرَ تعريفهم بمصادر الهوية الإسلامية، ويعزز لديهم الاقتداء بالشخصيات الإسلامية البارزة ويربطهم بقضايا الأمة الإسلامية.(اسماعيل : ٢٠١٨)

دراسة ناصر،٢٠١٠ .

(أثر معلمي المرحلة الثانوية في تعزيز القيم الإسلامية لدى طلبتهم)
كان هدف الدراسة التعرف على أثر معلمي المرحلة الثانوية في تعزيز القيم الإسلامية لدى طلبتهم ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحث بتصميم استبانة طبقت على عينة مكونة من (٦٢٤) طالب وتوصلت إلى نتائج تمثلت في أن للمعلم أثرًا كبيرًا في تعزيز الهوية الإسلامية بنسبة(٦٧%).(ناصر ،٢٠١٠)

مناقشة الدراسات السابقة : سيتم مناقشة الدراسات السابقة من حيث الآتي:

- الهدف: يهدف إلى بيان مهام المعلم في غرس وتنمية الولاء للهوية الإسلامية في نفوس طلابه والبحث الحالي يهدف إلى التعرف على عمل المرشد التربوي في ترسيخ الهوية الإسلامية
- الأداة: الاستبيان والبحث الحالي الاستبيان
- العينة: معلمين طلاب والبحث الحالي مرشدين تربويين
- النتائج : إنّ المعلم يقوم بتعزيز الهوية الإسلامية لدى الطلبة وهذه النتائج تتفق مع نتائج البحث الحالي التي تشير إلى أنّ المرشد التربوي في المدارس الثانوية له أثر كبير في تعزيز وترسيخ الهوية الإسلامية عند الطلبة عبر النشاطات الارشادية التي يقوم بها في داخل المدرسة وخارجها.

ثالثا: العينة والإحصاء

- منهج البحث: اعتمد الباحث المنهج الوصفي بعَدِّها من المناهج الاساسية والمعتمدة في الدراسات التربوية والنفسية.

ISBN: 978-9922-21-412-2

- مجتمع البحث: تكون مجتمع البحث من المرشدين التربوين في المدارس الثانوية في محافظة ذي قار والبالغ عددهم (٦٥٠) مرشد ومرشدة بواقع (٣٨٠) مرشد و (٢٧٠) مرشدة
- عينة البحث: تكونت عينة البحث الحالي من (٥٠) مرشد ومرشدة بواقع (٢٥) مرشد و (٢٥) مرشدة
- أداة البحث: من أجل إعداد مقياس للهوية الإسلامية كان على الباحث أن يتعمد الطريقة العلمية المتبعة في إعداد المقياس والتي تقوم على وفق الخطوات الآتية:

١ . تحديد مفهوم الهوية الإسلامية:

٢- الادبيات والدراسات الخاصة بالهوية الإسلامية: اطلع الباحث على العديد من الأدبيات و الدراسات السابقة التي بحثت مفهوم الهوية الإسلامية.

٣- صياغة الفقرات: قام الباحث بصياغة جميع الفقرات من فكرة المفهوم مراعيًا أن يكون محتوى الفقرات واضحًا وصريحًا ومباشرًا.

٤ – تم تحديد بدائل الإجابة بثلاثة بدائل (اوافق بدرجة كبيرة ، اوافق بدرجة متوسطة ، لا اوافق) وكانت بدائل الاجابة هي(٣، ٢، ١)بالترتيب

٥ – اعداد تعليمات المقياس: تضمنت تعليمات المقياس كيفية الإجابة على فقرات المقياس والتوصية بقراءة الفقرات بدقة والاجابة على جميع الفقرات

٦- عرض الفقرات على المحكمين(الصدق الظاهري):بعد ان تم صياغة الفقرات للمقياس وتحديد بدائل الاجابة واوزانها حيث تكون المقياس عند إذ بصيغته الأولية من (٥٦) فقرة ملحق (١) و كان لابد من ايجاد الصدق الظاهري له وذلك عبر عرضه على مجموعة من المحكمين المتخصصين في التربية وعلم النفس والارشاد التربوي والقياس والتقويم البالغ عددهم (٥) محكما ، وطلب منهم تحديد مدى ملائمة الفقرات لقياس المفهوم وتعديل ما يرونه مناسبًا، وقد حدد الباحث نسبة القطع(٨٠%)من أجل الابقاء على الفقرة أو حذفها، وتبين عبر هذا الاجراء فقد تم استبعاد (١٥) فقرات لعدم صلاحيتها أو لتكرارها أو لتشابهها مع فقرات أخرى، وبهذا اصبح المقياس مكون من (٤١) فقرة وجاهز للتطبيق ملحق (٢).

٧- تطبيق المقياس على العينة الاستطلاعية: ومن أجل التعرف على وضوح الفقرات وسهولتها وبساطتها ، ومعرفة مدى الوقت المستغرق للإجابة على فقرات المقياس فقد طبق المقياس على عينة استطلاعية مكونه من (١٠) افراد من المرشدين التربويين وبواقع (٥) من المرشدين و(٥)

ISBN: 978-9922-21-412-2

من المرشدات ، وعبر هذا الاجراء تبين أن جميع الفقرات واضحة وسهلة الفهم لدى جميع أفراد العينة وأن الوقت المستغرق للإجابة على فقرات الاستبيان كان حوالى (٨-١٠) دقيقة

٨- عينة الثبات: ومن أجل التأكد من ثبات المقياس الذي يعد من أهم الخصائص السيكو مترية للمقاييس فقد طبق المقياس على عينة مكونة من (١٠) أفراد من المرشدين التربويين وبواقع (٥) من المرشدين و(٥) من المرشدات ، وباستخدام معامل اختبار الفاكرونباخ وقد تبين من خلال هذا الاجراء ان المقياس قد حصل على معامل ثبات قدره (٧٠%) وهو معامل عالي، وبهذا اصبح المقياس بصيغته النهائية مكون من (٤١) فقرة واصبح جاهز للتطبيق النهائي.

٩- التطبيق النهائي للمقياس: . بعد أن أصبح المقياس جاهز للتطبيق طبق على عينة البحث النهائية المكونة من (٥٠) مرشد ومرشدة.

الوسائل الاحصائية المستعملة:

- النسب المئوية لإيجاد صدق الأداة اي الصدق الظاهري أو صدق المحكمين .
- معادلة الفاكرونباخ لإيجاد ثبات الأداة أو المقياس.
- الوسط المرجح والوز ن المئوي لإيجاد الاهمية النسبية للفقرات .

رابعا : النتائج وتفسيرها

يتضمن هذا الفصل عرض النتائج التي توصل إليها على وفق أهداف البحث الحالي وتفسير الباحث لها على وفق الأطر والمنطلقات النظرية ومن ثم الخروج بمجموعة من التوصيات والمقترحات في ضوء النتائج التي توصلنا إليها وفيما يلي عرض النتائج على وفق أهداف البحث.

- الهدف الأول: الاجراءات التي يجب أن يقوم بها المرشد التربوي في المدارس الثانوية من أجل ترسيخ الهوية الإسلامية في زمن التحديات.

من أجل تحقيق هذا الهدف قام الباحث بجمع البيانات التي تم الحصول عليها من تطبيق مقياس الهوية الإسلامية والذي قام الباحث بإعداده وطبقه على عينة البحث النهائي والمكونة من (٥٠) مرشد ومرشدة، حيث اشارة المعالجات الاحصائية إلى حصول الفقرات (ان تكون هناك محاضرات ارشادية للمرشد التربوي داخل الصفوف) وفقرة (الابتعاد عن التقليد الأعمى لكل ما هو قادم من الخارج) على وسط مرجح (٢,٩٨) ووزن مئوي (٩٨%)، وهكذا توالت الفقرات بالترتيب تنازليا من الفقرات التي حصلت على وسط المرجح والوزن المئوي عالي إلى الفقرات التي حصلت على وسط مرجح ووزن مئوي منخفض كما في ملحق (٣).

ISBN: 978-9922-21-412-2

الهدف الثاني : هل هناك فروق ذات دلالة احصائية في نوعية هذه الاجراء ات على وفق متغير الجنس من أفراد العينة (ذكور و اناث) .

لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في استجابات أفراد عينة البحث على فقرات المقياس على وفق متغير الجنس حيث كانت اجابات أفراد العينة من الذكور والاناث متشابه إلى حد كبير ويفسر الباحث هذه النتيجة بأن المرشدين التربويين يلتزمون بنفس التعليمات التي تحثهم على استعمال أي وسيلة تمكنهم من توجيه وارشاد الطلبة.

خامسا : التوصيات والمقترحات :

في ضوء النتائج البحث قام الباحث بوضع عدد من التوصيات ومقترحات ،

أولًا - التوصيات : تمثلت في:

- على المرشدين التربويين في المدارس الثانوية تصميم برامج ارشادية لمعالجة بعض الأفكار الدخيلة لدى الطلبة والمتمثلة بأفكارهم غير الصحيحة من الدين والوطن.
- تبسيط المفاهيم الدينية للطلبة وتأطيرها بالاطار التعليم الأكاديمي ،وكذلك التذكير والاشادة بما قدمه رموز الإسلام الحقيقي من انجازات كبيرة وعطية للإنسانية .

ثانيا- المقترحات : فقد تمثلت في :

- اجراء نفس البحث الآتي من أجل التعرف على الاجراءات التي ترسخ الهوية الإسلامية لدى الطلبة من وجهة نظر فئات أخرى مثل المعلمين المدرسين.
- اجراء نفس البحث ليشمل عينات أكبر ومن محافظات أخرى ومن مناطق جغرافية مختلفة.

المصادر :

–اسماعيل، هناء حسن ابراهيم: دور المعلم في تعزيز الهوية الإسلامية في ضوء متطلبات عصر العولمة من وجهة نظر معلمي المرحلة الثانوية محلية شرق النيل، رسالة ماجستير، 2018.

– حامد، كمال عجمي: الهوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة " رسالة دكتوراة منشورة، جامعة الأزهر، ٢٠٠٢

– شندوخ ، علي رسن : الرضا عن العمل الارشادي وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى المرشدين التربويين، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠١٣.

– فياض، حسام الدين: دراسة تحليلية مفهوم الهوية الإسلامية مفهومها جوهرها سماتها مصادر بنائها، منتدى العلماء.https://www.msf-online.com/?p=١٢٥٦٥٥٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

– مسهير، خليل نور :الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية "ط ١ ،العراق، مركز البحوث و الدراسات الإسلامية،٢٠٠٩.

– مظفر، جاسم، و سوادي، عبد الباقي محمود ،(١٩٩٠): جوانب قانونية في العمل الإداري والمدرسي ، وزارة التربية ، المديرية العامة للعداد والتدريب ، جمهورية العراق .

– ناصر ، عبد الكريم منصور : دور معلمي المرحلة الثانوية في تعزيز القيم الاسلامية لدى طلابهم ، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الأزهر، غزة، ٢٠١٠

ISBN: 978-9922-21-412-2

ملاحق

ملحق (١) المقياس بصيغته الاولية

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	تعديل
1	على المرشد ان استخدام الفن والرياضة كوسيلة للتعرف على التحديات الفكرية التي تواجه الطلبة وتشخيصها			
2	تفعيل دور الاذاعة المدرسية للتوجيه والنصح والارشاد			
3	نشر اعلانات وبسترات داخل المدرسة لنشر القيم الحميدة وتوعية الطلبة بها			
4	حث الطلبة على الالتزام بمبدأ الايثار			
5	حث الطلبة على تقديم الخدمات التطوعية الانسانية لمن يحتاجها من اجل تحيق انتمائهم الاسلامي			
6	حث الطلبة على المشاركة في النشاطات التطوعية			
7	الالتزام باللبس المحتشم الذي ينم عن الالتزام الاسلامي			
8	حث الطلبة على الاعتزاز باللغة العربية باعتبارها لغة القران			
9	تعريف وتوجيه الطلبة الى مصادر معلومات الهوية الإسلامية الحقة .			
10	الاعتزاز بالتاريخ وتراث الامة الإسلامية			
11	الاشادة بالقدوات الاسلامية وذكرهم بشكل دائم امام الطلبة			
12	ابراز الشعائر والمناسبات الإسلامية من خلال المناهج الدراسة والتذكير بها			
13	يوصي المرشد بان تتضمن المناهج القيم الاسلامية النبيلة			
14	ان يعمل على تكريم الطلبة الذين يلتزمون العبادات ويشيد بهم امام الطلبة			
15	ان يعمل على تشخيص الحالات التي لا تعبر عن الالتزام الديني ويقوم بورش عمل لغرض التوعية بها			
16	اذا ما رأى المرشد انحراف فكري عند بعض الطلبة علية توجههم برفق او ابلاغ ولي الامر او الادارة.			

17	ان يزج الطلبة بأعمال ونشاطات مختلفة علمية وعملية فيها خدمة للوطن			
18	ان يطلب رائيهم بالدين الوطن والاعمال الانسانية			
19	ان يسال الطلبة عن فكرتهم عن البلاد غير الاسلامية			
20	ان يسال المرشد الطلبة عن نوع البرامج المحببة لديهم			
21	ان يطلب المرشد من الطلبة رسومات و يعمل على تحليلها			
22	ان يطلب المرشد من الطبة كتابة مقالات عن الاسلام و يعمل على تحليلها			
23	على المرشد ان يسعى لتفعيل السفرات العلمية لمراكز والمؤسسات العلمية والخدمية والعتبات المقدسة			
24	ان تكون هناك محاضرات ارشادية للمرشد التربوي داخل الصفوف			
25	استثمار مراسي مرفع العلم لغرض توجيه والارشاد والنصح			
26	حث اولياء امور الطلبة خلال عقد مجلس الاباء على متابعة ابنائهم			
27	متابعة الامكان التي يرتادها الطلبة			
28	مراقبة ومتابعة الاقران الطلبة			
29	سد وقت الفراغ لدى الطلبة			
30	الاستعانة بالأخرين الثقات عند الاجابة عن تساؤلات الطلبة الدينية			
31	ملاحظة اللبس المحتشم واللائق للمدرسين والمدرسات			
32	مراقبة سلوك وافكار للمدرسين			
33	القدوة هي الركيزة الاساسية لترسيخ وغرس القيم التربوية الاسلامية في المتعلم			
34	التوصية بالعمل على تشجيع كل ما مِنْ شأنه أن يسهم في تنقية المناهج الدراسية من المعلومات السلامية غير الصحيحة			
35	عقد ندوات اسبوعية لتنور الطلبة بالانحرافات الفكرية التي تظهر بين الحين والاخر.			
36	تفعيل دور الارشاد الديني			

ISBN: 978-9922-21-412-2

37	تسير رحلات الى المراقد المقدسة				
38	حث الطلبة على التزام العقلانية والنأي عن الاستجابة للاستفزاز الديني أو الاستدراج للصراع الطائفي.				
39	تشجيع الطلبة على الحكمة والعقلانية في مواجهة الاستفزاز ادارة الصراعات التي تهدد هويتهم الاسلامية. .				
40	يحث الطلبة على الابتعاد عن الانشغال بتفجير الخصومات مع الاخرين.				
41	حث الطلبة عن الابتعاد عن المغالاة والتطرف في آرائهم				
42	تحذير الطلبة من المتقولين على الاسلام والوطن				
43	التحذير من القراءة في كتب الفلاسفة والملحدين.				
44	اكساب الطلاب مهارات التفكير الناقد للأفكار والمعلومات				
45	التوجيه إلى عدم الدخول في حوارات عبر مواقع التواصل الاجتماعي حول ما يثار من شبهات إلحادية.				
46	لتوجيه لأنشطة تعليمية تعزز اليقين والعقيدة الصحيحة في نفوس الطلاب.				
47	التزام الخطاب المعتدل والوسطي في توجيه الطلاب ونصحهم.				
48	فتح باب الحوار حول المشكلات العقيدة .				
49	حث ادارة المدرسة والمدرسين على فتح الحوار مع الطلبة				
50	تبصير الطلاب بنظرة الإسلام للكون والحياة والإنسان وتوضيحها لهم.				
51	تنبيه الطلبة الى ضبط عدم شيوع الأسماء غير الإسلامية في اسرهم.				
52	الابتعاد عن التقليد الأعمى لكل ما هو قادم من الخارج				
53	تفعيل مادة التربية الاسلامية(القرآن الكريم، والسنة النبوية) كمصدرين أساسين للهوية الإسلامية.				
54	زيات المتاحف من اجل الاطلاع على التراث الاسلامي الذي يعد حصن للحفاظ على الهوية..				
55	حث الطلبة على الانشغال ببناء الذات والانتاج العلمي الذي يعزز هويتهم الاسلامية .				
56	حث الطلبة على الانشغال ببناء الذات الانتاج العلمي الذي يعزز هويتهم الاسلامية				

ملحق (٢) المقياس بصيغته النهائية

ت	الفقرات	اوافق بدرجة كبيرة	اوافق بدرجة متوسطة	لا اوافق
1	على المرشد ان استخدام الفن والرياضة كوسيلة للتعرف على التحديات الفكرية التي تواجه الطلبة وتشخيصها			

ISBN: 978-9922-21-412-2

2	تفعيل دور الاذاعة المدرسية للتوجيه والنصح والارشاد			
3	نشر اعلانات وبسترات داخل المدرسة لنشر القيم الحميدة وتوعية الطلبة بها			
4	حث الطلبة على الالتزام بمبدأ الايثار			
5	حث الطلبة على تقديم الخدمات التطوعية الانسانية لمن يحتاجها من اجل تحيق انتمائهم الاسلامي			
6	الالتزام باللبس المحتشم الذي ينم عن الالتزام الاسلامي			
7	حث الطلبة على الاعتزاز باللغة العربية بعدِّها لغة القرآن			
8	تعريف وتوجيه الطلبة الى مصادر معلومات الهوية الإسلامية الحقة .			
9	الاعتزاز بالتاريخ وتراث الامة الإسلامية			
10	الاشادة بالقدوات الاسلامية وذكرهم بشكل دائم امام الطلبة			
11	ابراز الشعائر والمناسبات الإسلامية من خلال المناهج الدراسة والتذكير بها			
12	يوصي المرشد بان تتضمن المناهج القيم الاسلامية النبيلة			
13	ان يعمل على تكريم الطلبة الذين يلتزمون العبادات ويشيد بهم امام الطلبة			
14	ان يعمل على تشخيص الحالات التي لا تعبر عن الالتزام الديني ويقوم بورش عمل لغرض التوعية بها			
15	اذا ما رأى المرشد انحراف فكري عند بعض الطلبة علية توجههم برفق او ابلاغ ولي الامر او الادارة.			
16	ان يسال المرشد الطلبة عن نوع البرامج المحببة لديهم			
17	ان يطلب المرشد من الطبة كتابة مقالات عن الاسلام و يعمل على تحليلها			
18	على المرشد ان يسعى لتفعيل السفرات العلمية لمراكز والمؤسسات العلمية والخدمية والعتبات المقدسة			
19	ان تكون هناك محاضرات ارشادية للمرشد التربوي داخل الصفوف			

ISBN: 978-9922-21-412-2

20	استثمار مراسي مرفع العلم لغرض توجيه والارشاد والنصح			
21	حث اولياء امور الطلبة خلال عقد مجلس الاباء على متابعة ابنائهم			
22	مراقبة ومتابعة الاقران الطلبة			
23	الاستعانة بالأخرين الثقات عند الاجابة عن تساؤلات الطلبة الدينية			
24	ملاحظة اللبس المحتشم واللائق للمدرسين والمدرسات			
25	مراقبة سلوك وافكار للمدرسين			
26	القدوة هي الركيزة الاساسية لترسيخ وغرس القيم التربوية الاسلامية في المتعلم			
27	التوصية بالعمل على تشجيع كل ما مِنْ شأنه أن يسهم في تنقية المناهج الدراسية من المعلومات السلامية غير الصحيحة			
28	عقد ندوات اسبوعية لتنور الطلبة بالانحرافات الفكرية التي تظهر بين الحين والاخر.			
29	تفعيل دور الارشاد الديني			
30	تشجيع الطلبة على الحكمة والعقلانية في مواجهة الاستفزاز ادارة الصراعات التي تهدد هويتهم الاسلامية. .			
31	يحث الطلبة على الابتعاد عن الانشغال بتفجير الخصومات مع الاخرين.			
32	التحذير من القراءة في كتب الفلاسفة والملحدين.			
33	التوجيه إلى عدم الدخول في حوارات عبر مواقع التواصل الاجتماعي حول ما يثار من شبهات إلحادية.			
34	لتوجيه لأنشطة تعليمية تعزز اليقين والعقيدة الصحيحة في نفوس الطلاب.			
35	حث ادارة المدرسة والمدرسين على فتح الحوار مع الطلبة			
36	تبصير الطلاب بنظرة الإسلام للكون والحياة والإنسان وتوضيحها لهم.			
37	تنبيه الطلبة الى ضبط عدم شيوع الأسماء غير الإسلامية في اسرهم.			
38	الابتعاد عن التقليد الأعمى لكل ما هو قادم من الخارج			
39	تفعيل مادة التربية الاسلامية(القرآن الكريم، والسنة النبوية) كمصدرين أساسين للهوية الإسلامية.			

ISBN: 978-9922-21-412-2

40	زيات المتاحف من اجل الاطلاع على التراث الاسلامي الذي يعد حصن للحفاظ على الهوية..			
41	حث الطلبة على الانشغال ببناء الذات والانتاج العلمي الذي يعزز هويتهم الاسلامية .			

ملحق (٣) يوضح القيم النسبية للفقرات

ت	الفقرات	الوسط المرجح	الوزن المئوي	ت	الفقرات	الوسط المرجح	الوزن المئوي
1	ان تكون هناك محاضرات ارشادية للمرشد التربوي داخل الصفوف	2.92	97%	22	مراقبة ومتابعة الاقران الطلبة	2.85	95%
2	الابتعاد عن التقليد الأعمى لكل ما هو قادم من الخارج	2.92	97%	23	حث الطلبة على الاعتزاز باللغة العربية باعتبارها لغة القران	2.85	95%
3	نشر اعلانات وبسترات داخل المدرسة لنشر القيم الحميدة وتوعية الطلبة بها	2.92	97%	24	ملاحظة اللبس المحتشم واللائق للمدرسين والمدرسات	2.85	95%
4	مراقبة سلوك وافكار للمدرسين	2.92	97%	25	حث الطلبة على الالتزام بمبدأ الايثار	2.78	92%
5	عقد ندوات اسبوعية لتنور الطلبة بالانحرافات الفكرية التي تظهر بين الحين والاخر.	2.92	97%	26	القدوة هي الركيزة الاساسية لترسيخ وغرس القيم التربوية الاسلامية في المتعلم	2.78	92%
6	تفعيل دور الارشاد الديني	2.92	97%	27	التوصية بالعمل على تشجيع كل ما مِنْ شأنه أن يسهم في تنقية المناهج الدراسية من المعلومات السلامية غير الصحيحة	2.78	92%
7	الاستعانة بالأخرين الثقات عند الاجابة عن تساؤلات الطلبة الدينية	2.92	97%	28	حث الطلبة على تقديم الخدمات التطوعية الانسانية لمن يحتاجها من اجل تحيق انتمائهم الاسلامي	2.78	92%
8	تعريف وتوجيه الطلبة الى مصادر معلومات الهوية الإسلامية الحقة .	2.92	97%	29	الالتزام باللبس المحتشم الذي ينم عن الالتزام الاسلام	2.78	92%
9	الاعتزاز بالتاريخ وتراث الامة الإسلامية	2.92	97%	30	تشجيع الطلبة على الحكمة والعقلانية في مواجهة الاستفزاز ادارة الصراعات التي تهدد هويتهم الاسلامية. .	2.75	91%
10	الاشادة بالقدوات الاسلامية وذكرهم بشكل دائم امام الطلبة	2.92	97%	31	يحث الطلبة على الابتعاد عن الانشغال بتفجير الخصومات مع الاخرين.	2.75	91%
11	ابراز الشعائر والمناسبات الإسلامية من خلال المناهج الدراسة والتذكير بها	2.89	96%	32	التحذير من القراءة كتب الفلاسفة والملحدين.	2.71	90%

ISBN: 978-9922-21-412-2

12	يوصي المرشد بان تتضمن المناهج القيم الاسلامية النبيلة	2.89	96%	33	التوجيه إلى عدم الدخول في حوارات عبر مواقع التواصل الاجتماعي حول ما يثار من شبهات إلحادية.	2.71	90%
13	ان يعمل على تكريم الطلبة الذين يلتزمون العبادات ويشيد بهم امام الطلبة	2.89	96%	34	لتوجيه لأنشطة تعليمية تعزز اليقين والعقيدة الصحيحة في نفوس الطلاب.	2.71	90%
14	ان يعمل على تشخيص الحالات التي لا تعبر عن الالتزام الديني ويقوم بورش عمل لغرض التوعية بها	2.89	96%	35	حث ادارة المدرسة والمدرسين على فتح الحوار مع الطلبة	2.67	89%
15	اذا ما رأى المرشد انحراف فكري عند بعض الطلبة علية توجههم برفق او ابلاغ ولي الامر او الادارة.	2.89	96%	36	تبصير الطلاب بنظرة الإسلام للكون والحياة والإنسان وتوضيحها لهم.	2.64	88%
16	ان يسال المرشد الطلبة عن نوع البرامج المحببة لديهم	2.89	96%	37	تنبيه الطلبة الى ضبط عدم شيوع الأسماء غير الإسلامية في اسرهم.	2.60	86%
17	ان يطلب المرشد من الطبة كتابة مقالات عن الاسلام و يعمل على تحليلها	2.89	96%	38	تفعيل دور الاذاعة المدرسية للتوجيه والنصح والارشاد	2.60	86%
18	على المرشد ان يسعى لتفعيل السفرات العلمية لمراكز والمؤسسات العلمية والخدمية والعتبات المقدسة	2.89	96%	39	تفعيل مادة التربية الاسلامية(القرآن الكريم، والسنة النبوية) كمصدرين أساسين للهوية الإسلامية.	2.60	86%
19	على المرشد ان استخدام الفن والرياضة كوسيلة للتعرف على التحديات الفكرية التي تواجه الطلبة وتشخيصها	2.89	96%	40	زيات المتاحف من اجل الاطلاع على التراث الاسلامي الذي يعد حصن للحفاظ على الهوية..	2.53	84%
20	استثمار مراسي مرفع العلم لغرض توجيه والارشاد والنصح	2.89	96%	41	حث الطلبة على الانشغال ببناء الذات والانتاج العلمي الذي يعزز هويتهم الاسلامية .	2.53	84%
21	حث اولياء امور الطلبة خلال عقد مجلس الاباء على متابعة ابنائهم	2.89	96%				

ISBN: 978-9922-21-412-2

مواقع التواصل الالكتروني واثرها بالمنظومة الثقافية والقيمية للشباب لتعزيز مفهوم الهوية الاسلامية دراسة ميدانية

أ.م.د .حسين حسين زيدان/ وزارة التربية
م. م هديل علي قاسم / الجامعة العراقية – علوم اسلامية

ملخص

يهدف البحث الحالي الى الكشف عن مستوى تأثير مواقع التواصل الالكتروني في منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب ، ويهدف الى تحديد اهم وسيلة اعلامية الكترونيا ذات تأثير في منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للافراد في المجتمع ، ومدى تأثير وسائل الاعلام في ترسيخ القيم وفق متغير النوع (ذكور اناث)، وطلع الباحثان على الادبيات والدراسات السابقة ولتحقيق اهداف البحث فقد قام الباحثان ببناء اداة للبحث الحالي مكونة من (٢٥) فقرة موزعة على اربعة مجالات هي) قيم المشاركة المجتمعية، قيم الديمقراطية ،قيم الانتماء الوطني) وله اربع بدائل (دائما– احيانا– ابدا–غالبا) ولكل بديل وزن معين (٤،٣،٢،١) للفقرات الايجابية والعكس للفقرات السلبية وكانت اعلى درجة للمقياس (١٠٠) واقل درجة (٢٥) وبلغ الوسط الفرضي فيبلغ (62.5). وقد حدد الباحثان طلبة الجامعة مجتمع للبحث وتم اختيار (٢٠٠) طالب وطالبة ، وبعد تطبيق المقياس استخرج الباحثان الصدق للأداة من خلال اسلوبي تميز الفقرات وعلاقة الفقرة بالدرجة الكلية، وستخدم الباحثان الحقيبة الحصائية (SPSS) ، وأظهرت نتائج البحث ان مستوى تأثير مواقع التواصل الالكتروني في ترسيخ القيم ضمن مستوى مرتفع من التأثير، وأظهرت النتائج ان المدونات الالكترونية هي اكثر تأثير من بقيت الوسائل الاعلامية كالصحف والالكترونية ومواقع التواصل الالكتروني ، واظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة احصائية في متغير النوع (ذكور– اناث) لطلبة الجامعة ولصالح الذكور في درجة تأثر القيم لديهم من خلال تواصلهم وإطلاعهم مع وسائل الاعلام ألالكتروني، ، وفي ضوء النتائج التي لها البحث وضع الباحثان عدد من التوصيات والمقترحات.

المقدمة

انتشرت بشكل كبير مواقع التواصل الالكتروني وأصبحت هي الوسيلة التي فرضت سيطرتها على جميع المجتمعات وأصبح مستخدميها يتجاوزون المليارات وأصبحت وسيلة شديدة التأثير في المجتمعات والأسر، وذلك لأنها أصبحت تستخدم أساليب جذب لا حصر لها فهي تستهوي متابعيها من جميع الفئات ومن جميع الأعمال وهو ما يجعلها سلاح ذو حدين فهي من شأنها

ISBN: 978-9922-21-412-2

زيادة ثقافة المرء وحثه على العديد من القيم الإيجابية ولكنها على النقيض ساهمت بشكل كبير في فرض الكثير من السلوكيات والأفكار ونقل الثقافات من مكان الى اخر ومن بيئة اجتماعية الى اخرى، وشهدت المجتمعات الإنسانية خلال العقد الأخير من القرن الماضي، تطورات متسارعة ومتلاحقة لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، مما ساهمت في تسهيل إمكانية التواصل الإنساني والحضاري، ولعل أهمها يتمثل في شبكة المعلومات العالمية ألإنترنت التي تُعدُّ أبرز ما توصل إليه العلم الحديث، ويعد كذلك من أهم الإنجازات البشرية في عصر ألمعلوماتية (سامي،٢٠٠٩)

وفي هذا العصر – عصر التطور التقني والانفجار المعرفي – نجد أن الأمور تسير في طريق إبعاد الفرد والمجتمع عن قيمة أكثر فأكثر ، ابتداءً من الانبهار بالتطور التقني والتجاوب معه دون وجود رصيد قيمي وسلوكي يضبط الحياة ، مروراً بالميل المتنامي لدى كثير من الأفراد نحو اللامبالاة بما يقترفه بعض الأفراد والجماعات في المجتمع من سلوكيات تتنافى وقيم هذا المجتمع ، إضافة إلى ظهور بعض التيارات والدعوات التي تنادي صراحة أو ضمنياً بالخروج على هذه القيم ومنها القيم. (سالم وخضر ،٢٠١٢)

ولقد ظهرت مواقع التواصل الالكتروني مثل الفيس بوك تويتر ماي سبيس– لايف بوون هاي فايف أوركت تاجد ليكند إن يوتيوب وغيرها تأثير مجمعي واعلامي واضح، وقد أتاح بعض منها مثل)الفيس بوك والتويتر (تبادل مقاطع الفيديو والصور ومشاركة الملفات وإجراء المحادثات الفورية، والتواصل والتفاعل المباشر بين جمهور المتلقين فأصبحت وسيلة اعلامية مهمة ومأثرة اكثر من الوسائل الورقية التقليدية، ويسجل لهذه الوسائل كسر احتكار المعلومة الاخبارية والاعلامية، كما أنها شكلت عامل ضغط على الحكومات والمسئولين من خلال اطلاع عامة المجتمع على الاحداث وبشكل سريع وواقعي، ومن هنا بدأت تتجمع وتتحاور بعض التكتلات والأفراد داخل هذه الوسائل الاعلامية الالكترونية، واصبحت تحمل أفكاراً ورؤى مختلفة او متقاربة أو موحدة أحياناً، مما أثر على تلك الوسائل الاعلامية وزادتها تفاعلا في المجتمع، وجعلت من الصعب جداً على الرقابة الحد منها، أو السيطرة عليها، أو لجمها في حدود معينة، وهو ما يعطي شعوراً أكيداً بتأثيرها على القيم أياً كان نوعها.وتعد القيم كما واحدة من القضايا التي دار حولها جدل كبير نتيجة التغيرات والمستجدات في العصر الحديث، ولاسيما مع تنامي موجات العولمة، وما رافقها من تطورات هائلة في مجال الاعلام الالكتروني والمعلوماتية، وما

أحدثه ذلك من تأثير في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع بشكل عام والنسق القيمي بشكل خاص. (زاهر،٢٠١٣)

ولقد نشأ الشباب اليوم في عصر تعرضت فيه المجتمعات المحافظة للتغيرات العالمية في ظل الحضارة المعاصرة والشباب هم جزء من هذه المجتمعات التي تتعرض لما يتعرض له المجتمع بشكل عام والتقدم التطبيقي والتكنولوجي الذي يميز أنماط الحياة وها ومتطلبتها فوقع الشباب فريسة الانفصام في الشخصية والصراع بين القيم، ان هذا الوضع المتباين والمتناقض ما هو موروث وما هو قائم يعرض الشباب إلى أنماط مختلفة من القيم والتي قد تصبح أحياناً متناقصة،. وهذا ينعكس على القيم التي يحملها الشباب في تحديد أنماطهم السلوكية، واتجاهاتهم وميولهم تجاه بعض القضايا والمواقف من القيم (الخليفي،٢٠١٥)

ان مواقع التواصل الالكتروني اصبحت من اهم المحاور الفعالة على مدار اللحظة في حياة الانسان وان الكشف عن إيجابياتها وسلبياتها وبيان مدى تأثيرها في حياة الأفراد عامة، وفي منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب الوطنية بوجه خاص من اهم الدوافع المعرفية التي توجه الباحثان الى دراستها، وذلك لأن القيم تحتل أهمية خاصة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، لكونها أساساً في تشكيل سلوك ألأفراد ومعايير وجدانية وفكرية يعتقدونها ويتعاملون بموجبها مع الأشياء بالقبول أو الرفض وتكتسب القيم أهمية خاصة لدورها الفاعل في توجيه ميول الأفراد واهتماماتهم نحو أيدولوجية سياسية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية معينة ، فهي الوسيلة التي من خلالها يعبِّر الفرد عن نفسه ، وهي التي تساعده في التبرير المنطقي للسلوكات والاعتقادات والاتجاهات والتصورات غير المقبولة اجتماعيًا.(زاهر ، ٢٠١٣)

مشكلة البحث

ان استخدام الأفراد لوسائل الاعلام الالكتروني عبر الانترنت فقد تعددت الاستخدامات من البريد الإلكتروني ثم المنتديات وغرف الدردشة والرسائل النصية والفورية والمدونات حتى ظهرت وسائل الاعلام الالكتروني كمصطلح أطلق على مجموعة من الوسائل الالكترونية التي ظهرت مع الجيل الثاني للويب ، وأتاحت التواصل مع مجتمع افتراضي ، ولعل أشهرها المدونات والشبكات وتطبيقت التواصل ومنصات التعبير، اذ احتلت مساحة واضحة من وقت وفكر واهتمام ووجدان وعقول الشباب ، بعد نجاحها في جذب واستقطاب العديد من الفئات العمرية، وأعادت تشكيل الحياة الاجتماعية والاتصالية للفرد وساهمت في التأثير على منظومة الثقافية والقيمية التي تكون سلوك الفرد وهذا ما نريد معالجته بالوصف والتحليل،بدأت مواقع التواصل الالكتروني

مشوارها في الفضاء المفتوح ك فعاله لتحقيق وسائل الاعلام بين الافراد من خلال الخدمات كثيره تقدمها من سهوله. (اليوسف،٢٠١٠)

ولقد أصبحت مواقع التواصل الالكتروني فضاء واسع تتضارب فيه القيم الايجابيه مع القيم السلبيه وصارت الحريه كقيمه اعلاميه نصت عليه جميع القوانين الفرديه والعربية خطر على المجتمعات لما تتيحه من اشكال التعبير غير المسؤوله، فأدت في كثير من ألأحيان من التجرد من كل القيم الاخلاقيه عبر تشويه ومسخ الشخصيه الانسانيه وتتمثل مشكله هذه الدراسة في أن عدد كبير من الشباب والشباب الجامعي بشكل خاص وهي فئة نوعيه من فئات المجتمع المعاصر يقضون ساعات طويلة في تصفح وسائل الاعلام الالكتروني عموما وشبكات التواصل على وجه الخصوص مما يستدعي التعرف على دوافعهم والموضوعات التي يفضلونها وأثر ذلك علىالقيم لديهم .وفيما يتعلق بالتغير في القيم ومدلولاتها لدى الشباب الجامعي، فقد تبين في دراسة التغيير في وأسبابه من أهمها عدم الشعور بالانتماء والتعبير عن الرأي، والاهتمام بثقافة المجتمع، فقد تكشف عن خلل واضح في منظومة الثقافية والقيمية ، حيث حدث نوع من التخلي عن العديد من القيم الإيجابية وتبني بعض القيم السلبية أو احتضانها، لذلك يمكن أن تسهم القيم في التحكم في استخدام مواقع التواصل الالكتروني سواء بالإقبال على استخدام الوسائل أو رفض استخدامها، أو استخدامها على نحو مشروع أو غير مشروع. (سالم وخضر ،٢٠١٢)

ان القيم يمكن أن تسهم في وقاية الفرد من مخاطر الاتصال والاستفادة من منجزات التقنية الحديثة وتقليل نفقات شراء وسائل الاعلام المطبوعا ورقيا ، وكذلك يترتب على مستويات القيم ارتكاب سلوكيات سلبية بسبب غياب النسق القيمي المتوازن الذي يعمل كرقيب ذاتي على الاتجاهات والسلوكيات ما يسهم في مخاطر متنوعة نتيجة التواصل السلبي الذي يتيح الفرص لارتكاب مخالفات قانونية واجتماعي، والوصول لما يريد الفرد بكل سهول، ان هذه المشكلات هي نتاج سوء الاستخدام وعدم الانضباط الاعلامي والتقني، وضياع القانون والرقابة الاسرية مما اظهرت لنا عدد من المتغيرات السلبية. (حلمي،٢٠٠٩)

ومما زاد الأمر صعوبة أن هذه التغيرات طالت أهم جانب من جوانب الحياة العربية الجانب القيمي الذي يواجه حرباً ضروساً تشنها تكنولوجيا لا تقيم وزنا للخصوصيات القيمية الخاصة بالشعوب المحافظة على تراثها وقيمها الأصيلة. وتزداد الخطورة عندما يتفاقم الشر ليطال الشباب ، فمن واقع خبرة الباحثان وتجربتهم في العمل الأكاديمي لاحظوا جملة من التغيرات التي

تهدد الكيان القيمي في الجوانب الأخلاقية والاقتصادية والجمالية والاجتماعية، فمن هذا الواقع القيمي للشباب .(بهاء الدين، ٢٠١٢)

اهمية البحث

اصبح من الواضح بعد مجمل التداعيات التي افرزتها مواقع التواصل الالكتروني على الواقع الانساني المعاصر في مجمل الابعاد السياسيه والثقافية والاجتماعية والنفسية والأسرية ان الامر بحاجه ماسة للمزيد من الدراسات والبحوث للكشف عن جوانب مهمة من الشباب وافراد المجتمع لتلك الوسائل وعلاقتها بقضايا وموضوعات الرأي العام وتأتي اهميه هذه الدراسة كونها تركز على التأثير الواضح لهذه ال الاجتماعية واستخدامها ومتابعتها من قبل هذه الفئة المهمة والتعرف على الاسباب والدوافع التي تلجأ بسببها هذه الفئة لمثل هذه الوسائل الاعلامية، وما هي مستويات الاشباع المتحققة من تلك الاستخدامات وعلاقة ذلك بسلوكياتهم وخصوصياتهم وقيمهم نحو منظومة الثقافية والقيمية ونظرا للمكانة الهامه التي يحتلها الشباب في المجتمع ويعدون الاساس لتقدم المجتمعات وتطورها. وتزداد اهميه هذه الدراسة كونها من الدراسات التي تتناول انماط ودوافع استخدام الشباب لوسائل الاعلام الالكتروني . (ايهاب،٢٠١٦)

وتتمثل اهميتها باعتبار وسائل الاعلام بوصفها ظاهره عالميه قوبلت بالاهتمام الجماهيري على المستوى العالمي وتمثل اتجاها متصاعدا من حيث عددها ومعدلات استخدامها وتعرض افراد المجتمع لمثل هذه الظاهرة ، وتتبع أهمية الدراسة من تطبيقها على عينة من الشباب، ان مرحلة الشباب هي المستهدف بالدرجة الاساس من العولمة الالكترونية والثقافية بحكم طبيعته ورغبته في الحصول على المعرفه من أي طريق من دون ان يكون مسلما بالمعرفة الصحيحة بقيم مجتمعه واحتياجاته وتراثه التفافي ومحاولة الآخر لغرس قيم ومعتقدات وتشكيل سلوك لدى هذه الشريحة التي ترى في تلك المضامين بأنها واقعيه ومناسبة لهم، وان ما يعزز اهمية هذه الدراسة هو الكشف عن درجة تأثير مواقع التواصل الالكتروني في تشكيل منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب الجامعي، إذ لا يستطيع أحد أن يغفل أثر مواقع التواصل الالكتروني في التأثير على النسق القيمي والأخلاقي لفئات الشعب وشرائحه كافة، وما الصراع الثقافي الذي يشهده العالم العربي المعاصر بين القديم والحديث، وبين الأصالة والمعاصرة، إلا دلالة واضحة على منتجات هذا التأثير الثقافي والقيمي لمواقع التواصل الالكتروني في الحياة عامة. (المقدادي،٢٠١٤)

ان الفئة التي تستهدفها الدراسة وهي فئة الشباب الذين يمثلون شريحة عريضة من شرائح المجتمع العربي عامة يعد استهدافهم ودراسة قيمهم واحتياجاتهم من أولويات البحث التربوي الجاد، لا سيما أن هذه الفئة يقع على كاهلها مسؤولية بناء المجتمع وتماسكه، لهذا تأتي أهمية هذه الدراسة لكي تكون في إطار الجهود المبذولة والهادفة إلى إعداد الشباب الجامعي، واستشرافاً لمستقبلهم ومسؤولياتهم.

تتضح أهمية الدراسة ايضا من خلال الدور المهم الذي تقوم به وسائل الاعلام بمختلف انواعها وخاصة الالكترونية منها في الحفاظ على قيم أبنائها الشباب ، لذا فإن االاعلام يساهم ببذل أقصى الجهود لتهذيب سلوكهم وبناء شخصياتهم بشكل ناضج وايجابي مرن متفتح لمواجهة الحياة وتحديات ألمستقبل وأن تهيئ لهم المناخ العلمي والنفسي والاجتماعي ، باعتبارها المحور الأساسي للاعلام في المجتمع وأفراده، وتسهم بفاعلية في تشكيل بنائهم القيمي من خلال ما تقدمه من ندوات، ومحاضرات، ومؤتمرات، مما تتيح لهم التواصل والتفاعل والحوار بطرق متنوعة ، وتجعل من التعرف في واقع الشباب الجامعي فيما يخص ثقافتهم ونسقهم القيمي ضرورة بحثية ملحة.

وتتضح اهمية البحث من خلال ما يأتي:-

الاهمية النظرية :

١- ان الدراسة الحاليه اهتمت بدراسة موضوع مهم هو تأثير مواقع التواصل الالكتروني على منظومة الثقافية والقيمية وهذه الموضوعات من اكثر المواضيع التي اثارة الباحثان لدراستها دراسة علمية .

٢- ان العينة التي اخضعتها الدراسة الحالية من اهم الفئات في المجتمع وأكثرهم عدد ، وان هذه الفئة هي نخبة المجتمع من المتعلمين وذو تأثير بالآخرين وهم قادة المستقبل.

الاهمية التطبيقية

١- ستقدم الدراسة الحالية اداة قياس علمية تفيد الباحثون مستقبلا في استخدامها في دراسات اخرى مشابهة مع عينات من فئات مختلفة.

٢- سوف تضع الدراسة الحالية نتائج احصائية تصف مشكلة البحث الحالي وتضع عدد من التوصيات الاجرائية الى الجهات المسؤلة للعمل على تطبيقها لحل المشكلات بشكل علمي دقيق.

ISBN: 978-9922-21-412-2

اهداف الدراسة

١- الكشف عن مستوى تأثير مواقع التواصل الالكتروني في المنظومة الثقافية والقيمية .

٢- ويهدف الى تحديد اهم وسيلة اعلامية الكترونيا ذات تأثير في القيمية للافراد في المجتمع.

٣- مدى تأثير وسائل الاعلام في ترسيخ القيم وفق متغير لنوع (ذكور اناث).

حدود الدراسة

الحدود الموضوعية:- اقتصر البحث الحالي على دراسة تأثير مواقع التواصل الالكتروني في ترسيخ القيم.

الحدود المكانية :- اقتصر البحث الحالي على محافظة بابل.

الحدود البشرية:- اقتصر البحث الحالي على طلبة جامعة بابل.

الحدود الزمانية:- انجزت هذه الدراسة في العام الدراسي ٢٠١٨- ٢٠١٩.

تحديد المصطلحات

اولا- مواقع التواصل الالكتروني : (الصويان، ٢٠١٤)

ويعرفها الباحثان بانها منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والميول، أو التخصص الدراسي او من الاصدقاء او الاقارب يتبادلون المعلومات والإخبار والصور والفيديوهات وبمختلف التقنيات من خلال عدد كبير من التطبيقات الالكترونية.

ثانيا- منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب : مجموعة من المبادئ والمقاييس والمؤشرات، التي يتمّ من خلالها السيطرة على الأفكار والمعتقدات والاتجاهات، إضافةً للأشخاص أنفسهم وميولهم وطموحاتهم وسلوكهم، ومواقفهم سواء الفردية أو الاجتماعية، بغض النظر أكانت صالحة أو سيئة كالقيم الاخلاقية والاجتماعية والثقافية والتربوية وغيرها من القيم المتعددة. (ايهاب،٢٠١٦)

ويعرفها الباحثان :هي تلك المعايير الوجدانية والفكرية والتربوية والثقافية والنفسية والتي يكتسبها الفرد منذ صغره من الاسرة والمدرسة والمجتمع ويعتقد بها الأفراد وبموجبها يتعاملون مع الأشياء بالقبول أو الرفض.

ثالثا- طلبة الجامعة : هم الاشخاص الذين يخضعون لبرنامج دراسي في الجامعة أو أحد فروعها أو مؤسسة تعليمية والذين تتراوح أعمارهم مابين الثامنة عشرة والرابعة والعشرين، أي الذين أتموا الدراسة الثانوية، والتحقوا بالجامعة وانتسابهم وتم تسميتهم الجامعيون لانتسابها الى الجامعة. (محمود، ٢٠١٢)

رابعا – التعريف الاجرائي : مجموع الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب المتمثل بطالب الجامعي من خلال اجابته على اداة البحث.

الاطار النظري والدراسات السابقة

مواقع التواصل الالكتروني تُعرَّف مواقع التواصل الالكتروني ((Social Networks على أنّها إلكترونيّة مبنيّة على أُسس مُعيَّنة، تُمكِّن النّاس من التّعبير عن أنفسهم، والتعرُّف على أشخاص آخرين يُشاركونهم الاهتمامات نفسها، ويُمكن القول بأنَّ مواقع التواصل الالكتروني هي عبارة عن مجتمعات افتراضيّة تُمكِّن مُستخدِميها من مشارَكة الأفكار والاهتمامات، بالإضافة إلى تكوين صداقات جديدة. (ايهاب،٢٠١٦)

وان مواقع التواصل الالكتروني بأنها خدمات يتم إنشاؤها وبرمجتها من قبل شركات كبرى لجمع اكبر عدد من المستخدمين والأصدقاء ومشاركة الأنشطة والاهتمامات، وللبحث عن تكوين صداقات والبحث عن اهتمامات وأنشطة لدى أشخاص آخرين يتشاركون معهم بإحدى الاشتراكات الفكرية أو غيرها، وتوفر هذه الخدمات ميزات مثل المحادثة الفورية والتراسل العام والخاص ومشاركة الوسائط المتعددة من صوت وصورة وفيديو وملفات، وقد استقطبت هذه الخدمات ملايين المستخدمين من شتى بلاد العالم وتصنف هذه ال ضمن الجيل الثاني للويب (٢,٠) وسميت اجتماعية لأنها أتت من مفهوم بناء مجتمعات بهذه الطريقة يستطيع المستخدم التعرف إلى أشخاص لديهم اهتمامات مشتركة في تصفح الانترنت والتعرف على المزيد من ال في المجالات التي تهمه وأخيرا مشاركة هذه ال مع اصداقاءه وأصدقاء عمله وزملاء الدراسة والأقارب او من هم يشاركونه اهتماماته وهواياته. (الدبيسي،٢٠١٣)

وتُعدّ الفيسبوك (Facebook) وتويتر (Twitter) وإنستغرام (Instagram) من أشهر مواقع التواصل الالكتروني المعروفة حاليّاً، والهدف من استخدام هذه ال وغيرها من مواقع التواصل الالكتروني هو ربط الناس ببعضهم بعضاً، خصوصاً من يرغبون في البقاء على اتّصال مع أصدقائهم وأقاربهم بسهولة، ومتابعة آخر الأخبار والأنشطة المُتعلِّقة بهم، وتأتي مواقع التواصل الالكتروني بعدّة أشكال، مثل: المُنتدَيات، والمُدوَّنات، وغير ذلك، وقد كانت بداية مواقع التواصل الالكتروني في عام ١٩٧١م، حيث أُرسِلت فيه أولى الرّسائل عبر البريد الإلكترونيّ بين جهازين حاسوبيَّين كانا موضوعَين بمُحاذاة بعضهما، أمّا أوّل مواقع التواصل الالكتروني ، فقد أُنشِئ عام ١٩٩٤م باسم جيوسيتيز (Geocities) وقد أتاح للمُستخدمين فُرصة إنشاء هم الخاصّة وتصميمها، وفي عام ١٩٩٧م، أُنشِئت أولى التّراسُل الفوريّ تحت اسم إيه أو (AOL)

وهي تُشبه إلى حدٍّ كبيرٍ وسائل الاعلام الحديثة، لأنّها أتاحت مُشاركة المُستخدمين لمعلوماتهم الشخصيّة. (حلمي،٢٠٠٩)

مميّزات وايجابيات وسائل الاعلام

ان لوسائل الاعلام مميّزات عديدة، جعلتها مختلفةً عن المواقع الإلكترونيّة الأخرى، ومن هذه المميّزات ما يأتي:

١- إمكانيّة إنشاء حسابات شخصيّة، ليتمكَّن المُستخدِم من تسجيل الدّخول إلى ال بواسطتها.

٢- إمكانيّة إنشاء صفحات شخصيّة تُمكّن المُستخدِم من نشر معلومات خاصّة عنه، مثل: السّيرة الذاتيّة، أو الصّور الشخصيّة، أو آخر الأنشطة التي قام بها الشخص. إمكانيّة التّفاعُل مع مُستخدمين آخرين، عن طريق إقامة الصّداقات، وإنشاء المجموعات، ومُتابَعة مُستخدمين آخرين. (المقدادي،٢٠١٤)

٣- وجود الروابط الإخباريّة، وهي وسيلة لمعرفة آخر المُستجَدّات والأخبار المُتعلِّقة بالمُستخدمين الآخرين للموقع. إمكانيّة نشر محتويات وتعديلها، وقد تكون هذه المحتويات عبارةً عن رسائل مكتوبة، أو صور، أو مقاطع فيديو، أو غير ذلك. إمكانيّة تفاعُل المُستخدمين مع منشورات مُستخدمين آخرين، ويكون ذلك عن طريق كتابة التّعليقات، وإبداء الآراء المُختلفة، وإظهار الإعجاب بالمنشورات.

٤- مجالات مواقع التواصل الالكتروني دخلت مواقع التواصل الالكتروني في مجالات عديدة من حياة الإنسان، فأصبحت تُشكِّل جُزءاً كبيراً من حياته، مثل: التّعليم، وتُستخدَم وسائل الاعلام في مجال الأعمال لأهداف عدّة، منها: توفير فُرَص عمل، والاستفادة من آراء مُستخدمي هذه ال حول مُنتجات شركة مُعيّنة، حيثُ يمكن لمُستخدمي هذه المُنتجات أن يُعبِّروا عن آرائهم حول المُنتَج عن طريق وسائل الاعلام ، وبهذا تستطيع الشّركات المُصنِّعة لهذه المُنتجات أن تستغلّ هذه الآراء في تحسين مُنتجاتها.

إيجابيّات مواقع التواصل الالكتروني

١. إنَّ لمواقع التواصل الالكتروني إيجابيّاتٍ عديدةً، أحدثت تغييراً كبيراً في عالم التكنولوجيا والعالم أجمع، ومن هذه الإيجابيّات إتاحة مواقع التواصل الالكتروني إمكانيّة الاتّصال بين الناس أينما كانوا، حيثُ أتاحت اجتماع الناس الذين يحملون الأفكار المُشترَكة، كما أتاحت إمكانيّة إيجاد فُرَص عمل. إمكانيّة إيجاد أشخاص ذوي اهتمامات مُشترَكة، والتعرُّف عليهم، والتّواصل معهم. سُرعة نشر الأخبار.

٢. إتاحة الفُرص لأصحاب الشركات لتنمية مشاريعهم، عن طريق استغلال سهولة وسُرعة إيجاد الأشخاص الذين يشتركون باهتماماتٍ مُعيَّنة، وهذا يُسهِّل نشر الإعلانات.

٣. مواقع التواصل الالكتروني مصدر مُتعة لبعض النّاس، ويتمّ ذلك بتتبُّع آخر التّلقينات الإخباريّة. (الصادق،٢٠١٤)

سلبيّات مواقع التواصل الالكتروني

إنَّ منافع مواقع التواصل الالكتروني عديدة ولكنّها لا تتعدّى سلبيّاتها، فبعض سلبيّات وسائل الاعلام خطيرة جدّاً بحيث تؤثِّر تأثيراً مُباشراً على حياة الإنسان وأمنه، ومن هذه السلبيّات مُبالغة بعض الأشخاص في إعطاء أهميّةٍ لردود أفعال المُستخدِمين من تفاعُلات، وتعليقات، وتقييمات، لقياس مكانتهم في المُجتمع، فقد يُصاب بعض النّاس بالإحباط في حال لم تتلقَّ منشوراتهم تفاعُلاً إيجابيّاً من المُتابِعين أو الأصدقاء، وقد يشعر بعض النّاس بالسّعادة والرِّضى عند تلقّيهم تفاعُلاتٍ إيجابيّةً في وسائل الاعلام ، ومعرفة أنّ لهم مكانةً عاليةً في المُجتمع، رغم أنَّ ذلك قد يكون بعيداً عن الصحّة في الواقع. (القدومي، ٢٠١٢)

التنمُّر والتتبُّع، إذ يميل بعض مُستخدمي هذه ال إلى تتبُّع مُستخدمين آخرين، بهدف إيذائهم، أو لمجرَّد وجود اهتمام عاطفيّ تجاههم، وقد يلجأ بعض المُستخدِمين الآخرين إلى حِيَل تقنيّة لإخفاء هويّاتهم، فيُتيح لهم ذلك حُرّيّة التنمُّر على الآخرين باستخدام هذه ال، ومن أكثر الناس عُرضةً لهذا التنمُّر هم الأطفال، حيثُ وصل الحال ببعضهم إلى الانتحار، نتيجةً لهذه التنمُّرات.كما ذو التّأثير سلباً على جودة النّوم، وذلك نظراً للاستخدام المُطوَّل للأجهزة الإلكترونيّة ذات الشّاشات المُضيئة، ووسيلة للإلهاء، وقد يتعرّض المُستخدم للخطر، خصوصاً عند استخدام هذه ال أثناء قيادة السيّارة، كذلك زيادة فُرص التعرُّض للاحتيال والقرصنة، وذلك نتيجةً لكون المعلومات الشخصيّة للمُستخدمين مُعرَّضة لأن تنتقل إلى أيادي ما يعرف بالهكر او القرصنة الالكترونية والمُحتالين، وتظهر كذلك مشكلات تتعلَّق بخصوصيّة الأفراد، وذلك نظراً لوجود الكثير من المعلومات الشخصيّة على هذه ال. قد تكون مصدراً للإزعاج، وخصوصاً عند تلقّي المُستخدِم الكثير من الأخبار التي قد لا تكون مُهمّةً بالنّسبة له، ومن سلبياته ايضا هو مضيَعة للوقت في حال لم تُستَغلَّ بالشّكل الصّحيح، فقد أثبتت إحصائيّة بأنَّ ٢٨% من الوقت المقضيّ في استخدام شبكة الإنترنت يكون على وسائل الاعلام .

منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب

يعد مفهوم القيم من المفاهيم الشائعة في مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية، إلا أنه لا يوجد ثمة اتفاق بين العلماء حول تعريف موحد لهذا المفهوم، وذلك لاختلاف منطلقاتهم الفكرية وحقولهم الدراسية. فقد تعددت تعريفات القيم في الأدبيات الاجتماعية والنفسية بقدر يكاد يوازي من تحدثوا فيها، ومن بين التعريفات المختلفة لمفهوم القيم ويعرفها تالكوت بارسونز (Talkott Parsons) بأنها نسق رمزي مشرك يعد معياراً، أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد معايير تحكم بها على كون الشيء مرغوباً فيه، او غير مرغوبا فيه. (العمري،٢٠١٢)

كما يعرفها شوارت (Schwart) بأنها مفاهيم، أو تصورات للمرغوب، تتعلق بضرب من ضروب السلوك، أو غاية من الغايات، وتسمو أو تعلو على المواقف النوعية، ويمكن ترتيبها حسب أهميتها النسبية، وعليه، فإن منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب مجموعة من المعتقدات والمبادئ لكامنة لدى الفرد التي تعمل على توجيه سلوكه وضبطه، وتنظيم علاقاته في المجتمع وسط الجماعة في جميع نواحي الحياة، وقد اكتسب الفرد تلك القيم ونماها وطورها وأصبحت معتقدا ثابتا من البيئة الاسرية والاجتماعية التي نشئ بها. (المقدادي،٢٠١٤)

خصائص المنظومة الثقافية والقيمية ية

تمتاز القيم بمجموعة من الخصائص التي تميزها من غيرها من المفاهيم الأخرى كالحاجة، أو الدافع، أو المعتقد، أو الاتجاه، أو السلوك. ويمكن إجمال أهمها فيما يلي:

١- أنها إنسانية، بمعنى أنها تختص بالبشر دون غيرهم، وهذا ما يميزها عن الحاجات التي لا تخص البشر.

٢- أنها غير مرتبطة بزمن معين، فالقيم إدراك يرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل، وهى بهذا المعنى تبتعد عن معنى الرغبات، أو الميول التي ترتبط بالحاضر فقط.

٣- أنها تمتلك صفة الضدية، فلكل قيمة ضدها شي سلبي، ما يجعل لها قطباً إيجابياً، وقطباً سلبياً، والقطب الإيجابي هو وحده الذي يشكل القيمة، في حين يمثل القطب السالب ما يمكن أن نسميه (ضد القيمة، أو عكس القيمة).

٤- المعيارية: بمعنى أن القيم تعد بمثابة معيار لإصدار الأحكام تقيس وتقيُم وتفسر وتعلل من خلالها السلوك الإنساني.

٥- أنها نسبية، أي أنها ليست مطلقة، بل تمتاز بالثبات النسبي، وهى تختلف من مجتمع لآخر تبعاً لعوامل المكان والزمان والثقافة والجغرافيا والأيديولوجيا.

٦- أنها متعلمة، أي أنها مكتسبة من خلال البيئة وليست وراثية، بمعنى أنه يتم تعلمها واكتسابها عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة.

٧- أنها ذاتية، بمعنى أن وزن القيمة وأهميتها يختلف من فرد لآخر. (اليماني،٢٠٠٨)

مكونات المنظومة الثقافية والقيمية :

تتكون القيم من ثلاثة مستويات رئيسية هي : المكوَّن المعرفي ، والمكون الوجداني ، والمكون السلوكي . ويرتبط بهذه المكونات والمعايير التي تتحكم بمناهج القيم وعملياتها وهي : الاختيار ، والتقدير ، والفعل .

أ-المكون المعرفي : ومعياره " الاختيار ، أي انتقاء القيمة من أبدال مختلفة بحرية كاملة بحيث ينظر الفرد في عواقب انتقاء كل بديل ويتحمل مسئولية انتقائه بكاملها ، وهذا يعني أن الانعكاس اللاإرادي لا يشكل اختياراً يرتبط بالقيم .

ويعتبر الاختيار المستوى الأول في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم ، ويتكون من ثلاث درجات أو خطوات متتالية هي : استكشاف الأبدال الممكنة ، والنظر في عواقب كل بديل ، ثم الاختيار الحر . (نبش وديكي، ٢٠١٥)

ب-المكوَّن الوجداني : ومعياره " التقدير " الذي ينعكس في التعلق بالقيمة والاعتزاز بها ، والشعور بالسعادة لاختيارها والرغبة في إعلانها على الملأ . ويعد التقدير المستوى الثاني في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم ويتكون من خطوتين متتاليتين هما :

الشعور بالسعادة لاختيار القيمة ، وإعلان التمسك بالقيمة على الملأ .

ج-المكوَّن السلوكي : ومعياره " الممارسة والعمل " أو " الفعل " ويشمل الممارسة الفعلية للقيمة أو الممارسة على نحو يتسق مع القيمة المنتقاة ، على أن تتكرر الممارسة بصورة مستمرة في أوضاع مختلفة كلما سنحت الفرصة لذلك .

وتعتبر الممارسة المستوى الثالث في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم ، وتتكون من خطوتين متتاليتين هما : ترجمة القيمة إلى ممارسة ، وبناء نمط قيمي . (العتيبي والراشدي، ٢٠١٢)

انواع القيم ضمن منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب وهي :-

١- القيم الاجتماعيّة: هي أنواع السلوك الاجتماعي الإيجابي المرغوب فيه والتي تنتقل إلى أفراد المجتمع من الأشخاص المحيطين بهم، وتعد ثقافة المجتمع السائدة هي الوسط الذي يساعد في نقلها وترسيخها من خلال الممارسات السلوكية والاتجاهات الإيجابية في العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وتمثلت في هذه الدراسة بالمؤاساة الاجتماعية، والالتزام بالعادات

والتقاليد الاجتماعية، والمحافظة على التراث الاجتماعي، والتحلي بآداب الطريق، والمشاركة بالأعمال التطوعية، والتضامن مع الشعوب المنكوبة، وإغاثة الملهوف ونجدة المظلوم، وأدب المحاورة مع الآخرين، وعيادة المريض، والتواضع والإحسان إلى الجيران

٢- القيم الأخلاقية: هي مجموعة من المعايير والمبادئ الموجهة لسلوك الفرد المسلم ظاهراً وباطناً لتحقيق غاية خيرة مستوحاة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتمثلها في هذه الدراسة بر الوالدين، والصدقة على الفقراء، والكرم، والتعاون، والعدل، والأمانة، والإخلاص، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الرحم، والسماحة، والصدق، والحياء.

٣- القيم الاقتصادية: هي التي تعبر عن اهتمام الفرد وميله إلى ما هو نافع ومفيد والاهتمام بزيادة الإنتاج وعمليات التسويق واستثمار الأموال ، وتمثلها في هذه الدراسة مجموعة من القيم الاقتصادية، مثل: حب الإنتاج، والمحافظة على الممتلكات العامة، وتقدير المنتج المحلي، وأداء الزكاة، واحترام العمل اليدوي، وتجنب التعامل القائم على الغش والخداع، ونبذ الإسراف والتبذير، والوفاء وعدم المماطلة بأداء الديون. (الدبيسي،٢٠١٣)

٤- القيم الجمالية : وهي التي تعبر عن اهتمام الفرد وميله إلى ما هو جميل من ناحية الشكل أو التوافق ، والنظر إلى العالم المحيط به نظرة تقدير لتكوينه وتنسيقه وانسجامه وتوافقه الشكلي. وجاءت في هذه الدراسة محددة بمجموعة من القيم كالالتزام بتعليمات الوقاية الصحية، وتقدير جمالية اللباس العربي الأصيل، وتجنب العادات الضارة بالجسم – كالتدخين – وتذوق جمال البيئة ومكوناتها، وممارسة الرياضة، والعناية بالمظهر، والنظام والترتيب، وتزيين المنزل، ونظافة ساحاته وأفنيته. (سالم وخضر ،٢٠١٢)

العلاقة بين مواقع التواصل الالكتروني ومنظومة الثقافية والقيمية

ان مواقع التواصل الالكتروني اصبحت من اهم العناصر التي يتعامل معها الفرد وفي كل وقت وقد تدخلت تلك ال للحياة الشخصية وتجذرها في مختلف المجالات، وخاصة اصبحت المادة العلمية والرقمية متاحة للاستخدام وبكل سهولة كنشر الصور ومقاطع الفيديو وكتابة الافكار ونشر الاعتقادات ويتفاعل معها الفرد بشكل مستمر من خلال ما يشاهده ويسمعه ويكتبه ويرسله ويرسل اليه، فقد اصبح عالم متكامل للكثير من الافراد رغم هو عالم افتراضي، وأصبح يشغل الوقت الطويل للأفراد ويشغلهم في البيت وفي اوقات العمل في مؤسساتهم وفي الشارع والتسوق وقيادة السيارة والتعلم والعمل والتواصل مع الاقارب ومن أي مكان في العالم وفي أي وقت . (لشهري،٢٠١٢)

ان هذا التفاعل المثير للاهتمام والفوضوية واللامبالاة للوقت اصبح يؤثر في الفرد والخروج من مجرد تسلية وإطلاع وتواصل الى تغير عادات وأفكار واهتمامات وميول حتى وصل الى تغير قيم انسانية وثقافية واجتماعية وحتى دينية وقد تعرضت منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب الى التصدع والانكسار ووصلة الى حالات خطيرة من خلال المؤشرات الظاهرة منها انتشار حالات الطلاق في المحاكم وعند الاطلاع على الاسباب تجد ٨٠% وسائل الاعلام هذا مؤشر خطير جدا وهذه مثال من مجموعة امثلة منها انخفاض تحصيل الدراسي والسهر لساعات الصباح والإطلاع على اسرار الاخرين وبياناتهم وتهديدهم بها مما ادى الى اضعاف منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب بشكل عام وانتشار الافكار والسلوكيات الغريبة عن عادات مجتمعنا وتأثرت مختلف فئات المجتمع بذلك ومنهم طلبة الجامعة، لقد تأثر طلبة الجامعة باستخدام التواصل بشكل كبير من خلال الدراسات التي اجريت، ان طالب الجامعي يأتي الى الجامعة وقد وصل الى مستوى مقبول من النضج الاجتماعي والشخصي والنفسي ويمتلك مهارات اجتماعية ونفسية. (الدبيسي، ٢٠١٤)

لقد تسببت بعض التطبيقات ل وسائل الاعلام على تلويث القيم الجامعية والإنسانية ونعكس ذلك على لبس الطلبة وطريقة كلامهم وسلوكياتهم داخل قاعات الدراسة وخارجها وانخفاض التحصيل التطبيقي وحتى التكاليف الاقتصادية واصبح الطالب الناضج متمرد على القيم ويعدها اداة تعطيل المجتمع والافراد وبدء الطالب يبحث عن الحرية التي هو يسميها والانفتاح لذا اصبحت اهتمامات الطالب الجامعي مادية ومظهرية اكثر مما هي معرفية دراسية قائمة على الحوار وتعلم المعرفه وكتساب مهارات الجامعة الاساسية وهذا ينعكس سلبا على المجتمع لان هؤلاء الطلبة يخرجون لسوق العمل كالمهندس والمحاسب والمعلم والمحامي اذا لم يكن مزود بالقيم فسوف ينشئ جيل لا يقدر المجتمع وتصبح الفردية والمادية هي الظاهر المنتشرة في المؤسسات التعليمية وهنا يكمن الخطر والمشكلة.

الدراسات السابقة

١- المجالي (٢٠٠٧)

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر استخدام مواقع التواصل الالكتروني على القيم الاجتماعية لدى الشباب الجامعي في المجتمع الأردني، من خلال استطلاع آراء عينة من طلبة جامعة مؤته بلغ تعدادها (٣٢٥) مبحوثاً ومبحوثه، تم اختيارها بطريقة عشوائية، أظهرت نتائج الدراسة بأن أثر استخدام مواقع التواصل الالكتروني ة على القيم الاجتماعية

يزداد في حالة استخدام الطلبة للإنترنت بمفردهم، وكلما زاد عدد ساعات الاستخدام اليومي. كما أظهرت النتائج بأن أكثر استخدامات الإنترنت هي لغايات علمية وبحثية، وتتم في معظمها داخل الحرم الجامعي، وأشارت النتائج كذلك إلى وجود علاقة لآثر استخدام شبكات التواصل على القيم الاجتماعية وبعض المتغيرات النوعية، كالجنس، والعمر، ونوع الكلية، والمستوى الدراسي، والدخل الشهري لأسر المبحوثين، كما دلت على ذلك قيمة (F) بدلاله إحصائية ≥ ٠,٠٥. وخلصت الدراسة إلى وضع مجموعة من التوصيات.

٢- دراسة الطيار (٢٠١٤)

هدفت الدراسى لبيان الآثار السلبية المترتبة على استخدام طلاب الجامعة ل مواقع التواصل الالكتروني، وبيان الآثار الإيجابية المترتبة على استخدام طلاب الجامعة ل مواقع التواصل الالكتروني ، وبيان أثر مواقع التواصل الالكتروني في تغيير القيم الاجتماعية لدى طلاب الجامعة. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة الحالية من طلاب جامعة الملك سعود بالرياض على اختلاف تخصصاتهم العلمية، وقد تم اختيارهم بطريقة عشوائية وبلغت العينة النهائية (٢٢٧٤) طالباً. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها: أن أهم الآثار السلبية لشبكات التواصل تمثلت في تمكن من إجراء علاقات غير شرعية مع الجنس الآخر، الإهمال في الشعائر الدينية، وأن أهم الآثار الإيجابية تمثلت في: الاطلاع على أخبار البلد الذي نعيش فيه، تعلم أمور جديدة من خلال مواقع التواصل الالكتروني ، التعبير بحرية عن الرأي، التمكين من تخطي حاجز الخجل، وأن أهم مظاهر تغيير القيم نتيجة شبكات التواصل وظهر في: تعزيز استخدام الطالب ل مواقع التواصل الالكتروني القدرة على مخاطبة الجنس الآخر بجرأة واهم توصيات الدراسة الدراسة تكثيف الندوات العلمية والبرامج التعليمية الهادفة التي تبين لطلاب الجامعة التأثير السلبي ل مواقع التواصل الالكتروني على قيمهم وخاصة الجامعية.

٣- دراسة العوالمة واخرون (٢٠١٥)

هدفت الدراسة الكشف عن درجة تأثير مواقع التواصل الالكتروني في منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب لطلبة كلية عجلون الجامعية. ولتحقيق ذلك تم تصميم استبانة مكونة من (٤٤) فقرة، موزعة على أربعة مجالات: القيم الأخلاقية، والاجتماعية، والجمالية والاقتصادية. تكونت عينة العام الدراسي ٢٠١٤-٢٠١٥، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن درجة تأثير مواقع التواصل الالكتروني في منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب لطلبة

كلية عجلون الجامعية كانت متوسطة. وأظهرت النتائج أن القيم الجمالية جاءت في المرتبة الأولى، تلتها في المرتبة الثانية القيم الاقتصادية، وفي الثالثة القيم الاجتماعية، في حين جاءت القيم الأخلاقية في المرتبة الأخيرة. كما بينت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في جميع المجالات جميعها تبعاً لمتغير الجنس، ولصالح الطلبة الذكور، ووجود فروق في منظومة الثقافية والقيمية تبعاً لمتغير التخصص ولصالح تخصص الخدمة الاجتماعية، إضافة إلى وجود فروق تبعاً لمتغير المستوى الدراسي، ولصالح طلبة السنة الثانية، وأخيراً وجود فروق تبعاً لمتغير مدة التواصل اليومية ولصالح المدة الزمنية (٦) ساعات فأكثر.

منهجية البحث وإجراءاته :

منهجية البحث:

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي للدراسة الحالية، اذ يعد هذا المنهج افضل اسلوب لدراسة لانه يوصف الظاهرة وصفا دقيقا ويحدد ابعادها وأسباب حدوثها ويضع فرضيات لحلها.

مجتمع البحث وعينته

يشمل مجتمع البحث الحالي طلبة جامعة بابل والتي تتضمن (١٩) كلية، اما عينة البحث فقد بلغت (٢٠٠) طالب وطالبة من كليات ذات تخصص تطبيقي وإنساني كما هو موضح في جدول (١)

جدول (١) عينة البحث

اسم الكلية	طالب	طالبة
كلية التربية للعلوم الانسانية	**25**	**25**
كلية التربية للعلوم التطبيقية	**25**	**25**
كلية الهندسة	**25**	**25**
كلية القانون	**25**	**25**
المجموع	**100**	**100**

اداة البحث

لتحقيق أهداف البحث الحالي ولعدم حصول الباحثان على أداة مناسبة لأهداف البحث الحالي ، وبعد الاطلاع على الأدبيات والدراسات السابقة، تم بناء اداة للبحث الحالي مكونة من (٢٥) فقرة

موزعة على اربع مجالات هي) القيم الأخلاقية، والاجتماعية، والجمالية والاقتصادية) وله خمس بدائل (دائما– احيانا– ابدا–غالبا– نادرا) ولكل بديل وزن معين (٤،٣،٢،١) للفقرات الايجابية والعكس للفقرات السلبية وكانت اعلى درجة للمقياس (١٠٠) واقل درجة (٢٥) وما الوسط الفرضي فيبلغ (٦٢,٥).

صدق الاداة

الصدق هو الخاصية السايكومترية التي تكشف عن مدى اداء المقياس للغرض الذي أُعد من اجله ، وهو دليل على قياس الفقرات لما يفترض أن تقيسه ولأجل التحقق من صدق أداة البحث قام الباحثان باستخراج الصدق الظاهري الذي يعد من مستلزمات بناء المقياس وذلك بعرض فقرات الاداة على مجموعة من الخبراء والمختصين في العلوم التربوية والنفسية ، وفي ضوء آرائهم تم الابقاء على الفقرات التي نالت نسبة(٨٥% فأعلى وهي تمثل نسبة قبول وبذلك عدل الخبراء بعض الفقرات.

تحليل فقرات القياس

تم تحليل لفقرات احصائيا بأسلوبي :-

١- المجموعتان المتطرفتان :

لحساب القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاداة تم اجراء الخطوات ألآتية تطبيق المقياس على عينة التحليل ثم تحديد الدرجة الكلية لكل استمارة .

١. ترتيب الاستمارات تنازلياً بحسب درجاتها الكلية من أعلى درجة إلى أوطأ درجة.
٢. تعيين (٢٧%) من الاستمارات الحاصلة على أعلى الدرجات في المقياس و(٢٧%) من الاستمارات الحاصلة على أدنى الدرجات واللتان تمثلان مجموعتين بأكبر حجم وأقصى تمايز ممكن، وبلغ عدد الاستمارات في كل مجموعة (٢٧) استمارة وعليه فان عدد الاستمارات التي خضعت للتحليل يكون (٥٤) استمارة.
٣. استخراج الوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات المفحوصين لكل مجموعة عن كل فقرة من فقرات المقياس ثم طبق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لاختبار الفروق بين درجات المجموعة العليا والمجموعة الدنيا في كل فقرة عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وقد تبين جميع الفقرات مميزة وجدول (٢) يبين ذلك :

ISBN: 978-9922-21-412-2

جدول (٢) القوة التميزية للفقرات

ت	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المحسوبة
1	2.553	0.555	2.220	0.613	5.221
2	2.464	0.664	2.2024	0.6970	3.525
3	2.381	0.597	2.023	0.725	4.925
4	2.053	0.728	2.057	0.781	5.650
5	2.470	0.637	1.892	0.804	7.554
6	2.285	0.701	2.107	0.815	2.168
7	2.642	0.613	2.119	0.824	6.536
8	2.684	0.548	2.154	0.773	7.239
9	2.723	0.573	2.071	0.823	8.536
10	2.595	0.591	1.982	0.761	8.237
11	2.452	0.607	1.982	0.687	6.643
12	2.756	0.552	2.232	0.773	7.141
13	2.535	0.618	1.982	0.754	7.360
14	2.750	0.486	2.089	0.756	9.519
15	2.678	0.539	2.178	0.720	7.200
16	2.440	0.616	2.006	0.754	5.783
17	2.571	0.574	2.083	0.753	6.676
18	2.333	0.763	1.964	0.749	4.471
19	2.339	0.636	1.963	0.749	5.071
20	2.684	0.503	2.184	0.739	7.247
21	2.761	0.492	2.154	0.728	8.861
22	2.660	0.556	2.154	0.773	6,882
23	2.492	0.529	2.071	0.723	7.541
24	2.119	0.862	1.632	0.805	7.912
25	2.723	0.524	2.432	0.775	6.423

ISBN: 978-9922-21-412-2

ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس:

يقصد بها معامل الارتباط بين الأداء على كل فقرة والأداء على الاختبار بأكمله، إذ انَّ من مميزات هذا الأسلوب أَن يقدم مقياساً متجانساً في فقراته ، إذ إن الفقرة التي ترتبط ارتباطاً ضعيفاً جداً مع المحك (المقياس) تعد غالباً فقرة تقيس سمة تختلف عن تلك السمة التي تقيسها فقرات المقياس الأخرى إذ يجب استبعادها.

ولحساب معامل الارتباط بين درجة كل فقرة من فقرات الاداة والدرجة الكلية استعمل الباحثان معامل ارتباط بيرسون، وقد تبين أن معامل الارتباط بين درجة الفقرة والدرجة الكلية جميعها ذات دلالة إحصائية عند مستوى(٠,٠٥) لأن جميع معاملات الارتباط أعلى من القيمة الجدولية البالغة (٠,٠٨٨) والجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول(٣) معاملات الارتباط بين درجة الفقرة والدرجة الكلية للمقياس

تسلسل الفقرة	معامل الارتباط	تسلسل الفقرة	معامل الارتباط
1	0.226	12	0.308
2	0.154	13	0.396
3	0.205	14	0.288
4	0.047	15	0.145
5	0.270	16	0.155
6	0.142	17	0.188
7	0.282	18	0.319
8	0.295	19	0.263
9	0.323	20	0.282
10	0.364	21	0.254
11	0.305	22	0.320
12	0.116	24	0.251
		25	0.345

مؤشرات الثبات

يقصد بالثبات الدقة في أداء الأفراد والاستقرار في النتائج عبر الزمن ، ان عدم تأثر نتائج الاختبار بصورة جوهرية بذاتية المفحوص، أو إن الاختبار فيما لو كُرر على المجموعة نفسها

ISBN: 978-9922-21-412-2

بعد فترة زمنية نحصل على النتائج نفسها أو مقاربة ، وقدتم استخراج قيمة معامل الثبات من خلال اسلوب الفا– كرونباخ ، فكانت قيمة معامل ثبات المقياس (٠,٨٣) ويعد المقياس داخليا لان هذه المعادلة تعكس مدى اتساق فقرات داخليا.

عرض النتائج وتفسيرها

استخدم الباحثان برنامج (spss) لتحليل الفقرات واستخراج النتائج للأهداف الموضوعه.

اولا– الكشف عن درجة تأثير مواقع التواصل الالكتروني في منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب لطلبة الجامعة.

ولتحقيق هذا الهدف تم حساب متوسط درجات الطلبة الكلية فبلغ (٥٩,٨) درجة وبانحراف معياري قدره (٧,٣) وعند مطابقة هذه القيمة مع الوسط الفرضي البالغ (٦٢,٥) باستخدام الاختبار التائي وجد أن القيمة التائية المحسوبة بلغت(٢,٣٢) درجة وهي اكبر من القيمة الجدولية (١,٩٦) البالغة عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وهي دالة إحصائيًا والجدول (٤) يوضح ذلك .

الجدول(٤) المتوسط الحسابي ، والانحراف المعياري والمتوسط الفرضي والقيمة التائية

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية	
				المحسوبة	الجدولية
200	**59.8**	**7.3**	**62.5**	**2.32**	**1.96**

توضح المؤشرات الاحصائية لجدول (٤) ان تأثير مواقع التواصل الالكتروني لها تأثير متوسط على المنظومة الثقافية والقيمية ة للطالب الجامعي من خلال التحليل الاحصائي لإجابات الطلبة ، اذ تفسر نظرية التعلم الاجتماعي لبندورا ان الفرد يتأثر بالبيئة التي يعيش بها من خلال المؤثرات التي يواجهها ويستجيب لهذه المؤثرات كلما زادت درجة قوتها لذا اصبحت مواقع التواصل الالكتروني من اكثر المثيرات البيئة التي يواجهها الفرد، اذ نلاحظ الاستخدام المفرط للاجهزة الذكية من هواتف واجهزة لوحية وحاسبات محمولة والوقت الذي يقضيه الفرد وبدء يمارس سلوكيات وطرح افكار تخالف القيم الاسرية والاجتماعية والثقافية والخلقية وهذا التاثير بدء ينعكس على البناء المعرفي وبناء الشخصية والتفاعل الاجتماعي، ولكن لم يصل التأثير الى درجات مرتفعة مقارنة بالمرحلة العمرية لطلبة الجامعة كونهم في مرحلة من النضج

والرشد التي تحقق لهم مهارة ادارة الوقت التي انعكس بالشيئ اليسير على سلوكياتهم في استخدام تطبيقات وسائل الاعلام ، وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة العوالمة (٢٠١٥).

١- ثانيا-:- معرفة الفروق ذات الدلالة الإحصائية وفق متغيري النوع (ذكور- اناث) التخصص الدراسي (علمي- ادبي)

١- متغير النوع (ذكور، اناث)

توجد فروق دالة إحصائيًا في درجات الاستجابة على الاداة بين الذكور والإناث ، اذ وجد أن الوسط الحسابي للذكور (٢١,٤) بانحراف معياري قدره (٨,٤١) والوسط الحسابي للإناث (١٧,٤) بانحراف معياري قدره (٥,١٣) ، وأظهرت نتائج استخدام الاختبار التائي إن الفروق بين متوسط درجات الذكور ومتوسط درجات الإناث دال إحصائيًا عند مستوى دلالة ٠,٠٥ حيث كانت القيمة التائية المحسوبة (٣) وهذه القيمة أكبر من القيمة الجدولية البالغة (٢) والجدول(٥) يوضح ذالك .

جدول (٥) يبين نتائج الاختبار التائي للفرق بين متوسط درجات الذكور والإناث

المؤشر الإحصائي / النوع	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		مستوى دلالة
				المحسوبة	الجدولية	
ذكور	**100**	**21.4**	**8.41**	**3**	**2**	**0.05**
اناث	**100**	**17.4**	**5.13**			

يتضح من الجدول (٥) ان الفروق دالة احصائيا لصالح الطلاب الذكور ، أي ان منظومة الثقافية والقيمية والتربوية للشباب لطلبة الجامعة من الذكور اكثر تأثرا ب وشبكات التواصل ، ويفسر ذلك في ضوء نظرية سوليفان للعلاقات الاجتماعية ان الطلاب يتمتعون بعلاقات اجتماعية متنوعة ومتعددة سواء مع اقرانهم ونوع جنسهم وكذلك مما يمنحون من حرية في الخروج من المنزل وقضاء وقت طويل خارجه ويمتلكون من الاجهزة الذكية لان المجتمعات الشرقية تعطي الكثير من المساحات والحريات للذكور مقارنة بالإناث، هذه الحرية تجعلهم يكتسبون خبرات متعددة ومتنوعة من خلال انشاء حسابات الكرتونية على شبكات التواصل ويمتلكون مهارة التعامل مع هذه التطبيقات مما يقضون ساعات طويلة وبشكل مفرط مما تجد

ISBN: 978-9922-21-412-2

تأثير هذه الشبكات على قيمهم سواء في الجامعة او المجتمع المحلي وحتى داخل الاسرة وينعكس ذلك سلبا في افكارهم وطريقة تحدثهم وملبسهم ، مقارنة بالإناث التي تتحدد علاقتها مع نوع جنسها وأمها وأقاربها وطبيعة المجتمع التي يفرضها ذكية مما ينعكس ذلك على الحفاظ على مستوى منظومة الثقافية والقيمية التي اكتسبتها.وربما غير متعلمة ولا تجيد التعامل مع هذه الاجهزة او لربما لا تمتلك مثل تلك الاجهزة وتتفق نتائج هذه الدراسة مع دراسة الطيار (٢٠١٤).

٢- معرفة الفروق ذات الدلاله الاحصائية حسب متغير التخصص الدراسي : تطبيقي – انساني.

توجد فروق دالة إحصائيًا في درجات الاستجابة على الاداة بين طلبة التخصص التطبيقي والانساني ، اذ وجد أن الوسط الحسابي للفرع الانساني (١٩,٧) بانحراف معياري قدره(٦,٧) والوسط الحسابي للفرع التطبيقي (١٦,٥) بانحراف معياري قدره (٤,٢) ، وأظهرت نتائج استخدام الاختبار التائي إن الفروق بين متوسط درجات طلاب التخصص الانساني و التطبيقي دال إحصائيًا عند مستوى دلالة ٠,٠٥ حيث كانت القيمة التائية المحسوبة.(٣) وهذه القيمة أكبر من القيمة الجدولية البالغة)٢(والجدول (٦) يوضح ذلك .

الجدول (٦) يبين نتائج الاختبار التائي للفرق بين متوسط درجات التخصص التطبيقي والانساني

التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		مستوى دلالة
				المحسوبة	الجدولية	
انساني	100	19.7	6.7	3	2	0.05
تطبيقي	100	16.5	4.3			

يوضح جدول (٦) ان الفروق دالة احصائيا لصالح طلبة التخصص الانساني ، أي مواقع التواصل الالكتروني لها تأثير على طلبة التخصص الانساني مقارنة بتخصص التطبيقي، ان طلبة التخصص التطبيقي يميلون الى التطلع والمتابعة لان طبيعة دراستهم تعتمد على مهارة الحفظ والاستدعاء وهم يقضون ساعات طويلة باستخدام الانترنت والأجهزة الذكية مقارنة بطلبة الدراسة التطبيقية الذين يحتاجون الى وقت اكثر لدراسة المادة التخصصية ، كما توضح نظرية التعزيز لسكنر ان الفرد كلما يتحقق له تعزيز معنوي او مادي فانه يستمر في ممارسة ذلك السلوك على المدى الطويل، ان طلبة التخصص التطبيقي تحقق لهم المذاكرة الاشباع المعرفي،

ISBN: 978-9922-21-412-2

وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع درسة الجمالي(٢٠٠٧) وتتفق كذلك مع دراسة العوالمة واخرون (٢٠٠٧).

التوصيات

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحثان :-

١- اقامة ندوات في الكليات موجهة للطلبة الجامعة تبين لهم المخاطر النفسية والاجتماعية والثقافية والصحية والبيئية.

٢- ترسيخ القيم والمبادئ التي تعزز القيم الجامعية للطالب الجامعي من خلال اقامة ورش عمل داخل الجامعات يشترك بها طلبة الكليات والمعاهد .

٣- اخضاع الطلبة لبرامج تدريبية حول مهارة ادارة الوقت والعامل الايجابي مع التكنولوجيا في ضوء الاحتياجات المعرفية والتربوية .

المقترحات

١- اجراء دراسة عن دور الجامعة في نشر القيم الثقافية.

٢- اجراء دراسة بعنوان الاستخدام المفرط ل التواصل الالكتروني وعلاقتها بأزمة الهوية الثقافية الاجتماعية .

٣- اقامة دراسة تجريبية بعنوان اثر الارشاد النفسي في تحصين طلاب الدراسة الثانوية من سوء استخدام الانترنت.

المصادر

١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، ط١ ،1989.

٢- بهاء الدين، محمد مزيد، "المجتمعات الافتراضية بديلاً للمجتمعات الواقعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢م.

٣- حلمي، ساري، ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الالكتروني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٩م، ص١٩.

٤- الحمداوي، هناء جاسم ، الإقناع فن التأثير على الآخرين واكتساب ثقتهم، دار الاتحاد للنشر والتوزيع، عمان طبعة ١، ٢٠١٢.

٥- الخليفي، محمد بن صالح ، تأثير الإنترنت في المجتمع: دراسة ميدانية"، مجلة عالم المعرفة، المجلد ٢٢، العددان ٥ و ٦،٢٠١٥، ص٤٦٩- ، ٥٠٢.

٦- الدبيسي، عبدالكريم، الطاهات ، ياسين،. دور مواقع التواصل الالكتروني في تشكيل الراي العام لدى طلبة الجامعات الأردنية. مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد ١٤، العدد ١، ص ٦٦- ٨٠، ٢٠١٣.

٧- زاهر، راضي ، "استخدام التواصل الالكتروني في العالم العربي"، مجلة التربية، العدد١٥ ، جامعة عمان الأهلية، عمان، ٢٠١٣، ص٢٣.

٨- سالم، ساري وخضر، زكريا، مشكلات اجتماعية راهنة، العولمة وإنتاج مشكلات جديدة، الأهالي للطبع والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١٢، ص١٩٦.

٩- سامي، عبد الرؤوف، الإنترنت في العالم العربي: دراسة ميدانية على عينة من الشباب العربي، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام،المجلد٢، عدد ٤، ٢٠١٠، ص٣٥.

١٠- الصادق، عبدالصادق حسن، تأثير استخدام الشباب الجامعي في الجامعات الخاصة البحرينية ل التواصل الالكتروني على استخدامهم الاتصال التقليدية، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد ٧، العدد ١، ص٣٣ – ٥٩، ٢٠١٤.

١١- الصويان، نورة،. تأثير مواقع التواصل الالكتروني على الثقافة الاجتماعية للشباب السعودي، مجلة بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس ، المجلد ٣، العدد٣٤، ٢٠١٤.

١٢- الطيار ، فهد، (٢٠١٤) . مواقع التواصل الالكتروني وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة " تويت أنموذجاً" المجلة العربية للدراسات الأمنية ، ٣١(٦١)، ص ١٩٣- ٢٢٦.

١٣- العتيبي ، بندر، والراشدي، سعيد، التحديات التي تفرضها شبكة الأنترنت و مواقع التواصل الالكتروني على القيم في الوطن العربي. المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد ٢ العدد ٩، ص٨٦١ – ٨٧٠، ٢٠١٢.

١٤- العمري، أسماء عبد المنعم ، درجة ممارسة القيم لدى طلبة الجامعات الأردنية من وجهة نظر الطلبة أنفسهم. مجلة دراسات، العلوم التربوية،42(3)، 1063- 1086، 2015.

١٥- العوالمة، عبد الله وابو ملحم ، محمد والزبون، احمد (٢٠١٥) درجة تأثير التواصل الالكتروني على قيم طلبة كلية عجلون الجامعية، مجلة التربية، المجلد١٢، العدد٢، جامعة اليرموك، ٢٠١٥.

١٦- القدومي ، خولة مجالات استخدام شبكات وسائل الاعلام بين طلبة جامعة إربد الأهلية، عالم التربية، مصر، س١٣، العدد ٤٠، ١٥ – ٤٠،٢٠١٢.

١٧- المجالي، فايز، أثر استخدام مواقع التواصل الالكتروني على القيم الاجتماعية لدى الشباب الجامعي، مجلة المنارة، المجلد١٧، العدد٣، جامعة الـ البيت، ٢٠٠٧.

١٨- محمود، خالد صالح، تأثير مواقع التواصل الالكتروني على القيم الاجتماعية لدى الشباب الجامعي، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، القاهرة، المجلد الاول، العدد ٣٢، ص٣٣٥- ٣٩٠، ٢٠١٢.

١٩- المقدادي، خالد غسان ، ثورة الشبكات الاجتماعية- ماهية وسائل الاعلام وأبعادها، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة ١، ٢٠١٤م، ص٣٥.

٢٠- نيش، عزوز، ودكاني لطفي، تأثير استخدام وسائل الاعلام على قيم الشباب الجامعي الجزائري " دراسة لعينة من مستخدمي موقع الفيس بوك "، مجلة جيل الدراسات الانسانية والاجتماعية، العدد، ص١٨٣-١٩٣، ٢٠١٥.

٢١- هاب خليفة، وسائل الاعلام "أدوات التغيير العصرية عبر الإنترنت"، المجموعة العربية للتدريب والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص١١٤.

٢٢- اليماني، عبد الكريم، فلسفة القيم التربوية. ط١، دار الشروق: عمان، ٢٠٠٨.

٢٣- اليوسف، شعاع ، التقنيات الحديثة فوائد وأضرار دراسة التأثيرات السلبية على صحة الفرد، العدد ١١٢، السنة السادسة والعشرون، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ISBN: 978-9922-21-412-2

القرآن الكريم سبيل للحفاظ على الهوية الإسلاميّة من تأثيرات العولمة السلبيّة

د. جليلة الدّاودي/ جامعة الزيتونة –تونس
jaliladaoudi2021@gmail.com

المقدمة

الحمد لله الذي لا يعزب عنه شيء ولا يحاط به علما حمدا يبصّرُ من ظلام، ويعلّمُ من جهل، ويهدي من الحيرة إلى الصّواب، والصّلاة والسّلام على محمّد صلى الله عليه وسلم إمام العارفين ومرشد المهتدين.. وبعد..

يتنزّل بحثي هذا في إطار الإبانة والإجابة عن سؤال الهويّة الإسلاميّة في خضم التحوّلات والغزو الثقافي الذي اجتاح العالم في الوقت الرّاهن وأصبح يهدّد هويّتنا الإسلاميّة لذلك كان هذا البحث بمثابة المنبه لأن نطلق صيحة فزع وإيجاد السّبل للمحافظة عليها وتطويع العولمة لخدمة هويتنا الإسلامية.

كما تعرضت في هذا البحث للحديث عن الهويّة الإسلاميّة في علاقتها بالقرآن المجيد الذي يحرّم الاعتداء على المسلمين وغير المسلمين وهو ما وجب علينا تطبيقه في وقتنا الرّاهن الذي أصبح تتحكم فيه العولمة تحت مسمّى التقدّم والتطوّر فأصبح استعمال التكنولوجيا لأغراض رديئة تقوم على انتهاك أعراض الناس والسبّ والشّتم والتهديد وغيرها من التصرّفات التي نهانا عنها عزّ وجلّ، فما أحوجنا اليوم إلى العودة إلى قرآننا العظيم وإلقاء نظرة ثاقبة لتدبّر معانيه وفهم أسسه والعمل بها.

إشكالية البحث:

يتوجّه بحثنا إلى طرح تساؤلات عدّة أهمّها:

ما علاقة الهويّة الإسلاميّة بالقرآن؟ وما علاقة العولمة بالهويّة الإسلاميّة؟ ما مدى تأثير العولمة على الهوية الإسلاميّة؟ وما هي السبل الممكنة لمقاومة التأثيرات السلبيّة للعولمة على الهويّة الإسلاميّة؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أهميّة القرآن الكريم باعتباره دستور الأمّة في مواجهة عنف العولمة وخطرها الذي يهدّد هويّتنا الإسلاميّة تحت شعار التطوّر والتقدّم.

كما يهدف هذا البحث إلى إزاحة السّتار حول ما يهدّد الهويّة الإسلاميّة في ظل التحوّلات العالميّة، وتقديم بعض الحلول لمقاومة التأثيرات السلبيّة للعولمة.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المنهج المعتمد في هذا البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي لتتبّع وجمع المعلومات الموحّدة لاستخلاص نتائج منها، وآخر وصفي تحليلي يصف هذه المعلومات ويحلّلها.

خطّة البحث :

جاء البحث في مقدّمة ومبحثان وخاتمة. وقد تفرّع عن المبحث الأوّل المعنون بالهويّة الإسلاميّة والقرآن مطلبان:

المطلب الأوّل: تعريف الهويّة الإسلاميّة:

المطلب الثاني: تعريف القرآن :

كما تفرّع عن المبحث الثاني الموسوم بالهويّة الإسلاميّة في ضوء التحولات والعولمة مطلبان:

المطلب الأوّل: تأثير العولمة على الهوية الإسلاميّة:

المطلب الثاني: المطلب الثاني: سبل مقاومة الآثار السلبيّة للعولمة:

المبحث الأول: الهويّة الإسلاميّة والقرآن:

المطلب الأول: تعريف الهويّة:

تختلف تعريفات الهويّة وتتباين بحسب منطلق النّظر، والأفق المعرفي للباحث في هذه المسألة. ولعلّه من الوجيز أن يبدأ تعريف مفهوم الهويّة وتحديد معناه من تصحيح لدلالة هذا المصطلح وطريقة نطقه، فالهويّة"بضمّ الهاء وليس بفتحها، وبكسر الواو وليس بفتحه، لأنّ الهويّة بفتح الهاء وكسر الواو هي البئر العميقة وجمعها هويّات."

وللهويّة عند القدامى معان عدّة، منها التشخّص، والشّخص نفسه والوجود الخارجي فهي ما يكون به الشيء هو هو، وباعتبار تحقّقه يسمّى حقيقة وذاتا، وباعتبار تشخّصه يسمّى ماهيّة[1] .وهذا استنادا إلى ما قاله الجرجاني في تعريف الماهية:"ماهيّة الشّيء، بما به الشّيء هو هو."[2]

ومعنى هذا أنّ الفلاسفة يعتبرون أنّ" لفظ الهويّة مشتقّ من الهو كما تشتقّ الإنسانيّة من الإنسان، و(أنّ) هوية الشيء، هي عينه، وتشخصّه الذي ندركه بالجواب عن السؤال ماهو أو

(١) الكحلاوي، محمد، الهويّة والتّحديث، جريدة الحريّة تونس، ط.١، ٢٠١٠، ص .13

(٢) الجرجاني، شريف، التعريفات، دار الكتب العلميّة بيروت– لبنان، ط.١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، ص١٩٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ماهي؟"،قال الجرجاني: الهويّة هي"الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشّجرة في الغيب.(١)"

وتتعدّد الهويّة في نظر الفلاسفة وتختلف بتعدّد الموضوع وأفق النّظر، وهي من ثمّة"الهويّة التعدّديّة" تطلق على الشّيء من جهة ما هو واحد ومن جهة كونه هو هو، و"الهويّة الشّخصيّة" وتطلق على الشّخص باعتباره يبقى هو هو رغم ما قد يطرأ عليه من تغيّرات خارجيّة. و"الهويّة الكيفيّة" و"الهويّة المنطقيّة"، و"الهويّة على خلاف الغيريّة" وفي مقابلها، ذلك أنّ الغيريّة هي كون كلّ من الشّيئين غير الآخر وضدّها العينيّة، إذ الغيريّة مشتقّة من الغير، وهو كون كلّ من الشّيئين خلاف الآخر.

وهكذا فإنّ الهويّة من حيث هي ضدّ"الغيريّة" وإحالة على"الفرق" "تعطي للماهية تشخّصها ووجودها الظّاهر. فهي إنّيتها ونفسها والجوهر، أي هي الذّات وما يلزمها، إذ به يتحقّق لها الوجود، باعتبارها مجموع المقوّمات والخصوصيّات التي بها تتأكّد الماهية"، وهنا أمكن أن نستدعي عبارة الكندي الفيلسوف(ت٢٥٥هـ-٨٦٦م) الذي يرادف بين الهويّة والإنيّة، فيقول:"إنّ كل ما له إنيّة له حقيقة، فالحقّ اضطرارا موجود، إذا الإنّيات موجودة."

ومن هذا المنطلق بالذّات جاء ذاك التحديد للهويّة باعتبارها علامة تميّز حضاري، إذ هي ما يتحدّد من خلاله تعريف كلّ شخص أو كلّ مجتمع أو كلّ حضارة، وهي بالتالي جملة من المكوّنات"تدخل فيما يمكن تسميته بوضع الشّخص في ثقافة معيّنة ومجتمع معيّن". فهي ومن ثمّ هويّة المجتمع المنسحبة على أفراده، وهي المحصّلة لمجموعة الخصائص المميّزة للشّخصيّة الاجتماعيّة، تلك الشّخصيّة التي تستمدّ خصوصيّتها من تفاعلها مع محيطها الطّبيعي والبشري وتجربتها التّاريخيّة ورصيدها الثّقافي والحضاري، ووعيها بقضايا الحاضر ورؤيتها لآفاق المستقبل.

ويظهر أنّ هذا المفهوم ذاته هو الذي جرى استخدامه في أدبيّات الفكر العربي المعاصر، حيث أصبحت الهويّة الدالّة على انتماء حضاري وثقافي، هو "هويّة النّحن"، وهذا النّحن هو الوطن والانتماء إلى اللّغة العربيّة والدّين والحضارة. وفي هذا السياق يرى الأستاذ الجزّاري أنّ عناصر الهويّة تتشكّل من أربعة مكوّنات أو مقوّمات أوّلها الوطن في جانبه الطّبيعي والبشري، بما يعنيه من تنوّع وتعدّد، ومعروف ما لكلّ وطن في نفس أبنائه من تعلّق وتفان وافتداء...

(ثانيا) تأتي اللّغة باعتبارها أداة تواصل بين سكّان هذا الوطن.

---

(١) الجرجاني، شريف، التعريفات، ص .657

ISBN: 978-9922-21-412-2

(ثالثا) مع اللغة وروافدها يظهر مضمونها ومحتواها متجلّيًا في التّراث ببعديه الثّقافي والحضاري.
(رابعا) يتمّ الانصهار في الدّين والتّفاعل مع روحه".

وهكذا أمكن لنا أن نخلص إلى الكلام عن أنواع أخرى من الهويّة، منها: الهويّة الاجتماعيّة، الهويّة الوطنيّة، والهويّة الثقافيّة التي تشمل في معناها الواسع: اللغة والقيم الأخلاقيّة والدّنيّة للجماعة والتمثّلات وتصوّرات العالم، والتّقاليد والعادات أو ما يصطلح على تسميّته بالرّمزيّة الاجتماعيّة. وهكذا تكون الهويّة روح الشّعب(لغته، دينه، ثقافته) وأسّ كيانه الحضاري، ومن خلالها يصنع المجتمع تاريخه ويشيّد ثقافته ويعطي معنى لوجوده، وذلك يظلّ مشروطًا عبر التّاريخ بانفتاح مستمرّ على ثقافة الآخر، (الغيريّة) لمعرفة ما يميّز الذّات[1].

ظهرت العولمة، ليس بوصفها مقولة علمية مجردة حيادية، بل بوصفها مقولة إيديولوجية استغلت نتائج العلم المعاصر من أجل الهيمنة على العالم وتوحيده خارج حدود الثقافات والهويات الخاصة، ومن أجل أن يتم ذلك كان لا بد أن تتبنى إيديولوجية. لم تكشف عنها بشكل مباشر ولكن يمكن تبين معالمها من خلال الواقع[2].

إن العولمة تسير ضد منطق التاريخ، إذ ليس من المعقول أن يتم تهميش الهويات أو إلغاؤها وقد تشكلت عبر عشرات الآلاف من السنين وتحولت إلى مكون للأمم، ليس مجرد مكون ثقافي أو ديني أو أخلاقي، بل يمكن على سبيل الاستعارة أن نقول: إنها مكون بيولوجي مثل الكروموزوم المسؤول عن نوع الجنس البشري، فالبشر مختلفون ومتفقون، متميزون ويمكنهم العيش بهذا التمايز والإسهام في سعادة الإنسان، أما تحويل البشرية إلى هوية ثقافية واحدة فأمر مناقض للتاريخ، ف " ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام، وإنما وجدت، وتوجد وستوجد ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية، أو بتدخل إرادي من أهلها، على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة. من هذه الثقافات ما يميل إلى الانغلاق والانكماش، ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع "[3].

وهي ضد منطق التاريخ أيضا، لأنها ليست تطورا طبيعيا في الحركة الثقافية أو السياسية أو الاقتصادية، كما قد يتوهم بعضهم، وإن كانت تطورا لشيء فإنما هي تطور للفكر الاستعماري الأوروبي، ومن هذا المنطلق يمكن عد العولمة هي المرحلة الاستعمارية الثالثة بعد الاستعمار

---

(١) الكحلاوي، محمد، الهويّة والتّحديث، جريدة الحريّة تونس، ط.١، ٢٠١٠، ص .16

(٢) م.ن: ص .5

(٣) م.ن: ص .6

ISBN: 978-9922-21-412-2

العسكري والاستعمار الاقتصادي، وها هي ذي تمثل الاستعمار الشامل. وعلى الرغم من التداول الشاسع لهذا المفهوم فإنه غامض في نواح عدة، وكأن هذا الغموض متعمد حتى لا ينكشف السر، ويحل اللغز[١].

حين يسعى الباحث إلى تقديم تعريف علمي للعولمة سوف لن يعثر على تعريف يطمئن إليه، ويتخذه مبدأ بحثه، على الرغم من الاستعمال الواسع لهذا المصطلح إلى درجة أصبح فيها مهيمنا على الكتابات السياسية والاقتصادية والإعلامية، فقد أصبح المصطلح نفسه مهيمنا، كما تسعى العولمة إلى الهيمنة، فالمؤسسات الغربية لم تستقر على تعريف موحد، أو أنها لا تريد ذلك، مع أنها تقدم تحديدات لأهداف النظام العالم الجديد الذي تعد العولمة وسيلة تطبيقه، وقد أحس بهذا الغموض والتضليل بعض الكتاب الغربيين، فقد كتب جيدنز: "نظرا لشعبية مصطلح العولمة، يجب ألا يفاجئنا عدم وضوحه في جميع الأحوال أو ما هو رد الفعل الذي تشكل ضده ". وما يقدم تعريفا للعولمة إنما هو تجميع لأفكار متناثرة من هنا وهناك، ترد أحيانا على ألسنة الرؤساء وأصحاب النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي في العالم، ذلك أن العولمة أيضا هي مشروع لم يتم تشكيله بعد، فهو في طور التشكل المتواصل وقد يخضع للتغير في أية لحظة حسب التغيرات التاريخية، وحسب ردود أفعال المجتمعات الأخرى، ولكن هذا لا يعني أن الفكرة الجوهرية للعولمة غير معروفة. إنها معروفة، ولكن أصحابها رافضون البوح بها، حتى تظل عيوبها وأهدافها البعيدة مجهولة. ويعود أمر غياب التعريف المحدد للعولمة في اعتقادي إلى كونها مقولة يود أصحابها إبقاءها بعيدا عن الفهم الكامل والصحيح وتقديمها في بعض مظاهرها الاقتصادية والإعلامية الإيجابية، حتى تظل سرا من جهة، ومن جهة ثانية حتى يتركوا فرصة للمجتمعات الأخرى لتعطيها المفهوم الذي تتصوره لتظهر وكأنها انبثقت من داخل هذه المجتمعات ولم ترد إليها من خارجها، وهذا أسوأ أشكال الاستعمار الفكري كما يشرحه مالك بن نبي في كتابه الصراع الفكري. فتصبح العولمة في هذه الحالة عولمة ذاتية وهذه أخطر أنواع العولمة. لأن المجتمعات تتصور أنها تطور طبيعي في حركتها بينما هي قد سيقت مجبرة إليها[٢].

المطلب الثاني: تعريف القرآن

القرآن هو اسم لكلام الله تعالى المنزّل على عبده ورسوله محمد المتعبد بتلاوته، المعجز بكل سورة منه، وهو اسم لكتاب الله خاصة، ولا يسمى به شيء من سائر الكتب.

---

(١) م.ن، ص 7.

(٢) الكحلاوي، محمد، الهويّة والتّحديث، جريدة الحريّة تونس، ص١٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ومن أسمائه الفرقان والكتاب والذكر والتنزيل وقد غلب عليه اسما القرآن والكتاب، وصفه منزله بقوله –سبحانه–:﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١). كما وصفه –جلت قدرته– بقوله:﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(٢).

وعليه، إن آيات القرآن الكريم في غاية الدقة والإحكام، والوضوح والبيان، أحكمها حكيم، وفصَّلها خبير، وسيظل هذا الكتاب معجزًا من الناحية البلاغية والتشريعية والعلمية والتاريخية وغيرها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لم يتطرق إليه أدنى شيء من التحريف؛ تحقيقا لقوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٣).

فالدنيا كلها لم تظفر بكتاب أجمع للخير كله، وأهدى للتي هي أقوم، وأوفى بما يُسْعد الإنسانية، من هذا القرآن المجيد، الذي قال الله فيه:﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(٤).

هذا القرآن الكريم أنزله الله على رسوله محمد ﷺ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى:﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾((٥)).

فتح الله به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، وضمن للمسلمين الأمن والسعادة في دنياهم وأخراهم، إذا هم تَلَوْه حقَّ تلاوته، وتفهموا سوره وآياته، وتفقهوا جمله وكلماته، ووقفوا عند حدوده وَأْتمروا بأوامره، وانتهوا بنواهيه، وتخلقوا بما شرع، وطبقوا مبادئه ومُثُله وقيمه على أنفسهم وأهليهم ومجتمعاتهم. قال تعالى:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾(٦) .

حقا، إن القرآن الكريم بألفاظه ومعانيه كلام الله، وهو المنهج السماوي للبشر كافة، وللخلق عامة، وهو المرجع الأول في أمور دِين المسلمين، وهو الحكم الذي إليه يحتكمون، وفصل قضائه الذي إليه ينتهون، والأحكام التي وردت في القرآن الكريم لم تصدر دفعة واحدة، بل نزلت تدريجيا طوال

---

(١) سورة فصلت، الآية 41-42.
(٢) سورة هود، الآية 1.
(٣) سورة الحجر، الآية 9.
(٤) سورة الإسراء، الآية 9.
(٥) سورة ابراهيم، الآية 1.
(٦) سورة البقرة، الآية 121.

ISBN: 978-9922-21-412-2

مدة الرسالة، فبعضها لتثبيت فؤاد النبي ﷺ وتقوية قلبه، وبعضها لتربية هذه الأمة الناشئة، علما وعملا، والبعض الآخر نزل بمناسبة حالات وقعت فعلا للمسلمين في حياتهم اليومية، في أوقات مختلفة، وأزمنة متفرقة، فكلما وقع منها حادث نزل من القرآن الكريم ما يناسبه ويوضح حكم الله فيه(١).

المبحث الثاني: الهويّة الإسلاميّة في ضوء التحوّلات والعولمة:

المطلب الأول: تأثير العولمة على الهوية الإسلاميّة:

حاول بعض المعرفين اختصار هوية العولمة فحددها في كونها تقوم في أساسها على: " على تصيير المحلي عالميا، فهي وصف لعمل مستمر تدل عليه كلمة Globalisation، لكنها في الوقت نفسه وصف لبعض نتائج هذا التعولم. النتيجة النهائية للعولمة أن تكون للعالم كله لغة أو لغات مشتركة وأن تكون التجارة فيه مفتوحة ومتيسرة بين كل بلدان العالم، وأن يسود فيه نظام اقتصادي واحد ونظام سياسي واحد وأن تسود فيه عقيدة واحدة، وأن تكون للناس فيه قيم مشتركة في مسائل كحقوق الإنسان والعلاقة بين الجنسين، وأن يكون هناك أدب عالمي يتذوقه الناس كلهم، وأن يسود فيه تبعا لذلك نظام تعليمي واحد، وأن تكون كل هذه الأمور التي تعولمت مناسبة للناس من حيث كونهم بشرا، ومساعدة لهم على تحقيق طموحاتهم المادية. هذا هو الهدف النهائي المثالي. لكن العولمة قد تكون ناقصة، وقد تكون تامة من غير أن تكون مناسبة للبشر بل مفروضة عليهم لظروف طارئة "(٢).

ولو كانت مثل هذه الأفكار والطموحات والأحلام من تأملات الفلاسفة والمفكرين والعلماء مطروحة بوصفها علم الإنسانية التي تسعى إلى الرقي بنفسها إلى مستوى آخر أفضل من الوجود والعيش والحضارة، من غير أن تكون ملزمة لأحد بل متروكة للمجتمعات تسعى إلى تحقيقها كلما كانت الحالة الحضارية مناسبة من غير إكراه أو عنف ولا تضحيات بالثقافة واللغة والدين والتاريخ، لكان الأمر مقبولا كما قبلت من قبل مشروعات المدن الفاضلة. أما أن يتحول المشروع إلى نظام يفرض بكل أشكال العنف والإرهاب فلن يزرع إلا فوضى عارمة في العالم، والحروب قمة أشكال هذه الفوضى(٣).

---

(١) التعريف بالقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ج١ ص١-٤.

(٢) ثقافة العولمة بوصفها خطابا متطرفا، عبد الله العشي، ص١١.

(٣) م.ن، ص١٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وعليه فالعولمة تعتمد على نوع من الوثنية المعاصرة، فهي تدعو إلى نوع من التعامل على أساس المصلحة (الاقتصادية والسياسية والعلمية) ، وعدم إيلاء القيم الخلقية والدينية أي اهتمام، لأن هذه القيم في اعتقادها تعيق التواصل الكوني كما تراه، كما تعيق تسويق مشروعها " الحضاري " ذلك أنها تسعى إلى هيمنة حضارية، أو إلى بناء حضارة واحدة يتبعها الجميع، وقد استقام لها ذلك عقب سقوط القطب الآخر الذي كان بمثابة الكابح لهذا الحمق. لذا فهي تعتمد إستراتيجية الإقصاء والإلغاء والتهميش.

ليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي بل هي أيضا – وبالدرجة الأولى – إيديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم" من خلال ترسانة من الوسائل المختلفة[١].

وقد أشرنا سالفا إلى أن العولمة تسعى إلى فرض مشروعها باستعمال كل الوسائل دون استثناء أو تحفظ، من الإغراء والاستمالة إلى التهديد والضغط السياسي إلى الحصار الاقتصادي إلى شن الحروب المدمرة التي تورط فيها العالم كله.[٢].

هذا النوع من العولمة، وهذا النمط من أنماط إستراتيجيتها نسميها المرحلة التمهيدية للغزو، القائمة على سياسة الاختراق التي تمررها وسائل الإعلام التي لم يعد أحد في مقدرته الوقوف في وجهها[٣].

فالعولمة تمثل السبب الأول الرئيسي لاغتراب الإنسان حيث يصبح أمامها في حالة عجز في علاقته بالآخرين أو الجماعات أو المؤسسات المجتمع والنظام العام، فالاغتراب إذَا أصبح من المفاهيم التي تعبّر عن حالة الإنسان في زمن سيطرت عليه تيّارات مختلفة تنطوي تحت ما يسمّى بالتقدّم والتطوّر فهذا المفهوم يستعمل أيضًا للإشارة إلى حالة انتماء. وتهدم القيم والمعايير، وغياب المعاني والغايات الكبرى، والقلق واليأس، والخلل حتى في العلاقة مع الذّات أي يصبح الإنسان مغتربًا عن نفسه وليس مع الآخرين والمؤسسات والنظام العام والمجتمع فحسب.

فالاغتراب استعمال في الحياة العامة للإشارة إلى عزلة الإنسان عن الآخرين، وتوقف وانقطاع العلاقات الوديّة كما يحدث بين الزّوج والزّوجة، وابتعاد الإنسان عن الخالق وفقدان الإيمان، وعدم الإحساس بالانتماء، أو الانتقال غير الشرعي للملكية عن طريق الاغتصاب والمصادرة

---

(١) ثقافة العولمة بوصفها خطابا متطرفا، عبد الله العشي، ص١٧.

(٢) م.ن، ص١٩.

(٣) م.ن، ص٢٠.

والاستيلاء بالقوة كما حدث في فلسطين، وغياب الوعي وتدهور القدرات العقليّة، فقدان السيطرة على حياته وخضوعه لسلطة عليا تتمثّل بالجماعة أو المؤسسة أو الملكيّة أو الدولة والنظام العام والمجتمع.

وقد توصّل هيغل إلى تحديد نوعين من الاغتراب: هناك أولا نوع من الاغتراب أسماه الانفصال بين الفرد والآخر وبين المجتمع والنظام العام بحيث ينشغل الإنسان بذاته الخاصّة مؤكّدًا على فرديّته وتميّزه واستقلاله. وهناك ثانيًا نوع من الاغتراب أسماه هيغل الخضوع أو الاستسلام وهو نقيض الأوّل تمامًا إذ يتمّ فيه توحد الإنسان واندماجه كليًّا بالنّظام العام.

أمّا مفهوم الاغتراب عند كارل ماركس فقد تحوّل من مسألة فلسفيّة إلى مسألة اجتماعيّة اقتصاديّة بتحليله ظاهرة الاغتراب في العمل الإنتاجي أو أوضاع العمّال في المجتمعات الأوروبيّة الرّأسماليّة[١].

المطلب الثاني: سبل مقاومة الآثار السلبيّة للعولمة:

بناءً على ما سبق عرضه في ما يخصّ التأثير السلبي للعولمة على الهويّة الإسلاميّة وجب طرح حزمة من الحلول لمقاومة ذلك لعل من بينها العمل على عدم جعل العولمة قدرا محتوما ينبغي الاستسلام له، بل وجب التعامل معها على أنها مرحلة من مراحل المواجهة الحضارية التي واجهت الأمة العربية وما تزال تواجهها، وأن نقوي في ذواتنا القدرة على المواجهة وأن نثبت إيماننا بهويتنا، بمعنى أنه لا ينبغي أن نواجه العولمة من منطلق الضعيف المهزوم بل من منطلق القوي بفكره ودينه وثقافته. ولعلّ هذا ما سيمكن من الصمود والمواجهة والتحدي[٢].

فالأمر يتطلب إذن ضرورة التحديث في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية، لأن هذا التحديث سيقلل من ضغوط المشروع العولمي علينا من جهة، ويجنبنا العودة إلى الغرب في كل مطالبنا واحتياجاتنا، ويجنب أفراد مجتمعاتنا من تأثيرات العولمة السلبية، ثم إن هذا التحديث ضرورة حضارية لا نستطيع البقاء على الهامش في عالم جامح لا يعترف إلا بالقوي علميا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا[٣].

---

(١) حليم بركات، الهويّة: أزمة الحداثة والوعي التقليدي، رياض الريس للكتب والنشر، ط.١، أفريل ٢٠٠٤، ص 19.

(٢) ثقافة العولمة بوصفها خطابا متطرفا، عبد الله العشي، ص٣٣.

(٣) م.ن ص٣٤.

كما ينضم إلى تلك الحلول ضرورة فهم ما يجري من تغيرات عالمية في المجالات المختلفة، وكيف يجري وما الغاية منه. بعضنا يتحدث عن الغرب كأنه مشهد بسيط، والغرب ليس كذلك، إنه كيان معقد ليس من السهل التعرف على ما يجري في مؤسساته، وليس من السهل التعرف على أهدافه وغاياته، وليس من السهل معرفة منهجياته وأسراره، إن محاولة التعرف على العالم من خارجه، أي من داخل ثقافتنا لم يعد بالأمر الممكن، لذا وجب التعرف إليه من داخله، وهذا ما فعله الغرب نفسه بالنسبة للآخر فقد اتصل به وتفاعل معه من داخله. فمن أجل الدفاع عن أنفسنا ينبغي التعرف أولا عما يحيطنا[١].

زد على ذلك ضرورة التفاعل الحضاري مع المتغيرات الدولية من منظور حوار الحضارات، وليس من منظور التبعية الساذجة. إن التخندق وراء حدودنا الجغرافية والثقافية لن يكون أبدا حصنا لنا ضد التأثيرات التي تهجم علينا من خارج حدودنا. وعليه فالتفاعل الموجه والمبرمج هو سبيلنا، حتى ولو كنا في منأى عن تحديات العولمة. وهذا هو منهج الحضارة الإسلامية، أيام كانت في عز ازدهارها، في التفاعل الحضاري. إن هذا التفاعل الحضاري هو ما يضمن لثقافتنا بعض الحياة والحيوية ويجعلها قادرة على إنتاج الأفكار والمشروعات الحضارية[٢].

وعليه وجب ضرورة الحفاظ على هويتنا والدفاع عنها وهو المسعى الأصلي الذي نهدف إليه، والحفاظ يتم من خلال وسائل عديدة، إما بتطوير وسائل التعليم ومناهجه، أو تطوير وسائل الدعوة وطرقها، قبل أن يفرض علينا التطوير من الخارج، وقد بدأ بالفعل يحدث ذلك. ينبغي ألا تكون الحداثة التي نسعى إليها على حساب أصالتنا، فالحداثة لا تتنافى مطلقا مع أي مكون من مكونات هويتنا. بل إن العمل على إيجاد السبل العلمية الكفيلة بالحفاظ على أصالتنا هو في ذاته مظهر من مظاهر الحداثة، فلتكن الحداثة هي وعينا بذاتنا وبالآخر معا، وليكن الحافز المحرك لنا هو المستقبل[٣].

ومن السبل التي يمكننا نهجها إضافة إلى ما سبق التطرّق إليه هو عالم الإنترنت والنشر الإلكتروني بما يمثّلان وسيلتان من الممكن استخدامهما وتطويعهما في الخير دون الشرّ، كاعتماد وسيلة النشر الإلكتروني لترجمات معاني القرآن الكريم وعليه تسهيل ذلك على ملايين

---

(١) م.ن، ص٣٥.

(٢) م.ن، ص٣٦.

(٣) ثقافة العولمة بوصفها خطابا متطرفا، عبد الله العشي، ص 37.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المسلمين في شتى البقاع قصد التعرف على الدين الصحيح والرجوع إلى مصادره الأصلية، ومهما أنفق المسلمون في هذا المجال، فإن ذلك سيوفر عليهم الوقت والجهد والمال الكثير.

كما أننا ملزمون اليوم في ظل ما يسمى بالعولمة والانفتاح العالمي ألا نقف مكتوفي الأيدي، أو ندس رؤوسنا في التراب، بل لا بد من نقل الدعوة من المحلية إلى العالمية، ومن الأرض إلى الفضاء الإلكتروني الذي يتنافس العالم شرقه وغربه حكومات وأفرادًا ومؤسسات دينية لتثبيت وإرساء مواقعهم فيه.

ومع ما ذكرنا من خصائص ومزايا للنشر الإلكتروني في هذا العصر التقني الذي أصبح العالم فيه كالقرية الصغيرة، وأصبح البعيد قريبًا مهما بعدت مسافته، كان لزامًا على العالم الإسلامي أن يعد العدة لاستغلال هذه الوسيلة في إيصال كتاب الله إلى كل بقعة من بقاع الأرض(١).

وقد دعا القرآن الكريم إلى الاجتماع ونبذ الافتراق، فاجتماع الناس على دين واحد هو هدفٌ من أهداف القرآن، وقد أجمعت الرسلُ عليه(٢).

قال تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(٣).

خاتمة

الآن وقد فرغنا بإذن الله وعونه من هذا البحث، وأتينا على تحديد مفهوم القرآن ومفهوم الهويّة للتمكن من الدخول في عمق البحث وصفا وتفكيكًا، استنطاقًا وتحليلاً، استفرغنا ما كان لنا من جهد وطاقة في استخراج مدى تأثير العولمة على هويّتنا الإسلاميّة واستجلاء ما خفي من مخاطر واستخلاص البعيد من غاياتها ومغزاها إلى أن وصلنا إلى مرحلة تستوجب منّا تقديم السبل الممكنة لمواجهة تلك الآثار السلبيّة للعولمة على هويّتنا الإسلاميّة والعمل على حسن استثمار واستغلال ما هو إيجابي فيها يخدم هويّتنا الإسلامية ويحافظ عليها.

---

(١) التعريف بالقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: ١٩.

(٢) م.ن : ٢٨

(٣) سورة الشورى، الآية 13.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الهوية الاسلامية والدراسات القرآنية

الباحث / جميل فاضل خضر ايلخان بك- عضو الزمالة الدولية للإبداع والعلوم الانسانية – لندن

المقدمة :

القرآن الكريم .. القرآن الكريم مصدر للحياة وإنّ ممّا يدل على سموّ الهدف، ونبل المقصد الذي لأجله نزل القرآن هذه الأوصاف التي أطلقها الله على كتابه، فهو، حسبما وصفه ربُّ العزّة، القرآن الكريم، والقرآن المجيد، والكتاب العزيز، والكتاب المبين، والذكر الحكيم، والذكر المبارك، والصحف المطهّرة، وأحسن القَصص، وأحسن الحديث، والبرهان، والفرقان، والحقّ، والسراج، والبلاغ، إلى آخر هذه الأسماء والأوصاف التي تعبّر عن جلال وعظمة القرآن في ذاته، وعظمة وسموّ الغاية التي لأجلها نزل. فكثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمّى، ألا ترى أنّ كثرة أسماء النبيّ ﷺ دلّت على علوّ رتبته وسموّ درجته؟ وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته.

القرآن الكريم من أعظم نعم الله تعالى ، عرف فيه عن كل شيء . عن نفسه وعن خلقه . عما في السماوات وما في الارض ، عما كان وسيكون ، عما في الحياة الدنيا وما في الآخرة ' عن الخير والشر ، وعن الحلال وعن الحرام ، وعن مكنونات النفس والعقل والقلب والجوارح ، فحدد مواضيع الإيمان والكفر ، والعلم والجهل ، والاخلاص والنفاق ، والفسوق والفجور .

كتاب معجز من أي باب طرق ، يقرؤه الغلام والجارية ، ويركن اليه الشاب والعجوز ، والمتعلم والامي ، والعالم والمبتدئ . يخاطب كل الأعمار وكل الأجناس وكل الأمم . وكل صاحب عقل من الانس وحتى من الجن ، وقد قال نفر منهم : ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي الى الرشد فأمنا به . ولن نشرك بربنا أحدا ﴾(الجن: ١-٢)

نداء يخاطب الطائع والعاصي ، والمؤمن والمنافق ، والمسلم والكافر ، والمشرك والفاسق . يواسي المكلوم والمحزون ، ويطمئن القلق والخائف ، ينبه الغافل ويبشر التائب .

يوقظ في اصحاب القلوب الأحاسيس والمشاعر ، وفي اصحاب العقول العلوم والمدارك ، وفي أصحاب النفوس خطر الغي والكبر، والعناد والاستبداد .

من لجأ اليه زالت وحشته ، ومن تقرب به آنسه ' ومن تغنى به طرب قلبه ، وانتعشت روحه ، ومن قرأ به في هزيع الليل بكى وابكى . في ترتيله سلاسة ، وفي تجويده عظمة ، وفي تدبره خشوع وخشية .

يسر على العرب والأعاجم حفظه سماعا وإن جهلوا لغة العرب، وكشف الغلالة عن قلوب العلماء ففقهوا معانيه وبعضا من أسراره ' قال النبي محمد ﷺ :(أنزل القرآن على سبعة أحرف ،لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع).

كتاب غزير المعاني وفتوحه لا تنتهي ، يقول الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه (لا يكون الرجل فقيها حتى يحمل الآية الواحدة على محامل متعددة).

بين أيدينا هنا كتاب قيم ' نثره باحث واعد ، هذا الكتاب هو ثمرة صدق من كل شخص وتوفيق من المولى تعالى ، يشترط ضرورة تصديق القرآن والثقة بكلامه ومعرفة مقاصده ، مقدمة للفهم ثم الاعتبار ثم العمل بموجبه . يلي ذلك حسن التلاوة ودرجاتها وصولا الى اختراقها للقلب السليم مع ذكر العقبات التي تعيق القلوب المريضة عن التفاعل مع القرآن والهوية الاسلامية والدراسات القرآنية وتؤخر الهدي وتنحي عن الصراط المستقيم .

المدخل :

الهُوية الإسلامية :- مفهوم الهوية الاسلامية عبارة عن السّمات والخصائص والسلوكيات المميزة للأمّة، الناتجة عن تفاعل المسلم مع العقيدة والشريعة. السّمات والصفات والسلوكيّات التي تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات.

الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحقّ الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة على الناس

مقومات الهوية الاسلامية :

تنتمي الهوية إلى عدة أصول، وتستقي بقاءها من عدة مصادر، تجتمع كلها من أجل أن تكوّن مقوماتها :-

١- **العقيدة الاسلامية :**

إن أهمّ مميزات هذه الهوية أنها تنضوي تحت العقيدة الإسلامية، والإيمان الراسخ بالله -تعالى- وبعقيدة التوحيد، وهذا يشمل كلّ من ينتمي إلى الأمّة الإسلامية، أن يكون إيمانه مطلقا بهذه العقيدة، وأن يكون مؤمنا بأن الإسلام دينٌ يجب الانقياد إليه، وأنّه دينٌ أممي، يمكن أن يحوي كل البشر، وكل من يرغب في الدخول به، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

٢- **اللغة العربية :**

لغة القرآن ولغة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولغة العلم، والمقوم الرئيس لفهم الإسلام وتعلّمه، قال الله –تعالى–: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

٣- التاريخ :

به يشترك كلّ مسلم، حيث إنّ هذا التاريخ شاركت به كل القوميات؛ العربية وغيرها، فلا بدّ من احترام هذا التاريخ بعيداً عن الفكر العولمي أو الأفكار القوميّة.

٤ – التراث :

هو النتاج الحضاري للأمّة الإسلاميّة، بمختلفِ مكوناتها، وأقطارها ولغاتها، وفي كلّ المجالاتِ الدينيةِ والدنيوية؛ كالعمارةِ والفلسفةِ والآدابِ، وغيرها من المجالات.

٥- التكوين الروحي والنفسي المشترك :

إنّ ما يجعل الأمة الإسلامية أمّة مُميزة عن غيرها، إنتاجها هذه الحضارة القوية، واتسامها بسماتها؛ من العادات والتقاليد، والثقافات المختلفة، أي إنّ هذا القدر من المُشتركات في تكوين الهوية الإسلامية، يكون مقوم من مقوماتها.

لو أخذنا اللغة العربية وارتباطها بمصدر الاسلام كتاب الله ، جعل لها وثيق الصلة بالهوية الإسلامية، فهي لغة فكر وعقيدة، ولا يفهم الدين، ولا تدرك مقاصده إلا عن طريقها، فهي طريق فهم القرآن والسنة، فأصبحت بذلك إحدى القربات التي يتقرب بها إلى الله تعالى بتعلمها، وقد قرر بعض العلماء أن تعلمها واجب، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقد اشتملت اللغة العربية على كافة أصناف البلاغة والسمو اللغوي، وكان العرب قبل الإسلام يتكلمون على السليقة دون لحن، ولكن بعد بزوغ شمس الإسلام وانتشاره في المعمورة، واختلاط الفاتحين بغيرهم من أصحاب البلاد المفتوحة، ظهرت بوادر اللحن، الأمر الذي دفع الغيورين على دينهم للمسارعة في وضع قواعد تعصم اللسان من الخطأ أو اللحن في كتاب الله، وتساعد على فهمه، فجُمعت اللغة وتم ضبطها وتحديد ألفاظها، فأدى ذلك إلى ظهور المعاجم اللغوية ونشأة وازدهار علوم اللغة العربية، وظهرت المؤلفات في النحو والصرف والعروض.

وبهذا أصبحت اللغة العربية أداة مثلى لنشر الفكر الإسلامي، وركيزة مهمة للهوية الإسلامية، التي جمعت بين أجناس وشعوب، ووحدت بينها تحت راية الإسلام.

والهوية بشكل عام والإسلامية بشكل خاص هي جماع ثلاث ركائز تتمثل فيما يلي:

أولاً: العقيدة التي توفر رؤية كونية (عقيدة التوحيد)..

ISBN: 978-9922-21-412-2

ثانياً: اللسان الذي يجري التعبير فيه. "اللسان العربي الذي اتخذه القرآن لساناً.

ثالثاً: التراث الثقافي ذو المدى الطويل. (المرتبط بوجود المسلم بفكره وقيمه وعاداته وتقاليده

العلاقة بين القرآن والهوية الاسلامية :

القرآن الكريم نور يُشرق، وضياء يزهر، وسراج ينير، ورُوح من أمر الله يبعث الحياةَ بعد الممات؛ ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾(الانعام:١٢٢) فعل القرآن في العرب العجَب العُجاب، فبعد أن كانوا في ظلمات بعضها فوق بعض، أنار لهم الحياة وأضاءها، كانت النفوس في ضنك وتيه، صارت هادئة مطمئنة قريرة، كان الجاهليُّ يسير في الحياة بلا مقصد ولا هدف، فحوَّل القرآن المجرى وصار عندهم تصوُّرٌ جديد عن الحياة والقيَم.

فالقرآن حبل الله المتين الذي أمرَنا أن نتمسَّك به؛ ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾(ال عمران: ١٠٣)

ولا يَقدِر على هذه المهمَّة – أعني: جمع الأعداء والقلوب المتنافرة – إلا القرآنُ الكريم، فصارت الأخوَّة تَنبثِق من الاعتصام بحبل الله، بعد أن كانت تَجتمِع على حبل العِرق والدم، وحبال أخرى من حبال الجاهلية.

والقرآن هو الهُوية التي يَشرُف بها المؤمن ويزداد عزًّا؛ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾(الانبياء:١٠)؛ أي: فيه شرفكم كما يقول ابن عباس – رضي الله عنهما.

والقرآن يرفع أقوامًا ويضع آخرين؛ فقد أخرج ابن حبان في صحيحه أن نافع بن الحارث لقي عمر بن الخطاب بعُسْفان – وكان عمر استعمله على أهل مكَّة – فسلَّم على عمر فقال له عمر: مَن استخلفتَ على أهل مكة؟ فقال نافع: استخلفت عليهم ابن أَبْزَى، فقال عمر: ومَن ابن أبزى؟ فقال: مولًى مِن موالينا، قال عمر: فاستخلفتَ عليهم مولًى؟! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، فقال عمر: أمَا إن رسول الله ﷺ قد قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين) .

أما اليوم، فقد عادت لنا جاهلية الأمس بلَبوس جديد تحت مُسمى الوطنية والقومية، فنرى أناسًا استبدلوا الهوية العربية والكنعانية والفلسطينية التي راحت تُنازع الله تعالى في سلطانه بهوية الإسلام، فالدين عندهم لله والوطن للجميع، وغيرُها من الشعارات الجاهلية التي تضبط علاقاتِ الناس وعناصرَ التجمُّع .

ISBN: 978-9922-21-412-2

وهذا كله من دعاوى الجاهلية التي كان العرب قديمًا يجتمعون عليها، وقد اعتبرها النبي ﷺ جاهلية؛ حيث قال معقبًا بعد أن بلغه اجتماع الأوس والخزرج للقتال: ((يا معشر المسلمين، الله الله، أبِدَعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم من الكفر، وألَّف بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا؟!))، فعرف القوم أنها نزغة الشيطان، وكيدٌ من عدوِّهم، فألقَوا السلاح وبَكوا، وعانق بعضهم بعضًا؛ أخرجه الطبري عن زيد بن أسلم.

ونحن في عصرنا الحاضر أحوَج ما نكون إلى القرآن الكريم، تلاوةً، وتدبرًا، وفهمًا، وعملاً، وتمثلاً؛ لأنَّ هذا العصر هو عصر الهجمة الشرسة على هويتنا؛ انظر أقوال قادة الغرب:

يقول غلادستون: "ما دام هذا القرآن موجودًا، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان كما رأينا".

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها: "يجب أن نُزيل القرآن من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي مِن ألسنتهم؛ حتى ننتصر عليهم"، وهذا نفسه يحصل في فلسطين، فترى ضعفًا إيمانيًّا، وجفافًا روحيًّا، وتخبُّطًا فكريًّا، وانحطاطًا خُلُقيًّا، وغير ذلك مما أصاب المسلمين كنتيجة منطقية لقوم نَسوا هويتهم واستبدلوا غيرها بها، وحطُّوا من مكانتها بعدم الاهتمام بها، وشابوا معدنَها بركام هائل من الأوهام في مجال العلم والعمل على حدٍّ سواء.

نقول لكل مَن غابت عنه هويته، ولكل مَن استبدل هويات أخرى بها: انظر إلى كتاب الله تجد هويتك فيه؛ فكل أمر لا يُجعل القرآنُ له أساسًا، فهو أمر مخذول، منزوع البركة، منبوذ، لا فائدة منه، فالرِّفعة والعزَّة لا تكون إلا بالقرآن الكريم؛ لا تكون بتلك الوطنيات والقوميات التي يَجتمع عليها البعض اليوم كما اجتمع عليها العرب في الجاهلية.

أزمة الهوية الإسلامية :

تنتمي أزمة الهوية الإسلامية المعاصرة للشباب المسلم لذلك النوع من الأزمات المزمنة الذي تتشعب أسبابه وتتفرع متعلقاته، فالنظرة لها يجب أن تكون نظرة شاملة متعمقة دارسة للواقع الفعلي لذلك الشباب المسلم وتيارات التأثير التي تؤثر فيه ومنابع المد التي تمده وتغذيه، فهي أزمة تجتمع فيها مسارات سياسية وعقائدية وفكرية ثقافية وتنموية اجتماعية تجتمع كلها لتشكل أزمة التكوين الثقافي والسلوكي والعقائدي والفكري لذلك الشباب المسلم الذي ينتشر في ربوع

ISBN: 978-9922-21-412-2

الأرض، بعضه يعيش في موطنه والبعض الآخر خارج وطنه، والغريب الداعي للبحث أن كليهما يعاني من أزمة الهوية .

إن المسار التاريخي قد أفرز فسحة في البناء الحضاري اسمها (القابلية للاستعمار)، وهذه الفسحة تعكس تنامي عوامل التفكك في الأبعاد الفكرية و السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما تعكس تراجعاً كبيراً في الانتماء العقائدي للشباب في تلك المساحة الاستعمارية التاريخية، فهنا إذن مساحة تسمح للبؤر الناشئة في عصر التفكك والضعف بالارتباط بمركز آخر للتلقي والتوجيه ونفس الشيء يحدث بالنسبة للوعي عندما يبدأ بالتواصل مع مرجعيات مغايرة وليس المهم أنها تابعة للمركز الاستعماري بقدر ما هي مبتعدة عن المركز الحضاري الأصلي وهو في قضيتنا هنا الحضارة الإسلامية، وبالتالي فإن الوعي سيبدأ بالتغير وستفقد المقولات الأصلية التي تكون الهوية هيمنتها عليه فيغدو القبول بمقولات الآخر شيئاً مألوفاً، وبسلوكيات الآخر وطريقة تفكيره وربما يتنامى ذلك أيضاً للاعتقاد . وهذا يعني إلغاء التجانس (الاقتصادي، الاجتماعي، السياسي، الثقافي، الفكري، الاعتقادي) ذلك الذي يعد أهم مظهر من مظاهر وحدة الحضارة وتحديد الهوية، ولذا يمكن أن نعرف ذاك التجانس بأنه (العناصر المشتركة التي تصلح كمقومات لبناء هوية مجتمع واحد للأمة)، وعليه فإن مقابلة أي تعدد سيعني زوال ذلك التجانس الذي يفرز الحضارة ويبني الهوية، فكما أن قضية الهوية الشخصية يعد أزمة موجبة للعلاج فإنه لابد للنظر إليها من خلال أزمة أخرى أكثر إيجابا للعلاج هي أزمة الهوية المجتمعية التي تسبب الضياع الفردي والذوبان في المغاير. وتستعمل كلمة(هوية) في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى كلمة Identity التي تعبر عن خاصية المطابقة: مطابقة الشيء لنفسه، أو مطابقة لمثيله، وفى المعاجم الحديثة فإنها لا تخرج عن هذا المضمون، فالهوية هي: حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية، والتي تميز عن غيره، وتسمى أيضاً وحدة الذات.

فإذا اعتمدنا المفهوم اللغوي لكلمة هوية أو استندنا إلى المفهوم الفلسفي الحديث فإن المعنى العام للكلمة لا يتغير، وهو يشمل الامتياز عن الغير، والمطابقة للنفس، أي خصوصية الذات، وما يتميز الفرد أو المجتمع عن الأغيار من خصائص ومميزات ومن قيم ومقومات.

إن الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية طابعاً تتميز به عن الشخصيات الأخرى.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وجهات نظر الخبراء والمربين والدعاة البحث في قضية الهوية الإسلامية للشباب المسلم :-
ماهو المنظور العلاجي النافع لانطلاقة مقبولة للعودة إلى الانتماء والتطبيق للمعنى الإسلامي الأصيل.؟

المنظور العلاجي النافع للعودة الى الانتماء والتطبيق للمعنى الاسلامي الاصيل يحتاج لهدفين :-

اولا :- مظاهر ضعف الهوية الإسلامية لدى الشباب المسلم. :-

تتكاثر المظاهر التي قد يراها البعض انفتاحاً وتقدماً ورقياً في حين يراها الآخرون إذلالاً وتبعية وذوباناً للهوية . أزمة الهوية الإسلامية في الشباب المسلم الذي يتهافت على تقليد الغربيين في مظهرهم ومخبرهم، وفي المسلمين الذين يتخلون عن جنسية بلادهم الإسلامية بغير عذر ملجئ ثم يفتخرون بالفوز بجنسية البلاد الكافرة وفي المذيع المسلم الذي يعمل بوقاً لإذاعة معادية لدينه من أجل حفنة دولارات . إن الأزمة بلغت إلى حد أن الأمة صارت تستورد قيمها من غيرها لتبني حضارتها ولاشك أن هذه أعظم مخادعة للذات ؛ لأنها تبني بيتها على جرف هار، إن من يتصور أن في اتباع قيم الآخرين ومناهج حياتهم الوجاية والوقاية من بطش أمم شاء الله لها العلو في الأرض زمناً والإفساد فيها إلى حين لهو واهم؛ لأن صدام الحضارات والأديان والثقافات أصبح حقيقة واقعة ومعلوم من التاريخ والواقع بالضرورة.

إن الخطر الأكبر الذي يتهدد الأمم والشعوب المسلمة في هذا العصر، هو ذلك الخطر الذي يمسّ الهوية الثقافية والذاتية الحضارية والشخصية التاريخية للمجتمعات الإنسانية في الصميم، والذي قد يؤدي إذا استفحل، إلى ذوبان الخصوصيات الثقافية التي تجمع بين هذه الأمم والشعوب، والتي تجعل من كل واحدة منها، شعباً متميزاً بمقومات يقوم عليه كيانه، وأمة متفردةً بالقيم التي تؤمن بها وبالمبادئ التي تقيم عليها حياتها. الخطر الذي بات اليوم ظاهرةً تكتسح مناطق شتى من العالم، بما فيها المناطق الأكثر نموّاً والأوفر تقدّماً في المجالات كافة، وأياً كانت طبيعة هذه الظاهرة وحجمها والأدوات التي تستخدم في تحريكها، فإن مما لاشك فيه أن لهوية والثقافة بخصوصياتهما ومكوّناتهما ومقوماتهما، هما المستهدف في المقام الأول، وأن الغاية التي يسعى إليها الماسكون بأزّمة السياسة الدولية في هذه المرحلة، هي محو الهويات ومحاربة التنوع الثقافي، والعمل على انسلاخ الأمم والشعوب عن مقوماتها، لتندمج جميعاً في إطار النموذج الأمريكي الأقوى إبهاراً، والأشدّ افتتاناً في العصر.

وبعد هذا نستطيع استقراء أهم المظاهر التي تدل على أزمة الهوية لدى الشباب المسلم في عدة نقاط هامة وأساسية:

ISBN: 978-9922-21-412-2

اولا :- الانبهار الشديد بالتقدم الغربي على مستوى التكنولوجيا والحضارة المادية.

ثانيا :- التطلع لمشابهة الغربيين والأمريكيين وغيرهم من الشعوب المتقدمة مع الشعور بالدونية والانكسار تجاه تلك الشعوب.

ثالثا :- التحرر من القيم المقيدة للسلوك الإباحي تشبها بالتحرر الغربي الجنسي والسلوكي.

رابعا :- ضعف الولاء والانتماء للتشكيل الإسلامي القيمي والمبادئي والمعيشي.

ثانيا :- ما هي طبيعة النزاع والتحدي بين الهوية الإسلامية والثقافات الأخرى؟ وما سبب الانكسار لدى الشباب المسلم أمام الثقافات الغربية؟

إن ثقافة العولمة التي تتحدى وتتصارع مع الهوية الإسلامية هي ذات خصائص معينة تجعلها تتميز بالقوة والدعم الذين تفتقدهما الثقافة الإسلامية في هذا العصر، فهي ثقافة يصاحبها في الغالب خطاب تقني وعملي، فهي تنقل عبر الوسائل الاتصالية الحديثة، وهي بذلك مصنوعة بحساب.

وهي نخبوية تُفرض من أعلى من دون أن تكون لها قاعدة شعبية، أو تعبر عن حاجات محلية، أو تلتزم بأشكال ومضمون التراث الثقافي التي تنتقي منه. إذا كانت ثقافة العولمة ثقافة نخبوية، فإنها تساعد على تركّز القوة. والقوة هنا ليست قوة سياسية فحسب، بل قوة التكنولوجيا المرتبطة بالمشروعات الصناعية ذات الصبغة الكونية كشبكات الحاسوب والإنترنت، وهي ما يطلق عليها تقنيات العولمة ، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثقافة الاستهلاك، فالعمليات المرتبطة بنشر الحداثة تساعد على نشر القيم والرموز وأساليب السلوك المرتبطة بالاستهلاك.

وهي ثقافة تعمل على خلق نماذج وصيغة موحدة عبر العالم، كما تدعم نظاماً للصور الذهنية حول موضوعات خاصة لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالسوق الرأسمالي.

وتنطوي ثقافة العولمة التي تنبثق من الحداثة المادية بخصائصها تلك، على مخاطر عديدة تتهدّد الهوية والثقافة في آن واحد، مما يؤكد قوة الترابط والتلازم بين الهوية والثقافة أياً كانتا وهو الأمر الذي يستدعي تقوية العلاقة بين العنصرين الرئيسيْن من عناصر الكيان الأممي: الهوية والثقافة؛ لأن في الحفاظ على الهوية والثقافة وقايةً من السقوط الحضاري، وصيانةً للذات، وتعزيزاً للقدرات التي يمكن التصدّيّ بها لضغوط التحدّيات مهما تكن.

ISBN: 978-9922-21-412-2

يمثل المحور الثقافي الامتداد الأوسع لحركة العولمة الثقافية، ولعلي هنا أبرز بعض التحديات التي تأتي بها العولمة، وتطال في هذا المحور كافة العناصر المكونة للوجود الديني أو الانتمائي للدول المستهدفة عبر وسائل متبعة لنشر ثقافة التغريب والعولمة، ومن ذلك:

١- تحريف المفاهيم الدينية، كي تتفق مع الأفكار الفكرية التي تروجها العولمة المعاصرة، وذلك باستبعاد الإيمان بالغيبيات واعتباره مضادا للعقلانية العلمانية.

٢- إيجاد فئات وشرائح ومؤسسات في المجتمعين العربي والإسلامي تعمل كوكيل للثقافة الغربية، وذلك بتقديم المساعدات المالية لمشاريع أبحاثها وعقد الندوات واللقاءات التي تدعم توجهاتها الثقافية للهيمنة على الثقافتين العربية والإسلامية.

٣- إنشاء مجموعة من المراكز والمؤسسات التي تؤثر مباشرة على الثقافة العربية، مثل: الجامعات التبشيرية ومراكز اللغات والترجمة ومؤسسات خيرية ومدارس أجنبية يتمثل دورها جميعاً في التأثير الفكري والتربوي واللغوي على طلبة العلم والمعرفة، وفرض مناهجها وأفكارها مع التقليل من مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية، ثم القيام بالتبشير والتنصير (والخطورة كل الخطورة تكمن في تخريج هذه الأجيال على النهج المريب من التغريب) وهي أجيال لن تعود لها صلة بماضيها وتراثها وثقافتها ولن يكون لها ولاء ولا انتماء لآبائها وأقرانها ممن يتخرجون من المدارس العربية، وكأننا بذلك نعمل على إيجاد حالة من الانفصام في شخصية المجتمع وبنيته الأساسية تبدو آثاره في ظاهرة استعلاء لغوي ومباهاة بلغة الغرب وثقافاتهم وإعلامهم.

٤- يعد الإعلام مرتعاً خصباً وميزاناً فسيحاً يتم من خلاله الغزو الثقافي لإشاعة الفواحش والمنكرات من أجل تحطيم القيم والثوابت الأخلاقية، ولقد تحولت وسائل الإعلام إلى قنوات لبن مسموم ونشر للرذيلة والانحطاط بالغريزة البشرية وانهيار السلوك الإنساني والتباس الحق بالباطل والهدى بالضلال والخير بالشر.

٥- إن قنوات التلفزة تشكل تهديداً خطيراً ومعول هدم للهوية الإسلامية الحضارية والثقافية من خلال بث البرامج والأفلام والمسلسلات الخليعة والمسرحيات الهابطة، ولقد كشفت دراسة قام بها تسعة من أطباء علم النفس على مدى خمس سنوات في جريدة الرأي الكويتية عام ١٩٩٢م، أظهرت أن البرامج المتلفزة تؤثر على الأطفال المراهقين وتدفعهم إلى الصراعات وتجعلهم أكثر تقبلاً للعنف الجنسي، وكشفت هذه الدراسة أيضاً أن أفلام الرسوم المتحركة التي تعرض صباح العطلة الأسبوعية تتضمن مشاهد عنف تزيد بمعدل أربع أو خمس

ISBN: 978-9922-21-412-2

مرات عما يشاهد في الأفلام التي تعرض بعد ذهاب الأطفال للفراش، فعلى الرغم من كل هذه المظاهر التي وضحتها كل هذه الدراسات نرى تكالب أجهزة الإعلام على هذه المنتجات الإعلامية.

إن التحدي الملح تجاه العودة بالهوية الإسلامية هو التحدي التربوي، وباستقراء الدراسات التربوية السابقة والخاصة بهذا الاتجاه يتضح لي ما يلي :- وعليه بعد استعراض النقاط الخمسة اعلاه يتضح لنا أن ثمة أمور لا بد من التأكيد عليها لعل من أهما ما يلي:-

١- أن العالم الإسلامي يتعرض لمجموعة من التحديات والمخاطر لا بد للأنظمة التعليمية والتربوية من مواجهتها بصورة حاسمة.

٢- حاجة المجتمعات العربية والإسلامية إلى صياغة حديثة لنظرية تربوية إسلامية تكون في مواجهة التحديات والمخاطر التي تحدق بالأمة العربية الإسلامية.

٣- أن التعليم في القرن الجديد – الحادي والعشرين – يرتكز على مجموعة من المبادئ، هي: بيئة تعليمية جديدة – التعليم الشخصي – تعليم مبتكر للمعرفة – التعليم مدى الحياة، وكلها أساسيات مبادئية للتعليم الحديث يجب ألا تهملها النظرية الإسلامية الحديثة في مواجهة التغريب والعلمنة.

٤- أن المجتمعات العربية الإسلامية تتعرض الآن – وفي المستقبل – لمجموعة من الأخطار والتحديات بعضها داخلي كالتغير في التركيب السكاني، والتغيرات الثقافية والقيمية، والتغيرات المجتمعية المختلفة، وبعضها خارجي: كالثورة العملية والتكنولوجية، والتوتر بين العولمة والمحلية، والتغيرات الاقتصادية والسياسية التي يشهدها العالم ، والطريقة الوحيدة لمواجهة ذلك هي التنشئة العلمية التربوية القوية والمنهجية لأبناء تلك المجتمعات والشعوب.

٥- المدرسة الإسلامية المستقبلية هي إحدى الأطروحات التربوية التي ينشدها التربويون العرب والمسلمون لمجابهة تلك الأخطار والتحديات، حيث إن المطلوب منها شيئان؛ الأول: يتعلق بالكيفية التي يتم من خلالها التعامل مع تلك الأخطار والتحديات والثاني : مراعاة الخصوصية والذاتية العربية الإسلامية التي تتميز بها الهوية الإسلامية .

تحديد سبب الانكسار لدى الشباب المسلم أمام تلك الثقافات بعدة أمور هامة :

١- الفراغ النفسي والمعنوي والطموحي لدى هذا الشباب المسلم، وعدم وجود الشخصية النموذجية التي يأمل دائماً أن يتشبه بها في ظل رؤياه لشخصيات دنيوية مادية قد أثبتت

نجاحات متتالية على المستوى المادي والتكنولوجي (والشباب المسلم هنا بحاجة ماسة لبناء الطموح عنده عن طريق توجيهه للاقتداء بكبار وعظماء الأمة الإسلامية في تاريخها الزاهر وبأبطالها أصحاب الإنجازات المشاهدة في عصرها الحديث.

٢- الهجمة الإعلامية التي تصور المسلمين بصورة دونية مستذلة مع ضعف العزة النابتة في داخلية أولئك الشباب تجاه الإسلام والاعتزاز به أدى إلى هروب ذلك الشباب من التشبه بتلك الصورة المنكرة إعلاميا إلى الصورة المحبوبة إعلامياً.

٣- الارتباط بالهوية الإسلامية والثقافة الإسلامية الضعيف، والذي يحتاج إلى جزء كبير من اليقين والإيمان باليوم الآخر وبقدرة الرب _سبحانه_ وبالقضاء والقدر، والشباب مع ضعف إيمانهم بتلك الأسس، وعدم تربيتهم عليها يخرجون مستنكرين للهوية الإسلامية التي يرونها مقيدة لحريتهم اللا محدودة والتي تقدمها لهم الثقافات الغربية التي تقدم الحاجات المادية والشهوات كمادة أساسية مباحة دائما بغرض التفرغ للعمل .

ثالثا :- التوصيف الخاص للمشكلة والتشخيص الدقيق للمرض لإمكانية الانطلاق للعلاج:

القضية ليست في الهوية بل القضية في الأمة الإسلامية فالإسلام هو المستهدف لأن الغرب عامة يعلم أن الإسلام هو البديل الحضاري الأوحد لثقافتهم وحضارتهم وهو البديل القوي الذي يمكنه أن يملأ الفراغ الذي تعانيه الحضارة الغربية اليوم بخلاف الأطروحات الصينية أو اليابانية التي لا تقدم جديداً يغني، والغرب يخشى مما يسميه الحركات الأصولية التي تمثل بعثاً جديداً للهوية الإسلامية إذ إنها في حالة صعود مقلق بالنسبة لهم، فالجماهير التي تؤيد الحركات الإسلامية اليوم هي نفسها التي كانت تؤيد الناصرية والبعثية منذ عشرين عاماً. الواقع أن الذي أصبح يواجه الحل الإسلامي ليس هم وحدهم وإنما أناس من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا سواء في تركيا أو في الجزائر أو في غيرها من دول الإسلام . إن المخاطر المحدقة بالثقافة الإسلامية من جانب العولمة المعاصرة، وبخاصة مع ظهور وسائل الإعلام الحديثة كالإنترنت والقنوات الفضائية وغيرها التي تعمل على نشر ثقافة العولمة، وتهدف إلى تعريض المقومات الحضارية للأمة كالدين واللغة والثقافة يتطلب من جميع فعاليات الأمة السياسية والتعليمية والثقافية والاقتصادية وغيرها التعاون من أجل وضع خطة استراتيجية محكمة كفيلة بالتغلب على مخاطر العولمة الثقافية من أجل إنقاذ شباب الأمة وحمايتهم من الانحراف الأخلاقي والسلوكي.

ماهي الحلول الكفيلة بالحد من خطر الثقافة الغربية الغازية لبلاد العرب والمسلمين على النحو الآتي:

١- بناء الإنسان البناء المتكامل ليكون في حجم التحدي وتربيته على أخلاقيات عقائدية تمنحه المناعة الحضارية المطلوبة، ولعل أهم مرحلة في هذه التربية العمل على إشاعة وترسيخ القيم العقائدية والإيمانية؛ لأن بها وقف الجيل الأول من الأمة في وجه كل اختراق بل واستطاعوا من خلال ترسيخ المبادئ العامة الإبداع الحضاري الذي يكرم الإنسان كيفما كان نوعه ولونه وجنسه فبدون هذه الخطوة الأساسية ومع تفشي آفة القطيعة بين العقيدة والسلوك في حياة المسلم المعاصر لن يكون بإمكاننا الوقوف طويلاً في وجه الزيف الحضاري القادم، إنها التربية التي تمنحنا كذلك إمكانية الرؤية المستقبلية الحقة كما تمدنا بكل الشواهد لفهم طبيعة وحقيقة الصراع الغربي خاصة مع الصهيونية التي استفادت من الوطن العربي والنظام العالمي الجديد لتفرض نفسها على الأمة.

٢- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي أصابت ثقافتنا، مما أدى إلى انحراف الفرد والمجتمع، فالتوكل أصبح تواكلاً، والإيمان بالقدر أصبح عجزاً وقعوداً عن العمل، والزهد أصبح خمولاً وقعوداً عن العمل، والعبادة رهبنة وانقطاع عن الحياة، وذكر الله _سبحانه وتعالى_ أصبح تمتمات وهمهمات وأقوال بلا أفعال، كما يجب أن نوضح ونبرز المقاييس الثقافية الإسلامية الصحيحة وتفعيلها في الإنتاج الثقافي الذي يحمل مفاهيمها الحقيقية.

٣- يجب على الأمة الإسلامية أن تسارع في الاستفادة من مكتسبات التكنولوجيا في وسائلها الإعلامية، خاصة الأقمار الصناعية والقنوات التلفزيونية واستعمالها في توعية وتثقيف الأطفال والشباب وحمايتهم من الوقوع في فلك الانحراف والضلال وحماية وجود الأمة الإسلامية وغيرها من خطر الغزو العلمي والتكنولوجي الجديد، وبخاصة أن الثقافة الإسلامية ثقافة عالمية، ورسالة الإسلام جاءت للبشرية جمعاء، كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

٤- تجديد الخطاب الثقافي الإسلامي وتطويره، بحيث يلائم روح العصر مع ضرورة الحفاظ على أصالة الثقافة الإسلامية ومضمونها من أجل خدمة الهوية الإسلامية، ودعوة الناس إلى التعرف على حقيقة الدين الإسلامي من خلال القنوات الفضائية وشبكات الاتصال العالمية "الإنترنت"، وتيسير العمل الصحفي وسهولة الترجمة، حيث إن العالم اليوم يتغير بسرعة فائقة، وعلينا أن نطور أدواتنا ووسائلنا، وطريق تصدير ثقافتنا، إن التبليغ اليوم عبر تقنية

ISBN: 978-9922-21-412-2

الشبكات الإلكترونية والفضائيات يمثل أفضل وأسرع الطرق للتأثير قي عقول أجيالنا، وكذلك في عقول الآخرين، لا أن نكون مجرد مستهلكين لثقافة الغير ومعلوماته؛ لأن الاستهلاك الثقافي بدون أن نكون منتجين ثقافياً يجعلنا نذوب في ثقافة الآخر ونفقد بالتالي الثقة في ثقافتنا ومبادئنا، وهذا ما يهدف إليه الآخر الغربي بكل تأكيد.

٥- ضرورة وضع ضوابط وقيود وإشراف من قبل مختصين عند استخدام شبكة الإنترنت، وبخاصة فيما يتعلق بالبرامج الإباحية والمنافية لقيم وثقافة المجتمعات الإسلامية.

٦- ينبغي إنشاء مراكز ثقافية إسلامية موحدة تهتم بدراسة قضايا العصر، سواء كانت ثقافية أم اجتماعية أم حضارية فور ظهورها ومن ثم متابعة تطورها ووضع التصور السليم للموقف الإسلامي إزاءها، وهذا يتطلب عقد الندوات العلمية والمؤتمرات الثقافية وإيجاد مراكز ثقافية موحدة، لا يعني إطلاقاً إلغاء التنوع والتعدد الثقافي، وإنما يعني السعي نحو تأسيس رؤية ثقافية كونية ناتجة عن التفاعل الإيجابي والحر بين مختلف مراكز الفكر والثقافة، فالتوحد ضمن حقيقة التعدد والاتفاق ضمن حقيقة التنوع .

٧- الانفتاح على الثقافة الغربية والاستفادة من تطورها العلمي والتكنولوجي ينبغي أن يكون من خلال استراتيجية تضمن إيجابية هذا الانفتاح؛ لأن الانفتاح المذموم هو الذي أدى إلى ذوبان الشخصية الثقافية بسبب الانهيار والاغتراب عبر منافذ الاختراق والتغريب، والإسلام لا يمنع الانفتاح المحكم الرامي نحو الاستفادة من علوم الآخرين النافعة، قال سبحانه وتعالى_:" قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا".

٨- المشروع الحضاري الإسلامي لا يمكن أن يحقق تميزه الإسلامي، ومن ثم أداء دوره العالمي وفق منهج الله إلا إذا ركن إلى العلم الشرعي بمعناه الواسع وتم تأهيل العالم المسلم بحيث تكون دراسته لعلم الشريعة دراسة تأصيلية مرتبطة بالوقائع الحية التي تعيشها الأمة والعالم في هذا العصر.

مُهددات الهُويّة الإسلامية :

تمر الأمة الإسلامية بمنعطفات خطيرة يمكنها العصف بهويتها الإسلامية، وتعمل على تهديدها، وتحاول القضاء عليها، ومن هذه المهددات :-

اولا :- الغزو الفكري الخارجي : الذي يلبس كل مرة لباساً جديداً تحت مسميات برّاقة، ويحاول تمرير مخططات قديمة وحديثة تعصف بكيان الهُوية الإسلامية، لا سيّما إذا ما تبنّت هذه الأفكار مؤسسات فكرية، فضلاً عن سياسات حكوميّة.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ثانيا :- التقليد الأعمى :- حيث يكون التقليد للأفكار الطائشة والدخيلة، والتي تهدّد المجتمعات الإسلامية، ابتداءً من معتقداتها؛ فأصبحت العقيدة الإسلامية مُهددة من أبنائها قبل العدوّ، وهنا بعض المظاهر التي ينبغي المحافظة عليها؛ من أجل بقاء الهُوية الإسلامية؛ كاللباس والمظهر الخارجي، لا سيما الواجب منها في الشريعة.

ثالثا :- ضعف الانتماء لمقومات الهوية الاساسية :- ضعفت في كثير من نفوس أبناء العالم الإسلامي، ولا سيّما الشباب المُنبهرين بثقافات مخالفة للشرع، دون الوعي لِما تُخفيه هذه المُخططات بهدف السيطرة والبقاء.

رابعا :- الخلل العقدي :- نجده عند كثير من التجمعات الإسلامية، ممّا تساهم بهدم مُقومات هذه الهُوية، قد يكون مُتهاوناً بالتمسك بهذه المقومات، وقد يكون متشدداً، بحيث ينفر النّاس من قَبول دعوته.

كيفية الحفاظ على الهوية الإسلامية

إنّ سُبل الحفاظ على الهوية الإسلاميّة من الضياع كثيرة جداً، سنتناول في هذه المقالة بعضها، وذلك فيما يأتي :-

اولا:- التمسك بشريعة الله -تعالى- والالتزام بتعاليمه؛ فهي النّجاة من الزّلل، وبها يكون الصُّمود في وجه الشبهات، مع التوكل على الله -تعالى- والاستعانة به، وطلب النّصرة منه -سبحانه وتعالى-.

ثانيا :- الثقة بمنهج الله -تعالى- والإيمان المطلق به، والوثوق بأنّه المنهج الذي ينبغي اتباعه دون الحياد عنه، ومعرفة أنّ الله لا يخلف الوعد.

ثالثا :- التزود من العلوم الشرعية :- التزوّد من هذه العلوم؛ للمُحافظة على الهُوية وأخذ العلم عن العلماء الربانيّين، حتّى يكون منهجه سويّ صحيح، دون شوائب، ولا يخلط الدين بالشبهات، ومن عرضت له شبهة، فليرجع بها إلى هؤلاء العلماء ولا يُجازف بالانجرار وراءَها، قال الله -تعالى-: ﴿فَاسأَلوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لا تَعلَمونَ﴾.

رابعا :- البناء الذاتي بطريقة سليمة؛ وذلك بمعرفةِ المآخذ والمسالك المتّبعة، وتكوين شخصية غير مهزوزة ولا مهزومة على العلم الراسخ واليقين.

خامسا :- التمسك بالقرآن الكريم :- ذلك بتعلّم تلاوته ومُدارسته، والتحاكم إليه، ومعرفة أنّه لا نجاة إلا باتباعِ الشرع الحنيف، وأنّ الشفاء من كلّ الأسقام؛ العقلية والذهنية والنفسية والبدنية، لا

يكون إلّا بالتمسك به، قال الله –تعالى–: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إِلّا خَسارًا﴾.

كيفية إظهار الاعتزاز بالهُوية الإسلامية :

تنبع أهمية الاعتزاز بالهوية الإسلامية من جعل المسلم صاحب شخصية مستقلة، فيكون المسلم بسلوكه وأوصافه معبراً عن استقلالية هذا الدين، ويكون ذلك بالمحافظة على اللغة العربية لغة القرآن الكريم، والاعتزاز برموز الهوية الإسلامية؛ كالتاريخ الهجري، والأخلاق والقِيَم الإسلامية النبيلة، بالإضافة إلى امتثال التعاليم الدّينية العظيمة، والفخر بالدين الذي جاء خاتماً للرسالات كلّها.

وتكون الكيفية في إظهارها بما يأتي :

اولا:– الرجوع بالوعي إلى العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، وإبرازه للأمم الأخرى، وعدم الرضوخ للواقع، مع التركيز على أنّ هذه العقيدة هي العلم الشامل، والمُطلق الذي يستوعب القضايا كلها، وأنها وحي السماء من الله تعالى.

ثانيا :– إبراز مظاهر الحضارة الإسلامية، والافتخار بتاريخنا ولغتنا وتُرابنا وحضارتنا ومسيرة الأجداد.

ثالثا :– الاعتزاز باللغة العربية، لا أنها مجرد لغة الآباء والأجداد ومظهر من مظاهر التخاطب، وإنّما هي وعاء للفكرِ والفلسفة والعلوم على مرّ التاريخ.

الخاتمة :

الهوية الاسلامية : هي الآنيَّة والنفس والجوهر، أي الذات بما يلزمها ويلازمها، مما به تتأكد الماهية، وأصلها اللغوي من "هو" الدال على ما به يكون الشيء، أو أي كائن "هو". وهي هنا ما به تتحقق ذات الإنسان وشخصيته، وما يميزه عن غيرها، فرداً كان أو جماعة . تعددت التعريفات لمفهوم الهُوية الإسلامية، ومنها السّمات والخصائص والسلوكيات المميزة للأمّة، الناتجة عن تفاعل المسلم مع العقيدة والشريعة. السّمات والصفات والسلوكيّات التي تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات. الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحقّ الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة على الناس.

ISBN: 978-9922-21-412-2

تنتمي الهوية إلى عدة أصول، وتستقي بقاءها من عدة مصادر، تجتمع كلها من أجل أن تكوّن مقوماتها، ونذكر هنا أهمها فيما يأتي :-

١- العقيدة الاسلامية :- إن أهمّ مميزات هذه الهوية أنها تنضوي تحت العقيدة الإسلامية، والإيمان الراسخ بالله -تعالى- وبعقيدة التوحيد، وهذا يشمل كلّ من ينتمي إلى الأمّة الإسلامية، أن يكون إيمانه مطلقا بهذه العقيدة، وأن يكون مؤمنا بأن الإسلام دينٌ يجب الانقياد إليه، وأنّه دينٌ أممي، يمكن أن يحوي كل البشر، وكل من يرغب في الدخول به، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

٢- اللغة العربية :- لغة القرآن ولغة رسول الله ﷺ ولغة العلم، والمقوم الرئيس لفهم الإسلام وتعلّمه، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

٣- التاريخ :- به يشترك كلّ مسلم، حيث إنّ هذا التاريخ شاركت به كل القوميات؛ العربية وغيرها، فلا بدّ من احترام هذا التاريخ بعيداً عن الفكر العولمي أو الأفكار القوميّة.

٤- التراث :- هو النتاج الحضاري للأمّة الإسلاميّة، بمختلفِ مكوناتها، وأقطارها ولغاتها، وفي كلّ المجالاتِ الدينيةِ والدنيوية؛ كالعمارةِ والفلسفةِ والآدابِ، وغيرها من المجالات.

٥- التكوين الروحي والنفسي المشترك :- نّ ما يجعل الأمة الإسلامية أمّة مُميزة عن غيرها، إنتاجها هذه الحضارة القوية، واتسامها بسماتها؛ من العادات والتقاليد، والثقافات المختلفة، أي إنّ هذا القدر من المُشتركات في تكوين الهوية الإسلامية، يكون مقوم من مقوماتها.

المصادر والمراجع :-

الآيات - القرآن الكريم

١- كتاب ماهي الهوية وكيفية الحفاظ عليها - الكاتب رمضان الغنام

٢- الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية - بغداد العراق: مركز البحوث والدراسات الإسلامية ،خليل نوري العاني

٣- كتاب هل الهوية الاسلامية في خطر - صيد الفوائد - خباب بن مروان الحمد

٤- كتاب الهويّة والشرعيّة دراسة في التأصيل الإسلامي لمفهوم الهوية ورفع الالتباسات عنه- شريف محمد جابر

٥- كتاب مخاطر العولمة على الهوية الثقافية - محمد عمارة .

تحليل ودراسة دور معرفة النفس لتقوية الهوية الاسلامية من وجهة النظر الإمام علي عليه السلام

ا.م.د. اصغر طهماسبي البلداجي/ جامعة فرهنكيان جمهورية ايران الاسلامية
tahmasebiasghar@yahoo.com

الملخص

واحدة من أهم الحالات التي تم التأكيد عليها في التعاليم الدينية هي معرفة النفس. معرفة النفس مع القدرات العديدة التي أعطاه الله، كانت متفوقة على العديد من المخلوقات من النظرة المعرفية. كانت البشر مع العديد من القدرات التي أعطاه الله تم تفوقه على العديد من الكائنات. في تعاليم الإمام علي عليه السلام قد اهتم بمعرفة النفس من أبعاد مختلفة مثل الوجودية، المعرفية، العملية و اللغوية. إنّ الإمام علي عليه السلام كالعالم الرباني اهتم بالأبعاد الوجودية الإنسانية؛ و قد أعرب المحتوى المهم حول هذا الخلق الإلهي؛ و السؤال الأساسي حول هذا الامر هو أن معرفة الإنسان و تفسير أبعادها الوجودية هل تؤثر على ترسيخ الهوية الاسلامية و ايصال البشر إلى الكمال و السعادة؟ تبعا لذلك يهدف و يفحص هذا البحث مع اتخاذ اسلوب تحليلي و توصيفي نتائج معرفة النفس لترسيخ الهوية الاسلامية من منظر الإمام علي عليه السلام و يشرح نهج الإمام علي عليه السلام لأهمية معرفة النفس في الحياة. الأمر الذي يستنبط من هذا البحث هو أنه من منظر الإمام علي عليه السلام، لمعرفة الإنساني بالشكل الصحيح دور فعال و موثر في ترسيخ الهوية الاسلامية و هدايته إلى السعادة و الكمال؛ إن زيادة معرفة بالله تبارك و تعالى، تحقيق عبودية الانسان للرب، الاهتمام بالآخرة و تحرر من الدنيا، ازدهار العقل، نمو الفضائل الأخلاقية و ترك الرذائل الأخلاقية هي أهم نتائج معرفة النفس لترسيخ الهوية الاسلامية.

المقدمة

إن معرفة الإنسان أو بعبارة أخرى معرفة النفس من العناصر التي أكَّدَ عليها في تعاليم الإمام علي عليه السلام. أشار الإمام علي عليه السلام إلى مسألة معرفة النفس من عدة نقاط.

في المحور الأول قد أشار الإمام علي عليه السلام إلى أهمية معرفة النفس و قدم معرفة النفس باعتبارها أثمن معرفة، و هذه الكلمات و التأكيدات للإمام هي نوع من التشجيع للإنسان على معرفة نفسه.

في المحور الثاني يقدم الإمام أبعاد و البنية الوجودية للإنسان. في هذا القسم يشير الإمام إلى عوالم الوجود البشري و يتناول من جهة بقدرات البنية الجسدية و الروحية للإنسان و من جهة أخرى يشرح عوالم الروح البشرية في المعرفية و الأنطولوجية و الممارسة المعرفية و علم النفس.

في المحور الثالث يشير الإمام علي عليه السلام إلى نتائج معرفة النفس و يعبر عن هدف الأنثروبولوجي في الأنسنة و ترسيخ الهوية الاسلامية. ما يسعى هذا البحث إلى شرحه و دراسته هو المحور الثالث، و وفقاً لذلك فإنه يبحث في نتائج معرفة النفس التي تعتبر مهمة للغاية في الإنسانية و يمكن أن تكون فعالة في التميز البشري و السعادة و الكمال.

شرح المسألة

تعد معرفة النفس من أكثر العلوم المفيدة التي تم التأكيد عليها في تعاليم الإمام علي عليه السلام. حدد الإمام عليه السلام مناطق نفس و جسد الإنسان بأبعاد متمايزة و من محاور مختلفة و شرحها للناس. و السؤال الأساسي في هذا الصدد أن علم النفس – و هو من العلوم الأكثر قيمة عند الإمام علي – ما هي آثاره و نتائجه في حياة الإنسان و توجيهه إلى السعادة و الكمال؟ بمعنى آخر ما هو دور معرفة النفس في أنسنة و ترسيخ الهوية الاسلامية؟ مع التركيز على هذا السؤال الأساسي فتبحث هذه الدراسة في نتائج معرفة النفس في ترسيخ الهوية الاسلامية لتحديد أهمية تركيز الإمام علي عليه السلام على معرفة النفس.

أهمية البحث

الغرض من خلق الإنسان هو خدمة الله؛ يقول القرآن الكريم: ﴿وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون﴾ (الذاريات/٥٦)، لذلك يجب على الإنسان أن يبذل جهدًا في خدمة الله، مما يؤدي هذا العمل إلى سعادة الدنيا و الآخرة. لا شك أن خدمة الله و معرفته ممكنة بمعرفة الإنسان و قدراته، فإذا لم يستطع الإنسان معرفة نفسه بشكل صحيح في المرحلة الأولى، فلن يتمكن من معرفة الغرض من خلقه و خالقه. لذلك تلعب معرفة النفس دورًا مهمًا في ترسيخ الهوية الاسلامية التي يمكن أن تقود الإنسان إلى غاية و هدف الخلق. و عليه فإن أهمية هذا البحث تنطلق من هدف التعرف على النفس و دورها في سعادة الإنسان و كماله، و تعبر عن نتائج معرفة النفس في أنسنة بأبعاد مختلفة.

خلفية البحث

أجريت العديد من الدراسات حول معرفة النفس من منظر الإمام علي عليه السلام. تناولت بعض الأبحاث مفهوم معرفة الذات من وجهة نظر الإمام علي و عبّرت عن معوقات معرفة الذات.[١]

(١) مشايخى بور، محمدعلى، قراملكى احد، فرامرز؛ صادقى، هادى، دراسة في مفهوم معرفة الذات في منظور الإمام علي، صفحة ٢٥.

تناولت بعض الأبحاث أبعاد النفس و العلاقة بين الله و الإنسان، و في هذا الصدد فقد عبرت عن مجالات مختلفة للروح البشرية من منظور الإمام علي.[١] كما أشار باحثون آخرون إلى بعض جوانب معرفة النفس من منظور التطور النفسي للإنسان و أكدوا عليها من منظور نهج البلاغة.[٢] كما تناولت أبحاث أخرى معرفة النفس من منظور التعاليم الإسلامية.[٣] هذه الدراسة مع الاهتمام بالبحوث السابقة، فقد تمت كتابتها بشكل مميز و مع ابتكارات جديدة و تهدف إلى نتائج معرفة النفس لترسيخ الهوية الاسلامية من وجهة نظر الإمام علي، و لم يتم كتابة أي بحث مستقل بعنوان هذا البحث و منهجه. وفقًا لذلك مع اتباع نهج موجه نحو الهدف فإنه يعبر عن نتائج معرفة النفس في ترسيخ هوية الاسلامية في أبعاد مختلفة.

أهمية معرفة النفس

معرفة النفس بعدة ألقاب بما في ذلك استكشاف الذات self-analyzing}} الأنانية{ self-observation} و الوعي الذاتي self-awareness }} لقد تمت مناقشتها في العديد من المدارس الدينية و الفلسفية. إنّ ما نوقش في المدارس الفلسفية حول وجود الإنسان و إدراكه قد حلل القضية من الأبعاد الجسمية (المادية) و الروحية التي يؤمن بها البعض في الوجود المادي للإنسان و لا يؤمنون بالبعد الروحي له، لكن بعض الفلاسفة الآخرين يعتبرون أن للإنسان بعدًا ماديًا و روحيًا و قد استشهدوا بالحجج لإثبات نظريتهم.[٤] للإنسان أهمية كبيرة في تعاليم الإسلام لكونه مخلوقاً خاصاً عند الله، كما أن خلقه أمر مهم، و يقول القرآن الكريم عن خصوصية خلق الإنسان: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً

---

(١) عباسيان جالشترى، محمدعلى، فس ، مجالات النفس والعلاقة النفسية بين الله والإنسان في نهج البلاغة، ص ٧٠.

(٢) رضايى هفتادر، حسن، نصيريان، صفر، رياحي مهر، باقر، دراسة التطور النفسي البشري من منظور التربية الإسلامية مع التركيز على نهج البلاغة ، ص ١٩.

(٣) غياثى، على، إعادة بناء مناطق الوجود البشري من منظور نهج البلاغة ، صفحة ١؛ علائي رحمانى، فاطمه، سالارى، زينب، أثر البيئة الأسرية والإرادة في تكوين الشخصية الإنسانية من منظور الإمام علي ، ص ١٣؛ بهروز، صمد، نصيرى، عبدالله، لتعرف على الضرر الذي يلحق بالكرامة الإنسانية من منظور نهج البلاغة، العوامل المعرفية والسياقات، ص ٥١.

(٤) افلاطون، فترة أعمال أفلاطون، ترجمة: محمد حسن لطفي و رضا كاوياني، طهران: منشوررات الخوارزمي، ١٣٦٣؛ صدرالدين الشيرازي، محمد، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة، قم: مكتبة المصطفوي، ١٣٦٨ش؛ طباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم: منشورات المكتب الاسلامي، ١٤١٧ق.

ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾ (المومنون/١٤)؛ ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدين﴾ (ص/٧٢) ، و قد ورد في القرآن الكريم عن البعد الجسدي و الروحي من أبعاد الوجود البشري و أهميته، و قد أشير إلى أمثلة على الوجود الإنساني منها:

١. عجلة الإنسان: ﴿خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُريكُمْ آياتي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ﴾(الانبياء/٣٧)

٢. كون الإنسان ظلوماً: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولا﴾ (الاحزاب/٧٢)

٣. إلهام طيب وسيئ للروح البشرية: ﴿وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها﴾(الشمس/٨-٧)

٤. خسران الإنسان: ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لَفي خُسْرٍ﴾ (العصر/٢)

٥. ضعف الإنسان: ﴿ وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعيفا﴾ (النساء/٢٨)

٦. كون الإنسان كفورا: ﴿وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً﴾ (الاسراء/٦٧)

٧. الجشع البشري: ﴿ إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعا﴾ (المعارج/١٩)

لقد أشار الإمام علي ﷺ بصفته عالمًا حقيقيًا و مفسرًا للقرآن و مدركًا لأبعاد الوجود البشري إلى الأبعاد المختلفة للوجود البشري. ما يقال في تعاليم الإمام علي عن معرفة النفس هو أكثر بعبارة معرفة النفس، كما يقول في أهمية معرفة النفس: (مَعْرِفَةُ النَّفْسِ أَنْفَعُ الْمَعَارِفِ)[١] ؛ (الْمَعْرِفَةُ بِالنَّفْسِ أَنْفَعُ الْمَعْرِفَتَيْنِ)[٢] ؛ (غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ نَفْسَه) [٣] تشير كلمات الإمام هذه صراحة إلى أهمية معرفة النفس و ضرورة الاهتمام بها، طالما أن الإنسان لا يعرف نفسه فسيجهل جوهر وجوده، كما أنه سيجهل الغرض من خلقه، و نتيجة لذلك لن يعرف إلهه و لا يسير في طريق عبوديته و نتيجة لذلك سيعاني من خسائر الدنيا و الآخرة. وفقًا لذلك يمكن أن يكون الاهتمام بمعرفة الذات و الأبعاد الموجودة بذاتها عاملاً مهمًا في معرفة الله و تحقيق عبودية الله.

-(١) الامدي، غرر الحكم و درر الكلم، ص٢٣٢.

-(٢) المصدر نفسه.

-(٣) المصدر نفسه.

ISBN: 978-9922-21-412-2

دور معرفة النفس في ترسيخ الهوية الاسلامية من منظور الإمام علي عليه السلام

من أهم ركائز الإمام علي عليه السلام في مجال معرفة النفس الانتباه إلى هدف معرفة النفس. بمعني أنّ الإمام علي عليه السلام لم يأتِ فقط ليقدم الإنسان و يشرح أبعاده الوجودية، لكن هدف الإمام في شرح الوجود الإنساني هو تحقيق التنمية البشرية و السّعادة في ضوء التّعرف على قدراته. إذا كان الإنسان على دراية بقدراته و أبعاد وجوده فيمكنه استخدام هذه الأبعاد و القدرات على النحو الّذي خلقه الله تعالى و كونه. عندما يدرك الإنسان عيوبه الوجودية من حيث الهواء و الشّهوة و الذنب، فإنّه يحاول السّيطرة على هذه القوى و منع تمردّها. فيما يلي تحليل لأهم نتائج معرفة النفس أو معرفة النفس في ترسيخ الهوية الاسلامية من منظور الإمام علي.

الاول: دور معرفة النفس في اللاهوت وزيادة الإيمان والمعرفة

من أهم نتائج معرفة النفس من منظور الإمام علي عليه السلام هو اللاهوت. يكتشف الإنسان بمعرفة نفسه و أسرار وجوده خالقًا فريدًا و قويًا. يقول هذا الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ وَ الظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ)[1] تشير كلمات الإمام هذه إلى ظهور علامات عظمة الله و معرفته اللامحدودة في مخلوقاته. ينظر الرجل الحكيم إلى المخلوقات فيجد خالقا عظيما. كما نصّ القرآن الكريم على أن من طرق معرفة الله و الإيمان به آثاره و آياته: ﴿وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (الروم/٢٠)؛ ﴿وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون﴾ (الروم/٢١) ﴿وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمينَ﴾ (الروم/٢٢)

تشير كلّ هذه الآيات إلى أن إحدى طرق اللاهوت هي التّفكير في مخلوقات الله، و من بينها الإنسان أشرف المخلوقات ومعرفة هذا الإنسان له تأثير في معرفة الله، و يذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن من عوامل اليقين علامات خلق الله في الأرض و في البشر: ﴿وَ فِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنين*وَ في أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُون﴾ (الذاريات/٢٠-٢١) يقدّم الإمام علي عليه السلام الوجود الإنساني كعالم عظيم هو مرآة اللاهوت. جاء ذلك في القصائد المنسوبة للإمام علي:

«و تَحْسَبُ انَّك جرمٌ صغير و فيكَ انطوى العالمُ الاكبر
و أنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر»[2]

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٠٨.

(٢) الميبدي، حسين بن معين الدين، ديوان أمير المومنين، ص١٧٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

لهذا السبب فإنّ التّأمل في وجود النفس و فهم أسرار وجودها هو عامل في معرفة الله تعالى، وهو ما يقوله الإمام علي عليه السلام و يذكره أيضًا: (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ)[١] تعني معرفة النفس في هذه الرواية القيّمة فهماً عميقاً لقدرات البشر من جهة و طبيعة الإنسان الباحثة عن الله من جهة أخرى، لأن الله جعل الطبيعة البشرية في طلب الله و تطلبه. جاء ذلك في القرآن الكريم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم/٣٠) يوضح الإمام علي عليه السلام في دعائه مبدأ اللاهوت الفطري و يقول: (اللَّهُمَّ خَلَقْتَ الْقُلُوبَ عَلَى إِرَادَتِكَ وَ فَطَرْتَ الْعُقُولَ عَلَى مَعْرِفَتِكَ فَتَمَلْمَلَتِ الْأَفْئِدَةُ مِنْ مَخَافَتِكَ وَ صَرَخَتِ الْقُلُوبُ بِالْوَلَهِ)[٢]

يعبر الإمام علي عليه السلام عن أهمية معرفة الإنسان بحيث يدرك الإنسان خالقه بمعرفة نفسه و من يعرف خالقه يخاف منه و يبقى في طريقه و يسير فيه فقط. يقول الإمام علي عليه السلام في شرح دور معرفة النفس في اللاهوت: (من عرف الخلق عرف الخالق و من عرف الرّزق عرف الرازق و من عرف نفسه عرف ربّه)[٣] نتيجة هذه المعرفة أنّ الإنسان يخاف من خالقه و صانعه الّذي يراقبه دائمًا، فلا يذهب إلى الخطيئة، و هذا الأمر نتيجة مهمة لمعرفة النّفس في اللّاهوت و الإيمان بالله. يقول الإمام علي: (أَكْثَرُ النَّاسِ مَعْرِفَةً لِنَفْسِهِ أَخْوَفُهُمْ لِرَبِّه.) [٤]

نقطة أخرى حول أهمية معرفة النّفس و علاقتها باللّاهوت في تعاليم الإمام علي عليه السلام هي أنّ معرفة النّفس هي عامل في إيجاد غاية الخلق، و هذا الأمر الّذي يدلّ على أنّ الإنسان عندما يعرف نفسه يدرك خالقه و بهذه الطّريقة يكتسب العلم أنّه خُلق للوصول إلى الله، لا ليحظى بالمرح و اللعب عبثًا، يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الصّدد: (هَلَكَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَه)[٥] كما يقول: (مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَهُ بَعُدَ عَنْ سَبِيلِ النَّجَاةِ وَ خَبَطَ فِي الضَّلَالِ وَ الْجَهَالات)[٦] إذا عرف الإنسان قدر نفسه فلن يهلك لأنّه بهذه الطّريقة يعرف إلهه و يعبده و يعرف سبب خلقه، كما يؤكّد القرآن الكريم على هذا الغرض من خلق الإنسان والجن. يقول الله تعالى: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ

---

(١) الآمدي، غررالحكم و دررالكلم، ص٢٣٢.
(٢) سيد بن طاووس، مهج الدعوات و منهج العبادات، ص١٢٠.
(٣) المجلسي، بحارالانوار، ج٥، ص٤٥٦.
(٤)الآمدي، غرر الحكم و درر الكلم، ص٢٣٢.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون﴾ (الذاريات/٥٦) وهذا الأصل يؤكّد في أدعية أهل البيت أيضًا، وتطلب حضرة الزهراء في دعائها من الله ما يلي: (اللَّهُمَّ فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ وَ لَا تَشْغَلْنِي بِمَا تَكَفَّلْتَ لِي بِهِ)[١] لذلك فإن معرفة النفس هي عامل مهم في اتجاه اللاهوت و عبادة الله و التي من خلالها يدرك الإنسان وجود الخالق و يصبح بمعرفته خادمًا له.

الثّاني: دور معرفة النفس في معرفة الآخرة و التّحرر من الدُّنيا

أثر آخر لمعرفة النفس هو التّحرر من أغلال العالم الفاني و الاستعداد للعالم الأبدي. قد أشير في القرآن الكريم إلى تطوّر الإنسان من أوله إلى قيامته، كما يقول: ﴿اللَّهُ الَّذي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُميتُكُمْ ثُمَّ يُحْييكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُون﴾ (الروم/٤٠) في تعاليم الإمام علي عليه السلام معرفة النّفس تسبّب التّحرر من الدُّنيا و الاستعداد للآخرة بعدة طرق. أولًا قيمة الإنسان و ثمنه الّذي قد رفعه الله على كثير من الكائنات، عندما يدرك الإنسان أنّ قيمته الوجودية عالية و أنّ الله خلقه لشيء ثمين و عظيم؛ فإنّه يدرك أنّ هذا العالم بمحدوديته و عيوبه لا يمكن أن يفي بهذه القيمة البشرية و لذلك فهو لا يبيع قيمته و ثمنه للعالم الفاني و عليه يؤكّد الإمام علي عليه السلام أنّ قيمة الإنسان هي الفردوس فقط و لا ينبغي للإنسان أن يبيع نفسه بأقلّ من ذلك. يقول الإمام: (أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اللُّمَاظَةَ لِأَهْلِهَا إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا)[٢] من النّاس من يبيع نفسه بالدّراهم و الدّنانير و من النّاس من يبيع نفسه بأحقر الأشياء و أهونها و يتبّع هواه فيهلك و هؤلاء في الحقيقة أحمق النّاس إلّا أنّه قد رين على القلوب فغطتها الذنوب و أظلمت الأنفس بالجهل و سوء العادة و طال الأمد أيضًا على القلوب فقست و لو أفكر الإنسان حقّ الفكر لما باع نفسه إلّا بالجنة لا غير.[٣] في هذا الصّدد كما يقول: (وَ لَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً وَ مِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضاً)[٤] كما تحدّد معرفة قيمة أيّ شيء مكان وجوده، فكلّما زادت قيمة الشيء زادت حمايته مثل الذهب و المجوهرات و الأشياء الثمينة الّتي تباع مع المزيد من الحماية بسعر أعلى؛ عندما يعرف الإنسان قيمته فهو يعلم أنّ هذا العالم الفاني لا يستطيع الاستجابة لهذه القيمة الّتي وهبها الله، لذلك يختار الفردوس الأبدي و يسعى لتحقيقه بخدمة الله.

---

(١) سيد بن طاووس، منهج الدعوات و منهج العبادات، ص١٤١.

(٢) نهج البلاغة: حكمة ٤٥٦.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص١٧٣.

(٤) المصدر نفسه: خطبة ٣٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المحور الثاني الذي أكدّ عليه الإمام علي عليه السلام في معرفة النفس و دورها في التّحرر من العالم الفاني هو هلاكة الإنسان و موته في هذا العالم. حتّى الإنسان يجد معرفة بنفسه بأنّه محدود و قابل للفساد و لا يمكن أن يكون أبديًا في هذا العالم، و سيغادر يومًا هذا العالم حتما و ستدفعه هذه المعرفة إلى الابتعاد عن هذا العالم الفاني. يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد: (رحم الله امرأ أعدّ لنفسه، و استعدّ لرمسه، و علم من أين و في أين و إلى أين)[١] تؤكّد عبارة "علم من أين و في أين و إلى أين" على معرفة الإنسان الذاتية بالمبدا و المعاد. هذه العبارة تعبر جيدًا عن مكانة معرفة النفس من وجهة نظر الفناء و الخلود في هذا العالم. عندما يعرف الإنسان بهذه الأمر أنّه من أين أتى و أين هو و إلى أين يذهب، فهو يعلم أنّ العالم الّذي هو فيه قابل للفناء و أنّ العالم الّذي فيه حياة الأبدية هو عالم الآخرة، لذلك يحاول تحرير نفسه من العالم الفاني و البقاء في العالم.

عندما يدرك الإنسان موت جسده وعالمه يتجنب الملذات والرغبات الحسية، كما يقول الإمام علي: (وَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَ غَافِلٌ وَ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ وَ عَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي أَلَا فَاذْكُرُوا هَاذِمَ اللَّذَّاتِ وَ مُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ وَ قَاطِعَ الْأُمْنِيَاتِ عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ وَ اسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ وَ مَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَ إِحْسَانِه)[٢] إن رغبات الإنسان هائلة لدرجة أنّها لا تنتهي أبدًا؛ لكن في بعض الأحيان مع مرور الحياة – مثل الظّلال الّتي تتّسع بالقرب من غروب الشّمس – تصبح أكثر انتشارًا، و الشيء الوحيد الّذي يقطع الأحلام هو الموت. القبح شديد اللمعان و يزين هواء النّفس الّذي يذهب إليه الإنسان كوحش من الفريسة يهاجم و يقفز على فريسته، و في هذه اللّحظة يمكن لذكرى الموت أن تكون رادعة.[٣] في مكان آخر يتحدّث عن أهمية تذكر الموت و التّسرع في الأعمال الخيرية: (فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ وَ مَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ وَ مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ وَ مَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ [فِي إِلَى الْخَيْرَاتِ)[٤] لما كانت معرفة الذات و الفناء و الموت تجعل الإنسان ينحني عن الرذائل الأخلاقية ، يقول الإمام علي عليه السلام : (وَ ضَعْ فَخْرَكَ وَ

---

(١) الكاشاني، فيض، الشافي في العقائد و الأخلاق و الأحكام، ج١، ص١٦٢.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ٩٩.

(٣) المكارم الشيرازي ، ناصر، رسالة أمير المؤمنين عليه السلام (شرح نهج البلاغه)، ج٤، ص٣٥١-٣٥٠.

(٤) نهج البلاغة: حكمة٣١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

احْطُطْ كِبْرَكَ وَ اذْكُرْ قَبْرَكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ وَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَ كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ وَ مَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ وَ قَدِّمْ لِيَوْمِكَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ وَ الْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ)[١] يقول في مكان آخر: (اذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ وَ بَقَاءَ التَّبِعَاتِ)[٢] لذلك في هذا القسم أيضًا تجعل معرفة النفس الإنسان يختار ما يقوده إلى الحياة الأبدية و ابتعد عن العالم الفاني و ملذاته و شهواته و استعمل الدّنيا للوصول إلى الآخرة. يقول الإمام علي عليه السلام أنّ من فلسفات معرفة الإنسان إدراك موته و هلاكه و هذه المعرفة تجعل الإنسان لا يعتبر نفسه خالدًا و يسعى إلى عالم أبدي من خلال إدراك موت جسده. يقول الإمام علي في وصفه هذا الفناء للوجود البشري: (مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ مَكْتُومُ الْأَجَلِ مَكْنُونُ الْعِلَلِ مَحْفُوظُ الْعَمَلِ تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ وَ تَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وَ تُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ)[٣]، يقول في تفسير «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُون»: (إِنَّ قَوْلَنَا إِنَّا لِلَّهِ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمُلْكِ وَ قَوْلَنَا وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهُلْكِ)[٤] تعبر هذه العبارة جيدًا عن حقيقة أنّ الوصول إلى فهم "مكتوم الأجل" للإنسان ذو دور مهم في تطوره و استعداده للآخرة و خدمة الله. حقيقة أنّ الإنسان لا يعرف متى سيغادر هذا العالم الفاني و بناءً عليه فإنها تعدّ نفسها للتدقيق. يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد: (عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا وَ حَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا وَ تَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِنَاقِ وَ انْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَ لَا وَاعِظٌ)[٥] لذلك فإنّ معرفة النفس لها دوران مهمان في الحياة الآخرة للإنسان: أولاً إنّ الإنسان بمعرفته لنفسه و قيمته الوجودية لا يعتبر العالم الفاني جديرًا بهذا الوجود؛ لذلك فهو يسعى إلى العالم الأبدي. ثانياً بالتأمل في موت جسده و عدم خلود هذا الجسد في العالم يستعد للموت و يتجنب الرغبات الجسدية و يختار طريق السعادة و الكمال.

الثالث: دور معرفة النفس لنمو العقل و التغلب على النّفس الامّارة

أثر آخر مهم للمعرفة النفس لترسيخ الهوية الاسلامية، هو نمو العقل و التغلب على النَّفس الامّارة؛ أكد الإمام علي عليه السلام على أهمية معرفة النفس في التغلب على هواء النفس و نمو العقل

---

(١) –المصدر نفسه: خطبة ١٥٣.
(٢) المصدر نفسه: حكمة ٤٣٣.
(٣) المصدر نفسه: حكمة ٤١٩.
(٤) المصدر نفسه: حكمة ٩٩.
(٥) المصدر نفسه: خطبة ٩٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

بعدة طرق: يشير الإمام عليه السلام في البعد الأول إلى القوة الوجودية للإنسان و يتعامل مع اختلافاته مع الملائكة و الحيوانات. ما هي القوى التي يمتلكها الإنسان و بأي شكل ينمو مكانة الإنسان، و بأي شكل يصل إلى أسفل السافلين، كما يقول في هذا الصدد: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ رَكَّبَ فِي الْمَلَائِكَةِ عَقْلًا بِلَا شَهْوَةٍ وَ رَكَّبَ فِي الْبَهَائِمِ شَهْوَةً بِلَا عَقْلٍ وَ رَكَّبَ فِي بَنِي آدَمَ كِلَيْهِمَا فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتَهُ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ مَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْبَهَائِمِ)[1] هذا البيان من الإمام يقدم من ناحية البنية الوجودية للإنسان و من ناحية أخرى يعبر عن دور أبعاد الوجود البشري في الوصول إلى أعلى العليين أو أسفل السافلين. لذلك إذا عرف الإنسان نفسه بشكل صحيح فسوف يفهم أن هناك قوتان من الذكاء و الشهوة فيه، و النتيجة هي أن له مصيره في النهاية، لذلك فهو يهيمن على العقل على شهوته و يأخذ قوى شهوانية. و هذا المبدأ ورد في القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها* فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها*وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها﴾ (الشمس/١٠-٧) عبارة « فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها» تشير هذه الآية إلى الأبعاد الوجودية للإنسان، و أن الإنسان يخلص بتغلبه على شهواته ويتكبد الخسارة باتباع شهواته.

البعد الثاني الذي أشار إليه الإمام علي عليه السلام في معرفة النفس ودورها في تنمية الفكر والتغلب على الشهوات هو كرامة النفس، لن يذهب الإنسان إلى الشهوات بإدراك مكانته في الخلق لأنه يعتبر الشهوة مقابل كرامته الوجودية، كما يقول الإمام في هذا الصدد: (مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ [شَهْوَتُهُ شَهَوَاتُه)[2] تعني كرامة النفس الاعتراف بالقيمة الوجودية للإنسان و مكانته في الخلق، و بهذه المعرفة لا يلوث الإنسان نفسه بالشهوات. و نتيجة لذلك فإن أحد أبعاد معرفة النفس هو سيادة العقل و إذلال الشهوات؛ فيبلغ الإنسان الفضائل الإلهية بمعرفة الأبعاد الصحيحة لوجوده و التخلي عن النفس الأمارة و توجه الحياة في طريق الله ؛ و قد روعيت في القرآن الكريم أبعاد الكرامة الإنسانية من عدة جوانب منها: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ في أَحْسَنِ تَقْويمٍ﴾ (التين/٤)؛ ﴿وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضيلاً﴾ (الاسراء/٧٠)، يقول هذا الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد: (طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَ طَابَ كَسْبُهُ وَ صَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَ حَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وَ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَ

(١) الصدوق، محمد بن بابويه، علل الشرائع، ج١، ص٤.
(٢) نهج البلاغة، حكمة ٤٤٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَ عَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ وَ وَسِعَتْهُ السُّنَّةُ وَ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى بِدْعَةٍ)[1]، كلام الإمام يشير إلى الدور الأعلى للعقل و إخراج النفس الأمارّة و الوصول إلى نتائجه في الحياة. يقول الإمام علي عليه السلام في وصف الأتقياء و الأبرياء و السالك إلى الله الذين طوروا عقولهم و أتقنوا شهواتهم: (قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَ أَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَ لَطُفَ غَلِيظُهُ وَ بَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَ سَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وَ تَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ وَ دَارِ الْإِقَامَةِ وَ ثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَ الرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَ أَرْضَى رَبَّه)[2] إن بيان الإمام علي هذا مبني بالكامل على نتائج معرفة النفس وعلو العقل على الشهوات. إن الإنسان بإدراكه لأبعاد وجوده و تفوق العقل على النفس يختار الطريق الصحيح و يحقق في النهاية رضاه الإلهي و رضوانه.

و في مكان آخر يصف الإمام علي عليه السلام الأتقياء الذين عرفوا وجودهم بشكل صحيح: (قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ الْحَقَّ وَ يَعْمَلُ بِهِ لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا وَ لَا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُه)[3] وفي رسالته لشريح ابن هاني في ترويض النفس و أخذها قال: (وَ خَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ وَ لَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ وَ اعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَزْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ [مَكْرُوهِهِ مَكْرُوهٍ سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً وَ [لِنَزَوَاتِكَ لِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ وَاقِماً قَامِعا)[4] يذكر الإمام عليه السلام في هذا الخطاب نتيجة عدم التغلب على النفس الأمارة الوصول إلى الكثير من الخسائر؛ لذلك يعتقد أن طريق التخلص من خسائر النفس الأمارة هي وضع عقبة في طريقها. تشير هذه العبارة إلى أنّ التّعرف على الأبعاد الوجودية مثل العقل و الشّهوة يمكن أن يكون فعالًا في جلب الإنسان إلى السعادة أو الشقاوة؛ لذلك فإن من يعرف نفسه بشكل صحيح سيقود إلى السعادة من خلال تغلب العقل على الشّهوات و ترويض النفس.

الرابع: معرفة النفس و الوصول إلى عزة النّفس و عبودية الله

---

(١)المصدر نفسه: حكمة ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه: خطبة ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه: خطبة ٨٧.

(٤) المصدر نفسه: الرسالة ٥٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

عزة النّفس يعني عبودية الله تبارك و تعالى، عندما يصل الإنسان إلى عزة النفس يصبح عبدا لله، و يكون تحقيق عزة النفس في ضوء معرفة جوهر الوجود و النفس. و قد ورد في القرآن الكريم أهمية عزة النفس و علاقتها بخدمة الله على النحو التالي: ﴿الَّذينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنينَ أَ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَميعاً﴾ (النساء/١٣٩)؛ ﴿مَنْ كانَ يُريدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَميعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَ الَّذينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَديدٌ وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر/١٠) تنصّ هذه الآية المباركة على أن الطريق الوحيد لتحقيق العزة الحقيقية هو عبودية الله. إنّ الإمام علي عليه السلام عالم بجوهر الوجود الإنساني فيحذره و يذكره بحقيقة وجوده و هو عزة النفس و عبودية الله تبارك و تعالى. بعبارة أخرى يذكر الإمام الغرض من الاعتراف بقيمة الإنسان هو تحريره من كل شيء غير الله و يقول: (وَ أَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَ إِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً وَ لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَ قَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً)[١] أي لا يجعل لغيره عليه فضل إحسان يسأله إيّاه فيسترقّه به، و يستوجب بذلك على نفسه خدمته و الاشتغال بشكره عن الله. و كلّ من جعله الله حرّا فيقبح أن يجعل نفسه عبدا لغيره.[٢] في مكان آخر يؤكد الإمام على أهمية معرفة النفس والغرض منها: (إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ وَ جَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلُّ مَا سِوَاه)[٣] كلمة الإمام هذه تعبر عن نتيجة معرفة النفس في ترسيخ الهوية الاسلامية، بعبارة أخرى عندما يدرك الإنسان قيمته الوجودية فإنه يعتبر أن جوهر وجوده هذا يستحق فقط خالقه و الهه، و لا يقبل الإذلال و الاستعباد أمام الآخرين؛ لأن كل شيء إلا الله هو مخلوق الله التواضع و الخشوع تجاهه ذروة الذل. و بناء على ذلك فإن معرفة النفس تجعل الإنسان يعرف قيمته الوجودية و بهذه الطريقة يعرف الغرض من خلقه و يعيش بشكل مختلف عن الحيوانات و المخلوقات الأخرى، و هذا الأمر يجعل الإنسان عبد الله الوحيد و هذه العبودية هي ذروة الشرف و الكرامة. يقول الإمام علي عن هذا: (فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَ تَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا)[٤] لذلك فإن إدراك قيمة المرء هو التحرر من كل ما يتعارض مع القيمة البشرية، و التي هي نهاية هذه العبودية لله و

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٣١.
(٢) البحراني، ابن ميثم، الشرح لنهج البلاغة، ج٥، ص٤٦
(٣) المصدر نفسه: خطبة ٢١٦.
(٤) نهج البلاغة: الرسالة ٤٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

التّحرر من كلّ شيء غير الله. يذكر الإمام علي عليه السلام أن الاعتراف بالكرامة و عزة النفس عامل في ترك الشّهوات و يقول: (مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ [شَهْوَتُهُ شَهَوَاتُه)[1] لذلك من تكرّم في نور الله لن يذلّ، سيقول الإمام عن هذا: (مَنْ تَعَزَّزَ بِاللَّهِ لَمْ يُذِلَّ سُلْطَان)[2] من خلال هذا فإن الاعتراف بالقيمة الحقيقية للإنسان يؤدي إلى استنتاج مهم مفاده أنّ الإنسان يبتعد عن الشيء الوحيد الّذي يعتبر نفسه سبب كرامته و سعادته هو الله، و لذلك يدير وجهه بعيدًا عن الآخرين و يحول عبادته إلى الله بصدق.

الخامس: معرفة النفس و تجنب الرذائل الأخلاقية

و للنفس البشرية أبعاد متعددة، يساعد معرفتها الإنسان على التّعرف على أضراره الوجودية و تجنبها، و قد وصفت النفس الأمارة في القرآن الكريم بما يلي: ﴿وَ ما أُبَرِّئُ نَفْسي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحيم﴾ (يوسف/٥٣) إن أحد الأبعاد الوجود البشري هو النفس الأمارة التي تأمر الشر و تنشأ الرذائل الأخلاقية من هذا البعد.

و قد اهتم الإمام علي عليه السلام بهذا البعد من الوجود الإنساني و أعلن عيوبه و حذر الإنسان من الالتفات إلى هذا البعد و حذر من طاعته و اتباعه. بعبارة أخرى قاد الإنسان إلى معرفة هذا البعد و تجنبه. فإن الرغبات الجسدية تعمي قلب الإنسان و تمنعه من الوصول إلى الحقيقة، و يشير الإمام علي عليه السلام إلى هذه الحقيقة للوجود البشري بهذه الطريقة: (وَ مَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ وَ أَمْرَضَ قَلْبَهُ فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ وَ يَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ وَ أَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ وَ وَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا)[3]

و نتيجة غلبة النفس هي هيمنة الشّهوات على العقل، مما يترك الإنسان على طريق السعادة و يقوده إلى دروب الكفر و الضلال، و يجعل الإنسان يتجنب الوصول إلى الحقيقة و قبول الحق، كما أشار إليها الإمام علي في كلام آخر و يقول: (اِتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَ أَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَة)[4] يشير الإمام علي عليه السلام إلى الرذائل الأخلاقية الموجودة في الإنسان، فإن معرفتها و السيطرة عليها يقودان إلى ضبط النّفس و الوصول إلى السّعادة و الكمال. الإمام علي عليه السلام في رسالة إلى معاوية يشرح فيها سبب ضلاله و شقاوته في اتباع شهواته النفسانية، و

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٤٤٩.

(٢) الآمدي، غرر الحكم، ص٨٤.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ١٠٩.

(٤) المصدر نفسه، خطبة ٤٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

يقول: (فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً وَ أَقْحَمَتْكَ غَيّاً وَ أَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ وَ أَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ)[١] كلام الإمام هذا يدلّ على أنّ الإنسان إذا عرف روحه المتمردة و علم بأضرارها الفادحة فهو في مأمن من مضارها.

و في المحور الثاني يشير الإمام إلى أمثلة الرذائل الأخلاقية التي تجتذبها النفس البشرية. في هذا المحور فإن معرفة النفس الأمارة من حيث الأمثلة هي أنّها تجبر الإنسان على الرذائل الأخلاقية مثل: الغطرسة و الغيبة و الكذب و الأنانية الموجودة في البشر.

يقول الإمام علي عليه السلام عن هذا: (أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ وَ رَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ وَ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَه)[٢] في هذه الكلمة توجد عدة أمثلة على الرذائل الأخلاقية الّتي تجبر النّفس البشرية، إن لم يتم السّيطرة عليها فتجبر الإنسان على فعلها. يقول الإمام علي عليه السلام أن الوعي الذاتي عامل في تجنب الرذائل الأخلاقية بحيث إذا كان لدى الإنسان عيب في نفسه فلن يلوم الآخرين على ذلك: (فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ وَ لْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ [غَيْرُهُ بِهِ بِهِ غَيْرُه)[٣] لذلك الإنسان بمعرفة نفسه إذا رأى عيوبًا في نفسه فلا يلوم الآخرين على ذلك و لا يسعى لإيجاد العيب لدى الآخرين لأنه يراها في نفسه و يحاول حلها؛ و إذا كان في غيره عيب لم يكن فيه فيكف عن لوم الآخرين لعدمه في نفسه. في هذا الصدد يشير الإمام عليه السلام إلى مثال آخر للرذائل الأخلاقية و يقول: (عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِه)[٤] في مكان آخر يتحدّث عن تأديب النفس و ضرورة منعها من العادات السيئة أو الرذائل الأخلاقية: (أَيُّهَا النَّاسُ تَوَلَّوْا [عَنْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا وَ اعْدِلُوا بِهَا عَنْ [ضِرَايَةِ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا)[٥] في هذا الصدد كما يقول: (وَ مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْه)[٦] في مكان آخر يشير إلى بعض الرذائل الأخلاقية الّتي تتعرض لها النفس البشرية و يقول: (وَ الْحِرْصُ وَ الْكِبْرُ وَ الْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ وَ الشَّر)[٧] يذكر الإمام علي

---

(١) المصدر نفسه: الرسالة ٣٠.
(٢) المصدر نفسه: حكمة ٢.
(٣) المصدر نفسه: خطبة ١٤٠.
(٤) المصدر نفسه: حكمة٢١٢.
(٥) المصدر نفسه: حكمة ٣٥٩.
(٦) المصدر نفسه: حكمة ٦.
(٧) المصدر نفسه: حكمة ٣٧١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

عليه السلام أنه إذا لم يستخدم لسان الإنسان بشكل صحيح فإنّ سبب القسوة هو أنّ الكثير من الذنوب تأتي من هذا اللّسان، فيقول: (وَ مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ وَ مَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَ مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ وَ مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ وَ مَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّار)[1] و عليه فإنّ الإمام يعرض و يقول حلاً هامًا في هذا الصّدد: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَقَّ بِطُولِ السِّجْنِ مِنَ اللِّسَان)[2] لذلك فإنّ الإنسان بمعرفة نفسه و علمها و أضرارها يتجنب الرذائل الأخلاقية و يأخذ زمام روحه و يقود إلى طريق السَّعادة.

السادس: معرفة النفس و نمو الفضائل الأخلاقية

إنّ المعرفة الصّحيحة بالنفس بالإضافة إلى إفراغ الإنسان من الرذائل الأخلاقية تجعل الإنسان يعرف الفضائل الأخلاقية لوجوده الّتي وضعها الله فيه و يحولها من الحالة الكامنة إلى الحالة الفعلية. يقدّم الإمام علي عليه السلام حلاً هامًا لهذا الأمر و في هذا الصّدد مستشهداً بسيرة المؤمنين يوضح السّبيل للوصول إلى الفضائل الأخلاقية و التّخلي عن الرذائل الأخلاقية بهذا الشكل: (وَ كَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ يَنْظُرُ [نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى [فَخَالَفَهُ فَيُخَالِفُهُ فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلَائِقِ فَالْزَمُوهَا وَ تَنَافَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِير)[3] لذلك فإن ما يخالف الهوى يعتبر فضيلة أخلاقية. فيقول الإمام علي عليه السلام في وصف البشر السالك إلى الله الذين عرفوا أنفسهم بشكل صحيح و التزموا بطاعة الله: (امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ وَ هُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ وَ مَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَ زَمَّهَا بِزِمَامِهَا فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَ قَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّه)[4]، ذكر الإمام علي عليه السلام في رسالة إلى ولده معايير الاهتمام الاهتمام بالفضائل الأخلاقية و تجنب الرذائل الأخلاقية: (يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَ اكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَ لَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَ أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَ اسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَ ارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِك)[5] في هذه العبارة تعتبر معرفة النفس عاملاً في اكتساب الفضائل الأخلاقية و تجنب الرذائل الأخلاقية، لأن الإنسان من خلال المراجعة إلى نفسه إلى

---

(١) المصدر نفسه: حكمة ٣٤٩.

(٢) الصدوق، محمد بن بابويه، الخصال، ص١٥.

(٣) نهج البلاغة: حكمة ٢٨٩.

(٤) المصدر نفسه: خطبة ٢٣٧.

(٥) المصدر نفسه: رسالة ٣١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الذات كلّ ما يحبّه لنفسه ستحبّه للآخرين، و ما لا يحبّه لنفسه لن يحبّه للآخرين. يقول في مكان آخر: (كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ)[١] أما في المحور الثّاني فيشير الإمام إلى بعض إمكانيات و فضائل النّفس البشرية الّتي تدفع المعرفة بها إلى توجه الإنسان إليها. يقول الإمام عن هذا: (وَ مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظ)[٢] وفي هذا الكلام يصرح الإمام على أنّ في الإنسان النّفس اللّوامة إذا انتبه لها الإنسان و استمع إليها تحميه من الذنوب. يشير الإمام علي عليه السلام في مواقف مختلفة إلى أهمية القناعة في الحياة كإحدى الفضائل الأخلاقية للروح البشرية و يقول: (وَ لَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ)[٣] النّفس البشرية لديها الكثير من الجشع الّذي إذا لم يتوقف فسوف يقتله، و على هذا الأساس فإن الإمام يعتقد أنّ علاج الجشع هو القناعة و يقول: (الْعَبْدُ حُرٌّ مَا قَنِعَ الْحُرُّ عَبْدٌ مَا طَمِع)[٤] يشير هذا الكلام إلى حقيقة النّفس أنّها إذا كان لدي الإنسان الكثير من الثروة و لكن جشعه الجسدي لم ينطفئ فهو عبد للعالم. لكن إذا أدرك صفة رذيلة النفسانية و عرف عيوبها و يزيّن نفسه بالعفة و القناعة، فإنّ هذه القناعة ستسبّب السّعادة و عزة النّفس البشرية؛ في هذا الصّدد كما يقول عن هذا: (إِنَّ أَهْنَأَ النَّاسِ عَيْشاً مَنْ كَانَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ رَاضِيا)[٥] لذلك فإنّ معرفة النفس و قدراتها دفع الإنسان إلى استخدام هذه القدرات و المواهب الداخلية و جعلها تزدهر و تتزين بالفضائل الأخلاقية.

نتائج البحث

بناءً على ما سبق يمكن سرد أهم مناهج هذا البحث في الحالات التالية:

١. معرفة الإنسان و أبعاده الوجودية من العناصر الّتي تمَّ التّأكيد عليها في مجال معرفة النفس و أهميتها في إسعاد الإنسان في التّعاليم الدّينية. الإمام علي عليه السلام كبوابة للعلم اللدني للنَّبيّ العظيم و حجة الله و وصي الرسول خاتم حقًا، كان عالما بأبعاد الوجود البشري و لقد عبر عن قدرات و جوانب الوجود الإنساني من أبعاد مختلفة للناس. و قد أشار الإمام علي عليه السلام إلى أبعاد الوجود الإنساني من الناحية الجسدية و الروحيّة. أهمّ جانب من جوانب مناقشة معرفة النفس في تعاليم الإمام علي هو شرح مكانة معرفة النفس في الأنسنة و ترسيخ الهوية

---

(١) المصدر نفسه: حكمة ٤١٢.

(٢) المصدر نفسه: حكمة ٨٩.

(٣) المصدر نفسه: حكمة ٣٧١.

(٤) الآمدي، غررالحكم، ص٣٩١.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٩٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الاسلامية و ما هي آثار و نتائج معرفة الإنسان بالنفس و أبعادها الوجودية على سعادة الإنسان و كماله. وفقًا لذلك تمَّ تحليل العديد من نتائج دور معرفة النفس في ترسيخ الهوية الاسلامية في هذه الدِّراسة.

٢. يقول الإمام علي عليه السلام أنّ أهمَّ نتيجة لمعرفة النفس هو علم اللاهوت. يقول الإمام أنّ هدف معرفة النفس هو معرفة الله و عبوديته و يمكن تحقيق ذلك بطريقتين: أولاً عندما يعرف الإنسان وجوده و يدرك أبعاد وجوديته و أسراره، ثمَّ يدرك خالقه العظيم و الكبير و من خلال ذلك تزداد معرفته بالله. ثانيًا بمعرفة نفسه يجد الغرض من خلقه؛ عندما يتعرّف الإنسان على نفسه فيكتشف خالقه و من خلاله يكتسب معرفة أنّه خُلق للوصول إلى الله و ليس للعمل العبث و اللعب و اللهو؛ لذلك بمعرفة نفسه يجد هدفه و من خلاله يحقق معرفة الله و عبوديته.

٣. المحور الثاني لنتائج معرفة النفس هو محور الآخرة و التّحرّر من لهو و لعب الدّنيا. بهذه الطريقة يدرك الإنسان قيمته الوجودية من خلال معرفة نفسه و من خلال الاعتراف بقيمته الوجودية لا يعتبر هذا العالم جديراً بهذا الوجود لنفسه. لذلك يحاول الوصول إلى العالم الأبدي حيث يعبر الإمام علي عليه السلام عن ثمن الوجود البشري باعتباره الجنّة. بمعني أنّ قيمة الإنسان عالية لدرجة أنّ الفردوس وحده يستحقّها. المحور الثاني في مناقشة النتيجة الأنثروبولوجية للوصول إلى الآخرة هو الانتباه إلى عدم خلود الإنسان؛ بسبب موت الإنسان و تدمير جسده يدرك الإنسان أنّه لن يكون أبديًا في هذا العالم، لذلك لا يكرس نفسه للعالم الفاني بل يستعدّ للعالم الأبدي و الآخرة.

٤. النتيجة الثّالثة للنتائج معرفة النفس هي نموّ العقل من خلال التغلّب على هواء النفس. الإمام علي عليه السلام في أهمية معرفة الإنسان و اختلافه مع الملائكة و الحيوانات يشير إلى أنّ الإنسان يتكوّن من العقل و الشَّهوة. إذا تغلّب عقله على الشّهوات فإنّ مقامه أعلى من مكانة الملائكة، و إذا تغلبت الشّهوة على العقل فهو أدنى من الحيوانات. هذه النقطة تقود الإنسان إلى معرفة أنّه من خلال التّعرف على قدراته العقلانية و الشَّهوانية فإنّه يحاول أن يسيطر العقل على الشَّهوات و يهتدي إلى السَّعادة.

٥. النتيجة الرابعة للنتائج معرفة النفس لترسيخ الهوية الاسلامية هي الوصول إلى عزة النَّفس و العبودية لله. في تعاليم الإمام علي عليه السلام خلق الإنسان الحرّ و لا يليق به أن يكون عبداً

مثله. و بناءً على ذلك عندما يدرك الإنسان جوهر وجوده فإنّه يصل إلى عزة النّفس، و مع عزة النّفس فهو يعتبر الله وحده مستحقًا للعبودية و يتجنّب غيره وعبوية غيره.

٦. النتيجة الخامسة للنتائج معرفة النفس في تعاليم الإمام علي ﷺ تجنب الرذائل الأخلاقية. بمعني آخر إنّ الإنسان بإدراكه لأبعاد وجوده و معرفة النّفس الأمارة الّتي في وجوده يسيطر عليها و يتجنّب الرذائل الأخلاقية. ثانيًا: إنّ الإنسان بإدراك الشّهوات و رذائله الأخلاقية يسيطر عليها و يمنع تمردها و عصيانها.

٧. النتيجة السادسة للنتائج معرفة النفس هي نموّ الفضائل الأخلاقية في البشر. مثلما يتحكّم الإنسان فيه بمعرفة نفسه و شهواته يمنع تمرّدها من خلال إدراك قدراته الوجودية و فضائله الأخلاقيّة الّتي وضعها الله فيه، فإنّه يزدهرها و يحولهم من إمكانات إلى فعلية. لذلك من خلال التّعرف على الإنسان و أبعاد وجوده، يسبّب أن يفهم أبعاد وجوده بشكل صحيح و أن يدرك أبعاد وجوده من خلال الفكر و التّأمل و التّدبر، و سوف يدرك بلا شك خالقه العظيم و نتيجة لذلك يستعبده و بالتالي كلّ ما لا يوافق عليه يتجنّبه و يقود بوجوده إلى كمالات و فضائل الملكوت الّذي خلقه الله من أجله.

المنابع و المصادر

القرآن الكريم.

١, ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، قم: مكتبة آيت الله المرعشي النجفي.

٢. افلاطون، فترة أعمال أفلاطون، ترجمة: محمد حسن لطفي و رضا كاوياني، طهران: منشوررات الخوارزمي، ١٣٦٣ش.

٣, الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم و درر الكلم، قم: منشورات المحدث، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ هـ.

٤, البحراني، ابن ميثم، الشرح لنهج البلاغة، قم: مكتبة الفقاهة الالكتروني.

٥. بهروز، صمد، نصيرى، عبدالله، لتعرف على الضرر الّذي يلحق بالكرامة الإنسانية من منظور نهج البلاغة، العوامل المعرفية والسياقات ، مجلة معرفة النفس، السنة الثانية عشرة ، العدد ٣٣ ، ٢٠١٥م.

٦.رضايى هفتادر، حسن، نصيريان، صفر، رياحي مهر، باقر، دراسة التطور النفسي البشري من منظور التربية الإسلامية مع التركيز على نهج البلاغة ، مجلة نهج البلاغة البحثية ، السنة ٦ ، العدد ٢٢ ، ١٣٩٧ش.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٧.سيد بن طاووس، مهج الدعوات و منهج العبادات، قم: منشورات دار الذخائر، ١٤١١هـ.
٨.السيد رضي، نهج البلاغة، قم: منشورات هجرت، ١٤١٤هـ .
٩.صدرالدين الشّيرازي، محمد، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة، قم: مكتبة المصطفوي، ١٣٦٨ش.
١٠.الصدوق، محمد بن بابويه، الخصال، قم: جامعة المدرسين، ١٣٦٢ش.
١١.الصدوق، محمد بن بابويه، علل الشرائع، قم: منشورات داروي.
١٢.الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم: منشورات المكتب الاسلامي، ١٤١٧ق.
١٣.عباسيان جالشترى، محمدعلى، مجالات النفس والعلاقة النفسية بين الله والإنسان في نهج البلاغة، مجلة الأبحاث العلوية، السنة ١٠، العدد ٢، ١٣٩٨ ش.
١٤.علائي رحمانى، فاطمه، سالارى، زينب، أثر البيئة الأسرية والإرادة في تكوين الشخصية الإنسانية من منظور الإمام علي ، مجلة نهج البلاغة البحثية ، السنة الثانية ، العدد الخامس ، ٢٠١٤م.
١٥.غياثى، على، إعادة بناء مناطق الوجود البشري من منظور نهج البلاغة ، مجلة نهج البلاغة ، السنة ٦ ، العدد ٢٢ ، ١٣٩٧ش.
١٦.الكاشاني، فيض، الشافي في العقائد و الأخلاق و الأحكام، قم: مكتبة الفقاهة الالكتروني.
١٧.المجلسي، محمدباقر، بحار الانوار، بيروت: دار احياء التراث، ١٤٠٣هـ .
١٨.مشايخى بور، محمدعلى، قراملكى احد، فرامرز؛ صادقى، هادى، دراسة في مفهوم معرفة الذات في منظور الإمام علي، مجلة معرفة النفس الدينية، السنة الرابعة عشرة ، العدد ٢٠، ١٣٩٧ ش.
١٩.المكارم الشيرازي ، ناصر، رسالة أمير المؤمنين عليه السلام (شرح نهج البلاغه)، طهران: منشورات دار الكتب الاسلامية، ١٣٨٦ش.
٢٠.الميبدي، حسين بن معين الدين، ديوان أمير المومنين، محقق: مصطفى زماني، قم: دار نداء الاسلام للنشر، ١٤١١هـ.

ISBN: 978-9922-21-412-2

دور التنشئة الاجتماعية الدينية في تكوين الهوية الإسلامية وتحدياتها (دراسة حالة أهداف التنمية المستدامة)

أ.م.د. مسلم طاهري كل كشوندي/ كلية الالهيات- جامعة طهران

راضيه قاسمي فيروزآبادي/ كلية المعارف والفكر الإسلامي ، جامعة طهران

muslimtaheri@ut.ac.ir

الملخص

يتناول هذا المقال "دور التنشئة الاجتماعية الدينية في تكوين الهوية الإسلامية وتحدياتها(دراسة حالة أهداف التنمية المستدامة الفان و ثلاثون)". تلعب الثقافة دورًا كروح لكل مجتمع وتاريخ وحضارة ، وهي ليست منفصلة عن المجالات الاجتماعية الأخرى، تمامًا كما أن ركائز المجتمع الأخرى مثل الاقتصاد والسياسة والأنظمة الاجتماعية ليست منفصلة عن الثقافة. تستمر الثقافة دائمًا في حياتها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. إن تهديد هذه العملية وإهمال قدرات التنشئة الاجتماعية يتسببان في بدائل ثقافية للصراع مع الثقافة الراسخة في المجتمع الديني وإزالتها تدريجياً من الميدان. لذلك ، تضع الحكومات سياسات على هذا الأساس من أجل التخطيط لعملية التنشئة الاجتماعية الخاصة بهم وفي السنوات الأخيرة، عمل نهج الثقافية الغربية على تغيير هذه العملية في دول العالم بشكل عام والدول الإسلامية بشكل خاص. ومع تقديم وثيقة التنمية المستدامة (وثيقة عشرين وثلاثين) ، والتي يبدو أنها الإجراء الأكثر شمولاً الذي اتفق عليه المجتمع الدولي لتحقيق التنمية المستدامة منذ عام عشرين وخمس عشر، فقد حاولت جعل عملية التنشئة الاجتماعية إلزامية من خلال المطالبة بالامتثال لها. مبادئ هذه الوثيقة. جعل الدين يخضع للتغييرات ونقله من التنشئة الاجتماعية الدينية إلى التنشئة الاجتماعية غير الدينية. السؤال البحثي الرئيسي هو كيف تكون التنشئة الاجتماعية الدينية فعالة في تشكيل الهوية الإسلامية ، وفي غضون ذلك ، ما هي التحديات التي ستشكلها وثيقة التنمية المستدامة لعام عشرين وثلاثين على الهوية الإسلامية؟

الكلمات المفتاحية: التنشئة الاجتماعية الدينية ، الهوية الإسلامية ، وثيقة التنمية المستدامة عشرين وثلاثين.

مشكلة البحث:

من الضروري القول إن التفكير في القضية الثقافية هو التفكير في قضية الهوية ، والتشكيك في القيم والمعايير المختلفة بين أعضاء المجتمع التي تحدد حدود هويتهم والتمييز بين "أنا" و

"الآخر". تتجلّى الهوية الشخصية الفردية والجماعية لأفراد المجتمع في مثلث الرؤية والشخصية والفعل. إن تواصل أو انقطاع المجالات الثلاثة للرؤية والشخصية والفعل هو مؤشر على هوية المجتمع. ففي الفكر الإسلامي ، كلما اقتربت الرؤية من الحقيقة الإنسانية ، اشتُقّت القيم والأعراف منه وانتظم البناء النشط لأفراد المجتمع. واذا تمّ إحياء الهوية الإسلامية في المجتمعات البشرية ، فسيسير الانسان نحو الحياة المتعالية وسيكون للإيمان العميق بالقيم الدينية بين المجتمعات الإسلامية آثار لا يمكن إنكارها في الساحة الاجتماعية. بحيث تجعل الطبيعة الحية والديناميكية لهذه المعتقدات الدينية لا تقتصر فقط على النضج الثقافي للمسلمين ، وإنما ستغلق الطريق للتأثير الكامل لنظام الهيمنة على المجتمعات الإسلامية في مختلف الطبقات الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. . من خلال هذه المقدمة ، يمكننا أن نصل إلى سؤال كيف يمكن للتنشئة الاجتماعية أن تشكل الهوية الإسلامية وكيف تعمل ضد العقبات والتحديات القائمة؟ وكيف وبأي طريقة تم التخطيط لبرنامج التأثير في الطبقات الثقافية للمجتمعات في المنظمات والموسسات الدولية، والتي تمكنت من إملاء أهدافها الثقافية الموحدة على المجتمعات الأخرى في شكل اتفاقيات وبرامج التنمية.؟

مفاهيم البحث

الهوية: هي إدراك الذات أو الوعي الذاتي الفردي والجماعي ، وعندما يتم رسمها أمام الآخر والآخرين ، فإنها تخلق شعورًا بالالتزام والتعلق والالتزام الاجتماعي. لذلك ، تحاول المجتمعات ترسيخ أسس المعرفة والهوية لثقافتها ، وإذا كانت لديها القدرة على هذا النظام للرؤية ، فإنها ستكون قادرة على تعميم القيم والمواقف المنتجة خارج حدودها الجغرافية ، مما سيخلق الهيمنة إلى جانب القوة السياسية والعسكرية لذلك البلد. إنها تجمع وتنسق الرأي العام في العالم بما يتماشى مع مصالحها الخاصة ، ولهذا السبب ، تعتبر الهوية أحد العوامل التي تخلق وتعزز القوة الناعمة للدول .

تظهر الهوية الإسلامية الشعور بالانتماء والالتزام بدين الإسلام والمجتمع الديني المبني عليه ، ومن أهم إنجازاتها الإجابة على الأسئلة الأساسية وتوجيه الحياة ووحدة العقيدة وإعطاء معنى للعالم. الهوية الإسلامية هي في الواقع تمثيل لحقيقة أنه لا يوجد شخص أو مجموعة لها الأفضلية على شخص أو مجموعة أخرى والمقياس هو التقوى كما أن الهوية الاسلامية هي شعور المسلمين بالنسبة لأنفسهم وما يراه غيرهم بالنسبة لهم وهذا ما يجمع المسلمين تحت عنوان واحد وهو الأمة الاسلامية. إن العناصر المكونة للهوية الإسلامية هي: الإيمان بدين الإسلام ،

والتمسك بالمظاهر الإسلامية ، والالتزام بالقواعد والشعائر الإسلامية ، والأعمال والمناسبات الدينية المشتركة ، والتاريخ المشترك للإسلام منذ ظهور الإسلام حتى الآن. (بابائي ، زارش ، ١٣٨٣: ١٩٥) لذلك ، يجب النظر إلى الهوية الإسلامية فيما يتعلق بالأفراد والثقافة والمعتقدات والمنظمات الدينية كتجمعات دينية ، فهذه المجتمعات تخلق هوية دينية. (حاجاني ، ١٣٨٨: ٣٦٠)

بالإضافة إلى إدراكنا للهوية والهوية الإسلامية ، فإن كلمة مجتمع مهمة أيضًا ، وما نعنيه بالمجتمع هو مجموعة من الأشخاص الذين يتم دمجهم مع بعضهم البعض حول هدف وغاية وطريقة حياة مشتركة والتي تظهر في حياتهم. (انظر: مطهرى،٢٠١٥ ، ص ٣٣٣) من أجل تحقيق هذا الهدف المشترك والهدف وطريقة الحياة من جهة ومواصلة هذا التوافق والهدف المشترك للأعضاء ، من الضروري اعتماد عملية تسمى "التنشئة الاجتماعية" والتي تعني التكيف مع المجتمع والتعرف على المجتمع. (Haqshin et al.، 2016،p.842) وهي عملية فاعلة ومستمرة وحتمية لتعلم النماذج الفكرية والأنماط السلوكية وأساليب الحياة ، والاخلاق الجماعي وبلورة الأنا الاجتماعية ، ووعي الذات أو التعرف على الذات ليظهر في المجتمع ويستمر ككائن ذات هوية محددة وهوية مستقلة (كوين ، ٢٠١٦).

إن تحقق عملية التنشئة الاجتماعية يؤدي الى، دفع كل مجتمع لإيجاد نمطه الخاص والمحتوى المطلوب لإدارة هذه العملية ؛ وقد جاءت الاديان السماوية لإدارة هذه العملية ، وبهذا المعنى ، يعتبر الدين طريقة سلوك في الحياة، والتي تسعى إلى توفير الخير للعالم. إذا كان هذا النوع من الدين ينسجم مع كمال الآخرة والحياة الأبدية الحقيقية التي وهبها الله تعالى للحياة البشرية ، فإنه سيدرك الدين المنشود. لذلك يجب على الدين أن يتعامل مع قواعد الحياة الدنيا وأحوال المعيشة بقدر الحاجة. (طباطبائي ، ١٣٨٥ ، المجلد ١٩ ، ص ١٧١)

لذلك ، فإن التنشئة الاجتماعية الدينية ، مثل المفهوم العام للتنشئة الاجتماعية ، هي عملية مستمرة للتعليم والتعلم ، مع اختلاف أن هذا التعلم موجه إلى عالم ديني وفضاء مقدس. يعتبر البعض (Inskeep 1988: 1) التنشئة الاجتماعية الدينية كعملية تعليم وتعلم، يتعلم الناس من خلالها النظر إلى العالم بطرق مختلفة: "كعالم مليء بالمعاني والآثار الدينية" وقد لحض بعض المفكرين الآخرين مثل كورنوال (١٩٨٧) مسألة التنشئة الاجتماعية الدينية في هذا التعريف المختصر: التنشئة الاجتماعية الدينية هي "الأسس الاجتماعية للدين" (فروتان ، ١٣٨٧: ص ١٠٧)

إن الافراد بعد السير في طريق التنشئة الاجتماعية الدينية ، ربما اختلفوا في طي مراحل التدين والنظام المنطقي والعقلاني وفقًا لظروفهم ويبادرون الى ترسيخ تدينهم وتقويته من خلال الحركة في هذه المسيرة من مرحلة الى أخرى. يعتقد بعض الباحثين كما (في نموذج فيني النظري) أن ترتيب إحداث التدين وإدراكه يبدأ بالممارسة ويصل إلى المعرفة والخبرة والأفكار وينتهي أخيرًا بالعبادة. بالطبع ، الا أن هذا النموذج يغفل عن العلاقات المتبادلة في مراحل التدين المختلفة.

ويعتقد آخرون أنه من أجل الحصول على فهم أفضل لعملية التنشئة الاجتماعية ، يجب علينا الانتباه إلى أربعة عناصر على الأقل ، مصدر التنشئة الاجتماعية (فرد أو مؤسسة تعليمية) ، وعملية التدريس والتعلم ، والهدف والمنتج. عملية التنشئة الاجتماعية. إن المصادر الرئيسية والتقليدية للتنشئة الاجتماعية الدينية هي: المدارس والأسرة والمؤسسات والمؤسسات الدينية (مثل المسجد) (Forotan، 2012)

في مراجعة أعمال معظم علماء الاجتماع ، تم تقديم المؤسسة التعليمية والمدرسة بعد الأسرة ، وهي الأساس الرئيسي في التنشئة الاجتماعية الدينية. من الواضح أنه في المجتمعات الدينية ، وجود أضرار وتحديات يمكن أن تضر بهذه العملية ومن إحدى الحالات التي يمكن ذكرها في السنوات الأخيرة كتحدٍ معرفي وعملي خطير لتشكيل الهوية الدينية في المجتمعات الإسلامية هي وثيقة اليونسكو للتنمية المستدامة.

وثيقة التنمية المستدامة والتحديات الناشئة عنها التنمية مفهوم تم إنشاؤه لأول مرة بعد الثورة الصناعية ، والذي كان مرادفًا للنمو الاقتصادي ، وبمرور الوقت ، اشتمل على مكونات مثل التنمية الاجتماعية ، والتنمية البيئية ، والتنمية البشرية. (مشهدي ، ٢٠١٤ ، المجلد ١ ، ص ٢٠٩) تدريجيًا ، في السبعينيات ، تم أيضًا استخدام مفهوم التنمية المستدامة ، وتم الاعتراف بالإنسان باعتباره أهم عامل في هذه الاستدامة في العالم. (Aghaei، 1382، Vol. 59، pp. 12–14) بعد ذلك ، تم إدخال التنمية المستدامة باعتبارها السبيل الوحيد للخروج من الأزمات البيئية ، وحياة الإنسان وحقوق الإنسان في العالم. منذ عام ١٩٩٢ ، كانت اليونسكو ، بصفتها مركزًا متخصصًا للتعليم والثقافة للأمم المتحدة ، مسؤولة عن تحقيق الأهداف التعليمية لوثيقة التنمية المستدامة. في هذا الصدد ، عقدت القمة العالمية للتعليم في كوريا الجنوبية في عام عشرين وخمس عشر، واتفق الأعضاء على خطة عالمية مدتها ١٥ عامًا تُعرف باسم إعلان إنتشيون لتحقيق الأهداف المذكورة أعلاه وتحديد إطارها الزمني على أنه عشرين وثلاثين ، والذي

قدم أيضًا وثيقة بنفس الاسم. تمت الموافقة على هذه الوثيقة في المؤتمر العام لليونسكو في باريس في نفس العام.

وثيقة التنمية المستدامة لعام عشرين وثلاثين هي الإجراء الأكثر شمولاً الذي اتفق عليه المجتمع الدولي منذ عام عشرين وخمس عشر لتحقيق التنمية المستدامة. بالنظر إلى أهمية ومكانة التعليم في عملية التنشئة الاجتماعية وتعتبر هذه الوثيقة التعليم هدفها الرئيسي الرابع وتفرض روايتها الكلية في مجالات مختلفة من صنع السياسات في العالم في سياق الأفكار الغربية الاومانية والعلمانية. تحتوي الوثيقة على مبادئ توجيهية تحاول إظهار نفسها كقواعد عامة وعالمية ويتم اقتراحها على البلدان الأخرى في شكل توصية دولية وتشجعها على اعتمادها من خلال قوانينها المحلية والانضمام إليها وتنفيذها في الهيئات التنفيذية. تتكون الوثيقة الرئيسية من سبعة عشر هدفًا رئيسيًا ومائة وتسعة وستين هدفًا ثانويًا.

يبدو أن اليونسكو ، كمؤسسة ثقافية ، ملزمة بوضع قضية التعليم بجدية في البلدان الأخرى في قائمة أعمالها من أجل مأسسة الهيكل الحالي للنظام الدولي أو من أجل منع الأزمات التي تهدده والتغلب عليها ، والحفاظ على التنمية الغربية. وأهدافها بين الدول المختلفة. في هذا الصدد ، ما يمكن رؤيته بسهولة هو بعض المكونات الصعبة التي تتفق مع نظام التفكير الإنساني في هذه الوثيقة: التعليم الجنساني الشامل ، والقضاء على العنف ، والقضاء على الصور النمطية للجنسين ، والاهتمام الخاص بحقوق الفئات الضعيفة ، وما إلى ذلك. التي تم اقتراحها كمقترحات لقياس التطور ، بينما هي في تناقض واضح مع الإطار الثقافي والاجتماعي والديني للمجتمعات الإسلامية. في هذه المهمة ، تستخدم اليونسكو التعليم كأداة لتغيير ثقافة المجتمعات الأخرى مع إدراجه كواحد من الأهداف السبعة عشر لوثيقة –. يظهر التركيز على التعليم أهميته في عملية إضفاء الطابع المؤسسي على هذه الثقافة.

تتكون وثيقة التدريب على التنمية المستدامة من وثيقتين: إعلان إنشيون وإطار العمل. في كلتا الوثيقتين ، تم اقتراح مصطلحات مثيرة للجدل كأهداف واستراتيجيات تعليمية تروج للفكر العلماني والاوماني والليبرالي وتتعارض مع النظام الفكري العملي للإسلام. تتحدث الفقرة الخامسة من إعلان إنتشون بوضوح عن هيمنة الآراء والتعاليم الإنسانية بغض النظر عن نظام الوحي. بناءً على الرؤية الإنسانية ، تعتبر رغبة الإنسان وإرادته من أسمى أهداف المجتمع البشري. وعلى هذا الاساس، بتغيير احتياجات الإنسان ورغباته وحقوقه وأخلاقه. (توني ، ١٣٧٨: ص ٢٨) وينكر الامور الفطرية.

ISBN: 978-9922-21-412-2

في الفقرة خمس وعشرين من الوثيقة، نحن ملتزمون بتوفير تعليم جيد على جميع المستويات بما في ذلك: الطفولة المبكرة ، والابتدائي ، والثانوي ، والجامعي ، والفني ، والمهني. كما نسعى جاهدين لنمو الأطفال والشباب في بيئة بناءة حتى تزدهر مواهبهم ويتمتعوا بجميع حقوقهم ، وبهذه الطريقة نساعد البلدان على الاستفادة من "العائد الديموغرافي" من خلال إنشاء مدارس آمنة ويمكن للمجتمعات المتماسكة والأسر تحسين نموها الاقتصادي. هذه الأهداف هي بيان طموح لتعليم متساو لجميع الأطفال ، ولكن في ظل هذه الخطابات الجميلة ، هناك قوة تحاول نشر أهداف نظام التعليم الاوماني بين الأجيال القادمة في العالم. لذلك ، تعتبر هذه الوثيقة من بين التهديدات الناعمة.

إن الرؤية التي تعرضها وثيقة عام عشرين وثلاثين لتحقيق العدالة والسلام في العالم مستمدة من الشمولية والوحدة الثقافية الذي يمكن أن تخلقه الهيمنة الشاملة للثقافة الغربية وسيطرتها. هذا المشروع يتعارض بشكل واضح مع أفكار ومثل الإسلام. فإقامة نظام عدالة ونظام عالمي وفق نهج ديني وتنفيذ الدين الإسلامي ، أمر ممكن الا أنه وفقاً لهذه الوثيقة سوف لن يكون قادراً على التحقق.

في التعاليم الدينية ، من الممكن إنشاء عدالة عالمية في سياق عقلاني قائم على الشريعة فقط، ولكن في وثيقة عشرين وثلاثين، أوكلت هذا العمل للحكومات والدول والشعوب والمنظمات القائمة ذات الرؤية العرفية بعيد عن الوحي. من أجل تحقيق أهداف الإنسان السامية وإرساء العدالة الإلهية على الأرض ، يجب القضاء على مناشئ الظلم والقهر ، أي يجب مواجهة الظالم والشر والقضاء عليه أولاً ، لأن الشر لا يتوافق مع الخير والحق أبداً. فالحاجات الروحية والمعنوية للبشر ، والتي لها تأثير كبير على مصير وصحة حياة الإنسان ، قد أهملت في وثيقة عام عشرين وثلاثين ، كما أن دور الأخلاق الإلهية والحياء ، لم تؤخذ بنظر الاعتبار في هذه الوثيقة. ولم يظهر دور الله في هذه الوثيقة وفي تطبيق العدل والسمو والتنمية، فهل تحقيق العدل والسلام في ظل عبودية الله أو في ظل التمرد ونسيان الله والبعد عن مفهوم العبودية؟ (رضائي ، شهلا ، ١٤٠١: ٣٣٩-٣٦٨)

وهناك مسألة أخرى هي ما إذا كان من الممكن فهم أهداف هذه الوثيقة فقط من خلال المصطلحات والكلمات الواردة فيها؟ وهل اتخذت اليونسكو حتى الآن موقفًا متساويًا تجاه الدول المختلفة من أجل القضاء على الفقر وإحلال الأمن والسلام والتعليم؟ أو أنها اقتصرت على

عبارات جميلة تحترم التنوع الثقافي ، ولكنها تحاول القضاء على الثقافة الدينية وتعزيز الثقافة الغربية الضعيفة والفارغة؟

إن المجتمع البشري المتعالي من وجهة نظر الإسلام ، لا يتحقق على أساس إرادة الإنسان المتغيرة والمتزلزلة ، وإنما على أساس احتياجاته الطبيعية والفطرية والمصلحة الالهية(مقدم ، ٢٠١٣: ص ٤٢). وعندها ستكون المبادئ الأخلاقية والامور الفطرية واحدة في جميع الثقافات والمجتمعات. إن التنوع الثقافي لا يمكن أن يؤدي الى إلحاق الضرر بالامور الفطرية والحدود الأخلاقية. وهذا هو أوضح الفروق بين تصورات هذه الوثيقة وتعاليم الإسلام.

هناك مشكلة أخرى تترتّب على قبول هذه الوثيقة وهي أنه من خلال قبولها ، ستصبح وثيقة حاكمة على جميع قوانين الدول والمجتمعات ولابد من تنفيذها. ففي إيران ، تتعارض هذه الوثيقة على الأقل مع خمس وثائق أساسية للنظام وهي:

١, السياسات العامة للعلوم والتكنولوجيا (نظام التعليم العالي والبحث والتكنولوجيا)

٢, السياسات العامة للتحول في نظام التعليم للبلد

٣. السياسات العامة للنظام النمو والتطور العلمي والبحثي للبلد في مجال التعليم العالي ومراكز البحوث

٤, الخارطة العلمية الشاملة للبلد ،

٥. وثيقة التحول الأساسي للتربية والتعليم التي أقرها المجلس الأعلى للثورة الثقافية

إن الروح الحاكمة لوثيقة عشرين وثلاثين هي قبول المواطنة العالمية والتنازل عن جميع المعتقدات والقناعات التي يمكن أن تكون عقبة أمام هذا القبول. وبطبيعة الحال ، فإن دين الإسلام يعارض العديد من الأفكار والانحرافات الفكرية والأخلاقية التي تبلورت في النظام الاوماني. فما يجب التخلي عنه هنا هو الهوية الدينية التي تفقد لونها في ظل قبول هذا المواطن العالمي. وثيقة عشرين وثلاثين مع عناوين مثل تعزيز أنماط الحياة المستدامة ، والمساواة بين الجنسين ، وتعزيز ثقافة السلام واللاعنف ، والمواطنة العالمية ، واحترام التنوع الثقافي والتعاون الدولي لتربية المعلمين ، بعد انتشار ثقافة الحياة الغربية ومحو الدين من المعتقدات و حياة الإنسان الفردية والاجتماعية. وإذا كان تحقيق أهداف نظام الهيمنة على العالم لترسيخ أسس سلطته على الأمم الأخرى قد قام حتى الآن على أساس فكرة العلمانية والانتقال من الدين في المجال الاجتماعي ، فهو اليوم وتحسباً من انكشاف عبثية أفكاره فهو بحاجة الى إزالة الدين من

ISBN: 978-9922-21-412-2

الحياة الشخصية والمعتقدات لكل فرد. وهذا ما يتحقق على يد الأذرع الثقافية للنظام العالمي أو اليونسكو.

في هذه الوثيقة ، الأمثلة المعروفة بالتمييز أو العنف الجنسي والتي يجب استبعادها ، كلها متجذرة في المعتقدات الدينية. الحجاب وتجريم العلاقات الجنسية والتجريم وانعدام حرية المثلية الجنسية ومخالفة ولاية الزوج في الحياة والقوانين المقيدة للإجهاض وما إلى ذلك ، هي من بين الحالات التي يجب إزالتها من الخط الأحمر لمعتقدات المجتمع الديني من خلال قبول هذه الوثيقة. إن عبارات مثل "الفصل بين الجنسين في البيئة التعليمية هو مثال على العنف الجنسي" ، و "الأعراف والقيم الثقافية التي تعيق تعليم الفتيات" ، و "منع الزواج المبكر بسبب الابتعاد عن التعليم " التي تضمنها الوثيقة هي أيضا من بين الحالات التي تُستخدم لتحقيق أهداف هذه الوثيقة.

إن أهداف وثيقة عشرين و ثلاثين تتجاوز كثيراً ما يتم تقديمه على ما يبدو كوثيقة تعليمية. في الوقت نفسه ، في عموميات هذه الوثيقة ، تم تحديد الفئات المستهدفة والمحتوى والغرض والمبادئ العامة للوثيقة على النحو التالي:

الفئات المستهدفة: جميع الأشخاص بغض النظر عن الجنس ، والعمر ، والعرق ، واللون ، والقومية ، واللغة ، والدين ، والرأي السياسي ، وجذور الوطنية أو الاجتماعية ، ورأس المال أو مكان الولادة ، والمهاجرون والمواطنون الأصليون ، والأطفال والمراهقون وعلى وجه الخصوص أولئك الذين هم عُرضة للضرر.

محتوى التعليم: التعليم أداة شاملة وحيوية يجب أن يكون محتواها تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان ، ويساعد على تعزيز حقوق المواطنة العالمية والتسامح والمشاركة المدنية والتنمية المستدامة.

الهدف من التعليم: التعليم وسيلة لتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة ، وتمكين النساء والفتيات من المشاركة السياسية والاجتماعية الكاملة ، أو تمكينهن من منظور اقتصادي. التعزيز المتبادل للتسامح والصداقة والسلام.

من خلال دراسة المناهج الإستراتيجية لهذه الوثيقة ، يتم التأكيد على عدة نقاط:

_ يجب على الحكومات أن تعمل بنشاط وتعاون في مجال مراجعة الأنشطة في نظامها التعليمي. وتلتزم بتحويل هذه الاهداف الى قضايا وطنية ويجب أن تكون مسؤولة بالكامل عنها.

_ محاولة النظام التعليمي لاستقطاب المنبوذين أو المعرضين للخطر أو المهمشين. وهولاء الافراد في تفسيرات المؤسسات الدولية ، يشمل الاشخاص المنحرفين دينياً ، وذلک من قبيل البهايية في المجتمعات الشيعية أو الجماعات ذات الميول الجنسية المثلية في المجتمعات البشرية.

_ الاتجاه الجنساني الذي يشمل العديد من الأشياء مثل محاولة الحكومة لضمان المساواة بين الجنسين ، وتدوين سياسات لاحترام حقوق المرأة والرجل ، والقضاء على التمييز والقوالب النمطية بين الجنسين ، والقضاء على عدم المساواة بين الجنسين ، وما إلى ذلك.

– ضمان مراجعة الكتب المدرسية بما يتوافق مع الأهداف التربوية لليونسكو ، والاهتمام بدور المعلم ، وتدوين استراتيجيات تدور حول محور الجنسانية وتقديم منح دراسية في تدويل التعليم العالي.

– خلق بيئة تعليمية آمنة

وفي النهاية ، من الواضح أن هذه الوثيقة رغم أنها جاءت بصيغة توصوية ، إلا أن الدول الإسلامية بقبولها والالتزام بتطبيقها على الهوية الدينية لمجتمعاتها الإسلامية كما أن الوثيقة بصورة عامة تتعارض مع أهداف تكوين حكومة دينية.

وانطلاقاً من أهداف ووظائف النظام السياسي في المجتمع ، يتحقق الدور الفريد للنظام السياسي في التنشئة الاجتماعية الدينية والتربية السياسية للأفراد ، والحكومة في ظل النظرة التكوينية الإسلامية العالمية ، بهدف الهداية الإلهية ونمو الإنسان ، وهذا الهدف والتوجيه الذي يجب أن يتبلور في جميع الشؤون الحكومية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية. إن تحقيق مثل هذا المجتمع المرغوب والمثالي لا يمكن تحقيقه إلا بالاعتماد على أسس التعليم الصحيح ، ويكمن أساس استقرار الحكومات واستمراريتها في التربية ؛ أي أن مؤسسة التربية والتعليم عليها بناء مواطني كل بلد وفقاً لأسسها ومبادئها ، وبينما تتناقض وثيقة عشرين وثلاثين ،بشكل واضح مع فلسفة إيجاد حكومة دينية. يجب أن يقوم تعليم المواطنين على أسس عقائدية ودينية وتعاليم قرآنية وليس على أسس أومانية وعلمانية.

المصادر:

أقايي ، سيد داوود ، استراتيجيات التنمية المستدامة في الأمم المتحدة ، مجلة كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة طهران ، المجلد ٥٩ ، ص ١٣٨٩

بابائي زرش ، علي محمد (١٣٨٣) ، الأمة والأمة في فكر الإمام الخميني ، طهران ، مركز سجلات الثورة الإسلامية

طوني ، ديفيس ، الإنسانية ، ترجمة عباس مخبر ، طهران ، المركز: ١٣٧٨

الحاجياني إبراهيم (١٣٧٩): التحليل الاجتماعي للهوية الوطنية في إيران وعدة فرضيات ، الدراسات الوطنية الفصلية ، السنة الثانية ، المجلد ٥.

رضائي شهلا ، مجلة مناهج جديدة في الدراسات الإسلامية ، ربيع ١٤٠١ ، العدد ١٠

رفعت جاه ، مريم وعلي شكوري (١٣٨٧) ، الإنترنت والهوية الاجتماعية ، جلوبال ميديا جورنال ، المجلد ٥ ، ص ١٧.

شجاعي زند ، علي رضا (٢٠١١) ، اتجاهات في تكوين التدين ، مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة الفردوسي في مشهد ، السنة التاسعة ، العدد الثاني.

شجاعي زند ، علي رضا (١٣٨٨) ، علم اجتماع الدين ، دار نشر طهران الجديدة ، المجلد الأول

غمامي ، سيد محمد مهدي ، نيلوفر مقدم خمامي ، التحديات الأساسية للرئيس الإسلامي الإيراني في مواجهة وثيقة التنمية المستدامة (وثيقة ٢٠٣٠) ، مجلة الحوكمة الإسلامية ، ربيع ٢٠١٨ ، العدد ٩١ (البحث العلمي)

متواضع يا يعقوب. "علم اجتماع الدين والجنس: دراسة نظرية وتجريبية مع التركيز على توظيف المرأة" ، المجلة الإيرانية للقضايا الاجتماعية ، ١٣٨٧ س ١٦ ، المجلد ٦٣ ، الصفحات ١٠٧-١٣١ (البحث العلمي)

فورتون ، يعقوب ، استراتيجية التنشئة الاجتماعية الدينية في إيران ، الدراسات الوطنية الفصلية ٢٠١٣ ، س ١٤ ، رقم ١ (البحث العلمي)

فولادي ، محمد ، مراجعة نقدية لوثيقة اليونسكو للتنمية المستدامة ٢٠٣٠ ، آثارها وعواقبها ، مجلة معرفت الثقافية والاجتماعية ، صيف ١٩٩٦ ، العدد ٣١ (البحث العلمي)

فيني ، جون (١٣٨٠) ، نظرية حول الالتزام الديني ، أفسانا تافزالي ، الأبحاث الفصلية (المجلد ٢٠-٢١)

اللجنة الوطنية لليونسكو – إيران ، التعليم ٢٠٣٠ ، نحو تعليم وتعلم مدى الحياة بجودة ، وعلى قدم المساواة وشامل للجميع "إطار العمل الوطني للتعليم ٢٠٣٠ ، جمهورية إيران الإسلامية ، ٢٠١٥ ، طهران

بروس كوين ، ٢٠١٦ ، أساسيات علم الاجتماع ، ترجمة حسن شافوشيان ، طهران ، دار ناي للنشر

مشهد ، علي ، من التنمية المستدامة إلى التنمية المستدامة! تأمل في كتاب قانون البيئة والتنمية المستدامة ، مراجعة لكتاب الفقه والقانون ، المجلد الأول ، ربيع ٢٠١٤.

مطهري مرتضى ، ٢٠١٥ ، المجتمع والتاريخ ، طهران ، صدرا

مقدمى نيلوفر ، دراسة مقارنة لحق الجنين فى الصحة فى النظام القانونى فى إيران والولايات المتحدة الأمريكية ، جامعة الإمام صادق ، فبراير ٢٠١٨.

هرسيج وحسين وآخرون ، ٢٠١٣ ، تأثير مكونات بناء الهوية الإيرانية على القوة الناعمة لجمهورية إيران الإسلامية ، البحوث الثقافية الفصلية ، السنة الثالثة ، الربيع ، العدد ٩

طبطبائي ، سيد محمد حسين ، ٢٠١٥ ، الميزان في تفسير القرآن ، ترجمة السيد محمد باقر موسوي حمداني ، طهران ، دار الكتاب الإسلامية.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ISBN: 978-9922-21-412-2

الهوية الاسلامية في ضوء التحديات المعاصرة

أ.د. حسين عليوي ناصر – جامعة ذي قار

ملخص البحث

الهوية الإسلامية هي الانتماء إلى الله ورسوله واهل بيته عليهم السلام وهي الميل والنزعة والغيرة على الاسلام، وهي أشرف وأسمى هوية يتبناها المسلم وينضوي تحت لوائها ويعتز بالانتساب إليها والانتماء لها والموالاة والمعاداة على أساسها فهي تتميز بمرجعيتها الربانية، مستوفية لكل مقومات الهوية الذاتية المستقلة وقذ تعرضت هذه الهوية لتحديات كبيرة وسددت لها الطعنات بغية طمسها وتذويبها وصهرها في أتون الأممية لأنها تعتبر الخطر الماثل أمام القوى الراغبة في احتواء الاسلام والسيطرة عليه.

عرض البحث مفهوم الهوية الاسلامية واهميتها وابرز خصائصها ثم بيان أهم التحديات المعاصرة التي تواجه الهوية الإسلامية ومنها العولمة وأثرها على الهوية الإسلامية، كما تناول الغزو الفكري وأثره على الهوية الإسلامية، يهدف البحث الى بيان اهمية تمسك المسلمين بهويتهم في ضوء التحديات المعاصرة قدَّم البحث مسئولية الأمة في الحفاظ على الهوية الإسلامية في ظل التحديات المعاصرة، فذكر الدور الذي يجب على المؤسسات الدعوية والاجتماعية أن تقوم به؛ لترسيخ الهوية في قلوب المسلمين، حيث تتوزع هذه المسؤوليات على الفئات المتنوعة في المجتمع ومنها العلماء والدعاة، والأسرة وما لهم من مكانة في تكوين وصيانة هذه الهوية الإسلامية، وكذا المؤسسات التربوية وجهودها في الحفاظ على الهوية الإسلامية لدى الأجيال المعاصرة. وقد اعتمدت البحث على المنهج الوصفي التحليلي ، كما توصلت البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها أن الهوية الإسلامية هوية أخلاقية في جوهرها وممارساتها ، كما أوصت البحث بضرورة قيام المزيد من الدراسات والأبحاث حول مفهوم الهوية الإسلامية، وتقديم مجموعة من التصورات الحيوية والحلول لمواجهة التحديات التي تعترضها لتكون نداً في المشهد الفكري العالمي بما تحمله هذه الهوية من أفكار معتدلة لتصحيح المفهوم الخاطئ الذي تحاول بعض القوى الترويج إليه للنيل منها.

المقدمة

نظرا لما تشتمل عليه الهوية الإسلامية من القيم والمبادئ الحضارية والثقافة العالية والتنظيم الشامل والفكر الصافي والحركة والحيوية والتقدم والازدهار والشمول لجميع الميادين والحقول فإنه لم تكن صدفة أو عفوية أن كثيرا من القوى تآلبت عليها وسددت الطعنات نحوها لطمسها

ISBN: 978-9922-21-412-2

وتذويبها وصهرها في أتون الأممية لأنها تعتبر الخطر الماثل أمام القوى الراغبة في احتواء العالم الإسلامي، ويعد الإيمان بعقيدة الأمة الاسلامية ، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، من ابرز مقومات الهوية الاسلامية ، فضلاً عن التمسك بتعاليم القرآن وسنة النبي الكريم واهل بيته الاطهار عليهم السلام وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، ويبدو ان الهوية الاسلامية تتعرض لتحديات خطيرة في ظل عصر الرقمنة والتطور التكنلوجي، لذا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على مفهوم الهوية الاسلامية وابرز اركانها والتحديات التي توجهها، ويعد التطرف والغزو الفكري والثقافي من الاخطار المحدقة بالأمة الاسلامية، الامر الذي يستدي تحصين الشباب فكرياً وثقافياً.

اولاً- مشكلة البحث:

١ – ماهي اسباب الخلل الذي يعتري الهُوية الإسلامية في الوقت الحاضر، وأن من أهم مظاهر هذا الضَّعْف التَّجْزِئة والفُرْقة والتَّخلُّف والتبعيَّة.

٢ – هناك أسباب داخليَّة، وتحديات خارجيَّة تعمل على إضْعاف الهُوية الإسلامية، إذا ما استمرت هذه الأسباب والتحديات في بثِّ مخاطرها، فسوف يكون ذلك من أهم عوامل تذويب الهُوية الإسلامية.

٣ يُمْكن عن طريق التَّربية الإسهام في مُعالجة الضَّعْف والخلل الذي حدث للهُوية الإسلامية، ويمكن عن طريقها أيضًا مُواجهة التحديات والأسباب التي تشكل خطرًا على الهُوية الإسلامية، بشَرْط توفير المُتطلبات اللاَّزمة لقيام التربية بدورها في غَرْس الهُوية وتقويتها، والحِفَاظ عليها.

ثانياً - تساؤلات البحث:

يُمْكِن صياغة مشكلة البحث في التساؤل الرئيس التالي: ماهي التحديات التي تواجه الهوية الاسلامية؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية التالية:

١ – ما مفهوم الهُوية الإسلامية؟ وما مصادرها؟

٢ – ما المظاهر التي تدل على وجود الهُوية الإسلامية؟

٣ – ما مُقومات الهُوية الإسلامية؟

٤ – ما المخاطِر والتحديات التي تتعرَّض لها الهُوية الإسلامية؟

ثالثاً –اهمية البحث:

١. غَرْس الهُوية الإسلامية، وتقويتها، والحفاظ عليها.

٢. التعرُّف على المظاهر التي تدل على وجود الهُوية الإسلامية وتدعيمها.

٣. التعرُّف على مُقومات الهُوية الإسلامية.

٤. التعرف على التحديات التي تُواجه الهُوية الإسلامية، وتُشكِّل خطرًا عليها.

٥. وَضْع تَصوُّر للدور الذي يمكن أن تلعبه التربية ومؤسساتها في تدعيم وتقوية الهُويّة الإسلامية.

رابعاً – مَنْهج البحث وأدواته:

استخدم الباحث المنهج الوَصْفي التحليلي، الذي يعتمد على جمع المعلومات والبيانات والحقائق، ويصف ما هو كائن، ويمكن من تفسيره، كما يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع.

مدخل

يعد الدين الإسلامي الهوية الأساسية والرسمية لها، فهو الانتهاء الحقيقي والرمز ومحور حياة المجتمع، من خلالها يتفاعل أفراد المجتمع، وحينما يضعف التمسك بالدين والالتزام به في نفوس الأفراد يظل هو الهوية المفقودة(١) التي نبحث عنها، وذلك بحكم أننا مسلمون أولاً وأخيراً، ولأنه ليس من الممكن أن نختار غير الإسلام هوية ونظل مع ذلك مسلمين، فنحن حينما ابتغينا الإسلام ديناً، فقد ارتضيناه هوية(٢)، وهوية المسلم تتمثل في حفاظه على دينه، واعتزازه به وتمسكه بتعاليمه والتزامه بمنهجه في صغير الأمور وكبيرها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ آل عمران: ١٩ ، والدين في المنظور الإسلامي هو النظام أو المنهج الذي يحكم جميع جوانب الحياة.

فالهوية تعني كامل الانتماء بكل أبعاده المادية والمعنوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ولا تقتصر على مجرد الانتماء العصبي أو القبلي أو العنصري أو الجغرافي(٣) فهي تكامل نفسي فكري، وانتماء جاء تحقيقاً وتطبيقاً لقول الله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾، فالصبغة هي الهوية، والهوية هي الإسلام، والإسلام يصبغ الإنسان بصبغة خاصة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصوراته وآماله وأهدافه وسلوكه وأعماله.

---

(١) سليمان العقيل، بعض مؤشرات الحفاظ على الهوية، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد ١٦، ص٢٤٣.

(٢) علي مدكور، البحث عن هوية تربوية، دراسات تربوية، مركز البحوث التربوية،٢٠٠٥، ص١٠٧.

(٣) محمد النبهان، أزمة البحث عن هوية في مواجهة الحضارة الغربية، المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، مؤسسة آل البيت المجتمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الدورة العاشرة.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الثقافة والهوية ترابط العلاقة والاهداف

يتركب مفهوم الهوية الثقافية من مفردتين "هوية" و "ثقافة"، وهما مرتبطتين على سبيل الإضافة والاقتران الثقافة والهوية وجهان لعملة واحدة، ولا تنفك إحداهما عن الأخرى، فالهوية لا يمكن تحديدها خارج نطاق الثقافة، وأن الأخيرة لا يمكن التعرف عليها دون هوية تميزها، وبذلك برز الى السطح المعرفي مفهوم الهوية الثقافية، لاقتران الهوية بالثقافة، وضمن هذا السياق انه من الممكن أن تجد ثقافات أخرى تتعايش داخل الثقافة الأم أو المهيمنة في المجتمع، وهي كيانات متميزة عنها ولكنها لا تتعارض والثقافة الكلية للمجتمع، لضرورة وعلاقة وظيفية، بين طرفي المركب، وظيفة لا تتحقق في غياب احد الطرفين، والثقافة ذلك الكل المركب الذي يحتوي على المعرفة و الاعتقاد، و الفن و الأخلاق، والقانون والعادات والتقاليد، وأي قدرات أخرى تكتسب بواسطة الإنسان، باعتباره عضوا في المجتمع

أن الهوية كمفهوم ليست أمرا يبحث عنه في القواميس، وإنما هو في الأساس موقف فكري واجتماعي[١]، إن الإحساس الواعي بالهوية الذاتية يقوم على مرتكزين أساسيين هما :أولاً، وعي الفرد بتماثله مع ذاته وبصيرورته الوجودية الخاصة في الزمان والمكان، وثانياً، وعيه بأن الآخرين يعترفون له بهذا التماثل الذاتي وهذه الصيرورة الوجودية[٢]. فالهوية هي حصيلة لمجموع أنساق العلاقات والدلالات التي يستقي منها الفرد معنى لقيمته ويضع لنفسه في ضوئها نظاماً يشكل في إطار هويته، إذ تتوافر له من جراء ذلك إمكانية تحديد ذاته وتماثله معها في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، بوصفه نظاماً مرجعياً على المستوى السلوكي، وضمن هذا الإطار يؤكد (كولونا) على أن الاسم نفسه الذي يحمله الفرد، ليس سوى نعت اجتماعي يلصق به، ويمثل مؤشر تنشئته الاجتماعية والرمز الأكثر جلاءً والأكثر حيوية في تشكيل هويته ووعيه بذاته.[٣]

عناصر الهوية :

تأسيساً على ما سبق ذكره، يمكننا أن نشير إلى تعدد عناصر الهوية فهي يثبت وجودها عبر شبكة من العلاقات التي تندرج في المقومات الحضارية المشتركة وهي كالاتي:

(١) عهد كمال شلغين، الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع، الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠١٥، ص ٣٥.
(٢) احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط٢، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٠٦.
(٣) انسام محمد الاسعد، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠١١، ص١٠١.

١. اللغة المشتركة للقران الكريم: تعد العنصر الأساسي للهوية والثقافة الاسلامية ، وما يعني هنا هي اللغة الاسلامية التي تعد عنصر اساسي للهوية والثقافة الاسلامية ، ذلك أن اللغة ليست لغة أداة فحسب، ولكنها لغة فكر أساسا، لذا تعد اهم عنصر من عناصر الهوية ، وعلى هذا الأساس، فإن اللغة العربية هي من ثبت ثقافة الامة الاسلامية التي هي أمة الإسلام الذي منه اكتسبت صبغتها، وحملت صفتها، واستمدت طبيعتها ، فلم يكن لهذه الأمة كيان قائم الذات قبل الإسلام، اي بمعنى لم يكن لتلك الامة هوية واضحة وإنما كانت قبائل وعشائر لا تجمعها عقيدة، ولا يوحدها إيمان برسالة سماوية، إن انتشار الثقافة الاسلامية في مختلف البلاد التي دخلها الإسلام، جعل كثيرا من معالم الثقافات المحلية القائمة تتكيف مع مقومات الثقافة الاسلامية الإسلامية مع المحافظة على الأصول الثابتة من دون تجاوزها، وقد واجهت الثقافة الاسلامية الإسلامية عديد من التحديات في تاريخها الطويل.(١)

٢. العامل الاقتصادي: ترتبط الهوية بالتنمية، فإذا كانت الاخيرة مستقرة ، تكون الهوية مستقرة وقوية، والعكس صحيح، أذ يؤثر اضطراب نمط التنمية في خلق مناخ اقتصادي مضطرب وضعيف لا سيما مع عدم وضوح هوية الاقتصادي في البلدان الاسلامية عموما والعراق لاسيما والذي يحاول ان ينتقل من النظام الاشتراكي، الذي كان معتمدا قبل عام ٢٠٠٣ الى النظام الرأسمالي بعد عام ٢٠٠٣.

٣. العامل السياسي: تبحث الهوية السياسية عن عناصر ارتكاز لها في الهوية الثقافية، ليس لأن الهوية الثقافية هي المعبر عن مصالح الجماعة، ولكن لأن الهوية الثقافية أصبح لها دور أساسي في الصراع غير المتكافئ على السيطرة والهيمنة في العالم، ويمكن القول إن الهوية السياسية تعد الدافع والغرض لهوية متحركة المقاصد قادرة على التجدد بشكل أسرع من الهوية الثقافية، وهي وليدة أوضاع داخلية وعالمية أكثر من كونها وليدة ذاكرة جماعية وفردية ضرورية الاستحضار، من هنا شكلت أشكال الانتماء السياسي الترجمة الأكثر صدقا لمعطيات العصر، مهما كانت المرجعية الثقافية والرمزية لها.(٢)

---

(١) ينظر: عبير بسيوني رضوان، ازمة الهوية والثورة على الدولة، ط١، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٨٩. وكذلك: محمد منصور، الهوية والمواطنة في عالم متغير، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٦١.

(٢) عبير بسيوني رضوان، ازمة الهوية والثورة على الدولة، مطبعة دار السلام، القاهرة،٢٠١٧، ص ٩٢

ISBN: 978-9922-21-412-2

٤. الانتماء الى الأمة الإسلامية: وهي غريزة فطرية لا تقتصر على البشر بل ترتبط كذلك بملايين الأنواع من الكائنات الحية، فكل هذه الكائنات تنتمي لنوعها، والأرض التي تعيش عليها، والبيئة التي خرجت منها، أو تعيش فيها، وكلها تستمد قوتها ومعيشتها من هذا الانتماء، وافتقاد الانتماء يكون أحد أسباب تعاستها، وفقد هويتها يمثل خللا في أسباب وجودها ودورتها في الحياة، وقد يصل لفنائها، من ذلك نستطيع أن نقول: إن الانتماء لا تعود منافعه على المكان أو البيئة، بل تعود على الكائن ذاته، وبالتالي فإن الانتماء سر من أسرار الحياة، وأساس لاستمرارها، وفقد الكائن الحي لهذا الانتماء يصبح بسبب ذلك عالة على مجتمعه، منبوذا من أقرانه، مفتقدا لجودة حياته، والانتماء يبدأ للأسرة وللعمل والبيئة المحيطة، وكلها أساس لانتمائه للوطن [١]

٥. التحضر: وهو مقياس ومعيار يعكس مستوى التقدم والارتقاء لأي مجتمع من المجتمعات، وهو سلوك في العمل والشارع والبيت، كما أنه سلوك في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية على المستوى العام، وأيضا سلوك في التصرفات في اللغة وفي الحوار، والسلوك الحضاري لا يقتصر على الأفراد بل يتصل بالسلوك الجماعي لمجتمع من الأفراد أو وطن من الأوطان.[٢]

٦. الروابط المشتركة: وهما اساسيان في صنع الهوية الاسلامية، عناصر تكوين الدولة هي (شعب، الإقليم، السلطة، الحد الأدنى من الثقافة المشتركة الملائمة لإقامة حياة مشتركة)، اي ما نجده في هذا التعريف هو عبارة عن تشابك كبير بين المكان والزمان اي بتعبير اخر التفاعل بين كل من الدولة والهوية والتاريخ والجغرافيا بالروابط الوثيقة بينهم ، فوجود هذه العوامل مرتبط بالآخر في الأوضاع المستقرة، فإذا تقطعا هنا تحدث المشاكل وتكمن أزمة الهوية.[٣]

٧. الثقافة الشعبية المشتركة: تعد الثقافة هي روح الأمة وعنوان هويتها، وهي من الركائز الأساسية في بناء الأمم وفي نهوضها فلكل أمة ثقافة تستمد منها عناصرها ومقوماتها

---

(١) احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط٢، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٩.

(٢) ينظر: عبير بسيوني رضوان، ازمة الهوية والثورة على الدولة، مصدر سابق، ص ٩٤، وكذلك: سعيد مهديد، النزعات الاثنية وتأثيرها على مستقبل الدول حالة تركيا والعراق، أطروحة دكتوراه (غير مشورة)، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبو بكر بلقايد –تلمهان

(٣)عبير بسيوني رضوان، ازمة الهوية والثورة على الدولة، مصدر سابق، ص.12

وخصائصها، وتصطبغ بصبغتها، فتنسب إليها، والمكون الثقافي لمفهوم الهوية، يعد أساسيا في تعريفها، نظرا إلى أن الهوية الثقافية يندرج تحتها النظام القيمي والأخلاقي والإبداع الفكري والأدبي والفني لكل أمة أو شعب بما يسمح بالتحقق من مدى مصداقية الحديث عن خصوصية وتمايز هذه الهوية من جهة، ومدى قدرتها على التفاعل مع غيرها من الهويات الثقافية الأخرى الموجودة بشكل إيجابي، سواء على الصعيدين المحلي والإقليمي، أو على الساحة الإنسانية من جهة أخرى، ويرتبط مفهوم الثقافة بمجتمع معيّن ومحدد الهوية.

وتتميز بعدة خصائص، في انها :[1]

١. ظاهرة إنسانية، أي أنها فاصل نوعي بين الإنسان وسائر المخلوقات؛ لأنها تعبير عن إنسانيته، كما أنها وسيلته المثلى للالتقاء مع الآخرين.
٢. تحديد لذات الإنسان وعلاقاته مع نظرائه، ومع الطبيعة ومع ما وراء الطبيعة عبر تفاعله معها، وعلاقاته بها، في مختلف مجالات الحياة.
٣. قوام الحياة الاجتماعية وظيفة وحركة، فليس من عمل اجتماعي أو فني جمالي أو فكري يتم إنسانيا خارج دائرتها، وهي التي تيسّر للإنسان سبل التفاعل مع محيطه مادة، وبشرا، ومؤسسات.
٤. عملية إبداعية متجددة، تُبدع الجديد والمستقبلي المعبر عنها؛ فالتفاعل مع الواقع تكييفا أو تجاوزا نحو المستقبل، من الوظائف الحيوية لها.
٥. إنجاز كمّي مستمر تاريخيا، فهي بقدر ما تضيف من الجديد، تحافظ على التراث السابق، وتجدد قيمه الروحية والفكرية والمعنوية، وتوحد معه هوية الجديد روحا ومسارا ومثلًا، وهذا هو أحد محركات الثقافة الأساس، كما أنه بعد أساسي من أبعادها.

٨. العامل الديني: هو أحد مكونات الثقافة لا سيما في ثقافات معينة في المجتمعات المنغلقة والمعزولة لعوامل مرتبطة بالتاريخ أو الجغرافيا، ومشكلة الهوية المرتبطة بالدين أنها بعد فترة تصبح سجينة، وخالية الوفاض، وبعيدة عن التطبيق الصحيح، وتميل إلى الاستقطاب والتعصب الديني، فلا تستطيع التمسك بميراثها الحضاري وقيمها، مهما كانت قيمها عظيمة (كقيم الحضارة الإسلامية القائمة على العدل والعلم والتنمية المستمرة وحماية الأمن الكوني– للمسلم وغير المسلم– وغيرها من قيم عظيمة مستمدة من مدرسة اهل البيت عليهم السلام)، ولا

(١) محمد عمر احمد أبو عزة، واقع إشكالية الهوية العربية، مصدر سابق، ص٤٠.

تستفيد من حضارات الآخرين والتي لها قيمها المفيدة والمطلوبة أيضا ، والعامل الديني إذا ما ناله الاستقطاب جعل الهوية غير مفهومة، فتصبح بلا لون ولا رائحة ولا تميز له ، وتكون هجومية بلا وعي.(١)

الهوية الاسلامية والفكر المتطرف

تسعى الجماعات الدينية المتطرفة إلى صقل الهوية الثقافية لفكرها، بما يحقق أغراضها الاجتماعية والسياسية، باستخدام الدين، وتوظيفه كمبرر لشرعية تواجدها في المجتمع، كونها حركة إصلاحية، جاءت لتحارب الفساد فيه، وفي الوقت نفسه، فهي تستخدم الدين لتجد القبول الاجتماعي، لأن الدين هو المحدد الرئيسي للهوية إلى جانب الثقافة واللغة، وحالما يوظف الدين من طرف هؤلاء، لإطلاق فتاوى مغرضة و مغلوطة، الهدف منها إحداث العداء والفرقة بين أبناء الوطن الواحد، إلى جانب تعبئتهم على التمرد والعنف بشتى صنوفه، ولاشك إن هذا سوف يسئ إلى الدين و يشوه تعاليمه، ومبادئه السمحة.

التطرف الديني أسلوب مغلق في التفكير يتسم بالجمود الفكري (دوجماطيقي)، وهو يعكس أزمة خطيرة في منظومة القيم والمبادئ التي تحكم العلاقة الإنسانية في بعض وجوهها ، وهذا يعني أنّ التطرّف حركة تمرّد على "المنوال النموذجي" الذي يوجّه ثقافة الشعوب وجهة متوازنة ومطمئنة، ولئن كانت المجتمعات المتقدمة راسخة في مناويلها المرجعيّة، فإنّ المجتمعات الإسلامية تعيش مخاضاً ثقافياً وتحوّلات سياسية عصيبة، وهذا الأمر يجعل الهويّة المنبثقة عنه هويّة مضطربة وعنيفة وربّما قاتلة في بعض الأحيان. وعلى هذا الأساس لا يمكن الفصل بين مسألة "التطرّف" وإشكالية الهويّة، وما التطرّف في حقيقته إلاّ تحوّل في طبيعة الهويّة ذاتها، إذ تحوّلت من هويّة مبدعة تبحث عن سبل الحياة إلى هويّة قاتلة تجلب الدمار والخراب، إذ قد ينتج عن بعض الهويّات فكر دمويّ وخطاب إقصائيّ وعنف رهيب، و"النزاعات الوحشية قد تتغذّى من وهم الهويّة.

اعتمد الفكر المتطرف لتنفيذ مبادئه على اسس زعزعة الهوية الإسلامية، إذ كشفت الولايات المتحدة الأمريكية عن وثائق تشير إلى تفاهمات بين (أبو مصعب الزرقاوي) و(أسامة بن لادن) تقوم على أساس ضرب العملية السياسية في العراق عبر إشعال فتنة طائفية، وتعد تلك

(١) ينظر: عبير بسيوني رضوان، ازمة الهوية والثورة على الدولة، مصدر سابق، ٩٨. وكذلك: احمد فيصل علي، النظام السياسي وجدلية الذاكرة والهوية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، ٢٠٢١، ص ٧٥.

الوثائق هي اللبنة أساسية في فهم استراتيجية (أبو مصعب الزرقاوي) الذي يؤكد في رسائله لـ(أسامة بن لادن) على وجود معركة صعبة مع عدو ماكر ويقصد في كلامه هذا من اشترك في العملية السياسية في العراق من (السنة) و(الشيعة) وباقي المكونات، واصفاً إياهم بالكفرة والمرتدين[1] ، وقد عمل لتنفيذ اهدافه في تمزيق النسيج الاجتماعي لمكونات المجتمع العراقي بصورة علنية واضحة بإذكاء العامل الطائفي بغية اندلاع حرب أهلية بين أطياف المجتمع عبر قيامه بسلسلة جرائم طافية ، لعل أهمها تفجير مرقد الإمامين العسكريين وارتكاب مجزرة (عرس الدجيل) في مدينة التاجي واستهدف الكثير من المدنيين المتوجهين لأداء مراسيم الزيارة الدينية و مجزرة مدينة تلعفر الواقعة ، ومجزرة مجمع القحطانية الذي يقطنه أبناء الديانة الإيزيدية والهجوم على كنيسة سيدة النجاة في بغداد.

لماذا دراسة الهوية الإسلامية في العراق

العراق أحد الدول التي حاول الفكر المتطرف أن تزعزع هويتها الوطنية وتجعل المواطنين في العراق متمسكين بالولاء والانتماء لهوياتهم الأثنية والطائفية بدلاً من انتماءهم وحبهم لهويتهم الوطنية، و التحديات التي تواجه الهوية الوطنية في العراق متعددة ومختلفة، وبالتالي تركز هذه البحث على اثر المقومات الجغرافية وغير الجغرافية والانعكاسات السلبية لتأثير التعدد الاثني والتنوع الطائفي في احداث ازمة هوية وطنية.

أنواع الهويات

١- الهوية العرقية اي وحدة الأصل والنسب المشترك

٢- الهوية القومية هي " الهوية التي تجمع بين مجموعة من الناس في مكان محدد جغرافيا وسياسيا يعرف باسم دولة .

٣- الهوية الوطنية هي شعور كل جماعة بالانتماء إلى فئة معينة أو عرق أو أصل مشترك، فقد عرفت القومية على إنها (ميلاً أو شعوراً بالانتماء إلى جماعة حضارية معينة ورغبة في التجمع أو الترابط لتحقيق غايات وأهداف مشتركة في ظل إحساس عام بوحدة المصير.

٤- الهوية الدينية يمثل الدين قوة ناهضة في العلاقات البشرية، وعاملاً لإيجاد الشعور بالتقارب والارتباط بين الأفراد، إذ أن وحدة الدين تزيد من التأثر والتجاوب، وترى النظرية الدينية بأن الأساس الأول لتكوين الأمم هو الدين أو العقيدة بوصفه أقوى عامل

(١) حسن ابو هنية ومحمد ابو رمان، مصدر سابق، ص٣٧- ٣٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

مؤثر في حياة البشر وتكوين وجدانهم وتحديد ولاءهم ومن ثم يكون قادراً بما أوتي من قوة على توحيد البشر وجمعهم وتنطلق منه وحدة الجماعة في كل شيء "، وكثير ما نجح العامل الديني في التغلب على عوامل أخرى عرقية أو لغوية أو تاريخية في تشكيل الأمم، فمثلاً (الكروات والصرب والبوسنيون) يتكلمون لغة واحدة وينحدرون من أصل عرقي واحد ويعيشون في الأرض نفسها ولكن لكون (الكروات كاثوليك والصرب أرثوذكس والبوشناق مسلمون)، فقد جعلهم ذلك ينظرون إلى أنفسهم كثلاث أمم وقوميات مختلفة، وهو ما كان السبب في حدوث المجازر بينهم في حروب البلقان.

أثر التطرف على الهوية الوطنية

إن اتجاهات التطرف تشكل تحدياً كبيراً لهوية الأمم والشعوب لأن السياسة المتطرفة التي تهدف إلى تنميط البشر والقيم والمفاهيم وفق معاييرها الجديدة التي ترى أن الآخر مخطئ ولامجال للحوار معه، وتسعى إلى صياغة هوية شمولية تفرضها في الواقع الإنساني ، وتكمن الخطورة في الفكر السابق، أن قوة الأفكار التي تطرح بها هذه الافكار المتطرفة تعمي الأبصار عن رؤية الحقائق على الأرض ، مما يؤدي إلى توهم البعض أن هذه الهوية الدخيلة المستوردة هي الهوية التي ينبغي أن تسود وتقود، وان الهوية المتطرفة إذا سارت في الاتجاه المرسوم لها ستكون إنذارا بانهيار وشيك للاستقرار العالمي.

الغزو الثّقافيّ

يُعرف الغزو الثّقافيّ أيضاً باسم الغزو الفكريّ، والذي يمكن تسميته بالاستعمار الاستيطاني، واذا كان هدف الغزو– إن كان عسكرياً – هو احتلال الأرض، فان الغزو الثقافي فيهدف إلى احتلال العقل؛ فهو أخطر من الغزو العسكري وهو الشكل الأشهر من أشكال الغزو، ويشير هذا المصطلح إلى كافّة الجهود والممارسات التي تَبذلها أمّة ما بحقّ أمّة أخرى بغية الاستيلاء والسيطرة عليها بطريقة غير حربيّة أو عسكريّة، ويُعدّ الغزو الفكريّ أكثر خطورة من الغزو العسكريّ؛ نظراً لانتهاجه بكلّ سريّة وغموض في بداية أمره. ويهدف الغزو الفكري إلى محو الهوية الثقافية للمجتمع المستعمَر. والغزو الثقافي كالعمل الثقافي، إذ هو ممارسة تتسم بالهدوء وعدم اثارة الضجيج ولفت الانتباه.

يوصَف الغزو الفكريّ او الثقافي بأنه داء عُضال فتّاك ينهش في أجساد الأمم، ويلغي شخصيّتها، ويخفي معالم الأصالة والقوة فيها، ويهدف الغزو الثّقافيّ بالدّرجة الأولى إلى احتلال العقل وليس الأرض، فيتّخذ أسلوباً خفياً، ويكون متجمّلاً بما يتماشى مع أهواء الإنسان.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ويطلق عليه «حروب الجيل الرابع».. الذى لا يعترف بمقدمات ومظاهر، ولا تحده حدود، وينتهج سياسة «دس السم فى العسل»

وسائل الغزو الثّقافيّ

١-السّعي الدؤوب للاستيلاء على عقول الفئة الشابّة المسلمة؛ لغايات تعميق المفاهيم الغربيّة وترسيخها في عقولهم، وإقناعهم بأنّ الحياة الغربية هي الفُضلى.

٢-إحلال اللغات الغربيّة مكان اللغة الاسلامية، وجعل لغتهم هي الرّسمية أو الأكثر تداولاً في بلاد العرب والمسلمين. إقامة المدارس التبشيرية، وإرسال الحملات التبشيريّة إلى بلاد المسلمين،

٣-استهداف الأطفال خاصّة، وزرع الأفكار الغربية فيهم وتنشئتهم عليها.

٤-السعي إلى السيطرة على مناهج التعليم ووضع مناهجهم التي يرغبون بإحلالها في المدارس. تدريس الإسلام واللغة الاسلامية عن كثب لطوائف اليهود والنّصارى؛ لتقديم أفكار مشابهة بها في بلاد المسلمين، لكن مخالفة للشريعة الإسلامية.

٦-الدعوة إلى تحرّر المرأة، وتزهيد دورها في الحياة، ومن بينها التشجيع على الاختلاط. وهي دعوةٌ إلى الهمجية والفوضَى (كما يُدسُّ السمُّ في العسل)

٦/ محاولات التأثير على عقول الشباب بطرح الافكار والمفاهيم الغربية واثبات ان الحضارة الغربية هي الحضارة الاكثر نضجاً واعتدالاً وتطوراً.

٧/ في الوقت الحاضر توجيه وسائل التواصل باتجاه الفئات الأكثر هشاشة وضعفاً وهم فئة الشباب لغرض ثنيهم عن معتقداتهم ونشر الأفكار الإباحية والفساد تحت يافطة حرية الإنسان والحرية الشخصية

٨/ الدعوة لتحرير المرأة واختلاطها بالرجل واباحة الاشياء الممنوعة في العرف الديني والاجتماعي لغرض احداث فجوة كبيرة بين الموروث القيمي وبين الفئات التي تتحدث عن ضرورة احداث تغيير في السلوك الاجتماعي السائد.

٩/ بث برامج وافلام ومسلسلات هدفها تمزيق الكيان الأسري القائم وإشاعة مفهوم الخيانة الزوجية وبذلك تحصل على مبتغاها من خلال إحداث هزّة إجتماعية كبيرة وحلحلة المجتمع.

١٠/ التعريف بأن الإسلام دين السيف والعنف والتشدد وإبراز أمثلة سيئة في الصدد كداعش واعتبار أن المسيحية دين الرحمة والمحبة وال لا عنف.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أهداف الغزو الثّقافيّ

١-زعزعة العقيدة الإسلاميّة في نفس المسلم والتشكيك بها؛ وبمصادرها الأربعة. السّعي إلى القضاء على اللغة الاسلامية ودثرها.

٢-الإيقاع بين المسلمين بإثارة النعرات بينهم سواء كانت قومية أو عرقية. إثارة الشكوك والشبهات حول الإسلام. الدعوة إلى الملذّات على أنها أمر طبيعي، وإغراق الأمة فيها.
أظهرت بعض الدراسات تأثر الشباب العربي ببعض القنوات بشكل كبير من خلال ما تعرضه من افلام ومن هذه التأثيرات الانحراف والشذوذ والجريمة والمخدرات ..الخ

وسائل الغزو الثقافي

صحيحٌ أن الغزو الثقافي لا يعتمد على القوة العسكرية، والأدوات الحربية، ولكنه يملك وسائل تعدّ أفتك أنواع الغزو وأشكاله، إذ إنّها تنخر في عظم المجتمع المستعمَر، وتسلخ أفراده عن تاريخهم ومعتقداتهم وأفكارهم، مما يؤدي بهم إلى التبعية العمياء، وتاليًا تذكر أهم وسائل الغزو الثقافي

- الإعلام: إذ إن الغرب يتحكم في أهم مفصل، وهو السلطة الرابعة، والناظر إلى وسائل الإعلام، يدرك مدى تحكم قوى الشر فيه، إذ يدعى فيه بصريح العبارة إلى الفسق والفجور والمجون، ويتم دس شبهات فيه، تشكك المرء في إيمانه، ويتم فيه نشر الرذيلة، وكل تلك الخطوات، ما هي إلا للقضاء على فكر المستعمَر.
- الاستشراق: وهو دراسة الغربيين للشرق وعلومه وأديانه، خاصة الإسلام، وذلك لأهداف مختلفة، من أهمها تشويه الإسلام وإضعاف المسلمين.
- العولمة الثقافية: وهي باختصار فرض الثقافة الغربية عن طريق المنظمات والمؤتمرات الدولية ووسائل الاعلام المختلفة، وإن كان للعولمة وجوه مفيدة في التقنية والاتصال عمومًا، لكن لها جوانب خطيرة في الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.
- توظيف السينما والتلفزة ؛ فثمة مئات من الأفلام السينمائية الغربية التي تحاول تشويه صورة الإسلام والمسلمين ؛ ويومياً تبث الأقنية الفضائية عشرات المسلسلات التلفزيونية التي تكرس فكرة تخلف المسلمين.
- توظيف الكثير من الكتاب والمؤلفين ليكتبوا ما يشوّه صورة الإسلام بأسلوب خبيث ذكي وليتسرب بذلك السم إلى عقول المسلمين.

ISBN: 978-9922-21-412-2

- تشجيع الخلافات المذهبية بين المسلمين وتعميقها ثم إبرازها للمسلمين عبر الأقنية الإعلامية

هل نجح الغزو؟

لقد أصبح لكثير من وسائل الإعلام في العالم الإسلامي أدوات للغزو الثقافي الغربي، وما تقدمه هذه الوسائل يتعارض مع الخصوصية الحضارية، والذاتية الثقافية للأمةالإسلامية. لقد وفرت هذه الوسائل الفرص للانحراف الأخلاقي الناتج عن التشبه بالغرب، وتقليد النموذج الحياتي الغربي، حيث يتم التركيز على الحصول على المتعة وتحقيق النجاح المادي. إننا لابد أن نعترف أن الغزو الثقافي الغربي قد حقق نجاحا، وأدى إلى خسارة الأمة للكثير من شبابها، لكن ذلك كان بسبب ضعف النظم الحاكمة واستسلامها.

المظاهر الناتجة عن ازمة الهوية وانقسام المجتمع وهي كالاتي:

١. سيادة الشعور بعدم وجود فرصة للاختيار وسيطرة اليأس على لغة الحوار والفعل.
٢. زيادة معدلات الخوف وعدم الأمان وعدم الثقة على جميع المستويات.
٣. شيوع الاستقطاب الاجتماعي والثقافي على أساس الولاء أو الانتماء (العرقي، الحزبي، الديني)
٤. انتشار فكرة إمكانية التخلص من الآخر، ومن هنا يأتي الإقصاء والإبادة، ومحاولة احتواء كل ما هو مناقض ومختلف.
٥. زيادة معدلات العنف في المجتمع ، وانتشار ثقافة العنف
٦. التراجع العام لجميع الثقافات والعمل على انسلاخ الأمم والشعوب عن مقوماتها ، لتندمج جميعا في إطار النموذج المتطرف،

وبناءً على ما ذكر سابقاً، فانّ الهوية الاسلامية عدت أداة تجانس عرقي ضمت مجموعة اثنولوجية واحدة هم العرب في وسط وجنوب العراق، جعل الشعور المتبادل بين أفراد القومية الواحدة يتأثرون في عواطفهم بفكرة الولاء للقومية الاسلامية التي ينتمون لها، وانعكس ذلك على هويتهم، على عكس شماله إذ تنشتر قوميات متعددة ضمت جميع الجماعات العرقية التي يتكون منها العراق.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المعالجات

إنّ محاولة ضبط سيكولوجيا التكفير ليس أمراً هيّناً، لأنّ المسألة معقّدة يتقاطع فيها السّياسيّ مع الدّيني ويتشابك فيها الذّاتي مع الموضوعي، وعلى هذا الأساس فإنّ دراسة ظاهرة التكفير في علاقته بالتطرّف الدينيّ تحتاج مزيداً من البحث الجدّي والمتعمّق يساهم فيه عالم الدّين والمفكّر وعالم النفس وعالم الاجتماع والأنثروبولوجي وخبراء التربية وإخصائيّو الإعلام والتّواصل. ولقد لاحظنا أنّ تناول بعض الباحثين المعاصرين لمسألة التكفير في الخطابات المعاصرة كان تناولاً عاطفياً عقديّاً بالأساس لا يقف عند الأسباب الحقّيقية ويحصرها في بعد مخصوص دون التعمّق في بقية الأبعاد.

غير انه و بتضافر جهود كل المؤسسات في المجتمع (الأسرة، المدرسة، المسجد..)، يمكن أن نكسب الشباب مناعة فكرية، ضد التطرف الديني، و بالتالي نحمي وحدة الوطن، و الشعور بالانتماء و المواطنة، وأن يكون الدين عاملا لقوتنا و تماسكنا و وحدتنا، و مصدرا لثقافتنا، لا عاملا مفككا ومهدما لأواصر الأخوة والمحبة بيننا، و بذلك نحفظ هويتنا الثقافية، من كل ما يمكن أن يشوهها، و يسئ إليها، و أن التطرف مهما تعددت صوره، و اختلفت، لا خير فيه، ما دام يؤسس لعوامل التشتت و الفرقة و التفكك الاجتماعي.

الثقافة المتطرفة

تنظر الثقافة المتطرّفة إلى الآخر بكلّ أصنافه نظرة خوف وتردّد وتشكّك وتحقير واستهزاء، فصاحب الفكر المتطرّف يعتقد أنّه يمثّل الحقّ كلّ الحقّ وأنّ غيره يمثّل الباطل كلّ الباطل، ولا توجد منطقة وسطى بين الوضعين، ولذلك يصنِّف النّاسَ إلى قسمين: مؤمن وغير مؤمن، فالمؤمن مَن قَبِل بأفكار الجماعة وآراء رجالاتها، بينما ينتفي الإيمان عن كلّ من رفض فكر الجماعة وإن كان مسلماً محسناً، وإذا كان هذا حال المسلم مع أخيه المسلم، فكيف سيكون الأمر مع من لا يلتزم بالدّين أو يعتنق ديناً آخر؟ ممّا لا شكّ فيه أنّ الأمر سيكون كارثيّاً، وهذا ما رصده العالم بأسره من خلال ما اقترفه أبناء تنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق من جرائم ضدّ المسيحيين والأيزيديين وغيرهم من أبناء الديانات الأخرى.

الخاتمة

إن إبراز الهوية الثقافية الإسلامية ليست مسألة يمكن التهاون بها، وإن تكريس قيم المساواة والعدالة الاجتماعية بين الافراد وتجميع الهويات الفرعية لتصب في صالح الهوية الإسلامية الجامعة والالتفاف حولها وحمايتها وصيانتها من كل عبث داخلي أو خارجي هو الحلّ الأمثل

ISBN: 978-9922-21-412-2

لبناء الدولة الإسلامية العادلة، إن الدعوة إلى إيجاد تشريعات تساهم في تعزيز الوحدة الوطنية ومحاربة كل من يحاول شقّ الصفّ الإسلامي هو أحد الواجبات التي على الإعلام أن يدعو إليها ويبرزها ويعمل على توجيه رسائله الإعلامية لذوي الشأن من أجل تعظيم المنجز الوطني وتعزيز الولاء والانتماء للوطن، فالإعلام الوطني قادر بما يملكه من إمكانيات تواصليه من محاربة التطرف والغلوّ والإرهاب الفكري والتشجيع على تبنّي قيم التسامح والمحبة والتعاون وبناء عقلية الإنسان في هذا الوطن، ويعد الغزو الفكري والثقافي والتطرف من أهم التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية.

وتأسيساً على ما تقدم وفي سبيل المحافظة على الهوية الإسلامية وسدّ الطريق عن من يحاول التعرض لها يوصي الباحث :

١- تربية النشئ على الهوية الإسلامية المحمدية النابعة من سيرة الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ، تربية متأصلة، وربطه بتاريخه ولغته وعقيدته، وغرس معاني العزة والافتخار بانتمائه للإسلام، وتحذيره من شبهات أهل الزيغ والهوى مع قوة الاقتناع، وأدب الحوار، فالتنشئة الصحيحة هي أول عملية في التربية على الهوية الإسلامية.

٢- –إنشاء مراكز الأبحاث والدراسات التي تؤصل للهوية الإسلامية وتقترح وسائل لتحصين المجتمع المسلم من الغزو الفكري والثقافي الذي يستهدف طمس هويته وتذويب خصوصيته، والتي تدعو للتطرف والغلوّ والإرهاب.

٣- نشر التاريخ الإسلامي الصحيح وتبسيطه وتقريبه للناس وسيرة أئمة اهل البيت عليهم السلام.

٤- كشف سماسرة التغريب ومروجيه وفضح علاقاتهم وأساليبهم في طمس الهوية الإسلامية، ورصد تحركاتهم والإنكار عليهم، والتحذير منهم ومن منهجهم وخطرهم.

٥- إبراز الرموز الإسلامية التي حفظ الله بها الهوية والتأكيد على سيرة المراجع الذين افنوا حياتهم في سبيل المحافظة على الهوية الإسلامية وإظهار مكانتها ونشر سيرتها.

٦- –العناية باللغة العربية وتعليمها والتحدث بها . فاللغة وعاء الثقافة . والاعتزاز بها، والابتعاد عن إدخال الكلمات غير العربية في الحديث، وتربية النشء على حبها، والتعلق بها، والحديث معهم بها.

٧- –إعداد المناهج المدرسية التي تعالج الظواهر المتجددة في المجتمع وتواكب التطور، وترسخ القيم الإسلامية الحميدة.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٨- –ضبط الاستفادة من الحضارة والثقافة الغربية وتطورها العلمي والتكنولوجي، والحذر من الانفتاح المطلق المذموم الذي يؤدي إلى ضياع الهوية وذوبان الشخصية.

٩- العناية بالتعليم والمحافظة عليه، وتطويره وتحديث مناهجه وبرامجه والحرص على عدم المساس به، والإنكار على من يسعى لإفساده وتغريبه، والحذر من خطط الأعداء التي تسعى للسيطرة عليه والتأثير فيه.

١٠- –إنشاء المراكز والمؤسسات التي تعتني بجمع كلمة المسلمين وتوحد صفهم وترصد الانحرافات الفكرية، والتعقيب عليها وتفنيد الشبه، والجواب عن الشكوك والإثارات التي تخرج من بعض المارقين على قيم الإسلام ومبادئه، والجهاد الفكري ضدها.

١١- –تجديد الخطاب الدعوي والثقافي الإسلامي وتطويره، بحيث يلائم العصر مع المحافظة على الثوابت القطعية.

١٢- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي تسيطر على عقول الكثير من الشباب ومعالجة الظواهر الاجتماعية المنحرفة.

١٣- ضرورة وضع ضوابط وقيود للاستفادة من وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، ومن أهمها القنوات الفضائية، وشبكة الانترنت، وسد طرق الانحراف .

المصادر

١. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط٢، بيروت، ١٩٨٦،
٢. انسام محمد الاسعد، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠١١.
٣. حمد النبهان، أزمة البحث عن هوية في مواجهة الحضارة الغربية، المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، مؤسسة آل البيت المجتمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الدورة العاشرة.
٤. سعيد مهديد، النزعات الاثنية وتأثيرها على مستقبل الدول حالة تركيا والعراق، أطروحة دكتوراه (غير مشورة)، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمهان
٥. سليمان العقيل، بعض مؤشرات الحفاظ على الهوية، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد ١٦،٢٠١٢.

٦. عبير بسيوني رضوان، ازمة الهوية والثورة على الدولة، ط١، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٨٩. وكذلك: محمد منصور، الهوية والمواطنة في عالم متغير، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٦

٧. عبير بسيوني رضوان، ازمة الهوية والثورة على الدولة، مطبعة دار السلام، القاهرة،٢٠١٧.

٨. علي مدكور، البحث عن هوية تربوية، دراسات تربوية، مركز البحوث التربوية،٢٠٠٥

٩. عهد كمال شلغين، الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع، الهيئة العامة السورية للكتاب 2015.

ISBN: 978-9922-21-412-2

دور منهج التربية الإسلامية في تعزيز الهوية الإسلامية الثقافية لمواجهة العولمة الثقافية – دراسة تحليلية

أ. د صباح حسن عبد الزبيدي/ جامعة بغداد - مركز البحوث التربوية والنفسية
البريد الالكتروني (sabah_hassan 56@yahoo.com

الفصل الاول :- مدخل عام شمل

مشكلة البحث :

من المعلوم ان المجتمع الاسلامي وعبر مسيرته التاريخية تعرض الى تحديات كثيرة وخطيرة شملت جوانب الحياة العامة السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية والتربوية مستهدفه زعزعه العقيدة الإسلامية ، ورسالة الاسلام الحضارية المتمثلة برموزها ومصادرها ((القران الكريم ، والسنة النبوية المطهرة وسيرة اصحابه عليهم السلام ، واللغة العربية ، والتاريخ ، والتراث العربي والاسلامي .والموروث الثقافي الاسلامي وما يمت الى الاسلام بصله فقد تعرضوا الى تشويه من خلال كتابات الغرب ولاسيما المستشرقين المنحرفين اذا لعبوا دورا واضحا منذ اوائل القرن التاسع عشر بعقد كثير من المؤتمرات والندوات مستهدفين تشويه العقيدة الاسلامية وشريعتها وقيمها وثقافتها وحضارتها ، لا جل اضعاف حرارة الايمان وقوة العقيدة الإسلامية لاسيما عقول وقلوب الشباب المسلم في هذا العصر الذي يتميز بالإعلام المضلل ويقف في مقدمة العولمة باللغة الانكليزية (Globalization) والتي تقابل بالغة العربية أي الكونية او الكوكبية ظهرت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي السابق وسقط سور برلين بين عام (١٩٨٩- ١٩٩٠) حيث أصبح المجال مفتوح للتوغل الأمريكي والسيطرة على العالم (اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وأخلاقيا) وسمي النظام العالمي الجديد من قبل الرئيس الأمريكي جورج بوش (العولمة **Globalization**)-) التي شكلت صيغ جديدة كموجه حضارية يقوم بها الغرب في ضرب الهويات الثقافية من اجل هيمنه ثقافة واحدة ، وإخضاع العالم لسيطرة حضارة واحدة بحيث تصبح العولمة الثقافية هي الموجه الغامرة والنافذة إلى داخل الوطن والشعوب وبالتالي تتخلى الدول الصغيرة من ثقافتها المحلية والوطنية من خصائصها الثقافية لصالح الثقافة العالمية وعند ذلك يحدث تصدع حضاري ثقافي وصراع بين الاجيال مما يجبر الدول القبول بسيادة الثقافة العولمة (الزبيدي ، صباح ٢٠٠٥ص١٢)

وتظهر مشكلة البحث الحالي (ان العولمة الثقافية . خلقت سلوك وأنماط لدى هذه المجتمعات ، محاولة زرع القيم والأفكار النفسية والثقافية للقوى المسيطرة على المجتمعات أي خرق الهوية الثقافية وفق فكرو ثقافة واحدة، وتأسيس قيم و عادات وتقاليد جديدة تضبط سلوك الإنسان عن طريق التعلم والتعليم، من خلال اساليب العولمة التكنلوجية ومنها (الفيس بوك ، والتواصل والحوار ..الخ والتي

اثرت على ثقافه المجتمعات في العالم ومنها المجتمع الاسلامي اضافة الى ذلك ظهور ثقافة العولمة التي مهدت الى انتشار الإثرائية وحب النفس وزاد الجشع والشراهة وقل الايثار والاحسان ، فلأخ يريد ان يستأثر اذ نسمع عن الموديلات والنماذج من المأكولات السريعة والألبسة الجاهزة والموسيقى الصاخبة والسلع الاستهلاكية السريعة وصيحات الغرب الأخرى التي لا تحصى ولأتعد إضافة إلى إدخال مفاهيم منها الديمقراطية ، حقوق الإنسان ، حماية البيئة ، السلام ، الحوار الحضاري ، الصراع الحضاري ، التعايش ..الخ وهناك حجج أثرت على نفوس الشباب العربي حيث وقعوا تحت تأثير الزيف والادعاء وحجة إن الغرب متطور والعرب والمسلمين متخلفين. والسؤال هل تستطيع التربية الاسلامية والهوية الاسلامية الثقافية ان تجابه العولمة الثقافية ؟ وماهي الاجراءات اللازم لذلك ؟

أهمية البحث :-

ان الهوية الاسلامية الثقافية ومصادرها (القران الكريم ، والسنة النبوية المطهرة وسيرة اصحابه عليهم السلام ، واللغة العربية ، والتاريخ ، والتراث العربي والاسلامي .والموروث الثقافي الاسلامي فقد تعرضوا الى تشويه من خلال كتابات الغرب ولاسيما المستشرقين المنحرفين اذا لعبوا دورا واضحا منذ اوائل القرن التاسع عشر بعقد كثير من المؤتمرات والندوات مستهدفين تشويه العقيدة الاسلامية وشريعتها وقيمها وثقافتها وحضارتها . كما، ان العولمة –(Globalization) التي شكلت صيغ جديدة كموجه حضارية يقوم بها الغرب في ضرب الهويات الثقافية من اجل هيمنه ثقافة واحدة ، وإخضاع العالم لسيطرة حضارة واحدة بحيث تصبح العولمة الثقافية هي الموجه الغامرة والنافذة إلى داخل الوطن والشعوب وبالتالي تتخلى الدول الصغيرة من ثقافتها المحلية والوطنية من خصائصها الثقافية لصالح الثقافة العالمية وعند ذلك يحدث تصدع حضاري ثقافي وصراع بين الاجيال مما يجبر الدول القبول بسيادة الثقافة العولمة (الزبيدي ، صباح ٢٠٠٥ص١٢) حيث واجهت الثقافة العربية والهوية الثقافية الاسلامية بالوقت الحاضر ، مأزقا ثقافيا في ظل فضاءات العولمة الثقافية المرتبطة بالحراك الدولي في مجال الإعلام والعلاقات الثقافية والمعلوماتية والتدخل الدولي في الشؤون الاجتماعية والعائلية من خلال اختراق الفوارق الزمانية والمكانية واستخدام الأقمار الصناعية والمحطات الفضائية ومن خلال أجهزة الاتصال الحديثة الحاسب الالكتروني وشبكة الانترنت التي تبث للعالم أخر الصيحات والنماذج الحضارية المغايرة للقيم والعادات والتقاليد العربية وبخاصة للشباب المسلم الذي يعيش هو الأخر صراع ما بين القيم العربية والاسلامية لأصلية والقيم المعاصرة الغربية مما يؤثر على بناء شخصيته وثقافته ، وبذلك تشوه الهوية الثقافية السلامية وهي المكون الأساسي للشخصية الاسلامية ماذا يبقى للانتماء والولاء ؟ للهوية الاسلامية التي ترتبط بالعقيدة الاسلامية والشريعة الاسلامية

ISBN: 978-9922-21-412-2

اهمية البحث :- تأتي اهمية البحث من خلال :-

١- انتشرت حياة الالحاد وطغت المادية على الروحية وصارت المادة تسيطر على كل انسان ، وتحقق كل ملذاته في الحياة الدنيا لاعتقادهم انه لا حياة بعدها ، فهم يعيشون في الدنيا ويتمتعون بكل ما فيها من منكرات لإرضاء شهواتهم الجامحة ، وميولهم ونفوسهم المريضة ، لذلك نقول هم مسلمون بالوراثة والمحاكاة ومسلمون بأسمائهم لا بأفعالهم وصاروا ماديين لا يفكرون في حب المال وجمه والحصول عليه باي طريقة او وسيلة ولوكان محرمة مع الاسف ،

٢- اهمية مرتكزات الهوية الاسلامية الثقافية وهي (١١-لانتماء الى المجتمع الاسلامي وهو ما يعرف بانتماء الفرد إلى الجماعة أو الى الأسرة أو إلى المجتمع أو للمؤسسة ويحاول كل فرد منتمي ان يحافظ على هذا الانتماء فهو ارتباط روحي بالأرض او للأمة العربية والاسلامية و تعرض من قبل العولمة الثقافية سوف يضعف ومما يجعل الإنسان إمام خيرات الانتماء والولاء للثقافة العولمة والمرتكز الثاني هي(اللغة العربية/ وهي لغة القران الكريم والسيرة النبوية الشريفة والسلف الصالح والتراث الثقافي الاسلامي بعيدا عن الغلو والتطرف لعرق او القومية او الجنس اواللون) اذ تحاول العولمة الثقافية ان تخترقها بحجة انها اللغة الانكليزية هي لغة العصر والموديلات والطرق التكنولوجية ... وبذلك تحاول ان تشوهها باسم مختلفة ما يودي الى نقص للانتماء والولاء للهوية الاسلامية الثقافية والمكون الثالث (التراث الاسلامي الثقافي) فهو كل ما خلفه السلف الصالح من المسلمين من عادات وتقاليد وأعراف وقيم واتجاهات وأفكار ومفاهيم وسلوك وأنماط معيشية وأساليب حياتية في كل عصر من العصور الإسلامية ابتداء من عصر الرسول محمد ﷺ وما اتبعه من عصور إلى يومنا الحاضر حتى يرث الله الأرض وما عليها اذا تحاول العولمة الثقافية ان تخترقه بفرض عادات وتقاليد العولمة التي لا تمت الى الاسلام بصله ويصبح الشباب المسلم امام تحديات ثقافية خطيرة

٢- ان مصطلح العولمة (Globalization) من المصطلحات الجديدة التي ظهرت على ساحة العالمية ، اذا ان هذا المصطلح له اثار وجداول حول مفهوم العولمة وهو مثار نقاش والاختلاف في وجهات النظر للعديد من التيارات الفكرية والثقافية ، ولدى العديد من الباحثين والمفكرين في العالم في ظل فضاءات العولمة الثقافية المرتبطة بالحراك الدولي في مجال الإعلام والعلاقات الثقافية والمعلوماتية والتدخل الدولي في الشؤون الاجتماعية والعائلية من خلال اختراق الفوارق الزمانية والمكانية واستخدام الأقمار الصناعية والمحطات الفضائية ومن خلال أجهزة الاتصال الحديثة الحاسب الالكتروني وشبكة الانترنت التي تبث للعالم أخر الصيحات والنماذج الحضارية

المغايرة للقيم والعادات والتقاليد العربية وبخاصة للشباب المسلم الذي يعيش هو الأخر صراع ما بين القيم العربية والاسلامية لأصلية والقيم المعاصرة الغربية مما يؤثر على بناء شخصيته وثقافته ، علما ان الهوية الثقافية السلامية هي المكون الأساسي للشخصية الاسلامية لذا وجب الوقوف ضد هذا المفهوم من خلال الدراسة وتحليل لمعرفه اهدافه واتجاهاته في المستقبل

٣- اهمية دراسة الهوية الاسلامية الثقافية وتعزيز مناهج التربية الاسلامية حيث ان مناهج التربية الاسلامية تدرس (الشريعة الاسلامية + والعقيدة الاسلامية + القيم الاخلاقية والتربوية الاسلامية والتي تستمد من القران الكريم + السيرة النبوية المطهرة التي تشكل هوية المسلم والمجتمع الاسلامي للوقوف بالضد من العولمة الثقافية والفكر المتطرف الارهاب

اهداف البحث :-يهدف البحث الاجابة على التساؤلات الاتية -:

١- ما مضمون منهج التربية الاسلامية ؟

٢- ما مضمون الهوية الاسلامية الثقافية ؟

٣- ما مضمون العولمة الثقافية ؟

٤- ما دور التربية الاسلامية في تعزيز الهوية الثقافية الاسلامية لمواجهة العولمة الثقافية ؟

٥- ما النتائج والمقترحات ؟

حدود البحث -: يقتصر حدود البحث الحالي على الادبيات الاتية

١- الادبيات التي تناولت العولمة بصورة عامة والعولمة الثقافية بصورة خاصة المنشورة حتى عام ٢٠٢٣

٢- الادبيات التي تناولت الهوية الثقافية الاسلامية المنشورة حتى عام ٢٠٢٣

٣- الادبيات التي تناولت التربية الاسلامية المنشورة حتى عام ٢٠٢٣

تحديد المفاهيم والمصطلحات :-

اولا:- :-ويعرف بعدة تعاريف منها

وهو توقعات أنماط معينة من السلوك تشكلها الخصائص رسمية والتي يحددها الفرد او الجماعة (قمر:٢٠٠٥)

- يعرفه مذكور ، هو وضع اجتماعي ترتبط به مجموعة من الخصائص الشخصية التي يعزو اليها القائم بها الفرد والمجتمع معا اي مجموعة من الافعال المكتسبة التي يؤمن بها شخص او مجموعه في موقف تفاعلي اجتماعي(مذكور: ١٩٧٥)

ISBN: 978-9922-21-412-2

- .ويعرف اجرائيا (هو سلوك متوقع تقوم به التربية الاسلامية في تعزيز الهوية الاسلامية الثقافية لمواجهة العولمة الثقافية مستقبلا

ثانيا :- منهج التربية الاسلامية:

(ا)–المناهج :- ويعرف بعدة تعاريف وهي

- عرفها حمدان عام ١٩٨٥(بانه وثقه تربوية مكتوبه تصف اهداف التعليم التي ستعمل المدرسة على تحقيقها في التلاميذ مع ما يناسبها من معارف وخبرات وانشطه تربوية وتقييم (حمدا ن: ١٩٨٥)
- عرفها ابراهيم عام ٢٠٠٣ وهو مجموعه من المعارف والمعلومات والافكار المنظمة التي يقدمها المجتمع ومؤسساته لتشكيل ابنائه لأجل بلوغ الاهداف المرسومة (ابراهيم: ٢٠٠٣)

(ب)–التربية :-_ وتعرف ب:-

- التربية ، فقد عرفت بانها نظام اجتماعي يحدد الاثر الفعال للأسرة والمدرسة بتنمية النشء في جوانب شخصية المتعلم بشكل متكامل (عقلية + جسمية + وجدانية + اجتماعية + مهارية)حتى ان يحيا حياه سوية في البيئة التي يعيش فيها ولكي يتكيف مع نفسه ومع مجتمعه (بدوي :١٩٧٧)

(ج)– المناهج التربوية الإسلامية :- وتعرف بعدة تعاريفها

- عرفها سلطان عام ١٩٧٧ –:وهي المواد التربوية الإسلامية التي تستهدف الانسان والمجتمع الاسلامي سواء منها بالتربية الخلقية والتربية النفسية والتربية الجسمية والتربية الروحية والتي تستمد من القران الكريم واحاديث الرسول الاعظم محمد (ص) ومن التربويين الاسلاميين والعلماء المسلمين الذين اضافوا بعض الاجتهادات البشرية التي تخدم المسلمين التي تتضمن العقائد والعبادات والمعاملات والتشريعات التي توجهها الاخلاق والآداب العامة ، فهي تشمل (التاريخ الاسلامي ، الآداب الإسلامية ، الفقه الاسلامي ، الشريعة الإسلامية والفلسفة الإسلامية ، الاقتصاد الاسلامي) والتي تدر الوجود والحياة والتشريعات والنظريات ، اي العلاقات الطبيعية بين الوجود والانسان وخالقهم وبين الوجود والحياة وبين الانسان نفسه وبينه بين الجماعة وبينه بين الدولة والجماعات (سلطان :١٩٧٧)

والتعريف الاجرائي لخدمة البحث :-

ويمكن تعريفها اجرائيا :- وهي المواد الدراسية التي ترتبط وتتكامل مع بعضها لتحقيق الاهداف التربوية في المتعلم المسلم (العقلية + الجسمية +الوجدانية + الاجتماعية + الخلقية + المهارية)

وفق المواد الدراسية (العلوم الدينية + اللغوية + الطبيعية + الفلكية + المواد الاجتماعية + السياسية + الاقتصادية + الطبية والتشريحية) والتي يتم اختيار مفرداتها من الانسان والكون والحياة والقيم والمستمدة من القران الكريم واحاديث الرسول الاعظم محمدﷺ واهل البيت عليهم السلام

وتهدف الى :- (الانسان والمجتمع معا) سواء منها بالتربية الخلقية ، التربية النفسية ، التربية العقلية ، التربية الجسمية . التربية الروحية ، وتستمد هذه التربية من القران الكريم واحاديث الرسول الاعظم محمد ﷺواهل البيت(عليهم السلام) اضافة الى ما يقوم به التربويون الاسلاميون والعلماء المسلمين بإضافة بعض الاجتهادات التي تخدم المسلمين.

ثالثا:-تعزيز(**forcemen Rein**) تعرف بعدة تعاريف منها:

- عرفها بافلوف ، هي إرضاء، او مكافاة ، او دافع يعمل لخلق الاستجابة او هي عملية لزيادة السلوك المعزز وتقويته وبالتالي إجراء تعليم باتباع وسائل وطرق معينة متنوعة مرتبطة بالسلوك المراد تعزيزه وتقويته. (النورة جي :١٩٩٠)
- ويعرف اجرائيا وهو عملية تقوية الدافع او الحافز في تقوية تدريس التربية الاسلامية للهوية الاسلامية الثقافية في مواجه العولمة الثقافية مستقبلا

رابعا :- الهوية الثقافية الاسلامية

الهوية (**Identity**) وهي

- عرفها النورة جي :-هي الحالة الشخصية التي تحدد من سمات تميز بين الإفراد عن بعضهم من حيث (لاسم ، الجنسية ، السن ، الحالة العائلية ، المهنية) والتي تفصح عن الشي او مثيله في الوجود والاستمرارية والثبات وعدم التغير(النورة جي: ١٩٩٠)
- وعرفتها المنظمة العربية للتربية والثقافة :- وهي رابطة او شعور بناء الأمة العربية الواحدة ، بالتاريخ واللغة والدين والارض والمصير المصير الواحد للتحرر من قيود (الاستعمار بكل أشكاله) اي تحرير الأرضي العربية المغتصبة يجعل الأمة العربية محافظة على شخصيتها القومية العربية الاسلامية((خطة المنظمة العربية للتربية والثقافة١٩٨٤ص٢٠٥)
- (تعريف الهوية الإسلامية) ويعرفها الكاتب الدكتور خليل نوري مسيهر العاني وهي تعني: الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر لإسلامية والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز الاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ والشهادة على الناس، وهي محصلة ونتاج التجربة التاريخية لأمة من الأمم

ISBN: 978-9922-21-412-2

وهي تحاول إثبات نجاحها في هذه الحياة. (عام١٤٣٠هـ،٢٠٠٩م.) الشبكة العنكبوتية/ الدكتور خليل نوري مسيهر

الثقافة / الثقافية وتعرف بعدة تعارف :-

- عرفها (**Tylor**) هي ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه جزء من المجتمعTylor)) (١ ٥ص٩١)
- وتعرفها المنظمة العربية للتربية لثقافة والفنون (بانها مجموع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها ، وطرائق التفكير الإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني ، وسبل السلوك والتصرف والتعبير وطراز الحياة ، كما تشمل تطلعات الإنسان للمثل العليا ومحاولاته إعادة النظر في منجزاته والبحث عن ذاته) خطة المنظمة العربية للتربية والثقافة١٩٨٤ص٢٠٥
- ويعرفها علماء الاجتماع بأنها أساليب ومظاهر الحياة الاجتماعية السائدة في المجتمع . سواء في المجال الفكري لو في المجال المادي
- ويعرفها صالح هندي وآخرون . هي طريقة الحياة الكلية للمجتمع ، بجوانبها الفكرية والمادية زهي تشمل مجموعة الأفكار والقيم والتقاليد والنظم والمهارات وطرق التفكير وأساليب الحياة والعرف والفن والنحت والتصوير والرقص الشعبي والأدب والرواية والأساطير ووائل الاتصال والانتقال ، وكل ما توارثه الإنسان وأضافه الى تراثه نتيجة عيشه في مجتمع معين (صالح هندوي واخرون
- يمكن تعريفها إجرائيا الكل المعقد من المعرفة وحقولها والعقائد والتقاليد والقيم والمثل العربية التي أوجدها الإنسان العربي والمسلم من خلال حضارته العريقة وإضافة إلى تعامل الإنسان العربي والمسلم مع مقتنيات العصر الحديثة المادية الممثلة بالأجهزة والمعدات والآلات والأموال لصالح خدمة خطط وبرامج حضارية وبمضامينها الإنسانية والثقافية لأجل الارتقاء بثقافة العرب الاسلامية إلى مصافي الثقافات الأخرى لمواجهة العولمة الثقافية

ان الثقافة العربية هي مجموع جهود مشتركة للعرب ذات مضمون حضاري تقدمه الأمة العربية للعالم ومن خلال التفاعل الحضاري في خدمة الإنسان.

خامسا :- العولمة الثقافية :-

(أ) العولمة((**Globalization** وتعرف بعدة تعاريف وهي

- عرفها الجمالي هي:" فعل من أفعال الهيمنة والسيطرة والتحكم ، بحيث تسود قوة ما على الآخرين وتتحكم بهم . وتمهل كل ما يتعلق بهم (الجمالي :٢٠٠٠)

- يعرفها الإمام –: أنها مجموعة من الظواهر المركبة التي تفرض نفسها بذاتها على العالم اجمع وعلى جميع المجتمعات بصورة لانفكاك منها (٦ص٧٢).
- ويعرفها إسماعيل :–من زاوية اقتصادية وهي قمة التطور التي وصلت إليها الرأسمالية ، حيث تسعى إلى إن تستبدل برأس المال الوطني رأس المال العالمي وما يترتب على ذلك من انقلاب جوهري في شبكة العلاقات التي تربط الإنسان بواقعه وبالأخر من جهة وميراثه الثقافي أو الحضاري بصفة عامة من جهة أخرى (٧ص١٦٣)
- وتعرفها منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية ,–: بأنها ظاهرة متعددة الوجوه في إبراز مظاهر النمو السريع في التجارة الدولية وتدفقات رؤوس الأموال وازدياد أهمية الخدمات في كل من التجارة السريعة والاستثمار الأجنبي المباشر على السواء وتكامل عوامل الإنتاج على الصعيد العالمي والتوائم المؤسسي بين البلدان على الصعيد العالمي (١٠ص٧٣) منظمة الامم المتحدة للتجارة والتنمية.
- ويعرفها نعمة.:– أن العولمة رديف للأمركة ، وان تقنعت بأقنعة (العلم والتكنولوجيا) فهي نموذج الثقافة الأمريكية يتسلل عبر الشركات عابرة القارات إلى كل مكان في العالم و ينتشر بسرعة مذهلة فهي (الأمركة) ويقصد بها ماركة مظاهر الحياة كلها . سواء في الاقتصاد او العلوم او القيم والتقاليد وحتى الألعاب والفنون والإمراض والجوع (٨ص١١)
- ويمكن تعريفا إجرائيا :–(بأنها نظام جديد انتهجته الولايات المتحدة الأمريكية كأسلوب سياسي واقتصادي وثقافي وعلمي وتكنولوجي ومعلوماتي في التعامل مع دول العالم في أوربا واسيا وفريقا وأميركا اللاتينية وأمريكا الجنوبية واستراليا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق ضمن سياق الرأسمالية العالمية – الامبريالية – وذلك من خلال السيطرة على (التجارة العالمية والمصاريف الاقتصادية والإعلام) وتسخيرها لمصالح دول العولمة بهدف اخضعا إرادة العالم للدول الأقوى في (الاقتصاد– السياسة – الإعلام – المعلوماتية– الثقافية)

العولمة الثقافية :– التعريف الاجرائي

توحيد الأفكار والقيم وأنماط السلوك وأساليب التفكير بين مختلف شعوب العالم كوسيلة لتوفير مساحة واسعة من الفهم المتبادل والتقريب بين البشر وإقرار السلام العالمي او هي سيطرة الثقافة الغربية على سائر الثقافات بواسطة استثمار مكتبات العلوم والثقافة الحديثة في ميدان الاتصال وإهمال ثقافات العالم الأخرى وبذلك فهي اختراق للمجالات الوطنية والقومية ضمن الفضاءات العولمة

سادسا :– سبل المواجهة :– ويمكن تعريفها إجرائيا

ISBN: 978-9922-21-412-2

وهي الجهد المنظم الذي تقوم به المؤسسات التي تعنى بالثقافة العربية وفق رؤية موضوعية تساهم في توعية المواطن العربي بمرتكزات الهوية الثقافية العربية والإسلامية من خلال (التوعية . التربية – ومنهاج التربية الاسلامية والإعلام والاتصالات بعقل وفكر منفتح في ضوء مبادى الشريعة الاسلامية والعقيدة الاسلامية والثقافة الاسلامية لمواجهة العولمة الثقافية مستقبلا

منهجية البحث :

سيعتمد الباحث في مناهج البحث الحالي على المنهج البحث الوصفي ، اي تحديد الادبيات ووصفها ثم استنباط مفاهيم / مفاهيم الهوية الاسلامية والتربية الاسلامية والثقافة الاسلامية وسبل المواجهة لمفهوم العولمة

الفصل الثاني : العولمة بصورة عامة والعولمة الثقافية والهوية الاسلامية الثقافية

المحور الاول :- العولمة بصورة عامة والعولمة الثقافية بصورة خاصة

من المعلوم ، ان العولمة كمفهوم ارتبط بالنظام العالمي وحظي هذا المفهوم باهتمام الكتاب والمثقفين ، ولا يكاد تخلو صحيفه او مجله او دورية من تناوله خصوصا بعدان تطورت وسائل الاتصال الحديثة والانترنت والفضائيات ،لقد اقترن هذا المفهوم بمسميات ومنها (العالم اصبح قرية ، الشركات متعدد الجنسيات ، منظمات بلا حدود ، اقتصاد المعرفة ، المعلوماتية)

وبناء على ما تقدم ، دخل مفهوم العولمة الى القاموس السياسي والاقتصادي والثقافي ، وحتى بعض الكتاب تسالوا . ما العولمة؟ هل هي مذهب فكري جديد ؟ ام نظام سياسي عالمي افرزته المتغيرات الدولية والمناخ السياسي العالمي خصوصا بعد اعقاب نهاية الحرب الباردة . وسقوط الاتحاد السوفيتي ؟ ام انه فكرة العولمة هي نظريه جديدة لملء الفراغ ، ظهر على الساحة الدولية (هندي ، صالح واخرون ٢٠٠٠ص٢٠٠)

ظهور العولمة على شكل طفرات

ويرى الكاتب العربي عبد الحافظ ان العولمة ظهرت على شكل طفرات ، انظر الى المخطط رقم (١) يمثل العولمة على شكل طفرات :

الطفرة الاولى: (انهيار الاتحاد السوفيتي كمنظومة اشتراكية وتفرد الولايات المتحدة الامريكية)

مع بداية العقد الاخير من القرن العشرين كانت المنظومة الاشتراكية قد انهارت ، وبذلك انهار احد قطبي النظام العالمي وانهار التوازن الدولي وتفردت الولايات المتحدة الأمريكية كدوله واحدة بقيادة العالم

وعليه دخل العالم في عصر القطبية الأحادية وانفراد دولة واحدة بقيادة العالم اصبح من الممكن فرض سياسات معينه على مستوى العالم كل هذه الاسباب ادت الى بروز العولمة كواقع حال

الطفرة الثانية :- (**ظهور الشركات الكبرى متعددة الجنسيات**)

برزت الى الوجود في العقدين الاخرين من القرن العشرين . ظاهره الشركات العملاقة التي تعمل في نشاطات متعددة (صناعيه ، مصرفيه ، خدمية) وتمت هذه الشركات نموا سريعا الى ما يقرب (٤٠) الف شركة، ان هذه الشركات تتمتع بقدرات اقتصاديه وماليه ضخمة تمكنها من تتخطى الحدود القومية ، وبذلك اصبحت قوة لها القدرة في تعبئة الموارد المالية والطبيعية والبشرية ، اضافه الى ذلك انها تمتك التكنولوجيا الحديثة والكفاءات الإنتاجية والإدارية والتسويقية على اوسع نطاق في العالم ، وبذلك ساهمت هذه الشركات تتمركز في دول (٥) وهي (الولايات المتحدة الامريكية ، اليابان ، المانيا ، بريطانيا ، فرنسا) وبذلك سيطرة على جميع المشاريع ولها ارباح ما يقارب (٢٠) تريلون دولار من اجمالي الانتاج القومي العالمي ولها (٨٥%) من اجمالي التجارة العالمية وبذلك اصبحت العولمة واقع حال يعشه العالم

الطفرة الثالثة :- (**ظهرت انشاء منظمة التجارة العالمية**).

من المعلوم ،ان النظام التجاري العالمي سابقا اعتمد على الاتفاقية العالمية (الجمركية والتجارية (بالجات

التي تأسست عام ١٩٤٧ وكانت هذه التجارة لا تعتمد على مؤسسة قانونيه تضمن لها تنفيذ احكام هذه الاتفاقية ، وبعد مداولات عديدة تم تحويل النظام التجاري العالمي الى منظمة سميت (منظمة التجارة العالمية) حيث ساهمت هذه المنتظمة بزيادة المبالات التجارية والأنشطة الاقتصادية وتمويل السوق العالمي ومن انشطتها تجاره الخدمات المصرفية ، وحقوق الملكية الفكرية ، وتحديد تجارة السلع) وبذلك اصبحت هذه المنظمة اداه فحص للسياسات التجارية العالمية وللأعضاء ، واصبحت الجهة الوحيدة لحل المنازعات التجارية بين الاعضاء وعلى الدول المنضوية تحتها ان تحترم القوانين والقرارات الصادرة من المنظمة

وعليه قامت منظمة التجارة العالمية بسياسات تجاريه من شاء نها تحدد القيود الجمركية والرسوم الجمركية ومنح الامتيازات للدول وتحقيق المساواة والتحكم بالسلع المستوردة

وبناء على ما تقدم ساهمت بفتح الباب على مصراعيه لتجاره السلع والخدمات في كل ارجاء المعمورة خصوصا الدول المنضوية لها وبذلك فهي شكلت نواة للعولمة الاقتصادية في العالم

الطفرة الرابعة :-(تطور في تقنية الاتصالات والمعلومات ووسائل النقل)

لقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين تطورا سريعا في مجال تقنيات الاتصال وتكنولوجيا المعلومات ، وكذلك تطور في وسائط النقل البريه والبحرية والجوية من حيث (الحمولة والسرعة والوقود) وبذلك اختزلت الزمن والمسافات واصبحت حركة انتقال الافراد والسلع والخدمات بسهوله تجري في العالم

وبناء على ما تقدم ، تطورت الاتصالات وشبكات الاتصال ومنها الحاسوب والاقمار الصناعية والهواتف المحمولة واجهزة الفاكس وانعكاس ذلك في كل مجالات الحياة ، السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، والثقافية، وزاد عدد الاقمار الصناعية حيث تجاوزت (١٠٠٠) الف قمر صناعي يبث ارسالها الى كل ارجاء العالم ، وعلى مدار (٢٤) ساعه ، اضافه دمج في وسائط الاتصال ما بين الهاتف والانترنت وتطر في شبكه الانترنت العالمية ومميزاتها في امداد الانسان بالمعرفة والمعلومات ونقل القيم والعادات والتقاليد بجوانبها المفيدة والردي ، واصبحت هناك صفحات للعلم والفلسفة والدين والحكمة والفكر وصفحات لجريمه والفحش والبذاءة والفسوق، وبذلك فتحت افاق جديدة للعالم من خلال الاتصال بالعالم عبر الشبكات عن طريق الحديث والحوار بالصوت والصورة وفي اي مكان واي زمان وبذلك فان العولمة سخرت هذه الاجهزة لخدمة مصالحها وفي نشر مبادئها وقيمها واتجاهاتها المعلنة وغير المعلنة

اثار العولمة السلبية على العالم من الناحية الثقافية:

في ظل التقدم الهائل في وسائل الاتصال الحديث الذي انعكس على العالم مما جعل العالم يوصف بانه (قرية صغيرة) والتي سهلت سبل انتقال المعلومات وتبادل الافكار والمعارف الى ارجاء المعمورة مما جعل بعض الكتاب يذكرون ان التاريخ الجديد هو تلاقح في الثقافات من حيث الافكار والروى وصولا الى مرحله من التكامل المعرفي والاندماج الثقافي والحضاري التي كونته ثقافة كونية راقية.

وبناء على ما تقدم ، ان هذه الافكار والخواطر فيها نوع من التكافؤ والندية في العلاقات بين الثقافات المختلفة والالتقاء على قاعدة الاعتراف المتبادل وقبول الاخر

اهداف العولمة الثقافية :- تكمن بأهداف العولمة الثقافية بـ:

١- هيمنة الثقافة الغربية على العالم:-

من المعلوم ، ان استثمار تقنيات الاتصال والمعلوماتية تكمن بيد جهات غربية بصورة عامة وامريكا بصورة خاصه ، فهي تمتلك الامكانيات المادية الضخمة التي ترى للتفوق واكتساح اي منافس لها حيث ان معظم الانتاج الاعلامي والثقافي الذي يغطي البث الفضائي والارضي والوسائط الإعلامية ، اضافه الى محتوى شبكه الانترنت هو انتاج غربي وامريكي ، حيث يحمل معاني وافكار وبيانات تعبر عن

ISBN: 978-9922-21-412-2

ثقافه واحدة وما تحمله هذه الثقافة الواحدة من(قيم + اتجاهات + تقاليد + انماط من السلوك ، وتتمثل وجهه نظر حضارية واحدة)

وبناء على ما تقدم ، ان الاستثمار الضخم في التقنيات و في انتاج المواد الإعلامية والثقافية اصبح لها دور كبير من الربح وبشكل مورد اقتصادي للدول العولمة ويشكل الاعلام والمواد الإعلامية في القطاع الاقتصادية اكبر من تصدير الطائرات والسيارات) فقد حصرت افلام هوليود على اكبر من (٣٠) مليار دولار على نطاق العام عام ١٩٩٧ ، علاوة على ذلك ان الغرب يسيطر حاليا على قنوات البث الفضائي المؤثر وعلى محتوى الشبكة وعلى اكبر الصحف والمجلات ودور النشر ووكالات الانباء

وعليه فان ثقافه العولمة ، تشكل سيل جارف يكتسح امامه كل ما يقابله ويعوق مسيرته ، وبذلك سوف يتغير معالم العالم اليوم في طريقه حياته وتفاعله ويتصدى الحوار الثقافي وطمس الثقافات والحضارات القديمة واصولها ومنابها

٢- زعزعه منظومة القيم في المجتمع

من المعلوم ، ان لكل امه من الامم لها منظومه قيمه متمثلة مجموعه من القيم والعادلات والتقاليد والاعراف ، وبذلك فهي تشكل نظامها العام والمرجعي وتحرص هذه الامم على حمايه هذه القيم وتحاول تعزيزها في الاجيال القادمة من خلال مؤسساتها التربوية والتعليمية ، وبما ان منظومه القيم تبدا بالأسرة التي تسام في تعزيز هذه القيم لدى الافراد ، ثم يأتي دور المدرسة والمؤسسات التعليمية الاخرى ومنها الإعلامية

وفي ضوء ما تقدم ، تقوم السطلات القائمة في اي مجتمع توفير الظروف الملائمة لحمايه منظومه القيم من الاختراق وذلك بالوقوف امام من يحاول النيل منها.

وبناء على ما تقدم فان للعولمة الثقافية تحاول اختراق الاسرة والمدرسة والمؤسسات الاخرى من خلال ما تمتلكه من وسائل الاتصالات والمعلومات علاوة على ذلك تطوير في الفضائيات والتحكم في المحتوى الشبكة والبث وانتشار الفضائيات بشكل كبير حتى تجاوز عدد الاقمار ب ١٠٠٠ قمر صناعي وسوف يصل اعدادها ما يقارب (٢٠٠٠) قمر صناعي ، وترصد ما يدور على كوكب الارض ، وللأغراض المختلفة ، وبذلك تساهم في بث المعلومات والبرامج والافكار الخاصة بالعولمة

وبذلك اصبح البث المرئي هو المؤسسة التربوية والتعليمية التي تزاحم وظيفيه الاسرة والمدرسة وان اغلب مضامين رسائل الاتصال يحمل مضامين سلبيه لعقيدتنا وقيمنا وتترك اثار سلبيه على الادراك

ISBN: 978-9922-21-412-2

والوعي والوجدان وعلى وجه الخصوص على الناشئة مما يخلق صراع في منظومه القيم الوطنية بالقيم العولمة الثقافية.

٣- تهديد للغات بصورة عامه واللغة العربية بصورة خاصة

من المعلوم ان هناك ازمة تعيشها لغتنا العربية في ظل العولمة الثقافية وتتمثل هذه الازمة بأقصاء المستمر للغة العربية ، مما يجعل انسحاب اللغة الفصحى من حياتنا اليومية ، فاللغة العربية كما هو معروف هي الخطاب الرسمي الذي يكتب ويبث في اجهزتنا الإعلامية الرسمية وغير الرسمية ، وللأسف ان بعض الاجهزة الإعلامية تستخدم اللهجات العامية المحلية ومزج بين اللهجات بالفصحى والعامية ، او استخدام اللغات الأجنبية في اسماء المحلات التجارية والشركات والمؤسسات وبخاصه في الاعلانات التجارية دون ضبط

وتأسيسا على ما تقدم سوف تقوم العولمة الثقافية بخلق ازمه تهدد اللغة العربية وحل محلها الفلسفة الليبرالية الغربية باعتبارها النموذج والارقى لا سلوب الحياة وبذلك يقال ان اللغة الانكليزية هي اللغة الارقى والتي ينبغي ان تسود العالم قيم وعادات وتقاليد وافكار هي التي تخاطب العقل والروح والجسد والشعور من المعلوم ، ان استثمار تقنيات الاتصال والمعلوماتية تكمن بيد جهات غربية بصورة عامة وامريكا بصورة خاصه ، فهي تمتلك الامكانيات المادية الضخمة التي ترهلا للتفوق واكتساح اي منافس لها حيث ان معظم الانتاج الاعلامي والثقافي الذي يغطي البث الفضائي والارضي والوسائط الإعلامية ، اضافه الى محتوى شبكه الانترنت هو انتاج غربي وامريكي ، حيث يحمل معاني وافكار وبيانات تعبر عن ثقافه واحدة وما تحمله هذه الثقافة الواحدة من قيم + اتجاهات + تقاليد + انماط من السلوك ، وتتمثل وجهه نظر حضارية واحدة

وبناء على ما تقدم ، ان الاستثمار الضخم في التقنيات و في انتاج المواد الإعلامية والثقافية اصبح لها دور كبير من الربح وبشكل مورد اقتصادي للدول العولمة ويشكل الاعلام والمواد الإعلامية في القطاع الاقتصادية اكبر من تصدير الطائرات والسيارات) فقد حصرت افلام هوليود على اكبر من (٣٠) مليار دولار على نطاق العام عام ١٩٩٧ ، علاوة على ذلك ان الغرب يسيطر حاليا على قنوات البث الفضائي المؤثر وعلى محتوى الشبكة وعلى اكبر الصحف والمجلات ودور النشر ووكالات الانباء

وعليه فان ثقافة العولمة ، تشكل سيل جارف يكتسح امامه كل ما يقابله ويعوق مسيرته ، وبذلك سوف يتغير معالم العالم اليوم في طريقة حياته وتفاعله ويتصدى الحوار الثقافي وطمس الثقافات والحضارات القديمة واصولها ومنابعها (عبد الرشيد ٢٠٠٤ص٤٦)

- ترويج لثقافة واحدة عن طريق وسائل الاعلام والاتصالات.
- نشر ثقافة صناعة الثقافة الاستهلاكية والترفيهية

ISBN: 978-9922-21-412-2

- اختراق عقول المثقفين بثقافة واحدة
- انحسار اللغة العربية امام اللغات العولمة (الانكليزية والأمريكية)
- محاربه الثقافة المحلية والقومية بحجه التسامح والتطور الثقافي والحضاري)
- تزييف للتاريخ والحضارة العربية من خلال (التظليل ودس السم بالعسل)
- اشاعة الحريات الفكرية كبديل للأيديولوجيات الوطنية والقومية
- نشر الشك في القيم الروحية على القيم المادية بحجة ديمومة الحياة
- طمس الهوية الثقافية العربية وخاصة العربية الإسلامية
- هجرة العقول الثقافية لصالح الدول المتقدمة
- التشكيك في التوافق اللامحدود بين القيم الروحية والمادية وترسيخ القيم المادية الحضارية

العمل على قطع صلة الاجيال الجدية بماضيهم وتراثهم ودينهم (الزبيدي ، صباح ٢٠٠٥ص٢٠)

المحور الثاني :- التربية الاسلامية :- طبيعية المناهج التربوية الإسلامية :

وفي ضوء ما تقدم ان مناهج التربوية الإسلامية تستهدف (الانسان والمجتمع معا) سواء منها بالتربية الخلقية ، التربية النفسية ، التربية العقلية ، التربية الجسمية . التربية الروحية ، وتستمد هذه التربية من القران الكريم واحاديث الرسول الاعظم محمد ﷺواهل البيت عليهم السلام اضافة الى ما يقوم به التربويون الاسلاميون والعلماء المسلمين بإضافة بعض الاجتهادات التي تخدم المسلمين ،

وبناء على ما تقدم ان مناهج التربوية الإسلامية ليست مناهج جامدة او منفصلة بل تعمل وفق اطر ومفاهيم شاملة لأمور الحياة الدنيا وحياة الآخرة، وهي مناهج تستهدف بناء مفاهيم وحقائق اسلامية عند الفرد المسلم والمجتمع المسلم وفق منهج عقلاني يدفع الانسان الى التعايش الانساني وكما تدفعه الى ملاحظة الكون الطبيعي ودقته وصنعه والى الاستبطان النفس البشرية وملاحظتها والوقوف على اسرارها بالاستعانة بما يقدمه القران الكريم واحادث الرسول الاعظم محمد ﷺ واهل البيت عليهم السلام اضافة الى النفس البشرية لا يعرفها الا خالقها وبالتالي فهي تقدم لنا الدليل والتحليل في ادراك الانسان لما يحيط به عن النفس البشرية والظواهر الأخر فالله سبحانه وتعالى هو رب العالمين

اهداف المناهج التربوية الإسلامية-:

قام الباحث باستنباط أهداف المناهج التربوي الإسلامية وعرضها بالشكل الاتي:-

- بناء الإنسان المؤمن بربه وبملائكته وأنبيائه ورسله بما انزل عليهم من كتب سماوية وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر.

ISBN: 978-9922-21-412-2

- بناء الشخصية المسلمة المتمسكة بتعاليم الدين والمرتبطة بالأخلاق الفاضلة الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بتأدية الفرائض والشعائر لتكوين هذه القيم الفاضلة.
- بناء الإنسان الصحيح في جسمه القوي في بدنه حتى يكون منتجاً وفعالاً في الحياة وقادراً على مواجهة الصعاب والتحديات واحتمال التغيرات الطبيعية .
- بناء الشخصية الملتزمة في دوافعها وعواطفها نزعاتها والمطمئنة بإيمانها والمستقرة نفسياً والمتكيفة مع نفسها ومع غيرها .
- تهذيب الذوق الفني القادر على تذوق الجمال والخير وتقديره ثم التمتع به في شتى أشكال الحياة .
- تزويد الإنسان بسلاح العلم والمعرفة وتمكينه من امتلاك وسائلها الأساسية والتوسع في ثقافته وحل مشكلات مجتمعه.
- إيجاد إنسان قادر على استعمال أوقات الفراغ بالأعمال والأنشطة النافعة لتنمية مواهبه وميوله ورغباته.
- إيجاد إنسان متسم بالكفايات الاجتماعية والاقتصادية والسياسة لكي يدرك حقوقه وواجباته ومسؤولياته أمام نفسه والآخرين وذلك من خلال احترام القانون والنظام والتشبث بروح المسؤولية لخدمة الناس وبناء علاقات اجتماعية ناجحة.
- إيجاد إنسان بقدر أهمية الأسرة وتحمل المسؤولية ومضحي لتماسكها وتحقيق رفاهيتها وسعادتها.
- إيجاد إنسان يقدر أهمية بناء المجتمع السليم يسود فيه تطبيق تعاليم الدين الإسلامي وأحكامه الشرعية من خلال دعم أساليب الحياة العامة في المعاملة والتعامل مع الناس ومكافحة الأمية والتخلف وبث الوعي بأهمية التعليم عبر الوسائط الممكنة وتشجيع البحث العلمي والتأليف والترجمة وإحياء التراث.
- تشجيع اللغة العربية الفصحى والعمل على تقويتها ونشرها وذلك باعتبارها لغة القران الكريم والتراث والثقافة وأداة الاتصال اللغوي والتعبير والتفكير في هذه اللغة.
- بناء مجتمع فاضل يتحقق في ظلة (العدل والتقارب والتماسك والتعاون بين فئات المجتمع وإفراده وتتقارب فيه الشفقة والرحمة والتقدم العلمي ويحافظ على التقاليد الاجتماعية المرغوب باه ومحاربة مظاهر التخلف والخرافات وتطوير الحياة بما يستجم مع التطور العصر
- بناء مجتمع متقدم اقتصاديا يسود فيه التخطيط الاجتماعي والاقتصادي الشامل المتكامل الذي يستجيب لحاجات الأمة ويتمشى مع إمكانيات الحياة المادية والبشرية والذي يهدف إلى زيادة الإنتاج وتحسين وسائلة وتحقيق التوازن المطلوب بين الإنتاج والاستهلاك ويتكاف فيه ويرتفع فيه

الدخل الفردي والقومي والفرص المتساوية للمواطنين وسد حاجة ومتطلبات التنمية الشاملة وذلك بتشجيع تدريب الكفاءات والكوادر لحل مشكلات المجتمع.

- بناء مجتمع موحد يسود فيه الوفاق والوئام والانسجام وحرية الفكر والعقيدة والتسامح والشعور بالولاء للدين والوطن والأمة والشعور بالاعتزاز بالدين والتراث والسلف الصالح عن طريق السياسة التربوية وذلك من خلال دراسة الفكر الإسلامي وإحياء التراث الإسلامي وإبراز عناصر القوة وعوامل الوحدة ونشر الثقافة الإسلامية وتدعيم اللغة العربية .
- تحقيق سلام عالمي قائم على الاحترام والعدل والحق والتسامح والتفاهم والتعاون الدولي المرتبط باحترام المواطن والعهود والمصالح المتبادلة والمنافع . (الزبيدي :٢٠١١)

لذلك نقول إن هذه هي أهداف التربية الإسلامية أنها أفكار وتصورات مستمدة من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والتراث والفكر الإسلامي في شتى مجالات المعرفة المرتبطة بالإنسان والمجتمع التي ارتبطت بالشمول والتكافل والواقعية.

مجالات المناهج التربوية الإسلامية :-

من المعلوم ان للمناهج التربوية الإسلامية لهدا اهداف شموليه وعميقه فهي تساعد على تنمية الجانب الفكري وتنمية الجانب الاجتماعي والنفسي والاخلاقي والجسمي فيه ،

وفي ضوء ما تقدم ان تنمية الجوانب في شخصية المتعلم المسلم بشكل متكامل لتنبي شخصية ذات نظرة شمولية لأمور الحياة العامة في الطبيعة وما بعد الطبيعية.

وبذلك للمناهج التربوية الإسلامية مجالات وهي -:

اولا :- المجال المعرفة -: تستهدف مناهج التربوية الإسلامية على تنمية

- تنميه ذكاء الانسان المسلم وتنميه قدرته على التأمل والنظر والتفكير بدعوة الانسان المسلم الى النظر في الطبيعية والكون والنفس البشرية وتأملها واستبطانها.
- تنمية قدرة المسلم على التصور والتخيل بما ابدعه القرآن الكريم في مشاهده وصور فنية عن الغيب والقيامة.
- تقويه الذاكرة والتذكر بحفظ القرآن الكريم واستيعاب آياته.

ثانيا:- المجال الاخلاقي-:

تستهدف مناهج التربوية الإسلامية الى بناء الانسان المسلم على وفق القيم والمُثل الأخلاقية في اطار مجموعة من القيم التي تشمل (العدل ، المساواة ، الحرية المنضبطة من داخل الانسان ، اي الحرية الاجتماعية ، الحرية السياسية والحرية الاقتصادية ، وكذلك بناء المجتمع الذي ينشده الاسلام (

الصدق ، الأمانة ، اداء الواجب ، استثمار الوقت ، مساعدة الاخرين ، الايثار ، الاعتماد على النفس وحب الناس.

ثالثا:- المجال الروحي :-

تستهدف المناهج التربوية الإسلامية الى تنمية الروح الإسلامية في الانسان والمجتمع وهي تركز على (التغير والايثار وذلك استنادا الى قوله تعالى ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر: /٩) وكذلك قوله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً﴾ (سورة الانساء /٩)

ان هذه القيم هي قيم روحية مطلوب تعزيز في المسلم وكذلك المجتمع لقاء جزاء الله سبحانه وتعالى وثوابه ، وكذلك جهاد النفس وهي اكبر من قتال الاعداء في سبيل الله بمعنى ضبط النفس في اطار القواعد والقيم ويجعلها الاسلام اعلى مرتبة من الجهاد في سبيل الله ادراكا من ان المسلم استنادا الى قوله تعالى ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة يوسف /٥٣)

رابعا:- المجال الجسمي :-

تستهدف المناهج التربوية الإسلامية بصحه الانسان وبمظهره وبذلك فالإسلام اعتنى به استناداً الة قول الرسول الاعظم محمد ﷺ(ان لبدنك عليك حق) و(والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير) لذا فان بناء قوة الانسان البدنية يحتاج الى تربية رياضيه وتربية جسمية وقيم من خلال برامج التربية رياضيه والغذائية والعناية بصحة الانسان.

خامسا:- المجال الاجتماعي-:

تستهدف المناهج التربوية الإسلامية ، الى إقامة العلاقات الاجتماعية بين البشر وبذلك شرّع الاسلام نظام الحكم والسياسية والاقتصاد للأسرة والنظام الاجتماعي هو عام وشامل لقد اكد على مفهوم شورى وأمرهم شورى بينهم ، وشرع مفهوم السياسية في إطار العدالة والمساواة والحرية التي ينبغي ان يقوم بها المجتمع وشرع الاقتصاد في اطار الأخلاقية في الانتاج التوزيع الانفاق وقول الرسول الاعظم محمد ﷺ(ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه) وكذلك شرع الزكاة والصدقة بما يحقق التكافل الاجتماعي والمعيشة الاقتصادية وشجع على المساواة بين الرجل والمرآه وملكيه في الاسرة

مسلمات المناهج التربوية الإسلامية :-

تنطلق المناهج التربوية الإسلامية من عدة مسلمات وهي :

نحن مجتمع بشري اسلامي يعتمد على كتاب الله وسنه رسوله فالقرآن يرسم مناهج التربوية الإسلامية من حيث الفلسفة والاهداف والغايات بنظرة شامله ومتكاملة ومبنيه على الحقائق وعلى هذا الاساس نحن نقدم نموذجا على مر التاريخ تتطلع اليه البشرية في كل عصر وفي اي زمان في المستقبل ونحن لنا الاطار الفكري الذي يعد الاسلام (قوة تربوية) في المجتمع الاسلامي حيث تستمد هذه القوة التربوية من القيم الأخلاقية الفاضلة المنظمة لأبعاد الحياه الاجتماعية السياسية والاقتصادية والتعليمية وذلك من خلال -:

١) وحدة التماسك الاجتماعي :- اي وحدة الفكر في اطار المعايير القيمية والتنظيمية للحياة حيث تتوضح الاحكام والقضايا الاجتماعية بالاستجابات المتشابهة مثل (الترابط ، التعاون ، التكافل ، الانسجام) اي تشابه في الاهداف والمواقف المشتركة في خلق الروح الاجتماعي .

٢) ذاتيه المجتمع الإسلامية -: اي ان المجتمع الاسلامي مستمدة من الشخصية الإسلامية الفطرية التي فطرها الله سبحانه وتعالى للناس يعني الصبغة التي صبغ بها الله سبحانه وتعالى الاسلام في الدين ومبادى الاسلام التي تتجسد في المجتمع الاسلامي الذاتية .

٣) نضج العلاقات الإنسانية -: ان العلاقات الإنسانية اي ربط الانسان بوالديه وبأبنائه وبجيرانه ، الكون ، الحياة وما وراء هذه الحياة ، منظمه يوضحها الاسلام بانها علاقات ناضجة من خلال خدمة الانسان في هذا الكون وإصلاحه ويؤكد الاسلام ان الاستعدادات لدى الافراد الفطرية ليست متساوية وبذلك يهيئ لها الفرصة المتكاملة امام الجميع ويترك الجهد والعمل لها ويؤكد الاسلام ان المساواة ، العدالة الاجتماعية والقيادة والتعبئة ينبغي ان يوجهها خط (الانتخابات) وهو خط العدل الذي يتيح الفرص امام الجميع بأن يختاروا الاصلاح (سلطان :١٩٧٧)

وفي ضوء ما تقدم إن الامة الإسلامية تمتلك تراثا حضارياً وقيماً تجمعهم وهي (الصلاة . الصيام ، الحج ، الزكاة ، الخمس ،) فالكعبة هي التي تجمع المسلمين على العدل والبر والتقوى ، وحب المسلمين للعمل الصالح والولاء للإسلام ، اضافة إلى ان تراث الاسلام يؤكد على ذلك فنجد المباني وطرازها ونقوشها كلها توحي الى وحدة الثقافة الإسلامية وكذلك فإن الدين الاسلامي يضم مجموعة من القيم والمبادئ الإنسانية والتي تدعو الى الوحدة في الفكر.

وظيفيه المناهج التربوية الإسلامية :-قام الباحث باستنباط وظيفية التربية وأهمية التربية الإسلامية من خلال النقاط الآتية

- تنمية إدراك المسلم ووعيه بمفاهيم الإسلام المتصل بجوانب الحياة المختلفة

- مساعدة المسلم على فهم دينه فهماً واضحاً.
- توجيه سلوك المسلم في الحياة وفقاً لمفاهيم الإسلام وأحكامه.
- تنظيم علاقات المسلم وتحديد واجباته نحو نفسه ونحو ربه ونحو مجتمعه والآخرين.
- طبع شخصية المسلم بطبائع الشخصية الإسلامية المستقلة فكراً وسلوكاً وانتماء.
- توعية المسلم بمنطلقات الحياة السعيدة المستقرة من خلال المحافظة على التوازن بين الحياة الفردية والجماعية وبين المادة والروح وبين الدنيا والدين بعيداً عن الخصومات والمنازعات والصراعات.
- تأهيل المسلم ليقوم بدوره في تشيد بناء الحضارة الإنسانية والإسهام في النهضة العلمية والتقنية.
- تحصين عقل المسلم وفكرة ضد الغزو الفكري بأساليبه الخبيثة الذي تتبناه الحضارة الغربية والحياة والهداية إلى التمتع بالشخصية الإسلامية وإبعاد الثقافة الإسلامية من التأثير في سلوكه وحياته.
- إيجاد القناعة واليقين لدى المسلم بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان) (الزبيدي :٢٠١١)

نظرة الفلسفة التربوية للمناهج التربوية الإسلامية

١- نظرة الاسلام الى الانسان-: من المعلوم ، ان الاسلام نظر الى الانسان بأنه افضل ما في الكون الذي يشمل العناصر والموجودات والمخلوقات ، وقد ميزه الله سبحانه وتعالى من بقية المخلوقات بكثير من الخصائص والمميزات ، فقد خلقه الله سبحانه وتعالى وزوده بالاستعدادات والقدرات لكسب المعارف والمهارات والابداع للقيام بالعمليات العقلية المتعددة ، وبذلك وضع الاسماء والمصطلحات لكل عصر وجيل ، كما استخلف سبحانه وتعالى وفضله على بقية المخلوقات ، واستخلف في الارض ليعمرها وحملة امانة التكليف والحرية والمسؤولية والمحافظة على القيم ، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (سورة الاسراء/٧٠) ، لذا نظر الاسلام الى الانسان نظرة متكاملة للأبعاد الثلاثة (الجسم+ العقل+ الروح) اذ جعل هناك توافق وانسجام في تكوين الشخصية المتكاملة واي انحراف عن ذلك التوافق لن ينشا الا الضرر على الفرد والمجتمع واعترف الاسلام بالفطرة والتوزان والاعتدال بين (الوراثة والبيئة)

٢- نظرة الاسلام الى المجتمع -: من الواضح ان الاسلام ينظر الى المجتمع بأنه صاحب رسالة ودعوة الى الداخل والخارج ، فهو مجتمع متميز له خصائص ومميزات تميزيه من بقية

المجتمعات الانسانية ، فهو مجتمع القدوة او المجتمع الوسط وقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا﴾ (سورة البقرة / ١٤٣)

خصائص المجتمع الاسلامي :

- مجتمع يوحد الله وطاعة الرسول محمد ﷺ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (سورة النساء / ٥٩)
- يقدس الدين والقيم الاخلاقية ، أي الايمان بالله وملائكته وكتبة ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر .
- يحترم العلم ويقوم على طلب العلم ويعد طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، حيث ان العلم هو الطريق الموصل الى الله والى الهداية ليكون اهلا لخلافة الله في ارضه.
- يواكب التغيير والتطور والمستمرين في الحياة
- يقدر العمل والمال ويجعل المال وظيفية اجتماعية ، وان المال مال الله ، وان البشر يستخلفون فيه ، لذا يجب مراعاة مصادر الكسب ومصادر الانفاق واخراج الزكاة وتأدية حقوق الفقراء والتكافل بين افراد المجتمع واستغلال كل مصادر الثروات في صالح الاسلام والمسلمين
- نظام اجتماعي يقوم على العدل والمساواة بين الافراد بدون تفرقة اي بعيد عن الجنس واللون والمراكز الاجتماعي
- يحترم العلاقات الدولية التي اساسها احترام حقوق الانسان وعدم العدوان والتأكيد على التعاون في كل خير ، مع رفض الذلة في النفس او التفريط في الحقوق

٣- نظرة الاسلام الى المعرفة-:

من المعلوم ، ان الاسلام اهتم بالعلم ومشتقات المعرفة ، فقد ورد العلم ومشتقاته نحو (٩٠٠)موضع من القرآن الكريم وكذلك تكريم العالم والعلم)، ومن المعلوم ان (العلم وعليم وعلّام) هي صفة من صفات الله سبحانه وتعالى ، وقوله تعالى﴿ والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون﴾ (سورة النمل ، اية ٨٧) ، لذا فان اهمية العلم تكمن في اكتشاف العلوم عن طريق الحواس الخمسة وكذلك يكتسب الانسان معارفه عن طريق العقل الذي ورد في القران الكريم في مواضع عديدة وقولة تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (سورة الملك /١٠) وكذلك بحوار الحواس والعقل والحس والالهام كمصادر اخرى للمعرفة ، فالوحي والالهام الذي خصه الله سبحانه وتعالى لأنبيائه ورسله ليرشدهم

الى الصراط المستقيم ، ومن هنا فان للعلم النافع خير للإنسان والمجتمع معنا . والعلم النافع يؤدي الى اعمار الدنيا والاخرة وصلاح الانسان والمجتمع معا .

٤- نظرة الاسلام الى الكون :

من المعلوم ، ان المراد بالكون هو العالم او الطبيعية ، والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الكون او الطبيعة وما تشمله من افلاك وسماوات وارضين وكواكب ونجوم وجبال وسهول وانهار ووديان ونبات وحيوان وانسان ومخلوقات اخرى مادية وغير مادية صغيرة او كبيرة ، وقد تحث القران الكريم عن هذه الاشياء مؤكدا انها متغيرة ومستمرة وفق نواميس وقوانين معينة والتي تدعو الانسان الى التفكر في عقله وحواسه وقلبه بقدرة الخالق سبحانه وتعالى ، من تدبير وقدرة ، وقوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾(سوره يس/٣٦)، وقوله تعالى ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس / ٤٠).

ومن هنا ان الله سبحانه وتعلى خلق الطبيعة وسخرها للإنسان لتكون من اسباب تقدم الانسان ومنفعته ومجالا لنظرة الانسان الى العمل والتفكير والكشف عن قوانين الطبيعية كنوازها وان يتذوق الجمال فيها وكيفية التصرف بحكمة وعقل في استثمارها من الماء والهواء والتربة والمعادن والنباتات والحيوانات ... الخ لذا فعلى الانسان ان يعبد الله وحده لا شريكه له وان تكون العبودية لله سبحانه وتعالى خالصة لأنه ليس كمثله شيء في السموات والارض.

٥- نظرة الاسلام الى الاخلاق-:

لقد اهتم الاسلام بالجانب الاخلاقي في الانسان والمجتمع معا ، حيث ورد في القران الكريم (١٥٠٤) ما يتصل بالأخلاق والقيم سواء بالجانب النظري او العملي ، ويمثل الاخلاق في القران الكريم ربع آيات القران الكريم ، ويكفي ان الله سبحانه وتعالى اثنى على نبيه الكريم محمد ﷺ بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم/٤)، وكذلك اكد الرسول محمد ﷺ بقوله (انما بعثت لا تتم مكارم الاخلاق)، فلأخلاق في الاسلام جانب عملي يرتبط بالقول والفعل وقوله تعالى ﴿ انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (سورة الكهف: 107)، (النقيب عبد الرحمن واخرون: ١٩٨٧)

لذلك نقول ان نظرة الاسلام والتربية الإسلامية نظرة شمولية للإنسان والمجتمع والكون والاخلاق) ومتكاملة وهي محور العملية التربوية التي ينبغي ان يكون المنهج التربوي الاسلامي واعداد المعلم

ISBN: 978-9922-21-412-2

والطالب يساير هذه التربية ويواكب المستجدات والمتغيرات التي تحث في العالم بما يتماشى والثوابت الوطنية والقومية والانسانية والاسلامية الصالحة.

خصائص المناهج التربوية الإسلامية :-

يؤكد اصحاب الاختصاص في مجال التربية ان هناك خصائص تتصف بها التربية الاسلامية وهي:-

١. الشمول:- تنظر التربية الاسلامية الى الانسان من جميع جوانب تكوينه بشكل شامل وهي (الجسمية – المادية + النفسية والروحية (المعنوية) بانه كل متكامل لا يمكن ان يجزئ ما بين العقل والجسم والروح ، وبذلك فان النمو السليم هو نمو متكامل في الشخصية (العقلية + الجسمية + الوجدانية + الاجتماعية + الاخلاقية + المهارية)

٢. التوازن :- تحرص التربية الاسلامية الى توازن بين الاحتياجات المادية + المعنوية عند الانسان والمجتمع وكذلك في الانسان ولا طغيان حاجة على اخرى ولا على الجسم على الروح ولا النفس ولا الدنيا على حساب الاخرة...الخ

٣. الحرية-: تنظر التربية الاسلامية الى حرية الانسان في التفكير والراي والتعبير والمناقشة وحرية العمل بما ينسجم والشخصية الانسانية وقوله تعالى (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ{١٢٥} ، سورة النحل ، اية ١٢٥)

٤. الواقعية :-من المعلوم ، ان الواقعية تنظر الى الانسان بانه محكوم بمكان وزمان ، فلا تطالبه بما لا يطيق ولا تحمله بذلك فهي تنظر الى الانسان بانه لدية قدرات واستعدادات، وقوله تعالى ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (سورة البقرة ، /٢٨٦)

٥. التطبيق -: تنظر التربية الاسلامية الى الجانب النظري بالجانب التطبيقي ، فلا قيمة للجوانب النظرية دون تطبيق ، ولا يكتمل الايمان الا بالعمل ، ولا عقيدة بدون سلوك ، ولا قول الا بالعمل ، وقوله تعالى ﴿اتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة / ٤٤) (وابو طالب وسعيد : ٢٠٠١)

منابع مناهج التربوية الإسلامية :-

قام الباحث باستنباط منابع الدين الإسلامي والتربية الإسلامية) وفي ما يلي شرح هذه المنابع :-

١- القران الكريم :- من المعلوم إن القران الكريم هو كلام الله المعجزة انزله الله سبحانه وتعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺبواسطة الروح الأمين جبرائيل والمنقول ألينا بالتواتر المتعدد بواسطة وبتلاوته المبدية بالسور الفاتحة وأخر السور سورة الناس . وقد نزل القران الكريم على سيدنا ونبينا

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب في ١٧ من رمضان سنة (١٣) ثلاث عشر قبل الهجرة لأربعين سنة خلت من حياة النبي وبذلك نص القران الكريم ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾ (سورة البقرة/ ١٨٥)

٢- أحاديث الرسول محمد ﷺ

من المعلوم إن القران الكريم هو المصدر الأول وهو دستور الأمة وان الإسلام دين للعالمين كافة على اختلاف الأزمان والأحوال، وفي ضوء ما تقدم ، إن أحاديث الرسول محمد ﷺ المصدر الثاني من مصادر التربية الإسلامية وتسمى (بالسنة النبوية الشريفة المطهرة) وله معانٍ عيديدة معناها الطريقة المسلوكة والطبيعية إما الاصطلاحي فهي ما صدر عن النبي من (قول وفعل)

وبناء على ما تقدم فان أحاديث الرسول محمد (ص) لها خصائص هي :-

- إن أحاديث الرسول بعيدة عن التحريف والدسّ وبذلك أصبح لها علوم تسمى (علوم الحديث واهم أصوله علم الجرح ، التعديل ، رجال الحديث) ومن هنا ظهرت مراجع وكتب السنة وهي (صحيح البخاري ، ومسلم ، الترمذي ، أبو داود ، ابن ماجه ، الدرامي)
- إن أحاديث الرسول محمد ﷺ كانت تجسيدا فعليا لسلوكه في الطعام والشراب والجلوس والحديث والأمور الأخرى العامة ، لذا قال المسلمين إن أخلاق الرسول هي أخلاق القران الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم/٤)
- إن أحاديث الرسول محمد ﷺ مكمل للقران الكريم في التشريع الإسلامي.
- ارتباط الحديث بالقران الكريم من حيث العبادات (الصلاة والصوم والحج والزكاة كما أكد الرسول محمد ﷺ إن الإسلام بني على خمس وهي (شهادة إن لا اله إلا الله ، وان محمد رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وآيتاه الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا) وهذا ما أكّده القران الكريم في إقامة الصلاة والزكاة والصيام وحج البيت ،،، الخ.

٣- اللغة العربية :- من المعلوم ، إن اللغة العربية وهي وسيلة التخاطب والتفاهم بين الناس وهي القوة التي ظهرت فيها مواهب الإنسان العقلية التي أولته إلى الرقي الاجتماعي والحضاري ، وبذلك يطلق على اللغة أنها القوة الناطقة على الألفاظ والأصوات التي يعبر عنها المتكلم عما يجول في عقلة من معانٍ ومفاهيم ومشاعر وأحاسيس.

وفي ضوء ما تقدم إن اللغة العربية هي لغة توفيقية أي تعليمية انزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم محمد (ص) أدلة على الإعجاز ومن قولة تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة

العلق:٥)، وجاء القران باللغة العربية استنادا الى قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف : ٢) قوله تعالى ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (سورة الزمر : ٢٨).

وقولة تعالى ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة فصلت : ٣)، وبذلك فان اللغة العربية جاء متدرجة ومرتبطة بطبيعة الإنسان وتأثيرها قوي وفيها الحركات والسكون والضم والفتحة ، وبناء على ما تقدم ان اللغة في أصلها سامي وتعد العامل الرئيسي الذي تقوم علية الثقافة العربية الإسلامية في أداة التخاطب وهي المصدر الأول للقران الكريم ولغة أهل الجنة

٤- التاريخ الاسلامي :- من المعلوم، إن تاريخ الأمة هو الذي يبحث في أحوال الأمم السابقة من خلال البحث في ما خلفوه من اثأر ووثائق ومن ثم تأويلها وفحصها لأجل كسب المعرفة عن طريق الاستقصاء والبحث وطلب الحقيقية.

فالتاريخ يعتمد موضوعاته على التحليل والاستنباط الإحداث التاريخية ومقارنته ، ن التاريخ الإسلامي هو تاريخ الشعوب والدول الإسلامية منذ دخول الإسلام حتى وقتنا الحاضر ، فهو تاريخ طويل وحافل بالإنجازات والعبر

إن التاريخ الإسلامي اعتبره بعض التشويش بسبب الافتراءات الكثيرة والتهم التي ألصقت به وبخاصة من قبل المستشرقين بقصد النيل من الإسلام ،. وإذا ما نظرنا إلى التاريخ الإسلامي يعد من مقومات الثقافة الإسلامية وأساس البناء ومن هنا بذلت جهود كثيرة من قبل علماء المسلمين وتخليصه من الافتراءات والتهم الموجه إليه ، وإما أهمية التاريخ الإسلامي فهو يغذي الروح الإسلامية ويقوي المعاني في نفوس الأجيال في كل ما صنعه الإبطال المسلمين في المعارك والبناء والحضارة .

٥- التراث الاسلامي :-من المعلوم إن التراث الإسلامي هو كل ما خلفه السلف الصالح من المسلمين من عادات وتقاليد وأعراف وقيم واتجاهات وأفكار ومفاهيم وسلوك وأنماط معيشية وأساليب حياتية في كل عصر من العصور الإسلامية ابتداء من عصر الرسول محمد ﷺ وما اتبعه من عصور إلى يومنا الحاضر حتى يرث الله الأرض وما عليها.

وفي ضوء ما تقدم ، عد كثير من الفقهاء المسلمين إن هذا التراث وارث الخالد يعد حجر الزاوية في الحياة الإسلامية والتربية الإسلامية لأنه فيها عمل وترك العمل ، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .، وهو مطابق لأحكام القران الكريم وأحاديث الرسول محمد ﷺ، زد على ذلك هناك اجتهادات من الفكر الإسلامي الذي جعل هذا التراث متجدد مع الحياة ولا يتقاطع مع

الحياة الحاضرة ، أي يضيف إليه علماء المسلين الأكثر من المفاهيم والاجتهادات التي تتطابق مع الحياة ومسايرة الحياة الحاضر.

الفصل الثالث :- الهوية الاسلامية الثقافية

تعرف الهوية الاسلامية الثقافية :- بانها مجموعة السمات والخصائص الثقافية التي تميز ابناء المجتمع الاسلامي عن ابناء المجتمعات الاخرى ، ولذلك فهي مرتبطة بمكونات العقيدة الاسلامية والشريعة الاسلامية الفكرية من حيث المعتقد بالانتماء بان الاسلام امة انسانية حضارية تتميز (باللغة العربية + التاريخ الاسلامي + الموروث الحضاري وما يمثله هذا الموروث من علوم وقيم اخلاقية وممارسة الشعائر الإسلامية والاعتزاز بها وواجبة التطبيق على كل مسلم ومسلمة على أرض الواقع بغض النظر (عن اللغات المختلفة والجنس واللون والقومية) اضافة الى ذلك بعيدة عن الغلوّ والتطرف ولنا ثقافتنا وثقلنا في هيئة الأمم المتحدة كتجمع انساني ويعرف المجتمع العربي الاسلامي.

وفي ضوء ما تقدم . تعرف هوية الثقافة العربية الاسلامية / هوية المجتمع الإسلامي الثقافية بأننا (مجتمع بشري إسلامي يعتمد على كتاب الله وسنه رسوله وأهل بيته الاطهار والسلف الصالح في هذه الأمة (فالقرآن يرسم منهج حياتنا الاسلامية ضمن المجتمعات الأخرى دون تميز بغض النظر عن (الجنس + اللون + القومية + الوطن ويربطنا تراث ثقافي إسلامي ولدينا احساس بالانتماء والولاء لمجتمعنا الاسلامي وثقافتا الاسلامية نكون امة مسلمة لنا ثقافتنا وثقلنا في هيئة الأمم المتحدة كتجمع انساني في المحافل الدولية.

ويرى الباحث ان الهوية الاسلامية الثقافية هي هوية المجتمع الاسلامي :-

هوية المجتمع الاسلامي الثقافية :-

من المعلوم ان المجتمع الاسلامي وهو مجتمع رسالي، ((يحمل رسالة اسلامية انسانية ليست عنصرية او حزبية ، او قومية ، وليست مادية ،، وانما هي رسالة هدفها تحرير الانسان من الجهل والمرض والفقر والتخلف ونوازع الشر.المتمثلة بالحسد ، والحقد ، التفرقة والعنصرية والفكر المتطرف بل هي ((تحرير الانسان والارض واعمارها وتحقيق سيطرت الانسان على موارده الطبيعية واستخدامها في التنمية الشاملة لكي يعيش بسلام وامن واستقرار شانه شان المجتمعات الاخرى التي لها رسالة حضارية وانسانية).

ومن المعلوم ايضا ان المجتمع الاسلامي اية هويته الثقافية بنيت وفق اصول اصوله من الشريعة الإسلامية والعقيدة الإسلامية (فهي منظومه متكاملة من الافكار الإسلامية ، والمشاعر الإسلامية

والقوانين الإسلامية متفاعله فيما بينها توجهها القيادة الإسلامية والعقيدة الإسلامية نحو غايه كلية وهي مرضاه الله ، استنادا الى ان البشر لا يختلفون في اية مجموعه بشرية في أي مكان اخر على وجه الارض ولأقيمه ولاختلاف للون واللسان ولا تشترط وحدة الدين بل وحدة النظام الاسلامي والافكار مرتبطة بالحياة ، والحياة بالفطرة ، والمشاعر استجابة لعقيدة الاسلام ، والقوانين متماشية مع الاسس الفكرية لا تتناقض في جزئياتها او كلياتها ، والقيادة تصون الاستجابة بين مكونات المجتمع الاسلامي وبقيه المجتمعات الاخرى ... الخ وبهذا ساره على المنهج العقلي ومعتمد على التسامح والتعايش السلمي فالمجتمع الاسلامي(لذلك وصف المجتمع الاسلامي الموحد بانه له هذه الهوية الاسلامية الثقافية)

مصادر الهوية الإسلامية الثانية :-

بما ان الهوية الاسلامية الثقافية هي الايمان بعقيدة المجتمع الإسلامي والاعتزاز بالانتماء بان الاسلام امة انسانية حضارية تتميز باللغة العربية + التاريخ الاسلامي + الموروث الحضاري وما يمثله هذا الموروث من علوم وقيم اخلاقية وممارسة الشعائر الاسلامية والاعتزاز بها وواجبة التطبيق على كل مسلم ومسلمة على ارض الواقع بغض النظر (عن اللغات المختلفة والجنس واللون والقومية) والايمان بالشريعة الاسلامية بعيدا عن الغلو والتطرف / الارهاب بكل مسمياته

لذا يرى الباحث ان الهوية الاسلامية الثقافية / هوية المجتمع الاسلامي تتكون من مصدرين هما (١) الايمان بالعقيدة الاسلامية + ٢١-)الايمان بالشريعة الاسلامية تكزن الهوية الاسلامية الثقافية : انظر الى المخطط رقم(!) يمثل الهوية الاسلامية الثقافية حسب راي الباحث.

اهمية العقيدة الاسلامية بصورة عامة :-

- اخلاص النية والعبادة لله تعالى لا نه الخالق لا شريك له فوجب ان يكون القصد والعبادة له وحدة.
- تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة لا نه من خلال منها فانه اما فارغ القلب من كل عقيدة وعابد للمادة الحسية فقط.
- الراحة النفسية والفكرية فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه.
- سلامة القصد من الانحراف في عباده الله تعالى لان الرسل يبنوا هذه العقيدة واتباع الرسل ركن من اركان الدين فمن ضل في اتباع الرسل انحرف عن هذه العقيدة.

ISBN: 978-9922-21-412-2

- الحزم والجدّ في الامور بحيث لا تجد العبد فرصة في عمل صالح إلا وسارع اليها ولا يرى موقع اثم إلا ابتعد عنه.
- تكون أمة قوية تبذل كل غالي ورخيص في تثبيت دينها غير مباليه بما يصيبها في سبيل الله .
- الوصول الى سعادة الدنيا والاخرة بإصلاح الافراد والجماعات الى سعادة الدنيا والاخرة بإصلاح الافراد والجماعات ونيل الثواب والمكرمات .

الشخصية الاسلامية-:

يعرفها علم الاجتماع :- وتعرف بعدة تعاريف (الشخصية بصورة عامة بجانبها النظري والعملي : عرفها البورت (Allport) في كتابه ١٩٣٧بعدة تعاريف المختلفة هي تنظيم ديناميكي يمكن داخل الفرد من تنظيم كل الاجهزة ، النفسية والجسمية التي تملىء على الفرد طابعه الخاص في التكييف مع بيئته) عرفتها هناء :- وهي مجموعه الاستعدادات والقدرات (العقلية + الجسمية + الوجدانية + المهارية + الاجتماعية) التي تميزه عن بقيه الاخرين (هناء ١٩٨٥:)

- وتعرف اجرائيا :- وهي مجموعه من القدرات والاستعدادات والميول والاتجاهات والمعلومات والافكار وقيم أخلاقية التي اكدت عليها (العقيدة الاسلامية + والشريعة الاسلامية) في تكوين الهوية الاسلامية الثقافية وتوظيفيها في المناهج التربية الاسلامية لمواجهة العولمة الثقافية مستقبلا

والشخصية الاسلامية الثقافية تتكون من مكوناتها الطبيعة والوراثية والبيئية وتتسم شخصية المسلم (بالشخصية والهندام وتشمل (١- المأكل ٢- المشرب٣- المسكن ٤- اللغة العربية ٥-الموروث الثقافي) الذي يمثل لتاريخ الاسلامي - والقيم الاخلاقية الفاضلة) وقد عرضها الباحث بالشكل الاتي-:

من المعلوم .إن الشخصية العربية والإسلامية هي شخصية تتميز بسمات وخصائص تميزها عن باقي الشخصيات لأخرى . فهي شخصية حيوية ومبدعة وإنسانية وقابلة للتجدد والانبعاث وهي التي حملت رسالة إنسانية خالدة للعالم وحافظت على موروثها عبر القرون الماضية بقت محافظة على كيانها وتتمثل الهوية الاسلامية الثقافية -:

اولا:- الشخصية الهوية الثقافة الاسلامية -: انظر الى المخطط (٢) يمثل شخصية الهوية الاسلامية الثقافية التي تتكون من الايمان بالعقيدة الاسلامية والايمان بالشريعة الاسلامية الثقافية التي تطبع الشخصية الثقافية الاسلامية ومكوناتها.

اولا:- الايمان بالعقيدة الاسلامية / وهي اصول الدين ((١-التوحيد ٢- النبوة ٣-الامامة ٤- المعاد ٥- العدل)
ثانيا :-الايمان بالشريعة الاسلامية/ وهي (الأحكام التي سنّها الله لعباده، ليكونوا مؤمنين عاملين على ما يسعدهم في الدنيا والآخرة. ومصادرها هي (١) القران الكريم (2)احاديث الرسول محمد (ص) واهل بيته الاطهار والسلف الصالح اولا:- العبادات :- ثانيا:- المعاملات وتشمل (١-العقود :- ٢-الايقاعات:- ٣-الاحكام :-٤--التعاليم الاخلاقية :-

↓

هوية الشخصية الاسلامية الثقافية التي تميز المسلمين هي:-

↓

١- الماكل٢- المشرب ٣- الملبس ٤-المسكن ٥- اللغة العربية ٦-التاريخ الاسلامي والموروث ٧- القيم الاخلاقية ٨ -طريقة تعامل المسلمين مع الاخرين
وتعتز بالانتماء والولاء والدفاع عن مقدسات المسلمين التي تنبع من الايمان بالعقيدة + الايمان لشريعة الاسلامية

لذلك يرى الباحث ان الهوية الاسلامية الثقافية تمثل شخصية الانسان المسلم وفق (العقيدة الاسلامية + الشريعة الاسلامية) والمتمثلة بالشخصية الاسلامية وتعرف الشخصية الاسلامية (بأنها شخصية عربية واسلامية تتميز بسمات وخصائص تميزها عن باقي الشخصيات الأخرى . فهي شخصية حيوية ومبدعة وإنسانية وقابلة للتجدد والانبعاث وهي التي حملت رسالة إنسانية خالدة للعالم وحافظت على موروثها عبر القرون الماضية ورغم تعرضها الى غزوات عبر مراحل وفترات تاريخية بقت محافظة على كيانها، اي بناء شخصية((قوية العقيدة + قوية في الفكر الاسلامي)، متمسكة بتطبيق القيم الأخلاقية الفاضلة في المجتمع الاسلامي مستمدة من منابع القيم الإسلامية إذ جعل هذه القيم خطوط عريضة في بناء الامه الإسلامية التي تستنير بقادتها ورموزها الدينية فب بناء الفرد والمجتمع

التاريخ الاسلامي و الموروث الثقافي الاسلامي الموحد :-

ويقصد بالتراث الفكري الاسلامي . ما يرثه أبناء الأمة هو موروث مادي ومعنوي ينقل من جيل إلى جيل أخر. فالتاريخ الاسلامي والموروث الاسلامي يعد حافزا للإبداع والابتكار وفي تماسك البنية الاجتماعية وزرع الثقة بالنفس وتعزيز الامة الاسلامية . حيث ظهر الموروث الاسلامي

في بلاد الاندلس وخير شاهد على ذلك ما اسس المسلمون في انجازات حضارية ومنها القصور والمكتبات والشوارع وكذلك ابداعات الملمين في الفلك والطب والرياضيات والفلسفة ... الخ والمؤلفات الكتب الكثيرة التي زخرت بها المكتبة الإسلامية عبر تاريخها الطويل. فهي انجازات المسلمين في مجالات الحياة المختلفة (سعيد . ابو طالب ورشراش :٢٠٠١))

القيم الاخلاقية الاسلامية الفاضلة-:

من الواضح إن امة العربية والاسلامية لازالت تتمسك بالقيم العربية والاسلامية مثل (لبطولة والفروسية والشجاعة والإيثار والتضحية بالنفس والكرم والجهاد في سبيل الله، وفي ضوء ما تقدم ، فالإسلام دين الاعتدال – العدالة – المساواة ، الاعتصام والوسطية ، فقد اكد الاسلام على مبدا (المساواة) وهو دين جاء لجميع الناس استنادا الى قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(سورة الحجرات) وان الرسول الاعظم محمد ﷺ جاء بشيرا ونذيرا للعالم وقوله تعالى ﴿ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(سورة سبا/ ٢٨)

وعلية قام الباحث بعرض القيم التربوية والاخلاقية للقيم التي يؤمن بها المسلمين سواء قولا او سلوكا. وهي :-

١- <u>الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:-</u>

من المعلوم ، ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يعد احد اركان الاسلام بعد الصلاة والزكاة والصيام والحج والخمس والجهاد في سبيل الله ، واستنادا الى قوله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(سورة ال عمران/١٠٤) ، لذلك يتميز المسلم الالتزام بهذا المبدأ قولا وفعلا .

٢- <u>الدفاع في سبيل الله</u> -: وقد حدد الاسلام شروطها، اذا الاسلام شرعية القتال وذلك لدحر الشر والعدوان على اموال المسلين واعراضهم وشرفهم ونسبهم وتاريخهم الحضاري والانساني كيلا لا يكون على الناس سلطان وفي ضوء ما تقدم لولا القتال والحرب لظل الشر والاشرار يتطاولون على المسلمين ويكيلون لهم الفساد بكل اشكاله يؤذي، ولكن الاسلام حدد الحق والشر لأجل ان يعم الخير والامن والسعادة للفرد والمجتمع المسلم

٣- <u>الاعتدال في القول</u> :- وهو ما يطابق القول للواقع ، استنادا الى قولة تعالى: ﴿الَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (سورة الزمر/٣٣)، وقول الرسول الاعظم محمد ﷺ: (زينة الحديث الصدق) وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا

حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾(سورة النحل : ١١٦)

الاعتزاز بالانتماء والولاء للامة الاسلامية او المجتمع الاسلامي :-

ان مفهوم الانتماء والولاء كما من المعروف ان الانتماء هو ليس شعور او عاطفه وانما هي رابطه تربط ابناء المبدأ الاسلامي ، فالانتماء الى الامه الإسلامية التي تربطها المكان اي المحيط الذي تعيشي فيه وبذلك فالانتماء اليه يجعل المهابة بين الدول الاخرى

(ا) الانتماء:- من المعلوم ، ان الانتماء لغة ما خوذه من النماء ، اي الزيادة والارتفاع والعلو، واما الانتماء اصطلاحا تعني الانتساب الحقيقي للدين وللوطن كحق وممارسه تجسد جوارح الأنسان من خلال العمل ، او الرغبة في تقمص عضوية معبر عنها بالمحبة والاعتزاز بالنظام الى الدين ، الوطن الذي يعيش فيه، والشعب ، الارض ، وتتجسد عنده التضحية للوطن ومكوناته ، الارض ، الشعب بالحب والالتزام ، (ناصر:٢٠٠٦) ويقول الكاتب البو النور واخرون ، ان الانتماء هو انتساب الفرد الى جماعه وبذلك يشعر الفرد المنتمي اليها بوجوده فيها مما يامن لحاجاته واستقراره وبالتالي اشباع حاجاته المادية والنفسية والاجتماعية ، وبذلك يتضمن الانتماء السلوك المعبر ن امتثال الفرد للقيم الوطنية السائدة في مجتمعه ، كالاعتزاز بالرموز الوطنية ، واحترام القوانين والانظمة والمحافظة على ثروات الوطن وممتلكاته العامة وتشجيع المنتجات الوطنية ، والتمسك بالعادات والتقاليد ، والمشاركة في الاعمال التطوعية والمناسبات الوطنية والاستعداد للتضحية من اجل رفعة الوطن (ابو النور واخرون :٢٠١٣)

يرى ناصر ان الانتماء الحقيقي للفرد من خلال :-

- التضحية من اجل الوطن سواء في السراء او الضراء ، فهي ضريبه الدم التي يدافع بها كل فرد صادق في انتمائه
- اداء الواجبات المطلوبة على اتم الوجه في جميع مجالات الحياة العامة
- القيام بأعمال تطوعيه وخيرية لصالح الوطن والشعب والمواطنين
- المحافظة على اللغة والتراث الثقافي من هلال التمسك به
- المحافظة على العادات والتقاليد التي يرضها المجتمع

ب. الولاء :- ان الولاء لغة ، جاءت من ولى ، يلي ، وليا ، اي دناه وقرب ، اما الولاء اصطلاحا ، جاء من تبع ، نصر ، طاع ، وخضع لسلطة ما ، او القبيلة او العشيرة ، الاب ، المؤسسة ، فالولاء هو اقرب الى القرابة ، والولاء كلمة تستخدم للدلالة على الصلات والعواطف التي تربط

بالفرد كالأسرة ، العمل ، الوطن او الاخلاص لما يعتقد انه صواب ، وقد يكون الولاء الطبيعي للسلطة او نظام حكم او الحكام ، والولاء الواقعي هو ولاء الى اي مجتمع الا تفرزه الاجانب للبلد الذي يعشون فيه ، ويرى علماء التربية والنفس ان نظام الولاء لا يظهر في التنشئة الاجتماعية للأفراد من علاقات السلطة والهيمنة والخضوع والتبعية (ناصر :٢٠٠٤)

ويرى الكاتب البو النور واخرون ، ان الولاء بانها جملة المشاعر والاحاسيس والسلوكيات الإيجابية التي يحملها الفرد تجاه وطنه والتي تتجسد في الحب والمسؤولية والبذل والعطاء والتضحية من اجل نصرة الوطن ورفعته ، كما ان الولاء والانتماء يعدان وجهين لعملة واحدة ، حتى ان يصعب الفصل بينهما ، والولاء هو صدق الانتماء ، والولاء شيء مكتسب يكتسبه الانسان من مجتمعه ، اي انه يخضع لعمليتي التعليم والتعلم، فالطفل يكتسب الولاء الوطني من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة ، والولاء يدعم الالتزام ويدعم الهوية الذاتية ويقوي الجماعية ويركز على المسايرة ويدعو الى تأييد الفرد لجماعته ((ابو النور واخرون :٢٠١٣)

ويرى العفيف واخرون ان الولاء هو الاخلاص في طاعه القيادة والنظام الحكم في الدولة ، اي دولة المواطنة في مواجهة التحديات ، والظروف الصعبة والدفاع عنها فكرا وممارسه

ويعرف ، المجتمع : بصورة عامه: (بانه مجموعه من الافراد يعشون فوق بقعه معينه من الارض ويتسمون بالتعاون والتضامن ويربطهم تراث ثقافي معين ولديهم احساس بالانتماء والولاء لمجتمعهم ويكونوا مجموعه من مؤسسات تقدم لهم خدمات تحقيق اشباع حاجاتهم ولهم تنظيم من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مكونين حضارة انسانيه (ناصر : ١٩٨٣).

الدفاع عن مقدسات المسلمين في اي مكان من المعمورة:-

الاعتزاز، والاحترام للمقدسات المسلمين في اي مكان فممارسة هذه الشعائر هي من الواجبات المهمة لدى المسلمين لا نها الحبل المتين للدين الاسلامي كالصلاة والصوم والحج والزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لذا فان الدفاع عن تلك الشعائر والطقوس مهمة عند المسلمين قاطبة بغض النظر عن (الجنس + اللون + القومية + الوطن)

سمات وخصائص الهوية الإسلامية الثقافية:-

تتميز الهوية الاسلامية الثقافية بعدة مميزات قام الباحث باستنباط هوية الاسلام من خبرته والمصادر الاخرى وعرضها بالشكل الاتي-:

١. انها هوية متميزة عن غيرها من الهويات، وهذا التميز هو الذي يعطي كل جماعة أو أمة مقومات بقائها ويحفظ لها ثقافتها وخصوصيتها وتستوعب حياة المسلم كلها، من مظاهر الشخصية، فهي تامة الموضوع، محددة المعالم، واضحة الملامح، تحدد لحاملها الوضوح والدقة والهدف وغايتها التمتع بالحياة الدنيا والاخرة والاعتدال في كل ما اكده الشريعة الاسلامية وما حرمته الشريعة الاسلامية

٢. أنها تجمع وتوحد تحت لوائها جميع المنتسبين إليها وتربط بينهم برباط وثيق. تعتمد على الشريعة الاسلامية المستمدة من القران الكريم والسيرة النبوية المطهرة والسلف الصالح في هذه الامه الاسلامية

٣. تؤمن بان الاسلام فمعناه الانقياد والاستسلام والمذلة والخضوع والتسليم لله عز وجل، بما يؤمر به الإنسان أو ينهى عنه. وان يشهد المسلم بالتشهد الشهادتين (اشهد أن لا إله إلا الله و واشهد ان محمد رسول الله ان تعمل بفراض وهي (قيام الصلاة وآيتاه الزكاة + وصوم شهر رمضان + وحج البيت +والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (وان تؤمن بان الاسلام هو الدين الذي أرسل الله به نبيه محمداً ﷺ فيشمل ذلك عمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح، دون أن يدخل فيه الاعتقاد، وإنما يدخل فيه من عمل القلب النيات والحضور والخشوع ونحو ذلك فقط. وان ترك الفرائض هو الخروج عن الاسلام وتعاليمه.

٤. تؤمن بان القران الكريم هو كتاب الله الكريم وهو وحي الله عز وجل إلى منزل على رسول الله محمد ﷺ بواسطة جبرائيل المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبَّد بتلاوته.

٥. تؤمن بان محمدا ﷺ رسول الله وهو اخر الانبياء وخاتم الانبياء جاء برسالته الى الناس كافة ليخرج الناس من الظلمات الى النور ويشهد ان ما يقول الرسول من قول وفعل هي سنة الرسول واجبت التطبيق

٦. تؤمن بان للامة الإسلامية لها منهج (الشريعة الاسلامية) مستمدة من تعاليم الإسلام الدينية وتقوم على المصادر المقدسة للإسلام، ولا سيما القرآن والحديث هو: الأحكام التي شرعها الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة، وتهدي إلى الحق والخير وهي غذاء الأرواح، وفيها حياة للنفوس والعقول، ، وترسم للإنسان سبيل الإيمان وتبيّن له أصول العقيدة وينظّم صلته بربه ويأمره بتزكية نفسه ويحكم علاقاته مع غيره، وهكذا لا يخرج من حكم الشريعة

ISBN: 978-9922-21-412-2

٧. تؤمن بقيمة العلم والتطور في بناء المجتمع الاسلامي الذي يرتبط بالظاهر الكونية السموات والارض ، كالشمس والقمر والنجوم والكواكب والبحار والانهار والنباتات والحيوانات ، والبحث العلمي مستخدمين الملاحظة الداخلية والخارجية والتجربة العملية الدقيقة والاطلاع ، على الدين والادب والعلوم والفنون الأخرى

٨. تؤمن بقيمة القيم الاخلاقية النبيلة في بناء المجتمع الاسلامي (العدل والمساواة: جاءت الشريعة الإسلامية بمبدأ المساواة بين الناس بغضِّ النظر عن اختلافهم في اللون أو الجنس أو اللغة، وجعلت أساس التفاضل بينهم العمل الصالح ومقدار ما يقدّمه الفرد من خير، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات/١٣). وكذلك الوسطية والاعتدال والحرية والمساواة والاخاء والحرية وحسن المعاملة والوقوف بجانب المظلومين والدفاع عنهم، ونشر الاسلام مبادئه خارج الجزيرة العربية عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة والمنطقية والرجوع الى العقل والتفكير وذلك عملا بقوله تعالى (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ سورة النحل {١٢٥} اضافه الى ذلك بقت اثارة الحضارة الإسلامية بجوانبها المادية

٩. تؤمن بان الانسان المسلم له رسالة تستند الى النظرية الإسلامية (الانسان) هو قادر على التفرد والتمييز عن غيره ، فهو ذات متفردة ، أي شخصية انسانيه متميزة عن ايه شخصية اخرى ، فهو قادر على المشاركة والتفاعل ، وهو بذلك لا يكون ظلا للمجتمع ولا ينبغي ان ينشا على ذلك ، وان المجتمع نفسه في احد ابعاده وهو من صنع الذات المتفردة ، وهو جزء من مسؤولياتها ، وان الناس ذوات مكرمه فكرية يتجاوز التعميمات التي تطرحها هذه التصورات الاخرى

١٠. تؤمن بان المجتمع الاسلامي له رسالة تستند الى النظرية الاسلامية (المستمدة من الشريعة الإسلامية والعقيدة الإسلامية ، ان المجتمع الاسلامي(هو مجتمع يتكون من امة اسلامية متكلمة من منظومه ذات مجموعة من الافكار الإسلامية ، والمشاعر الإسلامية والقوانين الإسلامية متفاعله فيما بينها توجهها القيادة الإسلامية والعقيدة الإسلامية نحو غايه كلية وهي مرضاه الله ، استنادا الى ان البشر لا يختلفون في اية مجموعه بشرية في أي مكان اخر على وجه الارض ولأقيمه ولاختلاف اللون واللسان ولا تشترط وحدة الدين بل وحدة النظام الاسلامي والافكار مرتبطة بالحياة ، والحياة بالفطرة ، والمشاعر استجابة لعقيدة الاسلام ، والقوانين متماشية مع الاسس الفكرية لا تتناقض في جزئياتها او كلياتها ، والقيادة تصون الاستجابة بين مكونات

المجتمع الاسلامي وبقيه المجتمعات الاخرى تجمعهم. وحدة الثقافة ، اللغة ، التأريخ ، التراث.. استنادا الى قولة تعالى (انما المؤمنون اخوة) بعيدا على التعصب الطائفي ، الاقليمي ، التجسس، الاقليمي ، التجسس ، الخيانة ، والرابط الذي يربط ابناء الاسلام هي العقيدة الإسلامية وهذا الشعار (لا اله الا الله محمد رسول الله) وتمكين بالحرية الاخاء ، المساواة واساس الحكم هو العدل

اهداف الهوية الاسلامية الثقافية :-

تهدف الهوية الثقافية الاسلامية الى اهداف (بعيدة وقريبة) وهي

(١)تخص الفرد المسلم :- (وتهدف الى:-

- بناء الشخصية المسلمة المتمسكة بتعاليم الدين والمرتبطة بالأخلاق الفاضلة الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بتأدية الفرائض والشعائر لتكوين هذه القيم الفاضلة مشجع اللغة العربية الفصحى والعمل على تقويتها ونشرها وذلك باعتبارها لغة القران الكريم والتراث والثقافة وأداة الاتصال اللغوي والتعبير والتفكير في هذه اللغة
- بناء الإنسان المؤمن بربه وبملائكته وأنبياءه ورسله بما انزل عليهم من كتب سماوية وباليوم الأخر وبالقضاء والقدر
- بناء الإنسان الصحيح في جسمه القوي في بدنه حتى يكون منتجا وفعالا في الحياة وقادر على مواجه الصعاب والتحديات واحتمال التغيرات الطبيعية-
- تزويد الإنسان بسلاح العلم والمعرفة وتمكينه من امتلاك وسائلها الأساسية والتوسع في ثقافته وحل مشكلات مجتمعه
- تشجيع اللغة العربية الفصحى والعمل على تقويتها ونشرها وذلك باعتبارها لغة القران الكريم والتراث والثقافة وأداة الاتصال اللغوي والتعبير والتفكير في هذه اللغة

(ب) تخص المجتمع المسلم :-

بما ان المجتمع هو (وهو المجتمع الذي يمتلك رسالة ودعوة الى الداخل والخارج ، فهو مجتمع متميز له خصائص ومميزات تميزيه عن بقية المجتمعات الانسانية ، فهو مجتمع القدوة او المجتمع الوسط وقوله تعالى﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ (سورة البقرة: ١٤٣)، وتهدف الى

- بناء مجتمع موحد يسود فيه الوفاق والوئام والانسجام وحرية الفكر والعقيدة والتسامح والشعور بالولاء للدين والأمة والشعور بالاعتزاز بالدين والتراث والسلف الصالح والتمسك بأداء

الفرائض الصوم والصلاة والحج والزكاة والصدقة بما يحقق التكافل الاجتماعي والمعيشة الاقتصادية وشجع على المساواة بين الرجل والمرآه وملكيه في الاسرة.

خصائص المجتمع الاسلامي :-

- مجتمع يوحد الله وطاعة الرسول محمد ﷺ وقوله تعالى: ﴿أَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء /٥٩)
- يقدس الدين والقيم الاخلاقية ، اي الايمان بالله وملائكته وكتبة ورسله واليوم الاخر والقضاء والقدر
- يحترم العلم ويقوم على طلب العلم ويعد طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، حيث ان العلم هو الطريق الموصل الى الله والى الهداية ليكون اهلا لخلافة الله في ارضه
- يواكب التغيير والتطور والمستمرين في الحياة
- يقدر العمل والمال ويجعل المال وظيفية اجتماعية ، وان المال مال الله ، وان البشر يستخلفون فيه ، لذا يجب مراعاة مصادر الكسب ومصادر الانفاق واخراج الزكاة وتأدية حقوق الفقراء والتكافل بين افراد المجتمع واستغلال كل مصادر الثروات في صالح الاسلام والمسلمين
- نظام اجتماعي يقوم على العدل والمساواة بين الافراد بدون تفرقة اي بعيد عن الجنس واللون والمراكز الاجتماعي
- يحترم العلاقات الدولية التي اساسها احترام حقوق الانسان وعدم العدوان والتأكيد على التعاون في كل خير ، مع رفض الذلة في النفس او التفريط في الحقوق(الزبيدي : ٢٠١٧)

المصادر :

١. القران الكريم :-
٢. ابراهيم ونوفل ، الوجيز في مصطلحات التربية وعلم النفس ، دار الجندي ، سوريا ٢٠٠٣
٣. ابراهيم ، ناصر ، التربية وثقافه المجتمع ، دار الفرقان ، الاردن ١٩٨٣
٤. ابراهيم . ناصر ، ، اصول التربية ، الوعي الانساني ، مكتبه الرائد العلمية ، الاردن ٢٠٠٤،
٥. ابراهيم ، ناصر، اصول التربية ، الوعي الانساني ، مكتبه الرائد العلمية ، الاردن ١٩٨٦،
٦. الابراشي، محمد عطية ، الاسلام منقذ للإنسانية ، مكتبه مصر، مصر ١٩٧٤،

٧. إسماعيل عز الدين، العولمة وأزمة المصطلح ، مجلة العربي ، العدد ٤٩٨ الكويت ٢٠٠٠
٨. باز . عبد العزيز بن عبد الله . العقيدة الصحيحة – السعودية بلا
٩. بدوي ، احمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ١٩٧٧
١٠. بالقزيز، عبد الاله ، العولمة والهوية الثقافية ، عولمة الثقافة ام ثقافة العولمة ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٢٢) مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٨
١١. ابو النور، محمد عبد التواب واخرون ، التربية المدنية واستراتيجيات تنميتها ، قضايا وتطبيقاتها ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠١٣
١٢. ابو طالب محمود و رشراش انيس عبد الخالق ، علم التربية العام ميادينه وفروعه ، دار النهضة العربية ، بيروت ٢٠٠١
١٣. تايلور ، ليونا الاختبارات والمقاييس ، ترجمة سعد عبد الرحمن ، دار الشروق ، بيروت ١٩٧١
١٤. الجابري ، محمد عابد ، العولمة والهوية الثقافية ، ندوة العرب والعولمة ، بيروت ١٩٩٧
١٥. الجمالي ، محمد حافظ تعريب العولمة ، اين نحن من العولمة ، وزارة الشباب والرياضة ، عمان ٢٠٠٠
١٦. الجمهورية الاسلامية الايرانية ، الشاب تطلع نحو المسؤولية ، منتدى الشباب ايران ٢٠٠٢
١٧. الدخيل ، عبد العزيز عبد الله ، معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية– دار المناهج ، الاردن٢٠١٣
١٨. الرشيد ، عبد الحافظ ، الاثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها ، مكتبه مدبولي القاهرة ٢٠٠٤
١٩. الزبيدي ، صباح حسن عبد . تأثير العولمة الثقافية على ثقافة الشباب الجامعي العربي وسبل التحصين ، بحث مقدم الى المؤتمر التربوي السنوي الثالث ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، جامعة بغداد ٢٠٠٥
٢٠. الزبيدي ، صباح حسن عبد ، مناهج المواد الاجتماعية وطرائق تدريسها ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، الاردن ٢٠١٠
٢١. الزبيدي ، صباح حسن عبد ، دور التربية المتكاملة في تشكيل المجتمع العراقي (الشاب الجامعي) في ضوء التربية الإسلامية . نظرة مستقبليه ، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الرابع لجامعه جرش . كلية العلوم التربوية للفترة من ٥-٢٠١١/٤/٦ . الاردن

٢٢. الزبيدي . صباح حسن عبد . البحث الموسوم (تعزيز مفهوم الاعتدال في المنهج الدراسي لبناء مفهوم المواطنة الصالحة لمكافحة الفكر المتطرف – دراسه نظرية . بحث مقدم الى المؤتمر جامعة الكوفة بالتعاون مع مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية ومؤسسة نبا للثقافة والعلوم الوطني . تحت شعار الاعتدال في الدين والسياسية للفترة من ٢٢-٢٠١٧/٣/٢٣

٢٣. الزبيدي . صباح حسن عبد البحث الموسوم (دور القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة في بناء الانسان في ضوء سيرة امير المؤمنين الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وانعكاسها في خدمة المجتمع الاسلامي . وتوظيفها في المناهج الدراسية الجامعية مستقبلا بحث مقدم الى المؤتمر العلمي السنوي الثاني (تحت شعار) منهج الامام علي (عليه السلام) في بناء الانسان وانسانيه الدولة الذي تقيمه الأمانة العامة للعتبة الحسنية المقدسة و مؤسسه علوم نهج البلاغة يوم ٢/١٢/ ٢٠١٧ الموافق ١٣/ ربيع الاول / ١٤٣٩هـ-

٢٤. سعيد . ابو طالب محمد . ورشراش انيس عبد الخالق . علم التربية التطبيقي. المناهج وتكنولوجيا تدريسها وتقويمها . دار النهضة العربية . بيروت ٢٠٠١

٢٥. سلطان . محمد السيد . مفاهيم تربوية اسلاميه . مؤسسه الوحدة للنشر والتوزيع . الكويت ١٩٧٧

٢٦. سلطان ، محمود السيد ، مقدمة في التربية ، دار القبس ، الكويت ١٩٧٧

٢٧. الطيار. عبد الله بن محمد احمد . اركان الاسلام ، وكالة المطبوعات . السعودية ٢٠١٧

٢٨. عبد الهادي الفضلي ، ، التربية الدينية دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ٢٠٠٣

٢٩. عبد الهادي الفضلي . الحضارة الاسلامية بين دواعي النهضة وموانع التقدم مركز الحضارة لتنمية الفكر بيروت ط/١ ٢٠١٣

٣٠. العفيف ، احمد خليف واخرون ، التربية الوطنية ، دار جريد للطباعة والنشر ، الاردن ٢٠٠٨

٣١. الفضلي ، عبد الهادي ، التربية الدينية دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ٢٠٠٣

٣٢. قمر . عصام توفيق . الأنشطة المدرسية والوعي البيئي . الاطر النظرية. الادوار الوظيفية . التجارب الدولية . دار السحاب للنشر والتوزيع . القاهرة ٢٠٠٥

٣٣. مذكور ، إبراهيم واخرون ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، القاهرة ١٩٧٥

ISBN: 978-9922-21-412-2

٣٤. محمد أبو الخير شكري لتصنيف : العلوم الشرعية النوع : العلوم الشرعية المجلد: المجلد السابع: المحكمة الجنائية الدولية ولاية المظالم في الإسلام رقم الصفحة ضمن المجلد : ١٣٠ بحث في الموسوعة العربية

٣٥. مركز الرصد العقائد / قسم الشؤون الدينية في العتبة الحسينية المقدسة

٣٦. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، خطة المنظمة لتطوير الثقافة العربية ، جامعة الدول العربية تونس ١٩٨٤

٣٧. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، جامعة الدول العربية ، خطة المنظمة العربية للتربية تونس ١٩٨٤

٣٨. النبراوي ، فتحية عبد الفتاح ، السيرة النبوية المطهرة وبناء الدولة الإسلامية، دار المسيرة ، الاردن، ٢٠٠١

٣٩. النقيب ، عبد الرحمن واخرون ، مقدمة في التربية وعلم النفس ، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، اليسيكو ، الرباط ١٩٨٧

٤٠. النوره جي ، احمد خورشيد ، مفاهيم في الفلسفة وعلم الاجتماع . دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٠

٤١. نعيمة شومان ، العولمة في التكنولوجيا الحديثة ، مجلة الفكر الدولي العدد ١ ، ١٩٩٧

٤٢. هناء . عطيه محمود وعبد ميخائيل رزق . الشخصية والصحة النفسية . القاهرة ١٩٨٥

هندي صالح واخرون ، الثقافة الإسلامية ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الاردن ٢٠٠٠

ISBN: 978-9922-21-412-2

هوية المرأة المسلمة في مواجهة التيار الإعلامي المعاصر وسائل التواصل الاجتماعي أنموذجاً

م.م هند كامل خضير / مديرية تربية ذي قار
hindkamel742@gmail.com

الملخص

يستدعي الفرد – بديهياً– الثقافة لاسيما الرائج منها بحضور التطوّر التكنولوجي الذي يعدّ هو الآخر وسيلة من وسائل التحديث العصري الذي يطرأ على مجتمع ما أو أمة ما ، ومن ثم يستقطبها الفرد بوصفها طارئاً نافذاً بحضوره كأسلوب جديدٍ للحياة ، وبوصفها فارهة بالتشكّلات التي تبني رؤية تُعنى بتقديس الحديث، وممّا لا شكّ فيه أن التحديث الاجتماعي هو مقبولٌ بحدّ ذاته؛ كونه يُجسّد وسائل وأنظمة لتنظيم الحياة ، والفرد –طبيعياً– مع تقدم العصور بحاجة إلى هذا التحديث والتطوّر، لكن شريطة على ألا تكون هذهِ الوسائل المحدّثة مخالفة لبصيرة الدين، فبعض الأساليب الحضارية الحديثة تتغافل بأن ممارساتها تسيء للسّياق الاجتماعي العام أكثر ممّا تحميه لاسيّما ما تمثّل عنها بالواقع الافتراضي وما تستدعيه مدوناته الاجتماعية إلى الذهن من فكرة (المجتمع الصغير) الذي يشغل بمساحته الخاصّة شخوصاً قمت أنت باختيارهم بما يتناسب مع الميول الخاصّة ، فيصبح الفرد منّا يتحرّك بموجبه في مجتمع يُقدّم أو يفرض عليه أشكالاً بعينها ، يعرض فيها ما لديه من مواهب أو أفكار أو خبرات ، وفي بعضها الأغلب يعرض حياة كاملة بيومياتها من تناول طعام أو حضور زفاف ، أو حتى تنظيف بيت كما تتبنّاه أغلب حياة المشاهير أو بما يسمى (البلوكر أو اليوتيوبر) لاسيما أن سياقات محتوى هذا الواقع تنقل حافزاً أو مثالاً مشجعّا يحتذى به بغض النظر من سلبياته أو إيجابياته فيما يقدّمه من محتوى اجتماعي افتراضي . وممّا لا شك فيه أن المرأة بوصفها مستهلكاً – بالجبلة – تستجيب لهذا التمثيل وتتقبّل واردات هذهِ الثقافة عن رضا، ومن ثم تسلّم بوجاهتها، فوجد ممّا يُعرض من حياتها الزوجية أو الأسرية لا سيما في وسيلة (اليوتيوب) تحت برنامج يومي (اقضوا يومي معي)، وعليه هذه اللوحة تُجمّل التجربة في طياتها ، فتطبقها النساء الأخريات مثالاً لسبيل حياتهن بغض النظر عمّا تجسده حياتهن من واقع حقيقي ، وما يعرضه هذا الواقع المتخيّل من افتراض العيش السليم .

المقدّمـــة

تُجسّد الحياة اليوم مسرحاً مظلماً، تمثّلت سوداويته على شؤون الفرد المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية حتى السياسية، إذْ صارت حياة الافتراض هي من تسيّر يومه بصورها

ونماذجها المصنوعة بأيديولوجيات الثقافة المموّهة بالأسلوب الحضاري، حتى انتهت حياة الافتراض بالفرد إلى صراع مع مقدّساته، إذْ صورت الثقافة اليوم بإعلامها المسيّر ذاكرة المقدّسات بأنها صورة من العادات والتقاليد القابلة للتغيير أو الرفض أو الشكّ، وعليه فلا فرق بين ممنوع ومباح في عرف هذه الثقافة، وهذا نتيجة الانبهار الذي وقع فيه الفرد . ومن هنا كان القصد في هذهِ الدراسة تقليب وجوه هذهِ الثقافة بشعاراتها العصرية التي عملت على اختراق هوية المرأة المسلمة على سبيل السلوك ورمزيات الهوية الإسلامية مثل الحياء والحجاب ، فضلاً عن الحركات التي تمثّلت باسم النسوية، وراحت هذهِ الحركات تقرأُ النصّ القُرآني بما يتلاءم مع روح العصر الحديث . فعرضت الدراسة ذلك على مبحثين ، صوّر المبحث الأول شعارات العصرنة التي شكلت هوية المرأة الإسلامية (الحجاب) بصياغات حديثة انتزعت منه صفة القداسة لتحل محلها صفة العادة البائدة التي ترمز للتخلف والتأخر، في حين جسّد المبحث الثاني صور الاقتداء بالأنموذج الافتراضي في بعض جوانب المرأة المسلمة في سياقات العالم الإعلامي لاسيما مجتمع الفيس بوك .

التمهيد: الهوية الإسلامية صراع الواقع والافتراض

إن (الهوية) هي المسألة الأساسية للفلسفة التي قال فيها المعلم الأول أرسطو (أعرف نفسك بنفسك) ؛لذا الإنسان والجماعات الإنسانية تشتق هويتها من وعيها بما يُميّزها وما يمثّل الخصوصية لها، وهنا تتشكّل الهوية بمختلف تمثيلاتها، لذا يستلزم القول بأن الهوية ليست حقيقة موضوعية وواقعية وثابتة، بل تمتلك واقعيّة متخيّلة تتحصل عليها من خلال ما نسميها بالوقت المعاصر(بعالم الافتراض) .ومن جهة أخرى، أنَّ مواكبة التطوّر العصري هو مطلب حضاري يُرافق الإنسان في كُلّ عصوره ؛ كونه يمثّل أنظمة ووسائل لتنظيم الحياة.

وعليه وهبت الحضارة للفرد تطوّراً منقطع النظير لاسيما في السنوات الأخيرة، فنال تحديثاً على مستويات كثيرة وعلى شؤونه الحياتية كافة ، إذْ توصّل الإنسان بفضل العلم إلى الكثير من المعارف ومجالات العلوم، حتى انتهت به الحضارة إلى عصر المعلومات، فصار انتقال المعلومة أمراً يسيراً ومتاحاً بصورة لم تعرفها البشرية سابقاً، وبات ذلك مبهراً للإنسان ومدهشاً له ، وعليه عاش الإنسان في مرحلة انتقالية يسودها الإرباك ما بين القبول المطاع والرفض الشديد، فراح في ظل هذا التطوّر يتصارع بين القديم والجديد. وممّا لا شك فيه أنَّ للثقافة يد طولى في مساندة هذاْ التطوّر ودعمه ومن ثم ثبيت أسسه ؛ بوصف أنَّ الثقافة رديفة بحضورها للفرد فتصوّر الجديد الطارئ للعصر كونه مقدساً ؛ بدعوى أنها ثقافة جديرة بالاختيار والاتباع ، ومن

بديهيات عولمة العصر ، ومن ثم يخضع لها الداني والقاصي دون النظر إلى سلبياته أو إيجابياته . المهم أن تلبي رغبات عصره ، ولا شكّ أن موروث الثقافة لأعلى سلطة من الحضارة في توجيه مستهلكيها لأنها لا تحتاج إلى مستندات رسمية أو شرعية فبابها مفتوح للجميع . حتى دخلت مميزات الحضارة وبرفقة الثقافة لحياة الفرد ولامست جلّ مفردات حياته اليومية من المأكل والملبس وخروجه وذهابه حتى انغمس بها الفرد في صورة تلقائية وغير واعية فصار الرفض لها هامشاً في مقابل تبنيها وقبولها كحياة أو منهج . ومن هذهِ الميزات الحضارية ما يصطلح عليه بـ(عالم التواصل الاجتماعي) .

وقد عزّز عالم الافتراض ظواهر كثيرة وعلى نحو عشوائي فتجسد ضررها أكثر من نفعها، إذْ أحدث إرباكاً على مستوى الحياة الاجتماعية سواء أكان على سلم المجتمعات المصغّرة العائلة أو الأسرة ، أو المجتمع عامّة. فمن الطبيعي أنّ الإضافة الحضارية قد أعطت اهتماماً مباشراً لمنتجاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية حتى الإعلامية، لكن من جهة أخرى أعطت اهتماماً غير مباشر للمنتج الثقافي، وعليه قام هذا المنتج بفحص الخصوصية الثقافية العامّة، ومن ثم تعداه إلى خصوصيات الفردية، فتتبعت الثقافة ركائز المجتمع لتضعها في قوالب جاهزة فكرياً ومنتقاة ثقافياً، ومن ثم تتبعت الفرد ككيان اجتماعي فتجلّت عند تطبعه الاجتماعي وتكوينه فحوّلت هذا التكوين من ركيزة إلى إطار كليّ، فيكون ضرب الثقافة للمجتمع ضرباً للفرد، وفي هذا السّياق تمّ إلصاق الفرد بمجتمع جديد هو(التشكيل فوق الواقعي) الذي يعدّ ((المسرح المظلم الذي تتمثّل عليه الحياة السياسية والاجتماعية، والهياكل المتداعية التي يقوم عليها بناء هذا العالم محاطة بضروب الأوهام والتضليل والأغراض، وهو عُرضة لأن يتهدم تهدّماً لا صلاح له بعده إذا ما صار مسرحاً لبعض الوقائع الهائلة))[1] فألحق هذا اختراقاً ثقافياً الذي انسحب في مضمونه على مجمل الأوساط الاجتماعية للفرد .

المبحث الأول: الهوية الإسلامية للحجاب وشعـــارات العصــرنة

إنَّ دعوات التطوّر هي حتماً فاعلية حضارية، وممّا لا شكّ فيه أن مظاهر التواصل الاجتماعي واحدة من أهمّ هذهِ الدعوات التي مثّلت أبرز صيحات العصرنة، إذْ واجهت العصر ابتداءً من الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع . ومن المسلمات البديهية أنّ دعوة التطوّر قد ولّدت تمثلات جديدة أخذت تطرأ على سطح الثقافات عامّة ولاسيّما الإسلامية منها. ومن الجدير بالأهمية أنّ في كلّ ثقافة من ثقافات الشعوب هناك انتماء يعكس في طبيعته هوية تلك الأمة أو

[1]) **اختلال التوازن العالمي ، غوستاف لوبون : ٤ .**

ISBN: 978-9922-21-412-2

الجماعة ، واللباس واحد من تلك الهويات التي يُعبّر بها الفرد عن انتمائه وهويته ، فعلى الرغم من كونه قطعة قماش إلا أنه يُشكل – مثله مثل أي رمز ديني أو معنوي أو ثقافي – قيمة كبيرة للتعبير عن قدسية أو انتماء معيّن.

ومفردة (الحجاب) تجسّد في ظاهرها ومضمونها هوية المرأة المسلمة ، ومن ثم فهو سلوك شعائري يُعدّ من أوليات مقدساتها، وعليه يمثل الحجاب شعاراً فطرياً لرمزية الدين؛ كونه يُجسّد انتماءً لصبغة الإسلام، فالنظر إلى المرأة المحجّبة يعطي شعوراً أولياً عن من ترتديه بأنها تنتمي للدين الإسلامي ، لذا فالحجاب ((كما يدركه العامة يرتبط بالأكثر بالنساء العربيات وبالإسلام))[١]، وكانت محصلة هذ الارتباط بين الحجاب والإسلام أن عملت الشريعة الإسلامية على الجمع بين السلوك الاجتماعي والأخلاقي والحيز المقدس ، وما يُفضَّل ارتداؤه من الملابس[٢]، فقد قال تعالى في شأنه: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ...﴾[٣] ذلك أنَّ السمة الغالبة على مفردة (الحجاب) تضمنه لجانبين ،جانب: يحمل مظهر الستر، وجانب: دال للتعبير عن الانتماء ، لذلك عندما عُرف، قيل فيه إنَّ الحجاب أو السّتر يمثِّل زيّاً من الأزياء ذات السمة ثقافية ، إذ يُعد مظهراً ومميّزاً قوميّاً، وأسرع دال ثقافيّ باستطاعته الانتقال من ثقافة إلى أخرى ، وفي كلّ الأحوال يبقى الحجاب بالنسبة للمرأة المسلمة – وإنّ تعدّدت أشكاله – عباءة أو منديلاً أو شالاً، أي ما يستر الشعر وباقي الجسم باستثناء الوجه والكفّين ، وهو المظهر الدال على الهويّة الدينيّة : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ﴾[٤]. والحجاب – كهوية إسلامية – تعرّض إلى قلب مضمونه القيمي أولاً والشرعي ثانياً ،تحت طائلة التجديد من جهة ،وتحت ظلال التشكيك والتشويه من جهة أُخرى .إذ تحولت الشكوك إلى طعنات أخذت طريقها إلى الحجاب ثم إلى الإسلام ، بناء على أن الحجاب وما يتعلق به يمثل الذاكرة الحاملة لمجمل ركائز الهوية الإسلامية للمرأة المسلمة .

وقد استحالت شعارات العصرنة – على أيدي مؤسّسيها– إلى أبواق الخداع وقلب المفاهيم ومن ثم التهجين. إذ اعتلت أصوات مؤسّسي الحضارة باستدعاء (تجديد الخطاب الديني) مدّعين أن الموروث القديم قد فقد شروط صلاحيته ؛لذا جاءت لفظة (التجديد) لدفع الخطاب الديني

---

[١]) **الحجاب بين الحشمة والخصوصية والمقارنة ، فدوى الجندي ، ترجمة : سهام عبد السلام : ٤١ .**

[٢]) **يُنظر : المصدر نفسه : ٢٩٣ .**

[٣]) **سورة النور : ٣١ .**

[٤]) **نصرت أمين(مجتهدة عالمة في الزّمن الصعب)، دلال عباس : ٤٥ ، الآية : سورة الأحزاب : ٥٩ .**

ISBN: 978-9922-21-412-2

للالتحام بالواقع الحاضر داخلياً وخارجياً لتحصل بعد ذلك القطيعة التّامة مع التراث[١]، وهذا مبتغى العولمة التي استطاعت أن تهيأ الساحة الثقافية لاستقبال أفكارها وأيديولوجياتها تحت شعارات عصرية طارئة وبراقة مثل الانفتاح الثقافي ، والتنوير ، والقضايا النسوية ، والحركات النسوية ، وفي ذلك أُلِّفت الكتب ، وقُدِّمت الدراسات المختلفة . وجلّ هذهِ الشعارات قد نادت بها الأصوات الرجالية والنسائية ، فضلاً عن ذلك أن البداية الفعلية لهذِ الشعارات كانت في أوائل القرن العشرين مع بروز التنوير في البلدان العربية والإسلامية حينما بدأوا يكتبون عن قضية المرأة، وقضية الحجاب ، حيث ظهرت شخصيات تناقش هذهِ القضية، ولا سيما ما جاء في كتابي (امرأتنا بين الشريعة والمجتمع)، و(تحرير المرأة)، فضلاً عن بعض الباحثات الإسلاميات مثل هدى شعراوي ، والمرنيسي ، ونوال السعداوي وغيرهن . فقد رأت" المرنيسي أنّ الحجاب فرضية أحكمتها شرعيّة دينيّة ، وكذلك ممارسة ذكوريّة اتّخذت من الطابع الديني أزاراً لها تحتمي تحت ظلّه بإسناد الحكم الشرعي في الحدّ من حرية المرأة وادراجها في سلّم المجتمع الأدنى[٢] في حين جاء الجانب الآخر في سياق الحرب الإعلاميّة التي أخذت تصوّر أن الحجاب أداة خانقة للمرأة واستنقاص لها ، وحوّلت حجاب المرأة من كونه ثقافة جوهرية ولابدّ من الحفاظ عليها وصونها إلى ثقافة من أن المرأة عي وعورة ولابدّ أن تتحجّب ، وهذهِ القراءة نتج عنها صناعة صورة للمرأة المحجبة منها التخلّف والجهل، بل جعلتها في خانة الإرهاب، وفي مقابل ذلك وضعت لثقافة السفور أبهى صور التقدّم والتطوّر الحضاريين. إلاّ أننا عندما نراجع الذاكرة التاريخية نجد هناك احترام النموذج المحتشم ، فقيمة الحجاب – بوصفه قيمة – جاءت في جلّ الثقافات تدلُّ على التفرّد والمكانة والامتياز والخصوصية ؛ لذا نجد لباس العلماء والنبلاء والسلاطين والراهبات وما يتعلق بمناصبهم يتمثَّل بالملابس الطويلة والفضفاضة، بينما تلحق صفة الحفاة والعراة لذوات الجنون والسفهاء والجهل[٣]، وقد وُضِع الحجاب في بعض الثقافات علامة يُميّز من خلالها النساء ذات السمعة الحسنة والارستقراطيات من غيرهنَّ . وعليه عندما جاءت الحضارة بتقنيات الترويج أسلوباً للحياة أخذت خلايا الإعلام وما يرتبط بها الرهان على ذلك، فتمّ ضرب المفاهيم الدينيّة ، وطمس هويتها عندما سعت ثقافة الحرب الناعمة تقديم المحرّمات بوصفها من لوازم الثقافة الجديدة ، فصار تقديم السفور واللباس القصير بوصفه حقوقاً

---

[١]) **المصدر نفسه .**

[٢]) **يُنظر : هل انتم محصنون ضد الحريم ، فاطمة المرنيسي : ١٣٢.**

[٣]) **يُنظر : الحجاب بين الحشمة والخصوصية والمقارنة : ٦٢ .**

ISBN: 978-9922-21-412-2

مشروعة ضمن إطار الحرية وأسلوب حضاري للمرأة حتى توصف بأنّها مثقفة ومتقدّمة على النساء الأخريات ذوات الحجاب، وما يتبع ذلك من عناصر الاستهلاك السلعي والترفيهي المُعلّب بغلاف التطوّر ، إذ صارت النظرة عند المرأة لا تكتفي أن ((ترتدي اللباس الذي يكشف عن جسمها ويبرز مفاتنها ، بل يجب عليها أن تغيّر ذلك اللباس باستمرار بذريعة " الموضة " وظهور تصاميم أزياء جديدة، كي تبقى سوق أصحاب التصاميم وباعة الأقمشة وأصحاب معامل النسيج والخياطين مزدهرة وحامية بشكل دائم))[١]، وقد أخذت وسائل الإعلام المختلفة تعمل على إبراز هذا المتخيل من صور حجاب الموضة وقدمته كأنموذج محترم ، بل وأضافته كمظهر يعطي شعوراً بالتفوق ، إذ اقترنت مسميات العالمة والمثقفة والمفكّرة بالمرأة التي تُلازم مظهر الحجاب العصري، وعليه صار الاقتداء بهذا النموذج يمثل للمرأة المسلمة أمراً لا مهرب منه في هذهِ العوالم ، إذْ من الطبيعي أنَّ الإنسان إذا انكشف أو انفتح له أفقاً جديداً سيتعامل معه بالانسجام واتسام في أغلب الحالات ، ولاشك أنَّ لمواقع التواصل الاجتماعي اليد الطولى في نجاح ذلك ، فهي نجحت في ((ترميز التافهين وتحويلهم إلى رموز ما يجعل من كثير من تافهي مشاهير السوشال ميديا والفاشينستات يُظهرون لنا بمظهر " النجاح" ، وهو أمر يُسأل عنه المجتمع نفسه، الذي دأب على التقليص التدريجي لصور النجاح التي تعرفها البشرية ككل (العمل الجاد والخير لأهله والمواطنة الصالحة وحسن الخلق والآداب..) فألغاها جميعاً من قائمة معايير النجاح حتى اختزلها في المال فقط))[٢]، ومن هنا تم فرض مفاهيم جديدة حول الهوية ، وواجهت المرأة المسلمة صراعين تمثلا بالهوية الإسلامية ، والهوية الحضارية (الافتراضية) ، ولاسيّما أنَّ أيّاً منها يُمثّل وسيلة للوصول إلى شيء ما، فالحضارة هي وسيلة لبلوغ هدف معيّن ، في حين أنَّ الهوية الإسلامية تسعى دائماً إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من القيم في المجتمع مثل التواضع ،والعفو ،والإخلاص ، والتسامح ... إلخ . ولعلّ من أهم التحديات المعاصرة التي واجهة شريحة النساء وضمن أطر الحجاب كهوية إسلامية ، هو انحصار هذهِ الهوية بالمجتمعات الدينية كـ(ظاهرة) بعدما كانت تُشكّل الطابع العام لكثير من المجتمعات المدنيّة . وربما يطالعنا سؤال ما وجه العلاقة ما بين التقدّم والحجاب ؟ أو بين العلم والسفور ؟ وهل المسألة هي مجرد مشكلة العجز الحاصل في التوفيق ما بين الانفتاح الحضاري وبين الحاجة للهوية المسلمة ؟ . ويبدو أن التقدّم الصناعي للحضارة لم يُزيّف القيم الإسلامية للإنسان فحسب بل خدش حتى

---

[١]) **ثقافة العُري أو عُري الثقافة ، د. غلام علي حداد عادل ، ترجمة : عبد الرحمن العلوي : ٤٢ .**

[٢]) **نظام التفاهة ، د. آلان دونو ، ترجمة : د. مشاعل عبد العزيز الهاجري : ٥٢ .**

ISBN: 978-9922-21-412-2

حاجاته المادّية وصولاً لحاجته الفكرية التي تعدّ العدو اللدود لمجتمع السيطرة ، بوصفه يُمثّل قوة العقل النقدية[١]، فالمرأة اليوم – وبحضور الثقافة الجديدة ثقافة الغرب التي غزت عالمنا المسلم – تعيش الاغتراب ما بين الواقعية المادّية والمعنوية، فالثقافة الغربية ترى الكمال المادّي أصلاً وجزءً لا يُعلى عليه في حياة الكائن البشري ، في حين الإنسان في عالم الإسلام يرى المعنوية الكمال الذي ينشده ، والغاية التي يسعى إليها في حياته، ومن هنا فالمرأة ((تُنظر إليها الثقافة المعنوية الإسلامية كمصدر للهدوء والطمأنينة " لتسكنوا إليها" ، نراها في المجتمعات الخالية من المعنوية وسيلة لإلهاب تنّور الطلبات))[٢] ، أما في ثقافة المادّيات المرأة ليست إلا جسم ، وهذا الجسم يجب أن يدرج في ثقافة الاستهلال وهذهِ الثقافة هي من تحدّد زي المرأة ولباسها ، فاللباس في عُرفها ليس لتغطية الجسم والستر، وإنما وسيلة من وسائل الزينة والجمال [٣]ومن الجدير بعالم الإسلام أن دعوة المادّية والجسمانية التي تعرضها ثقافة اليوم لا تتعارض أبداً مع المعنوية الإسلامية، وإنما الدين الإسلامي يسلك أزاءها سلوك المرشد والموجّه ، فهو يعلمنا القياس كي نبقى في منأى عن التطرّف من خلال الاحتفاظ بشيء من التوازن والاعتدال[٤]، لذلك نجد في ظل هذهِ الأجواء أنّ الحجاب – بوصفه هوية إسلامية – يعدّ حاجة من حاجات تعبير المرأة المسلمة عن امتثالها للأمر الإلهي أولاً، وتعبيراً عن انتمائها للجماعة المسلمة ثانياً ، إذْ يترتب على هذهِ الحقيقة الساطعة بأن((أخلاق الحجاب ليست أخلاقاً أمْرية ... وإنّما هي أخلاق شهودية ، أي أخلاق تتوسّل بالنظر الإلهي في الإتيان بالأوامر إن تصوّراً له أو تحقّقاً به))[٥] ، ولعلّ ما طرحه علم الاجتماع اليوم يؤيد هذهِ الحاجة من التعبير التي تضيفها الهوية لا سيّما من جهة الانتماء الديني ، إذ أنّ أحد الركيزتين في نهوض الوجود الاجتماعي هو ((الحاجة إلى الشريعة ... وأنّ ما يصنع التماسك والتلاحم الاجتماعيين هو المشاركة المعياريّة المبنيّة على معتقدات مشتركة وفي مقدمتها المعتقدات الدينيّة التي تُشكّل عامل التدامج الأمثل))[٦]. فضلاً عن أنّ الثقافة بوصفها غازياً حضارياً تعي جيداً ، بل أخذت تتجاوز أشكال السيطرة التي مارسها

---

١)) يُنظر : الإنسان ذو البُعد الواحِد ، هربارت ماركوز ، ترجمة : جورج طرابيشي : ١٣ .

٢)) يُنظر : ثقافة العُري أو عُري الثقافة : ٤٦

٣)) المصدر نفسه : ٣٩.

٤)) المصدر نفسه : ٤٢ .

٥)) يُنظر : الإنسان ذو البُعد الواحِد: ١١ .

٦)) دين الحياء من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتمان ، د. طه عبد الرحمن : ١٦٤/٣ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

المجتمع الماضي على الفرد بوصفها تتسم بالطابع اللاعقلاني في شكل العلاقات الإنسانية ، لذا وبسبب هذا الطابع فبمقدور الإنسان أن يعقلها ، ويعمل على فضحها ، ووضع حدّ لها بخلاف السيطرة في عصر التقدّم فإنها تتخذ طابعاً عقلانياً ، وبمقدره أن يجرد سلفاً كل احتجاج وكل معارضة من سلاحها[1] ، وتتجلى أساليب العصرنة في إطار هذهِ السيطرة عبر الأساليب الناعمة المتمثلة بغرس الأفكار الجديدة في ذهن المرأة ومنها العناوين الخداعة ، إذ تقوم بتقنية تعليب وتغليب الفكرة وإعطائها عنواناً يرمز بإيحاء القبول ، أي لا يحكي ظاهره حقيقة الرفض والممنوع ، إذ إنها تُسمّي الأشياء بمسمياتها ، فلو جئنا إلى ظاهرة الحجاب وظاهرة اللبس عامّة نجد مسميات ظهرت تحمل تعبيراً يوحي بالإسلاميات ، مثل (حجاب إسلامي ، وعباءة إسلامية ، وثوب رمضاني ، وملابس المحجبات ... إلخ) ، لكن شعارات العصرنة تسير ببديهة خرساء في ظل هذه المسميات الإسلامية ، فهي لا تقول للمرأة اخلعي الحجاب أو ارتدي ثوباً قصيراً ، وإنما تعطي انطباعاً إسلامياً ومطمئناً حتى تتقبله الفتاة أو المرأة بكل سلاسة ؛ كونه يحمل لفظاً إسلامياً ، يكون مستساغاً اجتماعياً، وعليه هذا ما يجعل من هذه الأزياء أو الحجاب أمراً مقبولاً بين الأوساط ، ومن ثم يتم التفاعل معه والأخذ به . هذا من جهة ، ومن جهة أُخرى أخذت الحضارة الطارئة على مسخ الحجاب بطريق آخر ، فطرحه بالنموذج الإسلامي – الممنهج بأيديولوجياتها – لا تكفي– ، بل طرحت الحجاب في سياقات البسة المرأة عامّة فتبنت وسائل التواصل الإعلام صوراً تضع فيها صورة لمرأة ترتدي جينزاً مع حجاب ملائم ، وتقول هذا ما يُلائم هذا الطقم من اللباس ، أو بنطالاً ممزّقاً مع حجاب بموديل آخراً وهكذا . وبهذا تسمخ صورة الحجاب وهيئته فتختفي قدسيته من ردع المنكر والفاحشة .

المبحث الثاني: قوى جذب رائدات وسائل التواصل الاجتماعي وموقف المرأة المسلمة منها

إنّ عملية العلمنة التي ظهرت حديثاً –لا شكّ– هي أفق ذو حدين ، فهي من جهة مطلباً إنسانياً يسعى الفرد الوصول إليه ، ومن جهة أُخرى قد قلّصت المجال الاجتماعي للدين ؛وذلك بتقليل أهميته وشأنه على المؤسسات إذْ كان يُجسّد أساساً لتثبيت شرعيتها ، وهذا ما ينطبق على مؤسّستي الأسرة والتعليم ، وعليه فإنَّ دور التنشئة الدينيّة الذي تمارسه هاتين المؤسّستين قد تأثر بشكل متزايد بنتائج العولمة ، ومن هنا يتعذّر بناء الهوية الإسلامية أو الدينية من خلال مختلف التنظيمات التنشئة الاجتماعية ؛ لذا يتحتم على الفرد الاعتماد على نفسه في تحقيق هويته ، بوصف أن عادة ما يعدّل أن الفرد يبني هويته الدينية عن طريق عدّة مصادر متنوعة ورمزية

[1]) **الإنسان والمقدّس ، روجيه كابوا ، ترجمة : سميرة ريشا** : ٨ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

موضوعة تحت تصرّفه[١] ، وواحدة من أهمّ هذهِ المصادر (وسائل الإعلام) التي بدورها لا تُفسّر بالضرورة الهوية الدينية بطريقة مماثلة لموروث المتبناة .

وبما أن العولمة ثنائية لـ(الخير والشر)، فالوسيلة الإعلامية عادة ما تضطّلع بدورين أساسيين هما : (المنتج والمستهلك)، بوصف إنَّ الغاية الأساسية التي ينشدها الإعلام الدور المنتج لأيديولوجيات معينة يساندها في قيام هذا الدور التكنولوجيا الحديثة التي غزت المجتمع حديثاً، وعليه أصبحت المادّة الإعلانية ليست ناقلة لصورة هذا المجتمع فحسب ، بل هي آلة لصناعته وموّجه مباشر لسلوكياته ، ومن ثم التحكم به والسلطة عليه من خلال عناصرها الثلاثة(الصورة والمشهد وصناعة الخبر) .

وبما أن الذائقة الدينية تتجاوز في إطارها العام جلّ المرجعيّات المتخيّلة إلى حيث العمل ((من أجل السمو الروحي والأخلاقي والاجتماعي والفكري، وهذا هو جوهر التربية الإسلامية))[٢]، تشكّل أمام الهوية الإسلامية اليوم ((مزيجاً من أربعة أبعاد تهضم باستمرار من خلال المبادرة الفردية .الأول هو البعد الجماعي، والبعد الثاني يتعلق بتقبّل الفرد لقيم مرتبطة بالرسالة الدينية يحملها تقليد خاص (سواء كان تقليداً عريقاً للديانات التاريخية الكبرى أم تقليداً قصيراً للجماعات والتنظيمات الجديدة ، وإلى هذهِ الأبعاد يُضاف كذلك البعدان الثقافي والعاطفي))[٣]. ويقابل هذا في الجهة أوهام التنوير الحضاري لاسيّما وأن((الجهة المتبنية لمشروع الاختراق الثقافي هي نفسها الجهة المتبنية لمشروع العولمة، وهي القوى الكبرى في العالم، وما تبنيها لمشروع الاختراق الثقافي إلا لأنّه خطوة من الخطوات الأربع لمشروع العولمة في العالم : التسطيح الثقافي، الاختراق الثقافي، التنميط الثقافي، الاغتراب الثقافي))[٤]،فتعقّب الاختراق الثقافي حياة الفرد ؛ بوصف أنّ الثقافة اكتسبت سلطة تنفيذية مضمرة في حياة الفرد من خلال فعلين مقدّرين هما: (أفعل)، (لا تفعل) فالجمهور– بالجبلة والطبيعة – يستجيب لهذين الفعلين عن رضا ويخضع لهيمنتهما حتى وأن لم يقم بالاستجابة التّامة لهما، فتكون الغلبة لفعل النهي؛ لأنَّ هذا الفعل من لوازم سلطة السلب وعليه تكون المحذورات والممنوعات أكثر وأشمل من قائمة المباحات

---

١)) **ينظر : من سلطة الثقافة إلى ثقافة السلطة ، محمد عبد المطلب ، مجلة فصول ، العدد٧٩/ ربيع ٢٠١١: ٥٥.**

٢)) **تربية الإنسان الجديد ، محمد فاضل الجمالي : ٩٩ .**

٣)) **المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .**

٤)) **وجهاً لوجه بين الإصالة والتجديد ، ضياء السيد القطيفي : ٥١ .**

ISBN: 978-9922-21-412-2

والمطلوبات[1]، لاسيّما وأنَّ ((السيطرة لا تتم بسبب قوّة المسيطر فحسب ، ولكنّها أيضاً تتمكن منّا بسبب قدرتها على جعلنا نقبل بها ونسلّم بوجهتها)) [2].

من هنا فعندما تريد المرأة المسلمة التعاطي مع هذا المطلب الحضاري الوافد تجد نفسها أمام عنوانات عدّة من الهوية ، لاسيّما عنوان (القدوة) أو (الموضة) أو (المودل العصري) ؛ لذا من الجدير أن نستحضر تحت هذهِ العناوين سياقات الوسط النسائي ؛بوصف أن رمزية الاقتداء أصبحت عنواناً حاضراً أمام المرأة في كلّ يومها المعاش، ويجسّد جانباً من مظاهر حياتها الاجتماعية. إذْ راحت وسائل التحديث العصري تهزّ الثقة في جلّ صنوف الحياة حتى وصلت للركائز التي تستمد شرعيتها من الدين، ، فانشقت من الإعلام مجتمعات افتراضية ، تولت تشريع حياة الفرد مثل (مجتمع الفيس بوك ، أو اليوتيوب، الانستكرام ، سناب شات، التيك توك ... وغيرها)، ومن باب أن ثقافة الفرد لا تنفصل عن ثقافة المجتمع أو الجماعة؛ لذا صار الارتداد إلى تلك المجتمعات ثقافة العصر، والاقتداء بشخصياتها بغض النظر عمّا تحمله هذهِ الشخوص من السلبية أو الإيجابية أو الدين أو اللغة مطلباً عصرياً وحضاريّاً، فأخذتْ تسعى كلّ امرأة إلى أن تحذو حذو الأُخريات من الاقتداء بهذه العنوانات وما تشهره أو تعلنه من رمزيات الحياة نحو الفرح أو الحزن، فضلاً عن كل ما يتعلّق بمكمّلات حياة الفرد في إطار الأسرة أو العمل أو السفر. انصهرت بعض النساء في هذا العالم الافتراضي وشخصياته من النساء، طبيعة ، وفكراً ، وتجربة . وفي مقابل هذا قلّما نجد فتاة أو امرأة تحمل همّا للاقتداء أو التأسّي بالنماذج الإسلامية في حياتها اليومية أو تسعى إلى انتهاج منهجها سواء أكانت بنتاً أو زوجة أو حتى أمّاً، حتى أصبح مفهوم القدوة منحصراً أو منعدماً في نظر شريحة النساء ، بل على العكس من ذلك صارت هناك قدوات بديلة الآن تنظر إليها النساء تحت مسميّات(الفاشنيستا [3]

---

[1]) ينظر : التعدديّة الدينيّة ، مجموعة من الأكاديميين : ١٧٩ .

[2]) النسقية وجدل البرهان – بحث في النسق الثقافي في الموءود في نموذج الرواية ، د . نضال الشمالي .

[3]((الفاشنيستا : شخصية مشهورة على مواقع التواصل الاجتماعي في الغالب تكون أنثى جميلة مهتمة بالموضة وتتخصص في عرض الملابس والموديلات الجديدة والأزياء ويكون لها عدد كبير من المتابعين تتجاوز الآلف والملايين.

ويجب في هذِ الشخصية أن تملك قواماً متناسقاً، وذوقاً راقياً في اختيار موديلات ملابسها، فهي تجسّد مثالاً حيّاً لجمهورها إذْ يرون عليها الموديلات ويتابعون أحدث خطوط الموضة وكيفية ارتدائها لها، وفي مقابل ذلك تقدم لهم النصائح المثالية لاختيار مكملات الموضة، وطرق المكياج الأفضل، وتكون دائمة التصوير ومشاركة جمهورها بعض جوانب حياتها حتى يشعرون بالألفة معها.

ISBN: 978-9922-21-412-2

Fashionista) فهي شخصيات تافهة في أغلبها ،تقتدي بها المرأة وتحاول محاكتها في كلّ شيء في المأكل والملبس فضلاً عن السلوك العام وفي العلاقات الأسرية خاصّة ، إذ تتقبّلها منهجاً ؛بوصفها (نجم /ستار أو كـ (مؤثرة)) من لدن العالم الافتراضي، ممّا يجعلها في نهاية المطاف قادرة على استثمارها في العالم الواقع .

وبما الحياء هو من السجايا الممدوحة في الشريعة الإسلامية ، ومن ثم هو من المفاهيم التي نادت الثقافة الجديدة بتحديثها في عالم وسائل التواصل الاجتماعي خاصّة وعوالم الافتراض عامة ، بوصفه يمثّل مجازاة للموضة من جهة ، وللجدلية المضمرة التي يكنها عالم الافتراض اتّجاه السجية الإسلامية من جهة أخرى.

من هنا ولج عالم الالكترونيات بيت المرأة المسلمة وأطفالها حتى تعدا عشها الزوجي، وصارت هناك حياة اجتماعية أُخرى تنسج من خلال صفحات الميديا لا يحدّها زمان أو مكان . فالثقافة الإنسانية التي انتهى إليها مجتمع (الفيس بوك)[١] هي ثقافة تكريس مبدأ (أعرض نفسك) بديلاً للمبدأ الاغريقي السائد (أعرف نفسك) حيث يقوم الشخص بعرض واستعراض مهاراته ومواهبه العلمية والمهنية إلى آخره[٢].

من هنا أخذ الفرد عامة والمرأة خاصّة تسقي مستقبلها وحاضرها من هذا المصدر المفترض ، بل تعدّى الأمر إلى أكثر من ذلك حين اقتحم خصوصياتها ، لاسيّما في نطاق الزوجية أو الأسرة، إذْ نجد بعض الهفوات التي لا تقبل التسليم للمنطق الاجتماعي الصحيح ؛فبما أنّ المرأة هي جزء من تكوين القالب الاجتماعي العام ، وبهذا الجزء ينمو الإطار الأسري ويشدّ أزره من خلال وجودها، فبوجودها يكتمل الرباط المقدس للعلاقة الزوجية . وبلحاظ القدسية تبنى مفاهيم (الخصوصية ، والقرب)، فالحفاظ عليهما يعني مراعاة حرمة الرابط المقدّس. وعندما تتصفح

منقول بتصرف ، الموقع https://www.tathwir.com : ، معهد تطوير الذات

[١]) ومن الجدير بالذكر أن مدونات الفيس بوك أو منصاته ، ليست ((مجرد صفحة إلكترونية يُسجّل فيها صاحبها كلمات وجُملاً متراصة ومنمقة فحسب، وإنما هي تجربة وحياة تعبّر في النهاية عن روح المدوّن وعقله معاً؛ لينفث بداخلها شيئاً من ذاته لا يستطيع أن يعبر عنه إلا هو عندما يتحدّث .. وهذه الصفحات هي شيء من ذلك الحديث)).

المدونون يتحدثون شهادات من القلب _ مجتمع التدوين المصري والعربي – ، محمد العبد ، وآخرون : ٢٣٤ ، مجلة فصول ، العدد: ٧٩ ، شتاء –ربيع ، ٢٠١١ .

[٢]) يُنظر : المجتمعات الفرضية بديلاً عن الواقعيّة ، بهاء الدين مزيد : ٣ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

المدونات الزرق(الفيس بوك)، نرى أن هذين المفهومين من جملة المقدّسات التي جرفتها الثقافة التكنولوجية، فلا توجد هناك قيود ولا حياء ولا رقيب ، فذلك العالم لا يتطلّب سوى استعمال لوحة المفاتيح ، والحرية للجميع ، فصار بعض النساء تضع شيئاً من الاستشارات الزوجية ونصائحها ، وبعضهن تضع صورة لغرفة نومها بكل تفاصليها ثم تتبعه بسؤال تستعلم به رأيهن .وكل ذلك مفترش على قارعة منصة الفيس بوك وتشاهده الملايين . لتأتي الأُخرى تعطي دروساً في أخذ الحيطة والحذر، إذ تتصدر لهن بخبر عاجل (زوجي يخونني)،(علمت أن له علاقة مع جيراني) ، ولذا يتحقق في مقابل هذا الفضفضة من الحرية ، إما أن تنتظر مديحاً ؛بوصف أن الذات الإنسانية ميالة لهذا، وهنا تبدأ الكومنتات/ أراء المتابعين تتراصف لها بالكلمات المرشوقة بالتشجيع أو البطولة لاكتشافها هذا الأمر العظيم والمذهل، وبعضهن من ينتظر استدرار المشاعر وجذبها اتّجاهها من جراء ظلم وقع عليها من قبل زوجها . ومن ثم فالمقام هنا ليس مقام انتظار أحكام أخلاقية ، بل مقام وصف وعرض ، ومن ثم الاهتداء للاقتداء بأحد الآراء الذي تراه شديد القرب لنفسها . وعليه فمن خلال هذهِ الجرأة المتاحة في الافتراضية الزرقاء تضيع كل خصوصيات الزوجية التي يفترض أن تكون حبيسة ذلك الكون المقدس ومن الواجب الضروري مراعاة حرمته، فحفظ السرّ ورد في وصف القُرآن الكريم للنساء الصالحات، نحو قوله تعالى:﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾[1]. ولاشكّ ،فعندما تعيش المرأة في غياب القدوة الحسنة ينتهي بها في المطاف إلى أزمة ربما تضعها في ورطة أخلاقية أو اجتماعية أو نفسية . فممّا قرأنا في السيرة الفاطمية، وجدنا أن المرأة في فلسفتها((شريكة للرجل ليس فقط في حياته الزوجية، وإنما في مختلف شؤون الحياة، فهي شقيقته في كسب العلم والمعرفة، حيث كانت الزهراء (عليها السلام) من منابع علوم الإسلام ومصادر أحكامه))[2] وتلك السيرة العطرة تجسد الحياة الزوجية في الإسلام ،هي : ((تعاون شخصين لبناء حياة مشتركة سعيدة روحياً وجسمياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وتربوياً وغير ذلك لهما أولاً ، ثم للأولاد ثانياً ، وللأسرة ثالثاً))[3]. ولكي يُريد الفرد أن يستشعر هويته الإسلامية ، لابدّ أن ينظّم سلوكه وفق

---

[1]) سورة النساء : ٣٤ .

[2]) أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، موسى حسن الصفار : ٥٢٢ .

[3]) من فقه الزهراء (صلوات الله عليها) ،محمد الشيرازي : ١٣٧/١

ISBN: 978-9922-21-412-2

ما يتطلبه الشرع، فيكون ظاهره كظاهر الرسول الأكرم(ﷺ)، يقتدي به في جميع حركاته وسكناته، وفي جميع ما يفعل وما يترك .[1]

الخاتمة

بعد إتمام البحث ، يمكن أنْ أشيرَ إلى النتائج التي توصَّلتْ إليها هذه الدراسة ، وهي :

١- لعلّ من أبرز التحديات التي واجهت المرأة المسلمة هي الأفق الثقافي الوارد الذي أعادة قراءة الموروث ضمن التفسير المادّي ، ومن ثم قام بتكريس الأوهام والشكوك، فضلاً عن الإنكار حول تمثيلات الهوية الإسلامية بدءاً من المعتقد الديني إلى السلوك من الأفعال والأقوال . فغابت الرؤية الحقيقة لثنائيات (الممنوع والمباح) الذي تبعه أيضاً غياب انموذج المثال ؛بوصفه تعارض مع شعارات العصرية الجديدة .

٢- تتمثّل في الذات الإنسانية جنبة تواقة – بالفطرة – نحو الهوية ، فهي شعار يعلن من خلالها اعتقاده ومذهبه ، ومن ثم فهي تغذّي وجوده وعزتّه وكرامته في إطار المجموعة، وعليه فالإنسان والهوية ثنائية من الصعب انتزاعها، وللمرأة المسلمة نصف من ذلك الشعار، إذ يستشعر وجودها هوية الانتماء من خلال الامتثال للدين الإسلامي فمن مقومات هويتها في قبال الرجل (الطاعة ، والعبادة ، غض البصر ، الحجاب، العفة ، ...) .

٣- إنَّ المرأة كجنس تجسد النموذج الأكثر مواجهة مع الحضارة ودخيل الثقافات الأُخرى ، إذْ أجرت عليها الثقافة جلّ تجاربها من الاستهلاك والاستغلال، حيث رأت فيها وجها إعلامياً يمكن من خلاله ترويج ما يحلو للثقافة طرحه، ومن جهة أُخرى بوصف أنَّ المرأة تُمثّل النصف الأهم في المجتمع لذا أن الولوج إلى مقدسات الأمم وهويتها يكون من خلال مرأة أقرب للاختراق من الرجل . ومن هنا استهلكت شعارات العصرنة المرأة بنتاً وأمّاً وزوجة .

قائمة المصادر والمراجع

- **القُرآن الكريم**

١- **أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع ، موسى حسن الصفار ، مؤسسة العارف للمطبوعات ،ط١، بيروت – لبنان ، ٢٠١٠ .**

٢- **اختلال التوازن العالمي ، غوستاف لوبون ، نقله إلى العربية : صلاح الدين وصفي ، مطبعة العرب للبستاني ، (ب.ط) ، الفجالة – مصر ، ١٩٢٨ .**

٣- **الأربعون حديثاً ، روح الله الخميني ، ترجمة : محمد الغروي، دار زين العابدين ، ط١، بيروت– لبنان ، ٢٠١٠.**

---

[1]) **الأربعون حديثاً ، روح الله الخميني ، ترجمة : محمد الغراوي : ٣٤ .**

٤- الإنسان ذو البُعد الواحِد ، هربارت ماركوز ، ترجمة : جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب ، ط٣، بيروت – لبنان، ١٩٨٨ .
٥- الإنسان والمقدّس ، روجيه كابوا ، ترجمة : سميرة ريشا، مراجعة: جورج سليمان ،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١، بيروت –لبنان ، ٢٠١٠ .
٦- تربية الإنسان الجديد ، محمد فاضل الجمالي ، الناشر : الشركة التونسية (ب.ط) ، تونس (ب.ت) .
٧- التعدّدية الدينية وآليات الحوار، مجموعة من الأكاديمين، إشراف وتحرير : د. عامر عبد زيد الوائلي، الناشر: ابن النديم للنشر والتوزيع ، ط١، وهران– الجزائر ، ٢٠١٦.
٨- التعدديّة الدينيّة وآليات الحوار، مجموعة من الأكاديميين، دار الروافد الثقافية ، والتوزيع ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٦ .
٩- ثقافة العُري أو عُري الثقافة ، الدكتور غلام علي حداد عادل، ترجمة : عبد الرحمن العلوي ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، بيروت– لبنان ، ٢٠٠١.
١٠- الحجاب بين الحشمة والخصوصية والمقاومة ، فدوى الجندي ، ترجمة : سهام عبد السلام ، المركز القومي للترجمة ، ط١، الجزيرة – القاهرة ، ٢٠١٦ .
١١- دين الحياء من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتمان ، د. طه عبد الرحمن، المؤسّسة العربية للفكر والإبداع ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٧ .
١٢- المجتمعات الافتراضية بديلاً للمجتمعات الواقعية/ كتاب الوجوه نموذجاً، بهاء الدين محمد مزيد ، جامعة الإمارات العربية المتحدة (ب.ط) ، ٢٠١٢.
١٣- من فقه الزهراء (صلوات الله عليها)، محمد الشيرازي ، منشورات رشيد ، ط١ ، إيران – قم ، ١٤٢٨ هـ .
١٤- النسقية وجدل البرهان – بحث في النسق الثقافي في الموءود في نموذج الرواية ، د . نضال الشمالي، تحولات الخطاب النقدي المعاصر(مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر ٢٥-٢٧/٦/٢٠٠٦) ، جدارا للكتاب العالمي، ط١،عمان ، ٢٠٠٨ .
١٥- نصرت أمين مجتهدة عالمة في الزمن الصعب ، دلال عباس، دار المحجة البيضاء ، مكتبة مؤمن قريش ، ط١ ، –٢٠١٨ .
١٦- نظام التفاهة ، د. آلان دونو ، ترجمة : د. مشاعل عبد العزيز الهاجري، دار سؤال للنشر ، ط١، بيروت– لبنان ، ٢٠٢٠ .
١٧- هل أنتم محصنون ضد الحريم ، فاطمة المرنيسي ، ترجمة: نهلة بيضون ، المركز الثقافي العربي ، (ب.ط)، (ب.ت) .

١٨- وجهاً لوجه بين الإصالة والتجديد ، ضياء السيد القطيفي ، انتشارات فاروس ، ط١، ٢٠١٢.

الدوريات

١- المدونون يتحدثون شهادات من القلب _ مجتمع التدوين المصري والعربي – ، محمد العبد ، وآخرون : ٢٣٤ ، مجلة فصول ، العدد: ٧٩ ، شتاء –ربيع ، ٢٠١١.

٢- من سلطة الثقافة إلى ثقافة السلطة ، محمد عبد المطلب ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد: ٧٩- شتاء /ربيع ٢٠١١ .

نظرات في الهُوية الإسلامية وبيان سماتها ومقوماتها من خلال الدراسات التربوية والعقدية

أ.د. عبد القادر عزيز احمد/ كلية التربية – الجامعة العراقية
م . مهند مجيد رشيد/ كلية التربية – الجامعة العراقية

ملخص :

يتناول البحث سمات ومقومات وآداب الهوية الإسلامية، وهو موضوع من الأهمية بمكان في حياتنا اليومية وفي زمان تلفق للإسلام فيه كل تهمة وعيب زوراً وبهتاناً، لا سيما بعد عقود من تخبط البشرية بين نظريات الشرق والغرب وتُرَّهات الفلاسفة والأخلاقيين الموهومين، فإذا بالعالم اليوم أشد تخبطاً بعد هذه النظريات منه قبلها، وبات لزاماً علينا معشر المسلمين أن نبين للعالم كنوز هذا الدين وهويته وروائعه عساهم يفيئون إلى الله ويفرون إليه من شقاوات الشيطان، فالاجتماع الإنساني ضروري للحياة ، لأنّ الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة ضعيفة وأعطاه قدرة قاصرة ، لا تقوم حياته ولا يتمّ بقاؤه بها ، وقاصرة عن الدّفاع عن نفسه إلاّ بالاستعانة بأبناء جنسه ، وبالتعاون فيما بينهم تحصل مصلحتهم الضرورية ، ولا يتم ذلك بالتعاون إلاّ بالاجتماع و الجماعة ، وبغير الجماعة لا تتم لهم الحياة الاجتماعية الحضارية المدنية ، سياسياً واقتصادياً وتربوياً ، وبغير الجماعة لا يحصل لهم ما يريدونه من المحبوب ، ولا يندفع عنهم ما لا يريدونه من المكروه ، وبغير الجماعة تبطل الحكمة العليا في بقاء الإنسان وحفظ نوعه ، لما أراد الله تعالى من اعتمار العالم به .

المقدمة :

هذا بحث عرض سمات ومقومات وآداب الهوية الإسلامية، وهو موضوع من الأهمية بمكان في حياتنا اليومية وفي زمان تلفق للإسلام فيه كل تهمة وعيب زوراً وبهتاناً، لا سيما بعد عقود من تخبط البشرية بين نظريات الشرق والغرب وتُرَّهات الفلاسفة الموهومين، فإذا بالعالم اليوم أشد تخبطاً بعد هذه النظريات منه قبلها، وبات لزاماً علينا ان نبين للعالم كنوز هذا الدين وهويته وروائعه من الأخبار المأثورة عن آل البيت عليهم السلام ونشرح مضامينها، ومعلوم أن المؤمن من آل البيت له حقان علينا الحق الأول إيمانه، والثاني قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و أنهم مراتب ومنازل ونهجهم توحيد الكلمة ، فالاجتماع الإنساني ضرورة ملحّة للحياة البشرية ، لأنّ الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة ضعيفة وأعطاه قدرة قاصرة ، لا تقوم حياته ولا يتمّ بقاؤه بها ، وقاصرة عن الدّفاع عن نفسه إلاّ بالاستعانة بأبناء جنسه ، و بالتعاون فيما بينهم تحصل مصلحتهم الضرورية ، ولا يتم ذلك بالتعاون إلاّ بالاجتماع و الجماعة ، وبغير

ISBN: 978-9922-21-412-2

الجماعة لا تتم لهم الحياة الاجتماعية الحضارية المدنية ، سياسياً واقتصادياً وتربوياً ، وبغير الجماعة لا يحصل لهم ما يريدونه من المحبوب ، ولا يندفع عنهم ما لا يريدونه من المكروه ، وبغير الهوية تبطل الحكمة العليا في بقاء الإنسان وحفظ نوعه ، لقد تعرضت الأمة الإسلامية خلال تاريخها الطويل لسلسلة من التحديات الكبيرة والخطيرة ، في هويتها وثوابتها وأصولها ، ودخلت خلالها في مواجهات شتى، ومن أبرز ثوابت وأصول الإسلام الأصيلة هو الاعتقاد بكمال القرآن وحفظه، وأنه لا يوجد قرآن غيره بأيدي أحد من الناس، ووجوب التحاكم إلى هذا القرآن وتحكيمه في حياة الأمة ووضعه حيث وضعه الله سبحانه من الحكم به ، وكذلك حجية السنة وأنها بمنزلة القرآن اعتقاداً وعملاً ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (النساء:٨٠)، والإيمان بعدالة آل البيت عليهم السلام والصحابة رضوان الله عليهم وأمانتهم في نقل القرآن وسنة رسول الله ﷺ، وأنهم النموذج الذي يجب أن يحتذى في الدين والصبر، وكذلك في فهم الدين فكرا واعتقاداً، وعملاً. والاعتقاد بفضل آل بيت النبوة الاطهار، وإنزالهم منزلتهم، وأنهم كانوا مع القرآن لم يفارقوه ، ووجوب الولاء والبراء بين أهل الإسلام جميعاً ووجوب المعاداة والبراءة من الكفار جميعاً، فالهُوية والثوابت ومقوماتها المستهدف الأول في هذا الصراع والتدافع الحضاري، بل إن وظيفة العولمة اليوم محو الهُويات والثقافات للأمم والشعوب ومسخها ، أو على الأقل تهميشها لصالح هُوية واحدة وثقافة واحدة ، ولخطورة الموضوع وأهميته حرصنا أن نبحث فيه بكل عناية ، ونوليه كل اهتمام ، بل ويجب علينا أن نعيد النظر في قراءة جديدة للثوابت والمتغيرات ضمن مجموعة الأفكار والنظريات والمواقف بما يتناسب وخطورة المرحلة ، ويعالج البحث عدة تساؤلات يمكن طرحها : ما مفهوم الهُوية الإسلامية ؟ وما هي مصادرها وثوابتها ؟ما هي سمات وخصائص الهُوية الإسلامية ؟ وما هي أبرز جوانبها ؟ما هي مقومات الهُوية الإسلامية ؟ وما هي المظاهر التي تدل على وجودها ما هو دور المؤسسات التربوية والتعليمية في تدعيم الهُوية الإسلامية ؟ أما الهدف من البحث ، فهو : غرس الهُوية الإسلامية وتقويتها والحفاظ عليها والتعرف على المظاهر التي تدل على وجود الهُوية الإسلامية وتدعيمها .ووضع تصور للدور الذي يمكن أن تلعبه المؤسسات التربوية في تدعيم وتقوية الهُوية العربية الإسلامية وتكمن أهمية الدراسة في محاولتها لرسم خارطة طريق للخروج من التخلّف الحضاري الذي أصبح العالم العربي والإسلامي يعيش فيه ، أما خطة البحث فتضمنت مقدمة وثلاثة مباحث هي : المبحث الاول : الهُوية لغة واصطلاحا ، وفيه مطلبان : المطلب الأول : تعريف الهُوية لغة .المطلب الثاني : تعريف الهُوية اصطلاحا أما المبحث الثاني الهُوية الإسلامية سماتها ومقوماتها ، وفيه

ثلاثة مطالب هي : المطلب الأول : تعريف الهُوية الإسلامية المطلب الثاني : سمات الهُوية الإسلامية المطلب الثالث : مقومات الهُوية الإسلامية وكان المبحث الثالث : فريضة التمسك والاعتزاز بالهُوية الإسلامية ثم ختم البحث بمجموعة من المقترحات والتوصيات وخاتمة ، وقائمة بالمصادر والمراجع وأخيراً نسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يغفر لنا الزيغ والزلل ، ومن الله التوفيق .

المبحث الأول : الهُوية لغةً واصطلاحا .

المطلب الأول : الهُوية لغةً

إن الثوابت التي نشأ عليها المسلم هي التي تحدد هويته ، فالمتغيرات والمبتكرات والعلوم الطبيعيّة والوسائل المدنيّة والأشكال المستحدثة ، ليست هي الّتي تعطي للفرد والمجتمع هويّته، وليست هي الّتي تصوغ طراز عيشه وتميّزه عن سائر المجتمعات، بل هي مما تتبادله الشعوب في كثير من الأحيان دون أن يؤثّر على هويّتها الثقافية والحضاريّة جاء في لسان العرب : " قال ابن الأعرابي [١] : هُوية أراد أهُوية فلما سقطت الهمزة رُدت الضمة الى الهاء .. وفي الحديث: " إذا عَرَّسْتم فاجتنبوا هُوِيَّ الأرض"[٢] وهي جمع هُوَّة ، وهي الحفرة والمطمئن من الأرض"[٣] ، وجاء في القاموس : " و (هُوِيًّا) بالفتح والضم ، وهَوَيَاناً : سقط من عُلُوٍ الى سُفْلٍ ، ك انْهوَى ، والرَّجُلُ (هُوَّةٌ) بالضم : صَعِدَ ، وارتفع ، و أو (الهَوِيُ) بالفتح : للإصعادِ ، و(الهُوِيُّ) بالضم : للانحدار " [٤] .

---

(١) هو ابو سعيد ، احمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم المعروف بأبن الاعرابي (٢٤٦-٣٤٠هـ) . ينظر : معجم ابن الاعرابي ، لمؤلفه ابن الاعرابي ، تحقيق: عبد المحسن ابراهيم ، دار ابن الجوزي ، ط١ (د.م، ١٩٩٧م) ، ص أ .

(٢) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، غريب الحديث ، تحقيق : د. عبد المعطي امين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت،١٩٨٥) ، باب الهاء مع النون ، ج٢،ص٥٠٥

(٣) ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر ، ط١ ، (بيروت ، د.ت) ، (٣٧٦/١٥) .

(٤) الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، دار احياء التراث العربي ، ط٢ ، (بيروت ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) ، ص١٢٣٥ ؛ الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، معجم الصحاح ، بعناية : خليل مأمون ، دار المعرفة ، ط٤ ، (بيروت ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م)، ص١١١٠-١١١١ .

وجاء في المنجد : " الهُوية : من (هو) ضمير للغائب المفرد المذكر ، ويقال للمثنى (هما) ، وجمع المذكر (هم) ، ويقال للمؤنث المفرد : (هي) ، وللمثنى : (هما) ، وللجمع : (هن) . والهُوية : حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية ، وذلك منسوب الى (هُوَ) . والهُوْ هُوْ : لفظ مركب من هُوَ هُوَ ، جُعِلَ جُعِلَ ، اسماً معرفاً باللام ومعناه الاتحاد بالذات " . [١]

المطلب الثاني : الهُوية اصطلاحا

يُعدُّ مفهوم الهُوية من المواضيع أو الأمور المختلف فيها ، إذْ تخضع الهُوية في تعريفها للعلم الذي يحقق فيها ، وأن لكل علم تعريفه الخاص بها ، ويختلف من علمٍ لآخر[٢] ، وكثيراً ما يستخدم هذا المصطلح في عدة علوم منها علم الاجتماع ،والفلسفة وعلم النفس ، وعلم الكلام وأكثر من ذلك في علم النفس الاجتماعي[٣] فالهوية: هي حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره، فهي ماهيته ،وما يوصف به من صفات: عقلية، وجسمية، وخلقية، ونفسية، ويعرف به، فعلم النفس يُعرّف الهُوية على أنها : " كون الشيء نفسه أو مثيله من كل الوجوه ، الاستمرار والثبات وعدم التغير"[٤]. وعلم الفلسفة يعرفها على أنها : " حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى ايضاً وحدة الذات"[٥] . وعلم الاجتماع يُعرفها على أنها : " عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره ، اي تحديد حالته الشخصية " [٦] ، أما مفهوم الهُوية العربية عند النسابين

---

(١) مجموعة من الباحثين : المنجد في اللغة والاعلام ، دار المشرق ، ط٣٨ ، (بيروت ، ٢٠٠٠م) ص٨٧٥.

(٢) ينظر : العاني ، د.خليل نوري : الهُوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، مركز البحوث والدراسات – ديوان الوقف السني ، ط١ ، (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م) ، ص٤٠ .

(٣) ينظر : المصدر ذاته ، ص٤٠ ؛ حامد ، كمال عجمي ، الهُوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة ، رسالة دكتوراه ، جامعة الازهر – كلية التربية – قسم اصول التربية الإسلامية ؛ شريف يونس : الهُوية وسلطة المثقف في عصر ما بعد الحداثة ، مقال منشور على شبكة الانترنيت ، ٢٠٠٢/١٢/٢٢م .

(٤) فاخر عاقل : معجم علم النفس ، دار العلم للملايين ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٨٥م) ، ص٥٥ .

(٥) المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، المطابع الاميرية ، (القاهرة ، ١٩٧٩م) ، ص٢٠٨ .

(٦) بدوي ، احمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٧٧م) ، ص١٨٥ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

فتتضمن رابطة الدم التي تمثل الهُوية الحقيقية لمن ينتمي الى القبائل العربية ، ومن ثم الى الأمة العربية .

ولقد اهتم علماء النسب بهذه الرابطة وعدّوها الموضوع الحقيقي للهُوية العربية فشكلت الأنساب إطاراً للهُوية القومية التي انشغل النسابون من اجل الحفاظ عليها ، وتحديد مفهومها رغم الامتداد الزماني والبعد المكاني. [١]

وعلماء الكلام والعقائد يعرفونها على أنها : "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"[٢]، وجاء في صدد شرحهم لمفهوم (المعاني): "هي الصور الذهنية من حيث أنه وضع بإزائها، الألفاظ، والصورة الحاصلة في العقل من حيث أنها تقصد باللفظ تسمى(مفهوماً) ، ومن حيث ثبوته في الخارج سميت (حقيقة) ، ومن حيث امتيازها عن الاغيار تسمى (هُوية) والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ممن ثبت هوية أهل البيت فهذا مما لا خلاف فيه بين المسلمين ، بل هو أفضل أهل البيت عليهم السلام، وأفضل بني هاشم بعد النبي ﷺ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه أدار كساءه على علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، فقال : " اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنه الرجس وطهرهم تطهيراً " وجاء في الكليات للكفوي في تعريفه لحقيقة الشيء : " الهُوية لفظ الهُوية فيما بينهم يطلق على معانٍ ثلاثة : التشخص ، والشخص نفسه ، والوجود الخارجي ، قال بعضهم : ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه يسمى (حقيقة وذاتاً) وباعتبار تشخصه يسمى (هُوية) وإذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى (ماهية) وقد يسمى ما به الشيء هو (ماهية) إذا كان كلياً، كماهية الإنسان (وهُوية) إذا كان جزئياً كحقيقة زيد إذا لم يعتبر كليته وجزئيته، فالهُويتان متلازمتان صدقاً والماهية بالاعتبار الثاني أخص من الأول ، والحقيقة بالعكس، وقال بعضهم: الأمر المتعقل من حيث إنه مقول في جواب (ما هو) يسمى (ماهية)، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى (حقيقة) ومن حيث حمل اللوازم عليه يسمى (ذاتاً) ثم الأحق باسم الهُوية من كان وجود ذاته من نفسها وهو المسمى (بواجب الوجود)

---

(١) ينظر : مقال بعنوان " مفهوم الهُوية العربية عند النسابين" ، الاستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني ، الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب ، أوراق نسبية ، مجلة فصلية نسبية تُعنى بتاريخ وتراث الانساب العربية ، العدد (١) ، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م ، ص٩-١٠ ، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب ، الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب – بغداد .

(٢) الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، (بيروت ، ١٤٠٥هـ) ، ج١، ص٣٢٠ . آل البيت والصحابة (ص: ٤٣)

ISBN: 978-9922-21-412-2

المستلزم للقدم والبقاء، وأعلم أن الهُوية جزئية مكفوفة بالعوارض فاعلة للصفات الخارجية، والصورة كلية مجردة لا يلحقها الأحكام ولا تترتب عليها الآثار " [١]

وهذا لا ينافي مساواتها بالهُوية بمعنى أنها من حيث إذا وجدت في الخارج كانت إياها بها التشخص . وقالوا : الهُوية مأخوذة من الهو هو وهي في مقابلة الغيرية .وهنالك فرق بين مجهول الحال ومجهول الهُوية ، أنا بالنسبة لك مجهول الحال ، وأنت بالنسبة لي مجهول الحال [٢]. وعموما تتفق معاجم المصطلحات على اهم شيء في تعريف الهُوية ، على أنها : "الهُوية: هي الذات" [٣]. أو أنها : "الخصوصية والتميز عن الغير" أي هي حقيقة الشيء ، أو الشخص الذي تُميّزه عن غيره [٤] وقيل : أن الهُوية ، هي الحقيقة الجزئية ، بمعنى أن الماهية إذا اعتبرت مع التشخص سمّيت هُوية ، وقيل : أن الهُوية بمعنى الوجود الخارجي. مما تقدم نجد ان جميع التعريفات التي أوردتها العلوم الإنسانية متقاربة من حيث المعنى العام للهُوية ، غير ان الاختلاف يظهر عند اصحاب الافكار والمذاهب السياسية والفكرية ، ويكمن اختلافهم في المفهوم العام للهُوية ، عند مقومات وعناصر الهُوية وترتيبها حسب الأولوية والأهمية. [٥]

وميّزات الجماعة هي هُوية الجماعة[٦] ، فالهُوية مصطلح استعمله العرب والمسلمون منسوب الى (هو) وهذه النسبة تشير الى ما يحمله من مضمون أو هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات العامة التي تميز حضارة هذه الامة عن غيرها من الامم والحضارات[٧]، فالهُوية هي ذلك الإحساس الداخلي الذي اكتسبه الفرد من خلال الدين واللغة والقيم الاجتماعية بالتعليم والممارسة والإدراك حتى صارت كالبصمة المميزة للإنسان، وبعبارة أخرى : تعريف الإنسان نفسه فكراً وثقافة وأسلوب حياة ، وكلما توافقت هُوية الفرد مع هُوية المجتمع الذي يعيشه كلما

---

(١) الكفوي ، ابو البقاء ، الكليات ، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٢م) ، (١٥٤٠/١) ، ص٩٦١ .

(٢) م.ن .

(٣) مصطفى حجازي وآخرون ، المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، (القاهرة ، ٢٠٠٠م) ، ص٦٥٤.

(٤) ابراهيم مدكور وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، (القاهرة ، ١٩٧٢م) ، ج٢ ، ص١٠٣٩ .

(٥) ينظر : الهُوية الإسلامية ، د. خليل العاني ، ص٤٣ .

(٦) ينظر : الهُوية الإسلامية ، د. خليل العاني ، ص٤٤ .

(٧) محمد عمارة ، الهُوية الحضارية ، مجلة المحاور – النمسا ، ص٣٣ .

تعمق إحساسه بالانتماء لهذا المجتمع ، واعتزازه به ، وانتصاره له ، أما إذا تصادمتا ، عندئذ يكون (الاغتراب) ، قال ﷺ" إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، قيل : ومَنْ الغرباء ؟ قال النزاع بين القبائل"[1] ولكل هُوية أواصرها وتاريخها وعاداتها ورموزها، وخلاصة القول إن الهوية الإسلامية هي انتماء إلى الله عز وجل ، وإلى رسول الله ﷺ، وإلى عباد الله الصالحين وأوليائه المتقين ، من كانوا ، ومتى كانوا ، وأين كانوا ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة:٥٥-٥٦)، وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ (التوبة:٧١)، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الانبياء:١٠٥)، وقال عز وجل: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران:٥٣) ، وقال تبارك وتعالى على لسان المؤمنين: ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ (المائدة:٨٤) .

المبحث الثاني : الهُوية الإسلامية سماتها وثوابتها ومقوماتها ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الهُوية الإسلامية .

عرفنا مما تقدم ان مفردة الهُوية من المصطلحات التي تستخدم لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فرديته وعلاقته مع الجماعات ، كالهُوية الوطنية أو الثقافية أو الدينية ، وأنها مجمل السمات التي تميّز شيئاً عن غيره أو شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها ، كل منها يحمل عدة عناصر في هويته، وعناصر الهُوية شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة، وبعضها الآخر في مرحلة أخرى، والهُوية الدينية تدل على ميزات مشتركة أساسية لمجموعة من البشر، تميزهم عن مجموعات أخرى ان تحديد المفاهيم من الوسائل المهمة في البحث العلمي ، ومفهوم الهُوية الإسلامية لا يخرج عن ذلك ، ولكي نعطي تعريفاً عاماً للهُوية الإسلامية يمكننا القول: أنها تعني: " السمات والسلوكيات والمقوّمات التي تميّز المسلمين عن غيرهم ، وتكوّن ذاتهم ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً وواضحاً بالوطنية والقومية المنبثقة عن الإسلام"[2] وأنها تعني : " الإيمان بعقيدة هذه الأمة ، والاعتزاز بالانتماء إليها ، واحترام قيمها الحضارية والثقافية ، وإبراز الشعائر الإسلامية ، والاعتزاز والتمسك بها ، والشعور بالتميّز

---

(١) أخرجه الامام احمد بن حنبل في مسنده ، بالرقم (٣٧٨٤) ، باب (مسند عبد الله بن مسعود) (رضي الله عنه) ، من حديث الصحابي (عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)) ، ج١، ص٣٩٨ .

(٢) الهُوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة، كمال عجمي،ص٨.

والاستقلالية الفردية والجماعية ، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ والشهادة على الناس" ، وهي أيضاً : " محصلة ونتاج التجربة التاريخية لأمة من الأمم وهي تحاول إثبات نجاحها في هذه الحياة"[١] وقد تتعدد جوانب الهُوية فثمة جانب ثقافي وسياسي واجتماعي وغير ذلك ، كما تتعدد الهُويات التي تنبثق عن الهُوية الإسلامية، فهناك الهُوية العربية، والهُوية الفردية ، والهُوية الاجتماعية وغير ذلك ، وكلها لا تتعارض مع الهُوية الإسلامية ما دامت تنبثق هذه الهُويات عن الإسلام.

كما أن العناصر التي يمكنها بلورة هُوية الامة كثيرة، أهمها الاشتراك في الارض، واللغة، والعقيدة ، والتاريخ ، والحضارة ، والثقافة ، والطموح، وغيرها، و أن عدداً من الهُويات القومية أو الوطنية تطورت بشكل طبيعي عبر التاريخ ، وعدداً آخر نشأ بسبب أحداث أو صراعات أو تغيرات تاريخية سرّعت في تبلور المجموعة، وقسماً آخر من الهُويات تبلور على أساس النقيض لهُوية أخرى .

كما أن لكل هُوية سياسات خاصة بها تمثل مجموعة الحجج السياسية التي تركز على مصلحة ووجهة النظر الخاصة بالمجموعة ، وليس بالضرورة مشاركة جميع أفراد المجموعة في سياسة هُويتها .

وذكر الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله : " لكني أرى أن الهُوية العربية الإسلامية هي مجموعة من السمات الإنسانية المختلفة التي قد تسم جماعات إنسانية أخرى ، ولكنها توجد بشكل معين وبترتيب محدد يعطي الهُوية العربية فرادتها". [٢]

فإذا تكلمنا عن ثوابت الهُوية الإسلامية نجد أنها مستوفية لكل مقوّمات الهُوية الذاتية المستقلة ، بحيث تستغني تماماً عن أي لقاح فكري أجنبي ، فهي خصبة تنبثق عن عقيدة صحيحة ، وأصول ثابتة رصينة ، تجمع وتوحّد تحت لوائها جميع المنتمين إليها ، وتملك رصيداً تاريخياً عملاقاً لا تملكه أمة من الأمم ، وتتكلم لغة عربية واحدة ، وتشغل بقعة جغرافية متصلة ومتشابكة وممتدة ، وتحيا لهدف واحد هو : إعلاء كلمة الله ، وتعبيد العباد لربهم ، وتحريرهم من عبودية الأنداد . والهُوية الإسلامية في المقام الأول انتماء للعقيدة ، يُترجم ظاهراً في مظاهر دالة على الولاء لها ، والالتزام بمقتضياتها ، فالعقيدة الإسلامية هي أهم الثوابت في هُوية المسلم

---

(١) الهُوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، د.خليل العاني ، ص٤٥

(٢) المسيري ، د.عبد الوهاب ، الهُوية والحركية الإسلامية ، دار الفكر ، ط٤ ، (دمشق ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م) ، ص١٤٦

وشخصيته ، وهي أشرف وأعلى وأسمى هُوية يمكن أن يتصف بها إنسان ، فهي انتماء إلى :أكمل دين ، وأشرف كتاب ، نزل على أشرف رسول بعث ، إلى أشرف أمة أخرجت للناس، بأشرف لغة ، بسفارة أشرف الملائكة.

ومن لطائف الإشارات ، وأبلغ العبارات ، في إدراك حقيقة كنه الهُوية الإسلامية ، وبيان تأصيلها وبعدها عن المتغيرات ، ما أشار اليه سيد قطب رحمه الله تعالى عند كلامه عن أحوال العرب عند مبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبداية دعوته لهم ، كانت أخصب بلاد العرب وأغناها في يد غيرهم من الأجناس فلم يُثرها ﷺ دعوة إلى القومية العربية تستهدف تجميع قبائل العرب ، لاستخلاص واستنقاذ أرضهم من المغتصبين، ومن الثوابت ما حدده رسول الله ﷺ لهذه الأمة من سمات هُويتها الإسلامية التي يجتمع حولها المسلمون، وقرر أنهم أمة واحدة من دون الناس جرّد هذه الهُوية من الالتباسات التي يمكن أن تحدث من تبني القضايا الرائجة عند الناس وقت الدعوة، التي يشاركه فيها غيره من غير أهل دعوته من دعاة الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي والتحرر السياسي، أو غيرها من القضايا التي ربما لا تكون رائجة وقت الدعوة ولكن من شأنها .، إذا طرحت حسب الظروف السياسية والاجتماعية السائدة في وقت الدعوة ، أن تجد مساندة من قوى كثيرة يهمها تحقيق هذا البرنامج الإصلاحي أو ذاك، وإن كانت مخالفة في الهُوية والعقيدة وسائر التوجيهات لصاحب الدعوة ، وكذلك يكون من شأنها أن تجد قبولاً سريعاً لدى الناس لحاجتهم الماسة إليها، لفرط معاناتهم من التفسخ الأخلاقي، والفوارق الطبقية ، والظلم الاجتماعي أو احتلال جزء من أراضيهم من قبل آخرين من غير جلدتهم ، وفرض التبعية عليهم[١].

المطلب الثاني : سمات الهُوية الإسلامية وثوابتها

لكل هُوية سمات وثوابت تميزها عن غيرها ، ومن أهم سمات الهُوية الإسلامية هي :

إنها هُوية متميزة عن غيرها ، وهذا التميز هو الذي يعطي كل جماعة أو أمة مقومات بقائها ، ويحفظ لها ثقافتها وخصوصيتها ، فلا يذوبون في ثقافات أو هويات غيرهم من الأمم. كذلك أن الهُوية الإسلامية تستوعب حياة المسلم كلها ، وكل مظاهر شخصيته ، فهي تامة الموضوع ، محددة المعالم ، واضحة الملامح ، تحدد لحاملها وظيفته وهدفه وغايته في هذه الحياة. [٢]، فوظيفة المسلم تجدها في قوله تعالى :﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾(الذاريات:٥٦)، أي:

---

(١) الهُوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، ص٤٥ .

(٢) م.ن

تحقيق العبودية لله تعالى ، وهي تتمثل في طاعة الله تعالى في جميع الأمور الدينية والدنيوية ، وهذا شرط أساسي لتحقيق العدل المطلق والالتزام بالقيم والأخلاق والسلوك الطيب ، فعن معاذ رضي الله عنه قال : " كنت رديف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير ، فقال : يا معاذ ! هل تدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله اعلم ، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئاً" [١]، والعبادة هي أسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال" . وأوصل ربعي بن عامر (رضي الله عنه) رسالة مختصرة عن العبودية لله تعالى الى كسرى مفادها : " أن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ، ومن ظلم الأديان الى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها وسعة الآخرة"، فالعبادة بكل أنواعها هي المطلب الاول من المسلم للقيام به في هذه الحياة .

وأنها سبب للإبداع والتميّز والنهوض الحضاري ، فهُويتنا تشكلت عبر التاريخ حتى أصبحت منا وأصبحنا منها ، فعملية التنمية لا يمكن أن تتم من خلال برنامج اقتصادي وسياسي عام ، فالبشر لا يتحركون في إطار العام ، وإنما يتحركون في إطار الخاص يعرف احتياجاتهم ويأخذ في الاعتبار توجهاتهم وأشواقهم وأحزانهم ، وأعتقد أن ظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد والنزعة الاستهلاكية الشرسة يزيد من أهمية قضية الهُوية وضرورة التمسك بها[٢]. وبطبيعة الحال، فالإنسان الذي لا هُوية له لا يمكنه أن يبدع، فالإنسان لا يبدع الا اذا نظر للعالم بمنظاره هو وليس بمنظار الآخرين ، لو نظر بمنظار الآخرين، أي لو فقد هويته ، فإنه سيكرر ما يقولونه ويصبح تابعاً لهم ، كل همه أن يقلدهم أو أن يلحق بهم ويبدع داخل إطارهم ، بحيث يصير إبداعه في تشكيلهم الحضاري ، كما يحدث لكثير من العلماء العرب الذين يهاجرون الى الغرب . وهذا ما أدركه السياسي والكاتب لورد ماكولي.

المطلب الثالث : مقومات الهُوية الإسلامية

إنّ من يستقري واقع المعارف لدى الأمم والمجتمعات يجد أنّها تنقسم الى قسمين: قسم يختصّ بكلّ مجتمع بحدّ ذاته، لكي يعبّر عن هويّته وثوابته ووجهة نظره في الحياة، وقد يختصّ ببعض الجماعات الدينيّة أو المذهبيّة أو ربّما ببعض الأفراد. والقسم الآخر لا يختصّ بأمّة دون

---

(١) مسند احمد بن حنبل ، بالرقم (٢٢٠٩٣) ، باب (حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه)) ، (٢٣٤/٥)

(٢) الهُوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، ص٤٥ .

أخرى ولا بمجتمع دون آخر ولا بجماعة أو فرد، وإنّما هو ذو سمة عالميّة، بحيث يمكن أن تتداوله كلّ الأمم والشعوب والجماعات دون أن يكون له أيّ تأثير حتميّ على وجهة نظرها في الحياة أو طريقة عيشها أو هويّتها الحضاريّة فالفيزياء والكيمياء والطبّ وما شاكلها من العلوم التي يدرسها أهل المشرق والمغرب فيدرسها الهنديّ والروسيّ والمسلم. ويمكن لهؤلاء جميعاً أن يدرسوا في جامعة واحدة وأن يعملوا معاً في مختبر واحد، وهم مجموعة من الامم ولاشك ان لكل أمة من هذه الأمم لها من الثوابت والمقومات تحرص على المحافظة عليها وتحاول أن تحوطها بسياج من الضمانات ووسائل الحماية لئلا تُمسَّ او تُغيَّر او تُبدَّل او تُحرَّف او يُستخفَّ بها . ولعلَّ أهم ثابت مشترك تشترك الأمم كلها في الاعتراف به باعتباره ثابتاً ، وتحيطه بوسائل المحافظة ، هو هُوية الأمة ومقومات تلك الهُوية ، فهُوية الأمة هي كينونتها التي لا تستطيع التخلّي عنها او التسامح في أي جانب من جوانبها أو أي جزء من مقوماتها ، وقد تختلف هُويات الأمم في عناصرها ومقوماتها ، فما تعتبره أمة من الأمم جزءاً من هُويتها قد لا تعتبره أمة أخرى كذلك ، لكن القدر المشترك بين الأمم كلها هو ضرورة احترام هُوية الأمة ، والمحافظة عليها بكل مقوماتها وعناصرها[١]، وذكر غوستاف لوبون في معرض حديثه عن العوامل البعيدة المشكلة لعقائد الجماهير وآرائها ، كالعرق والتقاليد الموروثة والزمن والمؤسسات والتربية والتعليم، وذكر أن العرق يحتل المرتبة الأولى منها ويعد أهمها ، وكيف أنه إذا تشكلت جميع عناصر حضارته ، خصائصه وعقائده ومؤسساته وفنونه حتى تصبح التعبير الخارجي لروحه ، إن قوة العرق كبيرة الى درجة انه لا يمكن لأي عنصر أن ينتقل من أي شعب الى آخر دون أن يتعرض للمتغيرات الأكثر عمقاً[٢].

---

(١) ينظر : رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار ، دار المعرفة ، (بيروت ، ١٩٨٤) ، (٥٥/١) ؛ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، (القاهرة ، ١٩٨٥) ، (٢٤/١) ؛ المودووي ، ابو الاعلى ، المصطلحات الاربعة في القرآن ، دار القلم ، ط٥،

(٢) ينظر : غوستاتف لوبون ، سيكولوجية الجماهير ، ترجمة وتقديم : هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠١١ ، ص١٠٠ .

ومن هنا فإن فقهاء المسلمين اعتبروا الدين[1] واحداً من الضروريات الانسانية الخمس واعتبروه علّة لتشريعات كثيرة مهمة .

وتتعدد مظاهر الهُوية الإسلامية ، وتتراوح ما بين مظاهر عقائدية، ومظاهر عبادية ، ومظاهر اجتماعية، ومظاهر اقتصادية وسياسية وثقافية ووجدانية ، ووجود هذه المظاهر وقوتها يدل على وجود الهُوية الإسلامية وقوتها والعكس صحيح، فبضعف هذه المظاهر تضعف الهُوية الإسلامية ، وتتجه الشخصية الإسلامية نحو التقليد والتبعية .

وتتكامل مظاهر الهُوية الإسلامية مع بعضها لتخرج في النهاية مجتمعاً متماسكاً مبنياً على دعائم متينة ، ويستطيع أن يجابه التحديات والمخاطر التي يتعرض لها ، لأنه يملك من الزاد ما يستطيع به الذود عن نفسه .

ولا تقوم الهُوية القوية على فراغ ، وإنما لا بد لها من مقومات قوية تبنى عليها ، ومن أهم دعائم ومقومات الهُوية الإسلامية هي :

المقوم الاول: العقيدة الإسلامية

فيعد القرآن والسنة المرجعية العليا ومصدر الحياة العقائدية والتشريعية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، وإليهما يرجع عند الاختلاف ، قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾(النساء:٥٩). وتمثل المظاهر العقائدية عصب الهُوية الإسلامية ورأس ثوابتها، إذ لا غنى عنها للفرد والمجتمع ، فهي المصدر الأساسي والمرجع الأول لحضارتنا وفكرنا وسلوكنا وولائنا ونهضتنا ، وهي المقوم الأهم الذي يجمعنا مع مختلف الشعوب والقوميات الداخلة في الدين الإسلامي بمختلف ألوانهم ولغاتهم وأماكن تواجدهم، كما أن العقيدة تقف سداً منيعاً بين الأمة وبين المذاهب المقتحمة أو العقائد الوافدة الفاسدة ، وإذا ما تخلفت أمة عن عقيدتها أصبحت فريسة لكل من يريد أن يذيب شخصيتها ويمسح ذاتيتها،

---

(١) جاءت لفظة (الدين) على خمسة أوجه :

–منها : (التوحيد) قال تعالى :) (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آل عمران/ من الآية :١٩، اي ان التوحيد عند الله الإسلام، وقال تعالى : أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) الزمر/ من الاية:٢ ، يعني التوحيد.

–ومنها (الحساب) قال تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)الفاتحة / الآية :٤ ، يعني الحساب ، قال تعالى : الصافات / أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ من الآية ٥٣ ، اي انا لمحاسبون . ينظر : مقاتل بن سليمان ، الاشباه والنظائر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٢م) .

ولهذا عمق ﷺ المظاهر العقائدية في نفوس أصحابه ثلاثة عشر عاماً من ثلاث وعشرين سنة مدة بعثته .

وكون العقيدة الإسلامية المقوم الأكبر والأهم لا يعني ذلك إهمال بقية المظاهر والمقومات، فالمظاهر العقائدية بمثابة الدماغ وبقية المظاهر والمقومات تمثل أجزاء الجسم ، قال ﷺ : "الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل " [١] . فالمظاهر العقائدية هي ما وقر في القلب، وبقية المظاهر هي العمل الذي يصدق ما وقر في القلب.

المقوم الثاني: اللغة العربية

فاللغة العربية من ثوابت الاسلام، وهي لغة القرآن الكريم، وهي الوعاء الذي يعبَّر به عن التراث، والعروبة عامل يجمع ويشمل جميع المسلمين على اختلاف قومياتهم ، ذلك ان كل مسلم هو عربي بالضرورة، فلا يحتاج المسلم لأن يكون عربياً في النسب حتى تكمل عروبته في نظر الإسلام، فقال ﷺ: " مولى القوم منهم " [٢]، وقال ﷺ: " الولاء لحمة كلحمة النسب"[٣] ، وعندما أختلف المهاجرون والأنصار في موضوع الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله عنه) ، وأراد كل منهم أن يتشرف بانتساب سيدنا سلمان إليه ، فقال المهاجرون : سلمان منا ، وقال الأنصار : سلمان منا ، فقال ﷺ: " سلمان منا أهل البيت" [٤]. ثم ان الإسلام مرتبط بالعروبة ، والعروبة مرتبطة بالإسلام، وللعرب خصوصية في نظر الإسلام، لأن القرآن عربي ، والنبي ﷺ عربي، وحملة الدعوة الأوائل الذين نزل الدين فيهم وتحملوا أعباءه وإيصاله للناس كافة هم من العرب .

---

(١) اخرجه : ابن حنبل ، الزهد ، باب أخبار الحسن بن أبي الحسن ، ج١ ، ص٢٦٣ .

(٢) النسائي ، احمد بن شعيب ، السنن الكبرى ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت ، ١٤١١هـ) ، (٥٨/٢) ، بالرقم (٢٣٩٤) ، باب (مولى القوم منهم) من حديث الحسن (رضي الله عنه) .

(٣) النيسابوري ، محمد بن عبد الله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : د. مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٠) ، (٣٧٩/٤) ، بالرقم (٧٩٩٠).

(٤) المستدرك على الصحيحين ، (٦٩١/٣) بالرقم (٦٥٤١) .

ISBN: 978-9922-21-412-2

وذكر بعض أهل العلم بوجوب تعلم المسلم للغة العربية ، لأنها سبيل الى فهم الدين والقيام بفرائضه ، قال شيخ الإسلام: " إن الله لما انزل كتابه باللسان العربي وجعل رسوله مبلغاً عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي ، وجعل السابقين الى هذا الدين متكلمين به ، ولم يكن سبيل الى ضبط الدين ومعرفته الا بضبط هذا اللسان وصارت معرفته من الدين " [1] وبذلك تكون اللغة العربية معلماً أساسيا من معالم الهُوية الإسلامية يشترك فيها جميع المسلمين على اختلاف قومياتهم وأعراقهم ، وترتبط الهُوية الإسلامية بالقومية العربية التي تعني أن يحب الإنسان قومه ، ويُعنى بأمرهم ، ويعمل على رفعتهم لا بمعنى ان يتعصب الإنسان لرقعة من الأرض ، أو لفئة من الناس ، فهذا التعصب غير المحمود ، ولا يقبله الإسلام الذي يسوي بين جميع الأجناس في كافة الأماكن ، ولا يفضل أحد الناس على الآخر الا بالتقوى والعمل الصالح ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات:١٣)، فالتفكير الإسلامي لا يعرف العنصرية ولا الإقليمية .

المقوم الثالث: التراث

ومن المقومات اللازمة للهوية التـــــراث ويعد أحد المرتكزات الأساسية للهُوية، ونعني بالتراث : " النتاج الحضاري الذي ينحدر من خصائص أمة من الامم المتفاعلة مع البيئة التي نشأت فيها ، بكل ما تحتويه من تجارب وأحداث صبغتها بصبغة خاصة ، وأسبغت عليها ملامحها الثقافية ومميزاتها الحضارية التي تميزها عن الأمم الأخرى التي لها بدورها أنماط حياتها وأعرافها وتقاليدها" ويمثل التراث لأي أمة أيضاً : مكوناتها التاريخية التي كلما امتدت في عمق التاريخ كلما ترسخت جذور الأمة طبيعياً في كينونتها وهُويتها ، كما ويمثل التراث الإرث الفكري والثقافي الذي وصل الينا على مر العصور وما زال داخل الحضارة السائدة ، فهو موروث وفي نفس الوقت حاضر على عديد من المستويات ، وقد وردت هذه الكلمة مرة واحدة في القرآن الكريم بمعنى (الميراث)، والتراث يقسم الى (فكري) و (حضاري تأثيري).

---

(١) ابن تيمية ، احمد عبد الحليم ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، ط٢ ، (القاهرة ، ١٣٦٩هـ) ، (١٦٢/١) .

لذا فإن إهمال التراث أو اختراقه من قبل الآخر يعني أن الأمة قد اخترقت هُويتها وأنها في طريقها الى الذوبان والاضمحلال .[1]

المبحث الثالث : فريضة التمسك والاعتزاز بالهُوية الإسلامية

إن موضوع التمسك والاعتزاز بالهُوية الإسلامية ، ليس بدعاً من المواضيع والأمور في حكم الشريعة الإسلامية ، وإنما هو فرض وواجب على كل مسلم ومسلمة ، بل على الأمة المسلمة جميعاً ، لما تواترت به الأخبار ، في كتاب الله تعالى وسنَّة نبيّه ﷺ ، ومما عرف كضياء الشمس لا يحجبها غربال ، وإنما كان ذاك ، لأن الله عز وجل أراد لهذه الأمة العزة والمنعة ، وأن تنال شرف الشهادة على الناس ، وأنها خير أمة أخرجت للناس ، ولا بد لها أن تتمايز عن بقية الأمم ، وسنستعرض على عجل لعدد من الآيات والأحاديث ذات الصلة ، فأما ما جاء به الكتاب العزيز فكثير[2]، قال تعالى : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠) . ففيها تنبيه وتحذير وتهديد ووعيد من الله تعالى بأن لا يحق لهذه الامة أن تتبع وتقتفي أثر أهل الكتاب، وانما تتبع شرع الله تعالى الذي ارتضاه لهم.

١- قال تعالى : ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾ (البقرة: ١٤٤)، وفي حادثة تحويل القبلة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام من أهم الأدلة على فريضة التميز والاختصاص لهذه الامة.

٢- قوله تعالى : ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ**﴾ (البقرة: ٢٢١)، فنجد التحريم الالهي في هذه الآية للنكاح بين المسلمين والمشركين ، لكي يكتمل التمايز والاستقلال بين المسلمين والمشركين ، لأن رابطة النكاح أقوى وأعمق وأدوم بين إثنين ، فلا بد من توحد القلوب وتوحد ما تنعقد عليه من الايمان قبل الارتباط بها

---

(١) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي ، تقديم : أ.د.راغب السرجاني ، مؤسسة أقرا ، القاهرة ، إشراف ومراجعة : قاسم عبد الله ابراهيم و محمد عبد الله صالح ، أعداد فريق البحوث والدراسات الاسلامية (فدا) رقم الايداع ٢٠١٣ .

(٢) ينظر : ابن ابي شيبة الكوفي ، ابو بكر عبد الله بن محمد ، مصنف ابن ابي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ط١ ، (الرياض ، ١٤٠٩هـ) ، ج٥ ، ص٣١٢ .

.ولكن العولمة اليوم تمثل أكبر تحد للمسلمين لأن فلسفتها قائمة على إقصاء الآخر، وفرض نمط الحضارة الغربية لتعزيز عملية الاستلاب الحضاري.

وعندما ظهرت العولمة[1] واقتحمت العالم الإسلامي وحاولت إخضاع آفاقه لمركزيتها ، كشف هذا الظهور المفاجئ للعولمة بأن العالم الإسلامي يعاني من أزمة مزمنة في التفكير والقدرة على التعامل مع التغيرات والتطورات الحاصلة في نمط الثقافة المعاصرة ومواكبة إيقاع حركة العصر المتسارعة التي يستخدمها الآخر لإخضاع العالم الإسلامي ولبسط الهيمنة عليه.

ولذلك لابد من إعادة النظر في طريقة المواجهة القائمة بين الغرب والإسلام والتي فرضها الغرب على العالم الإسلامي والتي سوقها ضمن مقولة (صراع الى الابد من اجل سلام دائم) أمام هذا التزييف للوعي، ونطالب مفكري العالم الإسلامي أن يقوموا بعملية مراجعة للوضع الداخلي للأمة، وإعادة ترتيب أولوياتها بداية من الثقة بالله والايمان بنصره الى الأخذ بالأسباب وإظهار البعد الحضاري الحقيقي للإسلام في مواجهة الحضارة الغربية المزيفة. والاستشراق ظاهرة فكرية معقدة ومتشابكة منذ ظهوره كمؤسسة عالمية وفي تاريخه التأسيسي وجذوره العميقة ويعرفه إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق) : هو أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي (انتولوجي) ومعرفي (ابستملوجي) بين الشرق والغرب ، أو هو أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيطرة عليه.

الخاتمة والنتائج

فبعد دراسة الهُوية الإسلامية ومقوماتها ، وسماتها ، والتحديات التي تواجهها ، دراسة فكرية وعقدية ، نجمل أبرز النتائج التي خلصنا بها ، وكالآتي :

لكل أمة من الأمم ثوابت تمثل القواعد الأساسية لبناء مستقبل الأمة. وفي طليعة هذه الثوابت تأتي الهوية الاسلامية باعتبارها المحور الذي تتمركز حوله بقية الثوابت، والذي يستقطب حوله أفراد الأمة. ولا تستحق أمة من الأمم وصف مفردة الأمة حتى تكون لها هويتها المستقلة والمتميزة عن غيرها من الأمم. وإذن فالأمة بنيان يتجمع فيه الأفراد حول هوية ثابتة، تكون هي

---

(١) العولمة : لفظة غير موجودة في المعاجم والقواميس العربية ، الا أن جذرها أشتق من لفظة (العالم) وتعني : جعل الشيء عالمياً ، أو أنها عملية زيادة الالتحام في الحضارة العالمية . ينظر : التويجري ، عبد العزيز بن عثمان ،العولمة والحياة الثقافية في العالم الاسلامي ، موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم على شبكة الانترنيت . العولمة : لفظة غير موجودة في المعاجم والقواميس العربية ، الا أن جذرها أشتق من لفظة (العالم) وتعني : جعل الشيء عالمياً ، أو أنها عملية زيادة الالتحام في الحضارة العالمية . ينظر : التويجري

الصبغة التي تصبغ الأمة، وتحدد سلوكهم وتكيف ردود أفعالهم تجاه الأحداث والمتغيرات ، ولا شك أنه كلما شعر أفراد الأمة بهويتهم، كلما تعمق انتماؤهم إلى أمتهم، وتأكد الولاء بينهم، وتيسر تعاونهم في سبيل حمل رسالة الأمة والدفاع عنها أمام هجمات الأمم الأخرى.

الهُوية في كلام العرب : جمع هُوَّة ، وهي الحفرة والمطمئن من الأرض ، ونستنتج منه أن الهُوية هي الشيء الذي تسكن إليه ، وتطمئن اليه ، وتشعر من خلاله بالحماية والأمان ، وهو مشتق من كلمة (هُو) ، وأختلف في تعريفها اصطلاحا حسب العلم الذي يحقق فيها ، إذ لكل علم تعريفه الخاص بها ، ويمكننا القول أن الهُوية يدور مضمونها على الذاتية والتفرد والسمات والسلوكيات التي تميز المجتمع عن غيره ، فهي حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية .إن أخطر صراع يعيشه المسلم اليوم هو صراع الهُويات في زمن التحديات ، كالعولمة، والغزو الفكري، والثورة المعلوماتية، والتغريب، والتشويه، والتفرقة.

وإن أمتنا الإسلامية تعرضت لسلسلة من هذه التحديات عبر تاريخها الطويل . ودخلت خلالها في مواجهات شتى. اعتماد الطرق التربوية الحديثة التي تسهم في تكوين عقلية سليمة تحافظ على هُويتها، والابتعاد عن الطرق التقليدية التي تعتمد على التركيز على الحفظ والاستظهار . تعميق الانتماء لدى الشباب الجامعي في إطار المنهج الإسلامي.

وضع برنامج للإصلاح الاقتصادي الذي من شأنه النهوض بالأمة وتنمية العجلة الاقتصادية فيها، وبالتالي يترتب على ذلك استقراراً سياسياً وأمنياً، إذ ستتوافر فرص العمل للعاطلين، ونحد من هجرة العقول الإسلامية ، وتنمو عجلة التقدم والازدهار سريعاً ، ويحس المواطن بثقته بأمته وقدرتها على مواكبة التقدم العالمي ، وسيكون لها ماركة إسلامية مسجّلة كما هو الحال لليابان وبقية دول العالم، مما يدعم هُويتنا ويجدد ثقة الشباب بأمتهم وأنفسهم، وإليك أهم برامج الإصلاح الاقتصادي، لإشباعها دراسة وربط مصير شبابنا بمستقبل أمتهم، وبالتالي لا يكونوا عرضة للتغرير بهم، وإغرائهم بالأموال والشهوات .أهم مقومات وثوابت الهُوية الإسلامية (العقيدة، واللغة العربية، والتاريخ، والتراث، والوحدة الثقافية المشتركة، والتكوين النفسي المشترك، والتمسك والاعتزاز بها).

ولمواجهة التحديات التي تواجه الهُوية الإسلامية ، لابد من استغلال نقاط القوة في الحضارة الإسلامية وتعميق مفاهيم الهُوية الإسلامية ومظاهرها في نفوس المسلمين وفي مناهج التربية والتعليم ، وجعل اللغة العربية أساسا للمناهج ، وإعطاء الدين دوره الحقيقي وإزالة سوء الفهم والتعميق لمفهوم الإسلام، وإعادة صياغة الأهداف والتخطيط الاستراتيجي، وتفعيل الإعلام

الإسلامي الهادف، وتفعيل مبدأ احترام الهُويات وإيقاف صراع الهُويات، ومقاومة التحديات الداخلية والخارجية من خلال إيجاد مشروع التمكين الحضاري للبيت المسلم، وبناء حائط الصد الفكري، وتحقيق الفاعلية الفردية ضمن قالب الانجاز الجماعي .والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

(١) ابراهيم سلمان الكروي ، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، ط٢ ، مطبعة ذات السلاسل ، (الكويت ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .

(٢) ابراهيم مدكور وآخرون، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، (القاهرة ، ١٩٧٢م).

(٣) أنور الجندي ، مقدمات العلوم والمناهج.

(٤) ابن أبي شيبة الكوفي ، أبو بكر عبد الله بن محمد ، مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ط١ ، (الرياض ، ١٤٠٩هـ) .

(٥) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٨٧م) .

(٦) ابن الاعرابي ، معجم ابن الاعرابي ، تحقيق: عبد المحسن ابراهيم ، دار ابن الجوزي ، ط١ (د.م، ١٩٩٧م) .

(٧) البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله ﷺ وسننه وايامه ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر ، دار طوق النجاة ، ط١، ١٤٢٢هـ .

(٨) بشير الصقّال ، اليقظة الإسلامية ، بغداد – الموصل ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

(٩) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، غريب الحديث ، تحقيق : د. عبد المعطي امين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت،١٩٨٥) .

(١٠) إبن حزم ، علي بن احمد ، الإحكام في أصول الأحكام ، مطبعة الإمام ،ط١، (القاهرة ، ١٤٠٤هـ) .

ISBN: 978-9922-21-412-2

(١١) ابن خزيمة ، محمد بن اسحاق : صحيح ابن خزيمة ، تحقيق : محمد مصطفى الاعظمي ، المكتب الاسلامي ، (بيروت ، ١٣٩٠) .

(١٢) ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر، ط١،(بيروت ، د.ت) .

(١٣) أبو داود ، سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي، سنن ابي داود ، ضبط وتعليق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .

(١٤) بدوي ، احمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٧٧م) .

(١٥) البلاذري ، ابو الحسن ، فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد رمضان ، مطبعة السعادة ، (مصر ، ١٩٥٩) .

(١٦) جمعة أمين عبد العزيز ، قراءة في ركائز المشروع الحضاري الإسلامي ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، ١٤٢٤-٢٠٠٣ .

(١٧) الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، (بيروت ، ١٤٠٥هـ) .

(١٨) الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، معجم الصحاح ، بعناية : خليل مأمون ، دار المعرفة ، ط٤ ، (بيروت ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م) .

(١٩) حامد ، كمال عجمي ، الهُوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة ، رسالة دكتوراه ، جامعة الازهر – كلية التربية – قسم اصول التربية الإسلامية .

(٢٠) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، (ت٨٠٨هـ) ، المقدمة ، تحقيق : حجر عاصي ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت ، ١٩٨٨) .

(٢١) د.محسن عبد الحميد ، تجديد الفكر الاسلامي ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، (فيرجينيا – امريكا ، ١٤١٦-١٩٩٥) .

(٢٢) د.محسن عبد الحميد ، مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها .

(٢٣) الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم ، مؤسسة الرسالة ، ط٩ ، (بيروت ، ١٤١٣هـ) .

(٢٤) رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار ، دار المعرفة ، (بيروت ، ١٩٨٤) .

(٢٥) رسول محمد رسول ، الغرب والاسلام ، (بيروت ، د.ت) .

(٢٦) روبر بريغالت ، اثر الثقافة الاسلامية في تكوين الانسانية ، ترجمة : السيدة ابو النصر احمد الحسيني ، ط١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (القاهرة ،د.ت) .

ISBN: 978-9922-21-412-2

الهوية الاسلامية ومحاولات اختراقها ومسخها (بحث قرآني؛ تفسير موضوعي)

م.م. محسن وهيب عبد
aboseraj1945@gmil.com

١- المقدمة:

بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة الا بالله، الحمد لله، وصلى الله على خير خلقه محمد واله ومن ولاه، ولا سيما بقية الله، واللعن الدائم على المستكبرين اعداء الله.

لله تعالى مشروع اصلاحي موحد للبشر جميعا؛ بدأ مع هبوط آدم عليه السلام ، وهو مستمر الى ان يرث الله الارض ومن عليها.

يتطلب هذا المشروع، التسليم والرضا لإرادة الله تعالى، والطاعة والولاية لحججه المختارين من قبله، سواء بالاصطفاء او بالتطهير التكويني. وقد بدأ هذا المشروع باجتباء آدم عليه السلام بعد خروجه من نظام الجنة .. قال تعالى في قصة ابونا ادم: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة:٣٥- ٣٦)

وبعد بدء الخيار الثاني المؤقت للبشر في الارض والاستقرار فيها؛ بدأ المشروع الالهي الموحد للإصلاح في البشر متمثلا في الاسلام؛ قال تعالى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٣٨). فكان آدم عليه السلام نفسه اول نبي الى ابناء جنسه.

إن المشروع الالهي الاصلاحي الموحد هو؛ خيار ثانٍ تابت لأبناء آدم، للرجوع الى نظام الجنة السرمدي، حيث رغد العيش بعد الخروج منها بالمخالفة لنظامها، وقد وعد الله ذلك، وان وعد الله حق ..قال تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا* قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (طه:١٢٦)

ان الهوية الاسلامية تتحقق في هذا المشروع الالهي الموحد النازل بالهدى وقد اسماه الله تعالى؛ الاسلام، ويتلخص بالتسليم لله تعالى، والولاية للمصطفين المطهرين المختارين من قبله تعالى ليحملوا مشروعه الموحد الى البشر.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وقد حدد الله تعالى الهداية والرضا والقبول والتسليم في كل زمان ومكان بالإسلام دينا ولا غيره. ومن يتخذ غير الاسم دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(ال عمران:٨٥)

وفي مراحل وفصول هذا المشروع الالهي الموحد الذي نزل على يدي رسل الله تترى بدون فراغ زماني مكاني: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون:٤٤). ونجد من محكم الاية؛ انها لخصت الامر برفض الناس لمشروع الله الموحد فنالوا جزاءهم.

ان القران يؤكد بتكرار؛ ان ليس غير الاسلام دينا للبشر منذ ادم الى ان يرث الله الارض ومن عليها، وان هوية الإسلام تتأكد ايضا؛ بانه نزل بالكمال فالإسلام، هو كامل المشروع الالهي الموحد.

جاء بحثنا هذا لبيان الهوية الاسلامية المتفردة بالكمال في عقائد البشر، وعلى طول تاريخهم وعرضه، من خلال الهدى النازل المتمثل بالقران الكريم، ومترجميه وحملته المعصومين؛ محمد واله الاطهار المطهرين تكوينيا عليهم السلام.

وضمن هذا البحث، سنشير الى اهم المحاولات الشيطانية لاختراق تلك الهوية ومسخها. وذلك من اجل تنوير المسلمين بالأخطار المحيطة بعقيدتهم ومن هم الاعداء الحقيقيين للإسلام من ابناء واتباع الشيطان الرجيم . نسال الله تعالى التوفيق فهو الغاية وهو ولي السداد.

٢- المعنى الواقعي للكمال في الهوية الاسلامية ومحاولات ثلمه :

من واقع التدرج الكوني للكائنات نحو الكمال التكويني في النبوة، يعرف الكمال مطلقا؛ انه ما يتجسد من وجود قدر من روح الله تعالى في الكائن، بما يبرز من حسن جاذب وجمال مسرّ، متجسدا؛ بتمايز النور والحركة ابتداء من عتمة العدم وسكونه، ثم برفع القصور الذاتي في المادة بتكوين الحياة، ومن ثم برفع القصور الحيوي الذاتي بتكوين العقل، الظاهر بحرية اختيار الفعل، وعند تمام الكمال التكويني للعقل تبرز النبوة(العصمة)، حيث ترتفع كل القصورات والعجز، فيتجسد الكمال التكويني في شخص المعصوم، ويبرز من خلال سيرته؛ نبلا وخيرا وجمالا وحسنا، بهيئة افعال وأقوال.

فكمال وجمال المضمون في المعصوم؛ يأتي من كونه مأمون الشر مضمون الخير فيما يصدر عنه. ذلك هو واقع الكمال في الهوية الاسلامية، يجسده المعصوم في سيرته افعالا واقوالا.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ونحن في الواقع نجد هذا المعنى للكمال في الاسلام؛ من عدم وجود القصور في العقيدة؛ الاسلامية فهي؛ قادرة على ان تجيب على كل تساؤلات البشر حول مبدأهم ومعادهم، وتستجيب لكل حاجاتهم الروحية والمادية.

ان الإجابة على كل التساؤلات والاستجابة لكل الحاجات الانسانية في الاسلام تتحقق فقط وفقط، عند اقتران(عدم افتراق) القران الكريم والمعصوم، زمكانيا حتى يردا على الرسول الحوض يوم القيامة. وذلك من خلال تمسك المسلمين بهما كعاصمين من الضلال، كما اوصى بذلك نبي الاسلام:

أولا- كما جاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم بتعليق الذهبي: قال رسول الله:ﷺ (علي مع القرآن و القرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)، قال هذا حديث صحيح الإسناد وأبو سعيد التيمي هو عقيصاء، ثقة مأمون ولم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح)[١]

ثانيا- ايضا في المستدرك للحاكم بتعليق الذهبي: عن زيد بن أرقم (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله ﷺ : (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و أهل بيتي و إنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)، قال؛ هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين و لم يخرجاه. وتعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم)[٢].

ففي الحديث الاول:(علي مع القران والقران مع علي لا يفترقان حتى يردا الحوض)، وفي الحديث الثاني؛ إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و أهل بيتي و إنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض).. ان كلا الحديثين في توجيه واحد؛ يعني اقتران تكويني لا افتراق فيه بين القران الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٣] ، وبين المعصوم المطهر تكوينيا بإرادة الله تعالى، فعلي عليه السلام سيد اهل البيت المطهرين بنص الكتاب، والاشارة اليه في الحديث الاول لا تفترق عن الاشارة الى بقية المطهرين المعصومين من اولاده في الحديث الثاني؛ ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويهركم تطهيرا﴾ .[٤]

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري بتعليق الذهبي – (ج ٣ / ص ١٣٤)، الحديث تحت رقم:(٤٦٢٨)

(٢)المستدرك للحاكم بتعليق الذهبي – (ج ٣ / ص ١٦٠).. حديث رقم:(٤٧١١).

(٣) فصلت – ٤٢.

(٤) الاحزاب – ٣٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

حيث ان القران تبيان لكل شيء..﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [١].

ان عدم الافتراق بين الكتاب والعترة– الذي افتقدته الامة بعد وفاة الرسول مباشرة – مع الاسف – كان مفروضا ان، يوفر لنا كل الاجابات عند الامام المبين المطهر تكوينيا، الذي اختاره الله تعالى لهذه المهمة ولكنه اقصي– مع الاسف – عن مرتبته هذه، فحصل الافتراق الزمكاني، فوقعت الامة في المحذور، ليأتي من هب ودب ليحل محله أي ان السقيفة كانت اول محاولة جدية ناجحة لاختراق ومسخ الهوية الاسلامية، بعد موت النبي مباشرة.

قال الامام علي عليه السلام: (سلوني عن أسرار الغيوب؛ فإنّي وارث علوم الأنبياء والمرسلين)[٢]، وفي المستدرك على الصحيحين عن عامر بن واثلة: سمعت عليّاً عليه السلام قام فقال:(سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي)[٣].

حدد القران الكريم بدقة الهوية الاسلامية، سواء في الاعتقاد الديني، او في هوية المعتنقين له من المسلمين، مقابل منع أي محاولة للاختراق والمسخ او التشويه لتلك الهوية، او جعلها مشوشة. فدين الإسلام، خاتم الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يتعبد الله به سوى الإسلام، ذلك من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٤]، وقد منع الله تعالى، القبول باي دين غير الاسلام فقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين﴾ [٥]

أن نبي الاسلام ورسوله؛ محمدا صلى الله عليه وآله؛ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.. ولقد علمنا من القران ايضا ان الاسلام هو دين كل الانبياء السابقين: ولذا نجد في الايات المحكمات التاليات حقيقة اسلام كل الانبياء، وان الاسلام دين كل الرسل ولا غير الاسلام؛ كما يظهر من قوله تعالى المحكم:﴿ وَإِذْ

---

(١) النحل – ٨٩.

(٢) ينابيع المودّة: ١/٢١٣/١٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٢/٣٨٣/٣٣٤٢، السنّة لابن أحمد بن حنبل: ٢٧٨/١٤٤٣ نحوه، المناقب لابن المغازلي: ٥٨/٨٤ وفيه «ويلك هم أهل حَرَورا»؛ العمدة: ٤٦١/٩٦٧ كلّها نحوه وراجع تفسير الطبري: ٩/الجزء ١٦/٣٤.

(٤) آ ل عمران – ١٩.

(٥) آل عمران – ٨٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (*) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (*) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (*) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (*) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (*) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (*) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (*) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١)

وجاء ايضا في كتاب الله الحكيم، توصية لنبيه ان يفاوض اهل الكتاب على الاسلام باعتباره الدين الجامع لكل الاديان.. فقال تعالى: ﴿قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون.﴾(ال عمران: ٦٤).

٣- الترويج للديانة الابراهيمية محاولة اختراق ومسخ للهوية الاسلامية:

هناك اليوم وعلى الساحة الدولية، محاولات لليهود والامريكان ودول اوربا الغربية الخبيثة، مع التابعين الاذلاء من دول اسلامية وعربية خليجية باعتبار ان الاديان السماوية هي في اصولها من ابراهيم عليه السلام، فجاءت محاولة غرس الديانة الابراهيمية كبديل للإسلام، في محاولة لاختراقه ومن ثم مسخه، في حين ابراهيم نفسه كان مسلما.. قال تعالى: ﴿ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (٢).

وفي حوار وتساؤل انكاري لتغير دين الفطرة والتكوين والنسق الكوني الذي تسير به الكائنات والكون، حيث اسلم كل شيء لله تعالى.. فلماذا يريدون تغير دين الله!!

يقول تعالى في ذلك: ﴿ أفغير دين الله يبغون وله اسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون﴾ (٣).

---

(١) البقرة – ١٢٧- ١٣٢.

(٢) ال عمران- ٦٧.

(٣) ال عمران- ٨٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ان كل ما انزل من رب العالمين على رسله، كان في اطار مشروع الهي واحد للإصلاح، وضمن دين واحد هو الاسلام.. قال تعالى: ﴿ قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون﴾ [١]

وعلى هذا الاساس فليس هناك دين على الارض غير الاسلام. ولذا، فمنطقيا ان من يتبع دينا غير الاسلام؛ انما يتبع وهم وهو لا شك خاسر.

٤- محاولات تقودها قوى الاستكبار العالمية لاختراق الهوية الاسلامية:

في محاولات خبيثة للماسونية العالمية بزعامة امريكا وربيبتها اسرائيل اطلقت مبادرة لسلب الهوية الاسلامية تحت عنوان [٢]توحيد الاديان؛ تبنته زعيمة الارهاب العالمي الولايات المتحدة؛ اذ اوعزت لأذنابها من الأعراب المترفين في الامارات العربية المتحدة، لتبني الفكرة وتبني لها مسجدا ومعبدا وكنيسة في محيط واحد، في خطوة لتوحيد الديانات الثلاثة؛ دين الإسلام، ودين اليهودية، ودين النصارى رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب؛ ولذا يجب على كل حريص على هوية دينه من المسلمين ان يتصدى لهذه المحاولات الخبيثة لاختراق الاسلام في الصميم.

وعلينا هنا يجب تنوير الامة بمقاصد تلك المحاولات الخبيثة، التي ليس هدف الا انقاذ اسرائيل، وتوطيد امن اسرائيل، واذلال المسلمين، وضياع حق الشعب الفلسطيني المسلم في ارضه المغتصبة.

ان الواقع في حفظ الهوية الاسلامية؛ ترسمه كلمات الله تعالى وتقول لنا: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٣] .

ان الدعوة الى الابراهيمية، مجرد دعوة كاذبة تظهر المحبة وجمع الشمل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ

---

(١) البقرة – ١٣٦.
(٢) البقرة – ١٣٦.
(٣) البقرة – ١٢٠

ISBN: 978-9922-21-412-2

يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (١)

وهي بالنسبة للصهاينة والمستكبرين مجرد مرحلة زمنية حتى اذا تمكنوا وبلغوا ما ارادوا من مسخ الاسلام، ابرزوا حقيقة امرهم، كما قال اصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (٢).

ان اليهود والنصارى الصهاينة، من حقيقة تاريخهم في الكيد والمكر والقتل، وكما يصفهم القران لن يرضوا عن المسلم حتى يتبع ملتهم .. قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٣).

فهذه المحاولات اليهودية النصرانية لا تحمل خبرا ابدا بل مجرد خطوة اولى على سبيل مسخ الاسلام واختراق المسلمين في صميم اعتقاداتهم .

٥- معاني الاجابة على كل تساؤلات الانسان والاستجابة لكل حاجاته الانسانية كدليل لكمال الاسلام:

أ- مقومات الكمال في دين الاسلام:

قلنا ان الاسلام دين الله الاوحد الذي يحمل لكل البشر وعلى طول التاريخ مشروعا الهيا واحدا لإصلاح البشر على الارض، ومن اهم ما فيه هو كمال عقيدته عن كل العقائد البشرية السماوية والوضعية.. فما هي مقومات كمال الاسلام؟

الإسلام دون كل العقائد؛ من معاني كماله؛ انه يبني في النفوس البشرية حجما، ولذا يتفاوت الناس في قدر التزامهم بالإسلام. فهناك حضور للعقيدة الاسلامية في النفوس ينمو بنمو حجم الاسلام فيها، وذلك نتيجة الايمان بتشريعات تلك العقيدة ومبادئها وآدابها.

ففي تشريعات الاسلام؛ لا يهمل أي جانب جوانب حاجاته البدنية ولا الروحية. فإنما الدين الاسمي علم وعلم الاسلام يوجه الانسان من خلال القران والمعصوم الى الاجابات على تساؤلات الانسان عن مبدأه وعن مآله في هذا الوجود، ويحدد له كيفيات الاستجابة لكل حاجاته الجسدية والروحية؛ من خلال نصوص معصومة في كتاب الله او في سنة المعصوم؛ فهي تتناول بالإحاطة والشمول وجود الإنسان وحياته وعقله من قبل أن يولد إلى ما بعد موته.

---

(١) النور – ٣٩ – ٤٠.

(٢) الكهف- ٢٠.

(٣) البقرة – ١٢٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وترافقه حيثما ما هو مفروض ان يكون؛ في المهد وفي اماكن التعلم او التغذية او حتى في اماكن قضاء الحاجة...وهذا ما لم تحط به أي عقيدة في العالم.

كلما كبر علم الانسان بالإسلام، كبر حجم عقيدته في النفس البشرية، واقترب البشر بذلك من الكمال التكويني للمعصوم.

وعلى هذا الاساس فالإسلام في طاعة عقيدته؛ استجابة للمشروع الالهي الاصلاحي؛ لأنه يبني انسانية الانسان دوما، ويتوجه بها دوما نحو الكمال التكويني.

ب- تمتاز العقيدة الاسلامية بان لها حجما ناميا في النفس البشرية:

كما هو الواقع؛ نلاحظ ان العقيدة الاسلامية تُبنى في كل نفس انسانية بثلاثة أبعاد، مثلها في ذلك مثل أي كائن حي نامٍ، وهذه الأبعاد هي:

١- البعد الموضوعي: ويتمثل في المادة الثقافية، التي تتضمن نصوصاً معصومة يتحقق بها منها ومعها، الحسن ومعانيه، وهي مكتوبة بشكل تشريعات ومبادئ ونظم وآداب العقيدة، في كتب (مكتوبة)، وفي وقتنا هذا قد تكون في مواد ثقافية متعددة مثل: أشرطة التسجيل أو في الأفلام أو بشكل اليكتروني على القرص الممج، ويلحق بها الاجتهادات و التحقيقات وكل ما يُثري العقيدة من نصوص أخرى مكتوبة أو محفوظة بأي شكلٍ ثقافي، ولذا فإن المعتقدين بأي عقيدة يتفاوتون في مدى (بعد) ما يعرفون أو يحفظون من نصوص تلك المضامين لعقائدهم، بل وحتى في العقيدة الواحدة، بشكل نظريات و تشريعات ونظم وآداب وامتدادها.

فمنهم من يحفظ نصوص الأصول، والنصوص المهمة من مضامينها، ومنهم من يتخصص فيها فيحصل التباين في مديات أبعادهم الموضوعية في العقيدة.

٢-البعد الروحي: ويتمثل في مدى عمق الوعي (البُعد) الذي يمتد في روح المعتقِد، باعتبار إن العلم غذاء الروح عن كل معنى لنص من نصوص البعد الموضوعي في نظرياته وتشريعاته وأخلاقياته، ولذا يتفاوت المعتقدون ايضاً بمقدار هذا الوعي إزاء كل نص.

لنأخذ مثلا؛ في عقيدة الإسلام لنأخذ النص : ﷺ إذ هو أحد أهم الفواصل الأساسية في البُعد الموضوعي في تلك الاسلام، ولنأخذ نماذج من الذين يحفظون هذا النص كبعد موضوعي لعقيدتهم لنرى مقدار التفاوت في البعد الروحي بين هؤلاء النماذج:

- سمع الناس أن معاوية يقول هذا النص، فيما بعده الروحي عنده؟! وقال هذا النص أبو سفيان وفي نفسه شيءٌ منه! فما بعده الروح عند أبي سفيان؟!
- وقالها الصحابة كلهم، فما بعده الروحي عند كل واحدٍ منهم؟

ISBN: 978-9922-21-412-2

- وكل مسلم يقولها: (محمد رسول الله) فما بعده الروحي عند كل مسلم؟
- وقاله امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، فما عمق بعد الوعي عنده؟

أما معاوية، فها هو يقول بذاته عن مدى عمق إيمانه بهذا النص في كلمته المشهورة وهو يسمع الآذان يصدع بها: (أشهد أن محمداً رسول الله)، كان يقول: (...ألا ابن أبي كبشة يذكر على المنابر خمس مرات في اليوم، ألا دفناً دفنا).

فمعاوية كان منافقا يظهر الاسلام وكان في باطنه ملحدا لا يعتقد النبوة، فقد نقلوا عنه في فلتات كلامه، وسقطات الفاظه ما يدل على ذلك: قال: وروى الزبير بن بكار في [أخبار] الموفقيات، وهو غير متهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة علي عليه السلام، والانحراف عنه ؛ (قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع ابي على معاوية، فكان ابي يأتيه، يتحدث معه، ثم ينصرف الي فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه إذ جاء ذات ليلة فامسك عن العشاء، ورأيته مغتما فانتظرته ساعة ظننت انه لامر حدث فينا، فقلت: ما لي اراك مغتما منذ الليلة ؟ فقال: يا بني جئت من عند اكفر الناس واخبثهم، قلت: وما ذاك ؟ قال: قلت له وقد خلوت به. إنك قد بلغت سنايا امير المؤمنين، فلو اظهرت عدلا، وبسطت خيرا فانك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم شئ تخافه، وان ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات هيهات ! أي ذكر ارجو بقاءه ! ملك اخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، الا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، واجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا ان هلك حتى هلك ذكره، الا ان يقول قائل: عمر، وان ابن ابي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: (اشهد ان محمدا رسول الله)، فأي عمل يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا ابا لك ! لا والله الا دفنا دفنا)[1].

---

(١) أخرجه الزبير في الموفقيات عن المطرف بن المغيرة بن شعبة في كتاب محمد بن عقيل بن عبد الله العلوي (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية): ص/١٢٣. تاريخ الطبري؛ للمسترشد- محمد بن جرير الطبري (الشيعي) - (ج ٢ / ص ٩٧). وذكر الاربلي رحمه الله في كشف الغمة ج ١، ص ٤١٨، ط / ايران، وذكر ايضا العلامة المجلسي (ره) في البحار ج ٣٣، ص ١٦٩.، وايضا انظر الاخبار الموفقيات للزبير بن بكار ط بغداد، ص ٥٧٧. ومستدرك سفينة البحار - (ج ٢١٣/١٨، وج ٣٩٥/٢٠)، كان المشركون ينسبون النبي(صلى الله عليه وآله) إلى أبي كبشة، وهو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان، فشبّهوه به. وقيل: إنّه كان جدّه من قبل أُمّه، فأرادوا أنّه نزع في الشبه إليه. وفي بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٣٥ / ص

ISBN: 978-9922-21-412-2

وكي نجيب على بقية الأسئلة، نورد فيما يأتي هذهِ الراوية المشهورة مختصرة: (كان حاطب بن أبي بلتعة قد كتب إلى قريش كتاباً يخبرهم فيه بعزم النبيّ ﷺعلى فتح مكّة، وأرسله مع إحدى النساء. فاستدعى النبيّﷺ عليّاً عليه السلام ، وبعثه مع اثنين للقبض على تلك المرأة. ولمّا لقوها وطلبوا منها دفع الكتاب إليهم أنكرت ذلك أشدّ إنكار، ففتّشوها عدّة مرّات فلم يجدوا عندها شيئاً، ودلّ تفتيشهم على صحّة ما تدّعيه. فقال لها الإمام عليه السلام : واللّه ما كَذَبنا رسولُ اللّه صلوات اللّه عليه... واللّه لتُظهرنّ الكتاب أو لأردنّ رأسك إلى رسول اللّه! فاستسلمت المرأة وأخرجته من ضفيرتها، ودفعته إليه)[١].

من هذا ندرك: ان الصحابي الذي أرسل المرأة بالرسالة؛ بُعده الروحي محدود جداً لمعاني النص بان محمدا رسول الله لا يكاد يتعدى النص.

وان الذي حاور المرأة وصدقها بعد ما فتشها فظن؛ ان الرسول المعصوم يمكن ان يخطأ او يتوهم، في حين ان عليا عليه السلام ، كان يتعدى بالنص ان محمدا رسول الله، فهو كامل التكوين معصوم، لا يمكن ان يخطأ او يتوهم، وان المرأة لابد كاذبة، بل أن عمق الوعي عند الامام علي بمعاني رسالة محمد، أعمق مما نحن نعي منها.. قال النبيﷺ: « يا علي لا يعرف الله إلاّ أنا وأنت، ولا يعرفني إلاّ الله وانت، ولا يعرفك إلاّ الله وأنا»[٢]. بمعنى انه بدرجة كمال النبيﷺ، الا انه لا يوحى اليه.

وقال رسول اللهﷺ: يا علي ، ما عرف الله إلا أنا وأنت ، ولا عرفني إلا الله وأنت ، ولا عرفك إلا الله وأنا.[٣]

وهكذا فكل نص موضوعي من نصوص الدين، يشكل موضوعاً في العقيدة وله عمق في نفس المعتقد، والناس يتفاوتون بمدى ما عندهم من النصوص وبمدى عمق وعي تلك النصوص.

---

٨٥)، وقال في القاموس (ج ٢: ٢٨٥): كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وآله: ابن أبى كبشة. كنية زوج حليمة السعدية.

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب و السنة و التاريخ – (ج ٢ / ص ٩٩)، نقلا عن صحيح البخاري : ٤ / ١٥٥٧ / ٤٠٢٥ ، صحيح مسلم : ٤ / ١٩٤١ / ١٦١ ، مسند ابن حنبل :١ / ١٧٣ / ٦٠٠، المستدرك على الصحيحين: ٣/٣٤١/٥٣٠٩، الطبقات الكبرى: ٢/١٣٤، تاريخ الطبري: ٣/٤٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/٥٢٥، الكامل في التاريخ: ١/٦١١، السيرة النبويّة لابن هشام: ٤/٤٠؛ تاريخ اليعقوبي: ٢/٥٨.

(٢) (من حياة اهل البيت عليهم السلام – (ج ٣ / ص ٢).

(٣) تأويل الآيات : ١ / ٢٢١ ح ١٥ . و مدينة المعاجز – (ج ٣ / ص ٣٦٨).

ISBN: 978-9922-21-412-2

٣- البعد الزمني :

ويتمثل بمقدار الوقت الذي تستغرقه كل نفس انسانية، في تجسيد اقتران البعدين الموضوعي والروحي في الواقع، إذ من خلال الوقت المستغرق يبرز حجم العقيدة في كل موضوع من مواضيعها في نفس الإنسان، وهكذا يتجسد أيضاً وعي النفس بعقيدتها وعلى قدر بعدها الروحي.

ففي الزمن الساري على كل البشر؛ بيان لحجم عقيدة كل نفس، لأن الزمن مطية إجبارية في معنى الحياة ومعنى الدين، عند كل نفس، وافراد الإنسان هم ركاب تلك المطية شاءوا ام ابوا؛ فهي تسير به إلى حيث النهاية المحتومة، واللقاء الحتمي مع الله سبحانه وتعالى.

فإذن هناك ميزان لازم لاقترن فعل الإنسان وقوله، بأبعاد ما يحفظ وما يعي من عقيدته وان ما يصدر عنه هو؛ بيان لحجم عقيدته، وبدون ذلك فهو كأي دابٍ من دواب الأرض، لأن الزمن في حالته هذه هو الذي يركبه، وهو المطية.. قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١).

من سمات الكمال في هوية العقيدة الاسلامية؛ هو الحضور العقائدي في النفس، وهو استثمار الزمن قبل النفس لتجسيد اقتران بعديها الموضوعي والروحي لقيام الحجم النامي للعقيدة في النفوس.

يبرز الحجم الكامل الظاهر للعيان من عقيدة الاسلام في الكامل تكوينيا من الناس؛ اما بالاصطفاء الرباني كالأنبياء، او بالتطهير التكويني؛ كما هم اهل البيت من العترة المحمدية عليهم السلام . وفي غيرهم تأخذ الغفلة نصيب من حضورهم العقائدي، إن لم يشتغل الزمن في النفس لتحقيق سعة في أبعاد عقيدته أو في تجسيدها، لذا فكل البشر بحاجة للتكامل مع المعصوم الكامل.

لذا ومن أجل حجم نام للعقيدة في أي نفس، فعلى تلك النفس أن تستثمر سريان الزمن في استيعاب بعدها الموضوعي بحفظ نصوصها، وأن تستغل الزمن أيضاً في استيعاب وتحقيق عمق أكبر في وعي تلك النصوص، بمحاكاة المعصومين(عليه السلام) والتأسي بهم، والتفكر في مضامين الحسن الكوني الرباني، ولذا نجد معاني الكمال في العقيدة الإسلامية إنها جعلت (تفكّر ساعة خير من عبادة ستين سنة) (٢).

---

(١) الانفال – ٢٢.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – (ج ٦٦ / ص ٢٩٣)..

ISBN: 978-9922-21-412-2

ويحتاج التفكر لكي يكون نافعاً في تعميق الوعي بالعقيدة إلى صدق النية واستحكامها خالصة بقصد القربى للمحسن سبحانه، لأن في ذلك انطباق لفطرة النفس في السعي للحسن وانجذابها إليه، وبالصبر وعلو الهمة والتحمل في استغلال الزمن لتخليص النفس من الهوى في رؤيا المعاني الحسنة في كل نص، كما أن محبة المعصومين(عليه السلام)؛ داعي لتعميق الوعي وكلما كانت المحبة أشد لله ولرسوله والعترة، كلما كانت داعية الوعي أعمق في النفس وجدير بالذكر أن بغض أعداء الله تعالى هي قريبة المحبة الصادقة لله ورسوله والعترة الطاهرة لا تصح تلك المحبة إلا بصدق البغض لأعداء الله .

وباستطاعة أي آدمي أن يرى مقدار النمو في حجم عقيدته في نفسه من مقدار حضورها مع الزمن لتطبيق نصوص الاسلام، قياساً بالكاملين المعصومين(غليهم السلام)..

فمثلا في الاسلام، تعتبر العبادة مقياسا لطاعة الآدمي لربه، ولكن حجم العقيدة لا يقاس بكثرة العبادة، بل يقاس من خلال الحضور النفسي في العبادة، ولذا يكون معنى المقياس في العبادة هكذا :

إذا كانت عبادة الآدمي تزيده قرباً من ربه بارزاً في مقدار ما يحسن ، فنعم العبد ونعم العبادة، وإن كانت عبادته لا تقربه من ربه، بارزاً في مقدار ما يسيء فبئس العبد وبئس العبادة.

وعلى ضوء هذه الحقائق، فان حجم العقيدة في الانسان الكامل تستوعب كل نفسه، فيكون خلقه القران ويصير مترجما للقران ويصير يهدي للقران... جاء في بحار الأنوار – العلامة المجلسي؛ نقلا عن معاني الاخبار: عن علي بن الحسين عليه السلام قال: (الامام منا لا يكون إلا معصوما، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، فلذلك لا يكون إلا منصوصا. فقيل له: يأبن رسول الله فما معنى المعصوم ؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة والامام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الامام، وذلك قول الله عز وجل إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)[1].

٦- عبادة الانتظار في الاسلام؛ ميزة الكمال في الهوية الاسلامية

عبادة الانتظار؛ هي حالة الترقب الفاعل التي يعيشها المؤمن بانتظار الانسان الكامل المشخص قرانيا ونبويا، بالإمام المهدي المنتظر الامام الثاني عشر من اهل البيت المطهرين المعصومين عليهم السلام والغائب حاليا.

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – (ج ٢٥ / ص ١٩٤)، معاني الاخبار: ٤٤ ، والآية في الاسراء: ٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الحقيقة التي يجهلها كثير من الناس بما فيهم كثير من المسلمين، هو ان كمال الاسلام الذي يعتقده كل المسلمين؛ لا يظهر من خلال القران وحده، او سنة النبيﷺ وحدها، او التراث الاسلامي، ولا يمكن ابرازه من خلال المحتوى الفكري او الثقافي للإسلام، بل ان كمال العقيدة الاسلامية يبرز الى الواقع ويتعزز كنظام للملة؛ من خلال طاعة الانسان الكامل(المعصوم)، الموجود على راس سلطة فاعلة او في قيادة دولة.

وفي ذلك قالت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام: (...وجعل امامتنا امانا من القرقة وطاعتنا نظاما للملة).[1]

ان اطروحة تطابق السياسة مع العدل في ادارة الدول؛ لم تجد في تاريخ البشر لها معرفة، ولا حل، بل حتى دون رواج اكاديمي، وليس لها في كل جامعات العالم مسوغ او لمثلها، حتى ان العلماء في الاختصاصات السياسية والقانونية؛ لم يضعوها في عناوين رسائل او اطروحات التخرج، بل لم تقدم أي دراسة في تلك الاطروحة في أي جامعة من كل العالم، وبدون سبب مقنع، وكأن تطابق السياسة مع العدل امر امر من خارج عالمنا الارضي، او هو مستحيل من المستحيلات، فلم يطرا على بال بشر!!

ان من كمال عقيدتنا الاسلامية؛ انها شخصت مواضع ومحال تطابق العدل مع السياسة، وحددت امكان تحققها عند تثني الوسادة للمعصوم الانسان الكامل.

وعلى هذا الاساس نعتبر؛ ان من كمال الاسلام، اننا ننتظر الامام المهدي، الذي يتفق الكتاب والسنة النبوية الصحيحة على وجوب خروجه ليملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما حتى ولو بقي يوم واحد من عمر الدنيا؛ قال رسول الله ﷺ : (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ، لطوله الله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتي ، يملك جبل الديلم وال قسطنطينية).[2]

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح النهج: ١٦ / ٢١١ . ٢١٣ عن الجوهري من كتاب السقيفة وفدك..

(٢) مسند يحيى بن عبدالحميد الحماني : على ما في المنار المنيف ، و ابن ماجة : ج ٢ ص ٩٢٨ ٩٢٩ ب ١١ ح ٢٧٧٩ ، والمنهاج في شعب الايمان : ج ١ ص ٣٤٠ مرسلا ، كما في ابن ماجة بتفاوت يسير وتقديم وتأخير .والفردوس : ج ٣ ص ٣٧٢ ح ٥١٢٨ عن أبي هريرة : وفيه " . لبعث الله فيكم رجلا من عترتي يواطئ اسمه اسمي ، براق الجبين ، يفتح ال قسطنطينية وجبل الديلم ، وفي : ج ٥ ص ٨٢ ح ٧٥٢٣ عن أبي هريرة " لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي ، يفتح ال قسطنطينية وجبل الديلم ، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يفتحهما " .

*** : بيان الشافعي : ص ٥١٦ ب ٢٠ كما في رواية الفردوس الثانية ، بسنده إلى أبي نعيم الاصبهاني ، ثم بسنده : حدثنا جعفر بن محمد بن عمرو ، حدثنا أبو حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي**

ISBN: 978-9922-21-412-2

وهنا برزت عبادة الانتظار؛ ميزة الاسلام دون بقية الاديان والشرائع، ففي عبادة الانتظار؛ يتحقق تكامل النفس مع المطهرين تكوينيا الكاملين المعصومين وبالانتظار تتم الهداية تكونية، لان عبادة الانتظار تتحقق في النفوس لرفضها الظلم ولبغضها للظالمين، وبالانتظار تحصل النفوس على علم ممتاز يكتنزه المؤمنين من خلال تتبعهم لكمالات المعصومين عليهم السلام؛ كما في الزيارة الجامعة الكبيرة.

في عبادة الانتظار، اعداد روحي زماني مكاني، معاني كمال الاسلام مهما كانت احوال الامة، فمن خلال عبادة الانتظار ينمو في النفوس، رقيب ذاتي تحسبا لكل اعداء الامة، او المتربصين بها شرا. فاستراتيجية وجود عدو كما هو الاسلام: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [1]، فاذا كنت موطن نفسك لمواجهة عدو موجود حاضر متربص دوما، يمكن ان يخذلك ويتامر عليك ليخرجك من دينك، ان هذا يبقيك في انذار وانتظار دائم لمحاولاته الخبيثة، ومهما تكن النتائج فان الحذر من العدو المتربص ينجيك مما يحيط بك، وان لم يفعل فلن تفاجأ، فان عبادة الانتظار تجعلنا على يقين ان اطروحة تطابق العدل والسياسة سوف تتحقق على يد المهدي المنتظر الكامل تكوينيا المعضد ربانيا المقتدر بقوة الله اللامحدودة، المعد من قبل الله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [2]. وهنا جرعة امل صادقة من مصدر صادق للمنتظرين.

وقال تعالى ايضا في هذا الاتجاه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ* إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ [3].نعم انه بلاغ للمتعبدين بالانتظار، وهي بشرى، من الله تعالى الى عباده الصالحين.

فالهوية الاسلامية؛ معنى من معاني الكمال في الوجود، على كل انسان ان يسعى اليها ويتلبسها وتتلبسه، لينجو يوم الحساب، وليفوز مع الفائزين من الانبياء والمرسلين والائمة الطاهرين

صلى الله عليه وآله، و تذكرة القرطبي : ج ٢ ص ٧٠٤ عن ابن ماجة بتفاوت يسير ، وقال " إسناده صحيح " ، وعقد الدرر : ص ١٩ ب ١ كما في بيان الشافعي ، إلى قوله " وجبل الديلم " وقال " أخرجه الحافظ أبو نعيم "، وفرائد السمطين : ج ٢ ص ٣١٨ ح ٥٧٠ كما في بيان الشافعي ، بسنده إلى أبي نعيم .

(١) فاطر – ٦.

(٢) القصص– ٥.

(٣) الانبياء–١٠٥–١٠٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

والشهداء والصالحين وحسن اؤلئك رفيقا: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ .(١)

وذلك من خلال التمسك بنماذج الكمال التكويني الذين اختارهم الله تعالى من البش والاقتداء بهم.

اذن فالاسلام عقيدة فطرية في كل نفس من نفوس البشر لها حجم نامي متفاوت المقدار، متدرج المقدار متجها نحو الكمال بين ابناء البشر.

و في البشر المختارين من قبل الله تعالى حججا له على الناس؛ تتمدد الابعاد الثلاثة في نفوسهم حتى غايتها؛ ليبلغ حجم العقيدة كل النفس عندهم غايتها، ليجعلهم الله بذلك نماذج للاقتداء؛﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢) . فالكاملون جعلهم الله ائمة يهدون الناس بامر الله والى مشروعه الاصلاحي..قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٣) ، وعلى كل ما تقدم في البنود الستة من هذا البحث؛ فان الكمال التكويني، وضمان العصمة من الضلال في الهوية الاسلامية؛ يتجسد ويتحقق في اثنين لا افتراق بينهما في الدنيا؛ هم كتاب الله الذي لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والكامل المعصوم الذي امتلأت نفسه بتمام العقيدة الاسلامية في ابعادها الثلاث.

٧- المصادر:

١- القران الكريم.
٢- نهج البلاغة.
٣-هوكنغ ؛ ستيفن، (تاريخ موجز للزمن) ترجمة مصطفى فهمي، سلسلة العلم للجميع، ط١، القاهرة .
٤- مسلم، أبو الحسين مسلم الحجاج التستري النيسابوري (صحيح مسلم) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث- القاهرة ط١، (١٤١٢ هـ).
٥- ابن شعبة؛ أبو محمد الحسن بن علي الحراني (تحف العقول عن آل الرسول)، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ط٢ (١٤٠٤ هـ).

---

(١) النساء – ٦٩.
(٢) السجدة – ٢٤.
٣) الانبياء – ٧٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٦- ابن فرخ؛ أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار القمي، (بصائر الدرجات)، مكتبة آية الله المرعشي- قم، ط١/ (١٤٠٤ هـ).
٧- ابن الرازي؛ أبو محمد جعفر بن احمد بن علي القمي (جامع الأحاديث) تحقيق السيد محمد الحسيني النيسابوري، الحضرة الرضوية المقدسة -مشهد، ط١ (١٤١٣ هـ).

٨- ابن قتيبة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، (عيون الأخبار)، ط. دار الكتب المصرية، (تصوير: دار الكتاب العربي(سنة النشر-١٣٤٣هـ.
٩ – البحراني؛ السيد هاشم،(حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار عليهم السلام)، طبع إيران سنة ١٣٥٦ هـ.
١٠- البيهقي؛ أبو بكر احمد بن الحسين (شعب الإيمان) تحقيق أبو هاجر محمد العبد ابن بسيني زغلول، دار الكتب العلمية -بيروت، ط١ (١٤١٠ هـ).
١١- البيهقي؛ أبو بكر احمد بن الحسين بن علي (السنن الكبرى) تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١ (١٤١٤ هـ).
١٢- النسائي ؛ ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب،(خصائص امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه) طُبع بمطبعة التقدّم بجوار القطب الدردير . بمصر. سنة ١٣١٩ هـ.الناشر في إيران؛ (منشورات مكتبة الصدر . طهران (أُوفسيت)).
١٣- البرقي، أبو جعفر احمد بن محمد بن خالد (المحاسن) تحقيق مهدي الرجائي، المجمع أبو بكر أحمد بن علي (تاريخ بغداد ا مدينة السلام) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
١٤- الانطاكي؛ محمد مرعي امين، (لماذا اخترت مذهب اهل البيت عليهم السلام)، ط،مؤسسة تحقيقات ونشر معارف اهل البيت عليهم السلام ، ايران.
١٥- ابن حجر؛ العسقلاني، (لسان الميزان)، طبع . حيدر آباد (عنه احقاق الحق وازهاق الباطل للتستري)
١٦- أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (تاريخ اليعقوبي) دار صادر- بيروت- ب.ت.
١٧- أبو حنيفة، النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي المغربي (دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام القضايا والأحكام) دار المعارف - مصر، ط٢، (١٣٨٩ هـ).

١٨- ابن هلال الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (الغارات) تحقيق جلال الدين المحدث- طهران ط١ (١٣٩٥).
١٩- ابن همام، أبو علي محمد بن همام الإسكافي (التمحيص) تحقيق نشر مدرسة الإمام المهدي (عج) - قم، ط١ (١٤٠٤ هـ).
٢٠- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (سيرة ابن هشام (السيرة النبوية)، تحقيق مصطفى سقا إبراهيم الأنباري، مكتبة المصطفى - قم، ط١ (١٣٥٥ هـ).
٢١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (لسان العرب) دار صادر- بيروت- ط١ (١٤١٠ هـ).

ISBN: 978-9922-21-412-2

دور الدراسات الفكرية والعقدية الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة

م. م. عبير سليم حسن الحلبي
abeersaleem414@gmail.com

إن الدراسة الفكرية للكون ومخلوقاته ومؤثراته على العقلية الإنسانية، وفي خضم التسارع الزمني والتطور العلمي والازدياد السكاني على وجه الأرض وعوامل أخرى مساعدة أدى الى ضبابية في الرؤى الفكرية للعلوم الحديثة، والأوضاع التي يعيشها الانسان في عصرنا الحالي ، ولأن الله تعالى خلق الإنسان وميزه عن باقي المخلوقات بالعقل ليكون ميزانه في حياته ولأن هذا الوجود خُلق بنظام، وجبَ على الإنسان أنْ يراعي ماهية هذا النظام ويتوافق معه بكل الاشكال المتاحة له ليحقق لذاتهِ الراحة والأمان والاطمئنان والعيش الرغيد، ومن أساسيات هذا النظام وجود العلاقة الدينية بينهُ وبين خالقه، ووفق ما في داخله من نوازع نفسية تعصف فيه في فترات نموه، وظروف محيطة تتحكم في اراءهِ، فقد أدى هذا الأمر الى تخلخل توجهاته وتخبطه في أحياناً متعددة ، لذا فقد جعل الله تعالى ميزان العقل التفكر وبين الأسباب ليُهتدى بها الى طريق الحق وترك طريق الباطل، فكان للإسلام الباع الطويل في التحديات والمواجهات للانحرافات الفكرية الدخيلة التي عصفت به منذ نشأته الى يومنا هذا ، وعلى الرغم من ظهور علوم فيزيائية وتطبيقية وحياتية تزامناً مع التيارات الفكرية المغايرة للطبيعة السوية التي جعلها الله تعالى في ما أبدع من خلقه، إلا أنَّ كل ذلك لم يثبط عزيمة المجتهدين والعلماء والمفكرين الذين نذروا انفسهم لخدمة الدين والإنسانية، مع وجود ما لديهم من دليل صادق وبائن وهو(القرآن والسنة النبوية، والتراث الإسلامي) الذي وصل الينا اليوم على الرغم من كل التحديات التي واجهته من غزوات واحراق للمكتبات وظروف قاسية عان منها المجتمع الإسلامي على مدى العصور، يبقى الإسلام شامخاً بفكره المتجدد ، ذلك لأنها إرادة الله تعالى في خلقه، أن يكون له حجة عليهم ويكون له خليفة يحقق النظام الذي أراده الله تعالى للبشرية مهما عصفت ريح الالحاد، ومهما حشد ابليس من جنود يغري بهم العباد ولو بعد حين، ذلك لأن هذه الحياة دار ابتلاء واختبار وعبور، وانما الحياة هي حياة الآخرة .

لذا فإن هذا البحث ناقش عدد من التوجهات التي تصدى لها الفكر الإسلامي وفق العقيدة التي بينا أهمية الترابط بينهما؛ فلولا ذلك ما تحقق الدفاع البناء لدفع ضرر المواجه الفكرية المخالفة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث بأنه يتصدى الى موقف الفكر الإسلامي الذي يجب أن يتصدر كل أنواع الفكر، ووجوب البحث في العلل التي تساهم في خراب السلوك البشري والانحدار الأخلاقي، وإيجاد الحلول المائزة والوسائل التي تنقل بها هذه الحلول للسيطرة على النظام التكويني للحياة البشرية وللمساهمة في تأسيس الدولة المهدوية المرتقبة التي جعلها الله تعالى تكليف للمسلمين اجمعين.

مشكلة البحث:

عدد من التساؤلات تطرح على الساحة العلمية وجب التعرض لها ومنها كيفية العمل على ردع هذا المد الهائل من التشوه الأخلاقي الذي يندفع اليه البشر؟ وهل الفكر الإسلامي قادر على أن يسد الثغرات الفكرية التي يتمسك بها البعض ويبني عليها اراءه ونظرياته؟ وهل عجز الانسان على أن يميز بين ما هو حقيقي بين يديه من الكتاب والسنة فيذهب الى افكار ومعتقدات مخالفة؟

أهداف البحث:

١- تبيان أهم النقاط التي ساهمت في الاختلافات الفكرية؛ والتي أثرت على العقلية العربية الإسلامية

٢- إيجاد حلول منطقية وفق المسيرة الفكرية العقائدية الإسلامية لمعالجة الانحرافات الفكرية التي يعاني منها العالم على وجه العموم والمجتمع الإسلامي على وجه الخصوص

٣- التأكيد على ضرورة التغذية الفكرية لفئة الشباب؛ لأنهم ضمان المستقبل في كل زمان ومكان، وذلك لجعلهم الساعين والممهدين لدولة الصلاح والإصلاح، وفي كل وقت الحاضر والمستقبل.

منهج البحث

اتخذ البحث عدد من المناهج البحثية؛ ذلك للإحاطة بالمادة العلمية المراد وضعها في هذا البحث للوصول الى فائدة بنتائج تخدم المسيرة العلمية والفكرية، فقد تعرضنا الى المنهجية التاريخية والوصفية لوضع حجر الأساس، وتعرضنا الى منهجية التحليل والمقارنة، والمنهج الاستنباطي.

وأخيراً فإن البحث تكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة ونتائج

المبحث الأول: ماهية الدراسات الفكرية والعقدية الاسلامية

ساهمت الدراسات الفكرية الإسلامية في نشر الوعي العلمي بين أوساط المتعلمين، وتعددت هذه الدراسات وساحت في شرق البلدان وغربها، وكانت وما تزال الدراسات العقدية واحدة من أهم العلوم التي ساهمت في النضوج الفكري لدى العلماء والمفكرين المسلمين، والتي على غرارها نشأت الفرق والمذاهب وتنوعت النتاجات الفكرية، ولعلنا نتطرق لأهم هذه النتاجات فيما يلي:

١-الفكر الإسلامي وموارده في الرسالة الإسلامية

لمعرفة الموارد الفكرية وجب أولاً إعطاء مقدمة بسيطة حول الشرائع السماوية التي سبقت الإسلام، ولعلنا نقف على أهمها، وهي اليهودية والمسيحية، فنحن نعرف أن القرآن نسخ ما قبله من الكتب السماوية لضرورة اقتضت هذا الأمر، منها أن الشرائع السابقة نزلت على قوم محددين مثل التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام الى بني إسرائيل وبلسان قومه، والانجيل الذي جاء به عيسى عليه السلام الى اليهود وهم بقايا بني إسرائيل كذلك بلسان قومه، فنزل القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ بلسان عربي ليكون الدستور الذي يختم ما قبله من الشرائع ويكون عالمي النظام ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١]، وهذا الأمر أدى الى الاختلاف والتنوع بالآراء الفكرية والفقهية منذ ذلك الحين وليومنا هذا .

أما الفكر الإسلامي فإنه يعرف بمجموع العلوم الدينية، وما الّفه المفكرين والعلماء المسلمين، ونتاج ذلك العقل وفق منهج علمي يساهم في إعطاء الإجابات الناجعة التي تفك الغموض وتوضح المقصود بتتبع الدلالات النصية الاصيلة، والذي ساهم في ظهور وتطور العلوم الإسلامية التي يمكن من خلالها إثبات أصول الإسلام وفروعه، ولعلنا نشير الى القرآن والسنة بالمقام الأول، الذي أدى الى نشؤ علم القراءة وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الكلام، وعلم الاخلاق، بالإضافة الى العلوم الممهدة لها، ومنها: الادب العربي، من النحو والصرف واللغة والمعاني والبيان والبديع، ومن قبيل: علم الكلام وموارده وهي الحكمة الإلهية والمنطق وأصول الفقه والرجال، والدراية.[٢]

---

(١) سورة سبأ، الآية ٢٨.

(٢) ينظر: المطهري، مرتضى، مدخل الى العلوم الإسلامية المنطق–الفلسفة–الكلام–العرفان–الحكمة العملية–الأصول –الفقه، ترجمة: حسن علي الهاشمي، مراجعة: عبد الجبار الرفاعي والسيد علي مطر، ط٣، دار الكتاب الإسلامي ١٤٢٧هـ ق/ ٢٠٠٦م، ص٩–١٠؛ أمين، أحمد، فجر الإسلام، ط١٠، دار الكتاب العربي–بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص١٤٠؛ ومن الممكن التوسع في هذا الامر بالاطلاع على مفردتي (الكتاب والعلماء

لذا فإن البحث والتعقب والتزود العلمي في هذه الرسالة السماوية يعد وسيلة لفهم خصائصها ومحاورها لكونها رسالة مميزة بين الشرائع التي سبقتها ذلك أنها رسالة عالمية، وهنا كان لابد من التلاقح الفكري بينها وبين الثقافات الأخرى ، فهي ثقافة خاصة جاء بها الرسول ﷺ ، لذا فإن الانتشار الفكري والاتساع الميداني للرسالة، أدى الى الاطلاع على الثقافات الأخرى كالثقافة اليونانية والرومانية والفارسية، وبحكم التقارب الجغرافي فقد سعى أصحاب هذه الحضارات الى الوصول لهذه الرسالة للوقوف على ماهيتها واستيعابها ومعرفة حقيقتها، وكان لابد من ذلك لأجل التفاعل المعرفي والعلمي بين ما كان في الشرائع السابقة لتلك الأمم وما تحويه من ثقافات وتوجهات فكرية ، وما جاء به الإسلام والذي أدى الى المقارنة وبالتالي الى ديمومته التي تحافظ على الأمان والاستقرار على وجه الأرض، ولمعرفة ما كان وما سيكون للإنسان في حياته الدنيوية وما بعدها، فبرزت العلوم الإسلامية التي تدافع عن الهوية الإسلامية وكان لابد من التدبر والتعقل فيما جاء به القرآن والسنة، فاختلفت به الآراء والاقوال وتعددت فيه القراءات وتنوعت النتاجات، ومنها العلوم الطبيعية والرياضة والتاريخية والحياتية ، فالقرآن يوص صراحةً بدراسة الفلك والنجوم والأرض والزرع والبحار والحيوانات، ولكل منها اتخذ طريقة في التفسير والتأويل، يريد بها اماطة اللثام عن الصفات الإلهية والتوحيد والقدر والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل[1] ، فكان حري بنا البحث في الفكر العقائدي لمعرفة دوره في إبراز المواضيع التي تساهم في تثبيت العقيدة في نفوس المسلمين لأنه يخاطب القلوب والعقول كافة ويبلغ بها مبلغ النضوج.

٢. الدور العقائدي في النضوج الفكري الإسلامي

لمعرفة الدور العقائدي في النضوج الفكري لابد من تعريفه أولاً ومعرفة علاقته بالعقل وعلاقته بالعلم للوصول الى النتائج التي توضح أهميته

أ-تعريف العقيدة ودورها في تفعيل الولاء للدين والتواصل معه :

ومفردة الفلسفة والحكمة) لـ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات الشريف الرضي، ج٨، ص٣١٣-٣٥٣.

(١) ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، القرآن في الإسلام، ط١، مؤسسة المحبين للطباعة والنشر-قم ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، الفصلين الأول والثاني، ص١٠-٧٨؛ مطهري، مرتضى، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، ط١، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٥٣٨-٥٣٩؛ أمين، فجر الإسلام، ص١٩٤.

حيث تعرّف العقيدة: بأنها من العقد: وهو نقيض الحل، وهو من التصميم والاعتقاد الجازم، كما يقال في عقد العهد، واليمين، يعقدهما عقداً وعقَّدهما، أي اكدهما[١] ، كما في قوله تعالى: ﴿الذين عقدت ايمانكم﴾ [٢]، وعقد قلبه على الشيء، أي لزمه [٣]، ويبين التعريف أن الاعتقاد يلهم اليقين القلبي الذي يغذي الروح والجسد غذاء وجدانيا، فيرفع الحجب المادية عن الانسان لتنار له البصيرة القلبية[٤] ، وإلا لما كان فيه تصميم وجزم وإلزام؟ ويمكن تعريف القلب من وجهة نظر القرآن: بأنه وسيلة للمعرفة، لأن القسم الأكبر من نداءات القرآن تخاطب قلب الانسان حيث قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٥]، تلك النداءات التي لا طاقة لسماعها إلا بواسطة أُذن القلب كما في قوله تعالى :﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [٦]، لذلك يؤكد القرآن كثيراً على أن يُحافظ على تلك الوسيلة بتزكية النفس وصفاء القلب [٧]، فلو كان الاعتقاد خاطئ بني عليه العمل الخاطئ، وهذا نقيض الفطرة التي جعلها الله تعالى بالإنسان، وهي الاعتقاد بوجود الخالق المكون للكون والذي هو السبب الأول لوجودنا [٨] حيث قال الامام ابي جعفر عليه السلام عندما سئل عن قول الله تعالى﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ [٩]؟ ((قال : الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله، قال : فطرهم على

(١) ينظر: الزبيدي، مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: نواف الجراح، مراجعة: سمير شمس، ط١، دار صادر-بيروت ٢٠١١م، ج٧، ص٣٩٣.

(٢) سورة النساء، الآية ٣٣.

(٣) ينظر: ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات -بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج٣، ص٢٦٩٩.

(٤) ينظر: الحلبي، عبير سليم، البناء الأخلاقي للمجتمع في الوصايا العشر التوراتية والقرآن الكريم دراسة تحليلية مقارنة (رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لكلية الامام الكاظم (عليه السلام))، بغداد، ٢٠٢١ م، ص١١١.

(٥) سورة المطففين، الآية ١٤.

(٦) سورة الحاقة، الآية ١٢.

(٧) ينظر: مطهري، الفكر الإسلامي وعلوم القران، ص٥١.

(٨) ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، مقالات في الفكر الإسلامي، تعريب: خالد توفيق، ط١، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤١٥هـ، ص٤٤.

(٩) سورة الحج، الآية ٣١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المعرفة به)) [١]، لذلك يعد الاعتقاد من الضرورات التي تضمن التواصل مع الدين فبغير العقيدة العقيدة لا يكون تواصل حقيقي ولعله يكون ظاهري ، وبما أن العقيدة الزام القلب بالشيء فهي تعني الزامه بالإيمان الخالص والولاء للدين بصورة مستمرة، لأنها تعد القوة الروحية لدى المؤمن فهي ترسخ الإيمان بما اعتقد ولأن الدين يحتمل الغوص في سبر اغواره، فكان للفقه الحظ الأوفر به، ولأن مصادر الفقه هي القرآن والسنة والاجماع والعقل ، حيث يعرف الفقه ((هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد، ويسمى العلم بالأحكام فقهاً، والفقيه: الذي علم ذلك واهتدى الى استنباط ما خفي عليه)) [٢]، فقد((تم تخصصه بمعرفة الفروع في الفتاوى، والوقوف على دقائق عللها، واستكثار الكلام فيها ، وحفظ المقالات المتعلقة بها. فمن كان أشد تعلقاً فيها وأكثر انشغلاً بها يقال عنه: انه هو الأفقه)) [٣]، ولابد أن يكون ذلك من خلال العقل، فكانت الإشارة الى معرفة العقل هي بداية لكل معرفة، وهي المنطلق لكل بحث.

ب-علاقة العقيدة بالعقل:

لأن مصادر المعرفة العقدية لن تعرف إلا بالعقل ذاته أو آثاره وآياته ، ذلك لأن وجدان العقل ، هو الذي يوصل الى الحقيقة وتميزها عن الباطل ، لذا فقد عمل العلماء المسلمين والمفكرين على البحث والتنقيب في مباحث علوم التفسير والحديث للخروج بأجوبة تخدم الوجود الإنساني، وتقدم له الدلالات المعرفية التي تشرق له شمس المعرفة للحفاظ على الهوية الإنسانية وتبعده عن الشهوة الحيوانية التي تأخذه الى الضلال والانحراف عن الخلقة السوية التي جعلها الله تعالى منجاة للعباد من حبائل الشيطان [٤]، فقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام: ((من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنة)) [٥]. ولأنَّ الاعتقاد يلهم اليقين القلبي ، فكان لابد أن

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ط٣، الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت ٢٠١٤م/ ١٤٣٥هـ، ج١-٢، ص٣٤٤-٣٤٥.

(٢) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، ط١، الاميرة للطباعة والنشر–بيروت ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج٥-٦، ص٥٩٢.

(٣) الفيض الكاشاني، العلم...التفكر–العلم–العقائد، ط١، دار المحجة البيضاء–بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ص٥٩.

(٤) ينظر: المدرسي، محمد تقي، الفكر الإسلامي في مواجهة حضارية، ط١٠، مركز العصر للثقافة والنشر، – بيروت ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص٣٤.

(٥) الكليني، أطول الكافي ج١، ص١١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أن يكون بناءً على وجود سلسلة من الأصول العقدية والفلسفية المبرهن عليها سابقاً ، فتصير كشافاً ينير طريق الباحث، ويهديه الى النتائج المتسقة والمنسجمة والصحيحة [١]، وهي التي تكون نابعة من تعقل العقل الذي يعرف بأنه ضد الحُمق، وهو العلم بصفات الأشياء من حُسنها أو قُبحها، وكمالها ونقصانها، أو هو العلم بالخير والشر، أو مطلق الأمور أو هو القوة التي يميز بها بين القبح والحسن ولمعاني مجتمعة بالذهن يكون بمقدمات يستنتب بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه[٢] ، فيتوحد القلب والعقل للوصول للهدف المنشود. لذا فأن القلب يعد محل الادراك يدرك به الاحاسيس والمشاعر، أما العقل فهو الواسطة له [٣]، يقول تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ . [٤]
إذاً فإن المراد هو اليقين القلبي الذي يحمل مقدمات على أساس المشاهدة الحسية والتجريبية، أو ذلك الادراك العقلي المستند الى معرفة مسبقة وحسابات تاريخية مضبوطة، أو نص ديني أو الاثار الفكرية للآخرين فيبنى الحكم في المسالة المراد تثبيت نتائجها .[٥]

ت-علاقة العقيدة بالعلم:

لقد حث الإسلام على طلب العلم والمعرفة، فكان التفقه بالدين وعلى مستوى المعارف العقدية والاحكام الشرعية والتي تعد بمثابة القوانين العلمية فكان واحد من أهم العلوم الإسلامية التي تحافظ على ديمومة واستمرار المنهج الديني في المجتمع [٦]، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ .[٧]
فنلاحظ أن القرآن الكريم يتناول مسالة ربط العقيدة بالعلم بطريقة بلاغية جميلة تساعد القريحة الفكرية على الخوض في تفسيرات متنوعة ، والغاية من البحث فيها هي الوصول الى معرفة

---

(١) ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، مقالات في الفكر الإسلامي، ص٨.
(٢) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٧، ص٤١٧.
(٣) ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط١، منشورات ذوي القربى–قم ١٤٣هـ، ج ١–٢، ص٤٨١.
(٤) سورة البقرة، آية ٢٢٥.
(٥) ينظر: قسام، يحي سليمان، مسارات العقل في القرآن الكريم، دار العرب ودار نور حوران – دمشق ٢٠١٤م، ص١٢١.
(٦) ينظر: الطباطبائي، مقالات في الفكر الإسلامي، ص٥٦.
(٧) سورة التوبة، الآية ١٢٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أهمية الترابط العقدي والعلمي ومسوغات ذلك الأمر ، وهذا ما سنتعرف عليه من قوله تعالى:﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ (١)

يلاحظ عند قراءة النص القرآني المبارك جملة من المفاهيم، ومنها أن السورة بدأت بفعل أمر وهو يعطي أكثر من دلالة:

* منها الأمر بذكر الله تعالى بداية كل عمل كما هو في البسملة لربط العمل بالتوفيق والبركة والانجاز وعدم تعرضه للعوارض والاخفاق لما لها من أثر عظيم في رفع الحجب المادية عن فكر الانسان.

* ودلالة أخرى وهي، أنه تعالى يأمر البشر أن ينظر الى عظمة ما خلق ليدركوا ماهية امكانياته واعجازه لقدراتهم وحدود معرفتهم حيث يقول تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٢) ، يلاحظ قوله (عالم الغيب والشهادة)، حيث تعرف (عالم) لغوياً: بالصانع أي صانع كل شيء (٣)، فيأمر الله تعالى العباد أن ينتبهوا الى ما حولهم من الطبيعة والمخلوقات والاحداث بل كل شيء على أنها من صنعه تعالى .

* ودلالة أخرى بأنه تعالى يأمر الانسان أن ينظر الى كيفية خلقه ووجوده في هذه الدنيا حيث تنتقل الآية المباركة من الخلق على وجه العموم أي خلقه لكل شيء الى خلق الانسان على وجه الخصوص، فنرى الفائدة العلمية من جهة والفائدة التربوية من جهة أخرى ليتواضع الانسان وليعرف مقامه بالعبودية الى ربه الذي خلقة من طين لزج.(٤)

---

(١) سورة العلق، الآية ١-٨.

(٢) سورة الانعام، الآية ٧٣.

(٣) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٧، ص٤٧٨.

(٤) ينظر: قراءتي، تفسير النور، ترجمة: حسين صافي، مراجعة: محمد حسن زراقط، ط١، دار المؤرخ العربي- بيروت ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، مج١٠، ص٥٠٥-٥٠٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

* دلالة على أنه تعالى يأمر الانسان أن يتوجه بفكره الى كثرة كرم ربه فهو الكريم بل(الاكرم) أي لا يوجد من هو مثله بالكرم فكل شيء دونه، فقد كرّم الانسان واعطاه الخلافة على الأرض وهي أسمى المقامات.(١)

* دلالة على وجوب معرفة الانسان أن الله تعالى قد أعطاه سر العلم، وهو القلم الذي به يكتب ويحفظ فلا ينسى، فهو تعالى يشير الى كثرة كرمه بأنه أعطاه هذا السر العظيم، وعلمه كيف يمسك به ويلوج فيما خفي عنه من العلم، ويقوم على تطويره بما آتاه من فهم واستيعاب ودلائل، فلولا القلم ما حُفظ العلم وما تطور وما بقي شيء منه عبر السنين والازمان.(٢)

*وهنا الدلالة على أن الإسلام جاء ليثقف الانسان الذي لا علم له مما خلق الله تعالى الا بإرادته سبحانه، بالوحي الإلهي الذي هو منبع العلوم البشرية، ولو شاء ما اعطاه شيء من العلم، ولكنه أعطاه على قدر استطاعته التي وهبها إياه ليحمل من العلم على قدرها، وهذا دليل على تباين الناس بين النبي، والفقيه، والعالم الفلكي، والطبيب، والمهندس، وغيرهم .(٣)

وبعد كل تلك الإشارات من الخالق جلَّ وعلى يقول: ﴿ كلا إن الانسان ليطغى * أن رءاه استغنى* إن الى ربك الرجعى﴾، ولعلنا نستنتج مما سبق أهمية التوجه العقائدي الذي يملئ القلب إيمانا ويقينا بعظمة الخالق ومواهبة السنية التي يهبها للإنسان دون مقابل ، فيقابلها الانسان بأمر من أمرين أما أن ينسى ويغظ النظر عنها لكثرة انشغالاته بالحياة وزغرفها، فما يعود يلتفت الى من صنعه من علق ورباه وكساه العظم واللحم وكبره، أو أن يجحد بقدرة الخالق الأكرم الذي أعطاه وجملّه واغدق عليه، فميزه عن غيره بالرزق أو المقام أو المرتبة العقلية (٤)،﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ .(٥)

وعليه فإنه تعالى يذكر في القرآن الكريم القصص والامثلة لتكون مسلك من مسالك التقصي والتدارس والمتابعة للتوصل الى العلوم والمعارف، للحفاظ على المنظومة الإنسانية، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٦) . فإن التفكر في مسائل

(١) ينظر: قراءتي، تفسير النور، مج١٠، ص ٥٠٦.
(٢) ينظر: قراءتي، تفسير النور، مج١٠، ص ٥٠٦.
(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٠٦.
(٤) ينظر: قراءتي، تفسير النور، مج١٠، ص ٥٠٧.
(٥) سورة القصص، الآية ٧٨.
(٦) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

مسائل القرآن الكريم تفتح الافاق وتنير العقول، لأن للتفكر ثمرة وهي العلوم، والاحوال، والاعمال أما الخاصة فهي ثمرة العلم، فاذا حصل العلم في القلب تغير حاله وبالتالي تتغير اعمال الجوارح، فالعمل تابع للحال، والحال تابع للعلم والعلم تابع للتفكر والبحث . [١]

٣-المصاديق الفكرية للدور العقائدي الإسلامي وأثرها الاجتماعي

لعله من غير الممكن أن نحصي الكم الهائل من النتاجات الفكرية التي صدرت عن الجانب العقائدي في الشريعة الإسلامية، مع بعد المسافة الزمنية وتعدد الآراء واختلاف مشارب المدارس الفقيه، والذي نتج عنه اختلاف بالآراء الفكرية، ولكن من الممكن أن نبين كيف انتج الدور العقائدي مصاديق فكرية في يومنا هذا، فالمؤسسات الدينية ومنها المدارس والمكتبات والبحوث والمؤلفات في كافة اقطار البلاد الإسلامية العربية والغربية خير دليل على أثر الفكر العقائدي على المجتمع الإنساني، وكذلك الوجود المستمر للقيم والأخلاق والمبادئ الفطرية السليمة وإنْ كانت نسبية إلا أن المجتمعات لا تخلو منها ، والاجتماع في مجالس الذكر والتباحث في أمر الدين والدنيا، وعقد المؤتمرات الإسلامية، واحياء الشعائر الدينة والحث على التعايش السلمي بين الطوائف والأديان ، كلها مصاديق فكرية إنما تدل على سلامة العقيدة ، وخير مثال صلاة الجمعة وحج البيت الحرام التي ما انفك عن أدائها المسلمين لما فيها من وازع ايماني وارشاد وعظة وتنظيم اجتماعي واخلاقي ، فهي تحمل السمة الدينية لكونها تذكر بوجود الله وآياته في خلقه، ورعايته لهم ودوره في تنظيم حياتهم وتوجهاتهم بوجود الدستور السماوي وهو القرآن الكريم وما يحويه من معالجات فكرية وتنظيمات حياتية، فقد وضع الله تعالى لكل شيء قيمة وحساب ، وحكم بين عباده بالعدل والانصاف ، وعاقب الظالم، ولم يؤثر فرد على فرد، حيث جعل الثواب والعقاب وجهين لعدالته ، لذا فإن الإسلام وبأقسامه الثلاثة العبادات والمعاملات والأخلاق جاء ليحدث انقلاب في التصورات الفكرية وتقويمها مدى الحياة مهما تنوعت الأفكار وتغيرت فإنها إرادة الله تعالى الا أن يقود الإسلام الحياة. [٢]

ولعلنا نجمل المصاديق بما يلي من النقاط:

---

(١) ينظر: الفيض الكاشاني، العلم ...التفك–العلم–العقائد، ص٢٧٣.

(٢) ينظر: الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة، اعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، ط٢، نشر مجمع الثقلين العلمي–بغداد ٢٠٠٣م، ص٧٥–٥٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

١-إن المواد الدستورية والمحاكم الشرعية لا تخلو من قوانين الشريعة السماوية بل إنها الأساس فيها.

٢-يتكاثر في كل سنة عدد الحجاج الى بيت الله الحرام من المسلمين، بالإضافة الى مواقيت الزيارات للمراقد المقدسة وأهمها الزيارة الاربعينية للإمام الحسين عليه السلام.

٣-لا تخلو المدارس من المواد الإسلامية والتي تنطوي تحت ظلها مواد الأخلاق والاجتماع والمنطق.

٤-تعد العلوم الإسلامية والشريعة والقانون من العلوم التي لها أهمية كبيرة في الجامعات والمعاهد في العالم.

٥-النتاج الفكري الإسلامي الذي انتجه طلبة العلم والباحثين وينتجه على مر العصور، له الدور الأكبر في تدعيم الفكر القيمي في المجتمع.(١)

٦-وجود المدارس الإسلامية وتنوع مذاهبها هو أوضح مصداق على أثر العقيدة الإسلامية في المجتمع.

٨-ارتداء الحجاب من قبل المرآة السملة بكافة أنواعه يعد مصداق فكري عقائدي، فهي غير مجبرة على ارتدائه لولا أنها آمنت بحقيقة وجوده في الشريعة الإسلامية، وبأنه الملاذ الأخلاقي الأفضل للحفاظ على كرامتها وكيانها في المجتمع.

٩-الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الوطن والاهل والعرض والمال والمقدسات، أصدق مصداق للفكر العقائدي وله عظيم الاثر في المجتمع.

المبحث الثاني: الاختلافات الفكرية المعاصرة وأثرها على الهوية الإسلامية

تعد الاختلافات الفكرية المعاصرة بوصلة للتوجهات التربوية والأخلاقية والعملية، فمنها من يقود المجتمع الى الصلاح والفلاح، ومنها العكس وهذا ما سنناقشه في النقاط التالية:

١-سبب الاختلافات الفكرية المعاصرة

بعد ما تعرضنا له من نقاط أولية حول الفكر الإسلامي ومع الاخذ بعين الاعتبار البعد الزمني الذي مر على الشرائع السابقة، وازدياد اعداد البشرية والتقدم العلمي والحراك السياسي المزامن للأنظمة الدينية، والتوجهات العقائدية، والمنافسة الدنيوية، والطموح في الوصول الى

(١) ينظر: البهادلي، جواد أحمد، دروس في الفقه الاجتماعي، ط١، نشر مكتبة الابرار-النجف الاشرف، ص١٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

السلطة مع التوجه الى نظام العولمة وهو: ((فصل الدين عن الدولة))[١] ، والتوجه الى ((عقلنة أمور المجتمع وادارتها على أسس علمية))[٢]؛ تعد كلها أسباب أدت الى الاختلافات الفكرية الدينة كنظام يسود الحياة أولاً وكعقيدة تحفظ هذا النظام من الانهيار ثانياً، وكطابع اجتماعي مختلف عن غيره ثالثاً ، وللبحث في أوجه التغيرات التي حدثت في الفكر الإسلامي لابد من توضيح لأسس المسالك التي سلكها المفكرون، وهي:

١-الطريق الإلهي: وهو الطريق الذي يحتاج الى بصيرة ووعي لفهم العلاقة المفروض وجودها بين الخالق والمخلوق ، وبين المخلوق والمخلوق الآخر، وبين المخلوق وما حوله من الكائنات والطبيعة على وجه الأرض، مع وجود الاجرام والكواكب والشمس والقمر والسماء وغاية وجودها ، فالإنسان الذي له بصيرة يعرف معنى قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [٣] ، أي أنه مستخلف ومستأمن على ما في الأرض، وعليه أن يقود زمام الأمور للإصلاح دائما ليبقي على الوجود المشرق للحياة الروحية للإنسانية ولتزهر الأرض بالخير والبركة لأن الحياة في الأرض تبتدأ بوجوده وهو الذي يرث فيها فمن هو الوريث؟ هو الصالح، يقول تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [٤]، لذلك فإن غاية الانسان صاحب العقيدة الصحيحة الذي يكون قلبه مطمأن في اتخاذ قراراته في الحياة وأمام مغرياتها لأنه مليء بالإيمان، ويسعى جهده الى طاعة الخالق والامتثال الى أوامره والعمل بشريعته في كل زمان ومكان، وتحت أي ظرف من الظروف دون الانحدار الى مطامع الحياة والجهل والضلال، واعراضه عن موارد الحرام والموبقات التي تودي الى التهلكة والدمار الفردي والاجتماعي، فنراه متوجها دائما في نواياه الى رضا الله تعالى،﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [٥] ، ويعكس ذلك على عمله ليكون عنصر فعال ومفيد في المجتمع حيث قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

---

(١) المسيري، عبد الوهاب، عزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر، ط١، دار الفكر-دمشق ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص١٤.

(٢) يوسفيان، حسن، دراسات في علم الكلام الجديد، ترجمة: محمد حسن زراقط، مراجعة وتقويم: فريق مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي-بيروت ٢٠١٦م،٣٧٩-٣٨١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٠ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

(٥) سورة الرعد، الآية ٢٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا* إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (١).

يبين القرآن الكريم منهجاً واضحاً في الإصلاح فهو يبتدأ بالأسرة التي هي ركن أساسي من أركان بناء المجتمع، ويكمل وجه الإصلاح ليتعدى الى ذوات القربى والمساكين وابن السبيل، ويأمر بالاقتصاد ويبين عاقبة التبذير وهي القرب من الشيطان الرجيم وتبعات هذا الأمر معروفة، فإنها تفسد أخلاق المجتمع بما يثير من غرور وتعالي لدى البعض فيؤدي الى الغيرة والحسد لدى البعض الآخر، فنلاحظ أهم النقاط في مبدأ اصلاح الانسان هي اصلاح الذات أولاً ، والعمل وفق المنهج القرآني ليحقق التوافق بين رضا الخالق والمخلوق(الوالدين)، فيؤسس بذلك الى مجتمع صالح ، وهذا ما يقوم عليه العلماء والمفكرون المسلمون فهم ينشرون روح السلام والوئام والتلاحم والمودة فيما بينهم وبين أبناء المجتمع على وجه الخصوص وعلى وجه العموم فهذه هي فلسفة الإسلام وهذه هي مسؤولياتهم.

٢-الطريق المادي: هو الطريق الذي يتخذه الأشخاص الذين قصرت عقولهم عن استيعاب المعاني الحقيقية لوجود الحياة، فهم ينكرون المعلوم من الدين بالضرورة ، أي انكار المعلوم الذي لا يحتاج في اثباته الى دليل، لذلك فهم يُأسسون فكراً عقائدياً مختلفاً بعيد عن الفطرة، وقولنا هذا يشمل الملحدين والمشركين وأصحاب الديانات الوضعية، فهم يتبعون منهجا مخالفاً للفطرة، ولا يمكن أن نخرجه من مسمى عقيدة لأنهم اتفقت عقولهم وقلوبهم على ذلك، فإن آفاقهم الفكرية محدودة بالعالم المادي، فيجدون ما حولهم مصنوع من مادة وكل شيء يعطوه سبب مادي لوجوده (٢)، ويغضون النظر عن قوله تعالى:﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ

(١) سورة الاسراء، الآية، ٢٣-٢٧.

(٢) ينظر: هاشم، يحيى، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، ط١، دار الافاق العربية-القاهرة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٢١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ . (١)

ولعل مسببات هذا الأمر ليست غامضة؛ لأن أصحاب هذا المنهج عندما يريدون له الانتشار فإنهم يعملون على كسب الآخرين وبالدليل المادي لكي يلتحقوا بهم ويؤمنوا بأفكارهم وهذا لمصلحة دنيوية يبتغيها المؤسسون له، وهنا لابد لنا من وقفة مع أمران:

-الأول: السياسة الظالمة والمجحفة التي اتبعتها الكنيسة البابوية في العصور الوسطى وما سببته من فقر وجهل للشعوب الغربية ومن ثم الانقلاب الذي صار ضدها فحجم دور القداسة للخالق والعلاقة معه.

-وثانياً: عالم الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة ومباحثها الجدلية والبرجماتية والوضعية والمادية والوجودية التي أثارت التساؤلات ووجهت الشبهات حول العالم الميتافيزيقي، وماهية خالق هذا العالم ومسببات خلقه له من خلال مباحثها الحسية والتجريبية، تزامناً مع الحملات الاستكشافية الاستعمارية للبلاد الإسلامية التي حملت معها افكارها وتوجهاتها وثقافتها واضعفت الجانب الفكري الإسلامي لأنها حكمت بالسلاح والنار وجلبت معها افكارها الغربية الدخيلة ، مع ظهور التيارات الفكرية الماركسية والرأسمالية، والشيوعية، في قبال الجهود المضنية للمفكرين والمثقفين الإسلاميين التي كانت أحد أهم المقومات التي ساهمت في الحفاظ على الصبغة الإسلامية في الوطن العربي، لكنها تصادمت مع المد الهائل من المشاكل السياسية والاقتصادية وللأخلاقية؛ التي حاربت الفكر الإسلامي لما فيه من أصول ومبادئ قيمية تحافظ على الطبيعة الإنسانية المنظمة والمنتظمة في بنيانها الذي يخالف الاطماع الخارجية التي تسعى لنهش البلاد العربية لتبقى خاوية وضعيفة ومحتاجة دائماً الى الحماية الخارجية .(٢)

٢-تأثير الاختلافات الفكرية على المجتمع الإسلامي

١- إن وجود الاختلافات الفكرية في يومنا هذا حقيقة لابد منها في مجتمع تأثر بصدمات عديدة واحتك بثقافات متعددة واختلفت موارد التعليم فيه، فمنها الديني الذي اختص بالعلوم الإسلامية ، وعلم اللاهوت، ومنها العلوم الطبيعية والتي بدورها ابتعدت عن العلاقة مع الخالق وذهبت الى الصبغة المادية، ولا ننكر بأن تأثير التيارات الالحادية والتوجه الى نظام العولمة أثر بالغ الأهمية بالأخص إذا كان هذا نظام الحكومات المهيمنة على الساحة السياسية

(١) سورة الرعد، الآية ١٦.

(٢) ينظر: الصدر، محمد باقر، فلسفتنا، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر-النجف، ص١١-١٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

في العالم ، وذلك لنشر النظام الرأسمالي الذي يطالب بالحريات السياسية والاقتصادية والشخصية والفكرية ومن مجملها الحرية الدينية الذي يصب في مصلحة الدول التي تسعى للهيمنة على دول أخرى، فهو يسعى الى أن يعيش الناس أحراراً في معتقداتهم وعقولهم وأفكارهم ، فيكون تفكيرهم حسب ما يتراءى لهم ويحلو لعقولهم متماشين مع ما توحيه اليهم مشتهاتهم وأهوائهم ويتيح لهم الفرصة في الإعلان والدفاع عنها بدون عائق من السلطة، أي أن الرأسمالية تنادي بالحرية الفكرية بجانبها العقائدي، والحرية الشخصية بجانبها العملي، والذي يتصل بالشعائر والسلوك، وهذا ما دعَ الى ظهور عدد من المعتقدات الدخيلة على الفكر النظامي الذي هدفه الحفاظ على الوجود الإنساني القويم .[١]

٢- بالإضافة الى ظهور علم الاستشراق، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي، وهو الدراسة الغربية للعالم الشرقي، يدرسه دراسة متعالية وبعيدة عن المحور الإيماني والغرض الجوهري للشريعة الإسلامية، فعجت المدارس الاكاديمية العربية بنتاجات المدارس الاستشراقية الغربية التي يمتدحها البعض على أنها أخرجت كنوز علمية من التراث الإسلامي ويغض النظر عن التشويه الكبير للتاريخ والعقيدة الإسلامية، وطمس المعالم الاصيلة لهذا التراث وحقيقة التواصل الوجداني والعملي بين العبد وربه التي سعى الى تثبيت دعائمها الأنبياء والمرسلون والائمة والصالحون والقادة المسلمون الذين آمنوا بقضية اثبات الهوية الإسلامية أمام الموجات الفكرية الدخيلة، فصار التوجه الفكري العصري الاكاديمي نابع من نظريات استشراقية أو يبنى على أساس استشراقي إلا ما قل وندر، وليس الغرض مما سبق نقد الفكر الاستشراقي، وانما الإشارة الى التأثيرات الغربية على الفكر الإسلامي .[٢]

٣-كما أن نتائج التطور العلمي المزعوم أدى الى اكتشاف (نظرية الانفجار العظيم)، وهي النظرية التي جاءت لتتربع على عرش الالحاد، فتقول هذه النظرية بأن الكون بدأ بانفجار عظيم في لحظة ما من الماضي السحيق (منذ نحو ١٣,٧ بليون سنة)، حيث تكون المسافة بين المجرات المتجاورة مساوية للصفر، بمعنى أن العالم كان محصوراً في نقطة واحدة مفردة وحجمها

(١) ينظر: الصدر، فلسفتنا، ص١٤-١٦.

(٢) ينظر: سعيد أدورد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، ط١، دار رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة ٢٠٠٦م، ص٢٠٩-٢١٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

صفر [١]، فيقول العلماء فيها أن درجة حرارة تلك الكتلة غير متناهية في بداية الانفجار؛ وهو ما أدى الى الانفجار الذي منه نشأت الخليقة .[٢]

إن وجود هذه النظرية هي نتيجة حتمية للتطور الفيزيائي الذي توصل اليه العلم، والذي صاحب الفراغ الإيماني بخالق هذا الشي وفاعله، فأتخذها البعض ذريعة للتوجه الى أن العالم تكون من هذا الانفجار بسبب فيزيائي لا بسبب خالق ومبدع هذه الفيزياء، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٣].

كذلك نظرية التطور الذاتي: وهي ((أن الكون مؤلف من المادة ، والمادة مؤلفة من الذرات، ومن هذه المادة ظهر كل ما في الكون من أحياء وغير أحياء، وحركة العالم هي حركة تطور دائم، يبتدئ من أبسط الذرات وينتهي الى أرقى الكائنات، فهذه الكائنات كلها، حيها وجمادها، تتألف من عناصر واحدة، لا فرق في ذلك بين حي وغير حي، لأن عناصر المواد العضوية موجودة بذاتها في المواد غير العضوية))[٤]، ولا تخلو الساحة العلمية من نظريات هنا وهناك ، وهم بذلك يتركون علة هذا الوجود ومُبدعه وينسبوه اليهم كإنجاز لاكتشافه، فبدأت الفكرة تأخذ صداها في العالم الغربي، وكان لابد من أن يتم تناولها في العالم العربي الإسلامي على وجهين:

–الأول هو الترويج لها للتخلص من الالتزامات الأخلاقية اتجاه خالق الكون، والسير خلف الملذات والشهوات والشهرة وغيرها من مغريات الحياة، ويغضون النظر عن قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ .[٥]

– والثاني هو تفنيد هذه النظرية بالدلائل النقلية والعقلية لأثبات أن الصانع للكون هو الله تعالى وكل شيء مخلوق له وحده جلَّ وعلى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ

---

(١) ينظر: هوكينج، ستفن وليونرد ملوندينوف، تاريخ أكثر إيجازاً، ترجمة: أحمد عبد الله السماحي وفتح الله الشيخ، (د.ن)، ص٧٠

(٢) ينظر: الخفاجي، طالب ناهي، نظرتنا المعاصرة الى الكون، وزارة الثقافة والاعلام – السلسلة العلمية (٨) ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨١م، ص٢٠ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

(٤) الموسوي، ثائر، وجود الله في ضوء العقل والفلسفة والعلم الحديث، ط١، دار المرتضى –بيروت ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص٤٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٩١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

كُن فَيَكُونُ﴾ [1] ؛ فكيف للطبيعة أن تُنتج حياة دون إذن من ربها الذي خلقها واوجدها من العدم، بل من أين لها ذلك؟ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [2].

لذلك وبينما العالم يعج بالتطورات الفكرية والتعددية المذهبية الدينية والعلمية وفي خضم التطور التكنولوجي وظهور ايدولوجيات عديدة يتبناها البعض، فتداخلت الاعراف والعادات والتقاليد لأسباب عدة ذكرنا مجملها وهو الاستعمار والعولمة والغزو الفكري والحضاري ولسنا ببعيد عن التغيير الديموغرافي والذي أدى الى تداخل العادات والتقاليد بين العرب انفسهم من خلال الاضطرار للهجرة من مكان الى مكان فانتقلت تلك العادات والتقاليد والمنهجية الفكرية معه وفُرِضت على الآخر، وهذا الاندماج الذي أدى الى الازدواج في الأفكار والمعتقدات كلها ساهمت في أن تظهر على الساحة الفكرية والعقائدية نتاجات جديدة تواكب الانحراف العقائدي، والانحدار الأخلاقي الذي يروج له البعض بأنه تطور اجتماعي .

٣-معالجة الاختلافات الفكرية في ضل الشريعة الإسلامية

إن كل ما سبق ساهم في صناعة فكرية جديدة قد لا تكون معتمدة على الاصول الدينية الأولى التي تمسك بها العلماء والمفكرين الإسلاميين القدماء، ولكنها تصب في مصلحة الإسلام لكونه قانون وحياة، فظهر على الساحة الفكرية الإسلامية عدد من المفكرين الذين اضافوا الى التراث الإسلامي نتاجهم العلمي فظهرت علوم إسلامية جديدة منها:

١-علم الاستغراب، وقد نشأ لمواجهة التغريب الذي امتد أثره الى الحياة الثقافية وتصوراتنا للعالم وهدد استقلال العرب الحضاري، فأمتد الى الحياة اليومية ونقاء اللغة العربية، فنلاحظ أن كل كلمة عربية تتجاوز عقدة نقصها من خلال إلحاقها بكلمة غربية فضاعت اللغة الفصحى وازدوجت بالعامية، وهذه واحدة من أهم النقاط التي باعدت بين الشعور بالمسؤولية اتجاه العقيدة الدينية وبين التطبيق الأخلاقي للعقيدة ؛لأنها باتت موضوع صعب استيعابه لدى العامة من الشعوب أو الأغلب الأعم من الناس لأنهم مع سرعة التطور والتوجه العارم لكل جديد في العلوم أو الحياة كلها طرق باعدت بين استيعاب العقل للأمور الدينية وبين الحضور الوجداني للحياة

(١) سورة البقرة، الآية ١١٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.

ومفاهيمها الحقيقة، فالاستغراب هو الوجه الآخر والمقابل والنقيض من الاستشراق، فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا(الشرق) من خلال الغرب، فإن علم الاستغراب يهدف الى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر(الغرب) . [١]

فإذا كان الاستشراق هو دراسة الحضارة الإسلامية من قبل باحثين ينتمون الى حضارة أُخرى ولهم ميول أو توجه شعوري مخالف لبناء الحضارة التي يدرسونها فإن الاستغراب هو العلم المضاد له أي هو دراسة للحضارة الغربية ليظهر ذلك وعينا بهذا العلم ومادته الأساسية فيزول الخطر الماثل من اعتبار الحضارة الاوربية هي مصدر كل علم [٢]، وبذلك يتم إزالة المد الاستعماري الثقافي الغربي الى العالم العربي على وجه العموم والعالم الإسلامي على وجه الخصوص، وليتمكن من أعادة بنيان فكره الحضاري وطابعه الأخلاقي في مجتمعه بالشكل الذي يتناسب وهويته العربية وتاريخه وعلومه الاصيلة دون الانجذاب أو التبعية الى أي جهة خارجية.

٢- كذلك فقد ظهر على الساحة العلمية علم الكلام الجديد، وهو من العلوم التي تعيد إحياء الفكر الإسلامي بالشكل العصري الذي يتناسب مع العقلية العلمانية أو العقلية التي شوهتها الثقافة الغربية ليعطي إجابات صريحة وواضحة تردع المد الغربي وتؤسس لفكر عصري إسلامي يتوافق مع المبدأ الأساسي في هذا الفكر من خلال إعادة احياء التراث الإسلامي والتواصل معه بالأدوات العلمية الحديثة لإخراج الكنوز العلمية والثقافية والحضارية التي فيه ، وللتوصل الى اكتشافات أكبر تساهم في تطور الحياة الاجتماعية الإسلامية، وكل ذلك داخل اطار النظام الأخلاقي الذي جعله الله تعالى فيها.

لذا فإنه علم يختص بقراءة جديدة من خلال التجديد في المسائل بمعنى توالد مسائل جديدة نتيجة للأسئلة المستحدثة، والتي ينجم عنها نمو وتطور علم الكلام نفسه فيؤدي ذلك الى التجديد في المناهج أي التحرر من المنهج الأحادي، والتوجه الى مناهج متعددة في البحث الكلامي منها الهرمنيوطيقا (علم التأويل)، والسيمائية، والتجريبية، والبرهانية، بالإضافة الى ظواهر النصوص، والمسائل التاريخية [٣]

---

(١) للاطلاع أكثر على علم الاستغراب ومعرفة مفاصله واركانه ينظر: حنفي، حسن، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع – القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٢٢-٢٩.

(٢) ينظر: حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص٣١.

(٣) ينظر: الرفاعي، عبد الجبار، مقدمة في علم الكلام الجديد، ط٢، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع- الخرطوم ٢٠٢١م، ص٧٣-٧٤.

فهو علم الكلام الجديد في قبال علم الكلام القديم أو علم العقيدة، قد اتخذ عدة مجالات منها:

– الأول: التجديد في قراءة الوحي والخطاب الإسلامي، فمثلاً هنالك من جدد في القراءة القرآنية من خلال محاولاته الجادة في تفسير القرآن، وتوضيح مسالة التوحيد بشرح علمي جديد، أي على ضوء العلوم الحديثة مثل الفيزياء والفلك والكيمياء والرياضيات وغيرها، وعليه يتم اصدار فتاوى تصغي لإيقاع العصر، فهو اصلاح يهتم بالمسائل الفقهية والتفسير دون المساس بجوهر العقيدة التي تشمل القضايا الايمانية المتعلقة بعلم الكلام القديم.(١)

–الثاني: الخروج من الاهتمام بقضايا وجود الخالق عز وجل وصفاته والنبوة والمعاد الى نطاق أوسع يستوعب القضايا الموجودة في النصوص المقدسة منها الناظرة الى الواقع ومنها الناظرة الى الأخلاق والقيم .(٢)

–والثالث: التجديد باللغة لصعوبة القديمة لما تحمل من الغاز ومعاني عميقة لا تعطي الاستيعاب الكامل لها والغاية منها في وقتنا المعاصر؛ وذلك بسبب ما ذكرناه سابقاً من تأثيرات خارجية والتطور التقني الذي ادخل عليها مفردات جديدة لها معاني مختلفة؛ فكان لابد من لغة حديثة تستقي من المكاسب الجديدة للمعارف والعلوم والفنون والآداب، وتعبر عن الفهم الجديد للطبيعة الإنسانية وحقوق وحريات الانسان .(٣)

٣–كما تحددت المعالجات الفكرية للنظريات الالحادية في ظل العقيدة الإسلامية بأدلة قطعية وهي: البراهين الموصلة لليقين العقلي والقلبي من خلال دلالات قطعية وثابتة وهي:

ا–الدليل العقلي: وهو الذي يعتمد على المعارف الأولية أو البديهيات، وهي أن لكل عله معلول أو لكل حادث محدث .(٤)

ب–الدليل الفلسفي (الإسلامي): وهو الذي يقول بأن العالم بمختلف أجزاءه في حالة ترابط وتماسك يؤثر بعضه في بعض في داخل نظام شامل دقيق محكم، وهو يتأثر بدوره بمجمله

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص٧٣–٧٤؛ أمين، أحمد، التكامل في الإسلام، دار المتقين–بيروت ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج٢، ص٢٥١

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٧٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٧٥.

(٤) ينظر: الموسوي، وجود الله في ضوء العقل والفلسفة والعلم، ص٤٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

بالقدرة العليا الخالقة له والموجهة بالاتجاه المطلوب. وقد قامت هذه الفطرة على أساس الايمان بمبدأ العلية العام .[١]

ج-الدليل العلمي: وهو الذي يأخذ من العلم وما اكتشفه وما يتوصل اليه أساساً له في المباحث الفكرية التي ترد شبهات الالحاد التي تزامنت مع التطور العلمي .[٢]

٤-وفي الكلام عن استحداث الوسائل المعالجة للانحرافات الفكرية في ظل الشريعة الإسلامية، لعلنا نجد ضالتنا في الفقه الاجتماعي. فبما أن الفقه يأخذ أحكامه من الدين والشريعة، فهو كالجسر يوضع بين يدي البشر لتلبية احتياجاتهم خصوصاً مع التطورات التي طرأت على الساحة الاجتماعية، وبما أن الفقه لديه القدرة على الاستجابة وإعطاء الحلول، فكان لابد من تشكيل علوم فقه تخصصية، فكان فقه المجتمع واحد من هذه الحالات [٣] ، حيث نستدل على أهمية هذا العلم من قول النبي الاكرمﷺ ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) [٤]، فهو يوجه انظار العالم الى سببين للنجاة من فتن آخر الزمان ، لينهلوا من مناهل العلم التي وضعها الله تعالى بين أيديهم فلا حجة لهم بعد ذلك، فهو ﷺ يقول (لن تظلوا بعدي)، ولعل القصد من الظلال هو ما يعانيه المجتمع الإسلامي اليوم من كثرة الانحرافات وشيوع الظلم والتوجه بقوة الى مغريات هذه الدنيا الدنية، فكانت الفائدة من القرآن والسنة أو العترة الطاهرة التي حملت لواء السنة النبوية والعلوم الإسلامية حتى قيام الساعة ، فمهما طال الزمن فهذا لا يعني انتفاء الحاجة من الشريعة لانقضاء مدتها وزوال فائدتها ؟ بل أنها متجددة في اصالتها باقية في قوانينها لأنها الدستور الإلهي ، ويضيف على ذلك قول الامام الصادقعليه السلام: ((كل علم لا يخرج من هذا البيت فهو باطل، وأشار بيده الى بيته، وقال عليه السلام: لبعض أصحابه: إذا أردت العلم الصحيح فخذ عن أهل البيت فإنا رويناه وأُتينا شرح الحكمة وفصل الخطاب، إن الله اصطفانا وآتانا مالم يؤت أحداً من العلمين)) [٥]، فالفائدة من الفقه الاجتماعي أن له نظرة موضوعية تخصصية ، وهو يمضي قدماً نحو عالم من القوانين والمعادلات الاجتماعية، وهو بذلك يغني

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٧٦.

(٣) ينظر: البهادلي، دروس في الفقه الاجتماعي، ص١٧٢.

(٤) الفيض الكاشاني، العلم... التفكر-العلم-العقائد، ص١٥٣

(٥) المصدر نفسه، ص١٦١

ISBN: 978-9922-21-412-2

عن أي حلول اجتماعية أخرى قد لا تجدي نفعاً ولا تعطي حلولاً تناسب البيئة الاجتماعية الإسلامية ؛ لكون الفقه يتعامل مع العلاقات الكامنة في المجتمع والافعال التي تحكمها، وهو يستند الى القرآن والسنة النبوية فالغاية منه، هو أن الفقيه ينظر الى الأُمة ويجعلها نصب عينيه عند استنباط الحكم الشرعي وليس الفرد، وذلك لأن الأُمة لها كيانها ووجودها الجمعي ولها أحوال متباينة من الصلاح والفساد والانحطاط والازدهار [١]، حيث يقول تعالى:﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . [٢]

فإن الفقه الاجتماعي واحد من العلوم الإسلامية التي اهتدت لشقِ طريقِ الحلول للازمات الاجتماعية والأخلاقية التي يعاني منها المجتمع الإسلامي في الوقت الحاضر لكونه يتعامل مع الركائز الاجتماعية وما يوجد بينها من علاقات وارتباطات ، وأهم هذه الركائز هي الاسرة والاقتصاد، والتربية والتعليم، والحقوق، والحكومة، فكان لابد من حلول شرعية للمعالجات الفكرية ليكون التطبيق بالشكل الذي يعطي النتائج الفعلية للغاية المراد الوصول اليها، أما قوله تعالى (ولتكن) فأنها تدل على فرض كفاية لا فرض عين فلم يقل ولتكونوا، والغاية من الإشارة هو إمكانية حصول العلم والمعرفة والهمة للتصدي لهذا الأمر لدى البعض وليس الكل فكان لزاماً عليهم تشخيص مشكلات العصر ومواجهتها بالحجة البائنة . [٣]

فإن مواجه الالحاد ومذاهبه تستوجب التمسك بالدين وليس أي دين وانما ما أختاره الله تعالى ليكون الخاتم والشامل في معالجة الفتن والأزمات التي تعصف بالمجتمع، حيث يقول النبي ﷺ: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء. فقيل: ومن هم الغرباء يا رسول الله؟ قال ﷺ : الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي)) [٤]، فإن هذه التحديات قد أخبر بها النبي الأعظم الذي لا ينطق عن الهوى، وهو بذلك يلقي الحجة على جميع العباد الذين يسيحون في اقطار السماوات والأرض دون دراية وتعمق ومساس بجوهر

(١) ينظر: البهادلي، دروس في الفقه الاجتماعي، ص١٧٤-١٧٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٣) للاطلاع أكثر على المعالجات الفكرية الإسلامية ينظر: اليزدي، محمد تقي مصباح، النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ،
تعريب: محمد عبد المنعم الخاقاني، ط١، دار الروضة -بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص٣٦١-٤١٨؛ الفيض الكاشاني، المسؤوليات الاجتماعية -اداب الصحبة – العزلة – السفر-الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٢٧٤.

(٤) الفيض الكاشاني، ص٦٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

العلوم التي يتعاملون معها، فنراهم يذهبون لتفحص ودراسة المواد التي بدأت بها الخليقة وهم ينكرون خالقها، فالأولى لهم أن يتفكروا بإبداع خالقها ويتفكروا في فن صناعتها على أن يطلقوا العنان لمخيلتهم في وضع نظرياتهم الواهمة، عرفاناً وولاءً للذي وهبهم العلم والعقل فعن النبي ﷺ : ((تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره) [١]. وفي رواية عنه ﷺ: ((أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون، فقال: تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه، فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها، مسيرة الشمس أربعين يوماً، بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين، قالوا : يا رسول الله فأين الشيطان عنهم. قال: ما يدرون خلق الشيطان أم لا ، قالوا: من ولد آدم. قال: لا يدرون خلق آدم أم لا)) [٢]، وبذلك قول صريح عن أن الإسلام لا يحمل جهلا أو ظلال وليس متقوقعاً على نفسه بل أنه يحث على السعي والبحث في جميع اقطار الأرض ويبين أن هنالك عوالم متعددة في طبقات الأرض قد ترى وقد لا ترى وانما وجب على الذي تصدوا لعالم العلم والمعرفة البحث في أدوات التمكين والوصول لمعرفتها، وإذا لم يكن بالإمكان معرفة وإيجاد هؤلاء القوم الذين تكلم عنهم النبي، فلما أخبر عنهم وعن مكانهم؟

٥- وأخيراً فإن مسالة الانتظار لقائد أخر الزمان، وهو الامام الثاني عشر والأخير الذي يعرف بـ(صاحب العصر والزمان) الذي بشر به جده النبي محمد ﷺ الذي يحكم بالعدل ويزيل ظلمة الجهل بنور علمه ويهدي الناس الى طريق السراط المستقيم، والخطاب الذي ينادي به الائمة المعصومين وقد سبقهم اليه الأنبياء والرسل؛ يعد مبحث من المباحث الفكرية التي تغذي العقول المتحيرة والاهواء المتغيرة، فتلزم العاقل بالحجة وتقصم شوكة الهوى والظلالة، وتوضح المنهج الإسلامي القويم الذي يقول بأن الأرض لا تخلوا من حجة يحمل لواء الإسلام والنظام والعدالة الإلهية، فيحي الشريعة من جديد في عالم اصبح به الإسلام غريب، فإن البحث والتنقيب في دور هذا القائد وكيفية وجوده حي منذ (١١٨٩) عام والذي يعتبر خرق لقوانين الطبيعة، كما أن تنقله بين اقطار الأرض والدول والأماكن يثير جملة من التساؤلات، هل يكون ذلك بوسيلة معينة كما في بساط النبي سليمان عليه السلام، أم مشياً فتطوى له الأرض كما في حادثة طوي الأرض لأمير المؤمنين علي عليه السلام عندما أراد أن يدفن الصحابي أبا ذر الغفاري، وماهية مشروعه الإصلاحي ومدته ومن الذين سيكونون قادة لجيشة، وغيرها من أمور خارقة للطبيعة التكوينية

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٦٧-٢٦٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

للأرض؟ فالكلام هنا عن البعد العقائدي المرتبط بالعالم الغيبي ومسائله الزمنية والمكانية في الأرض، لذلك فإن ما جاءنا من الغرب هو تغريب للعقيدة الإسلامية، ومحي لهويتها العلمية والعقلانية والوجدانية ، وما يجتهد على عمله العلماء والفقهاء المخلصين للدين والشريعة السماوية إنما هو للحفاظ عليها، فهم كالمزارع الذي يحافظ على زرعه من النباتات الغريبة التي تظهر بين زرعه بين فترة وأخرى فيقلعها ليحافظ على زرعه، وفي حديث عن الامام علي بن محمد عليهما السلام: ((لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا من العلماء الداعين إليه والدالين عليه، والذائبين عن دينه بحجج الله تعالى، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك ابليس–لعنه الله– ومردته، ومن فخاخ النواصب ، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله تعالى ، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها ، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل))[1] ، فالفكر الإسلامي قابل للتجدد الفكري والتنوع العلمي والمواجهة، وتفنيد كل جديد مخالف له وللطبيعة الفطرية التي خلقها الله تعالى، فيما لو قرء قراءة صحيحة. فقول إن الأرض لا تخلو من حجة أنما حجية العلم التي يتمسك بها الفقهاء والعلماء للحفاظ على القيم والمبادئ الإسلامية انتظار لظهور صاحب الامر ليعيد احياء الشريعة الإسلامية كما يرديها الله تعالى وليس كما يريدها البشر.

الخاتمة والنتائج

خلق الانسان ليعمر الأرض وليبحث دائما عن الوسائل والحلول التي تأخذه الى بر أمان يحفظ له كيانه ومجتمعه، لذا فإننا اجتهدنا أن نضع نزر بسيط من الحلول في عالم الفكر والعقيدة والتي هي ليست من بنات افكارنا وإنما منهج وضعه الله تعالى للعباد، فإن ساروا عليه وفقوا لكل خير وإن انحرفوا عنه فانهم في ظلالٍ بعيد وفي هاوية جهنم وباس المصير. اعاننا الله في بعض الحلول ولعلها تجدي نفعاً للمجتمع ولطلاب العلم وتكون مفتاحاً يفتح لهم أبواب العلم والمعرفة لوضع حلول مستقبلية هي أفضل مما كتب في هذا البحث:

١- ابتكار الوسائل العلمية الحديثة في التوجيه الاسري مهم جداً في صناعة الشباب الواعي، مع تبيان أهمية هذه المؤسسة وفاعليتها في المجتمع حاضراً ومستقبلاً ، وتسليط الضوء على هذا الامر اعلامياً.

٢- توفير فرص العيش للشباب مع التوعية المستمرة للحفاظ على الكسب الحلال وتنمية الوازع الايماني لديهم لتجنب الانحراف.

---

(١) الفيض الكاشاني، العلم...التفكر–االعلم–لعقيدة، ص٢١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٣- العمل على تثقيف الشباب وتنويرهم من خلال البحث والتقصي في علوم أهل بيت النبوة وطرحها على مشاكل العصر العلمية والاجتماعية والأخلاقية

٤- إيجاد أرض وخلق فرص للتجارب العلمية الفزيائية والفكية والكيميائية للمتميزين في هذه المجالات والاعلان عنها مع ربطها بما خلق وأبدع خالقها، وكيف أنها خلقت لتفيد الانسان في حياته، وكيف أن استثمارها والعمل على استخراج الجديد المفيد منها انما هو وجه من أوجه العبادة والتواضع والشكر لله تعالى على نعمه

٥- العمل على تقوية العنصر الإعلامي والاعلاني للفكر الإسلامي والدعوة المستمرة الى المناظرات البحثية والبحث في ادلة وجدود الله تعالى في إطار الفكر الإسلامي بأدواته الحديثة

٦- إعطاء جوائز قيمية ومعنوية كبيرة تشد الانتباه تثميناً للجهد العلمي، وذلك لكسب الشباب

٧- تنمية الشعور بالمسؤولية اتجاه الدين وتوضيح مسألة وسطية الإسلام لضمان عدم المغالاة في التعامل معه، وعدم الابتعاد عنه

٨- العمل دائما على توعية المجتمع الإسلامي بأن التدخلات السياسية والفكرية للحكومات الغربية أنما لفائدة تعود للغرب على حساب المجتمع الإسلامي لكون السيادة العقائدية والسياسية هي للإسلام فما فائدة بث الثقافة الغربية في اوساطه الاجتماعية؟

٩- توضيح مسالة أن الدين عند الله هو الإسلام فأي توجهات فكرية أخرى هي دخيلة على المنهج الرباني، فلا وجود للديانة الإبراهيمية التي ينادي بها ساسة الغرب، لكون القرآن هو الحاكم والإسلام هو الدين الخاتم لما قبله من شرائع كانت ممهدة له.

١٠- العمل على احياء التراث الإسلامي وتوضيح مسألة التجديد الفكري به بطرق علمية متعددة فقهية واكاديمية وإعلامية تصب في صالح اصلاح المجتمع في إطار الشريعة، فما عجز القرآن والسنة عن إيجاد الحلول المطلوبة في كل زمان

١١- يعد الانترنت سلاح ذو حدين، لذا وجب التنبيه والتثقيف بل تكثيف التثقيف حول الية استعماله والاستفادة منه لرفع مستوى الذكاء وللاطلاع على النتاجات العلمية في العالم وعرضها على الفكر الإسلامي ومقارنتها واخذ العبرة منها والتمييز بين فائدتها أو عدمها للمجتمع الإسلامي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أمين، أحمد، التكامل في الإسلام، دار المتقين-بيروت ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
٢- أمين، أحمد، فجر الإسلام، ط١٠، دار الكتاب العربي-بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
٣- البهادلي، جواد أحمد، دروس في الفقه الاجتماعي، ط١، نشر مكتبة الابرار-النجف الاشرف.
٤- حنفي، حسن، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع – القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٥- الخفاجي، طالب ناهي، نظرتنا المعاصرة الى الكون، وزارة الثقافة والاعلام – السلسلة العلمية (٨)، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١م.
٦- الرفاعي، عبد الجبار، مقدمة في علم الكلام الجديد، ط٢، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع-الخرطوم ٢٠٢١م.
٧- الزبيدي، تاج العروس، الزبيدي، مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: نواف الجراح، مراجعة: سمير شمس، ط١، دار صادر-بيروت ٢٠١١م.
٨- سعيد، أدورد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، ط١، دار رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة ٢٠٠٦م.
٩- الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة، اعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، ط٢، نشر مجمع الثقلين العلمي-بغداد ٢٠٠٣م.
١٠- الصدر، محمد باقر، فلسفتنا، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر-النجف.
١١- الطباطبائي، محمد حسين، القرآن في الإسلام، ط١، مؤسسة المحبين للطباعة والنشر-قم ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
١٢- الطباطبائي، محمد حسين، مقالات في الفكر الإسلامي، تعريب: خالد توفيق، ط١، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤١٥هـ.
١٣- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط١، منشورات ذوي القربى-قم ١٤٣٠هـ.
١٤- الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، ط١، الاميرة للطباعة والنشر-بيروت ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
١٥- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات الشريف الرضي.
١٦- الفيض الكاشاني، العلم...التفكر-العلم-العقائد، ط١، دار المحجة البيضاء-بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٧- الفيض الكاشاني ، المسؤوليات الاجتماعية -اداب الصحبة – العزلة – السفر – الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط١، دار المحجة البيضاء-بيروت ١٤٢٦/ ٢٠٠٥م.
١٨- قراءتي، محسن، تفسير النور، ترجمة: حسين صافي، مراجعة: محمد حسن زراقط، دار المؤرخ العربي-بيروت ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
١٩- قسام، يحي سليمان، مسارات العقل في القرآن الكريم، دار العرب ودار نور حوران – دمشق ٢٠١٤م.
٢٠- الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ط٣، الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت ٢٠١٤م/ ١٤٣٥هـ.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢١- المدرسي، محمد تقي، الفكر الإسلامي في مواجهة حضارية، ط١٠، مركز العصر للثقافة والنشر، – بيروت ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٢- المسيري، عبد الوهاب، عزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر، ط١، دار الفكر–دمشق ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

٢٣- مطهري، مرتضى، الفكر الإسلامي وعلوم القرآن الكريم، ط١، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٤- المطهري، مرتضى، مدخل الى العلوم الإسلامية المنطق–الفلسفة–الكلام–العرفان–الحكمة العملية– الأصول –الفقه، ترجمة: حسن علي الهاشمي، مراجعة: عبد الجبار الرفاعي والسيد علي مطر، ط٣، دار الكتاب الإسلامي ١٤٢٧هـ ق/ ٢٠٠٦م.

٢٥- الموسوي، ثائر، وجود الله في ضوء العقل والفلسفة والعلم الحديث، ط١، دار المرتضى –بيروت ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٢٦- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات –بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م،

٢٧- هاشم، يحيى، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، ط١، دار الافاق العربية–القاهرة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٨- هوكينج، ستفن وليونرد ملوندينوف، تاريخ أكثر إيجازاً، ترجمة: أحمد عبد الله السماحي وفتح الله الشيخ، (د.ن).

٢٩- اليزدي، محمد تقي مصباح، النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ، تعريب: محمد عبد المنعم الخاقاني، ط١، دار الروضة –بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٣٠- يوسفيان، حسن، دراسات في علم الكلام الجديد، ترجمة: محمد حسن زراقط، مراجعة وتقويم: فريق مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي–بيروت ٢٠١٦م.

الرسائل والاطاريح

٣١- الحلبي، عبير سليم، البناء الأخلاقي للمجتمع في الوصايا العشر التوراتية والقرآن الكريم دراسة تحليلية مقارنة (رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الامام الكاظم (عليه السلام))، بغداد، ٢٠٢١ م.

ISBN: 978-9922-21-412-2

دور الفكر الإسلامي في مجابهة التحديات المعاصرة

أ.د. ساجد صبري نعمان/كلية العلوم الإسلامية/الجامعة العراقية
Dr.sagid1967@gmail.com
أ.م.د. عمار باسم صالح/كلية العلوم الإسلامية/جامعة بغداد
Amar.saleh@cois.uobaghdad.edu.iq

المقدمة

إن النفس الإنسانية هي الأرضية التي تدار عليها رحى معركة الاستقطاب بين تجاذبات وتنازعات عديدة، وهي معركة عنيفة وصراع مرير. فتلك هي حقيقة الدنيا استقطاب حادّ بين التجاذبات.

إن تأريخ البشرية مؤسف منذ أن هبط آدم وبنوه إلى الأرض، وشب بهم الزمان واطرد بهم العمران ، منذ ذلك الزمن السحيق والناس أخلاط متنافرون لا تستقيم بهم الحياة يوما إلا شردت أياماً ولا يعيشون في ظلال الحق حينا إلا أطبقت عليهم ظلمات الباطل أحيانا .

العالم الذي نعيش فيه عالم مخمور مدة سكره قد طغت على مدة صحوه ، الناس فيه سكارى وما هم بسكارى ، يهذون ولا يدرون، حيارى ولا يهتدون. هذا هو حال سكان الأرض كلما اشتدت بهم الأيام ، نفس الله ذلك الكرب وفرج تلك الشدة ببعثة نبي ذلك الزمن وكان حلا لكل مشكلة تواجه الذين عاصروه .

لقد كان هذا البحث محاولة لفهم الاسباب التي تدعو الى مواجهة التحديات المعاصرة والأسس الرئيسة للمعرفة التي قامت عليها نهضتنا –نحن المسلمون– في السابق ونهضة الغرب في العصر الحديث، لعله يكون في مكنتنا أن نبعث تلك الروح المَفكِّرة المبدعة الخلاقة التي لم تقف عند حد ولم تر عوائق مَحرِّمة ومَجرِّمة للبحث العلمي ورجالاته.

اكد البحث على انه لا بد من حركة جادة وعمل كبير لدعاة العمل الإسلامي والفكر الإسلامي من التصدي لكل المحاولات التي تريد ان تحط من قيمة الفكر الإسلامي وتحاول أن تزيحه عن الوجود.

ذلك أنَّ المصطلح يُستخدم في كثير من الأحيان ليعني أنَّ شخصاً ما موسوعياً في معرفته وثقافته؛ لأنَّه يُلمُّ بكثير من العلوم، ولو كان إلمامُه من باب الثقافة العامة وليس المعرفة التخصصية، ففي هذا السياق يجرى التنْوِيهُ عن بعض علماء المسلمين الذي اتصفوا بضرورة مواجهة التحديات وفق التفكير المعرفي والذي اصبح حاجة ملحة.

لذلك أصبح من غير الميسور على العالِم الواحد أن يتخصَّص في أكثر من علم، بل إنَّ العلم الواحد قد تجزّأ إلى علوم فرعية لا يكاد العالِم يتقن واحداً من هذه الأجزاء، وربَّما كانت ظاهرةُ التخصص في علم واحد والتفرغ له ظاهرةً حديثة في التاريخ الإنساني، بسبب التوسُّع الكبير الذي طرأ على المعرفة البشرية، ومن هنا وجب التأكيد من باب استفادة علوم المجال النصي من علوم المجال الكوني والإنساني فحسب، بل من باب إمداد تلك العلوم الأخرى بأدوات ومناهج وكليات المعرفة العلمية في شتى المجالات .

حاول البحث إبراز أوجه ومقومات المعرفة الفكرية في الوقت الذي لم يغفل عن بيان أن إدراك التطور العلمي يعد من الأمور العسيرة التي ادت الى تطور مجالات العلوم كافة وعلى جميع الأصعدة.

اكد البحث على ضرورة التأسيس لبناء جيل متسلح بالمعرفة وذي خزين معرفي متكامل رصين يعتمد على قراءة جديدة وصولاً إلى فهم مشترك وواقعي ينسجم مع متغيرات العصر الحديث وتحدياته الفكرية الجسام

ولكون موضوع التحديات المعاصرة من المواضيع المهمة في زماننا ، جاءت فكرة البحث وترسخت أهميته فكان لا بد من ابراز في هذه القضية الحساسة التي تمس البشر جميعا في كل بقاع المعمورة وفي كل زمان .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولنا في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، بينما تناول المبحث الأول تعريف مفاهيم عنوان البحث ،اما المبحث الثاني تناول الاساليب العلمية لمواجهة التحديات المعاصرة وفق المنظور الفكري، ثم ختم هذا البحث بخاتمة أوجزنا فيها أهمَّ ما توصلنا إليه من نتائج ، وأخيرًا نسأل اللهَ أنْ نكون قد وفِّقنا في رسم صورة واضحة المعالم لهذا البحث الذي قد يُنظر إليه من زوايا متعددة، وأملنا بالله كبير ألاَّ تكون من بينها نظرة سطحية تحكم عليه، وصلى الله على النبي الأكرم محمد وآله وسلم تسليما كثيرا.

المبحث الاول :تعريف المفاهيم

المطلب الاول : الفكر لغةً واصطلاحاً

اولا: الفكر في اللغة:

قيل في تعريف الفكر: (إعمالُ الخاطر في الشيء... والفِكرة: كالفِكْر، وَقد فكَّر فِي الشَّيْء، وأفكر، وتفكَّر، وَرجل فِكِّير، وفَيْكَر: كثير الفِكْر).[١] وقال في مختار الصحاح: (التَّفكُّر: التأمل والاسم الفِكْرُ والفِكْرةُ والمصدر الفَكْرُ بالفتح وبابه نصر وأفْكرُ في الشيء وفَكرَّ فيه بالتشديد وتَفَكَّر فيه بمعنى ورجل فِكيّرٌ بوزن سكيت كثير التفكر)، قال في الفكر: (فكر فِي الْأَمر فكرا: أعمل الْعقل فِيهِ ورتب بعض مَا يعلم ليصل بِهِ إلى مَجْهُول (أفكر) فِي الْأَمر فكر فِيهِ فَهُوَ مفكر(فكر) فِي الْأَمر مُبَالغَة فِي فكر وَهُوَ أشيع فِي الِاسْتِعْمَال من فكر وَفِي المشكلة أعمل عقله فِيهَا ليتوصل إلى حَلهَا فَهُوَ مفكر وَفُلَانًا بِالْأَمر أخطره بِبَالِهِ (محدثة) (افتكر) تذكر وَفِي الْأَمر أعمل عقله فِيهِ(تفكر) فِي الْأَمر افتكر(التفكير) إِعْمَال الْعقل فِي مشكلة للتوصل إلى حلهَا (الْفِكر) إِعْمَال الْعقل فِي الْمَعْلُوم للوصول إلى معرفَة مَجْهُول وَيُقَال لي فِي الْأَمر فكر نظر وروية وَمَا لي فِي الْأَمر فكر مَا لي فِيهِ حَاجَة وَلَا مبالاة).[٢]

ثانيا: الفكر اصطلاحا:

أما تعريف الفكر في الاصطلاح؛ فإن العلماء ذكروا له تعريفات عِدة، منها :

قال في مفردات غريب القرآن: (فكر: الفكرة قوة مطروقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب)[٣]، وقيل في التعريفات: (الفكر: ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى معرفة مجهول)[٤] وقيل أيضاً: (أن الفكر ليس شيئاً مطابقاً للأحكام والمبادئ، ولا مطابقاً للثقافة أو العقل أو العلم، وإنما هو استخدام نشط لكل ذلك بغية الوصول إلى المزيد من الصور الذهنية عما يحيط بنا من أشياء وأحداث ومعطيات حاضرة وماضية وتوسع مجال الرؤية الآفاق المستقبل) .[١]

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] تح: عبد الحميد هنداوي، مادة (الفاء والكاف) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، سنة: ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م ، ج٧ ، ص٧.

(٢) المعجم الوسيط، (ابراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبدالقادر / محمد النجار) مجمع اللغة العربية بالقاهرة و الناشر: دار الدعوة، ج٢ ، ص٦٩٨ .

(٣) مفردات غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) كتاب الفاء، ص٣٨٤ .

(٤) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تح: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت – لبنان ، ص١٧٦ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

وعرف الفكر أيضاً بأنه:[٢] (يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على الموضوع الذي تفكر فيه النفس. وهو مرادف للفكرة، ومنه قولهم: الفكر الديني، والفكر السياسي، والفكري هو المنسوب إلى الفكر، وتقول: الحياة الفكرية، والعمل الفكري) .[٣]

وعرفه أيضاً أبو حامد الغزالي بقوله: (أعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة).[٤]

ويتبين لنا من هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية (للفكر):

- أن الفكر: هو عملية التفكير، وكيفية القيام بالتفكير عن طريق ترتيب ما هو معلوم إلى أن يصل المفكر بفكره إلى ما هو مجهول لديه.
- أن الفكر: هو ذلك التكوين التحضيري للمجتمع، حيث من خلاله يكتسب رصيداً معرفياً يؤهله لإبراز القدرات والامكانيات.
- أن الفكر : هو تحرير العقول وبناء وترتيب وتجديد وتجسيد حقيقة الوجود .
- أن هناك فكراً شمولياً يدمج ما بين العلم والواقع.
- أنه حينما توجد مشكلة تحتاج إلى تأمل وترتيب للمعلومات المجهولة للوصول إلى نتيجة معلومة، فتتحرك عملية التفكير في العقل قائمة به النفس على ما هو معلوم، وتحليله للخروج بنتيجة.

والفكر في المعنى العام هو: الصورة الذهنية أو التعبير الذهني لشيء ما؛ فعندما أقول (قمر) مثلًا ستتشكل صورة ذهنية لديك عن القمر، وهذه الصورة تسمى فكرًا. وقيل أيضًا إن الفكر هو الوعي والإدراك. كما قيل هو الذكاء أو القدرة العقلية لشخصٍ ما.

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم بكار، الناشر: دار القلم، دمشق ، ط٢، سنة: ٢٠١١م، ص١٣ .

(٢) الذي عرف الفكر بهذا التعريف هو: علي جمعة محمد، المشرف على بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(٣) بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية ، د. إبراهيم البومي غانم، د. اسامة القفاش، د. السيد عمر، د. صلاح اسماعيل عبدالحق، د. نصير محمد عارف، أ.هاشم جعفر، تقديم: أ. د. طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، سنة: ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، ص٢٣٧ .

(٤) إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، الناشر : دار المعرفة – بيروت، ج٤ ، ص٤٢٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

والفكر، في المفهوم الحضاري، هو المعلومات والشرائع والمناهج والقيم الّتي تقوّم شخصيّة الأمة الثقافية والحضارية، وتُعطيها سمتها المميّزة لها عن الأمم الأخرى، ويرسم لها دورها في حركة التاريخ، وإنّ هذه المعلومات والشرائع والمناهج والقيم تشكّل عقل الأمّة وروحها وضميرها، وهي تنظر إلى الكون والحياة والإنسان والأمم الأخرى من خلال هذه المعلومات، والشرائع، والمناهج، والقيم، وتواجه مشاكلها ومسائل حياتها في ضوء الحلول والمواقف الّتي يحميها هذا الفكر، وإنتاجها العقلي النظري كلّه يكون مطبوعاً بطابع هذا الفكر، محتوياً روحه، ومستهدياً بالنور الّذي يشعّه.

المطلب الثاني: مفهوم الفكر الإسلامي

وردت تعريفات عدة للفكر الإسلامي من كثير من العلماء ومن أبرز التعريفات:

١- قيل في تعريف الفكر الإسلامي بأنه: (كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله ﷺ إلى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والانسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الانساني في تفسير تلك المعارف العامة في اطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً) .[١]

٢- وقيل أيضاً بأن الفكر الإسلامي: هو المحاولات العقلية من قبل علماء المسلمين لبيان وتوضيح الإسلام من خلال مصادره الاصلية؛ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويكون هذا التوضيح إما فقهاً واستنباطاً للأحكام الشرعية في صلة الإنسان بالله في العبادة؛ أو صلة الإنسان بالإنسان في المعاملات؛ أو معالجة أحداث مستجدة لم تظهر في عهد النبي محمد ﷺ والصحابة الكرام؛ أو دفاعاً عن العقائد الإسلامية ضد العقائد المناوئة .[٢]

٣- وكذلك قيل أن الفكر الإسلامي بأنه: (كل ما ألفه علماء المسلمين في شتى العلوم الشرعية وغير الشرعية، بغض النظر عن الحكم على مدى ارتباط هذا النتاج الفكري بأصل العقيدة الإسلامية، والأصل في نسبة هذه العلوم (هذا الفكر) إلى الإسلام هو

---

(١) الفكر الإسلامي تقويمه وتجديده، د. محسن عبدالحميد، الناشر: مكتبة دار الانبار، العراق، الرمادي، ط١، سنة: ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، ص٧ .

(٢) ينظر: الفكر الإسلامي في تطوره، د. محمد البهي (ت: ١٤٠٢هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، سنة:١٣٠١هـ ١٩٨١م، ص٦ .

انتساب مؤلفيها إليه، وانطلاقهم من تصور إسلامي صحيح من وجهة نظرهم الشخصية على الأقل) .[١]

٤- وقد قيل: (الفكر الإسلامي يطلق على ذلك الفكر الجوّاب في أنحاء الحياة المختلفة ، والذي يحاول إيضاح هدي الإسلام في شتى شؤون الحياة ومجالاتها السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية والنفسية والفنية .. وغيرها).[٢]

٥- كما قيل:(فالفكر الإسلامي هو الذي يستند على العقيدة الإسلامية، وينطلق من نصوص الوحي في بحثه واجتهاده في مختلف مجالات الحياة).[٣]

وهناك بعض التعريفات التي تتفق مع هذا التعريف في السعة والشمول لكل ما أنتجه الفكر المنسوب للإسلام، ويكفي فيه أن ينتسب أصحابه إلى الإسلام.

المطلب الثالث: التَّحدياتُ لغةً واصطلاحا:

فالتَّحدياتُ جمع تَحَدٍّ، يُقَال: فلانٌ يتحدَّى فلانا، أَي: يُباريه ويُنازِعُه الْغَلَبَة، وتَحَدَّيْتُ فُلانًا، إِذا بارَيْتُه فِي فِعْلٍ ونازَعْتُه الغَلَبةَ. وتَحَدَّاه: بَارَاهُ ونَازَعه الغَلَبَةَ، وتَقول: أَنا حُدَيَّاكَ بِهَذَا الأَمر أَي: ابْرُزْ لِي وَحْدك وجارِنِي؛ والحَادِي المتعمِّدُ للشَّيْء، يُقَال حَدَاه وتَحَدَّاه وتحرَّاه، أي: تعمَّدَه فالكل بِمَعْنى واحدٍ. وَقولهم: هُوَ حُدَيَّا النَّاس أَي أنه يتحدَّاهم ويتعمَّدُهم.[٤]

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة أنَّ التحديات هي ما يُواجَه من عقبات أو أخطار، إذ يقال: كَثُرت تحدِّيات العالم الأخيرة، وفي المثل الأجنبي: التَّحدِّي يثير العداء، ويماثله في المعنى المثل

---

(١) رحلة الفكر الاسلامي من التأثر الى التأزم، د. السيد محمد الشاهد، الناشر: دار المنتخب العربي بيروت، سنة: ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، ص٦٣ .

(٢) حوار هادىء مع محمد الغزالي ، سلمان بن فهد العودة ، صدر عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١ ، سنة: ١٤٠٩ هـ ، ص٥ .

(٣) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للركن الأول من أركان الإيمان الستة (الإيمان بالله) ،عبدالله بن عبدالرحمن المنصور الجربوع ، أطروحة دكتوراه قدمت إلى الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – السعودية ، سنة: ١٤١٩هـ ،ص ٢١٣ .

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي (بيروت/٢٠٠١م) ج٥/ ص١٢١؛ لسان العرب، محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري، ط٣، دار صادر (بيروت/ ١٤١٤هـ /١٩٨٤م) ج١٤/ ص١٦٨.

العربيّ: المزاح لقَاحُ الضغائن[١]، والتَّحدِّي والاستجابة: نظريّة في فلسفة التاريخ مؤدّاها: أنّ الحضارة تنشأ عندما يواجِهُ شعبٌ ما تحدّيًا يهدِّد كيانه فيُواجِهُ هذا التحدِّيَ ببذل جهد مضاعف استجابة لحبِّ البقاء، وامتحان تحدٍّ: امتحان لقدرات المرء وطاقاتِه، وتحدٍّ عقليٌّ: مشكلة أو أُحجيّة محفِّزة للعقل.[٢]

المطلب الرابع: المعاصرة لغة واصطلاحاً:

(المعاصرة) في اللغة: المُعاصرة مصدر عاصَر. حداثة وجدة.[٣] والمعاصرة: مأخوذ من العصر، وهو الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشمس وعاصر فلاناً لجأ إليه ولاذ به وعاش معهُ في عصر واحد.[٤]

ومن معانيه "الزمن الذي ينسب إلى ملك، أو حدث، يقال، العصر العباسي، عصر الكهرباء، عصر الذرة" [٥]﴿وَٱلۡعَصرِ * إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسرٍ﴾ .[٦]

العَصْرُ: الدّهر، والعصران: الغداة والعشي.[٧]

أما (المعاصرة) اصطلاحاً:

(المعاصر): "هو المعايشة بالوجدان والسلوك للحاضر والإفادة من كل منجزاته العلمية والفكرية وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقيه".[٨]

---

(١) ينظر: جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الفكر (بيروت/ ١٩٨٨م) ج٢/ ص٢٣١.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب (الرياض/ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ج١/ ص٤٦١.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٥٠٨/٢.

(٤) ينظر: لسان العرب: ٥٧٦/٤.

(٥) ينظر: المعجم الوسيط، أنيس، د. إبراهيم، مكتبة الشروق، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ٦٠٤.

(٦) العصر: ١-٢.

(٧) العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيقك د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران- قم: ج١/٢٩٢-٢٩٣.

(٨) مفاهيم إسلامية: موقع وزارة الأوقاف المصرية، http://www.isiamic-council.com.

وتستخدم المعاصرة في مقابل الأصالة، فيقال مثلاً: الإسلام بين الأصالة والمعاصرة، بمعنى كيفية تمكن الإسلام من مسايرة العصر والوفاء بمتطلباته والتعامل مع مقتضياته المتغيرة بثوابته الأصيلة.(١)

ولا نعني بالمعاصرة الانسلاخ عن جذور التراث والماضي، فالمعاصرة هي البحث عن الحلول الجذرية لقضايا المجتمع الأساسية وهي تفاعل دائم مع مستجدات العصر، وحضور حيوي مع مشاغل العصر، ولا تعني تجاوز الشرع بأي حال من الأحوال بقدر ما هي مواكبة التطور في الوسائل دون المساس بالشرع.(٢)

والمعاصرة أيضاً لا تعني فقط نقل أحدث وسائل العلم والتكنولوجيا إلى المجتمعات، فالعلم هو التصور العلمي للعالم وليس فقط تطبيقات، وهو الرؤية العلمية للواقع والحياة والمنهج العلمي في حل مشكلات العصر.

والمعنى الاصطلاحي (للمعاصرة) ليس ببعيد عن المعنى اللغوي لها، فيمكن أن نعرف المعاصرة: هو الوقت الحاضر والعصر الحديث، وما يتعلق في هذا العصر من قضايا فكرية حديثة.(٣)

المبحث الثاني: التحديات وسبل المواجهة

المطلب الاول:. التطرف والغلو (الانحراف العقائدي)

يطلق الغلو في الشرع على مجاوزة حدود الشريعة عملا أو اعتقادا. وقد وردت مادة الغلو والنهي عنه مرتين في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٥)، قال الرسول محمد ﷺ (إياكم والغلو في الدين)(٦)،(أي

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة، د. علاء الدين الزاكي، دراسات دعوية، العدد ١٦، يونيو، ٢٠٠٨م.

(٣) ينظر: المسألة الحضارية، كيف يتنكر مستقبلنا في عالم متغير؟ زكي الميلاد، ط٢، مركز الحضارة التقنية الفكر الإسلامي: ١٨٥.

(٤) (النساء: من الآية١٧١)

(٥) (المائدة: من الآية٧٧)

الدين)[1]،(أي التشدد فيه ومجاوزة القدر المحدد)[2]، فالغلو هو مجاوزة حدود ما شرعه الله بقول أو فصل أو اعتقاد [3]،وهذا الغلو لا يتفق مع النهج اليسير في الدين الإسلامي ولا مع الحكمة والموعظة الحسنة التي أمرنا الله بها .

لقد جاء الإسلام بعد فترة من انقطاع رسالات السماء سارت في الوثنية أرجاء المعمورة فضلاً عن التحريف الذي أصاب الديانتين اليهودية والمسيحية التي أفرطتا في الغلو والتشدد ولم تعودا تستطيعان مخاطبة العقل البشري وإقناعه .

زيادة على انتشار العادات الوثنية في ثناياها وفرغت من الروحية التي هي الصلة الحقيقية بين العبد وربه . إذ انحسرت المسيحية في صوامع انقطع فيها العباد وتبتلوا وتركوا الدنيا وما فيها ظناً منهم إن هذا هو ما جاء به السيد المسيح وهذا مما لا تستطيع كل النفوس أن تصبر عليه وإن صبرت عليه فلن تستطيع المطاولة والثبات .

وبعد أكثر من ألف وأربعمائة عام يعود الغلو والتطرف بمفاهيم بعيدة عن هدي الإسلام والقضية إن المسألة قد تعدت الغلو إلى التكفير.

فعقيدتنا ان لا نكفّر أحداً من أهل القبلة أقرّ بالشهادتين إذا اقترف ذنباً علم من الدين بالضرورة اللهم إلا إذا اعتقد حلّه أو كذب صريح القرآن أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر فلا يكون إخراج المسلم من الإسلام إلا بدليل قاطع لا يحتمل التأويل وهو الكفر بأصل الإيمان [4]،قال رسول الله ﷺ إذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما.[5]

اذن فليس كل من فعل مكفراً حكم بكفره إذ القول أو الفعل قد يكون كفراً لكن لا يطلق الكفر على القائل أو الفاعل إلا بشرطه لأنه لا بد أن تثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه فالمرء قد يكون حديث عهد بإسلام وقد يفعل مكفراً ولا يعلم إنه مكفر فإذا بين له رجع وقد ينكر شيئا متأولاً أو أخطأ بتأويله وغير ذلك من الموانع التي تمنع من التكفير وهذا أصل عظيم يجب تفهمه و الاعتناء به لأن التكفير ليس حقاً للمخلوق يكفر من يشاء وفق هواه بل يجب الرجوع

---

(١) رواه النسائي جزء من الحديث ٥/ ٢٦٨ رقم الحديث ٣٠٥٧ .

(٢) الغلو في التكفير ، ابراهيم النعمة ، مركز الذهبي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ ، ص ٨ .

(٣) ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، تأليف محمد عبد الحكيم حامد ، دار المنار الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ، ص ٧٥ .

(٤) الغلو في التكفير ، إبراهيم النعمة ، ص ٢١ .

(٥) صحيح البخاري ، ٢٢٦٣/٥ رقم الحديث ٥٧٥٢ .

في ذلك إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح فمن كفره الله ورسوله وقامت عليه الحجة فهو كافر ومن لا فلا .[١]

إن فكر الغلو والتفرق ليس جديداً على الدعوة الإسلامية وعلى المجتمع الإسلامي فقد ظهر في بداية الدعوة الإسلامية وعالجه الرسول ﷺ بالقدوة الحسنة ووجوب إتباع سنته والرغبة بها ومن رغب عنها فهو ليس من أتباع الرسول ﷺ وتجدد ثانية في عصر الخليفة الرابع علي بن أبي طالب عليه السلام واستمر فترة من الزمن في عصر الدولة الأموية وها هو الآن يطل علينا من جديد وأقل ما نقول فيه قد يكون الجهل بالدين هو سببه الرئيس.

(وإننا لنعلم علم اليقين إن في هذه الجماعات المتطرفة شباباً مخلصين لا يريدون إلا وجه الله والدار الآخرة ونصرة الإسلام ولكنهم لم يتحصنوا بثقافة إسلامية أصلية وفقه إسلامي عميق فصادفت هذه الأفكار قلوباً خالية فتمكنت منها وحتماً منهم من تبين له الحق فرجع إليه غير مبال بما سيتعرض له من إيذاء)[٢]

دعوتنا إلى اليسر والسهولة في فهم الدين وتطبيقه وحمله وتبليغه ونحن لا نأتي بجديد بتلك الدعوة بعد هذا الشرح الطويل الذي بلغته الدعوة الإسلامية عبر التأريخ وأشاعت فكر التسامح ولم الشمل والانفتاح نحو النور إذ أن الكبت والضيق وحمل الدين كما تحمل الصخور نظن أن هذا يخالف سماحة الدين الإسلامي .

وأهمية الفكر الإسلامي الملتزم الذي لا يتتبع الرخص يحرص عليها ولا يتكون من تلفيق يستعير من كل مذهب أيسر أقواله وإفتاءاته ليوافق الهمم الواطئة النيات الباردة فيكون فكراً ممزجاً ليس بالمحض ومختلطاً ليس بالذي صفته الصفاء بل الواجب أن تسيطر عليه منهجية في الاجتهاد والاستلهام تحرص على التفسير المتواتر الراجح للرأي وعلى تتبع الحديث الصحيح وقول جمهور الفقهاء .[٣]

ليس هناك ما يبرر الغلو والتطرف في المحيط الإسلامي خاصة وإن ظروف الانحدار التي تعيشها الأمة لها أسباب عديدة ، ولا ننكر أن أخطاء الماضي قد حرمت الدعوة في أماكن

---

(١) ضوابط تكفير المعين ، د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٥ هـ ، ص ٦

(٢) حتى لا نسقط في هاوية التكفير ، صلاح الدين محمد الحسني، الرائد للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ ، ص ٦٢ .

(٣) صناعة الحياة ، عبد المنعم صالح العلي العربي المعروف بمحمد الراشد، دار المحراب ، كندا ، ٢٠٠٤ ، ص ١١٧ .

متعددة من العالم الإسلامي من فرص توسع وانبثاث مأمون في محيط مستعد لتقبل الكلمة وإن أحزاب الضلال قد استغلت برود دعاة الإسلام فتقدمت مراحل عليهم ولكن الخطأ لا يستدرك بمثله .[١]

ولكن تيار الغلو وعلى مدى التاريخ قصير النفس سريع الانهيار لا يستطيع أن يصمد أمام رياح التغيير ولذلك كانت تهب نسائم الخير وتيارات الإصلاح لتعيد الشاردين إلى الدرب وتوجه جهودهم نحو الإصلاح الحقيقي بشرط تولي رجال الإصلاح الصادقين زمام المبادرة ، إن تمكن من إعادة التوحد بين الشريعة والواقع وربط أجهزة الدولة جميعاً بالإطارات التي رسمها القرآن والسنة وتوجيه الناس ومعطياتهم وفق ما يريده الله ورسوله هذا النجاح يشير بوضوح إلى إمكان تنفيذ البرنامج الإسلامي وتطبيق شرائع الإسلام وعقائدياته على واقع الحياة في أي فترة يمكن ان يستلم فيها السلطان رجال يمتلكون الذكاء والحصافة والمرونة .[٢]

يقول ابن حزم :ذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر و لا يفسق مسلم بقول قاله في الاعتقاد أو فتيا ، وأن كل من اجتهد في ذلك فدان بما رأى إنه الحق مأجور على كل حال إن أصاب الحق فأجران وإن أخطأ فأجر واحد وهذا قول الجمهور ،لا نعلم لهم في ذلك خلاف أصلاً [٣]،ويقول النووي واعلم إن مذهب أهل الحق إنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يكفر أهل الأهواء والبدع [٤]،اما أبو محمد ابن حزم فيقول ذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا وإن كل مجتهد في شئ من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال وهو يقول أيضاً ليس كل من اجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق ولا يستحق الوعيد إلا من ترك مأموراً أو فعلاً محظوراً وهذا هو قول الفقهاء والأئمة وهو القول المعروف عن سلف الأمة وقول جمهور المسلمين)[٥]

---

(١) المنطلق عبد المنعم صالح العلي العربي المعروف بمحمد احمد الراشد، دار المحراب ، كندا ، الطبعة العاشرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٢١٧ .

(٢) ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨١ ، ص ٢٠١ .

(٣) الفصل في الأهواء والملل والنحل ، ابن حزم الأندلسي ٢٤٧/٢ ، ٢٨٩ .

(٤) حتى لا نسقط في هاوية التكفير ، صلاح الدين محمد الحسني ، ص ٢٣ .

(٥) المصدر السابق ، ٢٤/٢ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة لا نعلم منهم في ذلك خلافاً أصلاً إلا ما ذكرنا من اختلافهم في تكفير من ترك صلاة متعمداً حتى خرج وقتها .[١]

إن دعاوى تكفير المجتمع ووصفه بالجاهلية قد أصبحت شيئاً من الماضي وإن الفكر الإسلامي متجدد يستمد حيويته من حيوية هذا الدين وقوته على المطاولة وصراع الأفكار الغريبة والمتطرفة والتغلب عليها .

إن الجاهلية كوصف لا يلحق الزمن بعد البعثة المحمدية وإلى قيام الساعة ولكن الجاهلية كصفة يمكن أن تلحق فرداً أما من المسلمين فهؤلاء يزيد إيمانهم وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ولا يصح أن يوصف أي مجتمع يضمهم بأنه مجتمع جاهلي وإن صلى وصام وحج البيت .[٢]

ما هو السبب الذي يدفع إلى التطرف و الغلو وما الذي يمهد لذلك هناك نظريات كثيرة ولكن أصحاب النظرة الشاملة المتوازنة يعترفون بأن الأسباب متشابكة ومتداخلة وكلها تعمل بأقدار متفاوتة مؤثرة آثاراً مختلفة قد يقوى أثرها في شخص ويضعف في آخر ولكنها جميعاً لها في النهاية أثرها الذي لا يجحد . فلا ينبغي لنا أن نقف عند سبب واحد يبرز أمامنا ويطغى على غيره من الأسباب فالواقع أن الظاهرة التي بين أيدينا ظاهرة مركبة معقدة وأسبابها كثيرة ومتنوعة ومتداخلة بعضها قريب وبعضها بعيد وبعضها مباشر وبعضها غير مباشر ماثل للعين طاف على السطح وبعضها غائص في الأعماق من هذه الأسباب ما هو ديني وما هو سياسي منها ما هو اجتماعي وما هو اقتصادي ومنها ما هو نفسي ما هو فكري وما هو خليط من هذا كله أو بعضه قد يكمن سبب هذه الظاهرة والسبب بعضه عن البحث داخل أسرته عند أبويه وأخوته وعلاقاتهم بعضهم ببعض ولا ريب إن من الأسباب الأساس لهذا الغلو هو ضعف البصيرة بحقيقة الدين وقلة البضاعة في فقهه والتعمق في أسراره والوصول إلى فهم مقاصده واستشفاف روحه .[٣]

المطلب الثاني. الفكر الوجودي المتحرر أو الإباحي

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ٢٤٧/٣ .

(٢) الجاهلية قديماً وحديثاً ، احمد أمين عبد الغفار، شركة الشعاع ، الكويت ، ١٩٧٧ ، ص ٢٨١ .

(٣) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، د. يوسف عبد الله، أنوار دجلة ، الطبعة الثانية عشر ، ٢٠٠٤ ، ص ٥٠ ، ٥١ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

لقد أفرزت الحضارة الغربية أفكاراً ومفاهيم أدت إلى سلوكيات هبطت بالإنسان من المستوى اللائق إلى الحضيض ، إن طغيان المادة وقسوة ظروف العمل القاهرة إضافة إلى مخلفات الحرب العالمية الثانية التي نشرت الدمار والرعب والضياع في المجتمع الغربي ، مما نشأ عنه جيل يعيش حالة من الاضطرابات والخواء الروحي فضلاً عن الحرب المعلنة على الكنيسة منذ قرون وفقدان الثقة بها وبمؤسساتها من أن تعيد الإيمان إلى النفوس هذا أولا .

وثانياً إن المخطط اليهودي للاستيلاء على العالم وتدمير اقتصاده وربط مؤسسات الدول التي يؤثر اقتصادها في فلكه كان له الأثر في بروز هذه التيارات الفوضوية الهابطة من اجل السيطرة على العالم اجمع وسيادة مبدأ آل صهيون ،

وقد وصفت الوجودية بأنها مرض الإنسان في منتصف القرن العشرين وبأنها مرض العصر وهي في مجملها الملل والقلق واليأس والسأم والضياع والتوتر والشعور بالاغتراب ولا ريب أن هذه الصيحة كان يمكن أن تمضي ولا تترك هذه الآثار البعيدة في العالم كله لولا وجود قوى خفية تحيطها وتدفعها إلى الأمام حتى إن كتاباً يصدر في باريس بالفرنسية عنها تصدر طبعته بالعربية في نفس الوقت في بيروت). [١]

يعد سارتر[٢] هو زعيم الوجودية في فرنسا وقد مر هذا الرجل بظروف حياتيه قاسية فقد عاش يتيماً لام مريضة نفسياً وأراد صنع ذات له من محيط هابط فشتت ،

(ويرفض سارتر جميع المقاييس التي اعتمد عليها الفلاسفة لتنظيم وتحديد الاختيار، (فالابيقوريون) يعتمدون اللذة مقياساً لهم و(أغوست كونت) يرى الغيرية أساسا للاختيار ويرى (الدينيون) أن الإنسان حر لأنه يختار وجه الله ولكن (سارتر) يرفض أي قاعدة مسبقة أو أساس أو مقياس موضوع ويرى أن في ذلك تعارضاً مع معنى الحرية، أما القواعد الأخلاقية والاجتماعية فأن الفرد هو الذي يقررها دون الرجوع إلى أساس سابق لاتجاهه المحض ولوجدانه الخاص).[٣]

---

(١) الإسلام والدعوات الهدامة ، أنور الجندي ، ص ١٨٩ .

(٢) سارتر ولد عام ١٩٠٥ في فرنسا .

(٣) مذهب الوجودية والفن الحديث والعلاقة بينهما ، د. عفيف بهنسي، مجلة العربي العدد ١٠٨ نوفمبر ، ١٩٦٧ ، ص ١٢٦ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

لم يكن سارتر وحده على الساحة فقد سبقه هيدجر[١]، ثم ان الوجودية ليست مذهبا بحيث تتناول جميع المشاكل الفلسفية المعروفة وتتخذ منها موقفا موحدا لعدم اتصالها المباشر بواقع حياة الإنسان والأصح ان الوجودية اتجاه يقوم على أساس واحد في تفسير عدد من المسائل ولو ان هذا التفسير يخالف من مفكر إلى آخر)[٢]،ان هذه الفلسفة التي تبعها أمواج من الشباب الضائع بين الجنس والفوضى والسلبية والعيش على الهامش ولا ينتظر الغد إذ لا أمل في الغد وليس هناك مستقبل يستحق ان يعيشوه فضلا عن التضحية في سبيله (على ان ما تشترك فيه الفلسفات الوجودية هو من العمق والأهمية بمكان فهي جميعا تقوم على تجربة حية تدعى وجودية ويصعب تحديدها كما تختلف من فيلسوف إلى آخر بحيث إنها عند هيدجر السير نحو الموت وعند سارتر الغثيان إما الغرض الرئيس لهذه الفلسفات فهو البحث في الوجود الذي يعنون به ،فالصورة الإنسانية العرف للكيان وهي تعتبر الوجود في حالة فعل على الدوام بحيث انه يخلق ذاته بذاته بواسطة الحرية.[٣]

ان الوجودية تعني نفي الإلوهية وتدعو الإنسان إلى عبادة ذاته والاستمتاع بشهواته وإطلاق العنان لها .وهي مبدأ إلحادي ينكر وجود الله او لا يحسب له حسابا ومن ثم تنكر كل ما وراء الغيب والبعث والجزاء ومواجهة الحياة بصورة يائسة وهي تمرد على القيم والأخلاق والتراث ودعوة للحياة المادية وإطلاق الغرائز والشهوات .

والحقيقة ان الوجودية قد فقدت بريقها السابق بعد ان تصدى لها الكثير من المفكرين الغربيين نتيجة الفوضى التي ساعدت على انتشارها وقيامها على فلسفة مادية بحتة لا ترى للحياة قيمة وان نهاية الإنسان هي العدم .

و إذا كانت الحياة الغربية المعاصرة قد سمحت لمثل هذه الأفكار والفلسفات في النمو والانتشار في مجتمعاتهم فانه ليس مبررا أبدا ان توجد لها في مجتمعاتنا الإسلامية أي صدى ذلك ان الإسلام هو دين التوازن بين المادة والروح والعقل وليس لدينا أزمة في حالة من الصراع بين الروح والجسد إذ ان الإسلام قد هيئ الظروف ليكون هناك موازنة حقيقية بين عالم المادة وعالم الغيب وشد الأنظار إلى خالق الكون والإنسان وان الحياة الدنيا ليست هي نهاية المطاف .

---

(١) فيلسوف وجودي ألماني ولد عام ١٨٨٩ وتزعم الوجودية فيها .

(٢) وجودية سارتر ، محمد وهبي ، مجلة العربي العدد ٢٤ ص٢٩

(٣) المصدر نفسه، صـ٣٠ ـ٣١ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

وان من اخطر ما يواجه الباحث والقارئ الإسلامي وجود مؤلفات ودراسات وموسوعات كثيرة عن الإسلام والفكر الإسلامي كتبتها أقلام عربية أو أجنبية لأغلبها شهرة ودوي فإذا أراد الباحث أو القارئ أن يتعرف إلى شئ من التاريخ أو الفقه أو اللغة سارع إلى مثل هذه المراجع فنظر فيها وظن أن بذلك قد وصل إلى مقطع الرأي في الأمر الذي يبحث عنه والحق أن المنهج العلمي للبحث والمراجعة لها أصول وقواعد تقوم على أساس التعرف على أمرين شخصية الكاتب أولاً ثم إلى سلامة النص .[١]

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الرحلة الماتعة لا بد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج؛ فنقول:

١. الأمل معقود بطلائع المفكرين العرب الإسلاميين الذي يفهمون روح الرسالة الإسلامية والذين عليهم بعد الله الأمل في نشر الفكر الإسلامي الصحيح مع عدم الغض من مقدار الأخوة المفكرين الإسلاميين من غير العرب ولكنهم قليلون جداً

٢. ان لدى المفكرين الاسلاميين الثقة العالية بالله وبالنفس أن المستقبل لصالح الفكر الإسلامي الأصيل الرصين الذي ينطلق على وفق ثوابت على رؤى الكتاب والسنة النبوية الشريفة ومصادر التشريع الأخرى .

٣ . حتمية انتصار الفكر الإسلامي في نهاية كل مطاف والثقة بنصر الله تعالى مع استنفار كل الجهود والطاقات .

٤. ليس بالضرورة أن يتبنى الفكر الإسلامي الأصيل من قبل مجاميع أو تيارات بل من الممكن ان يكون هناك أفراد يحملون هذا الفكر وينشرونه ويتلقاه الناس بالقبول .

٥. أن يكون لنا الثقة كل الثقة بماضينا المشرف وحاضرنا الذي نطمح الى تغيره الى أحسن حال .

٦. على الأجيال اللاحقة من حيث أنتشار الجريمة المنظمة والقلق النفسي والاضطرابات التي تعم المجتمع.

٧. ان هذه التحديات لن تنتهي في يوم ما فالصراع بين الحق والباطل باقٍ الى قيام الساعة.

٨. في الأمة الخير الكثير وهي أمة ولود تنجب بين حين وأخر رجال على مستوى هذا الدين يحملون على عاتقهم رفع رايته والدفاع عنه .

---

(١) شبهات في الفكر الإسلامي ، انور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٣١ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

المصادر

١. إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة – بيروت١٩٨٧.
٢. الإسلام والدعوات الهدامة ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
٣. الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للركن الأول من أركان الإيمان الستة (الإيمان بالله) ،عبدالله بن عبدالرحمن المنصور الجربوع ، أطروحة دكتوراه قدمت إلى الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – السعودية ، سنة: ١٤١٩هـ ، .
٤. بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية ، د. إبراهيم البومي غانم، د. اسامة القفاش، د. السيد عمر، د. صلاح اسماعيل عبدالحق، د. نصير محمد عارف، أ.هاشم جعفر، تقديم: أ. د. طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٨م،.
٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت – ١٩٨٩ .
٦. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،٢٠٠١م .
٧. الجاهلية قديماً وحديثاً ، احمد أمين عبد الغفار، شركة الشعاع ، الكويت ، ١٩٧٧ .
٨. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الفكر ،بيروت، ١٩٨٨م.
٩. حتى لا نسقط في هاوية التكفير ، صلاح الدين محمد الحسني، الرائد للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥ .
١٠. حوار هادىء مع محمد الغزالي ، سلمان بن فهد العودة ، صدر عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٩٨٩ .
١١. رحلة الفكر الاسلامي من التأثر الى التأزم، د. السيد محمد الشاهد، دار المنتخب العربي بيروت،. ١٩٩٤م. .
١٢. شبهات في الفكر الإسلامي ، انور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٧٧
١٣. الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، د. يوسف عبد الله، أنوار دجلة ،بغداد، ٢٠٠٤ .
١٤. صناعة الحياة ، عبد المنعم صالح العلي العربي المعروف بمحمد الراشد، دار المحراب ، كندا ، ٢٠٠٤ .

١٥. ضوابط تكفير المعين ، د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، الرياض ، ٢٠٠٥.
١٦. ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، محمد عبد الحكيم حامد ، دار المنار الحديثة ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
١٧. العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران– قم: ١٩٩٢.
١٨. الغلو في التكفير ، ابراهيم النعمة ، مركز الذهبي ، الاردن ، ٢٠٠٥ .
١٩. الفكر الإسلامي تقويمه وتجديده، د. محسن عبدالحميد، الناشر: مكتبة دار الانبار، العراق، الرمادي، ١٩٨٧م .
٢٠. الفكر الإسلامي في تطوره، د. محمد البهي : مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨١م .
٢١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري، دار صادر ،بيروت، ١٩٨٤م.
٢٢. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٠م .
٢٣. مختار الصحاح، محمد بن أبي عبدالقادر الرازي ، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ، ١٩٩٥م.
٢٤. مذهب الوجودية والفن الحديث والعلاقة بينهما ، د. عفيف بهنسي، مجلة العربي العدد ١٠٨ نوفمبر ، ١٩٦٧ .
٢٥. المسألة الحضارية، كيف يتنكر مستقبلنا في عالم متغير؟ زكي الميلاد، ط٢، مركز الحضارة التقنية الفكر الإسلامي: ١٩٨٥.
٢٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب ، الرياض، ٢٠٠٨م.
٢٧. المعجم الوسيط، (ابراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبدالقادر / محمد النجار) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة، ١٩٨٨ .
٢٨. المعجم الوسيط، أنيس، د. إبراهيم، مكتبة الشروق، ٢٠٠٤م.
٢٩. مفردات غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٠م .

٣٠. مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم بكار، دار القلم، دمشق ، ٢٠١١ .

٣١. ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١ .

٣٢. وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة، د. علاء الدين الزاكي، دراسات دعوية، العدد ١٦، يونيو، ٢٠٠٨م.

ISBN: 978-9922-21-412-2

دور مؤسسة الأوقاف في الحفاظ على الأضرحة والمزارات في ظل وثائق الأرشيف العثماني

مدينة الموصل نموذجا

م.د. عصام صلاح الدين علي البياتي- الجامعة التقنية الشمالية / المعهد التقني كركوك
isam975@ntu.edu.iq

الملخص

تتناول هذه الدراسة اهمية مؤسسة الأوقاف ودورها في التنمية من خلال المحافظة على الإرث الحضاري للبلاد بعد الاحداث التي عصفت بالعراق ، الامر الذي دفع الباحث الى التطرق لهذا الموضوع من خلال الاطلاع على وثائق الارشيف العثماني وبالتحديد في ظل النظام الاداري العثماني للعراق والخدمات الوقفية التي تتناول الجانب الحضاري المهم من تاريخ العراق الحديث والمعاصر مبينا أوجه المجتمع وطبيعة التوجهات الدينية والروحية والاجتماعية والاقتصادية التي كان تقوم بها مؤسسة الوقف، وتم اختيار مدينة الموصل لتسليط الضوء على دور مؤسسة الاوقاف فيها خلال القرن السادس عشر و السابع عشر الميلادي التي تكاد تكون الدراسات والبحوث العلمية في تلك الحقبة التاريخية قليلة او شبه معدومة ، حيث تم التركيز في هذه الدراسة على سياسة النظام الاداري العثماني القائم على اسس دينية من خلال الاهتمام بمراقد الأئمة ومزارات ومقامات أئمة اهل البيت عليهم السلام وخاصة في مدينة الموصل التي انضوت قبل غيرها تحت نظام الاداري للدولة العثمانية ، حيث تم تحديد عشرة أوقاف موزعة بين ضريح ومقام موجودة في مدينة الموصل ونواحيها لأهل البيت واحفادهم عليهم السلام، حيث تم تحديد الايرادات الاوقاف ومقاديرها وانواعها واماكن وجودها ، فضلا عن صرف هذه الايرادات الخاصة بكل وقف على العاملين في خدمة المزارات والمقامات وعلى زوار هذه المزارات بالإضافة الى الخدمات التي تقدمها للمجتمع في الجانب الاجتماعي والاقتصادي.

اعتمدت هذه الدراسة على مصادر متنوعة في مقدمتها وثائق الارشيف العثماني من دفاتر الطابو ودفاتر المالية الغير منشورة والتي مثلت العمود الفقري لهذه الدراسة، حيث احتوت هذه الوثائق وبالأخص دفاتر الطابو على معلومات وافية عن الاوقاف وواردتها والجهات التي تصرف عليها فضلا كون ان خط هذه الوثائق هو خط اقل ما يوصف به انه معقد وغير واضح .

المقدمة

ISBN: 978-9922-21-412-2

تتمثل أهمية هذه الدراسة التي تتناول الجانب الحضاري المهم من جوانب تاريخ العراق الحديث ، والمتمثل في دور مؤسسة الأوقاف والخدمات التي تقدمها هذه المؤسسة، التي تكشف دراستها عن أوجه عديدة من حياة المجتمع وطبيعة التوجهات الدينية والروحية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تحياها هذه المؤسسة ، فضلا عن أن اغلب الدراسات التاريخية التي تتناول الجوانب الحضارية كانت وما زالت محدودة فيما يخص الاضرحة والمزارات ، ولاسيما بدايات الاولى للنظام الاداري العثماني في العراق ، في الوقت الذي نجد فيه أن الدراسات التاريخية لحقبة تاريخنا الحديث عامة تتوجه في غالبيتها العظمى الى الجوانب السياسية والصراعات العسكرية والمعاهدات التي تعقد في أعقابها وتهتم بأمر تفصيلاتها وتحليلها. وهو توجه ربما أملته طبيعة الأصول التاريخية المتاحة التي ركزت في نقل معلوماتها على الجوانب السياسية والعسكرية ، ولم تولى الجوانب الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية عن الهوية الاسلامية من منظور تاريخي واجتماعي سوى اهتمام محدود وضئيل، الامر الذي جعل اغلب الباحثين العزوف عن دراسة هذه الجوانب .

تم تقسيم هذا البحث الى مبحثين وفق ما اقتضته متطلبات البحث . حيث استعرض المبحث الاول مفهوم اللغوي والاصطلاحي للوقف في الشريعة الاسلامية ، مبيناً البعد الاول من هذا الموضوع الذي يتصل بين الوقف والنظام الاداري العثماني المتمثل بالسلاطين والولاة وتعاملهم مع موضوع الوقف بصفته ممارسة اجتماعية تكافلية حث عليها احكام الشريعة الاسلامية وهي مسؤولية اخلاقية ودينية يتحملها الراعي تجاه رعيته بالإضافة الى الدوافع التي أدت الى الاهتمام العثماني بالوقف . أما المبحث الثاني الذي تناول البعد الاساسي الثاني للبحث من خلال دور مؤسسة الاوقاف في العراق في ظل النظام الاداري العثماني بدءا بمدينة الموصل التي أنضوت قبل غيرها من مدن العراق تحت مظلة النظام الاداري العثماني في سنة ٩٢٢ هجري ١٥١٦ ميلادي ، بالإضافة الى ما تعرضت لها مدينة الموصل من تدمير لجميع معالمها التاريخية والحضارية من اضرحة ومزارات فضلا عن المساجد والجوامع على ايدي جماعات تكفيرية ارهابية كانت تريد محو الهوية الاسلامية ومحو الارث الحضاري لهذه المدينة ، حيث تم تسليط الضوء على اماكن وجود هذه الاضرحة والمزارات ودور مؤسسة الاوقاف في الحفاظ عليها وادامتها من خلال عرض تلك الايرادات ومقاديرها وانواعها والجهات التي تنفق عليها هذه الايرادات التي تقدم خدمات للمجتمع على مدى قرون من الزمن . وسلط ايضا هذا المبحث الدور الاقتصادي لمؤسسة الوقف من خلال صرف هذه الايرادات الخاصة بكل وقف على

العاملين في خدمة الاضرحة والمزارات مما ساهم في تعزيز الرفاهية الاقتصادية للعاملين فيها . أما الخاتمة فقد توصل الباحث الى جملة استنتاجات عن دور مؤسسة الاوقاف والخدمات المهمة التي قدمتها في الحفاظ على هذه الاماكن المقدسة من أضرحة ومزارات التي لها خصوصية عند المسلمين جميعا.

اعتمدت هذه الدراسة بالدرجة الاولى على مصادر مهمة ومتنوعة في مقدمتها الوثائق العثمانية الغير المنشورة والمنشورة التي تم الاطلاع عليها في دائرة الارشيف العثماني التابع لرئاسة الجمهورية التركية والتي تضم دفاتر الطابو ودفاتر المالية ودفاتر الاوقاف الخاصة بالعراق التي تعود الى ما بين سنة ١٥١٦ – ١٧٧٠ ميلادي والتي مثلت الاساس في عرض هذا البحث الذي يصب في تقديم صورة واضحة المعالم عن دور مؤسسة الاوقاف في العراق ودورها في الحفاظ على الاضرحة والمزارات لأحفاد أهل البيت عليهم السلام الى حد بعيد في ظل النظام الاداري العثماني .ثمة صعوبات واجهت هذا البحث ، في المقدمة منها، نهب وسرقة المصادر العثمانية التي كانت تزين رفوف مكتبات العراق خاصة مكتبات بغداد والموصل وكركوك وذلك بسبب الاحداث التي عصفت بالبلاد . الامر الذي دفع الباحث الى الترحال الى استانبول وانقرة حيث الوثائق العثمانية التي تخص الولايات العراقية ولابد من الاشارة الى ان التسهيلات التي قدمت للباحث من قبل العاملين في ارشيف رئاسة الجمهورية كانت كبيرة وباعثة للسرور في نفسه.

المبحث الأول: الوقف ودوافع الاهتمام والرعاية العثمانية لها

قد أدى الوقف منذ عهد مبكر من حياة المجتمع الإسلامي وظائف مهمة في الجوانب الدينية ،الاجتماعية الاقتصادية والتعليمية، وسواها من جوانب يصب جميعها في مصلحة تقوية أواصر التعاون والتكافل بين أبناء هذا المجتمع، فضلاً عما يؤديه الإنسان المسلم الذي يوقف أمواله على أعمال البر و الإحسان من تقرب وطاعة لخالقه جلّ وعلا[١]

أولا: الوقف لغة واصطلاحا

يعد الوقف شكلاً من أشكال الإنفاق التي حضّ الشارع على فعلها والقيام بها تقرباً الى الله سبحانه وتعالى من حيث الإنفاق في وجوه البر والخير، والوقف له معنيان، معنى في اللغة

(١) الكناني،عبد الحميد (د.ت)، نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية، ج١، ط١، دار الكتاب العربي (بيروت)، ص .401

ومعنى في الاصطلاح، ومعناه لغة هو الحبس والمنع[١] ، وجمعه (وقوف) وهو مصدر وقف سواء أكان حسياً أم معنوياً، فيقال "وقف الدار إذا حبسها ولا يقال أوقفها لأنها لغة رديئة (غير سليمة). ويطلق المصدر الوقف على اسم المفعول فيقال: هذه الدار وقف، أي موقوفة، وهكذا جمع على أوقاف . [٢] أما معناه اصطلاحاً فهو حبس العين عن تمليكها لأحد من الناس، والتصدق بمنفعتها على وجوه البر والإحسان، وهذا يعني أن الوقف نوع من أنواع الصدقات الجارية الطوعية التي لا تخضع للإجبار ، أو الإكراه عليها. فهي فعل الخير وثوابه عند الله سبحانه وتعالى. ويلحظ أن معظم المحدثين استخدموا مصطلح الوقف في أثناء تبويبهم للموضوع[٣] ، وقسم آخر منهم استخدام مصطلح الأحباس[٤] . إذن الوقف في حد ذاته عمل من أعمال الخير ونوع من الصدقات التي حث الشارع عليها، وهو داخل في عموم قوله تعالى :"وافعلوا الخير لعلكم تفلحون"[٥] ، وهذا الخير يكون له بقاء واستمرار بحيث ينتفع به الناس على مدى سنين وأجيال وقرون . [٦] فكان الوقف يعني بتنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية. وكان على امتداد التاريخ الاسلامي ينظم الحياة الدينية ، الاجتماعية والاقتصادية في الممالك الاسلامية. ومهمته باختصار هو تطبيق مبدأ نبيل يتمثل في رضا الله من خلال التصرف بالأموال المنقولة وغير المنقولة [٧] ، اذن الوقف باعتباره ممارسة إسلامية تنشد الى تنمية المجتمع في مختلف المجالات، ضمن إطار أعمال البر والإحسان . فكانت معظم الاوقاف

---

(١) منظور، جمال الدين بن مكرم،(٢٠٠٣)، لسان العرب، مج ٩، دار الحديث، (القاهرة)، ص٣٧٨، الفيروزاياوي، مجدالدين بن يعقوب،(د.ت)،القاموس المحيط، مج٢، دار الفكر، (بيروت)، ص٢٠٥- ٢٠٦.

(٢) دريد، محمد بن الحسن الأزدي، (د.ت)،جمهرة اللغة، ج٣، دار صادر، (بيروت)، ص 156.

(٣)الجرجاني، علي بن محمد، (٢٠٠٣)، كتاب التعريفات، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت)، ص٢٠٦؛ عطيه الله، احمد، (١٩٦٦)، القاموس الإسلامي، مج٢، النهضة المصرية، (القاهرة)، ص 27.

(٤)الشافعي، محمد بن إدريس، (١٩٦١) ، الأم، ج٤، تحقيق محمد زهدي النجار، مكتبة الكليات الأزهريه، (القاهرة)، ص ٥١ ؛ ثويني ،علي، (٢٠٠٥)، معجم عمارة الشعوب الإسلامية، ط١، بيت الحكمة، (بغداد)، ص 774.

(٥)سورة الحج،١٧، الآية. 77

(٦)الكاساني، علاءالدين أبي بكر بن مسعود،(1910)، كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج5، ط١، مطبعة الجمالية، (مصر(، ص ٢١٨؛ الريسوني، احمد، (2001)، الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده، منظمة التربية والعلوم،(الكويت(، ص 6.

(٧) Gündüz, A.(2003), *Osmanlı İdaresinde Musul (1523-1639)*, Elazığ: Fırat Üniversitesi Basımevi, s.367.

وخاصة في العراق يديرها متولون يعينهم الواقف او موظفون تكلفهم أدارة الولاية ليقوموا بمهمة الناظر الوقف او متوليه بالنسبة لبعض الاضرحة والمزارات [١] .

ثانيا : دوافع أهتمام النظام الاداري العثماني بالوقف

يعد الوقف عند العثمانيين جزءاً من ثقافتهم، وقد طبقوه بدقة وحسب الشرع الشريف الأمر الذي هيأ وسائل العيش الكريم للمجتمع العثماني والمجتمعات التي أنضوت تحت حكم النظام العثماني ، كان الوقف يقوم بمهمة المحافظة على الجوامع والمساجد والمدارس والتكايا والاضرحة والمزارات وغيرها من المنشآت ذات الطابع الديني و الاجتماعي . حيث سعى العثمانيون الى فعل الخير وإقامة الاعمال الصالحة وعلى رأسهم السلاطين وأفراد الأسرة الحاكمة وكبار رجال الدولة ورجال الجيش والعلماء والأثرياء من الأهالي الذين حبسوا الأموال لخدمة الناس مدى الحياة . [٢] هذا وقد حرص العثمانيون على الاهتمام بالوقف اهتمأما بالغاً، وذلك لما كان يقدمه من خدمات مجانية لفئات المجتمع. وهذة المؤسسة وأحده من أهم المؤسسات الانسانية والاجتماعية في الدولة العثمانية[٣] ومنذ قيام الدولة العثمانية (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) أخذت المؤسسات الخيرية في الظهور حتى عمت أرجاء البلاد[٤] ، بدليل تنوع الأوقاف في مختلف المجالات، مثل كسوة الفتيات الفقيرات ورصف الأزقة وتسديد ديون المسجونين بسبب الاستدانة، فضلاً عن ذلك تأتي على رأس المؤسسات الوقفية الخيرية ، الجوامع والمساجد وسقايات المياه والمدارس والمستشفيات والحمأمات، ودور العجزة ومؤسسات إطعام الفقراء والمكتبات ومغاسل الأموات والطرق والجسور ودور التوقيت وغيرها، حتى الحيونات كانت لها أوقاف وبالأخص الطيور (الحمام) الذي كانت له أوقاف من الحبوب لإطعامه، وهو يطير في فناء جوامع المدن.

---

(١) وقفية محفوظة في مكتبة الشيخ عبد القادر الكيلاني،بغداد، مؤرخة في سنة ٩٥٥هـ / ١٥٤٨م اطلع عليها الباحث .

(٢)كنج، يوسف إحسان، واخرون، (٢٠٠٨)، دليل الارشيف العثماني، ترجمة صالح سعداوي، تقديم خالد آرن، (استانبول)، ص . 284 – 283

(٣) Gündüz, a.g.e., s.368.

(٤)كنج،المصدر السابق،ص .284

كذلك إطعام اللحم للكلاب ورئات الغنم للقطط[١] .نستدل من ذلك أن حب الخير لدى العثمانيين يشمل الحيوانات أيضاً، فلا يجوز لأحد معاملة الحيوانات معاملة سيئة إذ انها أيضاً من مخلوقات الله[٢] . هذا فضلاً عن رعاية العثمانيين للحرمين الشريفين باعتبارهما أوقافاً تخص المسلمين كافة، وكانت لهما مكانة ومحبة لديهم، إذ انشا العثمانيون في سنة ٩٥٥ هـ / ١٥٨٧ م دائرة خاصة برعاية شؤون الحرمين الشريفين يشرف عليها أغا دار السعادة . [٣] استمر السلاطين العثمانيون في العمل والسعي الى فعل الخير وعدوا فعل البر والخير من الواجبات التي تقع على عاتق المسلم لذلك اهتموا بأمر الأوقاف ، حيث خصصت وقفيات للجوامع والمساجد والمدارس والمستشفيات. وتشير المصادر التي بين أيدينا إلى أن أول وقف سلطاني سجل في تاريخ الدولة العثمانية كان وقف السلطان أورخان بن عثمان (٧٢٦-٧٦١هـ / ١٣٢٦-١٣٥٩م) والذي كان للأغراض خيرية[٤] ، ومن المهم ان نذكر ان العثمانيين اعترفوا بالأوقاف المقامة في العهود التي سبقت حكمهم، وحافظوا عليها وأداروا هذة الأوقاف أما بالصيانة (صيانتها) أو بتسجيلها في سجلات الأوقاف . [٥] فعلى سبيل المثال حافظ العثمانيون

---

(١) أوزتونا، يلماز، (١٩٩٠)، تاريخ الدولة العثمانية، مج٢، ترجمة وتنقيح عدنان سلمان ومحمود الأنصاري، مؤسسة الفيصل للطباعة والنشر، (استانبول)، ص ٤٩٢.

(٢)أوزتونا، المصدر نفسه ، ص .284 – 492

(٣)أغا دار السعادة: ويعرف أغا البنات (حريم أغاسي) وهو أكبر الأغوات في القصر العثماني وأكبر أغوات الحريم والعاملين داخل القصر وهو يشرف على أوقاف الحرمين الشريفين وأوقاف بعض السلاطين التي يطلق عليها اسم أوقاف هما يوني. أنظر : Keleş, H.(2006), *Erzurum Vakıfları H.988(1580-1581) Tarihli Evkaf Defterine Göre*, Ankara: Gündüz Eğitim Yayıcılık, s.58.

(٤) للمزيد من التفاصيل حول هذا الوقف وأوقاف السلاطين العثمانيين حتى سنة (٩٢٠ هـ / ١٥١٤م) انظر : Kazıcı, Z.(2003), *Osmanlı Vakıf Medeniyeti*, İstanbul: Bilge Yayınları,s.88; İnalcık, H.(1988), *Osmanlı Devleti'nin Kuruluşu*, (Çev. Hulusi Yavuz), İslam Tarihi Kültür ve Medeniyeti, İstanbul: Hikmet Yayınevi, s.107.

(٥) Teisir Khalil EL-Zawahreh ,(1992),*Religious Endowments and Social Life in the ottoman Province of Damascus In The Sixteenth and Seventeenth Centuries* Jordan , p.89.

على الأوقاف الموجودة في الموصل ومناطق العراق الشماليه بعد خضوعها لحكمهم منذ سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م .[١] هذا وتعاقب على السلطة في الدولة العثمانية عدة سلاطين ساروا على نفس النهج الخيري في بناء مساجد وجوامع ومدارس وتكايا وترميم وصيانة الاضرحة والمزارات واي شيء يهدف الى فعل الخير، وخاصة للحرمين الشريفين وعلى هذا الغرار يعد السلاطين العثمانيون من مؤسسي الأوقاف في المناطق العربية [٢]

في ضوء الوثائق العثمانية نجد ان هنالك اوقاف عديدة تتناول الاضرحة والمزارات الموجودة في العراق ونذكر بعض من هذة الوقفيات من مناطق مختلفة كنموذج لأهتمام النظام الاداري العثماني بالاوقاف ، فمرقد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) الواقع في الجانب الغربي من بغداد، عمره السلطان سليمان القانوني وزينه، وكان الزائرون يأتون لزيارته من كل مكان ، حيث بلغت وارداته ١٣٥ أقجة[٣] ومصدر هذة الواردات عبارة عن دكاكين وأراضي، فضلا عن عدد كبير من المصاحف الشريفة تم وقفها للمرقد الشريف[٤]. كذلك كان لمرقد الإمام أبي حنيفة النعمان (رحمه الله) أوقاف كثيرة تمثلت في عدد من الدكاكين والمزارع والقرى التابعة الى منطقة الخالص إحدى نواحي بعقوبة. كذلك كان مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني (رحمه الله) من المراقد التي اهتم بها السلاطين العثمانيون، حيث كانت له أوقاف كثيرة تمثلت في أراض ومستغلات[٥]

---

(١) BOA., TT.d.998,81.

(٢) Gündüz, A.,(2006), *" Musul Irak'ta Tarihi Bir Şehir", Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi*, C.XXXI, Ankara,s.98.

(٣) الأقجة: عملة عثمانية فضية يعزى ضربها الى السلطان أورخان (٧٢٧هـ/١٣٢٦م) وكانت تعرف بـ(الابيض) والمصادر الغربية تشير إليها وكانها النقد البيزنطي أسبر (Asper). ان أول اقجة كانت تزن ١,١٥ غرأماً حتى القرن السابع عشر الميلادي. أنظر: فاروقي، ثريا وآخرون، (٢٠٠٧)،التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ج٢، تحرير خليل اينالجك ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المدار الاسلامي، (بيروت)، ص ٧٤٣ ؛

Rasim, A.(1330), *Resimli ve Haritalı Osmanlı Tarihi*, C.1, İstanbul: Şems Matbası, s.68.

(٤) BOA., TT.d.386, s.161; VGMA.,D.165,s.53.

(٥)المستغلات: هي كل ما يتعلق بالزراعة والبساتين عامة وبخاصة مزارع النخيل، وتؤجر بالغالب على مدى ثلاث سنوات، ويؤخذ منها بصفة معدل إيرادات ريع الانتاج على الحنطة والشعير، والنصف من الرز والتمر، وتجمع وارداتها بالنقد لابالمحصول للمزيد أنظر: د.و.ك. الاضبارة رقم١/٥، تسلسل ١٠، ص 51.

وقرى واقعة في مناطق الخالص وبهرز وشهربان فضلا عن أراض في بغداد كانت وقفا للمرقد المذكور اعلاه [١].

المبحث الثاني: أوقاف الاضرحة والمزارات في مدينة الموصل خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلادي

في ضوء الوثائق العثمانية نجد ان مؤسسة الأوقاف قد كان لها أثر مهم في مختلف نواحي الحياة ولا سيما الدينية والاجتماعية ، حيث نجد من خلال الوثائق العثمانية مدى أهمية الوقف والدور الذي يمارسه في حفظ حياة الإنسان قبل مماته وبعد مماته ، وخير مثال على مانذكره الاوقاف التي تم العثور عليها والتي تعود لأهل بيت رسول الله ﷺ، هو أن الدولة العثمانية قد خصصت بعضا من واردات الاوقاف للأضرحة والمزارات الموجودة في أيالة الموصل خلال البواكير الاولى للنظام العثماني في العراق بين سنة ٩٢٢ – ١١٦٢ هجري (١٥١٦ – ١٧٥٠ ميلادي) ، والذي تتناوله دراستنا هذة ، فالاضرحة هو الاسم الذي يطلق على المبنى المبني على القبر حيث دفن الموتى . من هذا المفهوم نستشفي أن الغرض الأساسي من بناء قبر أو ضريح هو تخليد ذكرى الشخص المدفون فيه والحفاظ على هذة الذكرى حية في أذهان الأجيال القادمة. ومنذ القرن العاشر ، بدأت الأضرحة تنتشر على نطاق واسع ، خاصة ان هذة الاضرحة والمزارات في فترة الإمبراطورية العثمانية قد أثرت على البنية الاجتماعية للمدن . حيث جذبت قبور الحكام القدامى ، والسادة الذين فازوا بقلوب مختلف شرائح المجتمع ، والقادة الدينيين المشهورين ، والقديسين ، اهتمامًا كبيرًا من الناس في الماضي وكذلك اليوم. كانت المدافن أيضًا على شكل جزء منها زوايا وتكايا تعود للطرق الدينية والدراويش . هناك العديد من المؤسسات الوقفية التي يتم وقف عائداتها في مدينة الموصل لبعض الأضرحة والمزارات ، كما تشير وثائق الارشيفية للقرن السادس عشر والسابع عشر الذي تم تحديد وجودها في مدينة الموصل على النحو التالي[٢]:

١: وقف ضريح الامام أبراهيم بن الامام جعفر الصادق عليه السلام

الامام أبراهيم هو ابن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق عليه السلام، حيث ورد اسمه في الوثائق العثمانية بالشكل المذكور اعلاه ، وتضاربت الاراء حول مكان الذي تم دفنه فبعض

---

(١) BOA.,TT.d.386,s.174-242.

(٢) Albayaty, İ.,(2021), *Osmanlı Döneminde Musul ve Kerkük Vakıfları H.922-1112/ M.1516-1700*, Nobel, Ankara,s.85.

المصادر تشير الى وجود ضريحة في بغداد في العتبة الكاظمية بجوار الامام موسى الكاظم عليه السلام، والبعض الاخر من المصادر تشير الى وجود الضريح في مدينة الموصل وهذا ما اكدته الوثائق العثمانية وبالتحديد ان الضريح موجود في محلة الامام ابراهيم في الموصل وبالقرب من ضريح النبي جرجيس [١] . وجهت الدولة العثمانية اهتمامها بالضريح من خلال تخيص جزء من واردات التي تأتي من المصبغة (البويه خانه) الموجودة في مركز مدينة الموصل وقفا لهذا الضريح ، وهذا الوقف كان وقفا يوميا وكما مبين في الجدول رقم ١ ادناه:

الجدول رقم (١) وقف ضريح الامام ابراهيم بن الامام جعفر الصادق [٢]

٩٣٢ هجري ١٥٢٦ ميلادي	٩٤٦ هجري ١٥٤٠ ميلادي	٩٦٥ هجري ١٥٥٨ ميلادي	٩٨٣ هجري ١٥٧٥ ميلادي
٧,٥ أقجة	٣ اقجة	٨ أقجة	٣ أقجة

أما جهت صرف واردات هذا الوقف كانت تصرف على الطلبة الذين يتعلمون قراءة القرأن الكريم في الضريح بالأضافة الى خادم الضريح الذي يقوم بخدمة زوار فضلا عن الشخص الذي يقوم بفرش الحصير لجلوس الزوار وانارة المكان وتنظيف المكان ، حيث كان يصرف يوميا بين سنة ٩٤٦ – ٩٨٣ هجري / ١٥٤٠ – ١٥٧٥ ميلادي للذين يقومون بقراءة القرأن الكريم أقجة واحد كل يوم ؛ أما الخادم والشخص الذي يتولى وظيفة فرش الحصير فكانت تخصص له أقجتان في اليوم سنة ٩٤٦ هجري / ١٥٤٠ ميلادي وفي سنة ٩٦٥ هجري / ١٥٥٨ ميلادي سبعة أقجة ، وسنة ٩٨٣ هجري / ١٥٧٥ ميلادي أقجتان تصرف من واردات الوقف [٣] .

٢. وقف ضريح الامام عبد الرحمن بن الامام حسن

---

(١) *Musul Vilayeti Salnamesi* (1312),s.240;El-Hasani, A.(1958), *Tarihu'l-Irak Kadimen ve Hadisen*, Bağdat: Sayda,215; Bayatlı, N.(1999), *XVI. Yüzyılda Musul Eyaleti*, Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi, s.120.

(٢)BOA., *TT.d.195*,s.142; *TT.d.308*,s.183; *TT.d.660*,s.259;TKGM,TADB, *TT.D.120*,s.120.

(٣) BOA., *TT.d.195*,s.142; *TT.d.308*,s.183; *TT.d.660*,s.259;TKGM,TADB, *TT.D.120*,s.120 .

الامام عبدالرحمن بن الامام حسن بن الامام علي المرتضى عليه السلام حيث ورد اسم الامام كما ذكر اعلاه في الوثائق العثمانية [١] ، يقع الضريح في شمال مدينة الموصل على اطراف نهر دجلة وهو المكان الذي يتواجد فيه بعض من احفاد اهل بيت رسول الله عليه السلام، تشير دفاتر التحرير العثمانية الى ان وارد هذا الوقف كان مصدره من المصبغة الموجودة في المدينة حيث كان وارد الوقف في سنة ٩٣٢ – ٩٨٣ هجري / ١٥٢٦ – ١٥٧٥ ميلادي ١,٥ أقجة اي سنويا ٥٤٧ أقجة وكانت تصرف على جهة العاملين في الضريح من قارئ القرآن الكريم و الخادم الذي يقوم بوظيفة فرش الحصير والانارة ، حيث كان الأجر اليومي لقارئ القرآن الكريم أقجة واحدة بينما الخادم الضريح كان يتقاضى ٠,٥ أقجة بين السنوات ٩٣٢ – ٩٨٣ هجري / ١٥٢٦ – ١٥٧٥ ميلادي[٢].

٣. وقف ضريح الامام عبدالمحسن بن الامام الحسن

هو ابن الامام حسن بن الامام علي عليه السلام، موقع الضريح هو في مركز مدينة الموصل قرب نهر دجلة حيث بلغت واردات الوقف في سنة ٩٣٢ – ٩٨٣ هجري / ١٥٢٦ – ١٥٧٥ ميلادي بين ٦٧٢ و ٨٤٠ أقجة ، فكانت تصرف على العاملين في الضريح من الخدام وقارئ القرآن الكريم وعامل الحصير والانارة حيث كانت يومية كل منهم ٢ أقجة الى ٢,٥ اقجة بين السنوات المذكورة اعلاه وكانت بالشكل الأتي كما في الجدول رقم ٢ ، علما ان مصدر هذا الوقف هو من المصبغة (البويه خانه) الموجودة في مدينة الموصل[٣] .

الجدول رقم (٢) صرف واردات الوقف العائدة لضريح الامام عبد المحسن

جهة الصرف	**932**هجري / ١٥٢٦ ميلادي	**983-932**هجري/١٥٤٠-

(١) *Musul Vilayeti Salnamesi,*(1308),s.115.

(٢) BOA., *TT.d.998*,s.86; *TT.d.195*,s.142; *TT.d.308*,s.183; *TT.d.660*,s.259;TKGM,TADB, *TT.d.120*,s.120.

(٣) BOA., *TT.d.998*,s.86; *TT.d.195,s.*142; *TT.d.308*,s.183; *TT.d.660*,s.259;TKGM,TADB, *TT.d.120*,s.120.

		١٥٧٥ميلادي
قارء القرأن الكريم	1أقجة	1أقجة
الخادم (الذي يقوم بالانارة الضريح وفرش الحصير)	1.5	1أقجة

٤. وقف ضريح الامام عون الدين بن الامام حسن

الامام عون الدين بن الامام الحسن المنثى بن الامام الحسن بن الامام علي عليهم السلام، يقع هذا الضريح جنوب شرق مدينة الموصل في المحلة التي سميت باسمه [١] ، يبعد عن باب لكش ٢٠٠ م ، حيث تم ترميم هذا الضريح في عهد الملك بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٤٠ هجري / ١٢٤٣ ميلادي ، ومنذ تلك الفترة لم نجد اي ذكر للضريح الا ان اصبحت الموصل تحت حكم النظام الاداري العثماني . [٢] مصدر وقف هذا الضريح كان يأتي من المصبغة (البويه خانه) في مدينة الموصل ويتم صرفة على الضريح والعاملين فيه ، حيث كان الوارد الوقف اليومي من المصبغة هو ٣,٥ أقجة في سنة ٩٣٢ هجري / ١٥٢٦ ميلادي وكانت تصرف لقارئ القرأن الكريم والخادم الذي يقوم بالمحافظة على نظافة الضريح وأنارته عندما يحل المساء ، فكان القارئ يتقاضى في اليوم ٢ أقجة بينما الخادو ١,٥ أقجة ، في حين تشير الوثائق ان فس سنة ٩٤٦ – ٩٨٣ هجري / ١٥٤٠ – ١٥٧٥ ميلادي كان وارد الوقف قد اصبح ٣ اقجات في اليوم بحيث اصبح القارئ في تلك السنوات يتقاضى اجره اليومي أقجتان والخادم أقجة واحدة تصرف لهم من وارد الوقف . [٣]

---

(١) BOA., *TT.d.998*,s.72.

(٢) *Musul Vilayeti Salnamesi*(1310),s.78.

(٣)

BOA., *TT.d.195*,s.143; *TT.d.308*,s.183; *TT.d.660*,s.259;TKGM,TADB, *TT.d.120*,s.120

.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٥. وقف ضريح أم كلثوم بنت الامام الحسين

هي بنت الامام الحسين بن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، تشير المصادر الى وجود هذا الضريح في مدينة الموصل وبالتحديد في مركز المدينة في محلة سوق الصاغة [١] ، مصدر واردات هذا الوقف هو من المصبغة (البويه خانه) الموجودة في مدينة الموصل حيث تشير الوثائق العثمانية الى ان مجموع السنوي للواردات الوقف لهذا الضريح قد بلغ ٣٦٥ أقجة للسنوات من ٩٣٢ – ١٠٣٣ هجري / ١٥٢٦– ١٦٢٣ ميلادي ، حيث كان يصرف وارد الوقف على جهة الخادم الذي يقوم بوظيفة الانارة وفرش الحصير لزوار هذا الضريح اي بمعدل أقجة واحدة في اليوم.[٢]

٥. وقف ضريح فاطمة الصغرى بنت الامام الحسين

هي بنت الامام الحسين بن الامام علي عليه السلام ، يتواجد الضريح في مركز مدينة الموصل بالقرب من ضريح الامام يحيى بن الامام قاسم بن الامام الحسن بن علي عليه السلام الذي سيتم التطرق اليه لأحقا[٣] ، حيث كان وارد الوقف السنوي لهذا الضريح هو ٧٢٠ أقجة ، اي بمعدل ٢ أقجة في اليوم وكان مصدر هذا الوقف يأتي من المصبغة (البويه خانه) الموجود في مركز مدينة الموصل ، حيث نجد في ضوء الوثائق العثمانية ان كل من القارئ للقرأن الكريم في الضريح يتقاضى أقجة واحدة و خادم الضريح ايضا يتقاضى أقجة واحدة وذلك في السنوات

---

(١) *Musul Vilayeti Salnamesi(1308),s.118;*El-Ömerî, M. (1967), *Manhalu'l-Evliyya ve Maşrabu'l-Asfiya fi Tarihi'l- Musul El-Hadba*, n.Sa'id Deveci, C.1, Musul,s.148.

(٢)BOA., *TT.d.998*,s.86; *TT.d.195*,s.143; *TT.d.308*,s.183; *TT.d.660*,s.259;TKGM,TAD B. *TT.D.120*,s.120.

(٣)Eroğlu, C.vd (2008), *Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul*, B.2,Ankara: Global Strateji Enstitüsü,s.400.

٩٣٢ – ١٠٣٣ هجري / ١٥٢٦ – ١٦٢٣ ميلادي. [١]

٧. وقف ضريح ست نفيسة بنت الامام زيد

تشير الوثائق العثمانية الى ان ضريح الست نفيسة بنت الامام الحسن بن الامام زيد بن الامام الحسن بن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، موجود في محلة باب السراي في مدينة الموصل ، وارد ضريح هذا الوقف كان يأتي من المصبغة (البويه خانه) في الموصل حيث كان وارد السنوي في سنة ٩٣٢ هجري / ١٥٢٦ ميلادي هو ٥٤٧ اقجة قد تم تخصيصه. [٢] أما في سنة ٩٤٦ هجري / ١٥٤٠ ميلادي فكان وارد الوقف السنوي هو ٧٣٠ أقجة ، بمعنى ان في اليوم الواحد يخصص أقجتان كوقف للضريح ، أما في سنة ٩٦٥ – ١٠٠٣ هجري / ١٥٥٨ – ١٦٢٣ ميلادي كان وارد الوقف السنوي هو ٥٤٧ أ قجة . تصرف هذة المبالغ الوقفية لجهة العاملين في الضريح فالقارئ للقرأن الكريم كان يوميته ٠,٥ أقجة وخادم الضريح يوميته أقجة واحدة ، اما عامل الانارة وفرش الحصير فكان مخصص له ١,٥ أقجة من واردات الوقف . [٣]

٨. وقف ضريح الامام زيد بن علي

هو الامام زيد بن الامام محمد بن الامام زيد بن الامام زين العابدين بن الامام علي السجاد بن الامام الحسين بن الامام علي أبن ابي طالب عليه السلام، الا ان في الوثائق العثمانية تم الاشارة الى الامام زيد كما تم ذكرناه اعلاه . يقع هذا الضريح في الجنوب الغربي من مدينة الموصل وبالتحديد في محلة دار حجي أحمد القريب من احدى المداخل الموصل والمسمى بـ (باب الجديد) ، مصدر وقف هذا الضريح كان مخصص من المصبغة (البويه خانه) ، حيث بلغ وارد الوقف السنوي في سنة ٩٣٢ هجري / ١٥٢٦ ميلادي ٩١٢ أقجة اي معدل في اليوم ٢,٥ أقجة

---

(١)
BOA., *TT.d.998*,s.87; *TT.d.195*,s.143; *TT.d.308*,s.184; *TT.d.660*,s.260;TKGM,TADB, *TT.d.120*,s.120.

(٢) BOA., *TT.d.998*,s.87.في هذا الدفتر لا يوجد ذكر للجهات التي تصرف لها واردات الوقف

(٣) BOA., *TT.d.308*,s.184; *TT.d.660*,s.260;TKGM,TADB, *TT.D.120*,s.120.

كانت وقفا للصرف على الضريح[١] ، أما في السنوات ٩٤٦ – ١٠٣٣ هجري / ١٥٤٠ – ١٦٢٣ ميلادي كان الوارد السنوي ٧٣٠ أقجة ، حيث كان يتم صرف من وارد الوقف على كل من القارئ للقرأن الكريم في الضريح في اليوم أقجة واحدة وعلى الخادم في الضريح ايضا أقجة واحدة حسب ماتم ذكره في سجلات الارشيف العثماني[٢]. .

٩. وقف ضريح الامام يحيى بن الامام قاسم

يحيى بن الامام قاسم بن الامام الحسن بن الامام علي عليهم السلام، حيث ذكرت الوثائق العثمانية هذا الوقف باسم يحيى ابو القاسم في سجلاتها ، يقع هذا الضريح في مدينة مركز الموصل وبالتحديد داخل اسوار المدينة فوق مكان مرتفع عن سطح الارض ، مصدر وقف هذا الضريح كان ياتي من المصبغة (البويه خانه) حيث كان وارد الوقف السنوي في سنة ٩٣٢ هجري / ١٥٢٦ ميلادي ٩١٢ أقجة بمعدل ٢,٥ أقجة في اليوم أما في السنوات ٩٤٦ – ١٠٣٣ هجري / ١٥٤٠ – ١٦٢٣ ميلادي كان وارد الوقف السنوي هو ٧٣٠ أقجة اي باليوم الواحد ٢ أقجة مخصصه للضريح من المصبغة ، اما الجهات التي كانت تصرف لها هذة الاموال من وارد الوقف فهي للعاملين في خدمة الضريح من قارئ للقرأن الكريم واالخادم الذي يهتم بكل ما يتعلق بالضريح من الانارة وفرش الحصير[٣]

١٠. وقف ضريح الامام علي الهادي بن الامام علي الهادي

اسمه الامام علي الهادي بن الامام علي الهادي بن الامام محمد الجواد بن الامام علي الرضا بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين بن الامام حسين بن الامام علي بن ابي طالب عليهم السلام[٤] ، يقع هذا الضريح في مركز مدينة

---

(١) BOA., *TT.d.998*,s.87.

(٢) BOA., *TT.d.195*,s.143; *TT.d.308*,s.184; *TT.d.660*,s.259;TKGM,TADB, *TT.d.120*,s.120 .

(٣) *Musul Vilayeti Salnamesi(1308-1310),s.*117-80; BOA., *TT.d.195*,s.143; *TT.d.308*,s.184; *TT.d.660*,s.260; TKGM,TADB, *TT.d.120*,s.120.

(٤) *Musul Vilayeti Salnamesi(1308-1310),s.116*

الموصل وتم وقف مبلغ من واردات المصبغة (البويه خانه) ، ليكون وقفا لهذا الضريح حيث بلغ وارد الوقف السنوي في سنة ٩٣٢ هجري / ١٥٢٦ ميلادي ٩١٢ أقجة ، اما في السنوات ٩٤٦ – ١٠٣٣ هجري / ١٥٤٠ – ١٦٢٣ ميلادي كان وارد الوقف ٧٢٠ أقجة ، وكانت تصرف لجهة العاملين في الضريح بالشكل الأتي : (١)

الجدول رقم (٣) صرف واردات الوقف العائدة لضريح الامام علي الهادي

جهة الصرف	**932**هجري / ١٥٣٢ ميلادي	**946 – 1033**هجري **1540 – 1623**ميلادي
قارئ القرأن الكريم	1.5 أقجة	1أقجة
الخادم (الانارة ، فرش الحصير)	1أقجة	1أقجة
المجموع	**2.5**أقجة	**2**أقجة

ختام هذا المبحث لابد من الاشارة الى ان هنالك العديد من الاضرحة والمزارات لم يتم ذكرها في هذا البحث بل تم ترك ذكرها للبحوث والدراسات العلمية القادمة ، حيث ان هنالك العديد من الاضرحة والمزارات مسجلة في الوثائق العثمانية والتي مع الاسف تكاد تكون الدراسات عنها معدومة او قليلة والسبب في ذلك عزوف الباحثين عن القيام بمثل هذة الدراسات وذلك لصعوبة قرأت هذة الوثائقها .

الشكل رقم (١) نموذج لأحدى الوثائق العثمانية (دفتر الطابو المرقم(**195**

(١) BOA., *TT.d.195*,s.143; *TT.d.308*,s.183; *TT.d.660*,s.259; TKGM,TADB. *TT.d.120*,s.120.

ISBN: 978-9922-21-412-2

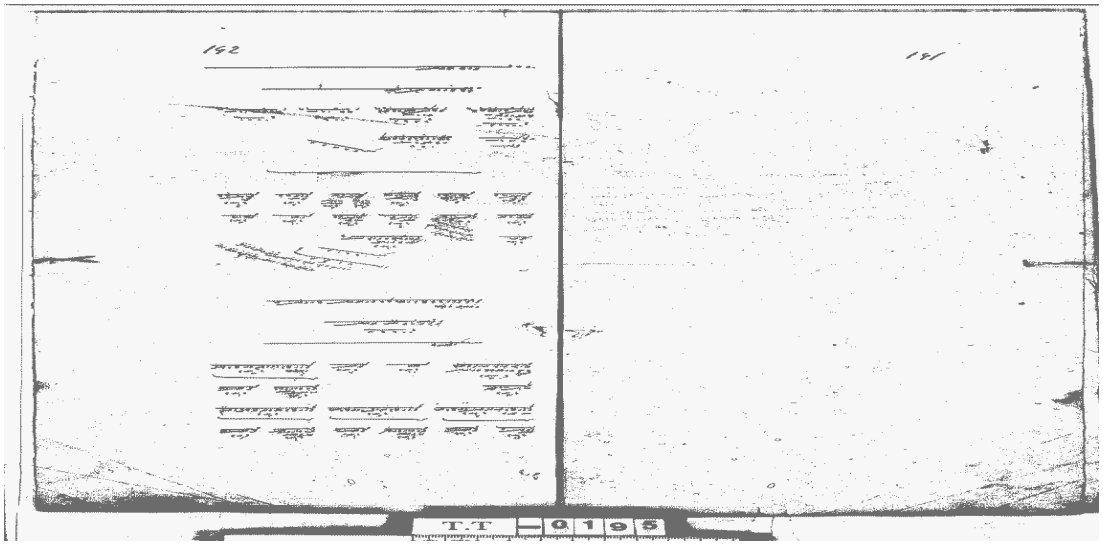

مؤسسة الاوقاف وتأثيرها الاقتصادي:

تبين لنا فيما سبق ذكره، ان الوقف قد كان له أثر مهم في مختلف نواحي الحياة ولا سيما الاقتصادية منها، حيث نجد من خلال الوثائق العثمانية مدى أهمية الوقف ودوره والأثر الكبير الذي يمارسه في حفظ حياة إلانسان، وخير مثال على مانذكره، هو أن الدولة العثمانية قد خصصت بعضا من واردات الوقف للأضرحة والمزارات. فكان تاثيرها على حياة الانسان في حياته ومماته عكسة صورة ايجابية بحيث كانت مؤسسة الوقف مؤسسة بعيدة المدى من المنظور الاقتصادي لانها مستمرة في تقديم خدمات لجميع افراد المجتمع بدون ان تمييز بين افرادها ، فكانت هذة الخدمات التي تقدمها بحاجة الى قوة مادية مستمدة من موارد موجودة في المدينة بمعنى ان مؤسسة الوقف تستند في جميع انشطتها على القوة المادية . [١]

وهذة القوة المادية كانت تحت سيطرة مؤسسة الاوقاف التي كانت تعمل في مجال اوقاف الاضرحة والمزارات على صيانة وترميم هذة الاضرحة والمزارات التي بالتالي كانت تساهم في الحفاظ على الحيوية الاقتصادية في المنطقة من خلال الانشطة الاقتصادية المتمثلة في عملية الاصلاح وشراء مواد البناء ودفع الاجور .. والخ من جهة. فضلا عن العاملين في هذة

(١) Yediyıldız, B.(2003), *XVIII. Yüzyılda Türkiye'de Vakıf Müessesesi,* Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi,s.76.

الاضرحة والمزارات اي ان هؤلاء الاشخاص في هذة المؤسسة قد تم تلبية احتياجاتهم في المدن التي يقيمون فيها ، فقد كان الأجر اليومي الذي يتلقونه أحد مصادر الحيوية في الاقتصاد الإقليمي[١] .بافتراض أن كل شخص عامل يمثل أسرة وأن الأسرة تتكون من ٥ أشخاص ، هذا يدل على ان الاسرة تعيش حالة من الرفاهية او الاكتفاء الاقتصادي بسبب الاجر الذي يتقاضاه من مؤسسة الوقف . فكان القرن السادس عشر الميلادي فترة ازدهار في جميع المجالات خاصة الوقفية التي انعكست بايجابية على اقتصاد المدينة ، نتيجة لذلك ، تم إنشاء العديد من المؤسسات الوقفية، التي تعد أحد مصادر الحيوية الاقتصادية في تنمية واستدامة المدينة[٢] . من جهة اخرى أن عدد المؤسسات الوقفية استمر في الازدياد ، وينطبق الشيء نفسه على مدينة الموصل هذا الوضع باستمرار وزيادة عدد المؤسسات الوقفية كان له تاثير على الاقتصاد العثماني . إلا أنه من المعروف أن وفرة المؤسسات تضع الخزينة في مأزق من جهة . وتجدر الإشارة كما اسلفنا سابقا الى ازدياد عدد المؤسسات الوقفية بشكل عام في الأراضي العثمانية خاصة في السادس عشر والسابع عشر الميلادي . نتيجة لذلك وبحسب السجلات ، فإن مجموعة الاضرحة والمزارات هو ٣٣ ضريحًا ومزارا منسوبة إلى الأئمة والأولياء الأربعة ، مسجلة في الموصل منذ سنة ٩٢٦-١١١٢ هجري/ ١٥٢٠-١٧٠٠ ميلادي كان المبلغ الإجمالي لوقف الأضرحة والمزارات منذ تلك السنين اعلاه هو ٦٧٠١٧٤ أقجة تم إنفاق٦٦٥,٦٢٩ أقجة. يمكن القول إن الاضرحة والمزارات كانت مدمرة قبل النظام الاداري العثماني ،حيث تم ترميمها بشكل يليق بمقام كل ضريح في ظل النظام

(١) Al-Bayaty, İ.(2018,05.08 Eylül), "*Musul Vakıfları H.922-1004 / M.1516-1595 Arşiv Defterlerine Göre*", Uluslararası Türk Kültürü ve Medeniyeti Kongresi Sunuldu, Burhaniye- Balıkesir,s.86.

(٢) Köprülü, M.F.(1983), *İslam ve Türk Hukuk Tarihi Araştırmaları ve Vakıf Müessesesi*, İstanbul: Ötüken Yayınları,s.99.

الاداري العثماني[١] . ان دراسة هذه الخدمات تكشف على نحو فريد ومميز عن الصلة بين التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وبين التاريخ العلمي، أي إن الخدمات هي إحدى أهم المجالات الرئيسية التي تخدم مصالح الشعب وترفه عنه نتيجة لذلك ، تم إنشاء المؤسسات التي تعد أحد مصادر الحيوية الاقتصادية في المراكز التي توجد فيها المدن اقتصاديًا[٢] .

الخاتمة

بيّنت هذه الدراسة الاوقاف في العراق خلال النظام الاداري العثماني وفق معطيات الارشيف العثماني اعتبارا من انضواء مدينة الموصل تحت حكم العثماني منذ سنة ٩٢٢ هجري / ١٥١٦ ميلادي لغلية ١١١٢ هجري / ١٧٠٠ ميلادي . توصلنا الى جملة استنتاجات : إن الأوقاف كانت موضع رعاية واهتمام الحكومات المتعاقبة التي حكمت العراق ، وكان العثمانيون أكثر تلك الانظمة اهتماما ملحوظاً بالأوقاف ، ربما فاق سواهم من حكام المسلمين، لأنهم أرادوا بذلك أن يقدموا أنفسهم قادة للعالم الإسلامي بأجمعه وزعماء له لذا تنوعت الاوقاف عندهم . وفي ضوء الاطلاع على الوثائق العثمانية نجد انهم قاموا بتسجيل كل مادة في الوقف وكل شؤونها ، فكانت اوقاف الاضرحة ومزارات الائمة والاولياء الصالحين في الموصل نموذجا على تنوعها ، حيث تصرف ايرادات هذة الاوقاف على العاملين في خدمة الاضرحة وعلى زوار هذة الاضرحة. ومن ناحية اخرى هو التاكيد على ان سياسة الدولة العثمانية قائمة على اسس دينية وذلك من خلال الاهتمام باوقاف الاضرحة ومزارات الائمة، فضلا عن انها كانت بمثابة مظلة لتأمين مصادر الحياة للمجتمع في الجانب الاقتصادي . بالاضافة الى كل ماذكرناه لابد من الاشارة الى ان بفضل مؤسسة الاوقاف قد تم المحافظة وصيانة كل الاضرحة والمزارات من الاندثار وتحولها الى خرابة قد تتلاشى مع مرور الزمن بحيث لن تتعرف الاجيال القادمة على

---

(١) Albayaty,İ.,(2012), *El-Vakıf fi Eyalat El-Irak Hilal-i El-Ahdi El-Osmani El-Evvel 1534-1623*,Bağdat: Divan El-Vakıf Sünni,s.101.

(٢) Bizbirlik, A.(1997), "*XVI. Yüzyılın İlk Çeyreğinde Musul Vakıfları*", *Vakıflar Dergisi*,(26).

مكان هذة الاضرحة العائدة الائمة والاولياء الصالحين .

المصادروالمراجع

-القرأن الكريم

-الوثائق الارشيف العثماني : وثائق محفوظة في الأرشيف العثماني التابع لرئاسة الجمهورية التركية .

Başbakanlık Osmanlı Arşivi (BOA)

Tapu Tahrir Defterleri (TT.d)

No: 998; 195; 308; 660.

Defterhane-i Amire Tahrir Defteri (DFE.TD)

No: 386.

Tapu ve Kadastor Genel Müdürlüğü Arşivi (TKGM)

No: 120.

Vakıflar Genel Müdürlüğü Arşivi (VGMA)

No: 165

Musul Vilayeti Salnamesi (1308, 1310, 1312), Mektubî-i Vilayet Hasan Tevfik Efendi Tarafından Basılmıştıt.

- الوثائق العربية :

. المركز الوطني لحفظ الوثائق في بغداد (د. ك. و)

أضارة رقم ١,٥ ، تسلسل ١٠.

مخطوطة محفوظة في المكتبة القادرية ، بغداد ، مؤرضة في ١٠ محرم سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م.

المصادر العربية:

أبن منظور ، جمال الدين بن مكرم ، (٢٠٠٣)، لسان العرب ، مج٩، دارالحديث، (القاهرة).

- أوزتونا، يلماز، (١٩٩٠)، تاريخ الدولة العثمانية، مج٢، ترجمة وتنقيح عدنان سلمان ومحمود الأنصاري، مؤسسة الفيصل للطباعة والنشر، (استانبول).

- ثويني ،علي، (٢٠٠٥)، معجم عمارة الشعوب الإسلامية، ط١، بيت الحكمة، (بغداد).

- دريد، محمد بن الحسن الأزدي، (د.ت)،جمهرة اللغة، ج٣، دار صادر، (بيروت) .
- الجرجاني، علي بن محمد، (٢٠٠٣)، كتاب التعريفات، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت).
- الشافعي، محمد بن إدريس، (١٩٦١) ، الأم، ج٤، تحقيق محمد زهدي النجار، مكتبة الكليات الأزهريه، (القاهرة).
-الفيروز ابادي ، مجد الدين بن يعقوب ، (د.ت) ، القاموس المحيط ، مج٢ ، دار الفكر ،(بيروت.)
-الكاساني، علاءالدين أبي بكر بن مسعود،(١٩١٠)، كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٥، ط١، مطبعة الجمالية، (مصر.)
-الريسوني، احمد، (٢٠٠١)، الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده، منظمة التربية والعلوم،(الكويت .)
- الكناني ، عبد الحميد ، (د.ت)،نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الأدارية ، ج١، ط١، دار الكتاب العربي ،(بيروت .)

-عطيه الله، احمد، (١٩٦٦)، القاموس الإسلامي، مج٢، النهضة المصرية، (القاهرة .)

-فاروقي، ثريا وآخرون، (٢٠٠٧)،التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ج٢، تحرير خليل اينالجك ترجمة قاسم عبده قاسم، دار المدار الاسلامي، (بيروت.)
-كنج، يوسف إحسان، واخرون، (٢٠٠٨)، دليل الارشيف العثماني، ترجمة صالح سعداوي، تقديم خالد آرن، (استانبول.)

المصادر الاجنبية:

Albayaty, İ.,(2021), *Osmanlı Döneminde Musul ve Kerkük Vakıfları H.922-1112/ M.1516-1700*, Nobel, Ankara.

----------.(2018,05.08 Eylül), "*Musul Vakıfları H.922-1004 / M.1516-1595 Arşiv Defterlerine Göre*", Uluslararası Türk Kültürü ve Medeniyeti Kongresi Sunuldu, Burhaniye- Balıkesir.

----------(2012), *El-Vakıf fi Eyalat El-Irak Hilal-i El-Ahdi El-Osmani El-Evvel 1534-1623*,Bağdat: Divan El-Vakıf Sünni.

Bayatlı, N.(1999), *XVI. Yüzyılda Musul Eyaleti*, Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi.

Bizbirlik, A.(1997), "*XVI. Yüzyılın İlk Çeyreğinde Musul Vakıfları*", *Vakıflar Dergisi*,(26).

El-Hasani, A.(1958), *Tarihu'l-Irak Kadimen ve Hadisen*, Bağdat: Sayda.

El-Ömerî, M. (1967), *Manhalu'l-Evliyya ve Maşrabu'l-Asfiya fi Tarihi'l-Musul El-Hadba*, n.Sa'id Deveci, C.1, Musul.

Eroğlu, C.vd (2008), *Osmanlı Vilayet Salnamelerinde Musul*, B.2,Ankara: Global Strateji Enstitüsü.

Gündüz, A.,(2006), *" Musul Irak'ta Tarihi Bir Şehir", Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi*, C.XXXI, Ankara,s.98.

----------.(2003), *Osmanlı İdaresinde Musul (1523-1639)*, Elazığ: Fırat Üniversitesi Basımevi.

İnalcık, H.(1988), *Osmanlı Devleti'nin Kuruluşu*, (Çev. Hulusi Yavuz), İslam Tarihi Kültür ve Medeniyeti, İstanbul: Hikmet Yayınevi.

Kazıcı, Z.(2003), *Osmanlı Vakıf Medeniyeti*, İstanbul: Bilge Yayınları,s.88;

Keleş, H.(2006), *Erzurum Vakıfları H.988(1580-1581) Tarihli Evkaf Defterine Göre*, Ankara: Gündüz Eğitim Yayıcılık.

Köprülü, M.F.(1983), *İslam ve Türk Hukuk Tarihi Araştırmaları ve Vakıf Müessesesi*, İstanbul: Ötüken Yayınları.

Rasim, A.(1330), *Resimli ve Haritalı Osmanlı Tarihi*, C.1, İstanbul: Şems Matbası.

Teisir Khalil EL-Zawahreh ,(1992),*Religious Endowments and Social Life in the ottoman Province of Damascus In The Sixteenth and Seventeenth Centuries* Jordan.

Yediyıldız, B.(2003), *XVIII. Yüzyılda Türkiye'de Vakıf Müessesesi,* Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi.

التسامح الديني ودوره في تأصيل الهوية الاسلامية دراسة (نظرية – تحليلية)

أ.م .د. سنان سعيد جاسم الاسدي- كلية التربية / جامعة البصرة

مقدمة

عالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس أكثر من أي وقت مضى، نظراً لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب، حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة.

لقد تعرض الإسلام والمسلمون في السنوات الأخيرة لحملة ظالمة من الافتراءات والمزاعم التي أرادت أن تلصق بالإسلام تهم التعصب والإرهاب، وترويع الآمنين، ورفض الآخرين، وغير ذلك من دعاوى لا اصل لها في الإسلام ولا سند لها من العلم ولا من الواقع التاريخي.

فالحضارة الإسلامية التي انطلقت من تعاليم الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان قد ضربت أروع الأمثلة في التسامح والتعايش الإيجابي بين الأمم والشعوب من مختلف الحضارات والثقافات والأديان والأجناس. ولا تزال هذه التعاليم الإسلامية حية وقادرة على صقل عقل الأمة وتوجيه سلوكها وتعاملها مع كل البشر في كل زمان ومكان .

تعريف التسامح:

جاء في اللسان في مادة (سَمَحَ) السَّماحُ والسَّماحةُ: الجُودُ.

سَمُحَ سَماحَةً وسُمُوحة وسَماحاً: جاد؛ ورجلٌ سَمْحٌ وامرأة سَمْحة من رجال ونساء سِماح وسُمَحاء فيهما، حكى الأَخيرة الفارسي عن أَحمد بن يحيى. ورجل سَمِيحٌ ومِسْمَح ومِسْماحٌ: سَمْح؛ ورجال مَسامِيحُ ونساء مَسامِيحُ؛

وفي الحديث: يقول الله عز وجل: أَسْمِحُوا لعبدي كإِسماحه إِلى عبادي؛ الإِسماح: لغة في السَّماحِ؛ يقال: سَمَحَ وأَسْمَحَ إِذا جاد وأَعطى عن كَرَمٍ وسَخاءٍ؛ وقيل: إِنما يقال في السَّخاء سَمَح، وأَما أَسْمَح فإِنما يقال في المتابعة والانقياد؛ ويقال: أَسْمَحَتْ نَفْسُه إِذا انقادت، والصحيح الأَول؛ وسَمَح لي فلان أَي أَعطاني؛ وسَمَح لي بذلك يَسْمَحُ سَماحة. والمُسامَحة: المُساهَلة. وتَسامحوا: تَساهَلوا.

وفي الحديث المشهور: السَّماحُ رَباحٌ أَي المُساهلة في الأَشياء تُرْبِحُ صاحبَها.

ويقال: أَسْمَحَتْ قَرِينتُه إِذا ذلَّ واستقام، وسَمَحَتِ الناقة إِذا انقادت فأَسرعت، وأَسْمَحَتْ قَرُونَتُه وسامحت كذلك أَي ذلت نفسه وتابعت. ويقال: فلانٌ سَمِيحٌ لَمِيحٌ وسَمْحٌ لَمْحٌ.

وتقول العرب: عليك بالحق فإن فيه لَمَسْمَحاً أَي مُتَّسَعاً، كما قالوا: إن فيه لَمَندُوحةً. (١)

والتسامح كما جاء في تعريفه اصطلاحا : (هو كلمه دارجة تستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية كانت أم الفردية تقضي بنبذ التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء.(٢)

وأخيراً فالتسامح بالمعنى الحديث يدل على قبول اختلاف الآخرين – سواء في الدين أم العرق أم السياسة – أو عدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين أو إكراههم على التخلي عن آخريتهم(٣)

التسامح في القرآن الكريم:

إن الإسلام الذي جاء به رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وعلى اله وسلم وقدمه ذلك التقدم الملحوظ حمل بين طياته قوانين عدة مهمة عملت على نشره في شتى أرجاء العالم الأكبر.

فمن أشهر هذه القوانين المهمة التي كان لها الدور الأكبر والطائل في تقدم المسلمين في مختلف الميادين هو قانون: اللين واللا عنف والتسامح الذي أكدت عليه الآيات المباركة فضلاً عن الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

ففي القرآن الكريم هناك أكثر من آية تدعو إلى اللين والسلم ونبذ العنف والبطش، فقد أشار المجدد الثاني الإمام السيد محمد الشيرازي إلى هذه الآيات في كتابه اللاعنف في الإسلام، وهذه الآيات بطبيعة الحال تحث الإنسان على إجتراح هذه الطريق الشائكة، (ولا نزال نرى في القرآن الحكيم خير دعوة علمية وعملية إلى اللاعنف والسلم) كما هي وجهة نظره (قدس سره)

وهنا أسجل بعضاً من هذه الآيات ليتدبرها القارئ:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.(النحل:١٢٥)

ويقول: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾.(الفرقات :٦٣)

ويقول: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.(العنكبوت :٤٦)

ويقول: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾.(الاعراف :٩٩)

ويقول: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.(الانعام :٦)

ويقول): ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.(ال عمران :١٥٩)

ويقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور :٢٢).. إلى غيرها وغيرها من آيات الذكر الحكيم.

ISBN: 978-9922-21-412-2

التسامح في السنة النبوية:

أما التسامح من وجهة نظر السنة النبوية فإنه يتشارك مع ما جاءت وحملته هذه اللفظة لغوياً فأن معنى التسامح هو التساهل والمساهلة في كل جوانب الحياة لذلك جاء قول الرسول الأكرم محمد ﷺ :(رحم الله امرئ سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى إن سيرة الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام كانوا أبرز تجلٍ ومصداق لسلوك منهجية السلام والتسامح في الأمة؛ فالرسول الأكرم ﷺ قائد الحركة السلمية اللاعنفية الأولى في تاريخ العالم.

وهو ﷺ حامل راية السلم والسلام لأنه يحمل للبشرية النور والهداية والخير والرشاد والرحمة والرأفة فيقول صلى الله عليه وعلى اله وسلم:(إنما أنا رحمة مهداة))، ويتحدث القرآن الكريم عن رسالته فيقول:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾(الاعرف :١٥٨)، فأن الرحمة والسلم والسلام جاء بها الإسلام للناس كافة.

وكثرة لفظ وتكرار السلام على هذا النحو مع أحاطته بالجو الديني النفسي من شأنه أن يوقظ الحواس جميعها ويوجه الأفكار والأنظار إلى المبدأ السلمي العظيم.(٤)

وقد أهتم علمائنا في تدوين كل ما يتعلق في ذلك فقد ألّف حول ذلك الشيرازي كتاباً عن تاريخ الرسول الأعظم ﷺ، وهو تحت عنوان (ولأول مرة في تاريخ العالم)؛ لأنه لأول مرة في التاريخ، وبعد فترة من الرسل ظهرت هذه الحركة السلمية الشاملة، والإلهية المباركة، بقيادة الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ، وبهذا الشكل الذي لا يزال يتفاعل في النفوس، ويترك أثره الطيب في العالم حتى اليوم). (٥)

ويتبنى هذه الرؤية أيضاً الباحث (خالص جلبي) إذ يشير إلى (أن محمدا بن عبد الله ﷺ كان صاحب أعظم ثورة لاعنفية، في تاريخ الجنس البشري، نجح فيها نجاحاً كاملاً، وأقام النظام السياسي، بدون انقلاب عسكري، وجيوش وأسلحة، وحروب وغزوات، وبدون سفك دماء).(٦)

فهذا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقول في أمر الخلافة: (لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري والله لأُسلِمَنَّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ إلاَّ عليَّ خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجة).(٧)

كما أن علياً عليه السلام هو الذي هتف بأمرٍ من الرسول ﷺ –عندما فتح المسلمون مكة المكرمة– بشعار: (اليوم يوم المرحمة اليوم تحمى الحرمة..) بعد أن ردد سعد بن عبادة شعاره الجاهلي: (اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة)!.. وللقارئ أن يتأمل الفرق الكبير والشاسع بين

الشعارين!! ليطمئن إلى أن السلم واللاعنف خيار استراتيجي في الإسلام، (ولذا نرى أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام والمصلحين كانوا يجنحون للسلام لا قبل قدرتهم بل حتى بعد قدرتهم).(٨)

اهمية التسامح

ويكتسب التسامح أهمية خاصة إذا كان للناس ذوي القناعات الدينية والإيديولوجية والسياسية المختلفة أن يعيشوا معاً في مجتمع ديمقراطي تعدُّدي. وإذا كان التطور يعني، فيما يعنيه، الانتقال من البسيط إلى المركب ومن الأحادي إلى التعدُّدي، وإذا كان العصر الحديث يشهد – ولاسيما في أوروبا – بروز مجتمعات متعدِّدة الثقافات إلى مدى يتزايد باطراد، يتحقَّق فيه خلال فترة طويلة تنوُّعٌ في الفوارق الدينية والمذهبية، فإن ذلك يجعل فضيلة التسامح ضرورية الى اقصى الحدود.

دور التسامح في الاسلام

أن الإسلام يتخذ التسامح فيها مكان الصدارة، ليس على مستوى المبادئ فحسب وإنما على مستوى التطبيق العملي الذي يشهد به التاريخ.

فالإسلام قد نص على التسامح مع مختلف الأديان وجاء في الآية ٦٩ من سورة المائدة: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يخزنون." وهذا يعني أن الذين آمنوا (أي المسلمين) والذين هادوا (أي اليهود) وكذلك المسيحيين والصابئة، وباختصار: كل الذين يؤمنون بالله ويعملون ما هو صالح، لا يُخشى من أن يعذَّبوا في الآخرة أو أن يُحرَموا من النعيم. أليس في ذلك دليل على أن الإسلام يتجاوز في تسامحه طوائف المسلمين إلى بقية الأديان؟ وعندما كان الأمويون يحكمون الأندلس تسامحوا مع الجماعات اليهودية والمسيحية وشهد عصرهم، باعتراف الكتاب الغربيين أنفسهم، ازدهاراً لا يضاهى للثقافات الثلاث.

لا ننفي التعصب وعدم التسامح عن تاريخ المسلمين نفياً مطلقاً، ولكن لأشير إلى أن التسامح موجود في صلب العقيدة الإسلامية وأن المسيحيين في ماضيهم لم يكونوا متسامحين على النحو الذي يتصوره بعضهم. فكما يقول المفكر المعروف إيرفنغ فتشر: "إن لشعوب النصرانية كل مسوغ في أن تكون خجلة من عدم تسامحها الديني والإيديولوجي في العصور السالفة. ويقيناً ليس لهم الحق في أن يشيروا بإصبع الاستهجان إلى ا لآخرين .

حدود التسامح

ISBN: 978-9922-21-412-2

تأتي في المقدمة ضرورة تجنب العنف. فيجب أن تسير المجادلات بالطرق السلمية. ولكن يجب قبول التظاهر وسيلة للتعبير عن بعض الجماعات التي ليست لها طريقة أخرى لجعل آرائها ورغباتها معلومة بتأكيد خاص. وثمة حاجة إلى التسامح فيما يتعلق بالتعبير عن الرأي ولكن هذا لا يعني التسامح مع العنف.

لقد ناقش جون رولز في كتابه نظرية العدالة مسألة القدرة على التسامح مع غير المتسامحين نقاشاً مفصَّلاً. وللعثور على جواب صحيح عن السؤال "هل ينبغي التسامح مع غير المتسامحين؟"، يقسم السؤال إلى قسمين. الأول هو: هل ينبغي للجماعات غير المتسامحة أن تتذمَّر عندما لا يجري التسامح معها؛ الثاني هو: هل للجماعات أو الحكومات المتسامحة الحق في ألا تتسامح مع غير المتسامحين؟ إن السؤال الأول من الممكن الإجابة عنه بالرجوع إلى القاعدة الذهبية: "عامِل الناس بما تحب أن يعاملوك به." وليس للجماعات غير المتسامحة الحق في أن تتذمر عندما لا يجري التسامح معها. بالمقابل، على الدولة أن تعامل غير المتسامحين بطريقة متسامحة.

وغني عن القول أن لكل امرئ الحق في الدفاع عن نفسه عندما تهدَّد حريته. ويرى رولز أنه حين لا يتهدد سريان الدستور العادل فمن الأفضل التسامح مع غير المتسامحين. وعلى المواطنين المنصفين أن يناضلوا لحماية الدستور مع كل حرياته حتى لا تتعرض الحرية للخطر. ولكن عندما يكون الدستور آمناً، فلا داعي لقمع حرية عدم التسامح. ووفقاً لخبرته في التسامح بعيد المدى فهناك فرصة لتربية الناس غير المتسامحين على التسامح أفضل مما يخلِّفه الإكراه الحكومي(٩)

ولا يمكن تجنب التعصب إلا بالتمييز بين الإيمان وصور التعبير عن هذا الإيمان؛ وهو أمر صعب إلا أنه ضروري. ويمكن أن يُعَدَّ التصوف في كل الأديان محاولة لتجاوز حدود الصور.

المعنى الشامل للتسامح:

إن المفهوم العام للتسامح لا يعني بالضرورة أن يرتبط بالجانب الاجتماعي على حساب جوانب الحياة الأخرى فكثيراً ما تستخدم هذه الكلمة في المسائل الاجتماعية حتى أنها توحي بأنها من مفرداتها أو من مصطلحاتها، ألا أنه من المصطلحات ذات المعنى العام والشمولي، إذ لا يقتصر على الجانب الاجتماعي فحسب أنما يتعداه إلى الجانب والاقتصادي وحتى السياسي، وله علاقة عامة وشمولية في كل جوانب العلم والمعرفة وله دور في مختلف أبعاد الحياة.

موقف الأديان من التسامح الديني

ISBN: 978-9922-21-412-2

أن الأديان بحكم انتمائها إلى السماء، فإنها لا تأمر إلاّ بالخير والحق والصلاح ولا تدعو إلاّ بالبِرّ والحب والرحمة والإحسان، ولا توصي إلا بالأمن والسلم والسلام، وما كانت يوماً في حدِّ ذاتها عائقاً أمام التبادل والتلاقح والتَّثاقف ولا أمام التعايش والتعارف والحوار، وإنما العائق يكمن في الذين يتوهمون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة ويستغلون الأديان في أقدار الناس ومصائرهم، تلك المهمة التي أبى الله تعالى أن يمنحها لأنبيائه الأخيار.

والمهم أيضاً، أن الإشكال ليس في الأديان ذاتها وإنما هو كامن في عُقم إفهام بعض القائمين عليها ولا زالت المفارقات بين المبادئ والممارسات الواقعة هنا وهناك لا تُحصى وهذا ما سأبينه :

١-التسامح في الإسلام:

إن التسامح وفق المنظور الإسلامي، فضيلة أخلاقية، وضرورة مجتمعية، وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها، والإسلام دين عالمي يتجه برسالته إلى البشرية كلها، تلك الرسالة التي تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم وتُرسي دعائم السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعاً في جو من الإخاء والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم.

فالجميع ينحدرون من (نفس واحدة)، كما جاء في القرآن الكريم:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.(١٠)

كما أن الإسلام من جهته يعترف بوجود الغير المخالف فرداً كان أو جماعة ويعترف بشرعية ما لهذا الغير من وجهة نظر ذاتية في الاعتقاد والتصور والممارسة تخالف ما يرتئيه شكلاً ومضموناً، ويكفي أن نعلم أن القرآن الكريم قد سمّى الشِّرك ديناً على الرغم من وضوح بطلانه، لا لشيء إلاّ لأنه في وجدان معتنقيه دين.(١١)

والواقع أن المرء إذا نظر إلى تلك المبادئ المتعلقة بموضوع حرية التديّن التي أَقَرَّها القرآن بموضوعية، لا يسعه إلاّ الاعتراف بأنها فعلاً مبادئ التسامح الديني في أعمق معانيه وأروع صوره وأبعد قِيمه.

فعالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس أكثر من أي وقت مضى، نظراً لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب، حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة.

والسؤال الذي يطرح في هذا السياق هو:

ما هي الجذور المعرفية والفكرية لمفهوم التسامح في الإسلام؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي علينا أن نعرف الأمور التالية:

أ- يعترف الإسلام في كل أنظمته وتشريعاته، بالحقوق الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع، ولا يجيز أي ممارسة تفضي إلى انتهاك هذه الحقوق والخصوصيات، ولا ريب أنه يترتب -على ذلك -على الصعيد الواقعي الكثير من نقاط الاختلاف بين البشر، ولكن هذا الاختلاف لا يؤسس للقطيعة والجفاء والتباعد، وإنما يؤسس للمداراة والتسامح مع المختلف.

ب- إن المنظومة الأخلاقية والسلوكية، التي شرعها الدين الإسلامي من قبيل الرفق والإيثار والعفو والإحسان والمداراة والقول الحسن والألفة والأمانة، وحث المؤمنين على الالتزام بها وجعلها سمة شخصيتهم الخاصة والعامة، كلها تقتضي الالتزام بمضمون مبدأ التسامح.

ومن خلال هذه المنظومة القيمية والأخلاقية، نرى أن المطلوب من الإنسان المسلم دائما وأبداً وفي كل أحواله وأوضاعه، أن يلتزم بمقتضيات التسامح ومتطلبات العدالة.

فالتسامح كسلوك وموقف ليس منة أو دليل ضعف وميوعة في الالتزام بالقيم، بل هي من مقتضيات القيم ومتطلبات الالتزام بالمبادئ، فالغلظة والشدة والعنف في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، هي المناقضة للقيم، وهي المضادة لطبيعة متطلبات الالتزام وهي دليل ضعف لا قوة.

فالأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، أن تكون علاقات قائمة على المحبة والمودة والتآلف، حتى ولو تباينت الأفكار والمواقف، بل إن هذا التباين هو الذي يؤكد ضرورة الالتزام بهذه القيم والمبادئ.

فوحدتنا الاجتماعية والوطنية اليوم، بحاجة إلى غرس قيم ومتطلبات التسامح في فضائنا الاجتماعي والثقافي والسياسي.

٢-التسامح في الاديان الاخرى

والصحيح أن الإسلام لم يكن وحده في اشتماله على مبادئ التسامح، فالمسيحية التي تقول أناجيلها: لقد قيل لكم من قبل أن السنّ بالسنّ والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم: لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدّك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه أزارك وإن سخّرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين.(١٢)

-من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان.(١٣)

-عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنّوا إليكم وإن متّم بكوا عليكم.(١٤)

هذه نصوص مأخوذة من الإنجيل (الكتاب المقدس) وهي بدورها تتضمّن مبادئ التسامح في أَجْلى صوره، بل إنه تسامح يبدوا أحياناً فوق الطاقة، وهذا دليل ثانٍ على تشارك الأديان السماوية في هذا الجانب الفضيل من جوانب الحياة ولا غرابة في ذلك لان الربّ واحد ومشرّع القيم السمحة واحد، على الرغم من اختلاف الأنبياء والأديان.

وكذلك فأن اليهودية تدعو إلى التسامح فإذا نظرنا إلى مثل هذه الوصايا..

-كل ما تكرهُ أن يفعلهُ غيرك بك فإياك أن تفعلهُ أنت بغيرك.(١٥)

-اغتسلوا وتطهّروا وأزيلوا شرَّ أفكاركم (...) وكفّوا عن الإساءة*تعلّموا الإحسان والتمسوا الإنصاف.

وهكذا.....بات واضحاً أن التسامح الديني مطلب إنساني نبيل دَعَت إليه الأديان كافة، وكيف لا تدعو إليه وقد أرادته الحكمة الإلهية واقتضته الفِطرة الإنسانية واستوجبته النشأة الاجتماعية وفرضته المجتمعات المدنية وحتّمته وما تحتاج إليه من قِيَم حضارية ومَدنية نبيلة.

روح التسامح:

في الإسلام تعد الكلمة أول وآخر شيء في الدعوة، ذلك لأن الدعوة إلى الله تعالى لما كان الهدف من إيصال الحق إلى القلوب ليستقر فيها ويحرك الإنسان باتجاه الفضيلة، فإن من الضروري أن تكون الكلمة الوسيلة الأساس في تحقيق هذا الهدف، بسبب ما فيها من رؤية ولين وقدرة على الإقناع، وبسبب ما تحققه من ضمانة الثبات والتمكن لأفكارها في القلوب والسلوك.

وهذا السياق هو الذي تؤكده الآيات الكريمة بوصفه الميزة التي اختصت بها الدعوة الإسلامية، التي أرادت السمو بالإنسان إلى ملكوت الله تعالى والأنس بجواره.

فيقول تبارك وتعالى:﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾.(النحل :١٢٥)

والموعظة الحسنة على حد تعبير بعض المفسرين هي: التي تدخل القلب برفق، وتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة ويأتي بخير من الزجر والتأنيب.

والدعوة إلى سلوك الطريق الأحسن في مقام الجدل والصراع الفكري، هي دعوة قرآنية تخاطب كل مجال من مجالات الصراع في الحياة وتتصل بكل علاقة من علاقات الإنسان بأخيه الإنسان في مجالات الصرع.

إنها دعوة الله إلى الإنسان في قوله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾(فصلت:٣٤) ، وقوله:﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾ (الاسراء:٥٣)

هذه الدعوة الصافية التي توحي للإنسان في كل زمان ومكان، أن مهمته في الحياة هي أن يثير في الإنسانية عوامل الخير ويلتقي بها في عملية استثارة واستثمار، بدلا من عوامل الشر التي تهدم ولا تبني وتضر ولا تنفع وتدفعه في الوقت نفسه إلى أن يجعل اختيار الأحسن في كل شيء وفي كل جانب من حياته شعاره الذي يرفعه في كل مكان وزمان.

وإن القوة مهما كانت درجتها لن تنسجم مع طبيعة الرسالة الإسلامية، مادامت القوة تعني محاصرة العقل وفرض الفكرة عليه تحت تأثير الألم أو الخوف لذلك فإن الباري عز وجل يحذر رسوله أن يمارس التبليغ بروح السيطرة والاستعلاء، ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ**﴾.(الغاشيه:٢٢)

ولما كانت الأخلاق تتجلى رقة وحنانا واستيعابا للآخرين، فإننا نلاحظ أن الله تعالى يذكر نبيه بالقاعدة الذهبية التي جعلته داعيةً ناجحاً ومقبولاً، ويؤكد له أن حيازته على هذه السجية إنما هي بفضل الله وتوفيقه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ (آل عمران ١٥٩)، وفي هذا الجو المفعم بالأخلاق وطيب القلب والعفو، نحدد علاقتنا بالأشياء والأشخاص، لتكون بأجمعها مشدودة إلى هذه القيم النبيلة، وسائدة في هذا الاتجاه.

فالأصل في العلاقة بين بني الإنسان بصرف النظر عن اتجاهاتهم الأيدلوجية والفكرية، هو الرحمة والإحسان والبر والقسط وتجنب الإيذاء.

التسامح والتعددية

لقد جاء في المادة رقم ١ من القانون العام لليونسكو الفقرة ٣ : إن التسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية (بما في ذلك التعددية الثقافية) والديمقراطية وحكم القانون وهو ينطوي علي نبذ الدوغماتية٢٩، والاستبدادية ويثبت المعايير التي تنص عليها الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان.(١٦)

لذا يكتسب التسامح أهمية خاصة إذا كان للناس ذوي القناعات الدينية والإيديولوجية والسياسية المختلفة يرغبون في أن يعيشوا معاً في مجتمع ديمقراطي تعدُّدي.

إن العصر الحديث يشهد ولاسيما في المنطقة العربية بروز مجتمعات متعدِّدة الثقافات إلى مدى يتزايد باستمرار، يتحقَّق فيه خلال فترة طويلة تنوُّعٌ في الفوارق الدينية والمذهبية، فإن ذلك يجعل فضيلة التسامح ضرورية إلى أقصى الحدود.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ومن هنا لا يجوز أن يُنظر إلى اختلاف الجماعات البشرية في أعراقها وألوانها ومعتقداتها ولغاتها على أنها تمثل حائلاً يعوق التقارب والتسامح والتعايش الإيجابي بين الشعوب، فقد خلق الله الناس مختلفين: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾(١٧)،كما يقول القرآن الكريم.

ولكن هذا الاختلاف بين الناس في أجناسهم ولغاتهم وعقائدهم لا ينبغي أن يكون منطلقاً أو مبرراً للنزاع والشقاق بين الأمم والشعوب، بل الأحرى أن يكون هذا الاختلاف والتنوع دافعاً إلى التعارف والتعاون والتآلف بين الناس من أجل تحقيق ما يصْبون إليه من تبادل للمنافع وتعاون على تحصيل المعايش وإثراء للحياة والنهوض بها. ومن هنا يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(الحجرات :١٣)، والتعارف هو الخطوة الأولى نحو التآلف والتعاون في جميع المجالات.

التسامح والحوار:

إن الحوار في معناه الصحيح لا يقوم ولا يؤدي إلى الهدف المنشود إلا إذا كان هناك احترام متبادل بين أطراف الحوار، واحترام كلِ جانب لوجهة نظر الجانب الآخر وبهذا المعنى فإن الحوار يعني التسامح واحترام حرية الآخرين، واحترامُ الرأي الآخر لا يعني بالضرورة القبول به.

وليس الهدف من الحوار مجرد فكّ الاشتباك بين الآراء المختلفة أو تحييد كل طرف إزاء الطرف الآخر، وإنما هدفُه الأكبر هو إثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين الناس، وتمهيد الطريق للتعاون المثمر فيما يعود على جميع الأطراف بالخير، وذلك بالبحث عن القواسم المشتركة التي تشكل الأساس المتين للتعاون البنّاء بين الأمم والشعوب. والحوار بهذا المعنى يُعد قيمة حضارية ينبغي الحرص عليها والتمسك بها وإشاعتها على جميع المستويات.

والوعي بذلك كله أمر ضروري يجب أن نعلّمه للأجيال الجديدة، وبصفة خاصة عن طريق القدوة وليس عن طريق التلقين ولا جدال في أن الحوار قد أصبح في عصرنا الحاضر أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى، بل أصبح ضرورة من ضرورات العصر، ليس فقط على مستوى الأفراد والجماعات، وإنما على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة.

وإذا كانت بعض الدول في القرن الجديد لا تزال تفضل شريعة الغاب بدلاً من اللجوء إلى الحوار، فإن على المجتمع الدولي أن يصحّح الأوضاع، ويعيد مثل هذه الدول الخارجة على القيم الإنسانية والحضارية إلى صوابها حتى تنصاع إلى الأسلوب الحضاري في التعامل وهو الحوار، فليس هناك من سبيل إلى حل المشكلات وتجنب النزاعات إلا من خلال الحوار.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ومن منطلق الأهمية البالغة للتعارف بين الأمم والشعوب والحضارات والأديان –برغم الاختلافات فيما بينها–كانت دعوة الإسلام إلى الحوار بين الأديان.(١٨)

وذلك لما للأديان من تأثير عميق في النفوس ويعد الإسلام أول دين يوجه هذه الدعوة واضحة صريحة في قوله تعالى:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.(ال عمران :٦٤)

قواعد وأسس التسامح

١– لقد رسَّخ الإسلام تحت عنوان التسامح أشياءَ كثيرة، فلقد رسَّخ في قلوب المسلمين أنَّ الديانات السماوية تستقي من مَعينٍ واحد، من أجل التسامح، فقال : ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ** ﴾ الشورى: ١٣.

٢– رسَّخ الإسلام من أجل التسامح في قلوب المسلمين أنَّ الأنبياء اخوة، لا تفاضلَ بينهم مِنْ حيث الرسالة، ومن حيث الإيمان بهم، فقال القرآن الكريم : ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (البقرة:١٣٥). لا نفرّق بين أحدٍ منهم، لا نفرّق على الإطلاق، فالكلُّ في نظرنا أنبياء، ونحن له مسلمون .

٣– لقد رسَّخ الإسلام تحت قنطرة التسامح أنْ لا إكراه في الدين، فالعقيدة ينبغي أنْ يستقبلها القلب والعقل بشكلٍ واضح، وبشكل جليّ :

﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة:٢٥٦).

٤– لقد رسَّخ الإسلام من أجل التسامح أنَّ أمكنة العبادات على اختلافها محترمةٌ في نظر المسلمين، فها هو القرآن يقول : ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**﴾ (الحج:٤٤) .

٥– لقد رسَّخ الإسلام من أجل التسامح أنَّ هؤلاء المسلمين ينبغي أنْ ينظروا إلى غيرهم على أنَّهم بشر، يجادلونهم بالتي هي أحسن ، فقال القرآن الكريم : ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ العنكبوت: ٥٧ .

٦- لقد رسَّخ الإسلام في قلوب المسلمين من أجل التسامح البِرَّ لهم، وحُسْنَ الضيافة لهم، فها هو القرآن يقول للمسلمين : ﴿**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ**﴾ (المائدة:٤).

٧- لقد رسَّخ الإسلام في قلوب المسلمين أنْ لا عداوة بين المسلمين وبين غيرهم، لمجرَّد كونِهم غير مسلمين، وتركَ الأمر ليوم القيامة، اللهمَّ إلا إذا اعتدى هؤلاء على المسلمين، إلا إذا وقف هؤلاء في طريق دعوة المسلمين حجرَ عثرة، عند ذلك قال القرآن الكريم : ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ**﴾(البقرة: ١١٣). لقد رسَّخ الإسلام في قلوب المسلمين كلَّ هذه الأسس ليحدِّد التسامح المطلوب مِنْ إنسانٍ يعيش على وجه هذه البسيطة، وليمارس هذا التسامح ممارسةً رائعة، تنبثق من إنسانٍ استلم سدَّة الحياة، وعاش ليؤكِّد للناس إنسانيته الرائعة

تطبيقات على التسامح في الإسلام-

إنَّ المصطفى ﷺ استقبل وفد نصارى الحبشة، وأكرمهم بنفسه وقال : " إنَّهم كانوا لأصحابنا مكرمين، فأحبُّ أنْ أكرمهم بنفسي .

- استقبل النبيُّ ﷺ وفد نصارى نجران، وسمح لهم بإقامة الصلاة في مسجده .

- استقبل النبيُّ ﷺ هديةً من المقوقس في مصر، وهي الجارية التي أنجبت إبراهيمَ ولد المصطفى ﷺ، ثمَّ وقف فقال : " استوصوا بالقبط خيراً ، فإنَّ لي فيهم نسباً وصهراً "

الهوامش والمصادر

١. الباقوري ،احمدحسن (١٩٨٠):السماحة والتسامح في الاسلام ،مجلة اتحاد الجامعات العربية – الاردن ،ع١٧٤.
٢. البطرش ،خالد سليمان (٢٠١٥): التسامح والاعتدال في مواجهة التطرف –رسالة المعلم –الاردن مج ٥٤ .
٣. البطرش ،خالد سليمان /المصدر السابق
٤. الجراري ،عباس(١٩٩٦): مفهوم التعايش في الاسلام ،مطبعه ديديكو المملكة المغربية
٥. الجواري ،عباس /المصدر السابق
٦. حرير ،محمد (٢٠٠٩): التعايش والتسامح في الحضارة العربية الاسلامية ،التراث العربي – سوريا مج٢٩،ع ١١٥ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

٧. الحسيني احمد عبد الرضا (٢٠١٤):التنوع الثقافي والتعايش السلمي مجلة كلية الاداب /جامعة بغداد ع١٠٩.
٨. الخالدي ،خليل محمد (٢٠٠٩):الثقافة الاسلامية والثقافات الفرعية وافاق التعايش الامارات مج٢٦،ع١٠٦.
٩. خليل ،عماد الدين (١٩٩٦):الوحدة والتطوع في تاريخ المسلمين العدد(٥) القاهرة .
١٠. السايح ،احمد عبد الرحيم (٢٠٠٧):الاسلام والتعايش السلمي بين الامم ،مجلة التربية – قطر س٣٦،ع١٦٠.
١١. السايح،احمد عبد الرحيم /المصدر السابق
١٢. محمد ،حمدان رمضان (٢٠١٢): التعايش السلمي في العراق بين الواقع والطموح ، مجلة دراسات موصلية / جامعة الموصل ،مج١١، ع٣٦.
١٣. المستريحي ،فطنة (٢٠٠٨):الوسطية والتعايش رسالة المعلم –الاردن مج٤٣ ،ع١ .
١٤. ابن منظور(١٩٩٤): لسان العرب ،ج٩،مادة ث،ط٤،دار صادر بيروت
١٥. الهلالي ،احمد نبيل (١٩٦٧):التعايش السلمي وعدم الانحياز الى اين ،الكاتب– مصر مج ٧،ع٧٧،ص٣٤– ص٤٦
١٦. وظفة ،علي (١٩٩٩): حقوق الانسان وقيم التسامح في الاسلام ،مجلة التربية ،الكويت ،س ٩،ع٢٩ ص٦–ص٢٥
١٧. وظفه ،علي /المصدر السابق

ISBN: 978-9922-21-412-2

الفلسفة الاسلامية و المعرفة الدينية

م.د. إبراهيم جاسم الموسوي/ كلية العلوم الاسلامية- جامعة وارث الانبياء
الايميل: Almussawiibrahim4@gmail.com

ملخصُ البحثِ :

تمثلُ هذهِ الدراسةُ محاولة لتحليلِ العلاقةِ بينَ الفلسفةِ والمعرفةِ الدينية، من خلال دراسةِ المعرفةِ الدينية تحليلًا فلسفيًا ومعرفيًا، وتحديدَ خصائصِها وأقسامها، حيثُ تم التركيزُ على المعارف البديهية والنظرية الدينية. وقد تم كذلك دراسةُ العلاقةِ بينَ هذهِ المعارف والدين، وتحديدُ تعريف الدين وأهميتِه وضرورةِ فصلِهِ عن المعارف البشرية والضروريّاتِ الدينيةِ والتفسيراتِ البشريةِ.

يتمثلُ أهميةُ هذا البحثِ في ضرورةِ فصلِ المعرفةِ الدينيةِ النظريةِ عن المعرفةِ البديهية، وتحديدِ مكانِ كلٍّ منهما في الدراساتِ الدينية، بالإضافةِ إلى توضيحِ أنَّ بعضَ ما يُعتبر ضروريًا في بعضِ المذاهب الدينيةِ، ما هي إلا معارفٌ وتفسيراتٌ نظرية مختلفة فيها. كما يتمثلُ الخطأُ الكبير في الدراساتِ المتأخرةِ في تحويلِ بعضِ المباني والأسسِ المعرفيةِ الكلاميةِ إلى ضروريات دينيةٍ.

توصَّل الباحثُ في نتيجتِهِ إلى أنَّ الدينَ غير المعارف الدينيةِ التفسيريةِ، وأنَّ للفلسفةِ تأثيرًا كبيرًا على المعرفةِ الدينيةِ، وأنَّ بعضَ العلوم الحديثةِ مثل علم فلسفةِ الدينِ وعلم الكلام الجديدِ نشأت على إثر تساؤلاتِ الفلسفةِ. ويعتمدُ منهجُ البحثِ على المنهجِ التحليلِ المنطقيّ والمعرفي، إضافة للمنهج النقدي.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة الاسلامية، المعرفة الدينية. المعرفة البديهية، المعرفة النظرية.

مقدمة:

العلاقَة بين هُوية الإنسان المسلِم الدينيّة والمعرفة الدينيّة والعلوم البشريّة ومنها الفلسفة هي علاقة ترابُطيّة تبتدأ منَ الأخيرة وتنتهي بالهُويّة الإسلاميّة، لأنّ الهويّة الإسلاميّة وما يَترتَّب عليها من سُلوك ديني لا يُمكِن أن تتحقَّق إلا وفق ما يَتَصوره المسلِم من فهم للدين، وهذا الفهم لا يتحقَّق إلا وفق التَصَوُّرات التي يَتبنّاها المسلِم في فهمه الشخصي أو فهمه الجماعي من اتباعه للمذهب الذي يُعتَقَد بصحته؛ لأنّ الدين دون لُحُوظ مرتَبة المعرفة ليس إلا نصُوصًا ومعارف في عقل النبيّ وقلبه، و عَمليَّة انتقال هذه النصوص والمعارف منَ النبيّ للمُسلِمين أو مخاطِبيه هو ما يُشكِّل عالم المعرفة الدينيّة. وهي تُشكِّل بدورها الهُويَّات الإسلاميّة والمذهبيَّة وتَفرعَاتِها، وتَصبغُها بصبغتِها الخاصّة.

الاهتمامُ بالبحوث الفلسفيّة في الدراسات الدينيّة، هو اهتمام بالبُعد العَقلانِيّ للمعرفة الدينيّة، واهتمام بالأسس العَقلِيَّة التي تَعتَمد عليها تِلكَ المعارف، واهتمام بضرورة تَحويل تِلكَ المعارف من مسائِل تَعبَدِيّة تَعتَمد على التقليدِ أو النقلِ الروائيّ إلى مسائلِ تعتمدُ الاستدلال والتأمل الحر والتفكير واليقينِ.

كما أنَّ أعمال منهجيةِ التحليلِ الفلسفيّ في الدراساتِ الدينيةِ تثمر في تفكيكِ الكثير من المفاهيم وتساهمُ في إعطاءِ الأجوبةِ الدقيقةِ على إشكاليات المعرفة الدينية.

الفلسفةُ في واقعِنا الفكريّ والعلميّ جزءٌ لا يتجزأُ من الواقعِ المعرفيّ، خصوصًا في زمنِ العولمةِ الفكريةِ، وقد توسعت دائرتُها بلحاظِ المعارف المتنوعةِ، وقد تأسست على أثر تساؤلاتِها فروعٌ فلسفية، تحت عنوانِ (فلسفاتٍ مضافةٍ) وهي مجالاتٌ فلسفية تتعلقُ بجميعِ المجالاتِ الدينيةِ والعلميةِ، مثل فلسفةِ الدينِ، وفلسفةِ العلوم، وفلسفةِ الفقهِ، وفلسفةِ اللغةِ، وفلسفةِ الفيزياءِ، وعلم الكلام الجديدِ وغيرها.

البحثُ والدراسةُ في الفلسفة والعلوم البشريةِ والعلوم الدينيةِ يُساهمُ في تَعزيزِ الفهم الديني الشّخصي والجَماعي لِلإسلام، ويساعدُ في تَحقيقِ الهُويَةِ الإسلاميةِ بشَكلٍ أَفضَل وأكثر دَقَّة، ويُقوّي لُغةَ العَقلِ في فهم الدِّينِ والآخَر المختَلِف.

لا يمكنَ في حالٍ من الأحوالِ النظر إلى الفلسفةِ والدراساتِ الفلسفيةِ بالمنظار الزماني المعتمدِ على تحريمها، لِغرضِ استبعادها وتحذير الناسِ منها أو تهميشها، فإنّ هذه النظرةَ لم تعد واقعية تماماً، كما أنها غير مجدية؛ لأنّ حضور الدراساتِ الفلسفيةِ اختلف بينَ السابقِ والحاضر، الفلسفةُ في السابقِ تُقصدُ من طالبها على عناء، فيضطرّ للبحثِ الجادِ عنها لو أرادَ تهيئةَ كتابٍ أو دراسةٍ أو رأي فلسفيٍ لفيلسوفٍ ما، كما أنّ كتاباتها لم تكن بالمتيسر الوصولِ إليها، أو الوصولِ إلى أستاذٍ أو كتابٍ شارحٍ لها، وأمّا في الحالِ الحاضر فإنّ الفلسفةَ حاضرة متيسرةَ الوصول، في متناولِ الجميع، وطالبُها لا يحتاجُ للكثير من العناءِ من أجلِ نيلها، بل الباحثُ حتى لو كانَ غير راغبٍ في الاطلاعِ عليها، يصادفُ مقالاتها بكلّ سهولةٍ، ويسمعُ تساؤلاتها بينَ الحينِ والآخر. وكتاباتها لا تحتاجُ للشراءِ، لأنّها متوفرة في الكثير من القنواتِ الإلكترونيةِ، ودروسها حاضرة لا تحتاجُ الا الى كتابة اسم الدرس أو الموضوع على محرك البحث في الانترنت، وهذه حقيقة لا يمكن التغافل عنها تماماً.

الهدف من الدراسة:

ISBN: 978-9922-21-412-2

تهدِفُ الدِّراسةُ إلى تَوضِيحِ دَور وتَأثِير الفلسفةِ في فهم المعرفةِ الدِّينِيَّةِ وتَحلِيلِها، والتعرف عَلى خَصَائِصِها، وتَفكِيكِ المعرفةِ الدِّينِيَّةِ البَدِيهيةِ عَنِ النظريَّةِ، والتعَرف عَلى ما يَجِبُ أَن يُصَنَّف ضِمنَ الضُّروريَّاتِ الدِّينِيَّةِ أَو يَتَصَفُ بالجَانِب النِّسبي منَ المعرفةِ الدِّينِيَّةِ. كما تَهدِفُ الدِّراسةُ إلى التركِيزِ عَلى أَهميَّةِ الدِّراساتِ الفلسفيَّةِ المرتَبطَةِ بالمعرفةِ الدِّينِيَّةِ في صِنَاعَةِ الهُوِيَّةِ الإسلاميَّةِ والدِّينِيَّةِ بشَكلٍ عَامٍ.

المنهج في الدراسة :

اعتماد منهج التحليل المنطقي للمعرفة، والتحليل المعرفي للمعرفة الدينية، ثم المنهج النقدي في دراسة التصور المتداول للمعرفة الدينية.

المطلب الأول : ما هي الفلسفة

من الضروري قبل البدء في بَيان العلاقة بَين الفلسفة والمعرفة الدِّينِيَّة، تَوضِيح مقدمات تتعلّق بالبَحث الفلسفي. يَتضمن ذلك تَوضِيح الفلسفة عمومًا، والفلسفة الإسلاميَّة خصوصًا، وأهميتها وتأثيراتها على المعرفة الدِّينِيَّة. هذه المقدمات ذات أهميَّة بالغة في تَحدِيد العلاقة بَين الاثنين ورفع بَعض الإبهام عن الصورة السلبيَّة للفلسفة. يَنتاب مفهوم الفلسفة وحَقِيقَة هذا العِلم ودَوره في عالم المعرفة والحياة، في الأوساط الدِّينِيَّة الإسلاميَّة، كَثِيرًا من الغمُوض والإبهام ونَظرة الشَّك والخَوف من حَضُوره أو تَدريسها أو مطَارحَة تَساؤُلاتِها. هذه الصُّورة الغائِمة عن الفلسفة يَجِب رفعُها وتَجَلّي واقعِيَّتها، لِيَصبح حَضُور الفلسفة في البَحث موضعًا للأهمية لا للشَّك.

التعريف التاريخي للفلسفة عند المسلمين

تعريفُ الفلسفةِ عندَ المسلمينَ الآنَ هو البحثُ عنَ الوجودِ، أو دراسةِ الوجودِ بما هُو وجودٌ، وهو التعريفُ المتداولُ والمعروفُ في أَغلب كتاباتِ الفلسفةِ، منذ بدايةِ التفكير الفلسفي الإسلاميّ الذي ابتدأ بالفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥-٢٥٦هـ) وانتهاء بالفلاسفةِ المعاصرينَ من أمثالِ العلامةِ محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١- ١٤٠٢هـ)، أَي إنَّ الباحثَ بمُجردِ أَن يَفتَحَ أَي كِتابٍ فلسفيّ أَو يُوجَّهُ سؤالًا عَن تعريفها، فإنَّ التعريف الذي سوف يَجِدُهُ، هو التعريفُ السابقُ. وتوضيحُهُ مُختَصَرًا، أَنَّ الفلسفةَ تَبحَثُ عَن حَقِيقَةِ وجُودِ هذا العالم، والتأمُّلِ في موجوداتِهِ ومنها وجودَ الإنسانِ، وحَقِيقَةِ النَّفسِ الإنسانِيَّة، ثُم إثباتِ العوالِم الوجوديَّةِ مثل عالم ما وراءِ المادَّة، وهو

ما يُعبَّر عَنهُ بعَالم المجَردَات، أي الموجُودات غَير الجِسمانيّةِ مثلُ وجُودِ الملائِكَةِ، ثُم الانتقالُ إلى أَهم مسأَلةٍ فلسفيَّةٍ، هيَ الوجودُ الإلهيّ والتعرفُ عَلى صِفاتِهِ وأَفعَاله. [١]

الفلسفةَ في زَمانِنَا أَشملُ بكَثِير من أَبحَاثِ الوجُودِ السابقَةِ، وأبحَاثِ المعرفةِ الإلهيةِ. لكن عِلمُ الوُجُودِ، يُعَدُّ من أَهم العُلُوم الفلسفيَّةِ، منذُ بَدَايَةِ التفكِير الفلسفي عِندَ اليُونَانِ، وانتِقَالِه إلى الحَضَارةِ الإسلاميَّةِ، من طَرِيقِ تَرجَمةِ آثَار اليُونَانِ التِي انتَشَرت تَرجَمتها في القَرنِ الثَّانِي في زَمنِ الحَضَارةِ العَبَّاسِيَّةِ.

عِلمُ الوُجُودِ في الفكر الفلسفي الإسلامي احتَفظَ بمكَانَتِهِ ولا يَزَالُ يحتَفظُ بأَهميَّتِهِ، ويُصطَلَحُ عَليهِ بعِلم الفلسفةِ الأُولى، بَل إنَّ هذَا العِلم هو المتَبَادِر الأَولُ منَ الفلسفةِ في الثَّقَافةِ الإسلاميَّةِ خَصوصًا في المعاهِدِ الدِّينيَّةِ.

غاية الفلسفة عند الفلاسفة المسلمين

الغَايةُ الأَسمى من بَحثِ الوُجودِ هِي الوصُولُ إلى المعرفةِ الإلهيةِ، وهو ما يُسمى بعِلم اللاهُوتِ، أَوِ الإلهيات بالمعنَى الأَخصَ، عِندَ الفلاَسِفةِ المسلِمينَ، والذِي يَعنِي دراسةَ المعرفةِ الإلهيةِ بشَكلٍ خَاصٍّ. أَما اِصطِلاحُ الإلهيات بالمعنَى العَام، فيُرادُ منهُ الفلسُفةَ الأُولى. [٢]

تَتضَمنُ هذِهِ الغَايَةُ بُعدًا تَاريخِيًّا، حِيثُ كَانَ الهدَفُ الأَسمى لِلفلسُفةِ اليُونَانِيَّةِ هُو إِثبَاتُ الأَسبَاب العُليَا والمبَادِئِ الأَولِيَّةِ لِكُلِّ شَيءٍ موجُودٍ، وبالتالِي فإِنَّ الفلسُفةَ تَبحَثُ في الموجُودَاتِ لِلوُصُولِ إلى أَسبَابها. [٣]

كذلك هذِهِ الغَايَةُ لها بُعدٌ دِينِيٌّ وأَهميَّة كَبيرة، حِيثُ إِنَّ المعرفةَ الإلهيةَ في الثَّقَافةِ والنصُوصِ الدِّينِيَّةِ الإِسلاميَّةِ هي المقصُودُ الأَولُ منَ التفكِير والنظر في الآفاق والنفوس. وقد قال تعالى: "سنُرِيهِم آيَاتِنَا في الآفاقِ وفي أَنفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لهُم أَنَّهُ الحَقّ." [٤]

من هنا يَظْهر فرقٌ أَساسِيٌّ بَينَ الفلسفةِ عِندَ المسلِمينَ والفلسفةِ المادِيَّةِ – أَو الفلسفةِ المستَقِلةِ عَنِ الدِّينِ بشَكلٍ كَاملٍ – في هدَفِهما الأَساسِيّ لِلفلسفةِ. فالفيلسُوفُ المادِيُّ لا يُعتَبَر المعرفةَ الإلهيةَ

---

[١]: انظر: ارسطو، ما بعد الطبيعة، ترجمة، محمد حسين لطفي، الناشر طرح نو، ايران، السنة ١٣٨٥، الطبعة الثانية، ص ١٢١، يعقوب بن إسحاق الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، دار الفكر العربي، ص٢٥، محمد بن إبراهيم صدر المتألهين، الحكمة المتعالية، مكتبة مصطفوي، قم ايران، ١٣٦٨ش، ج١، ص٢٠، محمد حسين الطباطبائي، بداية الحكمة، مؤسسة النشر الإسلامي، ص٦.

[٢]: محمد حسين، الطباطبائي، بداية الحكمة، ص٦، و انظر: محمد بن إبراهيم صدر المتالهين، الحكمة المتعالية، ج١، ص ٢١.

[٣]: انظر: ارسطو، ما بعد الطبيعة، ص٢٣٧

[٤]: سورة فصلت اية ٥٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

هي الهدَف الأَساسِيَّ والذَّاتِيَّ لِلفلسفةِ، بَل يَنظُر إليها كَهدَفٍ واحِدٍ من بَينِ العَدِيدِ منَ الأَهدَاف، ويُمكِنُ أَن يَصِل إلى الإيمانِ بها أَو يَتَوقَّفُ عِندَها. بَل بَعضُ الفلسفاتِ الوضعِيَّةِ اعتَبَرت أَنَّ التَّوجُّه في الفلسفةِ نَحو الاِهتِمام بما هو وراءَ المادَّةِ هو عَبثِيٌّ وغَير مُجدٍ، وقَد غَيَّرت مسار الفلسفةِ منَ البَحثِ عَنِ اللهِ إلى الفلسفةِ العِلميَّةِ أَي التِّي تَهتَمُّ بتَحقِيقِ الجَانِب العِلميّ منَ العُلُوم.

أما الفلسفة الإسلامية فتَرى أنَّ الهدف الأساسي والأول للفلسفةِ هو المعرفة الإلهية، وأنَّها تمنحُ هذه المعرفة الأولوية الكاملة، بينما تُعتبر جوانبَ الحياةِ الأخرى، بما في ذلك فلسفةَ العلوم، ثانوية جدًا وتأتي في المرتبةِ الثانية .وهو فرقٌ انعكس على تقوية العلوم الطبيعيةِ في الغرب، مع انتشار ظاهرة الإلحادِ في بعض المجتمعات، أمّا عندَ المسلمين، فإنَّ النظرةَ الثانويةَ للعلوم الطبيعية، أدت إلى ضعف تطورها، وعَدَم تقدمها منذُ قُرون، مع الحفاظ على الجانب الإيماني من حياةِ المجتمعاتِ الإسلامية.

جوهر التفكير الفلسفي

الفلسفةُ عَمُومًا، سواءٌ كَانَتِ الفلسفة الأُولى أَو غَيرها، يُمكِنُ تَعريفُها بسُهُولة. هي تَساؤُلاتُ العَقلِ الإنسانِي وتَأَمُّلاتُهُ حَول موضُوعٍ ما، ولِنَفرضُ أَنَّهُ الوُجُودُ مثَلًا، تَساؤُلاتٌ منبَعُها الحِيرةُ والدَّهشَةُ، وإِرادَةُ المعرفةِ، تعَدُّدُ العُلُوم الفلسِفيَّةِ يَتبَعُ نَوعِيَّةَ تِلكَ التساؤُلاتِ التِي طُرِحَت من قَبلِ العَقلِ المتَعَطِّشِ لِلمعرفةِ، ويَتبَعُ الأَبحَاثَ الفلسِفيَّةَ التِي قدّمها الفلاَسِفةُ في الإِجَابَةِ عَليها. تَساؤُلاتٌ العقل عَنِ الوُجُودِ، نَشَأَ عَنها عِلمُ الوُجُودِ، والتساؤُلاتُ عَنِ المعرفةِ الإِلهيةِ، نَشَأَ عَنها عِلمُ الإلهيات بالمعنَى الأَخصِ، والتساؤُلاتُ عن المعرفة وحقيقتها نشأ عنها علم المعرفة وهكذا بقية العلوم الفلسفية.

تحليل علم الفلسفة من حيث إرجاعِهِ إلى جوهرِهِ، وهي التساؤلات العقلية، أو إرجاعِهِ إلى دوافعِ تِلكَ التساؤلات وهي الشكُّ والحيرة والدهشة وإرادة المعرفة، يترتب عليها أثر معرفي كبير جدًا، تختلف فيه النظرةُ إلى الفلسفة وفهمها وعلاقتها بالدين والمعرفةِ الإلهيةِ.

فرقٌ كبيرٌ بينَ أن ننظر إلى الفلسفة، على أنها عِلمٌ موروثٌ يوناني كَما هُو الفهمُ المتداولُ منذُ قُرون بين التيار المخالف لها، وبَينَ أن ننظر إلى الفلسفة هي تساؤلات عقلية تنبعُ من إرادةِ العقلِ في إدراكِ الأشياءِ وفهم الحقيقةِ وبحثِهِ عن المعرفةِ.

مشكلة السؤالِ عن علاقَةِ الفلسفةِ معَ المعرفةِ الدِّينِيَّةِ، هو أَنَّها تُفهمُ عِندَ التيَّار الدينِي الكلامي والفقهِي وغَيرِهِ، ضِمنَ النظَرةِ الأُولى، ولِذَلكَ يَقِفُ التيَّار الدِّينِيُّ بالضِّدِّ من علاقَتِها، أَو تأثِيراتِها، متغَافلًا عَن جَوهر الفلسفة و روحِها العَقلِيَّةِ.

الفلسفة في جَوهرها أَبحَاثٌ عَقلِيَّة حُرة لا تَعرفُ الزَّمنَ أَو المكَانَ أَو الانتِماءَ الدِّينِيَّ، أَو القَوميَّ، وفي النتِيجَةِ ما تُرجَمُ من تَراثِ اليُونَانِ إِلى المسلِمينَ، هي أَبحَاثُ فلاسِفةِ اليُونَانِ عَن تَساؤُلاتِ العَقلِ و تأملاتهم، و تَساؤُلاتُ العَقلِ ليست حُكرًا عَلى العَقلِ اليونَانِي، أَو العَقلِ التاريخِي السابقِ، بَل هي تَساؤُلاتٌ مُستَمرة و دائِميَّة ومتَغَيرة ومُتنوعَة لا تَعرفُ الحُدُودَ والمسميَاتِ .

ومن هُنَا، وصف الفلسفةِ باليُونَانِيَّةِ، إِشَارة إِلى إِجَابَاتٍ وأَبحَاثٍ قَدّمها الفلاَسِفةُ الذِينَ كَانُوا يَعِيشُونَ في اليُونَانِ، و وصف الإِسلاميَّةِ كذلك إِشَارة إِلى إجابات فلاَسِفةٍ ينتمون الى الدين الإِسلامي، وهي أَوصَافٌ عَرضِيَّة من بَاب وصف الشَّيءِ بما هو خَارجٌ عَنهُ.

المبحث الثاني: المعرفة الدينية

مصطلح "المعرفة الدّينِيَّة"، مصطَلحٌ مُركّبٌ يتألّفُ من "المعرفة" و "الدّين". ويمكِنُ تفسِيرهُ عَلى أَنَّهُ المعرفةُ التي تنشَأُ من مصدر ما أي الدين، أو تفسيرها بالمعرفة التي تتعلق بموضوع ما، مثل الدين، وعِندَما يكُونُ معنَى الإِضَافةِ جَدِيدًا، فإِنَّ المصطَلَحَ يَصبَحُ حَقِيقِيًّا بسبَب هذا المعنَى الجَدِيدِ.

تعريف المعرفة الدينية كمصطلح مركب، طبق المعنَى الأَوّل، يُشِير إِلى المعَارف الّتِي استَفِيدَت منَ الدّينِ كَمصدَر، كما هو الحَالُ في المعرفةِ الّتِي تأتي منَ الفلسفةِ أَوِ الفيزِيَاءِ. وفي المعنَى الثّانِي، يُشِير إِلى المعَارف الّتِي تَتَعَلقُ بفهمٍ واِستِيعَابِ الدّينِ وبَيَان أَسرارِه.

في هذِهِ الدّراسة، سوف نُركّزُ عَلى المعنَى الثّانِي من "المعرفةِ الدّينِيَّة."

الثاني: ماهية المعرفة الدينية وخصائصها

المعرفة الدينية، قسمٌ من المعرفة البشرية، وهي جهودٌ فكرية لعلماءِ الدينِ والباحثينَ المستقلين، لا تختلفُ عن أي جهدِ معرفي بشري، تهدفُ إلى فهم الأمور الدينيةِ وبيانِها والتنظير لها، والدفاعِ عنها و الاستدلالِ عليها، او غير ذلك من جوانب معرفية.

تتداخلُ في تكوينِ المعرفةِ الدينيةِ، جملة من العلوم والتخصصاتِ، إذ إنها لا تنحصر في مجالٍ علميٍ ومعرفيٍ واحد، ولا في طبقةٍ معينةٍ من الناس؛ بل يساهمُ الجميعُ في بحثِها. فتتداخلُ في تكوينها جوانبُ فكرية ومناهجُ متنوعة مثل الجانب الفقهي والحديثي والكلامي والتفسيري، واللغوي والفلسفي والتاريخي والأصولي والاجتماعي والعلمي والأدبي وغيرها.

كما أَنَّ المعرفةَ الدينِيَّةَ تتعَدَّدُ وتتفاوتُ بحسب المذَاهِب الدّينِيَّةِ و المدَارسِ الفكريَّةِ والاتّجَاهاتِ والمنَاهِجِ والثَّقَافاتِ التِي يَنتَمي لها البَاحِثُ، فالمعرفةُ الصَّادِرةُ من فقِيهٍ يَنتَمي لِمدرسةٍ فكريَّةٍ كالإِخبارية، تَختَلِفُ في بَعضِ جَوانِبها عَن معرفةِ فقِيهٍ يُؤمنُ بالمدرسةِ الأَصُولِيَّةِ، كما لو كان

يُؤْمنَ بالمنهجِ العَقلِي والعِلمي، وأَنَّ مرتَبَتَهُ مُتَقَدِّمة قِيَاسًا عَلى بَقِيَّةِ مصَادِرِ المعرفةِ الدِّينِيَّةِ، أَو فُقَهاءٌ من مدرسةٍ واحِدَةٍ يَختَلِفانِ بالمبَانِي الفكريَّةِ الفرعِيَّةِ، فإنَّ المعرفةَ الصَّادِرةَ من كل واحد منهم سوف تتنوع وتَختَلِفُ، وهو اختِلافٌ يَسري لِلكَثِير من التصَوُّراتِ الدِّينِيَّةِ،

وهذا الاختلاف لا يقتصر في نطاقِ المذهب الواحد، وإنما يسري إلى داخلِ المدرسة الفكريةِ الواحدةِ ذات المذهب الواحدِ، وتتوسعُ دائرةُ الخلافات نفسها بين المذاهب ثم بين مؤمني الأديانِ الكبرى وتتوسعُ أكثر عندما تضاف إلى تلك التنوعات، اختلافات المدارس الفكرية الأخرى .

المعارفُ الدينيةُ بهذا المعنى تتعددُ بتعددِ المؤمنين، وليس فقط بتعددِ المذاهب الفقهيةِ أو الفكريةِ، لأن لكل مؤمن تصوراتٍ وأفكار عن الدينِ نتجت من ثقافتهِ أو تأملاتِهِ أو تربيتِهِ وبيئتهِ، فيرى في قرارة نفسهِ أن الدين هو عبارة عن هذه المعارف الموجودةِ عندهِ. ومن باب المثالِ، إن المؤمن الذي يعتقد بوجوب تقليدِ الأعلم في المسائلِ الفقهية، فإن هذه المعرفةَ عندهِ جزءٌ من المعرفةِ الدينيةِ، ويحكمُ وفقَ معرفتِهِ، بتخطئةِ من لا يقبل ذلكَ. المعرفةُ الدينيةُ عموماً، كما تستنبطُ من مصادر معرفية، من عقلٍ أو اجماعٍ أو تاريخٍ أو مشهوراتٍ دينيةٍ أو نصوصٍ أو معطياتٍ تجريبيةٍ وغيرها، تتبعُ معطياتِ وشواهدَ مناسبةٍ لها، وتتأثر بالواقعِ الثقافي والمعرفي للإنسانِ وبيئته، وهي تاريخية ذاتُ بُعدٍ ماضويٍ متعددٍ بحسب التعدداتِ الفكريةِ للمذاهب والاتجاهات، فمثلاً موضوعَ الخمسِ في أرباحِ المكاسب لم يكن معروفاً في زمنٍ تاريخيٍ يرجعُ للقرنِ الأول، ثم بدأت نصوص تشريعه في أواسطِ أو أواخر القرنِ الثاني[1] أو مثلاً التنظير الدينيَّ للاجتهادِ والتقليدِ ضمن شرائطِهما المعروفةِ الآنَ، لم يكن معروفاً إلى أواخر القرونِ المتأخرةِ من الغيبةِ الكبرى.[2]

المعرفة الدينية كما لها بُعد تاريخي، لها بُعدٍ حاضر متمثلٌ بما يراهُ المؤمنونَ بهذه المذاهب أو الأديانِ من أفكار في واقعهم المعاش، ولها بُعدٍ مستقبلي مستمر، عبارة عن المعارف الدينية التي تظهر عند المؤمنين بسبب تطورات الحياة.

---

[1]: انظر دروس السيد منير الخباز، على الرابط https://www.almoneer.org/?act=artc&id=718
، محسن الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، ج٩، ص٥٢٠-٥٢٤

[2]: راجع دراسة للأستاذ حيدر حب الله على الموقع الالكتروني، تحت عنوان،(التقليد / المفهوم، والتطوّر، ونقاش الشرعيّة، وطروحاتٌ حديثة) https://hobbollah.com/articles

من أَساسِيَاتِ هذِهِ المعرفةِ هو التعدُدُ والتنوُّعُ كما بَيَّنَّاهُ بحسب المذَاهِب والمدَارسِ والمنَاهِجِ والتوجُّهاتِ، كما أَنَّ قَابلِيَّةَ الخَطَأِ في الجُملةِ في كُلِّ هذِه المعَارف لها وجُودٌ فعلِيٌّ يُؤْمنُ به الجَميعُ بالنّظَر إلى المسائِلِ الإختِلافيَّة بينَهُم، كلُّ مدرسة تُخطِّئُ الأُخرى فيما يختَلفانِ فيه، وكلُّ مذهبٍ يُخطِّئُ المذهب الآخَر في المختَلِفاتِ بَينَهُما، وكُلُّ مُؤْمنٍ يَخطُّى الآخَر فيما يَختَلِفُ بهِ معرفيًّا وإن كَانُوا يَنتَمُونَ إلى مدرسةٍ واتِّجَاهٍ فكريٍّ ومذهبٍ واحِدٍ.

قابليةُ التغيُّر والتبدل والتطوير في المعرفةِ الدينية لا مناص من واقعيتها، كما هي واقعيةُ التعددِ والتنوعِ فيها، وهذا ما يراهُ كلُّ باحثٍ في مطالعةِ الجانب الفقهي للفقيهِ الواحدِ، فضلا عن فقهاءِ المدرسةِ الفكرية، فإن الفقيه الواحدَ، كم تتبدلُ عندهِ الرؤى الفقهيةُ بحسب تغيّر مبانيهِ، أو تغيّر فهمهِ للمسألةِ الواحدةِ. وكلُّ من الحكم المتغير والحكم المتغير اليهِ، ينسبانِ للمعرفةِ الدينيةِ وكلُّ يعطى لهُ الحجيةُ والصحةُ بلحاظ الزمان، بل إن الفقيه لو تبدلت عندهِ المعرفةُ ولم تتبدل عند فقيهٍ آخر موافقٍ لهُ في المدرسةِ الفكريةِ، فإن المعرفةَ هنا رغم تناقضها بين الفقيهين، لكن كلُّ منهما يعتبر معرفةَ دينيةٍ صحيحة بلحاظ ذات الفقيه.

المعرفة الدينية البديهية والنظرية

المعرفةُ عمُومًا تنقَسِمُ وفقَ التقسِيم المشهُور لِلمعرفةِ إلى معَارف بَدِيهيةٍ ومعَارف نَظْريَّةٍ، وهو تَقسِيمٌ نَاظِرٌ إلى حاجَتِها لِلاستِدلالِ لأجل التصْدِيقِ بإثبَاتِها، أَو عدم حاجَتِها لِذَلِكَ، هذَا التقسِيمُ وإن طُرِحَ في المنطِقِ بلحاظ المعرفةِ عَمُومًا، ولكِنَّ مع تَصَوُّر أَنَّ المعرفةَ الدِّينِيَّةَ هي معرفة بشَريَّة، فإنَّ هذا التقسِيم يَنطَبقُ عَليها تَمامًا دُونَ فرقٍ مع بَقِيَّةِ المعَارف.

والمرادُ من المعرفةِ الدِّينِيَّةِ البَدِيهيةِ هي المعَارفُ التِي تتَعَلقُ بالدِّينِ، ولا تحتَاجُ إلى اِستِدلالٍ وتَفكِير في إثبَاتِها الدينِي، وإنَّما يتَمُّ التصْدِيقُ بثُبُوتِها الدينِي بمُجَردِ تصَوُّر القضِيَّةِ، والمعرفةِ الدِّينِيَّةِ النظْرِيَّةِ هي المعَارفُ التِي تتوقفُ نَسبَتُها لِلدِّينِ وإثبَاتُها لهُ على الاِستِدلالِ والتفكِير.

.المعِيَار في البداهة وعدمها، هو الحَاجَةُ وعدَمُ الحَاجَةِ، وليس الإِمكَانِيَّةُ من إِقَامةِ الدَّلِيلِ أَو وجُودِهِ الفعلِي، فربَّ معرفةٍ واضِحَةٍ وبَدِيهيةٍ، ومعَ ذَلِكَ يُمكِنُ ذِكر الكَثِير منَ الشواهِدِ أَو الأَدِلةِ في إثبَاتِها، كذلك ليس المعِيَار فيهما وجُودُ الاِتِّفاقِ بَينَ الجَميعِ وعَدَمِهِ، وإن كَانَ الاتِّفاقُ معِيَارًا تَشخِيصِيًّا وتَنبيهِيًّا لِلمعرفةِ البَدِيهيةِ، ولكن وُجُودَ الاِختِلاف والشكِّ عِندَ البَعضِ لا يُبطِلُ بَدَاهةَ القَضِيَّةِ إن كَانَتْ لا تَحتَاجُ لِلدَّلِيلِ؛ بدَلِيلِ أَنَّ المعَارف البَدِيهيةَ قَد يُختَلفُ فيها بسبَب عَارضٍ ما،

مثل شبهة أو تعليم خاطئ، ولذلك ذكر المناطِقُة شُروطًا للبديهي، ومنها التوجُّهُ وعدم الغفلة وفقدان الشبهة وغيرها. [١]

تشخيص نوعي المعرفة من حيثية تطبيقيَّة، هو أن النظرية لما ارتبطت بالدَّلِيلِ والحاجة له، فتدخل فيها كل المعارف المتوقفة على الاستدلال، ولعَل من أَبرزِها تفصيلاتُ المسائل الدينية، فإنَّها استدلالية لا بديهية، كذلك المعارف الكلية المختلف فيها مذهبيًا، سواء على الصعيد العقدي أو العملي، فإنَّ مراجعة كل واحدةٍ منهُما تَتَقَومُ بأدلةٍ ليستَ ذات وضوح، كما أَنَّها مُختَلِفة بَينَ مذهبٍ ومذهبٍ .

أمّا البديهية فإنَّ تَشخِيصَها الدَّقِيقُ تَطبيقِيًّا، هُو ما يُواجِهُ مُشكِلة؛ إذ أَنَّ بعضَ المسائِل رغم وُضُوحِها الدِّينِيَّ أَو الاتِّفاقِ الدِّينِي عَليها؛ لكِنَّها في الحَقِيقَةِ نابعَة من استدلال ارتِكَازِيٍّ أَو تَارِيخِيٍّ دِينِيٍّ سابقٍ؛ لا يَعرِفُهُ الا المحَقِّقُ البَاحِثُ عَن جِذُور تِلكَ المسائِل، واما الجهل بِهِ أَو عدَم الإحساسِ بالحَاجَةِ لِلاستدلالِ له في زَمانٍ ما، لا يُحَوِّلُ تِلكَ المعرفةَ إلى معرفةٍ دينيةٍ بديهيةٍ ثابتةٍ، ما دامت في الأصلِ استدلالية، والتعبير الدقيقُ عن هذا النوع من المعرفة، انها معرفة نظرية في وجودِها الابتدائي، تحولت إلى مسلمةٍ دينيةٍ بديهيةٍ في طولِ عمودِ الزمان. من هنا أن المعرفةَ البديهية حتى يكونَ معيار عدم الحاجةِ للاستدلالِ صادقاً فيها دونَ الوقوعِ بالإشكاليةِ السابقةِ، لابدَ أن يكونَ شعور عدم الحاجةِ صادقاً عليها في كلِ الأزمنةِ من بدايةِ التشريعِ وحتى يومنا هذا.

وهو معيارٌ عندَ ملاحظتِهِ تطبيقياً، يتغير بواسطته تصنيف جملة من المسائلِ، التي كانت تصنفُ من بديهياتٍ ومسلماتٍ لمعرفةِ الدينيةِ، أو الضروراتِ المذهبيةِ، فتضاف إلى المعارف النظريةِ؛ وذلك لكونِها استدلالية في وقتٍ ما، وقابلة للاختلاف لو التفتَ إلى أصولِها الاستدلاليةِ.

ومن بَاب المثَالِ وجُوبُ فريضَةِ الصَّوم عَينِيًّا عَلى كُلِّ مُكَلفٍ، فإنَّها منَ الواضِحَاتِ الدِّينِيَّةِ؛ ولا يشكَّ فيها المسلِمُونَ عَمُومًا من أَصْحَاب المذَاهِب، ولكن بالنِّظَر التَّارِيخِي، هذا الوجوب هو استدلالي، إذ طبق بعض المرويات التاريخية، واراء بعض المفسرين، فانَّ الوجوبَ التخييري لِلصَّوم في بَدَايَةِ نُزُولِهِ كَانَ هُو المفهُوم منَ الآيَةِ، ثُم نُسِخَ قُرآنِيًّا.[٢] بَل لا زَال يَرى البَعضُ أَنَّ الوجوبَ تَخيِيرِيًّا، مستدلا بالآيَةِ نَفسِها.[٣]

١: محمد رضا المظفر، المنطق، مؤسسة النشر الإسلامي، ص ٢٢_٢٣،

٢: انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، ج١، ص٢٢١. السنة ١٩٩٢م، ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب، السعودية، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ج١، ص٤٣١، ١٩٩٧م.

٣: راجع اراء المفكر السوري محمد شحرور، على الموقع الرسمي https://shahrour.org/?p=3984

مصاديق المعارفُ الدينيةُ البديهية، جَميعَ المعارف التي لا تقبَلُ الشكَّ في نِسبَتِها الدينية، ولا يَحتَاجُ إثباتُها إلى استدلالٍ، لأنَّها صريحة وواضحة وقطعية في النصّ الديني، وهي قضايا ليست بالقليلة، سواءً عقدية مثل مسألة الامر بالإيمانِ بالله، ومطلوبيةِ التوحيدِ الإلهي، و وجودِ الأنبياء، ضرورةِ عبادةِ الله، الإيمانِ باليوم الآخِر، وجوب طاعةِ الرسولِ في الجملة، وغيرها من مسائل دينيةٍ مشابهةٍ لها، فهي بالإمكانِ عدُّ أصول هذه المسائل بديهياتِ دينيةٍ؛ لا تفاصيلها؛ لأنَّ هذه المسائل واضحةُ الثبوتِ دينيا، والمسلمُ يَجِدُ نفسهُ في غِنى عن الاستدلال على نِسبَتِها للدين. وكذلك الأمور الفرعيةُ مما تدخلُ في ذاتِ المعيار نفسِه.

العلاقة بين الدين والمعرفة الدينية

بناءً على ما تقدم من تحليل للمعرفة الدينية، يتوجه السؤالُ عن العلاقةِ بينَ الدينِ والمعارف الدينية، فهل هُما شيءٌ واحدٌ أم شيآن؟ هذا السؤالُ ينبغي تحليلُهُ إلى بُعدين، مرتبةَ الواقعِ والشيءِ في ذاتِهِ، أي الدينُ بما هو دين، ومرتبةَ مقام المعرفةِ بحسب ما يراهُ الباحثُ، وهو تحليلٌ ينبعُ من وجودِ ثنائيةٍ واقعيةٍ بينَ مرتبةِ الإدراكِ للشيءِ ومرتبةِ ذاتِ الشيءِ.

الدين والمعرفة الدينية بلحاظ مرتبة الواقع في ذاته

وحدَةُ المعرفةِ الدِّينيَّةِ، معَ الدِّينِ بحَسب هذِهِ المرتبَةِ، هي القَولُ بوحدَةِ الدِّينِ في الواقِعِ معَ جَميعِ الجُهُودِ الفكريَّةِ المقدَّمةِ لِتَفسيرِهِ وفهمِهِ، وهي وحدَة لها معَ مجمُوعَةٍ منَ المدَارسِ الفكريَّةِ المختَلِفةِ – القَدِيمةِ والحَدِيثَةِ – والمنَاهِجِ المعرفيَّةِ والثَّقَافاتِ البَشَريَّةِ وغَيرها من عُواملِ تُساهِمُ في تَكوِينِ المعرفةِ الدِّينِيَّةِ؛ وهي مُلازِمة صَحِيحَة. لِأَنَّ لازِم عَينِيَتَهُما، هُو اِتِّحَادُهُ معَ جَميعِ المعَارف، وعَلى الرغم من أَنَّ جَميعَها تَفسِيريَّة، وتَسعَى إلى فهم الدِّينِ، الا أَنَّ هذَا التَّالِيَ باطِلٌ؛ لِأَنَّ بَعضَ هذِهِ المعَارف مُتَعَارِضَة ومُتَنَاقِضَة وتَخضَعُ لِتَغيُّراتٍ وأَخطَاءٍ عَبر الزَّمنِ.

بَالإضَافةِ إلى ذَلِكَ إن هذه الجهود الفكرية تنشأ وتتطور في سياقٍ تاريخي محددٍ، فالقولُ بوحدتِها يلزمُ منهُ إفراغَ الدينِ من مضمونِهِ الحقيقي قبل حدوثِ تلك المعارف؛ لذلك ينبغي تعريفُ الدينِ تعريفاً منطقياً، بشكلٍ يأخذُ بعين الاعتبار التقدم الزمنيَّ والمكاني، ويتجردُ من التنوعاتِ الثقافيةِ المختلفة، ويتجنبُ إشكاليةَ اختلاف التفاسير وتعددها.

العلاقة بين الدين والمعرفة الدينية بحسب مرتبة الباحث

ISBN: 978-9922-21-412-2

الاتجاهُ السائدُ في المعرفةِ الدينيةِ، هو العلاقةُ الاتحاديةُ بين المعرفةِ الدينيةِ والدين، في مقام المعرفةِ ومرتب الباحثِ، خصوصاً إذا كانت المعرفةُ متمثلة بما يقدمهُ كبار رجالِ الدينِ وشخصياتِهِ من تفسيراتٍ دينيةٍ، وهذا ما يعكسُهُ بوضوحِ مراجعةُ الخطاباتِ الدينيةِ في كلماتِ علماءِ الأديان، فكلٌ يصدِّر رأيَهُ ويعنونَهُ بعنوانِ الدين، وإن ذلك هو رأيُ الإسلام مثلاً، فتجدُ المذهبَ الإسلاميَّ في المعرفة، والمذهبَ الإسلاميَّ في التربية، والمذهبَ الإسلاميَّ في السياسةِ وغيرها من عناوينِ، تصدُّر كلُّ معرفةٍ بعنوانِ رأيِ الإسلام أو رأيِ الدين. يتوجهُ السؤالُ هنا، كيف تتمُ هذه الوحدةُ بين الاثنين، مع أنَّ جميعَ هذه الآراءِ هي جهودٌ فكرية نظرية تستندُ إلى مناهجِ معرفيةٍ ومبانٍ فكريةٍ متفاوتةٍ، تختلفُ بينَ عالمٍ وآخر؟ الجوابُ أنَّ هذه الوحدةَ وإن كانتْ ذهنية، بحسب ما يراهُ المؤمنُ أو الباحثُ بلحاظِ مرتبةِ الظاهر، فهي ناشئة من اعتقادٍ وحدةِ التفسير والدين، وهي وحدة ترجعُ إلى عدم التوجهِ للفروقِ بينَ الدينِ ومرتبةِ التفسير والفهم الديني، وموضوعِ ضرورةِ المطابقةِ مع الواقعِ.

واحِدَة من مسائِلِ عِلم المعرفةِ والفلسفةِ، التفريقُ بَينَ جَنبَةِ العِلم بالشيءِ ومرتَبَةِ واقِعِ الشيءِ، أَي (الشيءُ في ذَاتِهِ، والشيءُ لنَا) والتفريقُ بَينَ مقَام الواقِعِ في نَفسِهِ وبَينَ مرتَبَةِ الفهم والإستِدلالِ والمعرفةِ، حُصُولُ معرفةٍ لِلبَاحِثِ لا تَعنِي أَنَّها عَينُ الواقِعِ، أَيضًا فإنَّها قَد تَكُونُ خَاطِئَة، كما أَنَّ الجَزم بشَيءٍ ما وفقَ دَلِيلٍ مُعِينٍ، لا يَعنِي مُطَابَقَةَ ذَلِكَ الشيءِ المعروف معَ الواقِعِ، وخَير شَاهِدٍ يُبينُ هذَينِ الأَمرينِ، هُو اختِلافاتُ الأَدلةِ بَينَ البَاحِثِينَ، اختِلافاتٌ تَصِلُ إِلى التضَادُّ والتنَاقُضِ، وهل يُمكِنُ القَول إِنَّها كُلُّها مُتَطَابقَة معَ الواقِعِ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَها جَازِمين بصحتها؟!

معرفةُ الباحثِ بإشكالية المطابقةِ في عِلم المعرفةِ الفلسفي، وتوجهُهُ إلى خَصَائِص المعرفةِ الدينية السابقَة، مثل تَنَوُّعِ تِلكَ المعرفةِ، واختِلافاتِها وقابلِيَّةِ الخَطَأِ وتأريخيتِها، أفضَلُ طَرِيقٍ لِرفعِ اليدِ عَنِ اعتِقَاد وحدَةِ المعرفةِ الدينية معَ الدِّين بلحظِ المرتَبَةِ الذِّهنِيَّة، وهُو ما يَحتَمُّ ضَرورة تَفسِير الدِّينِ بعَيدًا عَن تَوحِيد هذِهِ الجُهُودِ الفكريَّةِ المقَدَّمةِ من أَجلِ فهم الدِّينِ معَ الدِّينِ .ولا يَعنِي هذا التحليلُ أَنَّ هذه الجُهُودَ الفكريَّةَ ليستْ عاكِسة لِلدِّينِ من وُجُوهِ نَظَر أَصْحَابها، أَو أَنَّها ليستَ حُجَّة عَلى أَصْحَابها، أَو ليستَ صَحِيحَة؛ ما دَام أَنَّها منَ المحتَمِلِ عَدَم تَطَابُقِها معَ الواقِعِ، وإِنَّما المنظور ضَرورة رفعِ العَينِيَّةِ والوحدَةِ بَينَ الأَمرينِ، وضَرورة تَصْنِيفُها تَحتَ عُنوانِ المعرفةِ الدينية، وإِنَّها جُهُودٌ فكريَّة

، وضرورة تصنيفها تحت عنوان المعرفة الدينية، وإنها جهود فكرية تفسيريَّةٍ، تتبعُ مُناهِجَ معرفيَّةٍ، الغايةُ منها فهمُ الدِّينِ وتَفسِيره، كما أَنَّها قَابلة لِلإختِلاف والتغيُّر والخَطَأ

الدِّينُ والنُّصُوصُ الدِّينِيَّة

يتوجهُ السُّؤَالُ، بَعدَ التفكِيكِ المعرفي السابقِ، عَن ضَرورةِ دِراسةِ العَلاقَةِ بَينَ الدِّينِ والنُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ، هل هُما شَيءٌ واحِدٌ، أَو أَنَّ بَينَهُما نَحوٌ منَ الإِختِلاَف؟ وما هي العَلاقَةُ بَينَ الاثنَينِ؟ مُصْطَلَحُ النصِ بشَكلٍ عَامٍ يُستَخدَمُ في عِدَّةِ مجَالاتٍ معرفيَّةٍ، منها مجَالُ تَحلِيلِ الخِطَاب، ومجَالُ عِلم العَلاماتِ، ومجَالُ عِلم التفسِير وعِلم أُصُولِ الفقهِ وغَيره.

في علم العلاماتِ: مفهومُ النصّ يشملُ كل نسقٍ من العلاماتِ اللغويةِ وغير اللغويةِ، يؤدي إلى إنتاجِ معنى كلي، فيتسعُ معناهُ إلى الشعائر والاحتفالاتِ والفنونِ والرسوم وغيرها. أما النصُّ في علم الخطاب يقتصر معناهُ على كلّ نسقٍ من العلاماتِ اللغويةِ يؤدي إلى إنتاجِ معنى كلي. [١]

إضافةُ كلمةِ النصّ إلى الدينِ، يعني نسقًا من العلاماتِ اللغويةِ ينتسبُ إلى الدينِ، ومتعلقًا به، كما هو في غيرهِ من الإضافاتِ، مثل نصّ لغويّ أيَّ متعلقٍ باللغةِ .مفهومُ الانتساب إلى الدينِ، مفهومٌ عامٌّ، يشملُ النصَّ الإلهيَّ، والنبويَّ، كما يشملُ حتى النصوصَ الصادرةَ من علماءِ الأديانِ في تفسير الدينِ أو تفسير نصوصِ أخرى متعلقةٍ بالدينِ في مرتبةٍ سابقةٍ.

من هنا تَقسِمُ النُّصوصَ الدِّينِيَّةَ إلى نصوصٍ أولِيَّةٍ وثانِيَّةٍ وثانَوِيَّةٍ، وهُو تَقسِيمٌ بِاعتِبَار مرتَبَتِها المعرفيَّةِ، فالنصُّ الدِّينِيُّ الأول يُطلقُ عَلى القُرآنِ الكَرِيم، والنصُّ الدِّينِيُّ الثَّانِيَ يُطلقُ عَلى السُّنَّةِ النبَوِيَّةِ، لأنَّها وإن كَانَتْ قَد تَكُونُ في بَعضِ مجَالاتِها مُستَقِلة ومُؤَسسة، وقَد تَكُونُ شَارحَة لِلنَّصّ الأولِ ومُبَينَة لهُ، لكِن بِاعتِبَار حُجِّيَّتِها نَاشِئَة منَ النصّ الأولِ، فيَكُونُ لها وصْفُ النصّ الثَّانِي. أَما النصُّ الثَّانَوِيُّ فيُطلقُ عَلى الجُهُودِ الفكريَّةِ المبذُولةِ من قِبَلِ العُلماءِ في تَفسِير القُرآنِ والسُّنَّةِ النبَوِيَّةِ.[٢]

كما يَقسِمُ النصُّ الدِّينِيُّ في تَقسِيمٍ آخَر مُشَابهٍ لِلتَّقسِيم السابقِ، إلى أَقسامٍ ثَلاثَةٍ، النصُّ الدِّينِيُّ الإلهِيُّ: مثَل القُرآنِ الكَرِيم بِاعتِبَار نَزُولِهِ منَ اللهِ، والنصُّ الدِّينِيُّ المستَحدَثُ مثَل السُّنَّةِ النبَوِيَّةِ والكُتُب الدِّينِيَّةِ الأُخرى أَو سُنَّةِ المعصُومينَ وفقَ رايٍ مشهُور الإماميَّةِ في عِصْمةِ أَهلِ البَيتِ. والثَّالِثُ النصُّ الدِّينِيُّ الإنسانِيُّ: وهُو النصُّ الذِّي يَعكِسُ فهم الإنسانِ لِلدِّينِ وتَفسِيرهُ لِلنُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ، مثَل كُتُب التفسِير والفقهِ والحَدِيثِ.

ومن هُنَا معَ تَفكِيكِنَا بَينَ الدِّينِ والمعرفةِ الدِّينِيَّةِ البَشَرِيَّةِ في البَحثِ السابقِ، فإِنَّ النَّصُوصَ الدِّينِيَّةَ في هذَا الموضُوعِ لا تَشملُ النَّصُوصَ الثَّانَوِيَّةَ، أَوِ الإنسانِيَّةَ، لِأَنَّها معَارفُ بَشَرِيَّة لا تُمثِّلُ

[١]: راجع: نصر حامد أبو زيد، الامام الشافعي وتأسيس الأيديلوجية الوسطية، مكتبة مدبولي، ط الثانية، ١٩٩٦م، ص١٢.
[٢]: راجع: نصر حامد أبو زيد، الامام الشافعي وتأسيس الأيديلوجية الوسطية، ص١٢.

الدِّينَ في حَدَّ ذَاتِها بشَكلٍ ضَروريٍّ والزَّاميٍّ، كما تَقدِمُ بَيَانَها. فالبَحثُ يَتَوجَّهُ إلى القِسمينِ الأُولينِ،هل هُما الدِّينُ نَفسُهُ أَو بَينَهُما تَفاوُتٌ؟ بنَاءً عَلى ذَلِكَ، يُمكِنُ تَعريفُ النَّصُوصِ الدِّينيَّةِ عَلى أَنَّها مجمُوعَة منَ النَّصُوصِ القُرآنِيَّةِ والنَّبَوِيَّةِ التِي تَحتَوِي عَلى مُعتَقَدَاتٍ وتَعَالِيم دِينِيَّةٍ، والتِي تُشَكِّلُ أَساس معَارف الدِّينِ وتَعَالِيمِهِ.

وعَلى الرغم من أَنَّ القُرآنَ والسُّنَّةَ هُما مصْدَرا المعارفِ الدِّينِيَّةِ الأَسَاسِيَّانِ، إلا أَنَّهُ منَ الناحِيَةِ المنطِقِيَّةِ، لا يُمكِنُ القَول إِنَّ الدِّينَ هو عَينُ هَذِهِ النصُوصِ بشَكلٍ مُطلقٍ وعَامٍّ، لِأَنَّ بَعضَ النصُوصِ القُرآنِيَّةِ تَتَعَلقُ بالقَصَصِ التاريخِيَّةِ أَو الأَمثَالِ القُرآنِيَّةِ وغَيرهَا، وبَعضُ أَقوالِ النبي لا تُشتَمِلُ عَلى تَشرِيعَاتٍ دِينِيَّةٍ، بالإِضَافَةِ إِلى ذَلِكَ، كَثِيرٌ منَ النصُوصِ النبَوِيَّةِ التشرِيعِيَّةِ وغَيرهَا لم تُنَقل بسَبَب عَدَم التدوِينِ أَوِ المنعِ من كِتَابَةِ الحَدِيثِ، كما إنّ اكثر طرقَ تلك النصوص طرق ظنية، وبَعضُهَا مُختَلفٌ فِي ثُبُوتُهُ بَينَ المذَاهِب. أو أنّه نُقِل بشكل متناقض ومتفاوت، و مُختَلفٌ فِي فَهمهَا. إضافة إلى الدسِ والتكذيب على النبي، و نسبة جميع هذه الى الدين، تعطي إشكالية كبيرة. لِذَلِكَ يَجِبُ فَهمُ العَلاَقَةِ بَينَ الدِّينِ والنصُوصِ عَلى أَنَّهَا عَلاَقَةُ الوسِيلةِ والغَايَةِ، حِيثُ إِنَّ النصُوصَ هي وسَائِلُ إِيصَالِ الدِّينِ وبَيَانِهِ، والدِّينُ بمعنَى المعَارفِ المستَفَادَةِ منَ النصُوصِ هو الغَايَةُ. وعلاَقَةُ المعرِفِ والمعرَّفِ، فَالنصُوصُ الدِّينِيَّةُ هي المرجَعُ الرئِيسِيُّ لِلدِّينِ وتُشكِلُ أَسَاسَ معَارفِهِ وتَعَالِيمِهِ. وتُمثِّلُ مرجَعِيَّة معرفِيَّة مُقَدَّسَة فِي الجَملةِ يَتْمُ الإستِنَادُ إِليهَا فِي فَهم وتَفسِير الدِّينِ، كما تُشكِّلُ مصَدَّر الهِدَايَةِ والإِرشَادِ والتوجِيهِ والإِبلاغِ، النُّصُوص الدِّينِيَّةِ وسِيلةٍ وليست الغاية النهَائِيَّةِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا.

تعريف الدين

إذا أردنا تَعريفَ الدينَ بعيداً عن المعارفِ الدينيةِ التي جاءت تفسيراً له، أو تفسيراً للنصوصِ الحاكيةِ والمعبرةِ عنه، وبعيداً عن الوسيلةِ الموصلةِ له، بالإمكانِ أن نعرفهُ اجمالاً بالقولِ، أنَّ الدينَ في الواقعِ مجموعةٌ من الإيمانيَّاتِ، والنظم والممارساتِ العمليةِ، والقيم الأخلاقيةِ. فيشمل في الجملةِ الجانبَ الاعتقادي، والأحكام العمليةِ مثل الصلاةِ والصيام وغيرها، والقيم الأخلاقيةِ كالأمر بالأمانةِ والصدقِ وغيره. وهي أقسامٌ يمكن استفادتها من ملاحظةِ مفادِ النصوصِ الدينيةِ، وترجع بالاستقراءِ إلى هذهِ الثلاثِ. أما تعريفُ الدينِ تحقيقاً، فهو ما يتوقف تحقيقهُ على مقدمات أخرى، نترك الخوض فيها الى دراسة مستقلة.

.تعريفُ الدينِ بالمعارفِ التفسيريةِ هو تعريفٌ له بما تأخر عنهُ من معارفِ بشريةٍ لاحقةٍ له، وتعريفُهُ بالنصوصِ هو تعريفُهُ بما هو معرفٌ له سابقًا، وكلاهما غيرهُ منطقيًا.

مسائل الدين وضروریاته

موضوع ضرورات الدين واركانه، بلحاظ ما ورد في النصوص الدينية، من مسائل، من ايمانيات واحكام عملية وقيم أخلاقية، وقصص ومواعظ وامثال، وغيرها، موضوع مهم، يحتاج لدراسة تحليلية مستقلة، واما بلحاظ ما هو خارج عن النصوص، فهو ما اودّ الإشارة اليه، والوقوف عنده مختصرا.

الضروريات الدينية والتفسيرات الدينية

المعارفُ الدينيّةُ كما تقدّم توضيحَها، جُهودُ فكريّةٌ في تفسير الدينِ ونصوصِه، هل يمكنُ أن تتحوّل بعضُ تلكَ الجُهودُ إلى ضروريّاتَ دينيّةٍ بلحاظِ الدينِ نفسِهِ، أي هل إن بعضَ التفاسير الدينيّةِ، تعدُّ من ضروريّاتِ الدينِ ومسلماتِهِ وأركانِهِ، بحيث يعدُّ المخالِفُ لها خارجًا من الدينِ والإيمان، أم أن هذه التفاسير برمتها هي جهودٌ بشريّةٌ تفسيريّةٌ لا جُزئيّةً دينيّةً لها؟ جوابُ هذا التساؤل، يرتبطُ بموضوعِ البديهي والنظري من المعرفةِ الدينيّةِ.

المعارفُ الدينيّةُ البديهيّةُ، لما كانَتْ نسبَتُها للدينِ لا تَحتاجُ إلى دليل، لبداهتِها الدينيّةِ، فإنَّ إمكانيّةَ دخولِ بعضِها في الضروريّاتِ الدينيّةِ أمرٌ ممكنٌ، والسببُ في قولنا (البعض) هو أنَّ مفهوم البديهي مفهومٌ عامٌّ، قد يصدَّقُ على بعضِ القضايا الجزئيّةِ التي لا تُعَدُّ في الدينِ من الضروريات. وإن كانتْ من مسائلِهِ أو جزءٍ من مضامينِ نصوصِهِ، ومن باب المثالِ الاتفاقُ على أنَّ سورةَ الكوثر، أقصر سورةٍ في القرآنِ الكريم، فإنَّ هذه المعرفةَ، رغم أنها بديهيّةٌ وواضحةٌ، لكنَّ لا تُعدُّ من ضروريات الدينِ، أما ضرورةُ الإيمانِ باليوم الآخر في الدينِ الإسلامي، فهي معرفةٌ دينيَّةٌ بديهيَّةٌ، وهي من ضروريات الدينِ والإيمان، حسبَ صريح النصوصِ الدينيَّةِ.

أما النظرياتُ في المعرفةِ الدينيةِ، وهي ما تَوقّفَتْ نِسبَتُهَا عَلى الأَدِلةِ، وتَتَّبعُ مدَارسَ ومبَانِي فِكريَّةٍ ومنَاهِجَ معرفِيَّةٍ، وقَابلةٌ لِلِاختِلافِ بحَسب عَدَم وُضُوحِ النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ، فَكَيفَ يُتَصور أَن يَكُونَ بَعضُهَا ضَروريًّا من ضَروريَّاتِ الدِّينِ؟ فَكما لا يَعقِلُ ادِّعَاءَ أَنَّ اللهَ يَطلُبُ الإِيمانَ بِكُلِّ التفسِيراتِ البَشَريَّةِ فِي تَفسِيرِ النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ والالتِزَام بهَا، رغم تَنَاقُضَاتِهَا واختِلافَاتِهَا، كذلك من غَير الممكِنِ تَحوِيلُ بَعضُهَا إِلى ضَروريَّاتٍ دِينِيَّةٍ، رغم أَنَّهَا كُلُّهَا تَفسِيراتٌ تَخضَعُ لِأَدِلةٍ ومُنَاهِجَ معرفِيَّةٍ. كذلك إشكالية عدم الفرق بَينَ البَعضِ والبَعضِ الآخَر، اذ كُلُّهَا مسَائِلُ نَظَرِيَّةٍ تَستَنِدُّ إِلى شَواهِدَ مُختَلِفَةٍ.

تَحويلُ تَفسِير دِينِيّ إلى مرتَبَةِ الضروريات الدينيةِ، رغم أنَّهُ لم يَاتِ في النصوصِ الدينيةِ بالوُضُوحِ والقَطعِ، هو منعٌ منَ التفسيراتِ الأخرى، وسدُّ بابِ الاجتهاد، ومُؤَاخَذَةٌ مُفسِر وفقيه برايِ مُفسِر وفقيه آخَر. إضَافَةً إلى ذَلِكَ، تأتي المشكِلةُ التطبيقِيَّةُ و هي تَعِيينُ أَي التفاسير الفِكريَّةِ لِلنَّصّ الدِّينِي أَو لِلحُكم، هو الضَّروريُّ ما دَام أَنَّ النَّصَوصَ الدِّينِيَّةَ لم تُوضِّحِ المسأَلةَ بالوُضُوحِ والقَطعِ، وتُخرجُهَا منَ النَّظَرِيَّاتِ إلى البَدِيهياتِ.؟

التكلِيفُ بالشَّيءِ فَرعٌ بيَانِهِ، ولما لم يَتَبَيَّن فِي النَّصَوصِ الدِّينِيَّةِ أَنَّ هَذَا التفسِير جُزءٌ من قَواعِدِ الإيمانِ، فَلا يُمكِنُ ادِّعَاءُ أَنَّهُ ضَروريٌّ من ضَروريَّاتِ الدِّينِ، لِأَنَّ الضَّروريَّاتِ الدِّينِيَّةِ فَضْلاً عَن حَاجَتِهَا إلى النَّصَوصِ الواضِحَةِ وصَرِيحَةِ فِي إثبَاتِهَا الدِّينِيّ، تَحتَاجُ إلى نَصُوصٍ تُبينُ ضَروريَّتَهَا الدينية كذلك، سواء بالشكل المباشر الصريح أَو غير المباشر من باب توعد العذاب عَلى مُخَالِفَتِهَا وإنكَارِهَا، وما لم يُثبَتْ ذَلِكَ دِينِيًّا، لا يُمكِنُ تَوصِيفُ مسأَلةٍ ما بالضَّروريَّةِ .

الضَّروريُّ الدِّينِيُّ هو نِسبَةٌ تحلل منطقيا، الى مدخلية هذه المسالة في الايمان، لان الضروري الديني هو نوع من القضايا الضرورية التي تبحث في مواد القضايا، وهذه الضرورة لا يمكن ادعائها ما لم تثبت بالنص الديني انها جزأه الأساس. اما الاستدلال بالإجماع، وكونه مبررا للضروري، اي أَنَّ كُل تَفسِير تَوافقَ عَليهِ الأَكثَر، هو ضَروريٌّ من ضَروريَّاتِ الدِّينِ، فالإشكال عليه، كبرويا، ان هذا المعيار يحتاج الى دليل، ولابد ان يستند الى نص ديني ينص على ان ضرورات الايمان الديني معيارها التوافق.!

اما صغرويا فإنَّ هذه التوافقاتَ بين المفسرين، حَادِثةٌ في مرحلةٍ تاريخية، ولم تَكُن في أول نُزُولِ التشريعِ، إضافة الى ذلك أنّ منشأها الأول عملية استدلالية، ومُرتَكِزَةٌ على مبان فِكريةٍ خاصةٍ.

الضروري الديني لا يحدّد بمعيار كثرة القائلين به، أو القلةَ منهُم! والا كيفَ إذا تَغَيَّر الرأيُ من بَعضِ المفسِّرينَ وتراجع عن رايه، فَهَل يَبطِلُ الضروري ويتحول الى مسالة فرعية، لِخُروجِ البَعضِ منَ الاتفاق؟! وكيفَ يُلزمُ المفسِّر بتفسير آخر يَرى عَدَم صِحَّةِ استدلالِه، أو خَطَأَ مبَانِيهِ المعرفِيَّةِ! والنتيجة أنّ نظرياتُ المعرفَةِ الدينيَّةِ لا يمكِنُ معرفيا، تَحوِيلُهَا إلى ضروريَّاتٍ دينيَّةٍ.

الضروريات الدينية والمباني الفكرية

منَ المسَائِلِ التِي تُطَرَحُ فِي الضُّروريَّات الدِّينِيَّة والمذهَبيَّة، اِدَّعَاء أَنَّ بَعضَ المبَانِي الفِكريَّة التِي تُستَخدَمُ فِي المعرفَة الدِّينِيَّة، تُعدّ ضُروريَّات دِينِيَّة أَو مذهَبيَّة. أَي أَنَّ الإيمانَ بهَا جُزء منَ الإيمانِ الدِّينِيّ، وعَدَم الموافَقَة معَهَا أَو التَّشكِيك بهَا، خُروج منَ الإيمانِ؛ لِأَنَّ الاعتِقَاد بهَا جُزء من ضُروريَّات الدِّين أَو مسلُماتِهِ الضُّروريَّة.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المبَانِي الفِكريَّة هي أُسس معرفِيَّة كُلِّيَّة، تَختَلِف بَينَ عِلمٍ وآخَر، كما تَختَلِف بَينَ مُفَكِّر مُعتَقِد بصِحَّتِهَا لِتَماميَّةِ الدَّلِيل فِيهَا أَو شَاكٍ فِي صِحَّتِهَا لِخَلَلٍ استِدْلالِيّ. كما ان ادنى مطالعة استدلالية لها، تثبت بوضوح أنّ أَغلب مصَادِيقِ هذه المباني، مسائل نَظْرِيَّةٌ لا بَدِيهية، لأنها تَعتَمِدُ عَلى مُبَانِي فِكريَّةٍ أَسبَق منهَا، واستِدْلالاتٍ أُخرى، وحصيلةً مناقشاتٍ فكريَّةٍ عميقةٍ. كما أَنَّ وُجُودَهَا تَارِيخِيّ، اذ بحثُهَا ودراسَتُهَا الأولى والتَّصَدُّيق بهَا، ومن ثُم الإقرار بضَرورةٍ أن تَتَحَول إلى أَسَاسٍ معرفِيٍّ يثابت، كله مرتبط بمرحلة تاريخية، وقَبل تِلكَ المرحَلةِ التَّارِيخِيَّةِ منَ الفِكر، بَعضُهَا لم يكن معروفا بالتمام، وبعضها كَانَ مُجَرَدَ مسَالةٍ من مسَائِل علم ما أَو فَرضِيَّةٍ لا غَير.

من هنا نعرفُ أنَّ ادعاءَ بعضِ هذه المباني الفكريَّةِ للتفسيراتِ الدينيَّةِ، سواءَ مبانٍ كلاميَّةٍ أو غيرها، جزءٌ من الدينِ أو من ضروراتِهِ ومسلماتِهِ، ويُطلبُ الإيمانَ بها ويعاقبُ اللهُ عليها، ادعاءٌ غير منطقيٍّ، إذ كيفَ تتحولُ إلى ضروريَّاتٍ دينيَّةٍ وهي ما كانت إلا مسألةً من مسائلِ علمٍ ما، أكثرها موضعَ اختلافٍ بين المدارسِ الفكريَّةِ الدينيَّةِ. وهل مجردُ الاستدلالِ عليها استدلالاً نظريّاً بنصٍ ديني يحوّلُها إلى ضروريَّةٍ دينيَّةٍ، إذ أن المسائل المخالفةَ لها يُستدلُّ عليها باستدلالاتٍ مشابهةٍ أيضاً. فلم لا تتحولُ تلك المسائلُ إلى ضروريَّاتٍ دينيَّةٍ!!

كما أنَّ أهمية المسالة وتأثيراتها المعرفية في التفسير الديني لا يصنع منها ضرورية دينية، ما دام أنَّها مسألة نظرية تخضع للجدل والنقاش، وما دام لم يرد فيها نصٌ ديني واضحٌ وقطعيٌّ ينصُّ على ضرورة الإيمان بها.

توسعة فكرة ضروريات الدينِ ومسلماتِهِ إلى مسائل الفكر الديني، وبعض مباني المعرفةِ الدينية، هي توسعة تعتمدُ على وحدة الدينِ مع تفسيراتِهِ البشرية، ومن ثم انتقاء بعض التفسيرات الدينية التي طرحها علماء الأديان، كذلك توسعةٌ نابعةٌ من عامل سلطوي وسياسي، يفرضُ ضرورة تحكيم اتجاه فكري معين، وبسط سلطته السياسية والفكرية على بقية الاتجاهات الفكرية في التفسير الديني.

المعارف الدينية النظرية ونسبية المعرفة

. من المباحثِ المهمّة في المعرفةِ الدينية، البحثُ عن نسبيةِ المعرفةِ الدينية؛ وهو موضوعٌ تترتبُ عليهِ نتائجُ خطيرةٌ ومهمة، كما أنهُ من المواضيعِ التي يساءُ فهمُها عادةً بسبب تعددِ المعنى لمصطلحِ النسبية، وما يسببهُ من خلطٍ وارتباكٍ لدى البعض، إذ تُتصور النسبيةُ بمعنى صحةِ كل شيءٍ بلحاظِ الواقعِ حتى المتناقضات، أو أنَّ القضايا البديهيةَ هي قضاياً نسبية، فيثير

هذا المفهومُ بمجردِ استعمالِهِ أو قراءتِه، مخاوفَ نفسيةً عندَ البعض، كما لا يخفى أنَّ من أسباب ذلك تشويهَ الخطاب الديني لهذا المفهوم واستبعادِهِ المطلقِ من دراساتِ المعرفةِ الدينية.

مصطلح النسبية عمومًا، من المصطلحات ذات الاشتراك اللفظي الواسع، يُقابَلُهُ مفهوم الثبات، والإطلاق، والحقانية المطلقة، كما يستعمل في علوم مختلفة من الأخلاق والمعرفة والفلسفة والفيزياء وغيرها، وله إضافات متعددة مثل نسبية ذاتية ومعرفية وفيزيولوجية وغيرها. [١] فَيَتَعَدَّدُ معناها، ويُقابَلُهُ مفهومُ الثبات، ومصطلحُ الإطلاقية، والحقانية المطلقة.

قال محمد باقر الصدر: ((تعتبر النسبية من المذاهب الفلسفية القائلة بوجود الحقيقة وإمكان المعرفة البشرية، ولكنّ هذه المعرفة أو الحقيقة التي يمكن للفكر الإنساني أن يظفر بها، هي معرفة أو حقيقة نسبية، بمعنى: أ نّها ليست حقيقة خالصة من الشوائب الذاتية ومطلقة، بل هي مزيج من الناحية الموضوعية للشيء، والناحية الذاتية للفكر المدرك، فلا يمكن أن تفصل الحقيقة الموضوعية في التفكير عن الناحية الذاتية وتبدو عارية عن كلّ إضافة أجنبية.)) [٢]

تتنوع النسبية بلحاظ المعرفة الدينية، بين النسبيةِ بمعنَى تَعدُدِ المعرفة الدينية، بلحظِ تَنَوُّعِهَا وتَعَدُّدِهَا حَسبَ اختِلاَفِ المدَارسِ الفِكريَّةِ والاتِّجَاهَاتِ المعرفِيَّةِ، وهو ما تَقَدَّم بَيَانُهُ عِندَ التعَرضِ إلى خَصَائِصِ المعرفَةِ الدِّينِيَّة. والنِّسبيَّةُ بمعنَى صِحَّةِ جَميعِ المعَارفِ الدِّينِيَّة بلحظِ الدِّينِ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، أَي أَنَّ الدِّينَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ ليسَ لهُ معَارفَ مُعَيَّنَةٌ، فَيَقبَلُ حَتَّى المتَنَاقِضَاتِ فِي المعرفَةِ الدِّينِيَّة. وهو معنَى تَقَدم الأَشكَالُ فِيهِ ونَقدُهُ.

وبَينَ النِّسبية بمعنَى أَنَّ بَعضَ المعَارفِ الدِّينِيَّة النَّظْرِيَّةِ التِي تَرتَبطُ بما هو خَارجٌ عَنِ النَّصُوصِ الدِّينِيَّة، أي موضوعات خارجية، قَدْ تَتَغَيَّر من زَمانٍ إلى زَمانٍ آخَر، بحَسَب تَغَيُّراتِ الواقِعِ منَ الزَّمانِ والمكَانِ ومُتَغَيراتِ الحَيَاةِ.

نسبيةُ المعرفةِ الدينيةِ المنظورةِ لنَا الآنَ، هي النوعُ الثالثُ منَ النسبيةِ، أَي أَنَّ بَعضَ المعارف الدِّينِيَّةِ التِّي يُمكِنُ أَن تَرتَبطَ بالزَّمانِ والمكَانِ، تَتَصَفُ بالنسبيَّةِ بمعنَى، أَنَّها إِذَا ثَبَتَ صِحَّتُها فِي يَومٍ ما، أَو قرنٍ ما، منَ الممكِنِ أَن يَثبُتَ بَطلانُها فِي زَمنٍ آخَر، كما أَنَّ ما ثَبَتَ بَطلانُهُ لِقُرونٍ مدِيدَةٍ، يُمكِنُ عَلى أَثَر الروابطِ الخَارجِيَّةِ، أَن تَثبُتَ صِحَّتُهُ فِي زَمنٍ آخَر. صَدَقُ هذِهِ الإمكانية

[١]: انظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٤١٤ق، ص٤٦٦. عبد المنعم حفني، المعجم الفلسفي، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٢م، ص٢٩٥.

[٢]: محمد باقر الصدر، فلسفتنا، قم - ايران، ١٤٣٤ ه.ق. ص١٦٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

يَتَبَعُ إمكَانِيَّةَ الصِّدْقِ والكِذب فِي جَميعِ المعَارفِ النَّظْريَّةِ فِي الجُملةِ، كما يَتَبَعُ إمكَانِيَّةَ التَّغِير فِي كُلِّ معرفَةٍ بَشريَّةٍ بحَسَب تَغيُر الواقِعِ.

المعرفةُ البشريةُ عمومًا، سواءً دينيةً أو علميةً، نسبيةٌ بهذا المعنى، إذ هي متجددةٌ، تقبلُ النقدَ والتغيّر والتبدُّل وقابليةَ الخطأ، وهذا عالم العلوم، كلما يُكتشَف رأيٌ جديدٌ في عِلم ما، يُرفَع اليدُ عن الرأي السابقِ فيه، فصحَّةُ معرفةِ ما لا يعني بقاء حقانيتها دائمًا، وهذه الفيزياء كانت لقرونٍ ضمن أسس فيزياء نيوتن، فجاءَ اكتِشَافُ نظرياتِ آينشتاين، فرفعت اليدُ عن نظريات الفيزياء السابقةِ، كما أنَّ نظريات آينشتاينَ قد يأتِ زمانٌ يثبت بطلانَها .

المعارفُ الدينيةُ النظريةُ في الجملةِ لا يمكنُ عدادُها في صفِّ البديهيات الأوليةِ مثل الوجودِ والعدم لا يجتمعان، أو الواحدُ زائدٌ واحدٌ يساوي اثنان، كما أنَّ ما يرتبطُ منها بالواقعِ المتغير، يختلفُ عما يرتبطُ من المعارفِ النظريةِ بحقائقِ مستقلةٍ عن الواقعِ المتغير الزماني والمكاني.

المعارف الدينية بما انها جهود نظرية فكرية، لا تختلف عن بقية الجهود المعرفية في مجالات الحياة الأخرى، فان الحقانية النسبية في نظرياتها امر ضروري كذلك، في قبال هذه النسبية، تأتي فكرة الحقانية المطلقة، وهو التسالم على أنّ كل معرفة دينية نظرية ثبتت صحتها سابقا، يتمسك بصحتها الدائمة في كل زمان، بل قد تتحول الى ضرورية من ضروريات الدين.

من باب المثال، لا الحصر، مسألة هل الدين نظام شامل لكل متغيرات الحياة بكل أبعادها وتغيّراتها على طول الزمان، أو أنه نظام حياتي يتعلّق بالجانب العبادي والإيماني والأخلاقي من حياة الناس، لا شمولية فيه تمامًا، أو أن شموليّته محدودة ببعض متغيرات الحياة في القرون السابقة، أو أي تفسير ورأي آخر، فإن جميع هذه التفاسير، ترتبط بالمعارف الدينية النظرية. إذ ليست من البديهيّات الدينية، كما أنها لا يمكن بحال من الأحوال أن يتحول تفسير من التفاسير السابقة، إلى ضروري ديني، كما هو المتصور عند كثير من دعاة النظرية الشمولية في الدين، بل الأعجب أن توصف بعض التفاسير الأخرى بالعداوة الدينية والمواجهة مع الدين. [1]

جميعُ التفاسير في فهم الدينِ ونظامه، هي تفاسيرٌ تدخلُ في المجالِ النظريِ الديني، وفي النتيجةِ جُهودٌ بشريةٌ تفسيريةٌ في فهم الإسلام، لأنَّ كل واحدٍ منها يخضعُ لجملةٍ من المبادئ، ومحتاجٌ لإقامةِ الدليلِ، كما أنَّ هذه المسالةَ بصورةٍ عامةٍ تتعلقُ بجوانب دينيةٍ وغير دينيةٍ متغيرةٍ ومختلفةٍ، منها الجانبُ المتغير من الحياةِ، لأنَّ التساؤل فيها عبارةٌ عن "هل الدينُ غطّى كل جوانب الحياةِ

[1]: حسن الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج٣، ص٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

في زمانِنا وكل زمانٍ مستقبلي، أم لا؟" وهذه مسألةٌ نظريةٌ لا بديهية، كما ترتبطُ بوجودِ النصوصِ الدينيةِ الكثيرةِ، ومعالجاتِها لكلِّ الحوادثِ والمتغيراتِ على طولِ الزمانِ الحاضر والمستقبلِ.

وهي مسالةٌ ليستْ من البديهياتِ الدينيَّةِ كذلك، كذلكَ إثباتُ الشموليةِ الفكريَّةِ يرتبطُ بالوجودِ الفعلي للنصوصِ الدينيَّةِ الكاملةِ، لأنَّ معَ الإيمانِ بعدَم وجودِ نصوصِ دينيَّةِ معالجةٍ لمتغيراتِ الحياةِ، بسبب ضياعِها أو عدم وصولِها، أو مظنونيةِ وصولِها بسبب قلةِ الطرقِ الناقلةِ لها، يدخلُ المسالةَ في معتركٍ فكريٍّ نظريٍّ معقدٍ جداً، وفي النتيجةِ لا تثبتُ الشموليةُ بصورةِ معرفةٍ نظريّةٍ ثابتة، فضلاً عن الإيمانِ ببداهتِها، إذ كيفَ تثبتُ الشموليةَ لكلِّ الأبعادِ، والفرضُ مثلاً فقدانِ النصوصِ المعالجةِ تطبيقاً. بالطبعِ ليسَ القصدُ الوقوفُ على الرأيِ الحقِّ في هذه المسالةِ، وإنَّما مجردُ توضيحِ أهميَّةِ التمييزِ بينَ المعارفِ، ومسألةِ إمكانيةِ نسبيَّةِ المعرفةِ وحقانيَّتِها.

المطلب الثالث: علاقة الفلسفة بالدين والمعرفة الدينية

العلاقة بين الفلسفة عموماً والدين، تتنوع باختلاف المنظور الفلسفي المقصود لنا، لأنَّ الفلسفة ليست علماً واحداً على طولِ تاريخِها، وإنما هي موضوعات عدة كل منها يُشكِّل علماً بذاته، تبحث جميعها وفق المنهج العقلي والتحليلي والنقدي وغيره، كما تقدَّمت الإشارة لها، فتقوى العلاقة وفق بعض العلوم الفلسفية مثل علم الوجود والمعرفة الإلهية وعلم المعرفة، وتضعف العلاقة وفق بعض العلوم الأخرى مثل فلسفة الأخلاق وفلسفة اللغة وغيرها. وتتلاشى في الفلسفات المضافة المرتبطة بالعلوم التجريبية.

من هنا نعرف أنَّ معاداة الفكر الديني للفلسفة ككل، وبصورة شاملة، والحذر من اسم الفلسفة، وهو ما يُسمّى "فيلسوفوبيا"، هو خوفٌ نفسي وهمي، ومعاداةٌ غير منطقية، لأنَّ الفلسفة علمٌ كبقية العلوم، ولبعض فروعها تشاركاتٌ مع بعض المسائل في المعرفة الدينية، وبعضٌ آخر منها أجنبيةٌ عن معارف الدين كما هو في الفلسفات المضافة للعلوم، مثل فلسفة العلوم، وفروعها المتنوعة، مثل فلسفة الفيزياء والرياضيات وفلسفة المنطق وغيرها، كما أن بعضَ الفلسفات المرتبطة بالمعارف الدينية هي فلسفاتٌ دفاعيةٌ عن الدين ولتقوية الاعتقاد الديني، فالنظرة الواحدة للجميع ضمن مقياسٍ واحدٍ، نظرةٌ غير علميةٌ تمامًا، وتحكي عن تخوُّف وهمي من العقل وتساؤلاته وتأملاته.

فلسفة الوجود والمعرفة الدينية

علم الوجود هو فرعٌ من فروع الفلسفة، يَبحثُ في تساؤلات العقل المرتبطة بالوجود العام، والحياة ووجود الإنسان وغيره، ومن أهمها تساؤلاته الوجودية المرتبطة بالمعرفة الدينية، مُبحَثٌ وجود ما

وراء المادة، أي الوجود المجرد وعلاقة المادِّي بما وراء المادَّة، ومسألة وجود الله أو العلل الأولى، بَيَانٌ نحو العِلِّيَّةِ والسَّبَبِيَّةِ بين العالم الطبيعي ووجود ما وراء المادة، وغيرها، تساؤلات تُعدُّ أُسسَ جوهر الإيمان الديني، لأنَّ أهم ركنٍ في الإيمان الديني الإيمان بالغيب، الذي يبتدأ بالوجود الإلهي ومعرفة الله، وموضوع الوحي والملائكة وإرسال الرسل، والاتصال بين المادِّي والوجود الإلهي، وينتهي بالإيمان باليوم الآخر وغيره.

الاشتراكُ في هذه المسائل بين المعرفة الدينية والفلسفة، يُعطي لعلم الوجودِ أهميةً فائقة، لأنهُ باحثٌ في الأسسِ العقليةِ للإيمانِ الديني، من أجل إثباتِ إمكانيةِ وجودِها، وعُقلتنها وتبرير الإيمان بها، والإجابة على تساؤلاتِ العقلِ المرتبطة به، لأنَّ مع عدم إمكانيةِ إثباتِ الوجودِ ما وراء المادة، أو الشكِّ في ذلك، يضعفُ أساسَ الدينِ من جهةِ فلسفية، ويتغير مساره للجانب الروحي، دراسةُ الفلسفة لهذا الموضوع تُعدُّ خطيرةً، لأنَّها ذات بُعدين، الشكُّ في تلك الأسس يضعفُ الإيمانَ الدينيَّ ويزعزعهُ فلسفيًّا، أما إثباتُها اليقيني فهو يساهمُ في تقويةِ الإيمانِ الديني بلحاظِ الجانب العقلاني، وإن كانَ يرى بعضُ الفلاسفة أنَّ الإيمان الديني أمرٌ قلبي، لا يقوى بكثرةِ البراهينِ الفلسفية.

ومن جَهَةٍ أُخرى، يُساهم عِلمُ الوُجُودِ فِي تَعزِيزِ الإيمانِ الدِّينِي وإعطَاءِهِ قُوةً أَكبَر، إذ يسَاعِدُ عَلى إيضَاحِ العَدِيدِ منَ المفَاهِيم المهمةِ فِي الدِّينِ والمعرفَةِ الدِّينِيَّةِ، فَيُعَدُّ مدْخَلًا مُهِمًّا فِي فَهم النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ، وفَهم بَعضِ الأَفكَار التِّي يَتَضَمنُهَا الدِّينُ بشَكلٍ أَفضَل، مثَل مفهُوم الخَلقِ، والخُلُودِ والوُجُودِ، والسَّعَادَةِ والشَّقَاءِ، وغَيرهَا. كما تُقَدِّمُ الفَلسَفَةُ تَفسِيراتٍ مُتَعَدِّدَةً لِتَبرير وتَوجِيهِ لِلعَدِيدِ منَ المفَاهِيم الأَسَاسِيَّةِ ذَاتِ الإِشكَالِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ، ومن أَبرزِهَا مسَالةُ الخَير والشَّر فِي العَالم، وموضُوعُ العَذَاب الأخروي وغَيرِه.

من هنا تتضح غايةَ الفلسفة في الفلسفةِ الإسلامية، فإنَّ من أهم غاياتِ الفلسفةِ عند المسلمين الأوائلِ مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد، الوصول إلى الانسجام والتلاؤم بينها وبين الدين، أما عند المتأخرينَ مثل مدرسةِ الحكمةِ المتعاليةِ، والمعاصرينَ مثل محمد حسين الطباطبائي، وغيرهم، فإن الغايةَ فضلاً عن الانسجام، الرجوعَ إلى الدين كمصدر معرفي مضاهي للعقل البرهاني، أي تحويل الدين والنصوص الدينيةَ إلى منبعٍ ومصدر للتفكير الفلسفي، كالبرهان العقلي. وهو تطورٌ في النظرةِ الفلسفيةِ يعكسُ قوةَ العلاقةِ بين الاثنين، و دليلٌ على إدراكِ عمقِ الدينِ المعرفي ودوره

ISBN: 978-9922-21-412-2

وأثرِهِ الهام، في جواب تساؤلاتِ العقل، وكشفِ ما لا يمكنَ للعقلِ البرهاني من كشفه، والوصولِ إليهِ.[١]

من أبرز مسائل المعرفة الدينية التي تأثرت بالفلسفة، (خصوصاً الفلسفة الإسلامية)، مسألة اثبات الوجود الإلهي. وهي مسألة أسهمت الفلسفة في تقوية اليقين الفلسفي والعقلي المحكم والرصين فيها، (من طريق كثرة إقامة الادلة والبراهين التي قدمها الفلاسفة،) وكثرة التقريرات لكل برهان منها، حتى كتب في تقريرات برهان واحد وهو برهان الصديقين، كتاب مستقل تحت هذا العنوان، اشتمل على ما يقرب من مئتين وعشرين تقريرًا وبيانًا لهذا البرهان. [٢]

بَل، لعَل ما يَثِير العَجَبَ الفَلسَفِيَّ، أَنَّ مسأَلَةَ وُجُودِ اللهِ، تَحَولتْ فِي الفَلسَفَةِ الإِسلاميَّةِ من عَدَّادِ النَّظَرِيَّاتِ إِلى مسأَلةٍ بَدِيهيةٍ ثَانَوِيَّةٍ، أَو بَدِيهيةٍ فِطرِيَّةٍ، ثُم أَصْبَحَتْ موضُوعًا لِلتَّنَافُسِ الفَلسَفِي فِي كَيفِيَّةِ إِثبَاتِهَا بأَقصَر البُراهِينَ دُونَ الحَاجَةِ إِلى مُقَدّماتٍ كَثِيرةٍ، تَستَغنِي عَنِ التسلُسِلِ والدَّور مثلًا، ثُم أَخِيرًا تَحَولتْ بَينَ الفُلاَسِفَةِ المعَاصِرينَ إِلى تَنَافُسٍ فِي إِثبَاتِهَا بعُنوانِ أَول مسأَلةٍ فِلسَفِيَّةٍ، دُونَ الحَاجَةِ إِلى تَاخِير إِثبَاتِهَا إِلى آخِرِ المبَاحَثِ الفَلسَفِيَّةِ، كما كَانَتْ عِندَ الفُلاَسِفَةِ المتَقَدّمِينَ، إِذ مسأَلَةَ إِثبَاتِ وُجُودِ اللهِ عِندَهُم غَايَةَ البَحثِ فِي دِراسَةِ الوُجُودِ، فَكَانَتْ مسأَلَةً مُتَأَخّرَةً فِي الإِثبَاتِ تحتاج الى مقدمات عقلية كثيرة.

وتُعَدُّ مُحَاولةُ مُحَمدِ حُسَينِ الطَّبَاطَبَائِي، فِي إِعطَاءِ تَقرير من تَقريراتِ بَرهَانِ الصَّدِيقَينِ يَصْلحُ أَن يَكُونَ أَول مسأَلةٍ فَلسَفِيَّةٍ، من مُحَاولاتِ التسَابُقِ الفِلسَفِي فِي هَذَا المضْمار. [٣]

المعرفة الدينية والعلوم الفلسفية الحديثة

من جملة ما تأثرت به المعرفة الدينية بالفلسفة وتساؤلاتِها، هو ظُهور علوم فلسفية جديدة تعتني بالمعرفة الدينية، علومٌ لم تكُن مطروحةً ولا معروفةً سَابقًا، وإنما نشأت على أثر تأملات العقل الجديدة بالدين ومبانيهِ وأسسه العقلية، مثل علم فلسفةِ الدين، وهو علم يَعنِي بتساؤلات الدين العامة دون التقيد بدين معين، من مسائلِه، إمكانية وجودِ الله، أدلة وجودِ الله، حقيقة الصفاتِ الإلهية، تعريف الدين، منشأ الدين، علاقة الدين بالعلوم الأخرى، تعارضات الدين مع العقل

[١]: محمد بن إبراهيم صدر المتألهين، الحكمة المتعالية، ج١، ص١٥، دار احياء التراث العربي، ط الثالثة، ١٩٨١م.
[٢]: انظر: حسين عشاقي، برهانهاي صديقين، مؤسسة بزوهشي حكمت وفلسه ايران، ١٣٩٢ش.
[٣]: انظر: كمال الحيدري، أصول التفسير والتأويل، دار فراقد، الطبعة الثانية، ١٤٢٧، ص٧٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

والعلوم الأخرى، مسألة الخير والشر، موضوع الاختيار الإلهي، لغة الدين، ودوره في حياة الإنسان. وغيره من أبحاث. . [1]

كذلك منَ العُلُوم الأُخرى، عِلمُ الكَلام الجَدِيد وهو فَرعٌ من فُروعِ الفِلسَفَةِ الدِّينِيَّةِ، يَختَلِفُ عَن عِلم الكَلام القَدِيم اختِلافَاتٍ جِذرِيَّةٍ كَبيرةٍ، اختِلافٌ بلحاظ الأَبحَاثِ؛ إِذ أَنَّهُ يُنَاقِشُ التَّسَاؤُلاتِ الحَدِيثَةِ التِي تطَرحُهَا العُلُومُ الأُخرى، والتِي تَتَفَاوتُ كَثِيرًا معَ الأَبحَاثِ التَّقلِيدِيَّةِ السَّابقَةِ فِيهَا، مثل موضُوعِ التَّجربَةِ الدِّينِيَّةِ، والتَّعَدُّدِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، والعَلاقَةِ بَينَ الدِّينِ والعُلُوم الأُخرى، حَقِيقَةَ الوحيِ، حَقِيقَةَ المعَجِّزَاتِ النَّبَوِيَّةِ، الجَوهَر والعُرضُ الدِّينِيُّ. عَقلانِيَّةُ الدِّينِ، الثَّابتُ والمتَغَيِّر فِي الدِّينِ، حَقِيقَةَ الدِّينِ، كما يَهتَمُّ بتَحلِيلِ مفَاهِيم القَدَر والاختِيَار الإِلهِيّ، مشكلةَ الشَّر وكَيفِيَّةَ انسِجَامهَا معَ العَنَايَةِ الإلهيةِ، وغَيرهَا من تَسَاؤُلاتٍ كَثِيرةٍ. كما لا يَخفَى أَنَّ هَذِهِ المسَائِل رغم أَنَّ بَعضَهَا مُطرحٌ سَابقًا فِي كَلِماتِ المتَكَلِّمينَ القَدَماءِ، لكِنَّ يَختَلِفُ طَرحُهَا فِي عِلم الكَلام الجَدِيد، إذ أَنَّ طَرحَهَا الحَدِيثَ طَرحٌ فَلسَفِيٌّ، أَعمقُ بكَثِير منَ البَحثِ الجَدَلِيّ فِي موضُوعِ الشَّر سَابقًا، عُمقُهَا يَتَجَلى فِي المنهَجِيَّةِ والطَّرحِ الفَلسَفِيّ واللُّغَةِ، وتأثيراتها فِي المعرفَةِ الدِّينِيَّةِ.

المائز الأساس في علم الكلام الجديد، أَنَّهُ ليسَ أَبحَاثًا تَستَنِدُ لِلنَّصِ الدِّينِي ولو بشَكلِ خَبَر الواحِدِ، أَو المنقُولِ التَّاريخِيّ أَو المشهُوراتِ الدِّينِيَّةِ، أَو المنَهَّجِ الجَدَلِيّ القَدِيم، لِأَنَّ مبَاحِثَ هَذَا العِلم مسَائِل عَامةً بَينَ الأَدْيَانِ، لِذَلِكَ يَعتَمِدُ المنَاهَجُ الفَلسَفِيَّةَ، كما أَنَّ الهَدَفَ الأَسَاسَ تَطوِير الفَهم العَقلانِيّ لِلدِّينِ والإِجَابَةِ عَلى التَّسَاؤُلاتِ الحَدِيثَةِ والتَّحَدِّيَاتِ التِي تُواجِهُ المعرفَةَ الدِّينِيَّةَ فِي عَصْرنَا الحَالِي. [2]

نشأة هذه العُلُوم وغَيرهَا، كما هو دَلِيلٌ أَهميَّةِ الفِكر الفَلسَفِيّ فِي المعرفَةِ الدِّينِيَّةِ، لِأَنَّ هَذِهِ العُلُوم لم تَنشَا لولاَ الجُهُودِ الفَلسَفِيَّةِ والتَّأَمُّلاتِ العَقلانِيَّةِ الحَدِيثَةِ فِي المعرفَةِ الدِّينِيَّةِ، كذلك دليل أهمية تطورات العلوم والمناهج الحديثة، وتغيرات الحياة الإنسانية في تطوير المعرفة الدينية.

خاتمة البحث

١. موضوع هذا البحث دراسة العلاقة بين الفلسفة والمعرفة الدينية، والغرض ضرورة فهم الدين وتشكل الهوية الإسلامية وفقا لمتغيرات المعرفة الدينية.

[1]: انظر: جعفر السبحاني، مدخل مسائل جديد در علم كلام، الناشر مؤسسة الامام الصادق، ص ٦٦.

[2]: لجنة التحقيق في مؤسسة الامام الصادق، معجم طبقات المتكلمين، مؤسسة الامام الصادق، ١٣٨٢ش، ج١، ص١٥٣_١٥٤.

٢. الفلسفة في جوهرها هي تساؤلات عقلية تتعلق بموضوع ما، تهدف الى فهم حقيقته وإدراك معناه. وليس كما يظنها البعض انها مقولات يونانية اريد إدخالها الى الإسلام، وفهم الإسلام من طريقها.

٣. الفلسفة الإسلامية منذ بداية ترجمتها في القرن الثاني كان الهدف منها الوصول الى عقلانية المعرفة الدينية واثبات الانسجام الفكري بين الدين والفلسفة.

٤. المعرفة الدينية جهد بشري تفسيري يقصد منه فهم وتفسير النصوص الدينية، ماهيتها لا تتفاوت عن بقية المعارف البشرية، الا من حيث الموضوعات. التفسيرية والمناهج المعرفية و الغايات.

٥. المعرفة الدينية لها خصائص تختلف بها عن خصائص الدين، لان هذه المعارف متنوعة ومتضادة، بل بعضها متناقض بين المفسرين، ومتغيرة وتاريخية وقابلة للخطأ، والتطوير.

٦. تنقسم المعرفة الدينية البشرية الى قسمين معارف بديهية ونظرية، وهو انقسام وفق كونها معرفة بشرية، كذلك وفق معيار حاجتها في نسبتها الى الدين الى دليل ام لا.

٧. العلاقة بين الدين والمعارف التفسيرية، هي المغايرة بلحاظ الدين في مرتبة ذاته، لا بلحاظ ما يعتقده المفسر والباحث. واما بلحاظ ما يراه الباحث فان هذه العينية بين الدين وما يعتقده هو من معارف، معتمدة على مبان واسس معرفية خاطئة.

٨. الدين ليس هو النصوص الدينية المبينة والموصلة له، وانما هو مفاد هذه النصوص، وهو المعارف الصريحة والقطعية من الدين. وتتجلى في الايمانيات والاحكام العملية والقيم الأخلاقية، كما تدخل فيه المعارف البديهية من المعرفة الدينية.

٩. الضروريات الدينية لا يمكن ان تنطبق على المعارف الدينية النظرية بحكم تنوعها واختلافها وتعددها، كما لا تنطبق على الأسس المعرفية الكلامية وغيرها، مما تشكل مباني تصديقية للتفاسير الدينية.

١٠. المعرفة الدينية تقبل النسبية بلحاظ تعدد التفاسير الدينية، وتقبل النسبية بمعنى ان بعض المعارف النظرية من الدين تخضع لعوامل خارجة عنها من الزمان والمكان والمتغيرات.

١١. تأثير الفلسفة على المعرفة الدينية تأثير مهم اذ تسهم الفلسفة في تقوية الايمان الديني والاثبات اليقيني وعقلنة الكثير من المسائل الدينية.

ISBN: 978-9922-21-412-2

١٢. من تأثيرات الفلسفة على المعرفة الدينية، هو نشأة بعض العلوم الحديثة المرتبطة بالمعرفة الدينية مثل علم فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد وغيرها.

١٣. الهوية الإسلامية للإنسان المؤمن لا تتشكل وفق المرويات الدينية بعيدا عن متغيرات المعرفة البشرية، لان كل المرويات والمسائل المذهبية ترجع الى تفاسير دينية طرحت في فترات سابقة، وبعضها خاضع لمناهج معرفية ومبان تحتاج الى العديد من الأدلة.

توصيات البحث

١. ضرورة دراسة المسلمات الدينية دراسة تطبيقية وفق تفكيك المعرفة الدينية البديهية والنظرية. لان كثير مما يدعى انه من الضروريات ما هو في الواقع الا تفسيرات مشهورة تحولت الى مسلمات بمرور الزمن. كما ان السلطة السياسية والفكرية والدينية ساعدت على تحويل بعض تلك التفسيرات الى ضروريات دينية.

٢. ضرورة دراسة موضوع نسبية المعرفة الدينية وفق تفكيك المعرفة النظرية عن البديهية، والتفريق بين المعرفة النظرية المرتبطة بالنص فقط، وبين المعرفة النظرية المرتبطة بما هو خارج عن النص من الواقع الانساني المتغير مثل الزمان والمكان والواقع الثقافي وغيره.

٣. من الضروري التوجه للعلوم الحديثة التي ترتبط بالمعرفة الدينية، لان هذه العلوم نشأت على ضوء الدراسات الحديثة والتساؤلات الفلسفية الدقيقة المرتبطة بالدين، اما الإصرار على البقاء في دائرة العلوم القديمة لأجل فهم الدين، مثل مسائل علم الكلام التقليدي، والقطيعة مع كل ما هو حديث، فهي محاولة ليست بالموفقة، لان العلوم الديمة هي علوم بشرية تأسست وفق أسئلة القدماء، فلا قدسية فيها.

المصادر

١. القرآن الكريم
٢. ارسطو، ما بعد الطبيعة، ترجمة، محمد حسين لطفي، الناشر طرح نو، ايران، ط الثانية. السنة ١٣٨٥،
٣. ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب، السعودية، دار ابن الجوزي، ط الأولى، ١٩٩٧م.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٤. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٤١٤ق.
٥. جعفر السبحاني، مدخل مسائل جديد در علم كلام، الناشر مؤسسة الامام الصادق،
٦. حسن الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، دار الذخائر، ط الأولى.
٧. حسين عشاقي، برهانهاي صديقين، مؤسسة بزوهشي حكمت وفلسه ايران، ١٣٩٢ش.
٨. حيدر حب الله، دراسة (التقليد / المفهوم، والتطوّر، ونقاش الشرعيّة، وطروحاتٌ حديثة) الموقع الالكتروني https://hobbollah.com/articles
٩. دروس السيد منير الخباز، على الرابط https://www.almoneer.org/?act=artc&id=718
١٠. عبد المنعم حفني، المعجم الفلسفي، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٢م
١١. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، السنة ١٩٩٢م.
١٢. كمال الحيدري، أصول التفسير والتأويل، دار فراقد، ط الثانية، ١٤٢٧.
١٣. لجنة التحقيق في مؤسسة الامام الصادق، معجم طبقات المتكلمين، مؤسسة الامام الصادق، ١٣٨٢ش.
١٤. محسن الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، مطبعة الآداب، ط الرابعة. ١٣٩١ش.
١٥. محمد باقر الصدر، فلسفتنا، قم – ايران، ١٤٣٤ هـ.ق.
١٦. محمد بن إبراهيم صدر المتألهين، الحكمة المتعالية، مكتبة مصطفوي، قم ايران، ١٣٦٨ش،
١٧. محمد حسين الطباطبائي، بداية الحكمة، مؤسسة النشر الإسلامي.
١٨. محمد رضا المظفر، المنطق، مؤسسة النشر الإسلامي.
١٩. محمد شحرور، الموقع الرسمي للمفكر السوري على شبكة الانترنت https://shahrour.org/?p=3984
٢٠. نصر حامد أبو زيد، الامام الشافعي وتأسيس الأيديلوجية الوسطية، مكتبة مدبولي، ط الثانية، ١٩٩٦م.
٢١. نصر حامد أبو زيد، الامام الشافعي وتأسيس الأيديلوجية الوسطية.
٢٢. يعقوب بن إسحاق الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، دار الفكر العربي،

ISBN: 978-9922-21-412-2

الهوية الإسلامية للصحابي الجليل أبا ذر الغفاري: دراسة في السيرة العطرة

أ.د. بشير هادي عودة الطائي الباحث: عبد الأمير عودة شاوردي
جامعة البصرة – مركز دراسات البصرة والخليج العربي
E. Mail:basheer.hadi@yahoo.com

ملخص الدراسة

أن قراءة الهوية الإسلامية لسيرة الصحابي الجليل أبي ذر الغفار المعروف بجندب بن جنادة تعطينا مجموعة من الدلالات المعنوية عن القيم والمبادئ الأخلاقية التي استوحاها هذا الصحابي من ارتباطه برسول الله ﷺ وآل بيته عليهم السلام من إيمان واقتدار وثبات على المبادئ والتضحية في سبيل الله بالغالي والنفيس، فضلاً عن التحلي بخصائص الهوية الإسلامية العربية الأصيلة المتمثلة في الكرم والمروءة والشجاعة والإباء والتي جعلت منه إنساناً موحداً قبل أن يكون مسلماً يرفض عبادة الأصنام والأوثان ويؤمن بوجود الخالق ووحدانيته، ثم زُخرفت هوية أبو ذر بالقيم الرسالية عند مجيء الدين الإسلامي الحنيف، فهو الصحابي الخامس لرسول الله ﷺ منذ العشرين من العمر، وأهم حواريه، والصوت الصادح بالحق، فكان مظهراً مشرقاً من مظاهر الإسلام وثورة إنسانية بوجه الظلم، لا يقبل الهوان ولا تأخذه في الله لومة لائم، حتى قال النبي الأكرم ﷺ في أبي ذر (هو صديّق هذه الأمة، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر).

لقد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على الحقائق التاريخية والاجتماعية للهوية الإسلامية في السيرة العطرة لأبي ذر الغفاري من خلال قراءة تشخيصية لأبرز الأحداث التي رافقت حياته حتى وفاته في الربذة سنة ٣٢ هـ ، مع تقديم مجموعة من المقترحات التي من شأنها تعزيز الاهتمام بالهوية الإسلامية، منطلقة من فرضية مفادها "أن الهوية الإسلامية المتجسدة بالقيم التربوية والأخلاقية وقيم التوحيد في شخصية أبو ذر الغفاري كانت الأساس في الأيمان بالرسالة المحمدية واعتناق الإسلام والدفاع عن الحق والثبات عليه ومناهضة أهل الشرك والباطل". وقد خرجت الدراسة بنتائج مهمة كان أبرزها أن الهوية الإسلامية أعطت الحافز للإيمان بالله ورسالة نبيه ﷺ والصبر على الشدائد ومقارعة الظلم والظالمين، وهي العوامل الأساسية التي جعلت من أبا ذر الغفار شخصية إسلامية فذة يشار لها بالبنان ولم تماثلها شجاعة سوى عند الرسول ﷺ وآل بيته عليهم السلام.

المقدمة

يعبر المفهوم العام للهوية عن الخصائص الإنسانية لمجتمع معين، إذ لكل مجتمع ثقافته وعاداته وتقاليده ومعتقداته، وهنا تكتسب الهوية الإسلامية ميزاتها من طبيعة المبادئ والشرائع السماوية التي جاءت بها الرسالة المحمدية التي نزلت في الجزيرة العربية والتي انغمست بالقيم العربية الأصيلة في الشجاعة والكرم والمروءة والتي أضافت للهوية الإسلامية قيماً وخصائص اعتبارية جعلت فيها الإسلام والمسلمين يرتقون أعلى المراتب الإنسانية لجميع المجتمعات البشرية .

لذا جاءت هذه الدراسة للتقصي عن الخصائص الاجتماعية للهوية الإسلامية المتجسدة في شخصية أبو ذر الغفاري، أحد أبرز صحابيي وحواريي رسول اللهﷺ وأحد الأركان الأربعة. إذ تعطينا المعلومات التاريخية توصيفات قيّمة لسيرة هذا الصحابي الجليل في التوحيد والإيمان والشجاعة والمروءة وصلابة الجأش، فكان من السباقين في الإسلام، وأشتهر بوقوفه الحازم في نصرة الإسلام والمسلمين، فشهد معارك النبي محمدﷺ بعد السنة السادسة للهجرة عندما لحق بالنبيﷺ في المدينة مع أبناء قبيلته. وعرف باسم جندب بن جنادة بن سفيان الغفاري، وكني بأبي ذر نسبة إلى أبنه ذر، وينتمي إلى قبيلة بني غفار بن مليل أحدى القبائل العربية الأصيلة، ولد قبل البعثة النبوية الشريفة بعشرين سنة، وهو من كبار صحابة النبيﷺ ومن أوائل شيعة الأمام علي عليه السلام، أمّا اسمه فقد اختلف فيه المؤرخون فذكرت له عدة أسماء في كتب التاريخ منها(بدر بن جندب) و(برير بن عبد الله) و(جندب بن السكن) و(يزيد بن جنادة)، إلاّ إنّ الأشهر بينها هو جندب بن جنادة.

كرس أبا ذر الغفاري حياته قبل الإسلام في التوحيد والتفكر بالخلق والخالق الحقيقي لهذا الكون والمسير لحركاته، فكان يمقت عبادة الأصنام ويرفض النذور التي تهدى لها من دون أي منفعة، ويبغض الشعوذة والجهل الذي يحاول كهنة المعابد ترسيخه في عقول الناس، فكان ساخطاً على مجتمع الوثنية وعدم القبول بالتجاوز على حقوق الآخرين، كما كان ينبذ أفعال بعض أبناء قومه بني غفار في أعمال قطع الطرق على القوافل التجارية وتسليب بضائعها. لذا عندما سمع بنزول الوحي على قلب نبينا الكريم محمدﷺ كان من أوائل مناصريه الذين شهدوا نزول الوحي، فحسب الروايات أنه رابع أو خامس من أسلم بعد النبي، وذهب إليه بصحبة الأمام علي عليه السلام فدخل على النبيﷺ فقال السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا اله ألا الله، وأنك يا محمد عبده ورسوله، فرأى الاستبشار في وجه رسول اللهﷺ. وقد توفي أبو ذر في شهر ذي الحجة سنة(٣٢)هـ في عهد خلافة عثمان بن عفان الذي نفاه إلى الربذة حتى قضى نحبه وحيداً فيها كونه الصوت الصادح بالحق أمام ظلم واستبداد الخلافة آنذاك.

أهمية الدراسة : جاءت هذه الدراسة لاستبصار الصفحات المضيئة في الهوية الإسلامية المحترمة عبر دراسة تاريخ السيرة العطرة لعلم من أعلام الإسلام البارزين، ألا وهو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري، أول شيعي في الإسلام، وهو الذي اعتبره الرسول الكريمﷺ من آل البيت عليهم السلام، والذي شهد وفاة السيدة الزهراء عليها السلام وكان من الذين شاركوا في تشييعها والصلاة عليها، لذا يعد أنموذجاً مشرقاً للهوية العربية الأصيلة ومثالاً ناصعاً للهوية الإسلامية. فكان أبا ذر الغفاري من السباقين الأوائل في اعتناق الإسلام وحب آل بيت الرسولﷺ والاقتداء بهم، وتمسكه بالقيم والمبادئ الإسلامية والإنسانية التي علمها إياه رسول اللهﷺ.

مشكلة الدراسة :

أن الهوية الإسلامية مشبعة بالقيم العربية الأصيلة التي تجعل منها جداراً صلباً أمام أي تحريف أو تسويف، وهذا ما تحاول الدراسة التأكيد عليه عبر تناول السيرة العطرة لأبو ذر الغفاري، فبالرغم من غزارة الفكر الإسلامي في تدوين الحقائق التاريخية عن صحابة رسول اللهﷺ والإمام علي(ع)، بيد أن هناك الكثير من التحريف في بعض بنود السير الجليلة للصحابة الأفذاذ وفي مقدمتهم أبا ذر الغفاري، والذي يتعارض من القيم والأخلاق والخصائص للهوية العربية الإسلامية، وهذا التحريف يمثل تناقضاً في خصائص تلك الهوية ويخالف مسارات العطاء والأيمان الرسالي بنبوة رسولنا الكريم محمدﷺ وسيرة صحابته الأفذاذ.

أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة إلى تحقيق عرض موضوعي للخصائص التاريخية عن الهوية الإسلامية الحقيقية ممثلة بشخصية الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري. مع تنظير تحليلي للمعطيات القيمية للهوية الإسلامية في سيرة هذا الصحابي الجليل. وتقديم مجموعة من الوصايا والمقترحات التي من شأنها تعزز الاهتمام بسيرة الصحابة الأفذاذ.

فرضية الدراسة :

أن الهوية الإسلامية المتجسدة بالقيم التربوية والأخلاقية وقيم التوحيد في شخصية أبي ذر الغفاري كانت الأساس في الأيمان بالرسالة المحمدية واعتناق الإسلام والدفاع عن الحق والثبات عليه ومناهضة أهل الشرك والباطل

المبحث الأول: أبو ذر الغفاري : حياته وفضائله وهويته العربية قبل الإسلام

ISBN: 978-9922-21-412-2

هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حزام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وينادى بجندب بن جنادة بن سفيان الغفاري، وكني بأبي ذر نسبةً إلى أبنه ذر، وقيل أنه جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وينتمي نسبه إلى قبيلة بني غفار بن مليل أحدى القبائل الكنانية العربية الأصيلة. وقد تضاربت فيه الأقوال عن حقيقة أسمه، فقيل اسمه جندب بن جنادة، وقيل جندب بن السكن، وقيل برير بن جنادة، وقيل برير بن عبد الله، وقيل يزيد بن جنادة، وقيل برير بن جندب، وقيل برير بن عشرقة، وقيل جندب بن عبد الله، وقيل جندب بن جنادة بن كعيب بن صعير بن الوقعة بن حرام بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. والمشهور والثابت أن اسمه هو جُنْدَب بْنُ جُنَادَةَ، وأمه رملة بنت الوقيعة.(المازني، ١٩٧٧: ٦-٩)،(المزي،١٩٨٠: ٢٩٤)

ولد أبو ذر الغفاري الكناني في الحجاز قبل البعثة النبوية الشريفة بعشرين سنة وتربى في أحضان قبيلة بني غفار التي تسكن في وادي ودان في الحجاز بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وله شقيقان الأول أنيس بن جنادة أخاه من والده، والثاني عمرو بن عبسة أخاه من والدته، وكان رجلا ضخماً جسيم البنية ذو بشرة سمراء ولحية كثة بيضاء، عرف بالشجاعة ورباطة الجأش وجرأة القلب ورجاحة العقل وبعد النظر وشدة الزهد والكرم والورع. وقد عاش أبا ذر ريعان صباه مع أبناء قبيلته التي تقع على طريق القوافل التجارية بين اليمن والحجاز والشام، فكان معظم رجال القبيلة يمارسون أعمال السطو والتسليب والنهب وقطع الطرق على تلك القوافل. بيد أن أبا ذر منذ الصغر كان نابذاً لأعمال رجال قبيلته، فكان قبل إسلامه فارساً شجاعاً يحمل صفات الشجاعة والمروءة والتوحيد، ويرفض التعدي على حقوق الآخرين وينبذ عبادة الأصنام التي يراها خرافات لا تجلب سوى الشرك بالإله الواحد الذي يتأمل وجوده والارتباط به). الحسيني، ١٤٠٣ هـ : ٥٢٢

واتّصف أبو ذَرّ الغفاري بصفات خلقية كريمة تمثلت بالصبر وسعة الصدر وغزارة العلِم حتى أنَّه كان يُوازي عبد الله بن مسعود في عِلمه، وكان لا يخاف من قول الحقّ، كما كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المُنكَر، بالإضافة إلى أنّه كان من أبرز حواريي رسول اللهﷺ ومعروفاً بصِدق القول وغزارة العلم بدليل قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فيه: (أبو ذر الغفاري هو صديّق هذه الأمة)، فقد كان يتّصف بالصدق والزُّهد والأمانة، وعاهد نفسه على أن يحيا عليها

إلى أن يلقى الله تعالى، فلم تأخذ الدُّنيا وزخارفها حَيّزاً من تفكيره وانشغاله، فكان يرى الإقبال على الدُّنيا مِحنة، والابتعاد عن مباهجها نِعمة). ابن عساكر، ١٩٩٥: ١٧٦

لقد كانت القوافل التجارية في الجاهلية القادمة من الشام إلى الحجاز مروراً بمكة ووصولاً إلى اليمن تتعرض إلى قطاع الطرق وخصوصاً من رجالات قبيلة بني غفار الكنانية الذين يوصفون بالشدة والصرامة واشتهروا بالشجاعة وقوة البأس، لذا أخذت القوافل التجارية بمرور الوقت تحاول الابتعاد عن مضارب قبيلة بني غفار خشية التعرض لقطاع الطرق من أبناء هذه القبيلة ونهب وسلب حمولات بضائعها. ولكن العجيب في هذا الموضوع أن ينشأ من بين ثنايا هذه القبيلة رجل يؤمن بالتوحيد منذ صباه، ويميز بين الخير والشر ولا يؤمن بعبادة الأصنام والأوثان وهو أبو ذر الغفاري الذي كان رافضاً لأفعال أبناء قبيلته ونابذاً لأفكار الجاهلية في الوثنية والاستبداد والاعتداء على الآخرين. فكان أبو ذر آدماً جسيماً عظيماً طويل البنية راسياً في الزّهد والصّدق والعلم والورع، قوّالاً بالحق والصدق، كان أحد السابقين الأوائل للإسلام منذ صباه في عمر العشرين سنة تقريباً، ومن نجباء العرب وأصحاب وحواريي النبي محمّدﷺ الذي قربه منه، فكان النبيﷺ أول ما كان يتفقد وجوده عند مجيئه للمسجد(الذهبي، ١٩٨٥: ٤٦-٤٧) .وكفى أبو ذر شرفاً ما بعده شرف في السيرة العطرة والسمعة الحسنة عندما طلب من النبي محمدﷺ أن يكرمه بوصيه يرتقي بها إلى أعلى مراتب الجنان، فقال للنبيﷺ: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي أوصني بوصية ينفعني الله بها وأسمو بها، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: نعم وأكرم بك يا أبا ذرّ: إنّك منّا أهل البيت.(الشيرازي، ١٩٨٣: ٢٣٠)

لقد تضاربت الآراء وتعددت الدوافع المغرضة حول الإساءة إلى شخصية الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، مع رجالات قبيلته وإلصاق التهم التي لا تمت بصلة لأخلاقه العربية الأصيلة، في قيامه بأعمال التسليب والسطو على القوافل التجارية المارة عبرهم، بيد أن هذه الآراء يمكن دحضها دون عناء إذا تم قراءة وتفحص ومراجعة الصفات الشخصية والأخلاق العربية الكريمة التي تحلى بها أبو ذر وتربى عليها منذ نعومة أظفاره وحتى إسلامه في العشرين من العمر، إذ كان أبو ذر الغفاري في الجاهلية مؤمناً موحداً يضيق صدره من أعمال أبناء قبيلته في التعدي على حقوق الآخرين ونهب بضائع القوافل التجارية المارة بالقرب من وادي ودان، وينصحهم بالاهتداء إلى طريق الحق والعمل الصالح وترك أعمال السلب والنهب، وكان يحاول مساعدة الفقراء قدر المستطاع، ويتفكر كثيراً في خالق الكون والمسيّر لهذه الكائنات، وحركة النجوم والكواكب وتعاقب الليل والنهار بانتظام، لذلك كان ينبذ الأصنام والأوثان ويحث الناس على عدم

ISBN: 978-9922-21-412-2

عبادتها كونها صخور وتماثيل صنعت بأيدي البشر، ويستنكر ما وجد عليه العرب من فساد الدين وتفاهة المقصد، ويتطلع لظهور نبي جديد يملأ عقول وأفئدة الناس، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وينشر العدل والإنصاف، ويجعل القوي يكف عن بطش الضعيف (آل فقيه، ١٩٩٢ : ٣١-٣٧). فلما بلغته أخبار عن مكة تفيد بظهور دين جديد ونبي صادق أمين يتطلع لنشر تعاليم هذا الدين الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال لأخيه "أنيس": انطلق إلى مكة وقِفْ على أخبار هذا الرجل. فذهب "أنيس" إلى مكة ليبحث عن الخبر اليقين للرسولﷺ والدين الذي أتى به وسمعت عنه العرب. وبعد عدة أيام عاد أنيس إلى بادية قبيلة غفار فتلقاه أبو ذر الغفاري بلهفة، وسأله عن أخبار النبي والدين الجديد بشغف. فقال له: ماذا يقول الناس فيه؟ قال أنيس: يقولون في النبي إنه ساحر وكاهن وشاعر، وفي الدين يأمر بعبادة الله وترك عبادة الأصنام والأوثان. فقال أبو ذر: والله ما شفيتَ غليلي، ولا قضيت لي حاجة؛ فهل أنت كافٍ عيالي حتى أنطلق فأنظر في أمره؟ فقال أنيس: نعم، ولكن كن من أهل مكة حذراً.(أبو ذر الغفاري- لماذا يولع الفقراء بسيرته).

المبحث الثاني: الهوية الإسلامية للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري

لما بعث النبي محمدﷺ برسالة الإسلام في مكة المكرمة، سمع أبو ذر الغفاري بخبر الدين الجديد ونزول الوحي على رجل يقال له محمد ويلقب بالصادق الأمين، فأرسل أخاه أنيس إلى ظهر مكة ليتقصى خبر هذا الدين الجديد، ولما رجع أنيس إلى الديار أخبر أخوه أبا ذر بأنه سمع رجل يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد، وأنه جاء ليتمم مكارم الأخلاق، فلم يستشف أبو ذر من هذه الأخبار الشيء الذي كان ينتظره، فقرر الذهاب بنفسه لعلم حقيقة خبر الدين الجديد. فذهب أبو ذر إلى مكة ليقف عن كثب ويرى مدى صحة الدعوة الدينية الجديدة والرسول الذي بشر ودعا إليها. وبالفعل فقد شد الرحال نحو شعاب مكة، فقطع المسافات وحث الخطى قاصداً مكان النبي الكريمﷺ، بيد أنه حاول إيهام سائليه بأنه ذاهب إلى مكة كأحد الذين يقصدونها ليطوفوا حول الأصنام المرابطة في أطراف الكعبة وكأنه عابر سبيل أشعث وأغبر الرأس خشية بطش كفار قريش والفتك به إذا علموا بأنه جاء ليتعرف عن حقيقة الدين الجديد، فلما وصل مكة اخذ منه تعب السفر الكثير، فحاول التجول في أماكن عدة من أجل أيجاد من يدله على مقصده، حتى أنهكت قواه دون الوصول لغايته والتعرف إلى النبيﷺ، فآوى بالقرب من الكعبة للاستراحة والتزود بالماء والمؤن، ثم أخذ بعد ذلك يطوف في أسواق مكة وأحيائها وشعابها عسى أن يدرك غايته ويصل إلى أي معلومة تدله إلى طريق النبي محمدﷺ، ولكنه كان حذراً يخشى السؤال

والتحدث مع أي شخص، فكان يصغي بتمعن إلى حديث الناس بالأسواق ويسترق السمع لأي كلام يقولونه، بيد أنه لم يجد ضالته حتى جاء المساء ليضطجع بمكان على قارعة الطريق وقريب من الكعبة، ليصادف قدوم الأمام علي بن أبي طالب ﷺ على هذا الطريق، فيعلم من هيأته بأنه غريب، فيسأله ﷺ: كأن الرجل غريب ؟ فأجابه أبو ذر: نعم. فقال علي ﷺ: هلم ألينا أيها الرجل، فانطلقا معا إلى المنزل. فأخذه الإمام إلى منزله ولم يتحدثا طيلة الطريق عن أي شيء حتى صباح اليوم التالي، عندما غادر أبو ذر منزل الإمام علي ﷺ شاكراً لحسن الضيافة وكرم الأخلاق، ولم يعلم أحدهما عن الآخر شيئاً. وفي اليوم الثاني كان شأن أبي ذر الغفاري مثل اليوم الذي قبله، وقد نفذ ماله وزاده وأخذ منه التعب حتى جلس على قارعة الطريق نفسها في المساء، ليأتي الإمام علي ﷺ فيقول له: أما آن للرجل أن يعرف منزله؟ فأخذه الإمام مرة ثانية إلى منزله دون أن يحرجه بأي سؤال، كما أن أبا ذر لم يطمئن بعد للإمام علي ﷺ ليفضي له بالأمر الذي جاء من أجله إلى مكة. وعند الصباح ودع أبو ذر الغفاري علياً ﷺ وشكره على الضيافة دون أن يبادر بأي سؤال عن غاية قدومه إلى مكة. فراح يجر الخطى في أسواق مكة للبحث بحذر عن الدين الجديد ولكنه لم يحصل على أية معلومة تدله إلى النبي الكريم ﷺ، ليأتي المساء فيجلس أبو ذر إلى قارعة الطريق منهكاً في نفس المكان بانتظار الرجل الذي أكرمه وأحسن ضيافته في الليلتين الماضيتين. وها هو الإمام علي ﷺ يأتيه ثالثاً في نفس المكان ليأخذه إلى بيته دون أن يسأله عن شيء. ولما وصلا المنزل رأى الأمام ﷺ أن في صدر الرجل الكثير ليقوله ولكن متردد وخائف، فيطمئنه الإمام ﷺ بطيب أخلاقه وحسن حديثه ويسأله عن حاجته وما الذي أتى به إلى مكة، فقال ﷺ له: ألا تحدثني بالذي أقدمك إلى هذه البلدة ؟ ، فأجاب أبو ذر: إن أعطيتني عهداً وموثقاً يؤمن حياتي فعلت. فوعده الإمام علي ﷺ بالعهد الذي أراده وأن يهديه إلى ضالته. فلما وثق أبو ذر بعلي ﷺ قال: بلغنا في مضارب بني غفار الكنانية أنه قد بعث ها هنا نبي يدعو إلى الخير والرحمة، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فقلت لأخ لي أركب إلى هذه البلدة، وأعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه خبر من السماء، واسمع قوله ثم ائتني. فانطلق أخي حتى وصل مكة وسمع عنه ورجع منها وقال لي أن رجل من بني هاشم أسمه محمد بن عبد الله ﷺ يدعي النبوة وأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويوصي بالعدل والإحسان، فقلت ما شفيت فيما أردت، فأخذت العزم على نفسي بالقدوم إلى مكة لألتمس خبر هذا الأمر والتعرف بالنبي الذي أوحي أليه بالدين الجديد، وقد حذرني أخي

من بطش كفار قريش لمن يؤمن بالدين الجديد، فكنت أخشى أن ينكشف أمري فأقتل أو أعود خائباً ولا أرى نور هذا الدين الذي جاء بمكارم الأخلاق.(آل فقيه، ١٩٩٢: ٢٠-٢١)

فاستبشر الإمام علي عليه السلام بأبي ذر خيراً وطمئنه، ثم سأله من أين أنت ومن أين قدمت، فأجابه أبا ذر: أسمي جندب بن جنادة وأكنى بأبي ذر وقبيلتي هي غفار الكنانية. فقال علي عليه السلام أما أنك فقد رشدت ووصلت غايتك، فورب الكعبة أنه لنبي، وأن ما جاء به هو الحق من عند الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وما يدعون من دونه إلا أفك قوم قريش الكفار الذين يعبدون الأصنام ويتركون عبادة الله تعالى، وهذه وجهتي إليه فاتبعني وأدخل حيث أدخل. فانطلق الاثنان تحت جنح الظلام حتى وصلا إلى دار عند الصفا، فطرق علي عليه السلام الباب طرقاً خفيفاً يعرف به أصحابه في الداخل، ففتح الباب لهما فدخلا وحيا أبو ذر النبي محمدﷺ بتحية الإسلام(السلام عليكم يا رسول الله)، وأبو ذر هو أول من حيا الرسول بتحية الإسلام، فرد النبيﷺ التحية بـ(عليكم السلام ورحمة الله وبركاته).(الأمين، ٢٠٠٣: ٩-١٤)

وأخذ أبو ذر الغفاري يستمع وينصت إلى حديث الرسول الأعظمﷺ بكل جوارحه وهو يصف الله تعالى بأنه الأول والأخر، والظاهر والباطن، ويجب ترك عبادة الأصنام والأوثان وأن الناس سواسية كأسنان المشط، ولا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح، فرأى أبو ذر في الرسول محمدﷺ المثل الكامل بطيب الخلق والسيرة الحسنة والشخصية المحبة للخير والعقل الراجح وفصاحة اللسان وسعة الصدر وسمو النفس، فتيقن أبو ذر صدق الحديث وقوة المنطق والرسالة التي بعث فيها من الله عز وجل إلى الناس كافة، فهتف أبو ذر(أشهد أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك يا محمد رسول الله) فرحب النبيﷺ بإسلامه، وهو كان خامس السباقين في دخول الإسلام، وطلب منه النبي الأكرمﷺ العودة إلى قبيلته ونقل أخبار الرسالة المحمدية والدعوة للإسلام لدى بني غفار، وأن يخبرهم بنبأ الدين الإسلامي الحنيف ونزول الوحي بالقرآن على قلب النبي محمدﷺ ويدعوهم إلى اعتناق الإسلام وترك عبادة الأصنام والأوثان. فأجاب أبو ذر النبيﷺ والذي بعثك بالحق لا أرجع حتى أصرخ بالإسلام بين ظهراني قريش في المسجد الحرام، فقال الرسولﷺ أني أخاف عليك من بطش كفار قريش، فأجاب أني لا أخشى في الله لومة لائم حتى وأن قتلت، فخرج أبو ذر مسرعاً ووقف وسط المسجد الحرام في وضح النهار حيث كانت قريش محتشدة فنطق بأعلى صوت الشهادة، ثم قام يبشر بالدين الجديد وطلب من أهل قريش اعتناق الإسلام وترك عبادة الأصنام والأوثان، فكانت صيحات أبو ذر أول مقولة علنية للدعوة الإسلامية التي تحدى فيها كبرياء كفار قريش الذين أنقضوا عليه وانهالوا بالضرب حتى كادوا أن

يقضوا عليه لولا تدخل العباس بن عبد المطلب عم النبي محمدﷺ على قوم قريش ليخلصه من أيديهم عندما حاول إيهامهم وتخويفهم بقوم بني غفار الذي ينتمي إليه هذا الرجل الذي وقع بين أيديهم، فقومه معروفون بالشدة والصرامة وتسليب القوافل التجارية، وأن قتل هذا الرجل هنا فستحل الكوارث على قريش وقوافلها التجارية، وهكذا خلص العباس بن عبد المطلب أبو ذر الغفاري من قبضة كفار قريش.(الذّهبيّ، ١٩٨٥: ٥٥)

ورجع أبو ذر ليخبر الرسول محمدﷺ بما جرى عليه من كفار قريش، فأجابه الرسولﷺ ألم أنهك عن ذلك، فقال أبو ذر: يا رسول الله كانت لي حاجة في نفسي فقضيتها، فطلب منه النبيﷺ العودة إلى قومه بني غفار وتبليغهم بالدعوة إلى الدين الجديد. وبالفعل لبى أبو ذر دعوة النبي وشكر الله على نعمة الإسلام، ورجع إلى قومه ليبشرهم بالدين الجديد في قلب مكة وظهور النبي محمدﷺ الذي جاء ليخرج الناس من ظلمات عبادة الأصنام والأوثان إلى نور الإسلام ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف. فلبث أبو ذر في قوم عقدين من الزمان يدعوهم بهمة ونشاط، فتلقت دعوته في قومه أرضاً خصبة وأذاناً صاغية، فما لبثت قبيلة غفار إلا أن دخلت الإسلام وأصبحت طرق القوافل التجارية المارة بهم آمنة بفضل اعتناق قبيلة غفار الدين الإسلامي الحنيف الذي يأمر بالعدل والأنصاف وينهى عن الفحشاء والمنكر، ثم أنتقل الدين الإسلامي الحنيف إلى القبائل المجاورة لقبيلة غفار وبخاصة قبيلة بني أسلم.(الزهري، ٢٠٠١: ٢٢١)

وفي سنة(٦ هـ) قرر أبو ذر الغفاري الذهاب مع طلائع من قومه وقوم بني أسلم في موكب مهيب يظم الرجال والنساء والشيوخ والأطفال إلى المدينة المنورة ليكون إلى جانب النبي محمدﷺ الذي أعجب كثيراً بقدومهم، بعد أن علم أبو ذر وأطمئن إلى أمر انتشار رقعة الدين الإسلامي الحنيف، وأن أهل المدينة قد بايعوا الرسولﷺ. وأزداد النبيﷺ غبطة وبهجة بهم حينما جلست قبيلتي غفار وأسلم أمامه في المسجد النبوي، وشاهد الرسولﷺ الطيبة ونظرات الحب والإيمان في وجوههم فقالﷺ: غفار غفر الله لهم ، وأسلم سالمها الله .السمعاني، ١٩٧٧: ٨٦-٩٣

وقد شارك أبو ذر الغفاري في جميع معارك الرسولﷺ بعد سنة(٦ هـ) وخاصة غزوة تبوك التي أنتصر فيها المسلمون على الروم سنة(٩ هـ) وهي آخر غزوة للرسول الكريمﷺ، وكان للنبيّ محمدﷺ الدور الكبير في تربيته وذلك لقِدَم إسلامه وكثرة مُلازمته للرسولﷺ، فقد علّمه ﷺ كلّ ما أنزلَه جبريل وميكائيل عليهما السلام، كما علّمه ما يفعله المسلم دُبُرَ كلّ صلاة ليُوازي أجرَ مَن أنفقَ مالَه في سبيل الله تعالى، فقال ﷺ: (تُكبّرُ اللهَ دبُرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثينَ وتحمَدُه ثلاثًا

ISBN: 978-9922-21-412-2

وثلاثينَ وتُسبِّحُه ثلاثًا وثلاثينَ وتختِمُها بلا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ).

وبعد وفاة النبي محمدﷺ سنة (١١ هـ)، ومجيء أبو بكر لسلطة الخلافة بعده، عاش أبو ذر في المدينة المنورة لأكثر من عامين في أمن وأمان واطمئنان، بيد أنه كان يؤثر علياً عليه السلام على أبي بكر في خلافة النبي محمدﷺ، ويعتبر الإمام علي عليه السلام هو الأحق بالخلافة بعد النبيﷺ، وكان أبو ذر يقيم صلاة الجماعة في كل يوم في المسجد النبوي الشريف، ويتولى نشر معالم وأحكام وتعاليم الإسلام وأحاديث الرسولﷺ بين المسلمين، فكانت جموع المسلمين تنصت إلى أحاديثه وأقواله، وكانوا يحترمونه ويقدرونه أحسن تقدير لمنزلته المرموقة عند النبي محمدﷺ، وعند أهل بيته عليهم السلام وصحابته الأفذاذ، فكانت علاقة أبي ذر بالإمام علي عليه السلام علاقة متينة وخاصة ترتبط بالأيام الأولى للدعوة الإسلامية التي كان فيها الفضل الكبير على أبو ذر وارتباطه بالنبيﷺ، فرفقة أبي ذر بالإمام علي عليه السلام هي كرفقته بالنبيﷺ، لهذا أعتبر أبو ذر من شيعة الإمام علي عليه السلام ومن أبرز محبيه والمقربين منه أسوة بعمار بن ياسر وسلمان الفارسي والمقداد الكندي ومالك بن الأشتر.(الأشيقر، ٢٠١٠: ٢٣٨)

وتذكر الروايات أن الإمام علي عليه السلام لما دعا المسلمين في يوم السقيفة، جاء رهط من المهاجرين والأنصار وكان في طليعتهم أبو ذر الغفاري، فقال للإمام علي عليه السلام: أنت والله أمير المؤمنين، وأنت والله أحق الناس وأولاهم بالنبيﷺ، هلم بنا نبايعك، فوالله لنموتن أمامك، فأجابهم علي عليه السلام أن كنتم صادقين فاغدوا عليّ غداً محلقين، فلما أصبح الصبح لم يوافه منهم سوى أربعة هم أبو ذر وسلمان والمقداد وعمار، فكانوا مرابطين مع الإمام علي عليه السلام متيقنين بأحقية خلافته للرسول الكريم محمدﷺ، ويرفضون مبايعة أبو بكر إلا إذا بايعه الإمام عليه السلام وقَبل بخلافته، فعندما قبل الإمام علي ببيعة أبي بكر لدرء الفتن بايعه أبو ذر استجابة لدعوة الإمام عليه السلام في ذلك.(الأصبهاني، بدون تاريخ : ٣٣٦) ، (قلعجي ،بدون تاريخ : ٢٤)

وعندما مات أبو بكر، بايع الناس عمر بن الخطاب خليفة عليهم، إلا أن أبا ذر ذهب إلى الإمام علي عليه السلام وقال له: هل أدعو الناس لك وأجمعهم من حولك لمبايعتك بدل عمر، ومن أبى عنك حاربناه، فأنت والله أحقهم بخلافة رسول اللهﷺ. فأعترض الإمام عليه السلام على إتيان الناس عنوة وفرض الطاعة عليهم بالقوة. بيد أن فترة خلافة عمر بن الخطاب لم تدم طويلاً عندما قتله فيروز أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة سنة(٢٣ هـ) وهو في سن الثالثة والستين من العمر، إذ استمرت خلافة عمر بن الخطاب عشر سنين وستة أشهر وأربع ليالي(المسعودي، ١٩٧٣:

ISBN: 978-9922-21-412-2

٣١٢)، وكان فيها الخليفة عمر يشاور ويستشير الإمام علي عليه السلام في جميع شؤون الرعية، والأحاديث المتواترة عن ذلك كثيرة منها قول عمر بن الخطاب: (لولا علي لهلك عمر)، وقال أيضاً(اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب)، وقوله: (لا أبقاني الله بأرض لستَ فيها يا أبا الحسن) لذا كان أبو ذر راضياً كل الرضا عن عمر بن الخطاب ولم يعترض عليه طيلة فترة خلافته(الخوارزمي، ١٩٦٥: ٦٤). وبعد انقضاء مدة خلافة عمر بن الخطاب، وقد هيأ عمر قبل رحيله الخيار للناس أن تكون الخلافة بعده شورى، فعزم أبو ذر الغفاري الأمر على تحشيد الناس لخلافة علي عليه السلام بعد رحيل عمر، فقال لعبد الرحمن بن عوف أناشدك الله أن لا تكون الخلافة إلا لعلي بن أبي طالب عليه السلام. إلا أن أهل المكائد والنفاق من بعض كبار قريش الذين يضمرون الأحقاد ويحوكون المؤامرات لإبعاد الخلافة عن آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وعدم حصول علي عليه السلام على الخلافة بعد عمر، كانوا السبب وراء تولي عثمان الخلافة بعد عمر من أجل أن يسهل لهم الطريق للاستيلاء على أموال المسلمين. فعندما رحل عمر صارت الخلافة لعثمان بن عفان بدل الإمام علي عليه السلام، فغضب أبو ذر غضباً شديداً وأراد أن يثير ثورة عارمة على عثمان، إلا أن الإمام علي عليه السلام منعه وحاول تهدئة الموضوع لأن الأحوال السياسية في مكة والمدينة كانت في اضطرابات شديدة قبل وفاة عمر بن الخطاب، ولا يريد الإمام أن يزداد الأمر سوءاً بعد رحيله.(الأشيقر، ٢٠١٠: ٣٣٩)

وفي عهد خلافة عثمان بن عفان تعرض أبو ذر الغفاري إلى مرض شديد كاد يقضي عليه، فأوصى بوصية فيها ما يلزم أن يقام للميت عند رحيله، وقال للمقربين منه أن يبلغوا علياً عليه السلام بحاله ويوصلوا الوصية إليه. فقال المقربين المكلفين بنقل الوصية: لو أوصيت بحالك للخليفة عثمان كان أفضل من أن توصي لعلي، فأجابهم أبو ذر: لقد أوصيت إلى أمير المؤمنين علي حقاً وهو سيد الأمراء قاطبة وهو ربان هذه الأمة، والله لو فقدتم علياً لأنكرتم الأرض ومن عليها. وأن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله قال فيه ذات يوم(أنت يا علي أول من آمن بي وأول من سيصافحني في الجنة يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر والفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وأنت يعسوب الدين، وأنت مني بمنزل هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)، ثم أخذ أبو ذر بالحديث عن بطولات وشجاعة علي عليه السلام بجميع المعارك التي خاضها مع رسول الله صلى الله عليه وآله من أجل نصرة الإسلام والمسلمين. عند وصول وصية أبي ذر إلى علي عليه السلام، تضرع الإمام بالدعاء إليه بالشفاء حتى عادت الصحة من جديد إلى أبي ذر بفضل كرامات أهل بيت النبوة ودعائهم الخالص لوجه الله تعالى. المعتزلي،١٩٦٠: ١٢١-١٢٣

المبحث الثالث: ثبات أبي ذر على الحق ومواجهة الظلم والباطل

لقد عانى أبو ذر الغفاري في زمن خلافة عثمان بن عفان من مشاكل كثيرة بسبب استيلاء عثمان وأصحابه على بيت مال المسلمين وتقريب الأقارب في تولي المناصب وتوزيع الأموال له ولحاشيته وإغداقها في ملذاته ومصالحه الشخصية ومصالح أصحابه، وحرمان الكثير من فقراء المسلمين المستحقين لهذه الأموال من عطايا بيت المال. ففي عهد عثمان بن عفان كثرت أعداد الفقراء وازدادوا بؤساً، بينما ازداد الأغنياء ثراءً، وتوسعت الفوارق الطبقية في المجتمع الإسلامي بشكل لم يألفه المسلمون منذ نشر الدعوة الإسلامية، وزادت جرائم السرقة وإعمال السلب والنهب كما كان معهود لها في زمن الجاهلية بسبب الفقر والجوع والظلم الذي استشرى في المجتمع الإسلامي، فانتشر الظلم والبؤس بن عامة الناس، فثار ذلك غضب واستهجان الناس على خليفتهم عثمان، مما أنذر بثورة أبا ذر وهيجانه بوجه عثمان كون الأخير قد قرب الحاشية والأقارب والأثرياء الذين كانوا يكنون العداء للإسلام والمسلمين، وأن إسلامهم كان ظاهرياً، وهم يضمرون الكره والحقد لعامة الناس، وغير مؤهلين لقيادة وإدارة الدولة. فرفض أبا ذر قيام عثمان بتنصيبهم ولاة على الأقاليم والأمصار والتحكم بأموال المسلمين، وهم يمارسون الموبقات التي حرمها الله في السر والعلانية مثل والي الكوفة الوليد بن عقبة الذي كان ثملا عندما هاجمه أهل الكوفة، وكذلك قام عثمان بن عفان بمنح مروان بن الحكم خُمس فيء خراج أفريقيا، ومنح الحكم بن العاص وأبو سفيان مائة أف درهم مكافئة لكل واحد منهم دون أي شيء يقومون به أو يقدمونه للدولة والمسلمين، وكذلك قام عثمان بمنح خراج الشام لمعاوية الذي أحتجزه لنفسه ولم يوزعه لبيت مال المسلمين. كل هذه الخروقات والكثير الكثير غيرها لدى الزبير بن العوام وطلحة بن الزبير وعبد الرحمن الزهري وزيد بن ثابت التي قام بها عثمان بن عفان في عهد خلافته والتي خالف بها كثيراً سيرة الشيخين اللذين سبقاه(أبو بكر وعمر)، مما ولد سخطاً كبيراً لدى عامة الناس، فأخذ أبو ذر يحرض الناس على منابر المساجد بالاعتصام بحبل الله والاقتداء بسيرة رسول اللهﷺ، وعدم السكوت عن مظالم الولاة الذين نصبوا أنفسهم أولياء لأمور الرعية بفضل عثمان، لأن أبا ذر لا يخاف في الحق لومة لائم كما قال عنه الرسول الكريمﷺ، إلا أنه تذكر حديث النبيﷺ حينما قال له: يا أبا ذر كيف إذا أدركك أمراء يستأثرون بالفيء(أموال المسلمين)، فأجاب أبو ذر: والذي بعثك بالحق لأضربن بسيفي رأس من يخالف شريعة الله، فقال الرسولﷺ أفلا أدلك على خير من ذلك.....أصبر حتى تلقاني.(المسعودي، ١٩٧٣ : ٧١-٧٦) ، (خالد، ١٩٦٥: ٤٨)

ويروى أن عثمان بن عفان من أجل التخلص من انتقادات أبو ذر إليه والمشاكل المتكررة التي يسببها له بين الحين والآخر، وما يتعرض له من حرج أمام الرعية، دعا أبا ذر إلى بلاط الخليفة محاولاً استمالته وأخذه باللين وتقديم العطاء له، فجاء أبو ذر لعثمان فرأى كعب الأحبار عنده، فقال عثمان لأبي ذر: مرحباً بك يا أبا ذر، إلا تكف عما أنت فيه من مذمتنا، فأجابه أبو ذر: سأكف عنك عندما ينتصف حق الفقراء من الأغنياء عندك، ثم ألتفت عثمان للحاضرين من الأثرياء حول عثمان وقال فيهم(أرأيتم من زكى ماله ومنح حق غيره)، فرد عليه كعب الأحبار أن خليفتنا عثمان هو من ينصب الحق والعدل بين المسلمين، وهنا رفع أبو ذر عصاه بوجه كعب الأحبار وقال له: كذبت والله وما صدقت، ثم تلا أبو ذر قوله تعالى﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾(سورة البقرة ، الآية ١٧٧)، فأردف كعب الأحبار قائلاً: من أدى فريضة الزكاة فقد قضى ما عليه لله. فرفع أبو ذر عصاه بوجه كعب مرة ثانية وقال له: لئن اغتصبتم أموال الناس وسلبتموهم حقوقهم بالباطل، ثم أديتم الزكاة على هذه الأموال المغصوبة والحقوق المسلوبة، هل تسمي نفسك أذن مسلماً أدى فروض الله وحقق طاعته.) المعتزلي،١٩٦٠: ٢٥٦)،(الأشيقر، ٢٠١٠: ٣٤٨)

وبعد أن ضاق عثمان ذرعا بأبي ذر، وأنه أستنفذ جميع الحلول والمحاولات لإسكاته، ورأى أنه لا تنفع مع أبي ذر كل السبل للكف عن المطالبة بحقوق الناس من بيت مال المسلمين، وانتقاده المستمر للولاة والحكام الخونة الذي استأثروا بالخراج ومنعوه عن الفقراء والمعوزين. فرأى عثمان ضرورة إبعاد أبي ذر عنه وترحيله عنوة إلى مكان أشد ظلم وجورا من المدينة، حتى يتحسر أبو ذر عن حال الناس هنا عندما يشاهد ما أصبح عليه الفقر والجور في الشام عند معاوية بن أبي سفيان، فقرر عثمان تسيير أبي ذر إلى الشام ليرى بأم عينه حجم ظلم معاوية الذي يفوق ما وجد عليه الظلم بجنب عثمان. وظن عثمان بأن أبا ذر سييأس ويركن للأمر الواقع ويتوقف عن حملاته الثورية بوجهه، فكان أبو ذر الغفاري في طليعة الصحابة الذين وقفوا بقوة وعزم بوجه عثمان وكان له بالمرصاد يدعو الناس على مواجهة الفاسدين من الولاة الظالمين في الشام، فقد خاب فأل عثمان، إذ أزداد أبا ذر قوة وصلابة في الشام لمقارعة ظلم وجور معاوية عندما أخذ أبو ذر المكوث بالقرب من المسجد الجامع في الشام ليتردد يومياً على المسجد ويبث على المنبر أفكاره ودعواته وأحاديث الرسولﷺ والآيات القرآنية التي تلزم الحكام بحقوق الناس والفقراء واليتامى وأبناء السبيل من بيت مال المسلمين، وأن الإسلام جاء لنشر الحق والعدل والمساواة

وعدم السكوت عن قول الحق، فالساكت عن الحق هو شيطان أخرس. وأن معاوية قد أستأثر على بيت مال المسلمين في بلاد الشام لملذاته وإشباع رغباته وامتنع عن توزيع الأموال على الفقراء، فأخذ أبو ذر يؤجج أهل الشام عليه ويوصل إلى مسامع معاوية آيات الله عز وجل في محكم كتابه: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ (سورة التوبة، الآيتين ٣٤-٣٥)، فحاول معاوية بن أبي سفيان التخلص من أبي ذر الغفاري عندما حشد جيش المسلمين للجهاد في سبيل الله وزج أبا ذر معهم للذهاب إلى القتال في ارض الروم وجزيرة قبرص، فذهب أبو ذر لخوض تلك المعارك في سبيل الله ونشر الإسلام في بلاد الروم، وتكللت معارك المسلمين هناك بالانتصار على الروم، فعاد أبو ذر مكللا بالنصر والفخر مع جيش المسلمين إلى الشام، فحاول معاوية استمالة أبي ذر وتجنب انتقاداته المستمرة له عندما رحب به ترحيبا كبيرا وقرر تشييد قصر فخم لأبي ذر الغفاري تكريماً لبطولاته في معارك بلاد الروم، وقد سمي القصر آنذاك بقصر الخضراء الذي لم يكن له مثيل في البناء والعمارة الإسلامية الفاخرة. ولكن عندما سمع أبو ذر بهذا القصر، أرسل إلى معاوية مبعوثاً من قبله تعقيباً على تشييد قصر الخضراء الفخم، فقال أبو ذر ما نصه: يا معاوية أن كان هذا القصر بني بمال المسلمين فهذه خيانة، وأن كان القصر بني بمالك فهذا إسراف أولى أن يوجه المال للفقراء والمعوزين.(الأشيقر، ٢٠١٠: ٢٥٩)

وهكذا قضى أبو ذر مدة بقاءه بالشام في عراك ونضال مع معاوية من أجل مناهضة البغاة الذين استولوا على حقوق بيت مال المسلمين واستعادة أموال الفقراء والمستضعفين، إلا أن الوقوف بوجه الولاة الظالمين الذين نصبهم عثمان بن عفان كان في غاية الصعوبة سيما وأن معظم الناس قد ركنوا إلى السكوت وعدم المواجهة خوفاً من ظلم واستبداد الطغاة أمثال معاوية بن أبي سفيان الذي كان يتحايل على الرعية ليسرق جهودهم وتعبهم، فوصل الحال بمعاوية أن غير أسم بيت مال المسلمين إلى بيت مال الله، وهنا هب أبو ذر الغفاري كعادته بوجه معاوية، فدخل عليه معترضاً على هذه التسمية بقوله: يا معاوية ما يدعوك لئن تسمي مال المسلمون بمال الله، نحن نعلم بأن كل شيء هو ملك لله، ولكن أنت بهذا التسمية تريد أن تمحو أسم المسلمين لتحتجز مال الله لك. فأجابه معاوية: يا أبا ذر يرحمك الله، ألسنا بعباد الله، والمال هو مال الله. فرد عليه أبو ذر: مال الله هو للمسلمين وليس لك، فأرجع المال ووزعه على أصحابه ومستحقيه من المسلمين يا معاوية، فأنت مؤتمن عليه لا مالك له. فظل معاوية بحرج وحيرة كبيرة أمام الملأ من

ISBN: 978-9922-21-412-2

شدة كلمات أبي ذر الغفاري عليه، ثم حاول فيما بعد استمالة أبي ذر بمختلف الوسائل ولكن لم يستطع، فأرسل معاوية بثلاث مئة دينار بيد أحد حاشيته كهدية لأبي ذر، فقال أبو ذر للمرسل أن كانت هذه العطية من حقوقي من بيت مال المسلمين الذي حرمني منه خليفتكم فلا بأس بها، وأن كانت محاباة من معاوية فردها إليه ولا حاجة لي بها.(الشيرازي، ١٩٨٣: ٢٤٣)

وتذكر الروايات أن أبا ذر الغفاري كان يأتي قصر معاوية في الشام فيصيح عند باب القصر(أتتكم القطاء بحمل النار، اللهم ألعن الآمرين بالمعروف والتاركين له، اللهم ألعن الناهين عن المنكر والآتين له)، فضاق معاوية ذرعا بصياح أبي ذر المتكرر على باب قصره يومياً، فأمر نفراً من حراس القصر أن يأتوه بأبي ذر على عجل، فجاءوا به إلى معاوية فقال له معاوية: يا أبا ذر يا عدو الله وعدو رسوله لما تصيح بهذه الترهات وتأجج قلوب العباد علينا، أما أني لو كنت قاتل رجلاً من أصحاب محمدﷺ لما فعلت ما فعلت، سأستأذن فيك الخليفة عثمان لتنال عقابك في الدنيا قبل الآخرة. فأجاب أبو ذر: يا معاوية أنت تعلم ما أنا بعدو الله ورسوله، أنت وأبوك عدوان لله ورسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر والفسوق والعصيان، وأن رسول الله قد بشرني بالجنة معه(اليعقوبي، ١٩٩٥: ١٧١– ١٧٢). وكانت إجابة أبي ذر مدوية في قصر معاوية أدت إلى احتدام موجه عارمة من السخط والغضب العام لدى الناس على ظلم وجور معاوية وما يفعله في استحواذه على بيت المال. وأزداد الحال سوءاً في الشام، إذ كثرة الوشاية والنفاق، فكان من بينها قول حبيب بن مسلمة الفهريّ لمعاوية: إنّ أبا ذرّ لمفسد عليكم الشّام، فتدارك أهلها منه، إن كان لك في الملك حاجة، فسارع معاوية وأعوانه إلى محاولة تهديد أبو ذر بالقتل أو النفي من الشام، فخرج أبو ذر كعادته ليصيح في أهل الشام وسط حشد كبير من الجماهير قائلاً: يا أهل الشام أن جور وظلم بنو أمية تعدى سرقة أموال المسلمين إلى تهديدي بالقتل، ولبطن الأرض أحب إلي من ظهرها بجنب معاوية، والفقر أحب إلي من الغنى من أموال يغدقها عليّ معاوية وأعوانه. فسمع معاوية بخطاب أبي ذر في وسط حشود الناس، فأنتظر ليوم الجمعة ليصعد المنبر في المسجد قبل صلاة الجمعة ليرد على ما قاله أبو ذر الغفاري في حشود الناس، فقال معاوية على منبر صلاة الجمعة: أيها الناس أنا المؤتمن من خليفة المسلمين عثمان على مال المسلمين في الشام، فالمال مالنا، والفيء فيئنا، فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه، وإذا برجل شامي من عامة الجالسين في المسجد يهتف بوجه معاوية قائلاً: بل المال مالنا نحن المسلمون، والفيء فيئنا، ومن حال بيننا وبين مال بيت المسلمين حاكمناه بحكم الله وأخذنا حقنا منه بحكم السيوف، فهتف معه الكثير من الجالسين في المسجد. وهنا سأتوجس معاوية خيفة

كبيرة في قلبه وتغير لونه من سخط الناس في المسجد، وعلم بأن صيحات وخطابات أبي ذر الغفاري في أهل الشام قد أخذت صداها في التأثير على كرسي حكمه.(المعتزلي،١٩٦٠: ٢١٨)

وأحس معاوية بخطر أبي ذر الغفاري على الحكم في الشام، فكتب إلى الخليفة عثمان يحكي له المخاطر التي يتعرض لها حكمه جراء وجود أبي ذر عنده، وهذه المخاطر ستمتد حتماً إلى المدينة لتقصي الخليفة عن حكم المسلمين إذا بقي ساكتاً على ما يفعله أبو ذر في الشام. فكان رد عثمان بن عفان سريعاً على معاوية، وهو أن تحمل لنا أبا ذر إلى المدينة على عجالة مع نفر شداد غلاظ وبمركب غلظ خشن ينخش جسده نخشاً عنيفاً، ففرح معاوية برد عثمان على كتابه وتنفس الصعداء، وهب مسرعاً إلى نفي أبي ذر إلى المدينة مع خمسة من حراسه ذوو شدة وبأس، واركبوه على راحلة نزع عنها موطئِها(سرجها) ليشعر بمرارة وعناء السفر مع عياله، فهب أهل الشام لتوديعه، فخطب أبو ذر فيهم: أيها الناس أني موصيكم بما ينفعكم وتارك الخطب والتثقيف والإدراك لكم، أيها الناس أحمدوا الله عز وجل. فقالت الناس(الحمد لله)، ثم أردف أبو ذر يقول: أشهد أن لا أله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ثم قال لهم: أن رسول اللهﷺ قد أخبرني أنه سيصيبك يا أبا ذر بلاء ونصب من ولاة المسلمين في سبيل الحق وقول الحق، فلا تحيد عن الحق وأصبر على ما أصابك وأن كان مراً، ولا تخشى في الحق لومة لائم، فأن موعدك الجنة. صدق رسول الله، ثم قال: أشهد أن البعث حق وأن الجنة حق وأن النار حق، فأشهدوا على ذلك، قالوا: نحن على ذلك من الشاهدين.(أبن الأثير، ١٩٩٤: ١٩٣)

وعندما وصل أبو ذر المدينة، توجه إلى مجلس الخليفة عثمان، فأدخله الحرس عليه ليبادره عثمان بقوله(لا قر الله لعمرو عيناً)، فأجابه أبو ذر: ما سماني أبواي عمراً، ولكن لا قر الله عيناً لمن عصاه وخالف أمره وركب هواه. فقال عثمان أأنت تذمني وتؤلب قلوب العباد علينا؟ فأجاب أبو ذر نصحتك فاستغشيتني، ونصحت صاحبك في الشام فاستغشاني. فقال عثمان: كذبت وتريد الفتنة، فأجابه أبو ذر: ما علمتني من الكاذبين معك، والله ما وجدت لي ذنب عندك إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم حاول عثمان أبعاد التهم عنه، فقال لأبي ذر(فما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك وتسلطه)، فأجاب أبو ذر: ليس أهل الشام يشكونني بل وليهم معاوية الذي استولى على بيت مال المسلمين ومنعه عن الناس ومعه فئة قليلة ممن يكنزون الأموال ويحتكرون الأرزاق ويمنعونها عن مستحقيها. فصرخ عثمان بوجه أبو ذر قائلا لحاشيته: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكاذب، أأحبسه أو أضربه حتى الموت أو أنفيه من أرض الإسلام.(قلعجي، بدون تاريخ : ٤٤-٤٥)

وعندما سمع الأمام علي عليه السلام بمقدم أبي ذر إلى المدينة، وأن عثمان بن عفان ينوي له المكائد، أسرع عليه السلام لمجلس عثمان ليتدخل من أجل حفظ دم أبي ذر، فتدخل الأمام علي عليه السلام في صخب الحديث بين عثمان وحاشيته حول ما يرومون فعله بالشيخ الجليل أبي ذر، فقال علي عليه السلام لعثمان: أشير عليك بما قاله مؤمن من آل فرعون(**وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**)، ثم قال عليه السلام، أني سمعت رسول اللهﷺ يقول بحق أبي ذر الغفاري: أبو ذر هو صديّق هذه الأمة، وما أظلت الخضراء ولا الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، ومن سره أن ينظر إلى تواضع عيسى أبن مريم فلينظر إلى الشيعي أبي ذر. ويذكر أن أبو ذر هو أول من أطلق عليه تسمية(الشيعي) كونه من حواريي النبي الكريمﷺ ومن الأصحاب المقربين للإمام عليه السلام، ومن النفر القليل الذين حضروا تشييع جنازة فاطمة الزهراء عليها السلام وصلوا عليها.(آل فقيه، ١٩٩٢: ٥٤-٦١)

فغضب عثمان غضباً شديداً ونشب بينه وبين الأمام علي عليه السلام جدال ومشادة كلامية أدت إلى منع الناس عن مجالسة أبي ذر أو الحديث معه، وأن يبقى أبو ذر مجبراً جليس منزله بأمر الخليفة عثمان، فرد أبو ذر على قرارات عثمان بقوله: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول اللهﷺ كيف يعاملني، ولا اهتديت بسيرة الشيخين أبو بكر وعمر معي، أما أنك لتبطش بي بطش جبار متكبر، فقال له عثمان، أخرج عنا من بلادنا وهذا خيارك الوحيد للنجاة مني. فقال أبو ذر لعثمان: ما أبغض إلي من جوارك، فإلى أين تريدني أذهب، فرد عليه عثمان: لأي مكان شئت به بعيداً عني. فقال أبو ذر سأذهب إلى مكة، فأجابه عثمان: لا والله لن أسمح بذلك، فرد أبو ذر: سأذهب للشام، فقال عثمان: أنما جئنا بك منها لما أفسدت أهلها على معاوية، فقال أبو ذر أخرج إلى العراق، فرفض عثمان لأنه يدرك أن في العراق وبخاصة في الكوفة قوم محبون لصحابة رسول اللهﷺ وعلي عليه السلام، وسيؤيدون خطابات أبو ذر كعبد الله بن مسعود وسيشتد العصاة على الولاة هناك، ثم قال أبو ذر لم يبق لي سوى مصر، فرفض عثمان ذلك، وطلب أبو ذر من عثمان أن يسيره حيث يشاء. (الحويزي، ١٤١٥هـ: ١١٧)

وبعد برهة أستقر رأي عثمان إلى نفي أبو ذر إلى قرية نائية في الصحراء يقال لها الربذة، حتى لا يجد أبو ذر من يؤيده أو يواسيه أو يساعده على مصاعب الحياة فيقضي نحبه، فأمر عثمان مروان بن الحكم وجماعة من أعوانه باقتياد أبو ذر وعياله من المدينة المنورة إلى الربذة، وأن لا يسمح لأحد بتوديعه أو الكلام معه حتى يتم نفيه بعيداً، وبالفعل خرج مروان وأعوانه برفقة أبو ذر وزوجته وأبنه وابنته وأركبوهم الناقة، ومنعوا أي أحد من أبناء المدينة بالاقتراب منهم أو توديعهم

ISBN: 978-9922-21-412-2

استجابة لأمر الخليفة عثمان، إلا أن الأمام علي وأخيه عقيل وولديه الحسن والحسين عليهم السلام مع عمار بن ياسر قد جاءوا لوداع أبو ذر وعياله برغم منع عثمان لهم، فقال الإمام علي عليه السلام أهكذا يصنع بصاحب رسول اللهﷺ، إنا لله وإنا إليه راجعون، وقد رافقوا موكب أبو ذر وعياله من المدينة مواسين لهم وداعين لهم بالسلامة والعودة سالمين قريباً إلى مدينة رسول الله، ثمّ تكلّم عمّار بن ياسر لأبي ذر فقال: يا أبا ذرّ أوحش الله من أوحشك، وأخاف من أخافك، انّه والله ما منع النّاس أن يقولوا الحقّ إلاّ الرُّكون إلى الدّنيا والحبّ لها، ألا إنّما الطاعة مع الجماعة، والملك لمن غلب عليه، وإنّ هؤلاء القوم دعوا النّاس إلى دنياهم فأجابوهم إليها، ووهبوا لهم دينهم فخسروا الدّنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين. وكان الحسن والحسين عليهما السلام قريبان من راحلة أبو ذر فيتباهيان بصاحب جدهم رسول اللهﷺ أمام مروان بن الحكم فيقول الحسن عليه السلام: يا عمّاه إنّ القوم قد أتوا إليك ما قد ترى، وأنّ الله عزّ وجلّ بالمنظر الأعلى، فدع عنك الدّنيا بذكر فراقها، وشدّة ما يرد عليك لرخاء ما بعدها، واصبر حتّى تلقى نبيّكﷺ وهو عنك راض إن شاء الله، فقال مروان للحسن عليه السلام: يا حسن إلا تعلم بأن الخليفة عثمان قد نهى الكلام مع هذا الرجل، فغضب الأمام علي عليه السلام وحمل على مروان وضرب وجه راحلة مروان بالسوط، وقال له تنحى يا مروان نحاك الله إلى النار، فرجع مروان وأعوانه فارين عن مرافقة أبو ذر إلى الربذة خوفاً من غضب الأمام علي عليه السلام (اليعقوبي، ١٩٩٥: ١٧٢).

وعند مشارف المدينة ودع الإمام علي وولديه الحسن والحسين وأخيه عقيل عليهم السلام وعمار بن ياسر وأبا ذر توديعاً حاراً ممزوج بالعاطفة والدموع على فراقه وساروا معه إلى نهاية المدينة، إذ كانت علاقة أبو ذر بغالبية الصحابة متينة ولا يشوبها خلاف، وكانوا يحترمونه ويقدرونه كونه من السباقين في الإسلام الزاهدين الورعين وله منزلة كبيرة لدى النبي الأكرمﷺ. وقال الإمام علي عليه السلام في التوديع الأخير: أنك يا أبا ذر غضبت لله فأشكو من غضبت له، وأن القوم قد خافوك على دنياهم، وأنك قد خفتهم على دينك، فامتحنوك بالقلا ونفوك للغلا، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، وأهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وما أغناك عما منعوك عنه، وستعلم من الرابح غداً عندما تلقى الله بوجه ناصع، ثم قال الإمام علي لولديه الحسن والحسين عليهما السلام ودعوا عمكم، وقال لعقيل وعمار بن ياسر ودعوا أخاكم، فتأثر أبو ذر كثيراً لكلماتهم ولحظات التوديع فقال معقباً لتوديعهم: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة، فإذا رأيتكم تذكرت رسول اللهﷺ، ومال بالمدينة سكن ولا شجن غيركم أهل البيت، وأني أثقلت على عثمان بالمدينة كما أثقلت على معاوية في الشام، وكره عثمان أن أجاور أخاه وأبن خاله في العراق

ISBN: 978-9922-21-412-2

ومصر فأُفسد الناس عليهم، فسّيرني إلى بلدة ليس بها لي ناصر ولا معين إلا الله، والله لا أريد إلا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة.(المجلسي، ١٩٥٦: ٣٢)، ويذكر أن الإمام الحسين عليه السلام قد دنى من أبي ذر في لحظة الوداع وقال له: يا عماه أن الله تبارك وتعالى قادرٌ أن يغير ما قد ترى، والله كل يوم في شأن، وقد منعك القوم دنياهم، ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك، وما أحوجهم إلى ما منعتهم! فاسأل الله الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين والكرم، وإن الجشع لا يقدم رزقاً، والجزع لا يؤخر أجلاً(القرشي، ١٩٧٤: ٤٠٨-٤٠٩). وحين بلغ عبد الله بن مسعود خبر نفي أبو ذر الغفاري من قبل عثمان إلى الربذة، كان حينذاك في الكوفة، فغضب على ما حل بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال في خطبة له في نفر من أهل الكوفة أن عثمان قد نفى صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الصحراء وتناسى قوله تعالى: وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، ثم قال لهم هل سمعتم قول الله تعالى: ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم(سورة البقرة، الآية ٨٥)، وعندما سمع عثمان بذلك غضب وطلب من والي الكوفة الوليد بن عقبة تسيير عبد الله بن مسعود إلى المدينة ليقتص منه، فقام عثمان بذمه ومنعه من دخول مسجد الرسول ومنع عنه العطاء إلى أن مات.(الذهبي، ١٩٨٥: ٤٩)

وهكذا بدأت رحلة الوحدة والعيش الشحيح لأبو ذر وعياله في الفلاة(الصحراء)، فمن قساوة العيش في الربذة ماتت أبنته ولم تستطع تحمل نغص العيش والمرض، فدفنها بالقرب من خيمته الممزقة المشدودة بساق شجرة، ثم مرض أبنه مرضاً شديدا اضطر أبو ذر أن يركب راحلته ويعود للمدينة ليناشد عثمان أن يعطيه حقه من بيت مال المسلمين، ولكنه أبى وأعرض عن تسليم درهم واحد له، وحين سمع حبيب بن مسلمة بخبر قدوم أبي ذر لعثمان أسرع إليه وأخبر أبا ذر بأن له ألفا درهم وخادم وخمس مائة شاه، فأبى أبو ذر أن يأخذ منها شيئاً، وقال لحبيب عافاك الله أعطها لمن هو أحوج مني. فرجع أبو ذر إلى الربذة ووجد زوجته وهي تبكي إلى جوار ولده الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة، وعلم بأن أجله قد حان، فقام أبو ذر بإغماض عيني ولده لهول المشهد عليه، ثم بكاه وقام بتغسيله ودفنه إلى جوار أبنته، وقال رحمكما الله يا فلذات كبدي، كنتما كريمي الخلق بارين بوالديكما، وصبر أبو ذر على فراق أبنه وأبنته محتسباً أن يلقاهما عند العزيز الرحيم. (العصفري، ١٩٦٧: ٩٥)

وفي سنة ٣٢ هـ عندما حضرت علامات الموت على أبي ذر في الربذة، بكته زوجته، فقال لها ما الذي يبكيك، فقالت له مالي لا أبكي وأنت تموت في الفلاة وليس عندي كفناً لي ولك، فقال

أبو ذر لها: أبشري ولا تبكي، فأني سمعت رسول اللهﷺ ذات يوم يقول لنفر من أصحابه أنا منهم(ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين، وكل من كان معي قد مات، فأنا ذلك الرجل والله)، ثم طلب من زوجته أن تهرع إلى قارعة الطريق فإذا مرت قافلة من قربها فلتخبرهم بحالنا، وفعلا جاءت قافلة مالك الأشتر وحجر بن عدي الطائي وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وقد قدموا من العراق متوجهين إلى بيت الله الحرام، وأرادوا المرور بقبر الرسول الكريمﷺ في المدينة ثم الذهاب إلى مكة، فنادتهم زوجة أبو ذر، فلما سمعوا استغاثة امرأة وندائها لهم أسرعوا نحوها، وقالوا لها: ما أصابك يا أمة الله، فطلبت منهم أن يدركوا زوجها على فراش الموت يكفنوه ويدفنوه فيأجرون فيه، فقالوا ومن هو زوجك، فقالت أنه أبو ذر الغفاري، فقالوا هو صاحب رسول اللهﷺ، فقالت نعم والله، فأسرعوا إليه والدموع في أعينهم ووجدوه في ساعاته الأخيرة، فعلم أبو ذر بمقدمهم وفرح بلقائهم وأخبرهم بحديث رسول الله عنهم، فهم عصابة المؤمنين الذين سيتكفلون بتغسيلي وتكفيني ودفني والصلاة علي في فلاة الأرض، وأن من يكفنني منكم لم يكن أميراً أو مشيراً أو عريفاً أو نقيباً، فقال فتى من الأنصار كان معهم أنا والله من يكفنك بردائي هذا الذي اشتريته بحر مالي كسبته من عملي، فقال له أبو ذر فأنت الذي يكفنني، ثم أغمض عينيه ولفظ أنفاسه الأخيرة عن عمر ثمانين سنة، فمات صاحب رسول اللهﷺ في شهر ذي الحجة من سنة ٣٢ هـ، وكان المدافع عن حقوق الفقراء والمساكين بسبب الظلم والجور الذي عاناه من عثمان وولاة عصره. ودفن أبو ذر الغفاري في الربذة بالقرب من أبنه وأبنته. ثم صلى عليه عبد الله بن مسعود ومن كان معه.(الحسيني، ١٤٠٣ هـ : ٥٢٨)

وهكذا تحقق لأبى ذر ما أخبره به نبينا الكريم محمدﷺ، إذ نفاه عثمان إلى الربذة بعيداً عن مكة والمدينة، وبقي فيها إلى أن وافته المنية هناك وقام بتولي أمر الغسل والتكفين والدفن نفرٌ من العراق، وكان فيهم مالك الأشتر وعبد الله بن مسعود، إذ قام مالك خطيباً في جماعته عند وصولهما إلى الرّبذة بعد تغسيل أبي ذرّ وتكفينه والصلاة عليه، قائلاً: اللّهمّ هذا أبو ذرّ صاحب رسول اللهﷺ عَبدك في العابدين، وجاهد فيك المشركين، ولم يتغيّر ولم يتبدّل، لكنّه رأى منكراً فغيّره بلسانه وقلبه حتّى جُفي ونُفي وحُرم، ثمّ مات وحيداً غريباً في الربذة، اللّهمّ فاقصم من حرمه ونفاه من مَهاجرة حرمك وحرم رسولكﷺ. (خالد، ٢٠٠٠: ٥٥)

الخاتمة والمقترحات

أولاً – الخاتمة :

كانت حياة أبي ذر الغفاري مليئة بالأحداث التي تعطي للقارئ مجموعة كبيرة من الدلالات عن مدى رقي القيم العربية الأصيلة التي تربى عليها هذا الصحابي الجليل منذ صباه وقبل أن يدرك الإسلام في سن العشرين من العمر، ثم المكانة التي استحوذ عليها في قلب النبي الكريمﷺ وقلوب أهل بيته وأصحابه، حتى أعتبره النبيﷺ من آل بيته عليهم السلام وهي منزلة رفيعة ما كانت تعطى إلا لشخصية توصف بالنقاء والإيمان، وبهذه المكانة يمكن دحض أي توصيف يسيء لسيرة هذا الصحابي الجليل قبل وبعد الإسلام، لذا يمكن القول بأن فرضية الدراسة قد تحققت كون القيم التربوية والأخلاقية في الشجاعة والمروءة والكرم والإباء والتوحيد التي تربى عليها أبو ذر الغفاري كانت الأساس في الأيمان بالرسالة المحمدية، فكان من السباقين في اعتناق الإسلام والمدافعين عن حقوق المسلمين والثابتين على المبادئ السامية مع النبي محمدﷺ وآل بيته عليهم السلام والمناهضين لأهل الشرك والباطل. فظل أبو ذر صلباً ثابتاً على المبادئ التي رباه عليها الرسول الكريمﷺ في مقارعة الظلم والظالمين مهما كانت سلطتهم وسطوتهم وقوة بطشهم، فلهذا نفي إلى الربذة من قبل عثمان بن عفان ووافته المنية هناك.

وقد تعدد الروايات التي تناولت سيرة هذا الصحابي الجليل، بيد أنها اتفقت بالمجمل على قوة وشجاعة واقتدار أبي ذر الغفاري في مقارعة الظلم والظالمين والصبر على الشدائد والمحن والتي لم تماثلها شجاعة سوى عند الرسولﷺ وآل بيته عليهم السلام، ابتداءً بهتافه الشهادة أمام حشود قريش في الأيام الأولى لبعثة النبي محمدﷺ، فكانت الصيحات المدوية لأبو ذر الغفاري هناك أول إعلان للدعوة الإسلامية التي هزت عروش كفار قريش، وانتهاءً بوقوفه بوجه جبروت وظلم عثمان بن عفان، لاستيلاء الأخير وتحكمه بأموال بيت مال المسلمين الذي حرم منه معظم الفقراء والمعوزين وأبناء السبيل وأغدق العطايا على أقرباءه وولاته الفاسدين، فكان لهم أبا ذر بالمرصاد، الأمر الذي جعل الخليفة عثمان ينفيه إلى منفاه الأخير في الربذة وهو بسن الشيخوخة مع زوجته وأبنه وأبنته، فصبر على هذا الظلم ومشقة الحياة في صحراء نائية أدت إلى أنهاك حياة أبنته ووفاتها، ثم مرض أبنه ووفاته، ثم وفاته في سن الثمانين من العمر سنة ٣٢ هـ.

وتتجلى القيم الإيمانية السامية في سرد الأحداث التاريخية التي جمعت أبو ذر بالإمام علي عليه السلام أولاً، ثم مجيئه لرسول اللهﷺ ثانياً، وتصديقه للدعوة الإسلامية التي كان ينتظرها منذ صباه عندما كان موحداً يرفض عبادة الأصنام والأوثان، فآمن بدعوة الإسلام وبالمبعوث رحمة للعالمين ثم بالامتثال لتنفيذ أوامر النبيﷺ في الرجوع إلى قبيلته ونشر مبادئ الدين الإسلامي الحنيف وإقناع أبناء قبيلته والقبائل المجاورة باعتناق الإسلام والالتحاق بركب النبيﷺ بالمدينة المنورة في السنة

السادسة للهجرة. كما تسرد الحقائق التاريخية أن أبو ذر الغفاري بعد وفاة النبيﷺ هو أول من أطلق عليه(الشيعي) نسبة لشيعة الأمام علي عليه السلام، وهو لم يرَ أحق بالخلافة غير الأمام عليه السلام، فهو الأحق بلقب أمير المؤمنين ولا يصح إطلاقه على أحد غيره، فكان من أبرز شيعة الإمام علي عليه السلام والساخط على من أخذ حق بيت آل رسول اللهﷺ في خلافة النبي، إلا أنه بقي ساكتا مطيعاً للإمام عندما طلب منه عدم الوقوف بوجه أبو بكر وعمر بخلافة رسول اللهﷺ لأن الظروف السياسية بعد وفاة النبي كانت تنذر بحدوث شقاق في صفوف المسلمين، وهذا ما كان ينهى عنه الإمام علي عليه السلام، ولكن عندما ظهر الظلم والجور في عهد عثمان، هب أبو ذر بوجه عثمان وبتأييد آل بيت الرسولﷺ حتى قضى نحبه مظلوماً محتسباً إلى الله جراء طغيان وجور الخليفة الثالث الذي ألحق به وبعياله المنية.

ثانياً – المقترحات :

يشد الباحثان على أيدي القائمين على هذا المؤتمر العلمي المهم، ويسعيان من وراء هذه الدراسة تقديم بعض المقترحات التي من شأنها أن تعزز أهداف الدراسة والمؤتمر عل حد سواء، وأهم هذه المقترحات ما يلي :-

١- حث المعنيين بإدارة مسؤولية أعداد المناهج الدراسية في وزارتي التعليم العالي والتربية فيما يخص المعاهد والجامعات الإسلامية على الاهتمام العلمي بإدراج مواد دراسية تخص سيرة الأركان الأربعة (أبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد الكندي) في المناهج الدراسية للدراسات الإسلامية، كون المتاح من الكتب والدراسات العلمية لا يزال متواضعاً ولا يتناسب مع العطاء الديني والمعرفي الذي قدموه هؤلاء الأفذاذ للدين والمجتمع الإسلامي. مع التأكيد على أخذ موضوعاتهم بعين الاعتبار عند طرح مشروعات الرسائل الجامعية لطلبة الدكتوراه والماجستير.

٢- تشكيل لجان علمية دائمية في العتبات المقدسة معنية بغربلة وتصحيح الأخبار التي تذكر عن سير الأركان الأربعة، من أجل تنقيتها من شوائب الروايات المدسوسة التي تهدف إلى دس السم في العسل بحجة ذكر الصالح والطالح عنهم، من دون التأكد على مدى مصداقية تلك الروايات الضعيفة السند، كما هو الحال فيما يخص سيرة الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري والتي أشارت فيه بعض الروايات بأنه كان قبل الإسلام يمارس أعمال قطع الطرق والسطو على القوافل التجارية وتسليبها بضائعها مع أبناء قبيلته، وفي هذا تناقض كبير مع معطيات الشخصية المحترمة لأبي ذر الغفاري قبل الإسلام كونه كان موحداً يمتاز بالمروءة والكرم والشجاعة

ويساعد الفقراء والمستضعفين ويرفض الظلم والجور الذي يمارسه كهنة المعابد وينبذ عبادة الأصنام والأوثان، وهذه الصفات الفذة تتعارض ما مع ذكر عنه. ثم بعد الإسلام عند بلوغه العشرين من العمر كان من أوائل المسلمين الذين آمنوا بما أنزل على رسول اللهﷺ وهو أول من أعلن الدعوة الإسلامية في قريش، ثم نقلها إلى قبيلته وقبيلة بني أسلم اللذين اعتنقا الإسلام بفضل سماحة ورجاحة عقل شخصية أبو ذر الغفاري، وهيبته بين أبناء القبيلة والقبائل المجاورة.

٣- ضرورة الاهتمام الإعلامي بسيرة الصحابة الأفذاذ، من خلال البرامج التلفزيونية والتقارير الصحفية والتحقيقات البرامجية والأفلام الوثائقية، فضلاً عن تبني مساعي الإنتاج البرامجي وبدعم من العتبات المقدسة في الأعداد لمسلسلات تاريخية عن سيرهم ونصرتهم لآل بيت الرسولﷺ، فلا يزال هناك قصور كبير بحقهم في المجالات الإعلامية برغم الذكر المتواضع لسيرهم والذي لا يرقى لمآثرهم وبطولاتهم في نصرة الإسلام والمسلمين ومحبتهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام.

٤- أنشاء مؤسسة بحثية علمية متخصصة تعنى بالدراسات التاريخية عن سيرة الصحابة والأركان الأربعة تبرز دورهم في نهضة الإسلام ومآثرهم مع أهل البيت عليهم السلام، وترتبط هذه المؤسسة بالجامعات العراقية من حيث التعاون المشترك في إقامة الندوات والورش والحلقات النقاشية لتحفيز طلبة الدراسات العليا في الجامعات العراقية كافة على أخذ سير الأركان الأربعة كمواضيع للحصول على شهادة الماجستير والدكتوراه، كون الرسائل الجامعية قليلة جداً بهذا المجال.

٥- إقامة منصات الكترونية عبر مواقع التواصل الاجتماعي مخصصة لنشر كل ما يخص السيرة العطرة للأركان الأربعة والأخبار التي تداولت عنهم، وأن يكون التفاعل في هذه المنصات عبر نشر المقالات والأحاديث المأثورة عنهم، وإجراء مسابقات ربع سنوية(كل ثلاثة أشهر) لأفضل مقال وأفضل مشاركة، ويمنح فيها الفائزون جوائز قيمة تشجع على رفع روح المبادرة والمشاركة في نشر أخبار ومقالات هؤلاء الرجال الأفذاذ الذين وقفوا مع الحق في نصرة آل بيت رسول اللهﷺ.

المصادر

١- القرآن الكريم (مجموعة آيات من الذكر الحكيم).

٢- آل فقيه، محمد جواد ، ١٩٩٢، أبو ذر الغفاري، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت- لبنان.

٣- أبن الأثير، أبو الحسن عي بن أبي الكرم، ١٩٩٤،أسد الغابة في معرفة الصحابة، الطبعة الأولى، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ، الناشر: المطبعة الإسلامية ، طهران.

٤- أبو ذر الغفاري- لماذا يولع الفقراء بسيرته. www.https://islamonline.net/archive/

٥- أبو ذر الغفاري على الموقع: . www.https://.islamstory.com

٦- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، ١٩٩٥، تاريخ دمشق، الطبعة الأولى، الجزء ٦٦، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر العربي، بيروت.

٧- الأشيقر،محمد علي يوسف، ٢٠١٠ ، شهداء العقيدة الأوائل، الطبعة الأولى، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والإعلان، بيروت – لبنان.

٨- الأصبهاني، أبو نعيم إسماعيل بن محمد، دلائل النبوة، ج١، تحقيق: أبو عبد الرحمن مساعد بن سليمان الراشد، دار الوعي للطباعة والنشر، حلب.

٩- الحسيني، محسن الأمين، ١٤٠٣ هـ ، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان.

١٠- الحسيني، محسن الأمين، ٢٠٠٣، أبو ذر الغفاري الصحابي المجاهد، الطبعة الأولى، دار المرتضى، بيروت–لبنان،

١١- الحويزي، عبد علي بن جمعة الغروي، ١٤١٥ هـ ، تفسير نور الثقلين ، الطبعة الرابعة، مطبعة أسماعليان، قم المقدسة.

١٢- خالد، محمد خالد ، ٢٠٠٠، رجال حول الرسول ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

١٣- الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد المكي، ١٩٦٥، المناقب، منشورات مكتبة الطليعة الحيدرية، النجف الأشرف.

١٤- الذّهبيّ، شمس الدّين محمّد بن أحمد، ١٩٨٥، سير أعلام النّبلاء، ج٢، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة. بيت الأفكار الدولية، بيروت.

١٥- الزهري، محمّد أبن سعد بن منيع، ٢٠٠١، الطّبقات الكبير، ج٤، الطبعة الأولى ، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٦- السمعاني، عبد الكريم محمد بن منصور، ١٩٧٧، الأنساب ، طبعة عثمانية، تحقيق: عبد الرحمن بن المعلمي اليماني، تصوير مطبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الناشر دار المعابد العثمانية، حيدر آباد.

١٧- الشيرازي، علي بن أحمد خان، ١٩٨٣، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ، الطبعة الثانية، مؤسسة الوفاء للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

١٨- العصفري، خليفة بن خياط ، ١٩٦٧، تأريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: د. سهيل زكار، الجزء الأول ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

١٩- القرشي، الشيخ باقر شريف،١٩٧٤، حياة الإمام الحسين(ع)، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

٢٠- قلعجي ، قدري، بدون تاريخ، أبو ذر الغفاري أول ثائر بالإسلام، دار العلم للملايين ، الإصدار رقم(٩).

٢١- المازني، إبراهيم، ١٩٧٧، أبو ذر الغفاري: الاشتراكي الزاهد، دار الهلال للنشر والتوزيع ، القاهرة.

٢٢- المجلسي، محمد باقر، ١٩٥٦، بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٣- المزي، يوسف بن عبد الرحمن يوسف أبو الحجاج،١٩٨٠، تهذيب الكمال ، الجزء ٣٣ ، الطبعة الأولى ، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، بيروت– لبنان.

٢٤- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي،١٩٧٣، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.

٢٥- المعتزلي، ابن أبي الحديد، ١٩٦٠، شرح نهج البلاغة، ج٨، دار إحياء الكتب العربية، بيروت–لبنان.

٢٦- اليعقوبي، أحمد بن أسحاق بن أبي يعقوب، ١٩٩٥، تاريخ اليعقوبيّ، ج٢،الطبعة السادسة، مؤسسة فهرنك أهل البيت، بيروت.

الغزو الفكري الغربي للمجتمع الإسلامي - دراسة في الأهداف والاستراتيجية -

أ.د. محمد كاظم حسين الفتلاوي/ كلية التربية / جامعة الكوفة

مقدمة البحث

معلوم إن في العالم حضارتان إحداهما حضارة الإسلام التوحيدية التي لها فلسفتها وأصولها وقيمها ومنظومتها الحقوقية ومسارها التاريخي.

والأخرىٰ حضارة الغرب التي بدأت حضارة عقلائية وضعية (اليونانية) القديمة وحضارة المسيحية الكاثوليكية الاسكولانية ثم حضارة التنوير البروتستانية، ثم فكر التحديث وما بعد الحداثة، ولكل حضارة مسلكها ومسارها ومنظومتها القيمية.

إلا ان بين الحضارتين مراحل تاريخية من الصدام الفكري والعسكري من الفتوحات إلىٰ الحروب الصليبية إلىٰ الغزو الاستعماري الغربي الحديث.

يقول اليكسي جوارفسكي: (ومن المفيد الإشارة إلىٰ أن المجابهة العسكرية السياسية بين هاتين الديانتين – أو قل بين هاتين الحضارتين – منذ بدء ظهورهما المتجاور ووصولاً إلىٰ القرن العشرين كانت (تلك المجابهة) هي الطابع المسيطر علىٰ علاقاتهما الأخرىٰ، بما في ذلك العلاقات الدينية – الآيديولوجية – ويضيف – وبودنا التأكيد في هذا السياق أن ترسيخ الإسلام وتوطيد أركانه العقائدية في سوريا، ومصر، وشمال أفريقية سحبا من المسيحية النصف الغني بثروته من المجال الجغرافي الحضاري لشاطيء البحر المتوسط)[1].

فنلحظ ان نوع الغزو الذي كان متعارف عليه فيما مضى من العصور هو الغزو العسكري والاحتلال الأراضي، وهو غزو يكون العدو فيه واضحاً بيناً ومباشراً، ويرافقه الغزو الاقتصادي وسلب خيرات البلاد، وهذا الغزو على ما فيه من مصائب ودمار إلا ان ويلاته ودماره لا تصل الى دمار وعواقب الغزو الفكري الثقافي، وذلك ان هذا الغزو يكون غير مباشر بل يأخذ طابع التحريف والتخريب للعقول، وغايته أن يعم الجهل في الشعوب وقطع امداد الروح المعنوية وتهوين ركائز البناء العقائدي وتسفيه المبادئ كيما تكون أمة ضعيفة وخاضعة للقوى المعادية.

(١) الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلىٰ الحوار والتفاهم، ص٣٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ومن ثم يطرح مشروع جديد لا يمت الى أصول الأمة ومبادئها بشيء، وانما يُبنى على قواعد مستوردة ومخالفة البتة لحضارة الأمة الإسلامية، وهي معتقدات وأفكار ورؤى أمة غربية بعيدة عنها ثقافياً ودينياً ويتم تشويه مناهج تعليمها، ويصُطنع حاجز نفسي بينها وبين أصلها وتاريخها ولغتها، وتنحرف البوصلة عن الفكر الرسالي والمنهج القويم الذي أعدته السماء لبناء الإنسان والمجتمع، فالفكر ينبوع الثقافة وعنوان الحضارة وهوية الأمة ومنظم لسيرها ومسيرتها المتعاقبة في الأجيال تلو الأجيال.

أهمية البحث:

ان العلاقة ما بين الحضارتين (الإسلامية والغربية) كانت علاقة متوترة في كثير من مجالاتها، لا سيما أبان ضعف الأمة الإسلامية المادي والتقهقر في تطبيق تعاليم السماء وتولّى الأمر غير أهله من أعداء أهل بيت العصمة عليهم السلام خلفاء الرسول الشرعيين، فكان أن تعرضت الأمة للغزو الاستعماري الغاشم الذي اقترن بغزو فكري يهاجم القيم الإسلامية والتجربة التاريخية والتشريعات الإسلامية، تشويهاً في وعي الإنسان المسلم عن تراثه وتاريخه[1]، في حين ان الحضارة الإسلامية شهدت نقلة نوعية –على ما هي عليه من ملاحظات– للأمة الغربية وأسست لمبادئ إنسانية كانت تفتقر لها أوربا في القرون الوسطى، فأشعل الغرب الأوربي مصباح حضارته ونهضته من أشعة حضارتنا الإسلامية ووهج قيمها الفكرية والعملية.[2]

---

(١) يقول الدكتور طه حسين: (إن السبيل... واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي: أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب)، مستقبل الثقافة في مصر، ٤٥/١، ويقول الكاتب قاسم أمين: (إن الحرية الحقيقية تحتمل إبداء كل رأي، ونشر كل مذهب، وترويج كل فكر، وفي البلاد الحرة قد يجاهر الإنسان بان لا وطن له ويكفر بالله ورسله، ويطعن على شرائع قومه وآدابهم وعاداتهم، ويهزأ بالعادات التي تقوم عليها حياتهم العائلية والاجتماعية ، يقول ويكتب ما شاء في ذلك، ولا يفكر احد ولو كان اشد خصومه في الرأي ان ينقص شيئاً من احترامه لشخصه متى كان قوله صادراً عن نية حسنة واعتقاد صحيح)!! نقلاً عن: د. محمد الجوهري حمد الجوهري، النظام الإسلامي والفكر الليبرالي، ص٨٣. لمزيد من الأمثلة، ظ: د. محمد إدريس الطعان، الشغف بالغرب والأزمة النفسية للمثقف المسلم، ص٢٣٩.

(٢) للتوسعة في المقولات الشاهدة والمصادر ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، الشاب الجامعي في فكر سماحة السيد السيستاني

ونرى في أهمية البحث أيضاً ان الفكر يمثل العمود الفقري للأمة الإسلامية؛ وهو الهوية التي نستمد منها شرعيتها، وهي قضية متشعبة، ولقد كان المحور الفكري موضع رعاية واهتمام من قبل علمائنا ومفكرينا، وبما انهم (أي العلماء والمفكرين) غير مبسوطي اليد كانت المعالجات في أغلبها فردية حماسية خطابية لا تصل مبلغ الطموح في ردع الغزو الفكري ناهيك عن الوقاية منه.

سبب اختيار البحث:

ان من أخطر ما تعرضت له الأمة الإسلامية في مسيرتها التأريخية هو الغزو الفكري الغربي الذي ناغم بطريقة خبيثة النزعة الدنيوية للإنسان فأبهره بالتكنلوجيا وعمد الى تهميش الجانب الروحي ومخالفة الفطرة السليمة الداعية الى ان الدنيا مزرعة الآخرة، ومحاربة القيم السماوية وتسفيه المعتقدات في نفوس الشباب، وهو بهذا أخطر من الغزو العسكري والاقتصادي، وذلك أن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية ودس السم بالعسل بعنوانات جذابة في بادئ الأمر وبهذا لا تحس به الأمة المغزوة ولا تتهيأ لمواجهته وتحصن شبابها من خطره حتّى تقع فريسة سهلة له ويكون مصير هذه الأمة ان تصبح مريضة الفكر ضعيفة المناعة بالية الإحساس مطيعة لعدوها وتحب ما يريده لها أن تحبه وتكره ما يريد منها أن تكرهه وتتبنى منهجه ونظرته لـ(لإنسان والكون والرب)، ولهذه الأسباب وغيرها كان سبب اختيار موضوع البحث في: (الغزو الفكري الغربي للمجتمع الإسلامي – دراسة في الأهداف والاستراتيجية–).

هدف البحث:

مساهمة في بيان خطورة الغزو الفكري الغربي على الأمن العقائدي الإسلامي، والوقوف على وسائله وأهدافه وتوعية الشاب المسلم لهذا المنزلق، وكذلك بيان نطاق التعامل مع الحضارة الغربية.

المنهج العلمي المتبع: كان المنهج الوصفي التحليلي إذ ينسجم هذا المنهج مع غاية البحث في بيان اهداف ومعالم وبرامج الغزو الفكري الغربي وتحليلها.

–دراسة قرآنية تفسيرية تربوية في نصيحة سماحته–، ص١٦٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

دراسات سابقة:

لا يخفى ان هناك العديد من المؤلفات والبحوث والدراسات في موضوع الغزو الفكري الغربي، وقد اطلع الباحث على الكثير منها، وانتفع منها في مضامين بحثه هذا، ويبدو للباحث ان بحثه كان ناظراً الى أهم اركان الغزو الفكري الغربي وهما ركنا الاستشراق والتبشير فهما نواة الغزو الفكري الغربي الحديث الكامن في (العولمة والعلمانية)، كما ان الباحث ذكر في المطلب الثالث استراتيجية الاحتراز والوقاية من الغزو الفكري الغربي عند الاقتباس منه، وبهذه المضامين يرى الباحث الفارق بين بحثه والدراسات الأخرى في الغزو الفكري الغربي.

خطة البحث:

ولتعاظم خطورة الغزو الفكري بأنواعه، تتعاظم الاحترازات ضده، فتقع جدلية التأثر والتأثير، والأمر بين الأمرين، وسنقتصر في المطلب الأول على أهداف الغزو التبشيري[١]، إذ هو الأساس والنواة لسائر ألوان الغزو الفكري بتنوع عنواناته، والمطلب الثاني عن أهداف المؤتمرات التبشيرية وتطور إستراتيجيتها، والمطلب الثالث عن ضوابط الاقتباس عن الغرب وطبيعته في الواقع الإسلامي المعاصر، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: أهداف الغزو الفكري الغربي

الغزو الفكري: (مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى والتأثير عليها حتّى تتجه وجهة معينة).[٢]

والغزو الفكري الغربي: هو العمل على خلق عقيدة جديدة عند المسلمين تعتمد على تصورات الفكر الغربي في الحياة والإنسان والكون.[٣]

وبهذا فإن الغزو الفكري الغربي داء وخيم يفتك بالأمم ويزيل هويتها ويمسخ شخصيتها ويحرف

---

(١) وان (كان التبشير تاريخياً قد ظهر بعد الاستشراق، فان هذا نشأ اساساً لخدمة التبشير)، د. محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه، ص١٤٢.

(٢) الغزو الفكري، أسئلة وأجوبة، موقع كلمات نت.

(٣) محمد عز الدين الغرياني، مباحث في الفكر والثقافة الإسلامية، ص١٣١.

معاني الأصالة والقوة فيها، وشر البلاء بهذا الغزو ان الأمة التي تبتلى به لا تشعر بما أصابها ولا تنتبه الى انحرافها ولا تدري نتيجتها ومآلها، وبذلك يكون تبصيرها بالخطر المحدق شاق وعلاجها أمر صعب وإيقاظها من سباتها يحتاج الى زلزال من الجهود إذ ان أفهامها سبيل الرشاد أعسر من العسير.

وممَّا ساعد على الغزو الفكري الغربي أن المسلمين في عصرنا الحاضر ابتعدوا عن مصدر خيرها وعظيم شأنها ونور نجاتها من ظلمات الضلال، القرآن المجيد منهج للحياة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية: ١٠)، أي: فيه شرفكم إن تمسكتم بما جاء به من أمر دينكم ودنياكم ومكارم الأخلاق ومحاسن الفعال.[١]

فكانوا بهذا الهجر للقرآن العظيم في أوطئ أحوالهم الثقافية والاجتماعية، وقد بلغ التخَّلف والانحطاط في واقع المسلمين في كل ميادين الحياة، وفي انزل مراتب التردي الفكري والخُلقي، فقد شاعت فينا النزعة السلبية والأنانية وتوغلت في نفوسنا مساوئ الجاهلية الأولى وماتت روح التعاون في الأمة، ونهشت الأحقاد وحب الدنيا في كيانها.

لهذا نلحظ ان من أهم أهداف الغزو الفكري الغربي للمجتمع الإسلامي تكمن في:

أولاً: تشويه العقيدة ومحاولة إضعافها والتشكيك فيها:

من أجل القضاء على وحدة المسلمين، فقد أدرك المستعمرون ومن يقف وراءهم من المبشرين وغيرهم أن العقبة التي تهدد كياناتهم وتعيق استعمارهم للبلدان العربية والإسلامية هو الإسلام، وقد صرّح بهذه الحقيقة أكثر المبشرين، يقول مكسيم رودنسن (ت:٢٠٠٤م): (يمثل المسلمون خطراً على المسيحية الغربية قبل أن يصبحوا مشكلة)[٢]، ومنهم المبشر الأمريكي لورانس براون (ت:٢٠١٨م)، حيث قال: (إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته علىٰ التوسع والاخضاع وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي).[٣]

---

(١) الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ٧٤/٧.

(٢) نقلاً عن: جون اسبيزيتو، الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع، ص٤٨

(٣) حسن أبو عبد، الغزو الفكري، ص ١٤، ظ: أحمد طالب الإبراهيمي، حوار الحضارات، ص٣١.

نعم؛ لا عجب أن ينتصر الغرب على الأمة الإسلامية إذا كان في حالة قوّة ونحن في حالة ضعف وفتور، وان تكون الحضارة الإسلامية ومقوماتها محل اهتمام الفكر الغربي بكل تياراته وتوجهاته، وموضع رصد مخطط للنيل منها، فالتجربة عندهم ترشدهم الى ذلك دون غيرها من الحضارات والديانات الأخرى، فالدّيانات التي في العالم كالبوذية والمجوسية وغيرها قد أُغلقت على نفسها في تعاليمها وتأطرت بالقومية فهي بهذا لا تخرج خارج محيطها الجغرافيّ والقوميّ، ومن ثم ان طموحها في تمددها محدود محسور لا ضرر منه، أمَّا الدين الإسلامي وفق تعاليمه الحقة فهو دين فاعل ومتفاعل وهو بهذا دين حركي ومتحرك، وهو بتعاليمه العالمية يمتد بنفسه بلا أية قوّة مساعدة له بذلك، فقوته قُوَّة ذاتية مصدرها قرآنه المجيد وسنة المعصوم الخالدة.

وعلى الرغم من أن الأمة الإسلامية المعاصرة تمر بمرحلة ضعف وفتور وتشتت إلا ان تعاليم دينها الكامنة في أدبيات آياته وسنة المعصوم عليه السلام تبقى مصدر ازعاج للغرب، وهذا هو وجه الخطر الحقيقي من وجهة نظرهم؛ ولهذا وجب عليهم الاحتراس منه ومقاومته.(١)

وبذلك نستطيع أن نقول: إن المبشرين قد أدركوا أن القضاء على الإسلام سيمهد لهم مهمتهم ويحقق لهم غاياتهم، إذ ان الإسلام هو الخطر الحقيقي الذي يقف أمامهم ويمنعهم من تحقيق أهدافهم، لأنه يرفض الاستعباد، ويأبى تسلط الأجنبي على أهله، لذا كانت غاياتهم القضاء على الإسلام لما يمتاز به من الحيوية والسماحة والاندفاع الذاتي، وابقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه .(٢)

وقد أدرك المبشرون أهمية القضاء على كل هذه الخصائص، خُصوصاً بعد فشلهم في تنصير المسلمين، اذ يقول المبشر الأمريكي صمويل مارينوس زويمر (ت:١٩٥٢م): (لقد جربت الدعوة إلى النصرانية في أنحاء كثيره من الوطن الإسلامي، وإن تجاربي تخولني أن أعلن أن الطريقة التي سرنا عليها لا توصلنا إلى الغاية التي ننشرها).(٣)

---

(١) ظ: د. علي الهادي المرزوقي، الغزو الثقافي الغربي (أسبابه، ومخاطره، ونتائجه)، ص٣.

(٢) ظ: علي لبن، الغزو الفكري في المناهج الدراسية، ص٢٧.

(٣) نقلاً عن: أنور الجندي، الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني، ص٣٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

فكان أن وجد المبشرون أن أسهل الطرق هو غزو الإسلام بشن حرب باردة تقوم على زعزعة العقيدة والتشكيك فيها، فشنوا الافتراءات والأكاذيب على الإسلام ونبيه الأكرم محمد ﷺ، فقالوا: إن القرآن نزل قبل أربعة عشر قرناً واستنفد أغراضه ولا يصلح منه شيء للتطبيق في القرن العشرين لأنه لا يتفق مع العلم والتطور العلمي[١]، وإن الإسلام دين غير إنساني وغير قادر على التطور، وهو دين غير خلّاق وغير علمي واستبدادي[٢]، كما أنهم قد روجوا أفكاراً الحادية تدعوا إلى ضرورة (تطوير القرآن) وإعادة تفسيره ليتفق مع متطلبات الحضارة الغربية .[٣]

فيما يخص رسول الله ﷺ ، فقد قال عنه المبشر الإنكليزي توماس إديسون (ت:١٩٣١م): (محمد لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله منها إلّا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به إلى العرب).[٤]

وفي وصف المسلمين، يقول المبشر الأمريكي هنري هاريس جيساب (ت:١٩١٠م): (المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرون قدرها...إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون وإن التبشير سيعمل على تمدينهم).[٥]

تأملوا: المسلمون لصوص وقتلة ومتأخرون.

والقائمة تطول، وقد ذكر كثير من هذه التصريحات الأستاذ الدكتور محمد البهي (ت:١٩٨٢م) في كتابه: (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي).

كما ذكر منها الشيخ مصطفى عبد الرازق (ت:١٩٤٧م) في محاضراته عن الفلسفة

---

(١) ظ: حسن أبو عبد، الغزو الفكري، ص١٤.

(٢) ظ: محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١١٧، إدوارد سعيد، الاستشراق، المعرفة والإنشاء والسلطة، ص٩، ص١٦٩.

(٣) ظ: عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٧٥.

(٤) نقلاً عن د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص ٤٢، ظ: عبد الجبار ناجي، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، ص٨٢.

(٥) نقلاً عن: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص٤٢.

الإسلامية، التي ألقاها في جامعة القاهرة!

وكذلك ذكر منها أيضاً عبد المجيد حامد صبح (ت:٢٠١٨م) في كتابه الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم.

وعلى كل الأحوال عمد المبشرون إلى إثارة الدعوات الهدامة، فتحدثوا عن العداء المستحكم بين السنة والشيعة، والعرب والأكراد، وتحدثوا عن الإسلام في العراق وفي السعودية، وكأن الإسلام مختلف باختلاف البلاد والجهات.(١)

إن كل هذه الافتراءات(٢) الرامية إلى تصدع العقيدة في نفوس المسلمين، أو تشويهها عند غيرهم واضحة البطلان فهي لا تستند إلى أي دليل نابع من صميم العقيدة وآثارها، وهي لا تشمل بحال مفاهيم الفكر الإسلامي.(٣)

ولأصالة ورسوخ العقيدة الإسلامية ووضوحها كان سبب أدراك الغرب في ان العقيدة ومددها الروحي للمسلم تجعله صعب الانخداع والانقياد، وذلك من المعلوم أن من يمتلك القيم يمتلك النصر، ويتمكَّن في الصمود.

وعليه كانت ردة الفكر الغربي شرسة والهجمة عنيفة على المسلمين، وإلا فالواقع يخبرنا ان المسلمين ليسوا أغنياء إذا ما قورنوا بالغرب، فميزانية شركة كشركة جنرال موتورز الأمريكية تعادل ميزانية العديد من الدول الإسلامية، وفي مجال التكنولوجيا فهم يقفون في آخر الطابور، ومع كل هذا الضعف يُصنفون من قبل الغرب على أنهم العدو الأول لهم؛ وهذا لأنَّ الغرب أدرك

(١) هناك أبحاث تناولت هذه الظاهرة، منها، بحث: محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث، وإبراهيم خليل أحمد، الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، مصطفى الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد العربية.

(٢) قد أطنب المعادون للإسلام في هذه الافتراءات وتمادوا بترويجها لتحقيق هدفها بشتى السبل؛ للتوسعة، ظ: د. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص١٩٠، عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص ١٣، عوض عبد الهادي عطا، المستشرقون والسيرة النبوية، ص١٦٢، مونتقري وات، فضل الاسلام على الحضارة الغربية، ص١٠٠، د. محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية، ص٢٩٩.

(٣) ظ: أنور الجندي، سموم الاستشراق والمستشرقين، ص١٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ان القيم السامية والمبادئ النبيلة هي التي تحفظ للأمة وزنها وترفع من مقامها.

ثانياً: توهين قداسة القرآن الكريم

لازال القرآن الكريم منذ أول نزوله محل سهام أعداء الدين والإنسانية والمبادئ، ولو ان كتاباً أو موضوعاً ناله ما نال القرآن من هجمات فكرية وبربرية منذ ذلك الزمن لما كان له باقية ليومنا هذا، لولا حفظ الله تعالى ورعايته لكتابه العزيز.

ومن ابشع صور الإساءة إلى القرآن الكريم ما كان من الفكر الغربي المادي والاستشراقي، وان المنظرين للعمل التبشيري لديهم قناعة تامة بأن وجود معارف ومعاني القرآن المجيد في الأمة الإسلامية يجعلها أمة حية فاعلة ومتفاعلة وبهذا لا يمكن القضاء على الإسلام واتباعه إلا إذا تم القضاء على القرآن.

والقضاء على القرآن المجيد في نفوس المسلمين لا يعني عندهم شكل القرآن ككتاب مطبوع، وانما غاية القرآن وجوهره، ولذلك نلحظ ان المحاولات تتجدد بين آونة وأخرى من قبل الفكر الغربي وأعوانهم على الإساءة للقرآن الكريم أو تحريف معارفه أو معانيه يقول جون تاكلي: (يجب أن نستخدم القرآن – وهو أمضى سلاح – ضد الإسلام نفسه، بأن نعلم هؤلاء الناس – يعني المسلمين – أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً).[1]

وهذا الأسلوب ليس بجديد، وانما عمد إليه أعداء الإسلام منذ زمن نزول القرآن المجيد واستغل هذا الأمر جملة من المنافقين وعلماء السوء الذين ركزوا على شكل القرآن وحفظه والتباري في تلاوته وبهذا فهم يجردوه من غايته وحدوده، وفي انكار هذا الأمر يقول الإمام علي عليه السلام: (حفظوا حروفه وضيّعوا حدوده).[2]

ومن المحاولات الخبيثة للمستشرقين في الطعن بالقرآن الكريم هو بنسبته الى النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وأنه من تأليفه وبذلك ينفون الوحي عنه كي يبعدوا عن القرآن كل قدسية، وهذا بطبيعة الحال مما يتفق مع منهجهم في الدرس والبحث الذي يهدف الى نفي القدسية عن كل شيء،

(١) حقيقة التبشير، ص١٦٥.

(٢) الكليني، الكافي: ٢/٥٩٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

واعمال العقل المجرد في التعامل مع الأشياء، وهذا ليس مما يُعاب – أي اعمال العقل – وهو ممكن في كثير من الأحيان في مجال البحث والدراسة، إلا أن هناك أموراً خارج تصورات العقل البشري تتعلق بالميتافيزقيا (الغيبيات)، فطاقة الإنسان وادراكه المحدود لا يمكن أن يتخلى عن الارتباط بعالم الغيب في أي حال من الأحوال، لأن قضية الدين من الأمور التي تتعلق بالروح الإنسانية وسلامة الفطرة بعيداً عن الماديات وتداعيات المادة والتفكير الواقعي.

إذن؛ كان نفي المقدس يُعد من أوليات المنهج العقلي الذي اتبعه المستشرقون وكان يمثل ثقافة عامة في المجتمعات الغربية بعد الثورة الصناعية وعصر التنوير، فابتدأوا ذلك في محاربة مبادئ المسيحية وتعاليمها ونبذ القساوسة والرهبان، ومحاولتهم إبدال دينهم بدين آخر وهو ما يتفق مع بدء الثورة الصناعية إذ (بدأ نوع من وعي فكري إزاء الدين المسيحي في عموم أوربا إذ ظهرت موجة من النقد إزاء الدين والكنيسة ورجالها، وأخذوا يشككون بكل ما له علاقة بالدين من خلال ظهور مذهب الشك بكل الأشياء، بوصف الشك طريقاً الى الحقيقة، إذ شكك أصحاب هذا المذهب بجميع القصص والأساطير التي جاءت بالكتب المقدسة، وتعالت أصوات الشك حتى وُصِمت مسألة الوحي وأُعلِنت أنها من بقايا الخرافات القديمة ويجب التصدي لها بالفكر لأجل قمع الخرافة وخاصة في الكتب المقدسة، بوصفها الوسيلة التي بأيدي رجال الدين للسيطرة على المجتمع).[1]

فمن الطبيعي على ما تقدم من الموقف السلبي من المسيحية ان ينعكس ذلك عند المستشرقين ويكون ضمن اسقاطاتهم في دراستهم القرآن الكريم إذ صادفتهم فيه أمور كان بعضها موجود في كتبهم المقدسة، فكان ان تعاملوا معها على وفق منظورهم العقلي الذي يحاربها لأنّها على وفق تجربتهم ومبانيها مجرد خرافات لا واقع لها ومن ثم لا يقبلها العقل المجرد، في حين ان القرآن المجيد له من الشأن والمضمون ما يتعالى عما أصاب الكتب السماوية الأخرى من تحريف وتلاعب.

وللتنويه ان أدلة نزاهة القرآن عن التحريف متعددة وكثيرة ليس محل التفصيل فيها ببحثنا هذا

(١) د. عادل عباس النصراوي، أساسيات فهم النص القرآني ومصادر دراسته عند المستشرقين، ص٢٣٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ولكن نشير لها سريعاً وهي:[١]

١. الأدلة القرآنية، ٢. تواتر القرآن، ٣. الأدلة الروائية، ٤. مناقشة افتراضات التحريف، ٥. الشواهد التاريخية، ٦. الدليل العقلي، ٧. الإعجاز القرآني، ٨. اجماع العلماء.

ومن أساليب التشكيك في قداسة القرآن ما نلحظه أيضاً فيما ذهب اليه غوستاف لوبون، وكانون سيل الذي يقول: (إن القرآن على شكله الحالي هو إعادة إنتاج أصلية لتدوين أبي بكر، وقد عمل عثمان بعد أن أصدر نسخته المنقحة على اتلاف كل النسخ الباقية كل هذا لم يكن ضرورياً لو أنّ محمداً جمع وترك نسخة صحيحة) .[٢]

أما نولدكه (ت:١٩٣٠م) فيذهب صراحة الى بشرية القرآن، أي أنه من تأليف النبي الخاتم محمد ﷺ، ففي مجال كيفية نشوء الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية والقرآن والمقارنة بينها يقول: (إن اطّلاع محمد على اليهودية والمسيحية كان جيداً الى الحدّ الذي كان ممكناً في عصره في مكة، وقد اعتمد على هذين الدينين الى درجة أنّه نادراً ما تُوجد فكرة دينية في القرآن ليست مأخوذة عنها).[٣]

ثالثاً: ان يكون معيار المسلم في قضاياه مبادئ الغرب والنصرانية

من وسائل الوصول لتحقيق أهدافهم هو رفع شأن المبادئ المسيحيَّة، وجعلها مقياساً عامّاً لمبادئنا؛ فإنهم أسقطوا قيمة المبادئ الإسلامية، حتى أخرجوها من الدين، وقالوا بأنها غير صالحة للتطبيق على الواقع، ورفعوا قيمة مبادئهم؛ حتى جعلوها مقياساً عامّاً لمبادئ الإسلام؛ فإن وافق مبدؤنا مبدأهم يقولون: إنه مبدأ سليم، وإن خالف فهو باطل.

وقد أشار القرآن إلى اتجاههم هذا، فقال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٨٧)، وقال أيضاً: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٨٥).

---

(١) للتوسعة ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، علوم القرآن التاريخية (تاريخ القرآن)، ص٢٢٣-٢٣٥.

(٢) تطور القرآن التأريخي، ص٧.

(٣) تاريخ القرآن، ص٣٤٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

فكأن كل مبدأ من مبادئ الفكر الغربي حقٌّ لا يتطرَّق إليه الشكُّ، وان كل مبدأ من مبادئنا لا يتفق معهم فهو باطل وغير جدير بأن يكون مشروع حياة.

ومِمَّا يؤسِفُنا اليوم أن نرى بعض دعاة الإسلام – ولا سيما المثقَّفين منهم – قد تأثَّروا باتِّجاه المستشرقين؛ فهم حين يرون مبدأ إسلاميّاً ينقده المستشرقون أو المؤسسات الغربية؛ لعدم موافقته لأحد مبادئهم يقومون بمحاولات بعيدة عن روح الإسلام للتَّوفيق بينهما أو إزاحة ما هو من صميم الحضارة الإسلامية، فكان ان نجحت هذه المؤسسات الغربية من خلال (إنها ضمت إلى صفوفها شريحة من الطبقة المثقفة من العالم الإسلامي، فتكفلت هذه الشريحة بمحاربة الإسلام نيابة عنهم).[1]

ومما نلحظه من محاولاتهم البائسة في تكييف قضية تعدُّد الزوجات؛ إذ ان التعدد لا يوافق ما عند الفكر الغربي، فقالوا: إن آية التعدد وإن أباحت التعدد؛ إلا أن الآية الثانية وهي: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (سورة النساء، الآية: ١٢٩) تنزل الإباحة منزلة الحرام، ولو أنَّهم خطوا خطوة أخرى لتجرؤ بالقول: إن الآية الثانية نسخت الأولى.

ان مثل هذه المحاولات المتأثرة بالفكر الغربي المتناغم مع اتجاه المستشرقين؛ نَجِدُ من أمثالها الكثير لدى المسلمين وفي كثير من القضايا الإسلامية، وهذا الاتجاه من أخطر ما أصاب الأمة الإسلامية من عمل المستشرقين، فكان ان تأثر المسلم باتجاههم وصار جزء من مبانيه المعيارية؛ وذلك ان جعلوا مبادئ الفكر الغربي مقياساً لمبادئنا من حيث لا يشعرون، ثم إن هذا إن دل على شيء؛ فإنما يدل على ضعف التزام الهوية الإسلامية، وقِلَّة الاعتزاز بالإسلام، ومن ثم نتيجة حتمية لهوان الشخصية المسلمة التي هجرت تعاليم القرآن الكريم واهملت وصاياه وقيمه العالية السامية وكل ذلك بسبب الغفلة عن أهداف الفكر الغربي والمستشرقين وخدعهم الماكرة.

رابعاً: تشويه الثقافة الإسلامية والتراث العربي الإسلامي

لقد أدرك كثير من المبشرين والمستعمرين الغربيين – ما لم يدركه بعض ابناء الأمة الإسلامية –

(١) د. المرزوقي علي الهادي، الغزو الثقافي الغربي (أسبابه، ومخاطره، ونتائجه)، ص١٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

عظمة الثقافة الإسلامية وانها مصدر عزّة الشرق والعرب والمسلمين، وأيقنوا أن الأمة التي لها هذه الثقافة لا يمكن أن تخضع أو تذل أو تبيد، لذلك صمموا على (خلق جيل من ابناء الأمة العربية والإسلامية مؤمن بثقافتهم، معجب بكل ما هو أجنبي، ليعمل ضمن إطار تحركاتهم وتوجيهاتهم بإفساد عقولهم وإبقائها متخلفة)[١]، من أجل هذا عمل التبشير الغربي في مجال التعليم على فرض ثقافته وتاريخه ولغته، واقصاء لغة العرب المسلمين وثقافتهم وتاريخهم الإسلامي لعزل شباب هذه الأمة عن ثقافه ومعارف ومعاني القرآن الكريم وسيرة وسُنة المعصوم ﷺ وان انحراف الشباب من أهم أسباب الحيلولة دون يقظة الأمة الإسلامية.

ونلحظ ذلك في استبقائها منطقة نفوذ سياسية واقتصادية وعسكرية له، يقول المبشر – صمويل زويمر: (إن أهم عمل لإخضاع العرب والمسلمين لا يتم عن طريق الجيوش والاحتلال، وإنما يتم عن طريق الثقافة والدين بإخضاع المسلمين للثقافة الغربية، وذلك ينزع منهم أبرز ما في الإسلام من علامات القوة والجهاد والمقاومة والوحدة، لذلك فإن علينا أن نضمن مناهج التعليم والثقافة ما يؤدي إلى هذا الاتجاه على أن يُنفذ ذلك بدقة ومرونة وعلى آماد طويلة، وأن نقيم معاهد ومدارس تجذب المسلمين إليها، حيث يتعلمون فيها كيف يعجبون بأوربا وأفكارها وعظمائها، وبذلك سيتحول ميزان النفسية الاسلامية والعقلية العربية من المقاومة والجهاد والخصومة إلى التقبل والولاء والإعجاب).[٢]

وهو ما يؤكده أيضاً المبشر (زويمر)، من أن الهدف من التبشير هو تحويل المسلمين عن التمسك بدينهم، حيث يقول في ذلك: (قد نجحنا نجاحاً باهراً عن طريق مدارسنا الخاصة، وعن طريق المدارس الحكومية التي تتبع مناهجنا).[٣]

ولهذا استغل المبشرون في المعاهد العلمية والمدارس لألقاء بذور الشك في نفوس النشء المسلم

---

(١) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص٥٠.

(٢) أنور الجندي، الموسوعة الإسلامية العربية الكبرى، ص١٠٢ – ١٠٣.

(٣) محمد قطب، معركة التقاليد، ص ١٨١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وإفساد عقيدتهم، وإشاعة إن دين الإسلام دين رجعي ومصدر تخلف المسلمين.[١]

خامساً: مسخ شخصية المرأة والأسرة المسلمة

أدرك أعداء الإسلام أهمية الأخلاق والحياء في المجتمع الإسلامي، فشنوا حرباً هدفها تدمير أخلاق المسلمين، وفي غمار هذه الحرب الضروس أيقنوا أن الأسرة المسلمة هي الحصن المنيع الذي يحمي الأخلاق الإسلامية وينميها، فوجهّ الغزو الفكري سهامه إلى ذلك الحصن الذي أُسس على الأخلاق، قاصداً تدمير ذلك الأساس بكل ما أوتي من مكر وخبث.

فالأسرة المسلمة أهم لبنة في بناء الأمة الإسلامية، وأن الخطر الذي يتهدد مشاريع وأهداف الغزو الفكري مازال قائماً بقيام الأسرة المسلمة، تلك التي تمثل حجر الزاوية في بناء المجتمع الإسلامي، وعروة العري في كيان الإسلام بما اشتملت عليه من تمسك بأسباب الوقاية والطهر، وبما انطوت عليه من مقومات الغيرة على الأعراض، والتي هي صنو للغيرة على الوطن.[٢]

فكان أبرز اهتمام الغزو الفكري الغربي بالفتاة المسلمة خاصة من أجل تحطيم الأسرة والقضاء على الجيل الذي تنشئه، إذ (لا يمكن للرجل قهرها، لأنه سهل على المرأة والحالة هذه أن تؤثر على إحساس زوجها وعقيدته فتبعده عن الإسلام وتربي أولادها على غير دين أبيهم).[٣]

كما وأثار الغزو الفكري شبهات عديدة حول الاحكام الشرعية التي تُعد جدار صد وحصن أمين للمرأة والأسرة المسلمة، ومن هذه الشبهات ما كان حول الحجاب والاختلاط والميراث وتعدد الزوجات وغيرها .[٤]

وأما على صعيد تحطيم المجتمع ولكي يسهل تطبيق التفسخ والانحلال دعوا الى (تحرير المرأة وشجعوها على الفساد وعلى ممارسة الجنس مع من تريد دون رابطة الزوجية، واعتبروا ذلك

---

(١) ظ: جون اسبيزيتو، الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع، ص٦١.

(٢) للتوسعة ظ: محمد هلال الصادق هلال، أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته، ص٧.

(٣) أنور الجندي، الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية، ص٢٩٢.

(٤) للتوسعة في بيان هذه الشبهات والرد عليها ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص٢١٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

علامة تحضرها ورقيها وتمدنها واعتبروها زهرة فواحة يحق لكل من يشتهيها ان يرشف ما شاء من رحيقها، فامتهنت بذلك كرامة النساء وصرن ذليلات مبتذلات والعوبة بيد الرجال ومكان تنفيس وتفريغ غرائزهم وقذاراتهم).[١]

ومع الأسف فقد أثمرت جهودهم الهدامة في كثير من أبناء المسلمين الذين درسوا في معاهدهم ومدارسهم، أو ممن ألجأتهم الحاجة أو الإعجاب إلى إتباع أفكارهم، كما اعتقد كثير من المنتسبين إلى الإسلام الأفكار الكافرة، كالفكرة الشيوعية، أو القومية البعثية[٢]، أو العلمانية، أو غير ذلك من الفلسفات الضالة[٣] التي عبثت بالأخلاق وشوهت القيم النبيلة وسخرت من الحصن الأمين الكامن في التشريعات الإسلامية الرامية الى حفظ كيان الفرد والأسرة والمجتمع الإسلامي من الانحلال والتهتك والمسخ البشع على طريقة ما يعانيه أبناء الغرب في منظومته القاسية المؤلمة.

سادساً: إخراج المسلمين عن ثقافة إسلامهم، وإبعادهم عن قيمهم التي تدفعهم إلى الحرية

ان الهدف من الغزو الفكري الغربي لا يخرج عن دائرة ما يريد الاستعمار تحقيقه، فإذا (ما تمكن المستعمر من إذابة المسلمين والعرب في بوتقة العالمية وصهرهم في الثقافة العامة، وإخراجهم من ثقافتهم وقيمهم لم يعد هناك مجال لتشكلهم بصورة خاصة، بصورة الذات والشخصية الخاصة، عندئذٍ تصبح الحضارة الغربية قد حققت أكبر انتصاراتها بإحالة المسلمين والعرب إلى عبيد، إذ يسود الجنس الأبيض الغربي صانع الحضارة..).[٤]

---

(١) د. وليد احمد عبد الشجيري، أساليب الغزو الفكري (العلمانية، العولمة)، ص١١٥٠.

(٢) حزب البعث: حرب قومي علماني، يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية، لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، شعاره المعلن (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة)، وهي رسالة الحزب، أما أهدافه فتتمثل في الوحدة والحرية والاشتراكية، ظ: الموسوعة الميسرة، ص٧٩.

(٣) ظ: د. حمود الرحيلي، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، ص٣٦٤.

(٤) أنور الجندي، الشبهات والأخطار الشائعة في الأدب العربي، ص ١٧٤، ظ: صموئيل بي هنتفتون، الاسلام والغرب– آفاق الصدام، ص٦٣.

وقد أجمعت خطط المبشرين ودراستهم وأبحاث مؤتمراتهم[١] على أن الهدف من التبشير هو انشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامي، والعمل على إبعاد كل العناصر التي تمثل الإسلام عن مراكز التوجيه والقيادة، وإذا لم تنجح دعوة التبشير في إدخال المسلمين في دين جديد فلا أقل من أنها تكون قد أخرجتهم من الإسلام أو شوهت تعاليمه في نفوس الشباب المسلم.[٢]

وأدرك الغرب قوة المقومات التي تسند اليها عقيدة المسلم، فأقروا أنه لا يمكن تحقيق الهدف (ما دام هناك لغة واحدة يتكلمها العرب والمسلمون ويعبرون بها عن آرائهم، وما دام هناك حرف عربي يربط حاضر المسلمين بتراثهم الماضي).[٣]

ومن أجل ذلك أثاروا الشبهات والاتهامات حول لغتنا العربية، واشاعوا فكرة الدعوة إلى الكتابة بالعامية بدل الفصحى بحجة أن الفصحى لا تستعمل في الحياة العامة، إن هذه الدعوى ظاهرة البطلان لأنها في حقيقتها تستهدف محاربة الإسلام وسلب مقوماته، ذلك بأن اللغة العربية الفصحى هي لغة القرآن الكريم، فضلاً عن أنها اللغة الوحيدة التي يعبر بها أهل العربية في جميع أقطارهم في مجال العلوم والآداب والفنون.[٤]

فمن المعلوم ان انحطاط المستوى الثقافي لأي أمة كانت مقرون ومتلازم مع انحطاط لغتها، والأمة الإسلامية تمثل اللغة العربية فيها وسيلتها المعرفية في فهم معاني وقيم الإسلام العظيم

---

(١) للتوسعة، ظ: لوشانلية، الغارة على العالم الإسلامي، افتراءات المبشرين، ترجمة: محب الدين الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

(٢) ظ: أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي، ص ٤٤٦، جون أسبيرزيتو، الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع، ص ٥٦، للتوسعة، ظ: عبد الباسط عبد الصمد احمد، الغزو الاوربي للفكر العربي الإسلامي، ص٥٧.

(٣) مصطفى الخالدي وآخر، التبشير والاستعمار، ص٢٤٤، ظ: إبراهيم خليل أحمد، الاستشراق والتبشير، ص٢١.

(٤) ظ: أنور الجندي، وسائل الاستشراق في التشويش على دعوة الإسلام، ص ٩٣، ظ: محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص٩٤.

ISBN: 978-9922-21-412-2

في مصادره الاصيلة القرآن الكريم وسنة المعصوم عليه السلام . [١]

وشاهدنا في ذلك هو إذا راجعنا التاريخ عرفنا أن من أهم أسباب ضعف الدولة العثمانية أنها جعلت اللغة العربية اللغة الثانية، وليست الرسمية حتى إنه في المدة الزمنية من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الهجري لا نلحظ في العالم الإسلامي ظهور لعالم أو مفكر، ولا نجد أديب نابه، ولا شاعر عظيم، ولا مؤلف ذكي، إلا ما يُعد على أصابع اليد، إذ كان الجهل يعم كل شيء، وكان لعجمة الدولة العثمانية سبباً واضحاً في تخلف المسلمين، فانهارت الحياة العلمية العقلية وأصبحت لا تجد شاعراً، ولا كاتباً تستطيع أن تقرأ له شيئاً يحرك الوجدان أو يلذ به العقل أو يمتع المجال الثقافي العام.

ومن خلال ما تقدم من أهداف وأساليب الغزو الفكر الغربي التي أدت الى مأساة وتخلف اجتماعي وثقافي فكري في صميم الأمة المسلمة يبدو للباحث أن الغرب في حقيقته قد احتفظ بالحنين إلىٰ تلك الحروب الهمجية الشرسة فهي ما تزال حيّة في نفسه، يقول القس اليسوعي – ميز – في معرض كلامه عن سياسة فرنسا الدينية في الشرق: (ان الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلىٰ أيامنا هذه، ولقد احتفظت فرنسا طويلاً بروح الحرب الصليبية وبالحنين إلىٰ تلك الحروب (وما تزال) حيّة في نفسها).[٢]

وبعد استيلاء العدو الإسرائيلي الصهيوني علىٰ القدس في حرب ١٩٦٧ كتب راندولف تشرشل عن حرب الأيام الستة، فقال: (إن إخراج القدس من سيطرة الإسلام هو حلم المسيحيين واليهود علىٰ السواء).[٣]

وتؤكد – مارجريت تاتشر (ت:٢٠١٣م) – رئيسة وزراء انجلترا السابقة، أن المعركة هي حول القيم و(المصالح)، اذ تقول عن المسلمين: (إنهم يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع

(١) ظ: د. المرزوقي علي الهادي، الغزو الثقافي الغربي (أسبابه، ومخاطره، ونتائجه)، ص٩.

(٢) مصطفى الخالدي وآخر، التبشير والاستعمار، ص١٢٧.

(٣) المستشار سالم البهنساوي، الغزو الفكري للتاريخ والسيرة بين اليمين واليسار، ص١٠٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

مصالح الغرب... وإنهم يمثلون أيديولوجية عدائية لأمريكا والغرب... فهم كالبولشفية[١] في الماضي... وكما كان الحال مع الشيوعية، فلابدّ من تبني استراتيجية طويلة المدى يتسنى لنا هزيمتهم).[٢]

وفي الواقع تغيرت الاستراتيجية القديمة الظاهرة المتمثلة بالغزو الصليبي العسكري إلى غزو فكري، تتحقق من خلاله ترويض المسلمين، (بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذي يغزون به (الفكر) الإسلامي، وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة في ميدان العقيدة والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة).[٣]

والسلاح الناقل للغزو الفكري الغربي في كل ما تقدم من أهداف كان في وسائل الإعلام، إذ اتَّخَذَ أعداء الأمة العربية والإسلامية وسائلَ الإعلام وسيلةً فعّالةً، لتنفيذ غزوهم الثقافي والفكري والقيمي، وذلك علماً منهم أن وسائل الاعلام تعمل في الرأي العامّ وتقوده الى ما تطمح إليه ما لا تعمله أي وسيلة أخرى، فشحنوها ببرامج مُدَمِّرَة للقيم العالية والمبادئ السامية وللأخلاق والمروءة والإنسانية وبكل ما يمتاز به دين الإسلام عن غيره من الأنظمة من الخصائص التي تضع الفرق بين الإنسان صنع الله تعالى والبهائم وشهواتها.

ويشتد الخطب إذا علمنا أن اغلب وسائل الاعلام العالمية – من وكالات للأنباء ومحطات وقنوات وإذاعات وصحف ودور نشر والاعلان والطباعة – تخضع للسيطرة الغربية والصهيونية العالمية.

وقد جاءت هذه التوصية في إحدى قرارات البروتوكول الثاني عشر من بروتوكولات حكماء

---

(١) والبولشفيك أقرب إلى أن يكونوا نظاماً دينياً منهم إلى حزب سياسي كسائر الأحزاب التي نعرفها في أوروبا. وللخلق المقام الأول عندهم. للتوسعة في هذا المصطلح ظ: د. حميدة بن عزيزة، تحولات التجربة الشيوعية: من البولشفية إلى الأوروشيوعية، ص٧٣.

(٢) نقلاً عن: د. محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء... وانصاف العلماء، ص٤٩.

(٣) د. علي محمد جريشة، محمد شريف الزيبق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص١٩.

صهيون، إذ ورد فيه (إن القنوات – أي وسائل الاعلام –، التي يجد الفكر الإنساني ترجماناً له يجب ان تكون خاضعة في أيدينا) .[1]

فكان إفساد العقيدة وتحطيم مظلة الأعراف الأخلاقية في نفوس الأفراد والمجتمعات الإسلامية، وإضعاف الصلة القوية التي تربط المسلم بدينه، وان (هذا هو ما أعلنه المبشرون جهاراً نهاراً، في تحد صارخ ومواجهة مستكبرة)[2]، فكان ان انطلقت تسري في جميع أوصال الأمة الإسلامية قذارات موبقات الحضارة الأوربية حتى وصلت في ظل الهيمنة الغربية إلى مرحلة الشيوع والاستفحال، ثم تطورت إلى مرتبة الاستقرار والاستحسان، ثم الاعتياد والاعتماد عليها كجزء من المظاهر اليومية في حياة المسلم، ثم وصلت إلى درجة مخيفة ان أصبحت تحت حماية القوانين الوافدة، ودخل في روع المغلوبين على أمرهم أن هذه المظاهر من الانحلال والفساد من ضروريات التحضر والمدنية في جوانبها الصحيحة.

نعم؛ ان ما نراه اليوم عند هؤلاء ليس بغريب علينا؛ إذ إن هذا كان غايتهم من قديم الزمان، ولقد كشف لنا القرآن غايتهم هذه، فقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٠٩)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ (سورة النساء، الآية: ٤٤)، وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي حذرتنا من أفعالهم واساليبهم الخبيثة ونبهتنا على نواياهم وأهدافهم السيئة نحو المبادئ الإسلامية.

المطلب الثاني: أهداف المؤتمرات التبشيرية وتطور استراتيجيتها:

لقد كان واضحاً تطور استراتيجية ميدان الغزو الفكري الغربي من خلال أهداف مؤتمراتهم، فكان من أهدافها:

---

(١) للتوسعة ظ: د. عبد الله عوض راشد العجمي، الغزو الفكري عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع، ص٣٨٦.

(٢) احمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ص١٤١، ظ: د. حمود الرحيلي، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، ص٦٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

١. إيجاد روابط وعلائق باسم الصداقة والتعاون.
٢. استمرار الجهود المبذولة لهدم الإسلام أو تطويره وجعله آلة من آلات الدعاية الاستعمارية لصيانة المصالح الأمريكية والغربية.
٣. إن المؤتمرات وسيلة من وسائل الاتصالات القريبة والمباشرة بالمسؤولين فـ(يعجمون عودهم، ويدرسون عن قرب، ويختبرون مدى مناعتهم ومدى استعدادهم للتجارب مع الأهداف الخفية للسياسة الاستعمارية، كما يختبرون مواطن القوة والضعف في كل واحد منهم، لمعرفة انجح الوسائل للاتصالات بهم والتأثير عليهم).[١]
٤. (خدمة الاغراض الجاسوسية الأمريكية التي ترسم الخطط السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة)[٢]، وهو ما أكده أبو القاسم سعد الله في ملاحظاته حول مؤتمرات تعقد في بلد عربي بتمويل غربي في الغالب، حيث كتب يقول: (فإن فيهم [الأجانب الذين يحضرون هذه المؤتمرات] من لا صلة له بهذا الميدان وبالإنتاج التاريخي، وإنما جاء لكي (يطلع) على ما جرى في الساحة الشرقية من آراء وأفكار، ويرصد ما في أذهان المتحدثين العرب والمسلمين من تيارات ونوايا ومخططات، ويتعرف على ما في كل بلد من هذا العالم العربي والإسلامي المحذق من الأشخاص يمكن التعامل معهم والاعتماد عليهم وقت الحاجة).[٣]

ونلحظ أن من أهداف هذه المؤتمرات: أنها تسعى إلى توسيع نطاق حركتها لاستمرار هذا النوع من الاستشراق، ونشر آرائه ووجهات نظره عالمياً، وتعمل على تعزيز الخطوط التي تخطط لها هذه المؤسسات لكي تصل إلى هؤلاء الذين يتمكنون من متابعة الفكر الاستشراقي ولكي تزيد من رقعة تأثيرها المباشر.

* المشاركون في المؤتمرات:

تناول محمد محمد حسين شخصيات المشاركين في هذه المؤتمرات فذكر أنهم يتدرجون تحت

(١) محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، ص٣٠، ظ: سناء كاظم كاطع، الفكر الاسلامي المعاصر والعولمة، ص١٧٥.

(٢) محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، ص٣١.

(٣) أفكار جامحة، ص ٢٦٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الطبقات الآتية:[١]

-**1** قسس يحترفون التبشير.

-**2** سياسيون يعملون في وزارت الخارجية الغربية.

-**3** الغربيون الذين يعرفون البلاد العربية.

-**4** مسلمون أمريكيو الثقافة، من الذين لهم القدرة على توجيه التفكير في بلدهم العربي فهم أما أستاذ جامعي أو رئيس تحرير أو وزير معارف.

* بحوثهم:

وقد أخذت بحوثهم طابعاً اتسم بظواهر معينة، نذكر منها:[٢]

١- التشويه المتعمد لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.

٢- التشويه المتعمد لصورة رجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم.

٣- تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور وخصوصاً في عصره الأول بالهمجية والتفكك والأنانية.

٤- تصوير الحضارة الإسلامية تصويراً دون الواقع، والتهوين من شأنها واحتقار آثارها، ولم يرق المسلمون في سلم الحضارة والتمدن إلّا بعد أن يتركوا دينهم.[٣]

٥- الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي، والحكم عليه من خلال أغلاط وتصورات مغرضة.

٦- اخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها بحسب أهوائهم، والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه، من النصوص.

٧- تحريف النصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً.

٨- تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به

---

(١) ظ: الإسلام والحضارة الغربية، ص١٢٤ - ١٢٧.

(٢) للتوسعة، ظ: د. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٩٨٧.

(٣) مصطفى الغلاييني، الإسلام روح المدنية، ص٣٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه فـ(خلطوا في مصادر الأحكام الإسلامية بين المصادر الإلهية (القرآن والسنة) وبين الاجتهاد، ونظروا إلى الجميع على أنها من صنع البشر فسووا بينها في المنزلة).[١]

وتجدر الإشارة هنا أن المستشرقين ما عادوا يستعملون هذا الاسم عليهم، وإنما جاؤوا بعنوانات أخرى تنسجم ومتطلبات العصر من التغيير، مع الحفاظ على الأهداف وإن تغيّرت العنوانات والأساليب، فهذا (برناد لويس يكتب مقالة طويلة بعنوان: (مسألة الاستشراق)، يتناول فيها ما توصل إليه المستشرقون في مؤتمرهم العالمي في باريس عام ١٩٧٣م، فكان مما قاله: (لقد أصبحت كلمة "مستشرق" منذ الآن فصاعداً ملوثة هي الأخرى أيضاً، وليس هناك أي أمل في الخلاص، ولكن الضرر هنا أقل؛ لأن هذه الكلمة كانت قد فقدت قيمتها، وحتى أولئك الذين كانت تدل عليهم تخلَّوا عنها، وقد تجلى هذا التخلي رسمياً في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين، الذي عقد في باريس صيف ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٣م، وكان ذلك التاريخ يصادف الذكرى المئوية لأول مؤتمر دولي للمستشرقين المجتمعين في المدينة نفسها).[٢]

وعلى كل الأحوال إذا أردنا أن نبسط الأمر بعض الشيء فيما يتصل بنوعية دراساتهم في محيط الفكر الإسلامي فانا سنرى أن هذه الدراسات على قسمين ما بين قادحة ومادحة:

فالأولى (القادحة) محددة الضرر حيث أن العداء المكشوف بصراحة يواجه بشعور مضاد من المسلم فيقف على حذر منه، أما الثانية (المادحة) فهي مضرة، لأنها تخدر المسلم وتجعله خاشعاً لها، ومن ثمة تسلبه إحساسه الدفاعي، فضلاً عن أن المدح منصب معظمه على الماضي وتصويره في صورة رائعة وهذا مما جعل المسلم يقف عاجزاً عن حاضره المختلف مكتفياً بالشكوى والحسرة.[٣]

ومن الأساليب الماكرة التي اتبعها الفكر الغربي الاستشراقي أيضاً، بأن يذكر المستشرق في

(١) د. علي جريشة، محمد شريف الزيبق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص١٨.

(٢) هاشم صالح، برنارد لويس، مسألة الاستشراق، في الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ص١٥٩.

(٣) ظ: مالك بن نبي، آراء المستشرقين وأثرها في الفكر الإسلامي، ص٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

اغلب الاحيان عيباً ثم يذكر عدّة محاسن ليست لها أهمية، وذلك من أجل تمكين ذلك العيب في نفس المسلم، فيستسيغه، فتُطمس في نظر المسلم والحال هذه جميع تلك المحاسن، على حين ان بعضهم يدس نسبة معينة من السم فلا يزيد عليها لكيلا يستوحش القارئ المسلم ويضعف ثقته بنزاهة المؤلف.(١)

يتضح من أهداف المبشرين في مؤتمراتهم وآلياتهم في تنفيذها أن الغاية لا تكمن في الترويج لدين سماوي (المسيحية)، وانما كانت الدعوة الى النصرانية (التنصير) غطاء ديني وهو وسيلة من الوسائل الطامحة للهيمنة الغربية وجزء من سياسية صليبية ضاربة الاعماق، وهو بهذا من أخطر وسائل الغزو الفكري الذي استخدم لهدم اركان الدين الإسلامي في نفوس المسلمين وتوهين أصالته في فكر اتباعه من الشباب المسلم، وذلك بإشاعة الانحلال والضعف فيهم ليستولي الفكر الغربي عليهم ومسخ هويتهم المسلمة.

ومن ابشع أسلحتهم خبثاً هو الربط بين واقع المسلمين وتأخرهم وانحطاطهم وجهلهم وبين الإسلام ذاته؛ وهو سلاح ماكر يصر أئمة الغرب ومفكريهم على استخدامه في اعلامهم وقنواتهم لصرف المسلمين عن التمسك بتعاليم الإسلام، يقول فرانسوا شاتليه (ت:١٩٨٥م): (ولا ينبغي لنا أن نتوقع من جمهور العالم الاسلامي، أن يتخذ له أوضاعاً وخصائص أخري اذ هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية (أي المستمدة من الإسلام) إذ الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الإسلامية وما يتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له سوف يفضي بعد انتشاره في كل الجهات إلى انحلال الروح الدينية من أساسها لا إلى نشأتها بشكل آخر).(٢)

يعنى ذلك أن يكون الإسلام عند الأمة المسلمة هو مجرد أن يحمل الإنسان فيهم اسماً إسلامياً كمحمد أو أحمد وان يؤدي بعض الشعائر الإسلامية والطقوس التعبدية ولا عليه بعد ذلك أن يكون منهج حياته من غير تعاليم وارشاد الإسلام وذلك وفقاً لما قاله الأب زويمر في مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م: (لا ينبغي أن يقنط المبشرون حين يرون نتيجة جهدهم ضعيفة، أن مهمتنا

(١) ظ: عبد العظيم محمود الذيب، المستشرقون والتراث ص٧٤٥.

(٢) ظ: عبد اللطيف محمد سيد أحمد، الغزو الفكري والثقافي للامة الاسلامية التحدي والاستجابة، ص٨١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الأولى ليست هي تنصير المسلمين وانما هي صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام وفي هذا نجحنا نجاحاً باهراً بكل تأكيد).[١]

مما تقدم اتضح كيف ان أثر الغزو الفكري في تصوير الإسلام والمسلمين، للرأي العام (الأوربي والأمريكي) بصورة مزرية بعيدة عن المستوى الحضاري، ولما كان الرأي العام الأوربي يستمد مادته من التبشير عن طريق الإعلام الأوربي الذي اسهم بتقنياته الهائلة بتزييف الحقائق و(اقناع الرأي العام والتأثير عليه، فقد استخدمت الصحف ومن ذلك الأمر العناوين المثيرة التي تستصرخ بداخل القارئ الفزع من الإسلام، مثل (المسلمون قادمون) و(الحروب الصليبية مستمرة) و(سيف الإسلام يعود من جديد) و(العالم يتحكم به بدو الصحراء وشيوخ البترول)!!، وما زالت هذه الحملات الاعلامية تظهر بين الفينة والأخرىٰ، مساهمة في ترسيخ صورة مغلوطة عن الإسلام كدين الكراهية والتعصيب والعنف..)[٢].

لذلك وقف الغرب موقف ازدراء وتنقص من حضارة المسلمين[٣]. اذ يقولون بأعلامهم: (ان الإسلام الذي كان حضارة عظيمة تستحق الحوار عنها قد أنحط وأصبح عدواً بدائياً لا يستحق إلا الاخضاع).[٤]

وهكذا فعل فعله الفكر الغربي التبشيري في تشويه معالم الدين الإسلامي ومصادره، ورسم لها صورة مشوهة باطلة بدعاية عامة وماكنة إعلامية ضخمة كلّها كذب وافتراء لم يعهد مثله في أهل ملة من البشر، حتّى ان تلك الصورة المشوهة قد استقرت في أذهان أهل الغرب وعقولهم، فكانت الحيلولة بين الشعوب النصرانية وبين الإسلام، وحجب محاسن الدين الإسلامي عنهم واقناعهم بعدم صلاحيته لأمة الغرب نظاماً للحياة ومنهجاً للعيش بوئام، ولعل هذا هو أخطر الجوانب

(١) نجيب العقيقي، المستشرقون، ص٣١٧.

(٢) د. محمد البشاري، صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، ضمن: الأقليات المسلمة في العالم، ٢٣٧/٣.

(٣) ظ: حلمي علي مرزوق، قضايا الأمة العربية، ١/ ٤٦، د. محمد الجوهري، حمد الجوهري، النظام السياسي الاسلامي والفكر الليبرالي، ص٧٤-٧٥.

(٤) د. محمد البشاري، صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، ٢٣٧/٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

التي قام بها الأعداء.

أما داخلياً: فهدفهم هدم الإسلام في قلوب المسلمين وقطع صلة المسلمين بالله تعالى، وجعلهم مسخاً مترددين لا يعرفون عوامل الحياة القويمة –العقيدة الحقة والشريعة الأصيلة والأخلاق الفاضلة– التي قامت عليها الحضارة الإسلامية.

ومن سُبل تحقيق هذا الهدف كان منه تمييع المناهج التربية الاسلامية باسم التطوير والتحديث ولم يكن الامر قاصراً على حذف مناهج التربية الإسلامية من المعاهد والكليات ان الامر امتد الى مناهج (الدين) في التعليم العام (الابتدائي والثانوي) وتقليص حصص الساعات، ومنه كذلك سوء اختيار معلم الدين (التربية الإسلامية) الذي كثيراً ما يكون متعمداً ليورث في اللاشعور في نفس التلميذ والطالب كراهية الدين والسخرية منه.

ومن ثمة تكون النتيجة المترتبة هو اخضاع الشاب في العالم الإسلامي للاستعمار ليتحكم في مقدراته وإمكاناته، بعد التفتت الذي نشأ من أسباب الغزو الفكري وتداعيات القائمين على مصدر القرار وتضعيف العقيدة والركود الذهني.(١)

لقد استخدم الغزو الفكري وما يزال، وسائل مختلفة وكثيرة يطورها بين الفينة والاخرى لتتناسب وروح العصر، والتسرب الى ان يكون جزء من الثقافة والحضارة العربية الإسلامية ومنه على سبيل المثال البسيط أسلوب يتبعه المُنصرون ومن تحالف معهم من أجنحة المكر والخبث والكيد، وصار يسري في مجتمعاتنا دون أن نشعر والذي نعيشه مرات دون أن ندري أو يسترعي انتباهنا، وهو ما طرأ على طريقة بناء المساجد في بلادنا فقد أصبحت مساجدنا الجديدة حديثة البناء في أغلبها تشبه دور العبادة المسيحية (الكنائس) إلى حد التطابق في بعض الحالات، ومن

(١) ظ: محمد البهي، الفكر الإسلامي في تطوره، ص ٥، محمد البهي، الاسلام في حياة المسلم، ص٤٧٧، د. محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، ص٥.

ولا يخفى أن الاستشراق ليس خيراً كله أو شراً كله، بل منهم من أنصف في دراساته عن التراث الإسلامي حباً للعلم واعجاباً بتراثنا الأدبي والعلمي، ظ: محمود إسماعيل، مقال عن كارليل، ص ح، محمد علي كرد، الإسلام والحضارة العربية، ١/ ٦٢. وما عنيناه في هذا المطلب هو الشق الثاني، وهو الأخطر.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ينظر إليها يهوله اختفاء الفن المعماري الإسلامي لها، والذي كان صفة مميزة ببعض الأشياء مثل القباب وشكل المئذنة بشرفاتها المرتفعة وقمتها المحدبة التي يعلوها الهلال، لقد اختفت أو كادت تختفي كل المعالم الأصلية، ومهما كان من الأقوال من أن القباب لم تكن على عهد رسول الله ﷺ إلا أنه لم ينه عنها، ومسجد رسول الله ﷺ في المدينة له قبة خضراء، والمسجد الحرام فيه قباب.

وقد دخل إلينا الطراز المعماري الغربي تحت عنوان الانفتاح على الغرب، وأصبحت القيم العقارية تخضع لنوع خاص من المباني يتبع المظهر الغربي الذي يحرص بعض الناس على إبرازه ليظهروا للناس تقدمهم حضارياً، وارتفاع قدرهم اجتماعياً وثقافياً.(١)

وفي نهاية المطلب الثاني بهذا الأمر الأخير من استهجان التأثر بالحضارة الغربية فكرياً وذوقياً لا يُفهم ان الإسلام منغلق عن الحضارات الإنسانية الاخرى، أو انه متقوقع على نفسه، إلا ان كل ما في الأمر انه دعوة الى بناء حضارة لها مبانيها المعرفية ومصادرها الأصيلة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي.(٢)

فالفكر الإسلامي حريص حتى على الشكل الخارجي للمساجد والجوامع بكل معالمها ومعانيها كجزء من الهوية الخاصة به، وهذا أمر موجود في كل الحضارات والنظريات في العالم القديم والمعاصر، بل ان بعض الأمم الغربية لا تستنكر وحسب وانما تعاقب على ارتداء الحجاب من قبل المسلمات في بلاد الغرب كفرنسا (ام الحريات كما يدعون) بذريعة انه يخالف هويتها وحضارتها الغربية.

المطلب الثالث: استراتيجية الاقتباس عن الغرب وطبيعته في الواقع الإسلامي المعاصر

ان هجمات الفكر الغربي – كما تقدم – تتوسل بطرق كثيرة لغزو الشعوب والهيمنة عليها في شتى المجالات ومن أهمها ما كان في أساسيات العالم الإسلامي وهي:

١. المجال السياسيّ: إذ كان فيه تغيير المفاهيم السياسيّة والعبث في البوصلة عن غاية

(١) ظ: د. المرزوقي علي الهادي، الغزو الثقافي الغربي (أسبابه، ومخاطره، ونتائجه)، ص٦.

(٢) للتوسعة في مباني المجتمع الإسلامي ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، المجتمع الإسلامي المعاصر، ص٣١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وجود الإنسان على الأرض، ثم فصل تعاليم الدين عن السياسة ثمّ تطور الأمر الى فصل الدين عن شؤون الحياة كلّها.

٢. المجال الاجتماعيّ: وكان فيه العبث بالقيم الأصيلة المبنية على مصادر التشريع واستبدالها بالقيم الغربيّة الوافدة التي تنطلق من مبناها المادّي للحياة والانسان والكون والتي بطبيعتها تنكر الجانب الغيبيّ تماماً، وهو ما يتوافق مع الرؤى الغربيّة لمعنى الازدهار الذي يعني (أنّه يجب على أيّ دولة تريد أن تصبح غنيّة وقويّة، أن تتعلّم كيف تعيش وتفكّر مثل الغرب).[١]

٣. المجال الاقتصادي: وكان فيه ان استغل الغرب خيرات البلاد الإسلامية واستنزاف طاقاتها أما في حروب عسكرية عبثية كالتي كانت في حرب الخليج الأولى والثانية، أو جعل المجتمع الإسلامي مجتمع غير منتج فيكون فيه الناس أسرى لفلسفة الاستهلاك، وهذا اللون من الواقع الاقتصادي فرض على الناس التزامات جعلتهم أسرى مكبلين يسيرون في استراتيجية مفروضة عليهم سلفاً ومخطط لها مسبقاً، لكنهم في الحقيقة قد اختاروها طوعاً ظناً منهم أن ثقافة استهلاك منتجات الغرب والتبعية الاقتصادية له من دلالات التحضر والعصرنة، في حين انها من دلالات الكسل والخمول والكساد وان بلدانهم بهذا لا تعدو عن كونها سوق لتصريف ما ينتجه الغرب.

٤. المجال المعرفيّ والفكريّ: وكان فيه التشويش على منهجية العقل المسلم في تفكيره، إذ ان منطلقات المسلم المعرفية مرتكزة على التوحيد، أما الانموذج الغربي فمرتكزة منهجيتها المعرفية والفكرية على المادّة ومفاهيمها وتصوّراتها الفلسفية المتأثرة ببيئة غربية هجينة ومتناقضة مع المنظومة المعرفية الفكرية الإسلاميّة من حيث المفاهيم والقيم والتصوّرات، ومن ثمّ شغل العقل المسلم بصراعات دخيلة عليه وواردة من تجربة العقل الأوروبيّ البعيدة عن حقيقيّة واقع عقل الفرد المسلم وإشكالات نهضته ومعاناته.

وهذه المجالات بطبيعة الحال من تحديات الفكر الإسلامي مع مواجهة الدعوات التي تتعالى

(١) جوستين ماكارثي، سياسات الإصلاح العثمانيّ، ص٦٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

من أوساط ابناءه بين وقت وآخر باسم المعاصرة والحداثة والتقدم والتفتح والتحرر، وهي في حقيقتها أصوات لا تفقه كثيراً مما تقول إلا انها تجيد في أماكن كثيرة تزويق الكلام ومناغمة الغرائز.

والملاحظ عليها الثقافة في نظرتنا العامة، إلا ان المتمعن فيها يجدها صادرة من انصاف المتعلمين أو أصحاب العلم الناقص، وهم أخطر على الأمة من جهالها البسطاء، وهم من أعظم المحن التي أسهمت في تأخر المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة؛ لأنَّ الجاهل إذا قيض الله سبحانه له من يرشده ويبصره بجهله، وينبهه على عيوبه التزم الطريق وسلك الحق بلا عناد او انفة، وأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقتنع بأنه لا يدري، وكما قيل: ابتلاؤكم بمجنون خير من ابتلائكم بنصف مجنون، ونقول ابتلاؤنا بجاهل خير من ابتلائنا بشبه عالم.

وفي وصف حال ادعياء العصرنة يقول استاذنا العلامة الدكتور محمد حسين الصغير (رحمه الله تعالى): (يقولون ما لا يفهمون، ويريدون منا ان نفهم ما لا يعرفون).

نعم؛ فهم في صيحاتهم – سامحهم الله تعالى وهداهم – تخدم التغريب والتبعية للفكر الغربي التي تريد ان تقضي على ما تبقى من القيم الأخلاقية والانسانية في هذه الأمة، ويرون ان البقاء على التراث رجعية وتخلف، ونسوا أو تناسوا ان الاصالة ليست تشبثاً بالماضي أو انغلاقاً عليه أو تعصباً له وليست تقديساً للتاريخ لكل ما فيه ومَن فيه، لكن الأصالة في مفهوم الحضارة الإسلامية هي إيمان بالقيم القرآنية الثابتة وعمل بهدايات سُنة المعصوم ﷺ ومحافظة على كيان الأمة الإسلامية وذاتيتها الاصيلة الجامعة لشتى القوميات واللغات المنصهرة في حب ووئام في بوتقة سماحة الإسلام الدين القيم.

وفي هذا المطلب رؤية عامة عن استراتيجية الاقتباس عن الغرب والتي تحافظ على كيان المجتمع الإسلامي وخصوصيته التي أرادها الله سبحانه له.

أولاً: تعريف الاستراتيجية: هي خطط أو طرق توضع لتحقيق هدف معين على المدى البعيد اعتماداً على التخطيطات والإجراءات الأمنية في استخدام المصادر المتوفرة في المدى القصير. ومفهوم الاستراتيجية عموما: هي مجموعة السياسات والأساليب والخطط والمناهج المتبعة من

ISBN: 978-9922-21-412-2

أجل تحقيق الأهداف المسطرة في أقل وقت ممكن وبأقل جهد مبذول.(١)

ثانياً: تعريف الاقتباس ومعناه:

الاقتباس في اللغة: يعني الأخذ، وعند اقتران الاقتباس بالعالم فإنه يعني الاستفادة (اقتبست منه علماً: أي استفدته، وفي حديث العرباض: أتيناك زائرين ومقتبسين، أي طالبي علم) وفي الحديث أيضاً: من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر.(٢)

وقد ورد لفظ الاقتباس في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

١- قوله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً﴾ (سورة طه، الآية١٠).

٢- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾سورة الحديد، الآية:١٣).

٣- وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾(سورة النمل، الآية: ٧).

فنلحظ أن الاقتباس في المواضع الثلاثة يُفيد معنى الأخذ.(٣)

والظاهر من المعنى اللغوي: ان الاقتباس يفيد مطلق الأخذ، سواء أكان نافعاً أم ضاراً، بيد انه يمكننا تغليب جانب الأخذ النافع فقط، استناداً إلى ما ورد في القرآن الكريم.

وأما المعنى الاصطلاحي، فيمكن تحديده بانه: ان تأخذ أمة من الأمم العلوم والأفكار والمبادئ والعادات والتقاليد والتنظيم الإداري ووسائل العيش عن غيرها من أمة أو من أمم متعددة.

ضوابط وشروطه وطبيعته في الواقع المعاصر: يرى الفقهاء ان الأصل في الأشياء:

---

(١) ظ: محمد خير أبو حرب، المعجم المدرسي، ص٤٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ١٦٧، مسند أحمد، ٤/ ١٢٧.

(٣) ظ: الزمخشري، الكشاف، ٣/٥٥، ٤/٤٧٤، ٣/٣٥٤، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٩/٣٧٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الإباحة[1]، وقد ورد في الحديث الشريف: «الحكمة ضالة المؤمن، فحيثما وجدها فهو أحق بها»[2] ما زال لا تصطدم بنص إسلامي صريح، أو موقف إسلامي مستقر.[3]

والإسلام دين عالمي ومشروع حضاري لا يقف عند حد من الحدود، فلهذا كان متماشياً مع سبل التعايش مع الامم الأخرى.

يقول جوارافسكي: (والحقيقة ان الإسلام لم يعط اوربا معارف جديدة، وحسب، بل أثر جوهرياً في طبيعة نمو العمليات الثقافية وتطورها، وساعد في كثير من الحالات على تشكيل الوعي الذاتي الأوربي).[4]

والإسلام لا يمنع المجتمع الإسلامي من الأخذ بأحدث ما ابتكره العقل البشري من تنظيمات وطرائف فنية، وأساليب تكنولوجية، وصيغ إدارية، للتعامل الكفء والفاعل مع الأشياء، بهدف إعمار الأرض، وتقدم المجتمع، ولكن لابدّ من أن يخضع الاقتباس لضابط العقيدة التي تُخضع جميع عوامل الاخذ عن الاخر إلى نطاق حدود التشريع الإسلامي، فهي تمثل الحصانة الواقعية من كل دخيل على الإسلام، ويمكن عرض بعض هذه الضوابط ضمن القسمين الآتيين:

أ- ضوابط المقتبس وشروطه:

١- ان يكون المقتبس من العلوم النافعة، والنظم والأساليب التي لا تمس جوهر الدين، وتتماشى مع تعاليم الإسلام وعقيدته، وأن يسهم المُقتبَس بشكل فعال ومباشر في تحقيق أهداف الإمة وخدمة مصالحها، وأن يكون مراعياً لخصوصيتها، من حيث طبيعتها، وبيئتها الإسلامية، وأن يُراعى فيه النوع لا الكم.[5]

---

(١) ظ: ابن إدريس الحلي، السرائر، ١٠٤/٣، المحقق الحلي (ت:٦٧٦ هـ)، الرسائل التسع، ص١٣٦.

(٢) الكليني، الكافي، ١٦٧/٨، الهندي، كنز العمال، ١٠/ ١٤٨، الحراني، تحف العقول، ص٢٩٤.

(٣) ظ: د. محمد أمين حسن محمد بني عامر، الاقتباس عن الغرب ضوابطه وحدوده.. أسبابه وآثاره، ص٢٣٢.

(٤) اليكسي جوارفسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص٤٢.

(٥) ظ: سيد قطب، معالم الطريق، ص١٣٨ – ١٤٨، محمد أسد، الإسلام على مفترق طرق، ص٥١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢- أن تكون الأمة في حاجة ضرورية لهذا الاقتباس، مع عدم توفر البديل له ضمن إمكانات الأمة.(١)

٣- تحري الدقة في الاقتباس، والتمحيص الدقيق للمُقتَبِس، من أجل تمييز الخبيث من الطيب، ثم تحكيم موازين الشريعة فيه، لبيان صلاحيته، فإن كان كذلك أدخل إلى مرحلة التمحيص الثانية (المعالجة)، وإلّا فيرد.(٢)

٤- إعادة المُقتَبَس إلى أصوله الإسلامية، إن كان له أصل في الإسلام، وتحكيمها فيه، وتقويم انحرافاته من خلالها، وتخليصه من شوائبه، ثم بعد ذلك يتم اقتباسه وإدخاله إلى المجتمع الإسلامي، والاستفادة منه.

أي بمعنى أسلمه المُقْتَبَس أولاً، ثم بعد ذلك يكون الاقتباس.(٣)

٥- مراعاة عملية التدرج في الاقتباس، فيقدم الأهم على المهم، ولا يؤخذ المهم إلّا بعد الفراغ من الأهم، مسايرة مع قاعدة الضرورة.

٦- مراجعة العناصر التي سبق تحديدها للاقتباس، بين حين وآخر، بغية تقليصها أو الاستغناء عن بعضها، فقد يكون عامل الزمن سبباً في استغناء الأمة عن بعضها، فما احتجناه بالأمس ليس شرطاً أن يكون في نطاق حاجة اليوم.(٤)

طبيعة الاقتباس في العصر الحاضر وحدوده:

فاجأت صحوة أوربا الهائلة المسلمين وهم في غفلة من أمرهم وبُعد عن دينهم، وجاءهم الاحتلال، ومن بين يديه ومن خلفه ابداعات حضارية أخّاذة وفاتنة، وزاد الطين بلّة: أن كان المسلمون في مدة ركود حضاري وجمود اجتماعي سببه الأول: التفريط في تطبيق دينهم تطبيقاً

(١) ظ: محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص١٠٥.

(٢) ظ: منى عبد الله حسن داود، جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، ص٦٥.

(٣) ظ: د. أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، ص٦٨.

(٤) ظ: منى عبد الله حسن داود، جوانب من الواقع التربوي، ص٦٦.

صحيحاً، لذلك كانوا هم الطرف الضعيف في هذا الصدام، وتبعاً لهذا كانت لديهم قابلية شديدة للتأثر وتشرُّب الانماط الوافدة، خصوصاً ذات البريق الاجتماعي.

من هنا بدأت دورة الاقتباس والنقل عن غير ملة الإسلام والانكباب على اشكال حياتهم وأساليبها المظهرية، من غير تمييز بين المباح وغير المباح، بل أخذت عن غيرها كل ما وجدته من دون وعي ولا بصيرة، ولم تراع مدى موافقته لتعاليم الإسلام وعقيدته، لانبهارها وخنوعها أمام الحضارة الغربية، وفقدها عزتها واستعلائها بابتعادها عن دينها الحق.(١)

وبداهة لم تكن عوائد غير أمة الإسلام (اهل الكتاب أو الكفار) شراً كلها، ولكن قانون الاجتماع البشري، وطبائع الأشياء تقتضي بأن الاقتباس هنا لا يكون إلّا في قشور الأشياء، وليس في لباب الحضارة، وقد سجل المؤرخون وعلماء الاجتماع هذه الظاهرة مراراً، ومنهم ابن خلدون (ت:٨٠٨هـ) إذ أشار إلى: (إن المغلوب مولع ابداً بالغالب في شعاره وزيه، ونحلته وسائر أحواله وعوائده، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم (الجلالقة)، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم، والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء، والأمر لله).(٢)

ونلحظ أن ما قاله ابن خلدون في مقدمته ينطبق تماماً على معظم بلاد المسلمين في ذلك الوقت، وقد صور محمد محمد حسين هذا – بالنسبة لعصرنا – فقال: (كان المترفون من الأغنياء يتهافتون على ما تخرج المصانع الأوربية من وسائل الترف، حتى غدت توافه الكماليات من الزم الضروريات، وأصبح قصارى ما يبلغه أحدهم من التمدن أن يتقن تقليد الأوروبيين في استعمال أدوات المائدة الأوربية وأن يسبغ على نفسه وعلى بيته من جو أوروبي خالص، يظن أنه المقياس

(١) ظ: محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص١١، د. محسن عبد الحميد، أزمة المثقفين تجاه الإسلام، ص٤٤.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص١٤٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

للمدنية والرقي).[1]

وبكلمة: نلحظ أن الاقتباس من غير مراعات الاحترازات فيه مضار نلحظها في:

١- تفريغ افكار أبناء الإسلام وقلوبهم ونفوسهم من محتويات الإسلام ذات الجذور العقلية والعاطفية والوجدانية والأخلاقية، وانتزاع كل آثار الإسلام، وهو ما يطلق عليه بـ(عملية غسل الدماغ).

٢- الاستصغار أمام أصحاب الحضارة الغربية في العالم الإسلامي على مستوى الفرد والدولة.

٣- الانهزامية وفقدان الشعور بالمسؤولية تجاه الإسلام والأمة.

٤- الاقتباس عن الغرب يجب أن يراعي فيه النافع الذي لا يتعارض مع العقيدة، ويطرح منه الضار الذي يتعارض مع الدين، ويجب وضع ضوابط محددة للاستفادة من الأمم الأخرى.

٥- لابدّ من العودة إلى العلوم الإسلامية الأصيلة وتطويرها، مستفيدين من علوم الغرب فيما يندرج تحت قواعد الإسلام ومنهجه.

ونلحظ ايضاً ان المجتمع الإسلامي يتميز عن كل المجتمعات البشرية الأخرى ولا يخضع لما تخضع له قوانين وتطور، ومثل هذا الفهم يرفع المجتمع الإسلامي وبالتالي ظواهره جميعاً، عن مستوى البحث الإنساني، ويقول أحد الكتاب حرفياً: (إن المجتمع في الإسلام إنما ينبثق من التلازم الوثيق بين التصور الاعتقادي وطبيعة النظام الاجتماعي... ذلك التلازم الذي لا ينفصل ولا يتعلق بملابسات العصر والبيئة... يتميز المجتمع الإسلامي عن المجتمعات الاخرى التي نشأت وفق مقتضيات أرضية ونتيجة صراع داخلي، ومصالح متعارضة.. ولذا فليس يندرج تحت تاريخ التطور الاجتماعي ولا تصدق عليه القوانين الاجتماعية التي تصدق على أوربا، فهو مجتمع شريعة كاملة)[2]، ولا يقتصر هذا التعالي عن دراسة الظاهرة الدينية، ولكن كل ظواهر

---

(١) الاتجاهات الوطنية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٨٤/٢.

(٢) عمر عودة الخطيب، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، ص١٩٢، ويقول سيد قطب بالرأي نفسه، ظ: نحو مجتمع إسلامي، ص٦٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المجتمع الإسلامي من سياسية واقتصادية وغيرها لا تصدق عليها قوانين أوربا، ليس لأنها أوروبية خاصة، ولكن لان المجتمع الإسلامي ذو طبيعة مختلفة أساساً عن بقية المجتمعات، وظواهره كاملة وسرمدية .[١]

ونلحظ أيضاً إن الانحراف في العقيدة ينعكس انحرافاً في إدراك مفهوم الأمة.. ويؤدي إلى ان تكون الأمة محكومة بالتجزئة، وخاضعة لتأثيرات شتى، تماماً كما هو حالها اليوم في ظل المؤثرات المذهبية والقومية، وهذا الوضع الذي آلت إليه الأمة ليس نتيجة لعدم سلامة العقيدة بل نتيجة للانتماء الشكلي إليها ومحاولتها تقمص شخصيتين في آن واحد، وهذا أمر لا يمكن وقوعه عقلاً ومنطقاً ونتيجته واضحة في ضياع كلا الشخصيتين والضلال الحتمي في الدارين، قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (سورة النساء، الآية: ١٤٣).

وهذه النتيجة معلومة العواقب لمن خالفوا المنهج التربوي الإسلامي وساروا في طريق الضلال، فنسوا الله تعالى وتعاليمه المرشدة، ورجحوا اتباع الشهوات والأفكار الغريبة الوافدة على ذكر الله سبحانه وتعاليمه القرآنية، وملأوا الدنيا فساداً بغير هدي، وأخيراً ذاقوا وبال أعمالهم السيئة في الدنيا، وسيذوقونه في الآخرة أيضاً، ولا مناص للصلاح والنجاة إلا بالعودة الى ما جعل من هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وسادت عصرها فكانت أفضل أمة لمن جاورها من الأمم آنذاك، يقول أستاذنا العلامة الدكتور محمد حسين الصغير: (ولا يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها إلا وهو صدق العبادة).[٢]

نعم؛ ان التربية القرآنية هي التي أخرجت جيلاً متماسكاً لا مثيل له، ونشرت النور في كل مكان، وأدنى مراجعة لعهد الدعوة المحمدية الشريفة يلحظ صلاح أهل بيته عليهم السلام وصحبه المنتجبين آنذاك، ونعلم كيف تربّى الجيل المسلم الأول على هدي القرآن الكريم والسيرة العطرة للمعصوم عليه السلام ، فنتج عندنا مجتمع إسلامي قدوة لسائر الأمم المعاصرة له آنذاك، وحينها لا

(١) ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، أهداف الغزو الفكري والتبشيري في المجتمع الإسلامي، ص١٣.

(٢) التفسير المنهجي للقرآن العظيم، ٦٥/١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

نستغرب كيف تحصّن الفرد والمجتمع الإسلامي من فتن الانحراف عن الصواب، وكيف اعتز بهويته ودينه، فكانت فخره وشرفه، وبعقيدته كان بناء حضارته الإسلامية.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة والاطلاع على الملامح العامة لمفهوم الغزو الفكري الغربي لحضارتنا الإسلامية يكون محط الرحال في الخاتمة وكان فيها:

١. ان أهم أركان الغزو الفكري الغربي هما ركنا الاستشراق والتبشير وهما نواة الغزو الفكري الغربي الحديث الكامن في (العولمة والعلمانية).
٢. ان الحضارة الإسلامية من حيث اصالتها وقيمها فهي مستمدة من معين السماء، إلا ان هذه الأصالة لا يمكن ان تعطي ثمارها ما لم يتفاعل معها أبناء الأمة الإسلامية وتكون منهج لحياتهم اليومية.
٣. لحظنا إن التيارات الفكرية، والحركات المعاصرة، تعمل بكل ما تملك من إمكانات على غزو الأمة الإسلامية غزواً فكرياً يمعن في تفتت الأمة، ويضعف من شكيمتها، ويقيد حركتها ويبعدها عن واقع مشاكلها وهمومها وطموحها.
٤. اتضح أن التنصير هو عملية سياسية صليبية وليس مجرد محاولة لنشر الديانة المسيحية وهو أذن من أهم وسائل الغزو الفكري التي استخدمت لهدم الدين الإسلامي وتوهين عراه في نفوس شبابه المسلم.
٥. ان سوق الأفكار أخطر أسواق المنتجات، وأكثرها تقبلاً للتزييف والإفساد، ومن ثم حفلت أسواقنا بما هو أشد فتكاً من السموم أفكار ترتدي أثواباً أو تحمل شعارات أو ترفع مشاعل ليس الثوب فيها، أو الشعار، أو المشعل، إلا قناعاً يستر الزيف والخطر.
٦. لقد استخدم الغرب الغزو الفكري، وما يزال، فهناك وسائل مختلفة وكثيرة يطورها بين حين وآخر لتتناسب وروح العصر للتقليل من قيمة التراث الإسلامي والعقيدة الإسلامية.
٧. ظهر أن الاقتباس من الغرب يجب أن يراعى فيه النافع الذي لا يتعارض مع العقيدة، ويطرح منه الضار الذي يتعارض مع الدين، ويجب وضع ضوابط محددة للاستفادة من الأمم الأخرى.
٨. المرجفين والمتخاذلين وانصاف المثقفين المحسوبين على الأمة الإسلامية لا يقلون خطراً وخبثاً على كيان الأمة الإسلامية من العدو الخارجي المتمثل بالغزو الفكري الغربي.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٩. لقد كان المحور الفكري موضع رعاية واهتمام من قبل علمائنا ومفكرينا، إلا كونهم غير مبسوطي اليد كانت المعالجات في أغلبها فردية حماسية خطابية لا تصل مبلغ الطموح في ردع الغزو الفكري ناهيك عن الوقاية منه.

١٠. الاصالة والاعتزاز بقيمنا الإسلامية تحتم علينا ان نواجه الاقتباس عن الغرب بحكمة بالغة، والتنبيه من محاذيره من حيث ضعف الشخصية وذوبان الهوية والتذبذب بين حضارتين يعني ضياع الأمرين.

١١. الغزو الفكري الغربي لا ينجح في غزوه الثقافي، ولا يتحقق ما يصبو إليه إلا إذا كان المجتمع عنده القابلية لتقبل الغزو، وبسبب هذا التقبل هو تفكك بنيته الاجتماعية والثقافية وركوده الفكري وغياب المدرسة العقلية الواعية فيه.

١٢. الإعلام بكل أشكاله (من قنوات فضائية ومحطات إذاعية ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها) يُعد أخطر سلاح بيد الغزو الفكري الغربي ولازال التحدي قائم قبال هزال الإعلام العربي الإسلامي.

١٣. ان الأمة الإسلامية ذات حضارة شاملة ومتنوعة متعايشة مع الأمم والحضارات الأخرى وهي بهذا غير مغلقه على نفسها، فكان هناك استراتيجية في التفاعل والاقتباس من غيرها.

١٤. تحتم استراتيجية اقتباس الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم أن يُراعى فيه النفع الذي ينسجم مع دين الإسلام، ويطرح منه المضر الذي يتعارض معه، ومن خلال ضوابط معينة.

١٥. اتضح ان واقعنا لا ينصلح إلا بما صلح به أولنا، ولا تسلم أمتنا من الضلال إلا بالتمسك بما أوصى به نبينا الأكرم ﷺ وهو التزام هدي الثقلين: الكتاب العزيز والعترة الطاهرة.

قائمة المصادر

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم.

١. أحمد طالب الإبراهيمي، حوار الحضارات، مجلة العربي، العدد٤٧٧، ١٩٩٨م.

٢. أحمد عبد الرحيم السايح، مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣. احمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٨١م.

٤. إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة والإنشاء والسلطة، ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت، ١٩٨١م.
٥. أكرم ضياء العمري(الدكتور)، التراث والمعاصرة، سلسلة كتاب الأمة، بيروت.
٦. أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الرسالة، بيروت.
٧. أنور الجندي، الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
٨. أنور الجندي، سموم الاستشراق والمستشرقين، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (دت).
٩. أنور الجندي، وسائل الاستشراق في التشويش على دعوة الإسلام، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٢، السنة ١٠، ١٩٧٧م.
١٠. جوستين ماكارثي، سياسات الإصلاح العثمانيّ، ترجمة: عبد اللطيف الحارث، مجلّة الاجتهاد، العدد ٤٥-٤٦، بيروت، ٢٠٠٠م.
١١. جون اسبيزيتو، الخطر الإسلامي بين الوهم والواقع، ترجمة: د. هيثم فرضت، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ٢٠٠٢م.
١٢. حسن أبو عبد، الغزو الفكري، مجلة هدى الإسلام، العدد٧، السنة ٢٧، الأردن.
١٣. حلمي علي مرزوق، قضايا الأمة العربية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
١٤. الحلي (المحقق) (ت ٦٧٦)، الرسائل التسع، تحقيق: رضا الاستادي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، ١٤١٣ هـ.
١٥. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي(الدكتور)، تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة (٣٥)، العدد (١٢١)، ١٤٢٤هـ.
١٦. حميدة بن عزيزة (الدكتورة)، تحولات التجربة الشيوعية: من البولشفية إلى الأوروشيوعية، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٣٠، العدد ٤، ٢٠٠٢م.
١٧. سناء كاظم كاطع (الدكتورة)، الفكر الإسلامي المعاصر والعولمة، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠١م.
١٨. صموئيل بي هنتفتون، الإسلام والغرب-آفاق الصدام، ترجمة: مجدي شرشر، مكتبة

مدبولي، القاهرة ،١٩٩٥م.

١٩. الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، الأميرة للطباعة، بيروت، ٢٠٠٩م.

٢٠. طه حسين(الدكتور)، مستقبل الثقافة في مصر، طبعة القاهرة، ١٩٣٨م.

٢١. عادل عباس النصراوي (الدكتور)، أساسيات فهم النص القرآني ومصادر دراسته عند المستشرقين، مجلة دراسات استشراقية، العتبة العباسية المقدسة، السنة الثالثة – ربيع ٢٠١٦م / ١٤٣٧هـ، العدد ٧.

٢٢. عبد الباسط عبد الصمد احمد، الغزو الأوربي للفكر العربي الإسلامي، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة بغداد،١٩٨٧م.

٢٣. عبد الجبار ناجي، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، دار الجاحظ، بغداد،١٩٨١م.

٢٤. عبد العظيم محمود الذيب، المستشرقون والتراث، بحث منشور في حولية كلية الشريعة، جامعة قطر، مطابع الدوحة الحديث بقطر، ١٩٨٥م.

٢٥. عبد الله عوض راشد العجمي (الدكتور)، الغزو الفكري عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، المجلد ٢٤، العدد ٧٩، ٢٠٠٩م.

٢٦. علي المؤمن، النظام السياسي الإسلامي الحديث وإشكاليات الاقتباس من الأنظمة السياسية الوضعية، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٧. علي الهادي المرزوقي (الدكتور)، الغزو الثقافي الغربي (أسبابه، ومخاطره، ونتائجه)، مجلة كليات التربية، ليبيا، ٢٠١٨م، العدد ١٢.

٢٨. علي لبن، الغزو الفكري في المناهج الدراسية، دار الوفاء، مصر ،١٩٨٧م.

٢٩. علي محمد جريشة(الدكتور)، محمد شريف الزيبق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام،١٩٧٧م.

٣٠. عماد الدين خليل (الدكتور)، دراسة في السيرة، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٧م.

٣١. عمر عودة الخطيب، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥ ،١٩٨٠م.

٣٢. عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢،

١٩٧٧م.

٣٣. عوض عبد الهادي عطا، المستشرقون والسيرة النبوية، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد ٥٧، السنة ١٥، ١٤٠٣هـ.

٣٤. الغزو الفكري، أسئلة وأجوبة، موقع كلمات: w.w.w.Kalemat.org.

٣٥. أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٨م.

٣٦. كانون سل، تطور القرآن التأريخي، ترجمة: مالك سلماني، لندن، بريطانيا، ط: ٤، ١٩٢٣م.

٣٧. لوشانلية، الغارة على العالم الإسلامي، افتراءات المبشرين، ترجمة: محب الدين الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٣٨. مالك بن نبي، آراء المستشرقين وأثرها في الفكر الإسلامي، مجلة الفكر الإسلامي، دار الفتوى الإسلامية، بيروت، العدد ٥، السنة ١٩٧١،٢م.

٣٩. محمد إدريس الطعان(الدكتور)، الشغف بالغرب والازمة النفسية للمثقف المسلم، مجلة الحياة الطيبة، بيروت، العدد١٩، السنة٦، ٢٠٠٦م.

٤٠. محمد أمين حسن محمد بني عامر (الدكتور)، الاقتباس عن الغرب ضوابطه وحدوده.. أسبابه وآثاره، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، المجلد ١١، العدد ٢٩، ١٩٩٩م.

٤١. محمد البشاري(الدكتور)، صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، ضمن: الأقليات المسلمة في العالم، تحقيق: رعد هادي جبارة، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

٤٢. محمد البهي، الإسلام في حياة المسلم، مكتبة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ط٥ ،١٩٧٧.

٤٣. محمد الجوهري حمد الجوهري(الدكتور)، النظام الإسلامي والفكر الليبرالي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م.

٤٤. محمد خير أبو حرب، المعجم المدرسي، مراجعة: ندوة النوري، دمشق: وزارة التربية، ١٩٨٥م.

٤٥. محمد الدسوقي(الدكتور)، الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه، مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، السنة الثانية، الكتاب الخامس،١٩٩٦م.

٤٦. محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، ط٣،

١٩٨٣م.

٤٧. محمد حسين الصغير(الدكتور)، التفسير المنهجي للقرآن العظيم، دار الكفيل للطباعة، كربلاء المقدسة، ٢٠١٨م.

٤٨. محمد ضياء الدين الريس(الدكتور)، النظريات السياسية الإسلامية، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٦٧م.

٤٩. محمد عز الدين الغرياني، مباحث في الفكر والثقافة الإسلامية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس – ليبيا، ٢٠١٠م.

٥٠. محمد علي كرد، الإسلام والحضارة الغربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٩٨٢م.

٥١. محمد عمارة(الدكتور)، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشرق الأوسط للنشر، (دت).

٥٢. محمد عمارة(الدكتور)، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء... وإنصاف العلماء، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٥٣. محمد قطب، معركة التقاليد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢م.

٥٤. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، الشاب الجامعي في فكر سماحة السيد السيستاني – دراسة قرآنية تفسيرية تربوية في نصيحة سماحته–، مجلة وقائع المؤتمر التخصصي السادس لكلية التربية / جامعة الكوفة، ٢٠٢٣م.

٥٥. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، المجتمع الإسلامي المعاصر، دار حدود، بيروت، ط٢، ٢٠٢١م.

٥٦. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، أهداف الغزو الفكري والتبشيري في المجتمع الإسلامي، مجلة الينابيع، مؤسسة الحكمة، النجف الأشرف، ٢٠١٨م، العدد٥٩.

٥٧. محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٩٧٨م.

٥٨. محمد هلال الصادق هلال، أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين بالقاهرة، ٢٠٠٠م.

٥٩. محمود إسماعيل، مقال عن كارليل، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٦، بغداد، ١٩٧٨م.

٦٠. محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، قطر، ط٢، ١٩٨٣م.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٦١. المستشار سالم البهنساوي، الغزو الفكري للتاريخ والسيرة بين اليمين واليسار، دار الوفاء، المنصورة، ط ٢، ٢٠٠٢م.
٦٢. مصطفىٰ الخالدي(الدكتور)، د. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، بيروت، ١٩٦٤م.
٦٣. مصطفىٰ السباعي(الدكتور)، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٩٨٧م.
٦٤. مصطفى الغلاييني، الإسلام روح المدنية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٤٦م.
٦٥. ابن منظور جمال الدين (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، نشر: أدب الحوزة، إيران، ١٤٠٥هـ.
٦٦. منىٰ عبد الله حسن داود، جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، دار اليرموك، الأردن، ٢٠٠٣م.
٦٧. مونتقري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة: حسين احمد أمين، دار الشروق، بيروت–القاهرة، ١٩٨٣م.
٦٨. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٥م.
٦٩. نولدكه تيودور، تأريخ القرآن، نقله الى العربية وحققه جورج تامر، دار نشر: جورج المز، نيويورك، ٢٠٠٠م.
٧٠. هاشم صالح، برنارد لويس، مسألة الاستشراق، في الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، دار الساقي، لندن، ١٩٩٤م.
٧١. وليد احمد عبد الشجيري (الدكتور)، أساليب الغزو الفكري (العلمانية، العولمة)، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، المجلد ٣، العدد ٣٣، ٢٠١٧م.
٧٢. اليكسي جوارفسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلىٰ الحوار والتفاهم، ترجمة: د. خلف محمد الجراد، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط٢، ٢٠٠٥م.

الابعاد العقدية للاعتقاد بالمهدي وآثارها في حفظ الهوية لإسلامية

م.د شاكر عطية ضويحي الساعدي/كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الاسلامية الجامعة

المستخلص

يتكفل هذا البحث ببيان الابعاد العقدية للاعتقاد بإمامة المهدي عليه السلام؛ وذلك من خلال التعريف بها وبيان آثارها في حفظ الهوية الإسلامية، بالأخص إذا أخذنا بنظر الاعتبار طول عمر الرسالة وقصر مدة تبليغها من قبل الرسول صلى الله عليه وآله، التي امتدت إلى ثلاث وعشرين سنة في تنزيل تعاليمها وإبلاغها للأمة الإسلامية مع تخلل هذه الفترة ما يقرب (٨٥) غزوة مع سرية، تخلل بعضها حروب واقتتال بين المسلمين والمشركين، إن لم يتسن له بيان جميع معالمها لأجيالها اللاحقة بما تحتاج إليه من متطلباتها الزمكانية وما يرتبط بحوادثها الطارئة بحسب طبيعة حياتها وما تشهده من تقدم في جميع مجالاتها، وعندئذ لزم أن يكون هناك من يقوم مقامه في الحفاظ عليها والدفاع عنها وتبيين تعاليمها وأحكامها كما كان نبي يفعل في حياته، له ما للنبي صلى الله عليه وآله سوى النبوة؛ لاختصاصها به صلى الله عليه وآله، وهذا ما بيّنه صلى الله عليه وآله عندما اختار أن يكون الإمام علي عليه السلام نائباً عنه في حال غيبته وبعد رحيله عن هذه الأمة، إذ قال صلى الله عليه وآله له: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، فالحجة والإمام شرط في البقاء (لو لا الحجة لساخت الأرض بأهلها)، بالإضافة إلى تحقق الوعد الإلهي بإظهار الدين والحكم بالعدل والانصاف، وهذا لا يتحقق إلا على يدي الامام الثاني عشر المهدي عليه السلام الذي تنتظره جميع الديانات الموعد به في الكتب الإلهية ليحق الحق ويزهق الباطل، وليملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجوراً، ولهذه العقيدة أبعاد عقدية وأخرى أخلاقية وسياسية واجتماعية وتربوية ونحوها، سنقتصر على بيان القسم الأول منها ببيان ابعادها العقدية بما يسع المجال، ومن ثم بيان آثارها في حفظ الهوية الإسلامية.

المقدمة

إنّ ما يميّز الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام، أنه لا يختص بمذهب إسلامي دون أخر، مع قطع النظر عن الاديان الاخرى؛ لكونه تمثّل وعداً إلهياً حقاً، قال عنه تبارك وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ (١) ، وأنه بشّر به النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله على نحو القضاء الحتمي، بأنّه آخر أئمة آل البيت عليهم السلام من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام، وأنّ الاعتقاد به في آخر الزمان دلت عليها النصوص القرآنية وتواترت به الاخبار

(١) التوبة: ٣٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وورد فيها بيان علامات الظهور وشرائطه مما لا موجب لإنكارها بأي شكل من الأشكال؛ ولذا فإنكارها يعني طمس الهوية الإسلامية، وإسدال الستار على وجه الحق، ولكن شاء الله تعالى أن يتجلى وجهه ليشرق بنور ربّه تعالى، ذلك النور الذي سعى المغرضون والكافرون أن يطفئوه بأفواههم، ولكن الله خيب آمالهم، ودحض أباطيلهم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ .[١]

واليوم بعد مضي ما يقارب (١٤٤٤) سنة هجرية، والأمة في محك الابتلاء والامتحان والاختبار، تنتظر ذلك اليوم الذي أوعدنا به الله تعالى ورسوله ﷺ، حتى حاد البعض عن الحق، فقست القلوب، ونُزع الإيمان منها، وزين لهم الشيطان الباطل ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [٢] ، وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٣] ، حتى زرع في نفوسهم اليأس من تحققه وظهوره ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [٤] ، وكأنهم نسوا ما ذكّروا به من ذلك وعد إلهي، وأن ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [٥] ، وقال: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦] ؛ ولأن الله لا يخلف الميعاد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [٧]، وأنه لطف إلهي، ولأجل الحفاظ على هوية الإسلام وصون المسلمين عن الانحراف والضلال، وذلك من خلال إمكانية وقدرة هذه العقيدة على بعث روح الأمل والحياة في هوية الإسلام والمسلم، ولذا جاء بحثنا هذا في صدد بيان الابعاد العقدية للاعتقاد بالمهدي عليه السلام وآثارها في حفظ الهوية الاسلامية؛ من خلال بيان آثارها في استقامة العقيدة ونجات المسلم من الوقوع في شرك الشيطان في ظل صخب الاعلام المضلل في عصرنا الحاضر، وكثرة الاعداء للإسلام والمسلمين من الداخل والخارج، وانتشار ظواهر الالحاد والثقافات المنحرفة وتغلغلها في الاوساط الاجتماعية في غياب الوازع الديني والاخلاقي.

مفهوم العقيدة في اللغة والاصطلاح

---

(١) التوبة: ٣٢.
(٢) النساء: ٦٠.
(٣) الانعام: ٤٣.
(٤) الحديد: ١٦.
(٥) النساء: ١٢٢.
(٦) يونس: ٥٥.
(٧) ال عمران: ٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

العقيدة كلمة مشتقة من المصدر (عقد) الذي يعني (الإحكام والشد والربط) وهذا الربط تارة يكون مادياً، كتطعيم شجرة ببرعم، وتارة أخرى يكون اعتبارياً ومعنوياً، كزواج رجل بامرأة واسطة عقد قرانه عليها، فعقد كل شيء إبرامه[١]، وقيل إن عقيدة الشخص هو ما يدين به[٢]، ومن هنا كانت تطلق على ما يتصل بذهن الإنسان وفكره، من قبيل اعتقاده بأن للكون خالق، أو أن له بعد الموت معاد يبعث فيه حيا روحا وجسماً، ولهذا تطلق على ما يعتقد به الإنسان حقاً كان أم باطلاً، لكونها الأساس لتوجيهات الإنسان في حياته باتجاه معين.

مفهوم الإسلام في اللغة والاصطلاح

الإسلام لغة بمعنى الاستسلام والانقياد والقبول، قال الفراهيدي: (الإسلام: هو الاستسلام لأمر الله تعالى، وهو الانقياد لطاعته، والقبول لأمره)[٣].، بمعنى أنه دخل في باب السلامة[٤]، والاستسلام بمعنى إظهار الخضوع وإظهار الالتزام بالشيء المسلم به، فبالإسلام تحق الدماء ويستبعد المكروه[٥]، وقد جاءت مفردتا الاسلام والكفر بكونهما اسمان اسلاميان[٦]، حتى صار اسما كالعلم لشريعة محمدﷺ [٧]، فالأصل فيه هو الاستسلام والخضوع والانقياد والالتزام والطاعة. والطاعة.

وأما اصطلاحاً، فلا يختلف كثيراً عن المعنى اللغوي، كما جاء عن الشيخ المفيد في كتابه الإفصاح: (لأنّ الإسلام عندنا وعندك إنّما هو الاستسلام والانقياد[٨] (، ولكن عبد الوهاب قيد الانقياد بالتصديق القلبي، حيث قال: (الإسلام هو الانقياد المرتب على التصديق القلبي وإلاّ يلزم أن يكون المنافق مسلماً شرعاً وهو باطل[٩] (، ولكن في النتيجة هو استسلام وانقياد بقطع النظر النظر عن باقي الخصوصيات الاخرى.

أهمية العقيدة ودورها في الحياة

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٣ ، ص٢٩٦.
(٢) الفيومي، أبو العباس، المصباح المنير، ج٢.، ص٢٤٢.
(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ج٧ ، ص ٢٦٦.
(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١٢، ص٢٩٣.
(٥) العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، ص٣١٧.
(٦) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١٢، ص٢٩٣
(٧) العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، ص٣١٧.
(٨) المفيد، محمد بن محمد، لإفصاح ص١١٩، وكذا انظر، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٢٠٢.
(٩) عبد الوهاب، شرح كلمات أمير المؤمنين، ص٢٤.

ISBN: 978-9922-21-412-2

تمثّل العقدية القاعدة التي تستند عليها حياة الإنسان الفكرية والعملية والسلوكية، لكونها الأساس لجميع توجهات الإنسان في الحياة بما يضمن له تحقيق أهدافه التي خلق لأجله؛ فلها دور كبير على المستوى الفرد والجماعة، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾ (١) ، وهي المحرك والمحفز للعمل، ولها القدرة على تحديد اتجاهه في الحياة، الحياة، فكلما كانت عقيدته صلبة وسليمة كان سلوكه مستوياً ومستقيماً، وإلا لكانت نهايته ما لا يحمد عقباه، وهي الدعامة التي يشيد عليها البناء الفكري والجسدي، ولهذا اشترط أن تكون واضحة لا غموض فيها وجلية لا ابهام فيها، وثابتة لا تزلزل فيها، ويقينية وقطعية لا شك فيها، لكون مصدرها العقل، وهو لا يقبل الوهن والضعيف، أو ما كان فيه اضطراب وتزلزل.

ومن هذا المنطلق وعلى هذا الأساس نجد القرآن الكريم قد أولاها بالأهمية والاهتمام الكبير، والعناية الفائقة، حتى وصف من لا يستخدم عقله في اختيار العقيدة السليمة، أنه شر الدواب، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢) ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (٣) ، بمعنى أن أولئك الأشخاص الذين يصموا آذانهم عن سماع الحق، وتحرس ألسنتهم للنطق به، وهم الذين لا يستثمرون عقولهم لإدراك الحقائق الحقة، فسيكون مصيرهم الخسران والهوان ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالأنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (٤) مع أن الله تعالى أنعم عليهم بنعمة العقول والألسن، إلا أنهم غافلون عما يجب سماعه من الحقائق والتفكر فيها، ولذا فإنّ قيمة الانسان من وجهة نظر القرآن الكريمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً برؤيته العقدية؛ وهو ما اختصره الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: (رحم الله امرأ عرف من أين وفي أين وإلى أين(٥)(، فعقيدة كل إنسان معياره في تقييم أعماله، صالحة أكانت أم فاسدة، فالأعمال الصالحة لا قيمة لها إن لم تكن مستندة إلى عقيدة سليمة وثابتة ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾ (٦) وهذا يعني أن للعقيدة

---

(١) الإسراء: ٨٤.

(٢) الأنفال: ٥٥.

(٣)الأنفال: ٢٢.

(٤) الأعراف: ١٧٩.

(٥) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين، ص٨٨؛ التفتازاني، سعد الدين، شرح المقاصد، ج١، ص٥.

(٦) الفرقان: ٢٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

السليمة أثراً عظيماً في قبول عمل الإنسان واستقامته وبلوغ هدفه في مراتب الكمال التي يسعى لها، بها يستطيع أن يجب عن أسئلة الملكين في أول ليلة من عالم البرزخ، قال الإمام علي عليه السلام: (إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة مثل له ماله وولده وعمله.....فإذا ادخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان الأرض بأقدامهما، أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول: الله ربي وديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وآله، فيقولان له: ثبتك الله فيما تحب وترضى)[1]، وهو قول الله عز وجل: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [3]، بل حتى في دار الدنيا نجد أن التمييز قائم على أساس العقيدة، فللمشرك مثلاً له أحكام تختلف عن أحكام المؤمن، سواء أكان منها ما يرتبط بالأحكام الفردية أم الاجتماعية، وهذا ما يفس لنا سر اهتمام الإمام علي عليه السلام بالأمر العقدي، فقد نقل أن أعرابياً سأله وهم في لجة الحرب يوم صفين، إذ سأله قائلاً: يا أمير المؤمنين أتقول: أن الله واحد؟! فاشتاط غضب بعض الحاضرين من أصحاب الإمام علي عليه السلام، وحلموا على الرجل الأعرابي، متذرعين بأن الساعة ساعة حرب فينبغي أن تكون الأسئلة عن الحرب وإدارتها وكيفيتها، لا عن تعلم عقيدة ما، إلا أن الإمام عليه السلام لما رأى الأعرابي وسط وابل من الاعتراضات والتهجم، تداركه بعبارة خالدة كشفت عن أهمية العقيدة إذ قال عليه السلام: (دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم).[4]

فكان جوابه عن سؤال الاعرابي التي ألقيت في تلك الظروف، في غاية الأهمية؛ إذ نجده عليه السلام رغم تلك اللحظات الحاسمة المصيرية، وتأزم الفرصة في المعركة، وهو يتصدى لإجابة الأعرابي مبيناً أن هدفنا ليس هو التسلط والاستعلاء، وإنما هدفنا هو إرساء وترسيخ العقيدة السليمة والمعرفة الصائبة، وما القتال إلا لأجل إزالة الموانع ورفع الحجب التي تمنع الحقيقة أن تتجلى عن نفسها، وتهيئة الأجواء المناسبة للعقيدة السليمة.

بالإضافة إلى ما ورد في النصوص القرآنية والروايات الشريفة بما يدل على عظيم العقيدة وأهميتها، ودورها في حياة الإنسان الدنيوية والأخروية، لا يسع المجال لذكرها هنا.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ج ٣، ص ٢٣٢.

(٢) ابراهيم: ٢٧.

(٣) الانعام: ١٣٢.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، ص٨٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الأبعاد الأولية للاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام

هناك نحوين من الأبعاد العقدية للاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام، سنقتصر هنا على ذكر الابعاد العقدية الأولية، ونؤخر الكلام عن الأبعاد العقدية الثانوية لما بعده، ومن أبرز هذه الأبعاد الأولية، هي:

البُعد الأول: الاعتقاد بولادته

لقد كان هناك غموض وإبهام اكتنف ولادة الإمام الحجة؛ ربما لحكمة اقتضتها الإرادة الإلهية، فليس بالضرورة أن يعلمها الجميع ويطلع على أسرارها، بالإضافة إلى أنّها لم تكن الأولى والفردية في تاريخ البشرية، بل حدث مثل ذلك لبعض الأنبياء والأولياء عليهم السلام؛ إذ غاب أصحابها عن أنظار الناس، ثم تبينت بعد ذلك الحكمة والغاية منها، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «في القائم سنّة من موسى، وسنة من يوسف، وسنّة من عيسى، وسنّة من محمد صلى الله عليه وآله ... وأما سنّة يوسف فإن إخوته كانوا يبايعونه، ويخاطبونه، ولا يعرفونه»[1]. وفي رواية أُخرى: «وسنّة من يوسف بالستر، يجعل الله سبحانه بينه وبين الخلق حجاباً يرونه، ولا يعرفونه»[2]، ولكن غيبة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام قد هيئت لها التدابير الأمنية قبل حدوثها، إذ مهد لها جده الإمام علي الهادي عليه السلام، وأبوه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، بما تجعل من الإمام المهدي عليه السلام في مأمن من أعدائه من جهة، وتهيئة شيعته لأمره من جهة أخرى، كما جاء عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: «إن للغلام غيبة قبل أن يقوم»، قال: قلت: ولِمَ؟ قال: «يخاف» – وأومأ بيده إلى بطنه –، ثم قال: «يا زرارة هو المنتظر، وهو الذي يشك في ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خَلَف، ومنهم من يقول: حمل (أي مات أبوه وهو حمل)، ومنهم من يقول: إنه وُلِد قبل موت أبيه سنتين، وهو المنتظر، غير أنَّ الله يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة»، قال: قلت: جعلت فداك، إن أدركتُ ذلك الزمان، أي شيء أعمل؟ قال: «يا زرارة، إن أدركتَ هذا الزمان، فادع بهذا الدعاء: اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرِّفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرِّفني حجتك فإنك إن تعرِّفني حجتك ضللت عني ديني...».[3]

(١) الصدوق، محمد علي، كمال الدين وتمام النعمة، ص٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٥١؛ الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، ج٢ ص٩٣٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص٣٣٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وقد اعترف بولادته ووجوده بعض من كبار علماء جمهور أهل السنة، بما يربو عن خمسين عالماً[1]، وهم:(١.علي بن الحسين بن علي المسعودي الشافعي (المتوفى ٣٤٦هـ) ، ٢.ابوالفضل الشافعي الحصكفي (المتوفى ٥٥٣ هـ) ، ٣.ابن الازرق الفارقي (المتوفى ٥٧١ هـ) ، ٤.عماد الدين الاصفهاني (المتوفى ٥٩٧ هـ) ، ٥.فخر الرازي الشافعي (المتوفى ٦٠٤هـ) ، ٦.محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الاثير الجزري (المتوفى٦٣٠هـ) ، ٧.محي الدين ابن العربي (المتوفى ٦٣٨هـ) ، ٨.سبط ابن الجوزي(المتوفى ٦٥٤هـ) ، ٩.محمد بن يوسف الكنجي (المتوفى ٦٥٨هـ) ، ١٠.شمس الدين ابن خلكان (المتوفى ٦٨١هـ) ، ١١.ابن الطقطقي الحسني (المتوفى ٧٠٩هـ) ، ١٢.ابن فوطي الشيباني (المتوفى ٧٢٣هـ) ، ١٣.عماد الدين ابوالفداء (المتوفى ٧٣٢هـ) ، ١٤.شمس الدين الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ) ، ١٥.زين الدين ابن الوردي (المتوفى ٧٤٩هـ) ، ١٦.صلاح الدين الصفدي (المتوفى ٧٦٤هـ) ، ١٧.ابومحمد اليافعي (المتوفى ٧٦٨هـ) ١٨.مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني (المتوفى ٧٩٢هـ)، ١٩.عبد الرحمن ابن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ) ، ٢٠. محمد ابن شحنة الحلبي (المتوفى ٨١٥هـ) ، ٢١. عبد الرحمن بن احمد بن محمد الجامي (المتوفى ٨١٧هـ)، ٢٢.خواجه محمد بارسا (المتوفى ٨٢٢هـ) ، ٢٣.احمد بن علي القلشقندي (المتوفى ٨٢١هـ) ، ٢٤.ابن حجر العسقلاني الشافعي (المتوفى ٨٥٢هـ)، ٢٥.ابن صباغ المالكي (المتوفى ٨٥٥هـ) ، ٢٦.ابن محمد سراج الدين الرفاعي (المتوفى ٨٨٥هـ) ، ٢٧.شمس الدين محمد بن طولون (المتوفى ٩٥٣هـ) ، ٢٨.ابن حجر الهيتمي (المتوفى ٩٧٣هـ) ، ٢٩.عبد الوهاب الشعراني (المتوفى ٩٧٤هـ) ، ٣٠.عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس (المتوفى ٩٨٩هـ) ، ٣١.السيد محمد بن الحسين السمرقندي (المتوفى ٩٩٦هـ) ، ٣٢.شمس الدين الرملي (المتوفى ١٠٠٤هـ) ، ٣٣.أحمد بن يوسف القرماني الحنفي (المتوفى ١٠١٩هـ) ، ٣٤.شهاب الدين ابي فلاح ابن العماد الحنبلي (المتوفى ١٠٨٩هـ) ، ٣٥.ضامن بن شدقم

---

(١) من يريد الاطلاع على اسمائهم وما جاء في كتبهم من اعترافات ثابتة، يراجع موقع مؤسسه تحقيقات ولي عصر عليه السلام، مقالة تحت عنوان (اعتراف علماء اهل السنة بولادة الإمام المهدي عليه السلام + صورة الكتب)، تاريخ النشر: ١٤ شعبان ١٤٤٤ – ١٢:٥٢ ، الرابط: (https://www.valiasr-aj.com/arabic)، ولولا الإطالة لقمنا بنقل ما جاء في كتبهم من شهادات حول ولادة الامام المهدي عليه السلام، ومن قبيل ما نقله المسعودي في كتابه مروج الذهب، ج٤، ص١٦٠؛ إذ قال: (الإمام الثاني عشر وفي سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في خلافة المعتمد، وهو ابن تسع وعشرين سنة، وهو أبو المهدي المنتظر)

ISBN: 978-9922-21-412-2

الحسيني المدني (المتوفى ١٠٩٠هـ) ، ٣٦.حسن العراقي (المتوفى قرن ٩ أو ١٠هـ) ، ٣٧.عبدالملك العاصمي المكي (المتوفى ١١١١هـ) ، ٣٨.عبدالله الشبراوي الشافعي (المتوفى ١١٧٢ هـ)، ٣٩.جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي (المتوفى ١١٧٧هـ) ، ٤٠.محمد بن احمد السفاريني الحنبلي (المتوفى ١١٨٨هـ) ، ٤١.محمد أمين البغدادي السويدي (المتوفى ١٢٤٦هـ) ، ٤٢.سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي (المتوفى ١٢٩٤هـ) ، ٤٣.محمد صديق حسن خان القنوجي (المتوفى ١٣٠٧هـ)، ٤٤.ياقوت بن عبد الله الحموي (المتوفى ٦٢٦ هـ)، ٤٥.محمد ويس الحيدري (المتوفى ١٤٠٥هـ)، ٤٦.خير الدين الزركلي (المتوفى١٤١٠هـ)، ٤٧.مصطفي بن عبد الرحيم بن برقان الهاشمي (المعاصر)، ٤٨.شريف أنس الحسني الكتبي (المعاصر)، ٤٩.عارف احمد عبدالغني (المعاصر)، ٥٠.عبدالله بن محمد الحشلاف (المعاصر)، ٥١. محمد عمر السربازي (المعاصر).

البُعد الثاني: الاعتقاد بإمامته

إنّ الاعتقاد بإمامة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، فرع الاعتقاد بإمامة آبائه الاحد عشر إماماً؛ لما ثبت في حديث الاثني عشر، الذي أُخرج في كتاب الفريقين الصحيحة والمعتبرة بسند عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: " يكون اثنا عشر أميرا فقال كلمة لم اسمعها فقال أبي أنه قال كلهم من قريش"[١]. وفي رواية مسلم في صحيحه بسنده عن حصين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: "إن هذا الامر لا ينقضي حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة قال ثم تكلم بكلام خفى على قال فقلت لأبي ما قال قال كلهم من قريش" [٢]. وبسند آخر عن جابر بن سمرة ، يقول٠ص): "لا يزال امر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا..."[٣] . وبسند آخر عنه صلى الله عليه وآله يقول: "لا يزال الاسلام عزيزا إلى اثنى عشر خليفة"[٤] ، وبسند آخر عنه صلى الله عليه وآله أيضاً: يقول: "لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش"[٥] ، وفي رواية أحمد بسنده عن عامر عن جابر بن سمرة لسوائي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في حجة الوداع: "ان هذا الدين لن يزال ظاهرا على من ناواه لا يضره

(١) البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، ج٨، ص١٣٧.
(٢) النسيابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج٦، ص٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص٣.
(٤) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج٦، ص٣؛
(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٤.

ISBN: 978-9922-21-412-2

مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي اثنا عشر خليفة قال ثم تكلم بشيء لم أفهمه فقلت لأبي ما قال قال كلهم من قريش"[١] . وقد شهد نور الدين الهيثمي بصحة حديث الاثني عشر؛ إذ ذكر ما روي عن: "أبي جحيفة قال كنت مع عمي عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال: لا يزال أمر أمتي صالحا حتى يمضى اثنا عشر خليفة وخفض بها صوته، فقلت لعمى وكان أمامي ما قال يا عم قال كلهم من قريش . رواه الطبراني في الأوسط والكبير والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح"[٢] ، وقد نقل ابن حبان الحديث في كتاب (صحيح ابن حبان)[٣] ، وقال البغوي : (هذا حديث متفق على صحته)[٤] ، وقال الالباني: (هذا حديث صحيح على شرطيهما)[٥]، ورد هذا الحديث بصيغه المتعددة في كتب الفريقين.[٦]

ولكننا نجد أنّ بعض علماء أهل السنة يتخبط في بيان اسماء هؤلاء الاثني عشر، حتى قال ابن عربي بعدما حاول يطبقها على من تلبس بالخلافة حقا كان ام باطلاً، ثم قال: (وإذا عددنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة إلى سليمان بن عبد الملك وإذا عددناهم بالمعنى كان معنى منهم خمسة : الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز . ولم أعلم للحديث معنى ، ولعله بعض حديث . وقد ثبت أن النبي " ص " قال : كلهم من قريش)[٧] ، وقال ابن حجر: (قال ابن الجوزي في كشف المشكل: قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث وتطلبت مظانه وسألت عنه فلم أقع على المقصود به لان ألفاظه مختلفة ولا أشك ان التخليط فيها من الرواة ثم وقع لي فيه شئ)[٨] ، غير أنّ المتأمل في ما ورد من بيان خصائصهم في هذا الحديث، من كونهم (لا يزال الدين قائما) (أمان لأهل الأرض)، مع ما جاء عنه ﷺ من قبيل: (فإذا قبضت أتى أصحابي ما يوعدون وأهل بيتي أمان لامتي فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما يوعدون)[٩] ، (أمان لأمتي)،

---

(١) ابن حنبل، مسند أحمد، ج٥، ص٨٧.

(٢) الميثمي، نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٥، ص١٩١.

(٣) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١٥، ص٤٣.

(٤) البغوي، شرح السنة، ج٧، ص٤٢٢، ح٤١٣٢.

(٥) الالباني، سلسة الأحاديث الصحيحة، ج١، ص٧١٩.

(٦) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٦١٧؛ السجستاني، سنن أبي داود، ج٢، ص٣٠٩؛ ج٣، ص٣٤٠، وقال في ذيله حديث حسن.

(٧) ابن عربي، عارضة الاحوذي في شرح صحيح الترمذي، ج٩، ص٦٨.

(٨) ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص١٨٣.

(٩) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٤٥٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

(اثنا عشر قيما لا يضرهم من خذلهم، ولا عداوة من عاداهم)، (فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها) (إن الأرض لا تخلو من حجة)[١] ، (من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية)[٢] ، (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان)[٣] ، وغيرها، لا يبقى مجال للشك لأن ذلك ينطبق على من يؤمن بإماته من آل البيت (عليهم السلام)، كما جاء في أحاديث الإمامية الاثني عشرية، كما أنّ الاعتقاد بوجود الامام المهدي الثاني عشر يلتقي مع مضمون هذه الروايات الشريفة، قال الذهبي في ترجمة المنتظر: (المنتظر: الشريف ، أبو القاسم ، محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب ، العلوي الحسيني .... ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجة ، وأنه صاحب الزمان ، وأنه صاحب السرداب بسامراء ، وأنه حي لا يموت ، حتى يخرج ، فيملأ الأرض عدلا وقسطا ، كما ملئت ظلما وجورا).[٤]

البُعد الثالث: الاعتقاد ببقائه ووجوده حيا في عالمنا هذا

إنّ من يعتقد بولادة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وأنه هو مهدي هذه الأمة المنتظر الحجة صاحب العصر والزمان، لا يعتقد بوفاته أو رفعه من هذا العالم الدنيوي، وإنما يعتقد ببقائه موجوداً حياً ضمن موجودات هذا العالم الدنيوي، وأن الانتفاع به حال غيبته كالانتفاع من الشمس إذ ما حجبتها الغيوم والسحاب، عن سليمان بن مهران الأعمش، قال: فقلت للصادق (عليه السلام): فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»[٥] . وقد خرج من الناحية المقدسة (الإمام المهدي (عليه السلام)) إلى إسحاق إسحاق بن عمار على يد محمد بن عثمان: «... وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيَّبها عن الأبصار السحاب، وإني أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء»[٦] ، وهذا ما يؤكده جواب النبي (صلى الله عليه وآله) لجابر بن عبدالله الأنصاري حينما سأله عن فائدة

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص١٧٨.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص٢٧٣.
(٣) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج٦، ص٣.
(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٢٠.
(٥) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، ص٢٥٣.
(٦) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ص٤٥٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ذلك، فقال ﷺ: « والذي بعثني بالحق إنهم ليستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن علاها سحاب».(١)

وعليه فالاعتقاد بوجوده حياً راسخا في نفوسنا؛ لما قيل بأنه هو: (الإمام الثاني عشر، حيٌّ موجود من حين ولادته، وهي سَنة خمس وخمسين ومئتين إلى آخر زمان التكليف، لأنَّ كلَّ زمان لابُدَّ فيه من إمام معصوم، لعموم الأدلّة، وغيره ليس بمعصوم، فيكون هو الإمام، وأمّا الاستبعاد ببقاء مِثله فباطل، لأنَّ ذلك ممكن، خصوصاً وقد وقع في الأزمنة السالفة في حقّ السعداء والأشقياء ما هو أزيد مِن عمره (عجّل الله فرجه)، وأمّا سبب خفائه فإمّا لمصلحة استأثر الله بعلمها أو لكثرة العدو وقلّة الناصر، لأنَّ حكمته تعالى وعصمته (عجّل الله فرجه) لا يجوز معهما منع اللطف، فيكون مِن غير العادة، وذلك هو المطلوب).(٢)

وعن أحمد بن إسحاق الأشعري، قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي (العسكري) عليهما السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد بن أسحاق، إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة لله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض»، قال: فقلت له: يا بن رسول الله، فمن الإمام والخلف من بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأنَّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال: «يا أحمد بن إسحاق، لولا كرامتك على الله (عزَّ وجلَّ) وعلى حججه، ما عرضتُ عليك ابني هذا، إنه سميُّ رسول الله ﷺ وكنيُّه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يا أحمد بن إسحاق، مَثَله في هذه الأُمة مَثَل الخضر عليه السلام ، ومَثَله مَثَل ذي القرنين، واللهِ ليغيبن غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلّا من ثبَّته الله (عزَّ وجلَّ) على القول بإمامته، ووفَّقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه»، فقال: أحمد بن إسحاق: فقلت له: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربيٍ فصيح، فقال: «أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق»، فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً، فلما كان من الغد عدتُ إليه فقلت له: يا بن رسول الله، لقد عظم سروري بما منننت به عليَّ، فما السُنَّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟ فقال: «طول الغيبة يا أحمد»، قلت: وإن غيبته لتطول؟ قال: «إي وربي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، ولا يبقى إلّا من أخذ الله (عزَّ وجلَّ) عهده بولايتنا، وكتب في قلبه

(١) الاربلي، كشف الغمة، ج٢ ص٣١٥؛ القندوزي، ينابيع المودة، ج٣ ص٢٣٩.

(٢) المقداد السيوي، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، ص١١٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الإيمان، وأيَّده بروح منه، يا أحمد بن إسحاق، هذا أمر من أمر الله، وسرٌّ من سر الله، وغيبٌ من غيب الله، فخذ ما أتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا غداً في عليين».[١]

البُعد الرابع: الاعتقاد بظهوره

إن الاعتقاد بظهور مبني على أساس الإيمان بتحقق وعد الله وتصديق وقوعه، إذ قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [٢] ، وقال تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾ [٣] ، هذا بالإضافة إلى ما ورد عن النبي ﷺ من الأحاديث بشأن ظهوره عليه السلام، ومنها حديث: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلا كما ملئت جورا وظلما)[٤] ، وقد روى أحمد بن حنبل في مسنده عنه ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أجلى أقنى يملأ الأرض عدلا كما ملئت قبله ظلما يكون سبع سنين»[٥] ، وجاء في غيبة الطوسي عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «إن المهدي من عترتي، من أهل بيتي يخرج في آخر الزمان ينزل الله له من السماء قطرها، ويخرج من الأرض بذرها، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملأها القوم ظلماً وجوراً...».[٦]

هذا بالإضافة إلى ما جاء في الأحاديث الشريفة والتفاسير البينة لما ذكرنا من الآيتين الشريفين في مطلع هذا البعد، لا يبقي للشك مجالاً وللوهم طريقاً لعدم الاعتقاد بظهور، بل الثابت هو أن الاعتقاد بظهور جزء من هذه المنظومة الفكرية العقدية للدين الإسلامي.

الابعاد االثانوية للاعتقاد بالمهدي عليه السلام

يتضمن هذا المبحث مجموعة من الأبعاد العقدية المتفرعة على اعتقاد الفرد بالإمام المهدي عليه السلام، نذكرها ضمن مطالب عدّة:

البُعد الاول: الاعتقاد بغيبته عليه السلام

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ص٣٨٥.

(٢) التوبة: ٣٣.

(٣) القصص: ٥.

(٤) الصدوق، محمد بن عي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢٩٧.

(٥) ابن حنبل، مسند أحمد، ج٣، ص١٧.

(٦) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، ص١٨٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

تُعد الغيبة وسيلة من الوسائل المهمة للحفاظ على وجود الحجة المنتظر عليه السلام،لأنه حجة الله في الأرض التي لا تخلو منها، قال رسول اللهﷺ: «لا تخلو الأرض من قائم بحجة»(١)، ولها من الآثار والدور المهم في حفظ الأرض وأمانها، فهي كما وصفها النبي ﷺ عندما وصف أهل بيت الكرام؛ إذ قالﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء، إذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»(٢)، وقالﷺ: «لا يزال الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها»(٣)، لقوله ﷺ في أهل بيته عليهم السلام: «إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»(٤)، وقال في الإمام المهدي المنتظر عليه السلام: «كيف تهلك أمّة أنا أوّلها، وعيسى بن مريم آخرها، والمهدي من أهل بيتي في وسطها»(٥)، فهو وعد الله الذي الذي وعد الله به البشرية في آخر الزمان، إذ قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٦)، فهو النعمة التي سمن بها الله تعالى على الناس جميعا، قال تعالى:﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٧) ، إلاّ أنّ تحقق هذا الهدف على أرض أرض الواقع يتوقف على توفّر شرائطه، التي شاء الله عزّ وجلّ بحكمته أن تكون من طرقها الطبيعية، وضمن ما هو المألوف، لا بشكل إعجازي وخارق لما هو المعتاد.

وحيث إنّ الله تعالى . لحكمته ولطفه بعباده . قد نصّب أولياء هداة معصومين، يمثلون امتداداً طبيعياً للرسالة المحمّديّة، فهم أُمناء الوحي والرسالة، وحجّة الله على العباد، وهم الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام بعد رسول اللهﷺ، أوّلهم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم الإمام المهدي عليه السلام، ثم إن غيبة الإمام عليه السلام تؤمّن إتيانه بالإسلام الخالص، كما أنزله الله تعالى حين الظهور؛ لأنه

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٠ ص٢٥٥؛ الخوارزمي، المناقب، ص٣٦٦.
(٢) ابن حنبل، أحمد، فضائل الصحابة، ج٢ ص١٦٥؛ الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج١ ص٤٢٦؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٢ ص٤٤٨ ج٣ ص١٤٩ ص٤٥٧.
(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج٢ ص١٩٦.
(٤) المصدر نفسه، ج٣ ص٤٥، ح٢٦٣٦؛ ابن سلامة، مسند ابن سلامة، ج٢ ص٢٧٣.
(٥) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور: ج٢ ص٧٤٢؛ السيوطي، الجامع الصغير، ج٢ ص٤٢٣؛ ونحوها في المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري: ج٣ ص٤١؛ قال فيه (حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، الشوكاني، فيض القدير: ج٥ ص٣٨٣.
(٦) التوبة: ٣٣.
(٧) القصص: ٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

سوف يكون وارثاً عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ الإسلام الصحيح، وتفاصيله التي أملاها الرسول ﷺ على الإمام علي عليه السلام وكتبها بخطه، بخلاف ما لو قلنا إنّ المهدي عليه السلام لم يولد بعد، فإنه حينئذ كيف يمكنه الإتيان بالإسلام الخالص بعد انقطاع الوحي، وكيف يحرز الإسلام الصحيح وسط هذه الاختلافات بين المذاهب، وبعد تضييع سنة رسول الله ﷺ.

أضف إلى ذلك أن وجود الحجة والإمام في الأرض لطفٌ من الله تعالى – كما تقدم– وإتمامٌ للحجة البالغة على خلقه، أمّا الغيبة فهي لأسباب وظروف اقتضت ذلك، وقد تقدم ذكر بعضها.

وهذا قضاء إلهي لآباء الإمام المهدي عليهم السلام بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، كما قال هو : عليه السلام «... وأما علّة ما وقع من الغيبة، فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [1] ، إنه لم يكن أحد من آبائي إلاّ وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي»[2]، عن أمير المؤمنين : عليه السلام «إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه»[3]، وما أخرجه الأربلي عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قال: «أما علمتم أنه ما منا أحد أحد إلاّ ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلاّ الإمام القائم، الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، فان الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه؛ لئلا يكون في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين، ابن سيدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته...»[4]، وعن الإمام علي بن الحسين : عليه السلام «القائم منا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة» .[5]وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد : عليه السلام «يقوم القائم وليس لأحد في عنقه بيعة»[6]، فهذه وغيرها من الاحاديث الشريفة التي جاءت تتحدث عن وقوع الغيبة وعن كشف بعض وجوه حكمتها – كما مر علينا بعض ذلك – بالإضافة الى وجود احاديث اخرى تتحدث عن حال شيعته في عصر الغيبة، فقد جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «كأني بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي، كالنعم يطلبون

---

(١) المائدة: ١٠١.

(٢) الغيبة، الطوسي: ص٢٩٢؛ الاربلي، كشف الغمة، ج٣ ص٣٤٠.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ص٣٠٣.

(٤) الاربلي، كشف الغمة، ج٣ ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٣ ص ٣٢٣.

(٦) ابن بابويه القمي، الإمامة والتبصرة، ص١١٦؛ الكليني، الكافي، ج١ ص٣٤٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المرعى فلا يجدونه، قلت له: وَلِمَ ذاك يا بن رسول الله؟ قال عليه السلام: لأن إمامهم يغيب عنهم، فقلت وَلِمَ؟ قال عليه السلام: لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»[1]، وقد تضافرت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في أن للغيبة حكمة لا يعلمها إلاّ الله تعالى، ومن ارتضى من أوليائه، ومنها عن الإمام الصادق» : عليه السلام إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها، فسأله سدير: وَلِمَ ذاك يا بن رسول الله؟ قال : عليه السلام إن الله عزّ وجلّ أبى إلاّ أن يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وأنه لا بد له يا سدير من استيفاء عدد غيباتهم، قال تعالى:﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [2] ، وعليه فإن الإيمان بضرورة الإمامة، والاعتقاد بأئمة أهل البيت عليهم السلام، بمقتضى الأدلّة الثابتة في محلّها، من الآيات والأحاديث، لا يبقى مجال للتساؤل، والتشكيك في وجود الإمام؛ لكونه غائباً، ولعلّ في عدم الوقوف على العلّة الأساسية من الغيبة، سر من أسرار غيب الله تعالى، لم يطلعنا عليه، لا سيما مع إنباء وتصريح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بغيبة الإمام المهدي عليه السلام، كما مرّ ذكره في رواية جابر، ورواية ابن عباس وغيرها، وفي رواية أخرى لجابر: قال: قال رسول الله: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة، تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب، فيملؤها عدلاً، كما ملئت جوراً».[3]

البُعد الثاني: الانتظار

الانتظار كيفية نفسانية ينبعث منها التهيؤ لما تنتظره؛ وضده اليأس؛ فكلما كان الانتظار أشد كان التهيؤ آكد، ألا ترى أنه إذا كان لك مسافر تتوقع قدومه ازداد تهيؤك لقدومه كلما قرب حينه، بل ربما تبدل رقادك بالسهاد لشدة الانتظار[4]. وكلما تتفاوت مراتب الانتظار من هذه الجهة، كذلك تتفاوت مراتبه من حيث حبك لمن تنتظره، فكلما اشتد الحب ازداد التهيؤ للحبيب وأوجع فراقه بحيث يغفل المنتظر عن جميع ما يتعلق بحفظ نفسه ولا يشعر بما يصيبه من الآلام الموجعة والشدائد القاسية، فالمؤمن المنتظر مولاه كلما اشتد انتظاره وازداد جهده في التهيؤ لذلك بالورع والاجتهاد وتهذيب نفسه وتجنب الأخلاق الرذيلة والتحلي بالأخلاق الحميدة كل ذلك يساهم في شوقه لمولاه ومشاهدة جماله في زمان غيبته... ولذلك أمر الأئمة الطاهرون (عليهم السلام) بتهذيب الصفات وملازمة الطاعات. ففي رواية أبي بصير دلالة على توقف الفوز بذلك الأجر حيث قال

(١) الصدوق، علل الشرائع، ج١ ص٢٤٥، الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢ ص٢٤٧.

(٢) الانشقاق: ١٩.

(٣) الاربلي، كشف الغمة، ج٣ ص٣٢٧؛ القندوزي الحنفي، ينابيع المودة، ج٣ ص٣٨٦.

(٤) الاصفهاني، محمد تقي، ميكال المكارم، ج٢، ص١٣٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الإمام الصادق (عليه السلام): «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل مَن أدركه... ولا ريب أنه كلما اشتد الانتظار ازداد صاحبه مقاماً وثواباً عند الله عزّ وجلّ»(١). كما يُسهم الانتظار في حصول الاطمئنان والثبات النفسي عند المنتظرين، وبذلك تزداد صلتهم بالإمام(عليه السلام)، حتى يتغلغل إيمانهم به وبعقيدته إلى داخل أعماق نفوسهم، حتى تصبح راسخة، فالانتظار من الركائز الأساسية التي اهتم بها القرآن الكريم والرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته(عليهم السلام)، في عملية إعداد الفرد والمجتمع قال تعالى:﴿ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ (٢) ؛ ولهذا فقد أولاه النبي(صلى الله عليه وآله) عناية خاصة، كما يكشف عن ذلك ما نقل عنه من احاديث في الانتظار، ومنها قوله(صلى الله عليه وآله): « أفضل العبادة انتظار الفرج»(٣)، وفي رواية بين متعلق الفرج "أي انتظار الفرج بظهور المهدي»(٤). وقال(صلى الله عليه وآله): « انتظار الفرج بالصبر عبادة»(٥)، وعنه(صلى الله عليه وآله) قال:. «أحب الأعمال إلى الله انتظار الفرج»(٦)، وقال(صلى الله عليه وآله): «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج» .(٧)وقوله (صلى الله عليه وآله) «أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج»(٨)، فالانتظار يمثل عنصر التوازن في حياة المؤمن وحالة وسطى بين القنوط واليأس من روح الله، وبين حرمة الأمن من مكر الله، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٩) ، ومن خلال الانتظار يتوجه الإنسان إلى ربه، ويتمسك بإمامه، ويطلب الفرج من الله تعالى، وكذلك نجد أن الانتظار في واحدة من أبعاده هو الإيمان بالغيب، ومن ثم يحمل الفرد على العمل والتعبد بعقيدته، ويكون محبّاً للعدل كارهاً للظلم، وبذلك يوجّه نفسه، وسائر إخوانه المؤمنين إلى ما فيه الخير والصلاح للمجتمع. وكذلك نجد

---

(١) الصدوق، كمال الدين تمام النعمة، ج٢،ص٣٥٧،ح٤، المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار ، ج٥٢، ص١٤٩

(٢) الأعراف: ٧١.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، ج٥ ص٢٢٦؛ الهيثمي، نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج١٠ ص١٤٧، السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص١٩٢؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج١٠ ص١٠١، وله، المعجم الأوسط، ج٥ ص٢٣٠.

(٤) القندوزي الحنفي، ينابيع المودة، ج٣ ص٣٩٧؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج٣ ص٩٣.

(٥) السيوطي، الجامع الصغير، ج١ ص٤١٧؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج٤ ص٣٦٢.

(٦) ابن سلامة، دستور معالم الحكم، ص١٠٣.

(٧) القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١ ص٢٧؛ ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب، ج٣ ص٥٢٧.

(٨) ابن شعبة، تحف العقول، ص٣٧.

(٩) يوسف: ٨٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أيضاً أن الانتظار يحمل في طياته دفع المؤمن وحثّه على الامتثال والالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الإلهية، ليكون فرداً صالحاً مؤهلاً للعضوية في مجتمع العدالة الكبرى، ومن ثم يكتسب المؤمن الإرادة القوية، والإخلاص الحقيقي الذي يؤهّله للمشاركة والتشرف بتحمل المسؤولية الكبيرة في اليوم الموعود، فيزداد تعلقه بالأنبياء ورسالاتهم، وتجديد العهد معهم، ومع الإمام عليه السلام الذي يحقق هدف الأنبياء على هذه الأرض، وكل هذا إنما يتجلى وتشتعل جذوته إذا أحس الإنسان بوجود المصلح حياً يرزق قد حفظه الله تعالى وادخره لإنجاز مهمّة الإصلاح.

وقد أشار القرآن الكريم لهذه الحقيقة، كما جاء عن يحيى بن أبي القاسم، قال: سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فقال: المتقون شيعة علي عليه السلام ، والغيب فهو الحجة الغائب، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [١].

[١]. فان الله تعالى قد أمر بانتظار الفرج بقوله تبارك وتعالى: (فانتظروا)، وهذا المضمون بعينه يكرره الإمام الرضا عليه السلام في قوله: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج! أما سمعتمُ قول الله تعالى: ﴿وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ فعليكم بالصبر فإنما يجيء الفرج بعد اليأس. وقد كان الذين قبلكم أصبر منكم...».[٢]

وهناك آيات أخرى تؤكد على تحقق اليوم الموعود للبشرية، كقوله تعالى : "وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك أولئك هم الفاسقون "[٣]، وكذا قوله تعالى "ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ..."[٤] وقوله تعالى "ولقد كتبنا في الزبور ان الارض يرثها عبادي الصالحون "[٥] ولاريب ان مضامين هذه الآيات يتضمن الاشارة لانتظار يوم ظهور الإمام عليه السلام وتحقق العدالة في كل أرجاء المعمورة، وأما الروايات الشريفة فقد تضافرت في التأكيد على أهمية وضرورة الانتظار بل وجوبه، إلى الحد الذي جعل في لسان بعض

(١) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٣٤٠.
(٢) النعماني، الغيبة ، ص٨٠ .
(٣) النور:٥٥
(٤) القصص:٥
(٥) الأنبياء: ١٠٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الروايات انه أحب الأعمال إلى الله تعالى وأنه أفضل العبادة وأنه أساس من أسس الدين، وأنه أفضل وسائل التقرب إلى الله تعالى، ومن هذه الروايات:

١- عن رسول الله ﷺ: «أفضل العبادة انتظار الفرج»[١] ولا ريب في ذلك فإن انتظار الفرج يحمل في أحشائه الاعتقاد والإيمان بالإمام المهدي والذي يعد شرطاً في قبول الأعمال كما قال إمامنا الصادق (عليه السلام): «بُني الإسلام على خمسٍ: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية».[٢]

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام : «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فان أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ انتظار الفرج، الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس والمنتظر للفرج كالمتشحط بدمه في سبيل الله».[٣]

٣- عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [٤] ﴿فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [٥] فعليكم بالصبر، فإنما فإنما يجيء الفرج بعد اليأس..».[٦]

إلى غير ذلك من الأخبار، التي تلتقي في المضمون ذاته، وسيأتي قسم آخر من هذه الأخبار.

البُعد الثالث: وراثة الأرض والتمكين منها

إن من بين السنن الالهية الثابتة التي قال عنها الحق تبارك وتعالى: ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ [٧] (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)[٨]، هي سنة وراثة الارض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ * وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [٩] ، وقال الحويزي في تفسيره: (في كتاب الغيبة

(١) القندوزي الحنفي، ينابيع المودة ج٣ ص١٦٩.
(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج١ ، ح١٠، ص١٠، الكليني، الكافي ج٢ ، ص١٨.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج٥٢ ، ص١٢٣.
(٤) هود: ٩٣.
(٥) يونس: ٢٠ و١٢٠.
(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج٥٢ ص١٢٩.
(٧) الاسراء: ٧٧.
(٨) الاحزاب: ٦٢.
(٩) القصص: ٥-٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

لشيخ الطائفة قدس سره بإسناده إلى محمد بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام في قوله : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) قال : هم آل محمد يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل عدوهم)[١] ، وفي نهج البلاغة جاء أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: "لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها وتلا عقيب ذلك ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ [٢].

ولا نطيل إذ القضية مرتبطة بالقرآن، وأنه صريح بأن الوراثة مصداق من مصاديق السنن الالهية، فلسنا بحاجة الى مزيد بحث، لأنها أشبة بالبديهية لضرورتها وثبوتها قرآنيا.

البعد الرابع: الاصلاح والتغيير

إن من يتأمل في النصوص القرآنية التي تحدثت عن الاصلاح والتغيير، يجدها أنها تحكي عن جريان سنة من السنن الإلهية ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [٣] ، وقال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ .[٤] وهذا التغير بنفسه ينسجم مع قانون الالهي العام، وفيها إشارة واضحة أن الشعوب والأمة لا تكون قادرة على تغيير واقعها ما لم تكن قبل ذلك مغيرة لذاتها ونفسها، فوجوب التغيير من واقعها يأتي استجابة للمتغيرات والمستجدات التي تحتاجها في حركتها ومسيرتها التكاملية، ولذا قيل: »إن تاريخ كل أمة من الأمم إنما هو استجابة لتحدي الظروف التي وجدت فيها، وإن الإنسان حقق الحضارة؛ استجابة لتحدي موقف ذي صعوبة خاصة[٥]«. فالتغيير يعني التحويل من واقع إلى آخر، فإذا ما رافقته عملية إصلاحية، فإنه سيكون تغييراً لواقع متردٍ إلى واقع متقدم مكلل بالنجاح والازدهار، وإنما خص الإنسان بهذه السنة دون سائر المخلوقات الأخرى، فلأنه موجود عاقل مفكر مختار طالب للكمال ومنازل القرب الإلهي، ولديه القدرة على التكيّف مع جميع المستجدات والمتغيرات الطارئة، تكيّفاً عقلياً وواعياً، لا تكيّفا غريزيا وطبيعياً، كما عليه سائر المخلوقات الحية الاخرى، ولهذا جاء في بيان ما يقوم به الامام الحجة عند

(١) الحويزي، عبد علي جمعة، تفسير نور الثقلين، ج٤، ص١١٠. الطوسي، الغيبة، ص١٨٥.
(٢) القصص: ٥.
(٣) الرعد: ١١.
(٤) الانفال: ٥٣.
(٥) حسين، عبد الباسط محمد، الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، ص٥٢٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2
آيار ٢٠٢٣- ١٤٤٤هـ

ظهوره، كما جاء في رواية جده المصطفىﷺ: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من ولدي يواطئ اسمه اسمي يملأها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا"، وهكذا فالمسالة مسألة اصلاح وتغير للواقع الفاسد، وعليه ينبغي على المؤمنين المنتظرين أن يهيئوا أنفسهم ويستعدوا استعدادا كاملاً بالإيمان والعمل الصالح ليكون على أتم الاستعداد لنصر الحق والوقوف إلى جنب دعاة الإصلاح والتغيير ، ولا يكونوا كأهل الكوفة يوم دعوا الإمام الحسين للنهوض والتغيير والاصلاح ثم انقلبوا عليه يقاتلونه، حتى قال لهم الأمام موبخاً لهم: "تبا لكم أيتها الجماعة وترحا ! أحين استصرختمونا والهين ، فأصرخناكم موجفين ، سللتم علينا سيفا لنا في ايمانكم ، وحششتم علينا نارا اقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فأصبحتم ألبا لأعدائكم على أوليائكم ، بغير عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ، فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن ، والرأي لما يستحصف ، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا ، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ، ثم نقضتموها فسحقا لكم يا عبيد الأمة ! وشذاذ الأحزاب ، ونبذة الكتاب ، ومحرفي الكلم ، وعصبة الآثم ونفثة الشيطان ، ومطفئ السنن ، ويحكم ! أهؤلاء تعضدون ، وعنا تتخاذلون أجل والله غدر فيكم قديم ، وشجت عليه أصولكم ، تأزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر ، شجى للناظر وأكلة للغاصب !" ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ، ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام ، على مصارع الكرام، الا واني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر"

فالإمام المهدي المنتظر عليه السلام قام بعملية تغيير واصلاح عامل لجميع مفاصل الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية، وكأنه يأتي بدين جديد؛ لأنه يحي الحدود المعطلة ويكشف الأسرار المستورة، وينشر راية العدل ويحكم بالكتاب ويخرج كنوز الأرض، فيملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجوراً.

آثارها في حفظ الهوية الإسلامية

تتميّز الهوية الاسلامية عن بقية الهويات الاخرى، بسماتها وخصائصها التي تنفرد بها عن غيرها، فلما كان الاسلام متميز عن غيره بكونه دين الفطرة السليمة القائم على أساس العدل والانصاف وعدم الاكراه، كانت هذه السمات تمثل هويته للأخرين؛ لأنها تبرز حقيقته ووجه المشرق للناس، ولهذا كانت أحدى بواعث الايمان به، ومثل هذه السمات نجدها بارزة في الابعاد العقدية للاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر عليه السلام؛ فالعدل سمته والاختيار ثوبه والفطرة السليمة

ISBN: 978-9922-21-412-2

منطلقه، حتى يملأ الارض قسطا وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فهو من يبعث الأمل في القلوب، ويجعلها تحيى بحياة لا طريق لليأس أو القنوط إليها، وهو من يجعل الايمان به على راسخاً في نفوس المؤمنين به والمنتظرين لظهوره، فلا يعد الاعتقاد به عليه السلام مجرد فكرة ننتظر ولادتها، بل هو واقع قائماً ننتظر فاعليته وتطبيقه، وفيه كمال الانسان وسموه الروحي؛ لأنه محور الالطاف الالهية، ومظهر الرحمة الالهية، وعدالتها وقدرتها، وبانتظار الفرج له تكمن حقيقة الامل والثقة بالمستقبل، فهو وعد الله الذي لا يخلف، به يظهر الاسلام الحقيقي للجميع بوجه المشرق وتعاليمه النيرة وأحكامها العادلة.

ومن هنا يكون الاعتقاد بولادته وغيبته وبقائه حياً معنا في هذا العالم، باعثاً على الحركة والنشاط في سلم الكمال والتكامل، لأنه مصدر من مصادر العطاء والقوة للمنتظرين، وبذلك يعمل الجميع للتخلص من الظلم والاستبداد، لانهم يمتلكون قوة عظيمة للتغيير والاصلاح في المواجهة والانقلاب على الواقع الفاسد وإحلال العدل والاصلاح محله، لأنه إيمانا جعل من فكرة الغيبة واقعاً، ومن المستقبل حاضراً، فلا يعد فكرته نبوءة نتطلع الى تحقيقها وتصديقها، بل هو واقع نستشعره بقلوبنا، ونتطلعه في آمالنا، ونجسده في حركتنا وتكاملنا، لأننا نستشعر وجوده بيننا، فإن كانت هناك غيبة فهي من جهتنا لا من جهته، واذا كان هناك انتظار لظهوره فمن جهته، فهو يتطلعنا وينتظر استعدادنا لاستقباله بنفوس زكية وقلوب طاهرة وبأعمال صالحة، وأخلاق فاضلة، وبهذا فهو يعيش افراحنا واحزاننا ويكتوي بنار عذابنا وبؤسنا، فهو منتظر اللحظة التي يؤذن له بالظهور في اوساطنا ليقطع دابر الظالمين، فهو بمثابة الدم للجسد، والروح للبدن، لأنه الباعث على الأمل في النفوس، فقد جاء عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنَّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام إمامُ أمتي وخليفتي عليها من بعدي، ومِن ولده القائم المُنتَظَر الذي يملأ اللهُ به الأرضَ عدلاً وقسطاً، كما مُلِئَت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحقّ بشيراً إنَّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر»، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله وللقائم مِن ولدك غيبة؟ قال: «إي وربّي، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكافِرِينَ﴾[1] ، يا جابرُ إنَّ هذا الأمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله، مَطوي عن عباد الله، فإيّاك والشّك فيه فإنَّ الشّك في أمر الله (عزَّ وجلَّ) كُفر».[2]

(١) ال عمران: ١٤١.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، ص٢٨٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وعليه فقد ثبت لنا وجوده وحياته، كما ثبتت لنا إمامته وولايته – بالإضافة الى ما ذكرنا– بعدد وافر من الآيات القرآنية، كآية الولاية، وآية أولي الأمر، وآية التطهير، وآيات البلاغ في الغدير، وآية المودة في القربى[١] وغيرها، وعدد كبير جداً من الأحاديث النبويّة التي رواها أصحاب الصحاح من أهل السنة، كحديث الثقلين المتواتر الذي مفاده أنّ أهل البيت عليهم السلام لن يفترقوا عن القرآن حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله الحوض[٢]، فكما أنّ القرآن باقٍ إلى يوم القيامة كذلك عدل القرآن (أهل البيت عليهم السلام)، وكحديث الخلفاء الاثني عشر «كلّهم من قريش»[٣]، وحديث السفينة[٤]، وأهل بيتي عليهم السلام أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض[٥] وأتاهم ما يوعدون، وغير ذلك من الأحاديث الدالّة على بقاء الإمامة الإلهية، واستمرارها في الأرض، قال صلى الله عليه وآله: "إنّ خلفائي، وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي، الاثنا عشر، أوّلهم عليّ، وآخرهم ولدي المهدي"[٦]، فهو مقتضى مشيئة الله وارادته بأن يكون الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام – الذي يمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الأئمة الهداة– مصلحاً للبشرية، ومحققا للهدف النهائي، والثمرة الكبيرة والمرجوة من رسالات السماء وبعث الأنبياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٧] ، وعلى يده يقوم العدل، وبظهوره ينتشر السلام في العالم، بعد انتشار الظلم والجور والفساد في ربوع الأرض وأرجائها، وهو ما نشاهده ونراه بالحس والعيان في كل حدب وصوب، وهذا ما يتطابق مع ما تنبّأ به رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «تملأ الأرض ظلماً وجوراً، ثم يخرج رجل من عترتي، يملك سبعاً أو تسعاً، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً»[٨]، فكما أنّ الأرض مُلئت وستُملأ بالجور والفساد والظلم، لا

(١) الآيات: المائدة: ٥٥، النساء: ٥٩، الأحزاب: ٣٣، المائدة: ٦٧.

(٢) النسائي، السنن الكبرى، ج٥ ص٤٥ ص١٣٠؛ النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص٩٣؛ الطبراني، المعجم الصغير، ج١ ص١٣١ ص١٣٥؛ الطبراني: ص٣٣.

(٣) ابن حنبل، مسند أحمد، ج٥ ص٨٧ – ٨٨.

(٤) الهيثمي، نور الدين، مجمع الزوائد، ج٩ ص١٦٨، الطبراني، المعجم الأوسط، ج٦ ص٨٥.

(٥) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج١ ص٤٢٦، الطبري، ذخائر العقبى، ص١٧.

(٦) القندوزي الحنفي، ينابيع المودة، ج ٣ ص ٢٩٥.

(٧) الحديد: ٢٥.

(٨) السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج٤ ص٧١٢ ح٤٢٧٦؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ج٣ ص٢٨ ص٣٦ ص٧٠؛ الحاكم النيابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٤ ص٥٥٧؛ وانظر: الهيثمي، نور

بدّ لها من يوم تُملأ فيه عدلاً وقسطاً، على يد الإمام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه الشريف ، ولكن هذا الاثر العظيم لظهور المهدي عليه السلام، يتوقف على توفر شرائط أرادها الله تعالى بمقتضى حكمته على أن تكون من الطريق الطبيعي لا الإعجازي، وهذا ما جرت عليه السنن الإلهية في هذا العالم، فقد قال تبارك وتعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (١) وقال تعالى أيضاً: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣) وقال: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤) وغير ذلك من الآيات المباركة، التي تكشف عن أنّ التخطيط الإلهي لجريان السنن في هذا العالم مبنيّ على السير الطبيعي للبشرية، إلاّ في الظروف الخاصّة والاستثنائية، التي تقتضي فيها الحكمة الإلهية إنجاز الهدف والوصول إليه عن طريق الإعجاز وخرق المعتاد، وذلك كإثبات أصل نبوة الأنبياء عليهم السلام، وبهذا نكتفي لأنه لا يسع المجال لذكر المزيد، والحمد لله رب العالمين.

نتائج البحث

لقد اتضح لنا من خلال بسط البحث حول موضوعنا، ما خلاصته:

أولاً: إنّ وجود الإمام عجل الله فرجه الشريف، مع غيبته له أثر بالغ في إثارة الخوف والرعب في صفوف الظالمين، وهذا ما نلمسه ونشاهده بالوجدان في تصريحات كبار المسؤولين في دول العالم كأمريكا وغيرها من دول الغرب، من تخوفهم من ظهور رجل من حضارة بابل يقضي عليهم، لذا نجد أنهم حشّدوا قواهم لمواجهته.

ثانياً: إنّ لغيبته سراً على حدّ أسرار الغيب، التي لا يكشفها الله تعالى إلاّ لمن ارتضى من أوليائه، ويبقى الأمر الذي خفيت الحكمة من ورائه مثاراً للتعجب والاستغراب، فهذا موسى عليه السلام،

الدين، مجمع الزوائد، ج٧ ص ٣١٤، وقال فيه: «رواه الترمذي وغيره باختصار، رواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار، ورجالهما ثقات»؛ وانظر: الصنعاني، المصنف: ج١١ ص٣٧٢- ٣٧٣.

(١) الأنفال: ٣٧.

(٢) الأنفال: ٤٢.

(٣) آل عمران: ١٥٤.

(٤) آل عمران: ١٤٠ – ١٤٢.

وهو نبي من أنبياء الله تعالى، كان يظهر التعجب من عمل الخضر عليه السلام، فكيف بمن هو مثلنا، نحن القاصرون عن إدراك كنه الحقائق، ثم نأتي لنجادل فيها ؟!

ثالثاً: إن الانتظار للإذن الالهي بظهور الإمام المهدي عليه السلام كما يكون من طرفنا، كذلك يكون من طرف الإمام المهدي عليه السلام ولكن لا من جهة تحقق الإذن الإلهي له، بل من جهة طهارة نفوسنا واستعدادها لتقبله والدفاع عنه والحرص على حفظه وطاعة أوامره.

رابعاً: إن لعقيدتنا فيه وما لها من أبعاد عقدية مرَّ ذكر بعضها، أثر في بعث الأمل والحركة والتكامل والعمل بنشاط، وغلق باب اليأس والقنوط عن أنفسنا.

خامساً: إن الاعتقاد بولادته وغيبته ووجوده حيا وظهور في آخر الزمان لا تختص على شيعته فقط، بل هي عقيدة جميع المسلمين، وغير المسلمين، مع فارق بسيط بين عبارة مهدي هذه الأمة، والمصلح العالمي الذي ينتظره جميع البشرية على مختلف قومياتها ومذاهبها وأديانها.

وبهذا نكتفي من ذكر النتائج النهائية، وما توفيقي إلا بالله رب العالمين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا خاتم النبيين وسيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، نشردار المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٢. ابن الدمشقي الشافعي، أ حمد بن احمد ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي، تحقيق محمد باقر المحمودي، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية – قم.

٣. ابن العربي، أبو بكر، عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١١٩٨م.

٤. ابن بابويه، الحسين بن علي، الإمامة والتبصرة، تحقيق مدرسة الإمام المهدي، نشر مدرسة الإمام المهدي.

٥. ابن حبان، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٦. ابن حجر، أحمد بن علي، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، بروت، ط٢، ١٩٧١م.

٧. ابن حنبل، أحمد، فضائل الصحابة، دار الكتب العلمية، بيورت، ط١، ب.تا.

٨. ابن حنبل، مسند أحمد، نشر دار صادر بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٩. ابن سلامة، أبي عبد الله محمد ، دستور معالم الحكم، الفاضل نشر مكتبة المفيد، ط١، ب.تا.
١٠. ابن سلامة، محمد، مسند الشهاب، تحقيق عبد المجيد السلفي، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت.
١١. ابن شعبة الحراني، تحف العقول، تحقيق علي أكبر غفاري، نشر جامعة مدرسين.
١٢. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية نجف، ١٣٧٦.
١٣. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر ١٤١٥هـ .
١٤. ابن فارس ، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: وضبط عبد السلام محمّد هارون، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، طهران ، ط١ ،١٤٠٤ هـ.
١٥. ابن منظور ، محمد بن مكرم، لسان العرب، طبع ونشر: مطبعة أدب الحوزة ، قم المقدسة ، ط١، ١٤٠٥ هـ.
١٦. الاحتجاج، الطبرسي، تحقيق محمد باقر الخرسان، نشر دار النعمان.
١٧. الأربلي، كشف الغمة، نشر دار الأضواء – بيروت.
١٨. الاصفهاني، محمد تقي، ميكال المكارم، مؤسسة الامام المهدي عجل الله فرجه، قم، ط٤، ١٤٢٢هـ.
١٩. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، نشر مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٥.
٢٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مكتبة المنصورة، نشر مكتبة المنصورة – مصر، ط١، ودار اليمامة، دمشق، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٢١. البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، المكتب الاسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٢٢. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن صمد عثمان، نشر دار الفكر – بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ .
٢٣. التفتازاني، سعد الدين، شرح المقاصد، دار النعمانية، باكستان، ط١، ١٤٠١هـ.
٢٤. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، نشر دار المعرفة بيروت، ط١ ،١٤١١ هـ.
٢٥. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.
٢٦. الحسكاني، شواهد التنزيل، محمد باقر محمودي، نشر مجمع إحياءِ الثقافة الإسلامية – إيران،

الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٢٧. حسين، عبد الباسط محمد، الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، دار غريب للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٨. الحويزي، عبد علي جمعة، تفسير نور الثقلين، نشر مؤسسة إسماعيليان، قم المشرفة،ط٤، ١٤١٢هـ.
٢٩. الخوارزمي، المناقب، حقيق: مالك المحمودي، نشر جامعة مدرسين – قم، ط٢، ب.تا.
٣٠. الدارمي، عبد الله بن بهرام ، سنن الدارمي، نشر مطبعة الاعتدال، بيروت، ط١، ب.تا.
٣١. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق، إشراف وتخريج: شعيب الأرناؤوط / تحقيق: إبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت؛ ط٩، ١٤١٣ هـ.
٣٢. الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، نشر مؤسسة الإمام المهدي/ قم.
٣٣. السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق عبد الرحمن صمد عثمان، نشر دار الفكر – بيروت.
٣٤. السيوطي، الجامع الصغير، دار الفكر . بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
٣٥. السيوطي، الدر المنثور، نشر دار الفكر – بيروت ١٤١٤هـ.
٣٦. السيوطي، جلال الدين ، الجامع الصغير، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٧. الصدوق ، من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي أكبر غفاري، نشر جامعة مدرسين – قم.
٣٨. الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، نشر جامعة مدرسين– قم، ط١. ب.تا.
٣٩. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، نشر المكتب الإسلامي التابع لجامعةالمدرسين، قم، ط١.
٤٠. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، منشورات جامعة المدرسين قم، ط١، ١٤٢١هـ.
٤١. الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، المكتب الحيدرية، النجف، ط١، ١٩٦٦م.
٤٢. الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
٤٣. الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة إيران، ١٤٠٥هـ.
٤٤. الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: إبراهيم الحسيني، نشر دار الحرمين.
٤٥. الطبراني، المعجم الصغير، تحقيق: دار الكتب العلمية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٢٣هـ.

٤٦. الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد، الثانية، نشر مكتبة ابن تمية، القاهرة، ط٢، ب.تا.
٤٧. الطبري، محب الدين، ذخائر العقبى، نشر مكتبة القدس، ط١، ١٣٥٦هـ.
٤٨. الطبري، محمد بن جرير(الشيعي)، دلائل الإمامة، ، تحقيق مؤسسة البعثة، نشر مؤسسة البعثة، قم، ط١، .
٤٩. الطوسي، غيبة الطوسي، نشر المعارف الإسلامية – قم، ط١، ب.تا.
٥٠. عبد الوهاب، شرح كلمات أمير المؤمنين، مؤسسة الرسالة، ط١، ب.تا.
٥١. العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، نشر دار المعرفة – بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ..
٥٢. العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، مؤسسة النر لإسلامي، قم، ط١، ١٤١٢هـ.
٥٣. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي؛ نشر مؤسسة دار الهجرة، المدينة المنورة، ط٢، ١٤١٠هـ.
٥٤. الفيومي، أبو العباس احمد بن محمد، مصباح المنير، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١ ، ١٤٢٢هـ.
٥٥. القابنجي، حسن علي، شرح رسالة الحقوق للامام زين العابدين، مؤسسة اسماعيليان، قم، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٥٦. القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٥٧. القندوزي، ينابيع المودة، تحقيق: علي جمال أشرف الحسيني، نشر أسوه، ط١، ١٤١٦هـ.
٥٨. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، قم، ط١.
٥٩. المتقي الهندي، كنز العمال، تحقيق: بكري صفوة البقا، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ..
٦٠. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
٦١. المعتزلي، ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة، دار احياء الكتب العربيةن بيروت، ط١، ١٩٥٩م.
٦٢. المفيد، محمد بن محمد، الإفصاح، دار المفيد، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.
٦٣. المقداد السيوري، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ.
٦٤. المناوي، فيض القدير، تحقيق أحمد عبد السلام، نشر دار الكتب العلمية – بيروت،

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٦٥. النسائي، السنن الكبرى، عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٦٦. النسائي، خصائص أمير المؤمنين، تحقيق محمد هادي الأميني، نشر مكتبة نينوى الحديثة، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٧. النسيابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٦٨. النعماني، غيبة النعماني، تحقيق أكبر الغفاري، نشر مكتبة الصدوق – طهران، ط٢، ب.تا.

٦٩. الهيثمي، نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٧٠. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، نشر مؤسسة أهل البيت# – قم، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧١. موقع مؤسسه تحقيقات ولي عصر عليه السلام، مقالة تحت عنوان (اعتراف علماء اهل السنة بولادة الإمام المهدي عليه السلام + صورة الكتب)، تاريخ النشر: ١٤ شعبان ١٤٤٤ هـ، الرابط: (https://www.valiasr aj.com/arabic).

ISBN: 978-9922-21-412-2

الأبعاد الفقهية للقصاص وآثارها في حفظ الهوية الإسلامية

م.د طالب عبد الواحد شعلان المسعودي/ كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة
talib.shaalan@alkadhum-col.edu.iq

المقدمة:

إن الأصل في القصاص هو الكتاب الكريم والتي وردت في سور متعدد ومنها قوله تعالى﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [1] ، وهذا اللفظ الوجيز المعجز والمختصر وهو غاية في الايجاز والايضاح والاشارة والكناية والطباق وحسن البيان والابداع[2]، وهو تعبير مجازي جمع بين الضدين وهما القصاص والحياة، وهو في اصل اللغة قد اخذ من التقاص في الجراحات والحقوق، أي الاخذ منه، ويدل على تتبع الشيء[3]، أو مأخوذ من القصص والمراد منها تتبع الاثر وتعقبه ثم استعمل في تتبع الدم بالقود. والتعبير بالأخ في قوله تعالى﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾ [4] ، وهذا التعبير القرآني هو نوع من اثارة المحبة والرأفة، فولي الدم مخير بين القصاص وهو حكمه وبين العفو وأخذ الدية أو العفو بدون أخذ الدية، فهذه الآيات الكريمة تبين النظرة الشمولية الاسلامية في معالجة جميع المشاكل بشكل دقيق بعيدا عن الافراط والتفريط، كما هو الحال في فرض القصاص لا غير في الديانة اليهودية المحرفة، والديانة المسيحة التي ركزت على العفو، ففي الاولى انتقاماً وفي الثانية تشجيعا على الاجرام، ومن هنا فأن المسيرة الانسانية التكاملية؛ لكي تتطور لابد من اقتلاع العوامل التي تعرقل هذه المسيرة، وهو ما يضمن استمرار الحياة وبقائها بأكمل وأجمل وجه، كل الانظمة الوجودية في عالمنا هي قائمة على إزالة الموجودات الضارة، ففي المجال الطبي نرى بجواز قطع العضو الفاسد اذا شكل خطراً على بقية الاعضاء، وهكذا الحال في الزراعة التي تفرض على ازالة النباتات والاغصان الضارة من اجل استمرار نمو النباتات المفيدة، وهكذا هو الحال في القصاص من العضو الفاسد في هذا المجتمع الانساني الذي يسعى نحو التكامل التطور، فالذين يرون ان القصاص هو قتل شخص اخر فهو منظار

---

(١) البقرة/ ١٧٩.

(٢) الحموي، علي بن محمد خزانة الادب، ٣٦٤.

(٣) الفراهيدي(ت:١٧٥هـ)، الخليل، العين، ج٥ ص١٠؛ ابن فارس، احمد، معجم مقاييس اللغة، ج٥ ص١١؛ الاصفهاني(ت: ٤٢٥هـ)، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، ص٤٠٤-٦٧٢.

(٤) البقرة/ ١٧٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

قاصر وفردي، بينما من يرى المصلحة العامة من اجل حفظ الفرد والمجتمع لابد من القول بوجود القصاص كحكم لا على نحو الالزام كما هو الحال في التشريع الاسلامي.

أهداف الدراسة:

من أهم الاهداف التي يرجى تحققها

١- تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ضرورة تطبيق علاج القصاص في المجتمع الانساني من أجل اشاعة الاستقرار والامن والسلام في حياة الفرد المسلم والمجتمع الانساني.

٢- إن اقامة القصاص على المجرمين والجناة له الاثر الكبير في حفظ الهوية الاسلامية والتي تعتبر القصاص من المواضع الحساسة والخطيرة التي تتوقف عليها حياة الناس والمجتمع.

٣- تسليط الضوء على المجتمعات التي تطبق منهج القصاص والتي يسودها الامن والامان والاستقرار والسلام، في حين المجتمعات التي لا تطبق هذا المنهاج الانساني تشيع فيها الجريمة وعدم الامان والامن مع ازدياد الامراض الاجتماعية والنفسية فيها.

٤- إن دعوى الدفاع عن حقوق الانسان وحريته هي دعوى حق يراد بها باطل، من خلال عدم إنزال القصاص والعقوبة بحق مجرمي العالم الذين اذاعوا القتل والتمثيل بشعوب المنطقة كما في فلسطين المحتلة والعراق وسوريا ولبنان واليمن وغيرها.

٥- إن تطبيق احكام القصاص لا تقصر على زمن دون غيره ولا مكان دون غيره فهو مواكب لجميع الازمنة من زمن الخليقة الى يوم البعث، فهي احكام انسانية فيها من الشمول الاستيعاب.

سابقة البحث:

لا تكاد تخلوا مصنفات فقهاء الاسلام عند كل المذاهب الاسلامية من البحث حول القصاص في ادلته من الكتاب والسنة الشريفة والمصادر الاخرى، وماهي شروط تحقق وجوب القصاص؟ وما هي أنواعه؟ وما شروط كل نوع من انواعه؟ وما هو الفرق بينه وبين الحد والتعزير؟ الا اننا نحاول من خلال هذه الدراسة ان تسلط الضوء على اهمية هذه العلاج المهم في الحفاظ على الهوية الاسلامية في مجتمعاتنا من اجل استمرار الحياة الحرة الكريمة التي يسودها العدل والامان والامن والاستقرار من خلال مكافحة جريمة والحد منها.

المبحث الأول: القصاص بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي والالفاظ ذات الصلة

المطلب الاول: المفهوم اللغوي للقصاص:

القصاص من المعاني الاضافية [١]، وليست الحقيقية، بمعنى أن تصوره يحتاج الى تصور معاني اخرى في الخارج، فهو يستلزم وجود الجاني المقتص منه، والمجني عليه (المقتص له)، والفعل الذي سبب القصاص(الجناية)، ثم القصاص فهذه عناوين اربعة لهذا المعنى الاضافي.

ومعناه في كتب اللغة هو اقتفاء الاثر، بمعنى أن تفعل بالجاني بمثل ما فعل بك سواء شمل النفس أو دونها.

ففي كتاب العين للفراهيدي القصاص: التقاص في الجراحات والحقوق، شيء بعد شيء، ومنه الاقتصاص والاستقصاص والإقصاص لكل معنى، اقتص منه أي أخذ منه. واستقص منه أي طلب أن يقص منه، وأقصه به <[٢]، وفي الصحاح <قص أثره ، أي تتبعه . قال الله تعالى : ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾ . وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره[٣] ، وفي المعجم (قص) القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء من ذلك قولهم اقتصصت الأثر إذا تتبعته . ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح وذلك أنه يفعل به مثل فعله بالأول فكأنه اقتص أثره[٤] ، وعن الفيومي[٥] والاصل فيها هو قصصته، وهي إما بمعنى القطع، كما لو قال قصيت الظفر ، أي قطعته، أو قصصت الاثر أي تتبعته، كما في المقاصة عندما يكون لك دين وتجعله في مقابل دين عليك، ثم غلب استعمال القصاص في القتل والجرح والقطع.

ومن هنا فأن القصاص في اللغة هو تتبع الاثر

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للقصاص

عرف الفقهاء القصاص بتعريفات هي قريبة جدا عن التعريف اللغوي، بوصفهم له استيفاء أثر الجناية من خلال فعل المقتص بان يفعل بالجاني بمثل فعله من القتل او القطع او الجرح على نحو العمد[٦]، كما جاء عن العلامة في التحرير وفي المغني والشرح الكبير لأبن قدامة <ولأنّ

---

(١) العلوي، عادل، القصاص على ضور القرآن والسنة(تقرير لبحث السيد المرعشي)، ج١ ص٣٠.

(٢) الفراهيدي(ت:١٧٥هـ)، الخليل، العين، ج٥ ص١٠

(٣) الجوهري(ت: ٣٩٣هـ)، إسماعيل بن حماد، الصحاح، ج٣ ص١٠٥١.

(٤) ابن فارس(ت:٣٩٥هـ)، احمد، معجم مقاييس اللغة، ج٥ ص١١؛هـ الفيروز آبادي(ت:٨١٧هـ)، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط،ج٣ ص٣١٣؛ الطريحي(ت: ١٠٨٥هـ)، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٤ ص١٨٠.

(٥) الفيومي(ت: ٧٧٠هـ)، أحمد بن محمد، المصباح المنير، ص٥٠٥.

(٦) المفيد(ت: ٤١٣هـ)، محمد بن محمد، المقنعة، ص٧٦٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

معنى القصاص أنْ يُفْعل به كما فَعَلَ[١]> ، وقريبة منها للشافعي[٢]، وقيده الفاضل الهندي[٣] لا ان يفعل هو بنفسه، وعن صاحب الجواهر>والمراد به هنا استيفاء أثر الجناية من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح ، فكان المقتص يتبع أثر الجاني فيفعل مثل فعله ، ويقال : اقتص الأمر فلانا من فلان إذا اقتص له منه<[٤]، ووصفها مغنية[٥] والشربيني وبن حجر بالمرادف من المعنى هو هو المماثلة والمساواة.

المطلب الثالث: الالفاظ ذات الصلة بالموضوع:

المقصد الاول: مفهوم الحد لغةً

للحد عند للغويين [٦] اصلان، الاول: هو المنع، والثاني: طرف ومنتهى الشيء ويعبر عنه بالحاجز بين شيئين، فحدود الله تعالى هي الاوامر التي يجب ألا يتعداها المكلف، ومن هنا سمية الحد حداً؛ لأنه يردع المجرم من تكرار الجريمة. ووصفه صاحب القاموس .[٧]بأنه تأديب المذنب بما يمنعه عن الذنب. فالهدف من الحد هو منع الجاني من معاودة جريمته.

المقصد الثاني: الحد اصطلاحاً

عرفها الفقهاء[٨] بأنها العقوبة التي حددها الشارع المقدس على بعض الجرائم والذنوب والتي تتعلق بإيلام بدنه، ومن هنا سميت في اللغة بالمنع؛ لأنها تمنع من التلبس بالذنب ومن المعاودة

---

(١) العلامة الحلي(ت:٧٢٦هـ)، الحسن بن يوسف، تحرير الاحكام، ج٥ ص٤٩٢؛ ابن قدامة(ت: ٦٢٠هـ)، عبد الله ، المغني، ج٩ ص ٣٩٥؛ عبد الرحمن (ت: ٦٨٢هـ)،الشرح الكبير، ج٩ ص ٣٩٩.

(٢) الشافعي(ت: ٢٠٤هـ)، محمد بن إدريس، الام، ج٧ ص٣٥٠.

(٣) الفاضل الهندي(ت: ١١٣٧هـ)، بهاء الدين محمد بن الحسن، كشف اللثام، ج١١ ص١٦.

(٤) النجفي الجواهري(ت: ١٢٦٦هـ)، محمد حسن، جواهر الكلام، ج٤٢ ص٧.

(٥) مغنية(ت: ١٤٠٠هـ)، محمد جواد، فقه الامام جعفر الصادق، ج٦ ص٣٤٠؛ ابن حجر(ت: ٨٥٢هـ)، شهاب الدين، فتح الباري،ج١٢ ص١٨٣؛ الشربيني(ت: ٩٧٧هـ) محمد بن احمد، مغني المحتاج، ج٤ ص٤٨.

(٦) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ج٣ ص١٩؛ الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، ج٢ ص٤٦٢-٤٦٣؛ ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة،ج٢ ص١١؛ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٣ ص ١٤٠؛ الرازي(ت: ٧٢١هـ)، محمد بن ابي بكر، ص٧٤.

(٧) الفيروز آبادي(ت: ٨١٧هـ) محمد بن يعقوب، القاموس، ج١ ص٢٨٦.

(٨) السيوري الحلي(ت: ٨٢٧هـ)، جمال الدين مقداد، التنقيح الرائع، ج٤ ص٣٢٧؛ الكاشاني(ت: ٥٨٧هـ)، أبي بكر بن مسعود، بدائع الصنائع، ج٧ ص٣٣؛ العاملي الشهيد الثاني(ت٩٦٥هـ)، زين الدين، مسالك الافهام، ج١٤ ص٣٢٦؛ ابن نجيم المصري(ت: ٩٧٠هـ)، زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق، ج٦ ص٦٢؛ الطباطبائي(ت: ١٢٣١هـ)، علي، رياض المسائل، ج١٥ ص٤٣٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

اليه وسبب في منع من له ميل نحو الجريمة لارتكابها. وكلماتهم تشير الى ان المراد بالحد هو نفس العقوبة.

المقصد الثالث: التعزير لغةً

التعزير في اللغة[١] لها أصلان: الاول: هو التعظيم والتوقير والنصر كما في قوله تعالى ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [٢] ، والثاني: التأديب: ومنه سميه الضرب دون الحد تعزيراً، وابن فارس يقول عنه انه جنس من الضرب وهو دون الحد. وهو نصر بالمعنيين كما افاده صاحب المفردات للراغب[٣]، بالمعنى الاول بحجب كل ما يضره عنه، وهو نصر ايضا بمعناه الثاني وهو التأديب، بمنعه كما يضره. ويذهب البعض [٤]الى أن أصله من العزر وهو المنع والزجر، ومن هنا سميه النصر تعزيراً؛ لأنه يمنع العدو ويدفعه، ومن نصرته منعت اعداءه من أذاه.

المقصد الرابع: التعزير اصطلاحاً

هو في كلمات الفقهاء [٥] أن يؤدب الجاني سواء كان مكلفاً أولا بمطلق التأديب بالضرب أو الحبس أو التوبيخ، بعقوبة غير مقدر شرعاً غالباً، وانما تقديرها موكول الى الحاكم الشرعي حسب ما يراه مناسباً، نتيجة لإخلاله بواجب أو عمل قبيح.

المقصد الخامس: الجناية لغةً

الأصل الجناية مشتقة من جني الشيء يجنيه[١] ، أي أكتسبه، وهو أخذ الثمرة من شجرها، ويحمل عليه جناية الجاني التي يجنيها من الذنب والجرم والتي تستوجب العقوبة والقصاص،

---

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، ج٠٣ ص٧٤٤؛ ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج٤ص٣١١؛ الاصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، ص٥٦٤؛ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٤ ص٥٦١؛ الرازي، محمد، مختار الصحاح، ٢٢٦.

(٢) الفتح/٩.

(٣) الاصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، ص٣٣٣.

(٤) ابن الاخوة القرشي(ت: ٧٢٩هـ)، محمد بن محمد، معالم القربة، ص١٩٠- ١٩١.(الناشر: دار الفنون(كمبردج) طبعة مصر)

(٥) الحلبي(ت:٤٤٧هـ)، تقي بن نجم، الكافي في الفقه، ص٤١٦؛ الماوردي البغدادي(ت: ٤٥٠هـ) علي بن محمد، الأحكام السلطانية، ص٢٣٦؛ ابن زهرة الحلبي(ت: ٥٨٥هـ)، حمزة بن علي، غنية النزوع، ص٤٣٥؛ المحقق الحلي(ت: ٦٧٦هـ)، الحسن بن يوسف، تحرير الأحكام، ج٥ ص٣٤٩؛ العاملي الشهيد الثاني(ت٩٦٥هـ)، زين الدين، مسالك الافهام، ج١٤ ص٣٢٦؛

ISBN: 978-9922-21-412-2

وهي ايصال الاذى إلى غير مستحقيها، قال الطريحي :(جنا) قوله تعالى : وجنا الجنتين دان أي ما يجتنى منهما قريب ، يقال : جنيت الثمرة أجنيها ، وأجتنيها بمعنى . والجنى مثل الحصى ما يجني من الشجر ما دام غضا ، والجني على فعيل مثله . والجناية – بالكسر – : الذنب والجرم مما يوجب العقاب والقصاص ، وهي في اللغة عبارة عن إيصال المكروه إلى غير مستحق ، وفي الشرع عبارة عن إيصال الألم إلى بدن الإنسان كله أو بعضه ، فالأول جناية النفس والثاني جناية الطرف.[٢]

المقصد السادس: الجناية اصطلاحاً

في الشرع هو إيصال الاذى الى جسد الانسان كله أو بعضه[٣]، والاول يوجب قصاص النفس والثاني يوجب قصاص الطرف. ومن هنا وصفها البعض بالذنب والقتل والقطع والجرح، قال النووي في المجموع> والجناية الذنب والجرم ، وما يفعله الانسان مما يوجب عليه العقاب أو القصاص في الدنيا والآخرة ، والمعنى أنه لا يطالب بجناية غيره من أقاربه وأباعده ، فإذا جنى أحدهم جناية لا يطالب بها الاخر لقوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .[٤]

المقصد السابع: الفرق بين القصاص والحد والتعزير

القصاص	الحد	التعزير
هو عقوبة مقدرة شرعاً	هو عقوبة مقدرة شرعاً	هو عقوبة غير مقدرة
هو حق للإنسان	هو حق لله تعالى	قد يجب حقاً لله تعالى او للفرد
ولي القصاص يجوز له العفو	لايجوز	يجوز العفو
يدرأ بالشبهات	يدرأ بالشبهات	لا يدرأ بالشبهات
تقام من قبل الامام أو نائبه	تقام من قبل الامام أو نائبه أو القضاة	يمكن اقامتها من غير الامام أو القضاة أو نائبه كتأديب الوالد لولده

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج١ ص٤٨٢ ؛ الطر يحي(ت: ١٠٨٥هـ)، فخر الدين، مجمع البحرين، ج١ ص٩١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الطر يحي(ت: ١٠٨٥هـ)، فخر الدين، مجمع البحرين، ج١ ص٩١.

(٤) النووي(ت: ٦٧٦هـ)، محيي الدين بن شرف ، ج١٨ ص٣٤٤.

ISBN: 978-9922-21-412-2

تقام على المكلفين فقط	تقام على المكلفين فقط	تقام على غير المكلفين
لا يضمن من اقامه في حال التلف	لا يضمن في حال التلف	في ضمانه خلاف
يثبت بالبينة والاقرار	يثبت بالبينة والاقرار	لا يشترط ذلك
حق القصاص يورث لأولياء الدم	الحد لا يورث	التعزير لا يورث

المبحث الثاني: تاريخية القصاص ونتناوله بعدة مطالب:

جُبل الانسان في خلقه على وجود قوتين، وقوة تمثل الخير وقوة تمثل الشر، وهما في حالة صراع وتنازع مستمر فمتى ما تغلبت القوة العاقلة على قواه الاخرى سوف يكون في مصافي الصالحين والمنتجين في هذا المجتمع الانساني، ومتى ما كانت قواه الاخرى هي المسيطرة سوف يخرج عن مساره الانساني والطبيعي، وهذا الخروج دائماً يحتاج الى رادع لتصحيح المسار نحو المسيرة الصالحة، ومن هذه القوانين الرادعة هو قانون القصاص من بداية الخليقة الى يومن هذا.

المطلب الأول: القصاص في الحضارات القديمة والبحث فيه مقصدان:

المقصد الأول: القصاص في الحضارة البابلية

شرع حمورابي هو سادس ملوك بابل (١٧٩٢- ١٧٥٠) قبل الميلاد، مجموعة من القوانين وكتبها على مسلة تعرف بمسلة حمورابي الشهيرة، ويحتوي هذا القانون على ٢٨٢ مادة قانونية، وكان اساس العقوبات هو على اساس النفس بالنفس والعين بالعين، وقد وصف الحقيل هذا القانون هو عبارة عن تدوين للعادات الشائعة في عصره، وتسمه بصوره عامة بالقسوة والطبقية.[١]

يذكر صاحب كتاب الحضارة إن مبدأ العقوبات القديمة قائم على اساس إن النفس بالنفس والعين بالعين، وقد ذكر امثلةً على ذلك والتي منها إذا أنّه إذا كسر إنسان لرجل شريف سناً أو فقأ له عيناً أو هشّم له طرفاً من أطرافه حلّ به نفس الأذى الذي سببه لغيره، وإذا ضرب إنسان بنتاً وماتت لم يحكم بالموت على الضارب؛ بل حكم به على ابنته. ثمّ استبدل بهذه العقوبات النوعية شيئاً فشيئاً غرامات مالية، وبدأ ذلك بأن يجاز دفع فدية مالية بدل العقوبة البدنية، ثمّ أصبحت الفدية بعدئذ العقوبة الوحيدة التي يجيزها القانون فكان جزاء فقئ عين السوقي ستين شاقلاً من الفضة، فإذا فقئت عين عبد كان جزاء فقئها ثلاثين؛ وذلك أنّ العقوبة لم تكن تختلف باختلاف

(١) الحقيل، سليمان بن عبد الرحمن، حقوق الانسان في الإسلام، ص٢٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

خطورة الجريمة وحسب؛ بل كانت تختلف أيضاً باختلاف المركز الاجتماعي للجاني والمجني عليه، وإذا ارتكب أحدهم جريمة كانت عقوبته أشدّ من عقاب السوقي إذا ارتكب الجريمة نفسها، أما الجريمة التي ترتكب ضد أحد الإشراف فقد كانت غالية الثمّن. .[١]

يذكر صاحب كتاب الشرق الادنى من الجوانب السيئة في هذا القانون وكأنه قد شرعة قوانينه بالتطبيق على طبقة دون اخرى ، فهي لا تطبق على الطبقة العليا بل تكون عقوبتهم هي التعويض المادي وأما القصاص فهو يطبق على الطبقات الادنى.[٢]

المقصد الثاني: القصاص في الحضارة الرومانية

إن مبدأ الحكم في الحضارة الرومانية هو القصاص بأنواعه فقد جاء في كتاب حقوق الانسان لحقيل: بصدور قانون الالواح الاثني عشر من أوائل عصر الجمهورية على أثر ثورة عارمة على طبقة الاعيان في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد حث جمعت العادات الرومانية السائدة في ذلك الوقت، ثم نقشت على اثنتي عشر لوحاً نحاسياً وتعنبر هذه الالواح هي نواة لكل تشريع روماني لاحق، حيث ألغت الفوارق بين الشعب الروماني فقيره وغنيه ووضعت اصول المحاكمات العقوبات التي امتازت بالقسوة، فمثلا: كانت تنص على اعدام السارق المتلبس بالسرقة، وقد أجاز للاب بيع اولاده.[٣]

المطلب الثاني: القصاص في الشرائع السابقة وفيه مقصدان:

المقصد الاول: القصاص في الشريعة اليهودية

ذكرت بعض العبارات في بعض الاسفار التابعة للصحاح التاسع الخاص بالشريعة اليهودية، والتي تدل على أن القود كان واجباً على القاتل سواء للنفس أو ما دونها وهو حق لولي الدم على ان يكون القتل خارج المعبد كما جاء في سفر التثنية من الاصحاح التاسع عشر> لا يسفك دم برئ في وسط ارضك التي يعطيك الرب الهك نصيبا فيكون عليك دم، ولكن إذا كان إنسان مبغضاً لصاحبه فكمن له وقام عليه وضربه ضربة قاتلة فمات، ثمّ هرب إلى إحدى تلك المدن... يرسل شيوخ مدينته ويأخذونه من هناك ويدفعونه يد ولي الدم فيموت... لا تشفق عينيك عليه، فتنزع دم البريء عن إسرائيل فيكون لك خير... لا تُشفِقْ عَينُكَ. النَّفْسُ بِالنَّفْس، والعَينُ بِالعَين،

(١) ويل ديورانت، قصة الحضارة، ج٢ م١ص٢٠٨.
(٢) ينظر: صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، ج١ ص٧٠٥.
(٣) ينظر: الحقيل، سليمان بن عبد الرحمن، حقوق الانسان في الإسلام، ص٢١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

والسِّنُّ بِالسِّنّ، واليَدُ بِاليَد، والرِّجْلُ بِالرِّجْل [1] > .وجاء في الصحاح ٣٥ سفر العدد< ان ضربه بأداة حديد فمات فهو قاتل. ان القاتل يقتل. وان ضربه بحجر يد مما يقتل به فمات فهو قاتل. ان القاتل يقتل. او ضربه بأداة يد من خشب مما يقتل به فمات فهو قاتل. ان القاتل يقتل. ولي الدم يقتل القاتل. حين يصادفه يقتله. [2] > وقد أخذ في هذا السفر أنّ عقوبة القصاص تجري في حالتين، الأولى إذا كانت الأداة المستخدمة في القتل قاتلة، والثاني إذا كان الجاني متعمداً للقتل سواء أكانت الأداة المستخدمة في الجناية قاتلة أم غير قاتلة، وأما في حال الخطأ أو كون الأداة التي استخدمت لم تكن قاتلة فحينئذ يقضي جماعة بين الجاني وولي الدم، كما أنّه اشترط على القاتل أن لا يخرج من ملجأه الذي هرب إليه، فإنّ خرج وصادفه ولي الدم وقتله فلا دم له، كما اشترط أيضاً أنّه لا يجوز للقاتل العودة إلى بلده إلا بعد موت الكاهن، وأنّ الجريمة لا تثبت بشهادة شاهد واحد.

المقصد الثاني: القصاص في شريعة النصارى

جاء في إنجيل متى الاصحاح الخامس كونه جاء مكملا لما جاءت به الأنبياء من الاحكام والقوانين والتي منها ان من يقتل يكون مستوجبا للقتل مع الإشارة الى القصاص النفس بالنفس العين بالعين والسن بالسن، مع الدعوة الى العفو المسامحة <لا تظنوا أن جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض؛ بل لأُكمل فإني الحق أقوله لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.. قد سمعتم أنّه قيل للقدماء لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم أنّ من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. سمعتم أنّه قيل عين بعين، وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بالشر فحول له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك، ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن شخرك ميلاً واحداً فأذهب معه اثنين.. سمعتم أنّه قبل تحب قريبك وتبغض عدوك، فأما أنا أقول لكم: احبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم، أحبوا مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم[3] .

المبحث الثالث: مشروعية القصاص في الإسلام وفية عدة مطالب:

المطلب الأول: الاستدلال ببعض النصوص القرآنية:

---

(١) العهد القديم، الاصحاح التاسع عشر، سفر التثنية، ١٠-١١-١٢-١٣-٢١.

(٢) المصدر نفسه/ الصحاح ٣٥، سفر العدد.

(٣) الكتاب المقدس، إنجيل متى، الصحاح الخامس.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الاستدلال بجملة من الآيات القرآنية على مشروعية القصاص بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) ، قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢)، قوله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣) ، قوله تعالى﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٤)

اشار جملة من المفسرين(٥) من كل الطوائف الاسلامية أن المراد من القصاص في الآية الكريمة وهي المساواة والمماثلة لا المراد منها كما في بعض كلمات اللغويين هو القود أو المجازاة الذي هو ثابتٌ في الجاهلية والشريعة التوراتية، وهذا لا يتنافى مع ما ذكروه من ان المراد من القصاص هو ان يفعل بالقاتل بمثل ما فعل به، أو يعامل بمثل عمل وغيرها فهذه من مقتضيات المفهوم اللغوي وما بينوه في التفسير هو يعبر عن آرائهم التفسيرية(٦). وفي كلام البعض الفاظ قريبة من معنى المساواة، كما وأن القصاص حكماً مستحدثاً في الشريعة الإسلامية وهو غير مبسوق في الشرائع الأخرى؛ لان لآية على ما حكي انها نزلت كون الاعتقاد السائد في الجاهلية أن القصاص هو القتل ولا يحد بحد معين وانما يكون بحسب قوة القبيلة في ذلك الوقت، فقد يقتل حر بعبد أو عشيرة بواحد وهكذا بحسب قوة ومنعة القبيلة، وهذا القود والقتل

---

(١) سورة البقرة: ١٧٨.

(٢) سورة البقرة : ١٧٩.

(٣) سورة المائدة: ٤٥.

(٤) سورة البقرة :١٩٤.

(٥) الامام العسكري×(ت:٢٦٠هـ)، الحسن بن علي ' التفسير المنسوب للإمام العسكري×، ص٥٩٧؛ الطبرسي(ت: ٥٤٨هـ)، الفضل بن الحسن ، تفسير جوامع الجامع، ج١ ص١٧٩؛ الفيض الكاشاني(ت: ١٠٩١هـ)، محمد محسن، التفسير الأصفى، ج١ ص٨٢؛ فخر الدين الرازي(ت:٦٠٦هـ)، محمد بن عمر، تفسير الكبير، ج٥ ص٥٥؛القرطبي(ت: ٦٧١هـ)، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤ ص١٠٦، ابن العربي(ت: ٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، ج١ ص٩٥؛ ج٢ ١٢٩؛ ج٣ ص٥٣٥؛ الخوئي(ت: ١٤١٣هـ)، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص٢٩٣.

(٦) ينظر: مقالة للشيخ ملكيان، حوله القصاص في القرآن، مجلة نصوص معاصرة.

ISBN: 978-9922-21-412-2

كانت تعتمده اليهود كما أشرنا الى ذلك في البحث السابق كما جاء الصحاح ١٩ من سفر التثنية، والاصحاح ٣٥ من سفر العدد وكما جاء في قوله تعالى:﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .[١]

اما النصارى كما بينا سابقاً كانوا يرون في مورد القتل العمد وغير العمد الا العفو او الدية. كما وان هذا الحكم وهو القصاص مختص بالمسلمين كما ورد عن عدد من الفقهاء والمفسرين [٢]، وهو حكماً الزامياً وواجبا وفرضاً اذا اختار الولي القصاص[٣]، وهو الحكم الافضل من الاحكام الاخرى التي يكون فيه الولي بالخيار، وأيضا الحكم فيه كلفةٌ على المؤمنين؛ لعدم امكان القصاص في بعض الموارد لعدم المساواة وهذه فيها من الكلفة على طباعهم التي ألفوها في قتل القاتل في الجاهلية وفي شريعة اليهود.

ذكرت الآية الكريمة: الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالأنثى، فالمراد من الحر الذكر خصوص لا الجنس من الذكر والانثى بقرينتين: الاولى: لفظ التالي للعبارة وهي العبد بالعبد وهي صريحة بالذكر، واتحاد السياق يقتضي ان المراد من الحرّ خصوص الذكر، كما وان عبارة الانثى بالأنثى، فو كان المراد من الحرّ جنس الحرّ الشامل للذكر والانثى؛ لكانت هذه العبرة الانثى بالأنثى معارضة وتوكيد لما سبق، مما يتعين ان المراد من خلال السياق ان المراد من الحر والعبد خصوص الذكر لا غير. وقوله تعالى ظاهرٌ [٤]كونه كما بينا ان الحكم هو تأسيسي لخصوص المسلمين، والظهور يمنع من حمله على التأكيد الذي يحتاج الى قرينة وهي مفقودة، والحكم في الآية علم لجميع المسلمين يشمل الحر والحرة والعبد والامة،

وهذا هو معنى هو تشريع القصاص وهو المساواة في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى، فقتل الحر بالحر هو قصاصا ومساواة، ومن هنا ان قتل الحرّ بغير الحر هو ليس قصاصا ومساواةً، ولا يقدح هذا الكلام بالأفضلية بكون الملاك بين المسلمين هو التقوى، ان اية القصاص هي اية تنظم الروابط الحقوقية الاجتماعية بين المسلمين من خلال تشريع المساواة

---

(١) سورة المائدة: ٤٥.

(٢) الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ)، محمد حسن، الميزان، ج١ ص٤٣٢.

(٣) الخوئي(ت: ١٤١٣هـ)، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص ٢٩٥.

(٤) مقالة للشيخ ملكيان، حوله القصاص في القرآن، مجلة نصوص معاصرة، (بتصرف من الكاتب).

ISBN: 978-9922-21-412-2

بالقصاص والتي تحتاج في هكذا موارد ضابطة واضحة بدون اشتباه في تطبيقها وهي بخلاف التقوى التي هي من الموارد التي لا يتم ضبطها.

في الآية الكريمة أن الله تعالى حصر القصاص بين الحر بالحر، باعتبار عدم جواز قتله بغيره فهو أفضل والا لجاز قتله، فيكون فضله على الحرة بالذكورية

وفضله على العبد الحرية وفضله على الامو بكلاهما الحرية والذكرية معاً، من هنا صارت بحس ذلك الحرية فوق الذكورية، وقتل الادنى بالعلى كقتل الانثى بالذكر الحرة بالحر لا ينافي قانون المساواة بالقصاص؛ لأنه من بالباب الاولوية والافضل، فقانون القصاص ان المساوي يقاد بالمساوي، ولا يقاد الاعلى بالادون والعكس صحيح ولا ينافيه لأنه من بالباب الافضل والاولى.

وذكر روح الله ملكيان[١] ست عشرة صورة بين القاتل والمقتول وهي:

1- القاتل حرّ والمقتول حرّ، فيُقاد القاتل به؛ لقوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾.

٢. القاتل حرّ والمقتول حرّة، فلا يُقاد بها؛ لفقد المساواة بينهما في الذكورة المصرَّح باعتبارها بقوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾.

٣. القاتل حرّ والمقتول عبد، فلا يقاد به؛ لفقد المساواة بينهما في الحرّية المصرّح باعتبارها بقوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾.

٤- القاتل حرّ والمقتول أمة، فلا يقاد بها؛ لفقد المساواة بينهما في الحرّية والأنوثة المصرَّح باعتبارهما بقوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ... وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾.

٥- القاتل حرّة والمقتول حرّ، فالمساواة بينهما في الذكورة مفقودةٌ، ولكنّ الحرّ أفضل من الحرّة، كما تقدَّم، فقتلها بالحرّ لا ينافي المساواة (القصاص). مع أنّه إذا قُتِلَت الحرّة بالحرّة، مع أنّ الحرّ لا يُقْتَل بها، فأنها تقتل بالحرّ أَوْلى. وقد صرّح بهذه الأولويّة هنا وفي الصورة التاسعة جماعةٌ.[٢]

٦- القاتل حرّة والمقتول حرّة، فتقاد بها؛ للمساواة بينهما في الحرّية والأنوثة.

٧ - القاتل حرّة والمقتول عبد، فلا تقاد به؛ لفقد المساواة بينهما في الحرّية، والحرّة فوق العبد؛ بالحرّية.

٨- القاتل حرّة والمقتول أمة، فلا تقاد بها؛ لفقد المساواة بينهما في الحرّية، والحرّة فوق الأمة؛ بالحرّية.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المحقق الأردبيلي(ت: ٩٩٣هـ)، أحمد، زبدة البيان، ص٦٧٢؛ أبن قدامة، عبد الله، ج٩ ص٣٥٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٩- القاتل عبد والمقتول حرّ، فالمساواة بينهما في الحرّية مفقودةٌ، ولكنّ الحرّ أفضل منه بالحرّية .كما تقدّم .، فقتله بالحرّ لا ينافي المساواة. مع أنّه إذا قُتِل العبد بالعبد، مع أنّ الحرّ لا يُقْتَل به، فأن يُقْتَل بالحرّ أَوْلى.

١٠- القاتل عبد والمقتول حرّة، فالمساواة بينهما في الحرّية والأنوثة مفقودة. والعبد أفضل منها بالذكورة، ولكنّها أفضل منه بالحرّية، وقد تقدَّم أنّ الحرّية أفضل من الذكورة، فقتل العبد بها لا ينافي المساواة. مع أنّه إذا قُتِل العبد بالعبد، مع أنّ الحرّة لا تُقْتَل به، فأن يُقْتَل بالحرّة أَوْلى.

١١. القاتل عبد والمقتول عبد، فيقاد به؛ لقوله: ﴿الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾.

١٢. القاتل عبد والمقتول أمة، فلا يقاد بها؛ لفقد المساواة بينهما في الذكورة، والعبد أفضل منها بالذكورة، فلا يقتل بها.

١٣. القاتل أمة والمقتول حرّ، فالمساواة بينهما في الحرّية والأنوثة مفقودة، ولكنّ الحرّ أفضل منها؛ بالحرّية والذكورة، فقتلها بالحرّ لا ينافي المساواة. مع أنّه إذا قُتِلَت الأمة بالأمة، مع أنّ الحرّ لا يُقْتَل بها، فأن تُقْتَل بالحرّ أَوْلى.

١٤. القاتل أمة والمقتول حرّة، فالمساواة بينهما في الحرّية مفقودة، ولكنّ الحرّة أفضل منها؛ بالحرّية، فقتلها بالحرّة لا ينافي المساواة. مع أنّه إذا قُتِلَت الأمة بالأمة، مع أنّ الحرّة لا تُقْتَل بها، فأن تُقْتَل بالحرّة أَوْلى.

١٥. القاتل أمة والمقتول عبد، فالمساواة بينهما في الذكورة مفقودةٌ، ولكنّ العبد أفضل منها؛ بالذكورة، فقتلها بالعبد لا ينافي المساواة. مع أنّه إذا قُتِلَت الأمة بالأمة، مع أنّ العبد لا يُقْتَل بها، فأن تُقْتَل بالعبد أَوْلى.

١٦. القاتل أمة والمقتول أمة، فتقتل بها؛ للمساواة بينهما في الرقّية والأنوثة.

نلاحظ من خلال هذه الصور ان القود يكون في عشرة منها وعدمه في ستٍّ منها (الثانية والثالثة والرابعة والسابعة والثامنة والثانية عشر) وفيها ثلاثة أكثر وقوعا (الثانية والثالثة والرابعة) بين الحر والحرة وبين الحر والعبد وبين الحر والامة. ذكر السيد الخوئي[١] في تفسيره الى أن جمهور السنة [٢]ان الرجل يقاد بالمرأة الحرة من غير أن يرد الى ورثته شيء من الدية وخالف في ذلك البعض[٣]، مع ان المشهور عند الامامية ان ولي الدم مخير بين الدية وبين القصاص بعد دفع

---

(١) الخوئي(ت: ١٤١٣هـ)، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص٢٩٢.

(٢) القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن، ج٢ ص٢٤٨.

(٣) أبن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٢١٦.

نصف دية الرجل. كما وان الامامية مجمعةٌ بعدم قود الحر بالعبد، وهو مشهور السنة وخالفهم بذلك ابو حنيفة وغيره[١] ودليلهم على ذلك قوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٢] . والتي نسخت الآية الكريمة:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٣] ، إلا ان السيد الخوئي[٤] رد ذلك من خلال كون الآية الأخيرة محكمة، كما وانها مقيدة ولا يمكن للمطلق ان ينسخ المقيد، فلا موجب لذلك القصاص، والروايات بهذا الباب ضعيفة كما وانها معارضة بروايات صحيحة أخرى، فلا دلالة على النسخ بين الآيتين.

قوله تعالى: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) هي حاكية عن القود على بني إسرائيل، اما قوله تعالى: كتب عليكم القصاص فهو تشريع مستحدث إسلامي، والمقابلة تكون بين هذه الفقرتين، ومع بقاء الفقرات الأخرى في سورة المائدة على حاكميتها، مع بطلان النسخ بين الآيتين كونهما محكمتين والأخيرة مطلقة والمطلق لا ينسخ المقيد كما بينه السيد الخوئي.

قوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [٥] جاء في تفسير الميزان ان المراد من الآية الكريمة هو بيان حكمة التشريع، والتي قد يتوهم من ان العفو والرأفة هو اقرب للمصلحة من القصاص، ان العفو الرحمة وان كان اقرب للرحمة الا مصلحة الناس قائمة بالقصاص>قوله تعالى : ولكم في القصاص حياة يا اولي الألباب لعلكم تتقون ، إشارة إلى حكمة التشريع ، ودفع ما ربما يتوهم من تشريع العفو والدية وبيان المزية والمصلحة التي في العفو وهو نشر الرحمة وإيثار الرأفة ان العفو أقرب إلى مصلحة الناس ، وحاصله أن العفو ولو كان فيه ما

---

(١) المصدر نفسه ص١٥.

(٢) سورة المائدة: ٤٥.

(٣) سورة البقرة: ١٧٨.

(٤) الخوئي(ت: ١٤١٣هـ)، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص٢٩٢.

(٥) سورة البقرة : ١٧٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

فيه من التخفيف والرحمة ، لكن المصلحة العامة قائمة بالقصاص فإن الحياة لا يضمنها إلا القصاص دون العفو والدية ولا كل شيء مما عداهما .[١]

المطلب الثاني: الاستدلال بالسنة الشريفة

أشارت المصادر الروائية المعتبرة عند الامامية والمذاهب الاسلامية الاخرى الروايات الصادرة عن الرسول الاكرمˀ عن مشروعية القصاص من خلال بيان ما ورد بخصوص آيات القصاص التي ذكرناها في المطلب السابق، من الروايات التي وردت بخصوص عدم جواز قتل الحر بالعبد وهي روايات كثيرة كما في رواية الكافي والتهذيب والاستبصار عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أحدهما عليهما السلام قال : قلت له قول الله عز وجل : " كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى " قال : فقال : لا يقتل حر بعبد ولكن يضرب ضربا شديدا ويغرم ثمنه دية العبد.[٢] .

الروايات التي اجازت قتل العبد بالحر وهي لا تقدح المساواة بالقصاص ولكن من باب الاولوية والافضلية فعن الكافي عن الامام الصادق عليه السلام عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال : يقتل العبد بالحر ولا يقتل الحر بالعبد ولكن يغرم ثمنه ويضرب ضربا شديدا حتى لا يعود.[٣]

وعن علي بن ابراهيم عن الامام الصادق عليه السلام علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: لا يقتل الحر بالعبد وإذا قتل الحر العبد غرم ثمنه وضرب ضربا شديدا[٤]

قتل الرجل للمرأة وقتل المرأة للرجل فعن علي بن إبراهيم عن ابي عبد الله عليه السلام علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: إذا

---

(١) الطباطبائي(ت: ١٤٠٢هـ)، محمد حسن، الميزان، ج١ ص٤٣٣.

(٢) الكافي(ت: ٣٢٩هـ)، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٧ ص٣٠٤؛ الطوسي(ت: ٤٥٠هـ)، محمد بن الحسن، الاستبصار، ج٤ ص٢٧٢؛ التهذيب، ج١٠ ص١٩١؛ الحر العاملي(ت: ١١٠٤هـ) محمد بن الحسن، الوسائل(آل البيت)، ج٢٩ ص٩٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

قتلت المرأة رجلا قتلت به وإذا قتل الرجل المرأة فإن أراد القود أدوا فضل دية الرجل وأقادوه بها وإن لم يفعلوا قبلوا من القاتل الدية – دية المرأة – كاملة ودية المرأة نصف دية الرجل[١] .

وعن ابي عبد الله عليه السلام علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حماد ، عن الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في رجل يقتل المرأة متعمدا فأراد أهل المرأة أن يقتلوه قال : ذلك لهم إذا أدوا إلى أهله نصف الدية وأن قبلوا الدية فلهم نصف دية الرجل و إن قتلت المرأة الرجل قتلت به وليس لهم إلا نفسها.[٢]

في المروي عن صحيح البخاري كان حكم القصاص دون الدية في بني اسرائيل مع الاشارة الى ان القصاص هو من مستحدثات الشريعة الاسلامية والمراد منها المساواة الحر بالحر والعبد بالعبد . حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت مجاهدا قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية فقال الله تعالى لهذه الأمة كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فالعفو ان يقبل الدية في العمد فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان يتبع بالمعروف ويؤدى بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم قتل بعد قبول الدية[٣] . عن النسائي في سننه في قصاص المرأة للمرأة

أخبرنا يوسف بن سعيد قال حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع طاووسا يحدث عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه أنه نشد قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فقام حمل بن مالك فقالا كنت بين حجرتي امرأتين فضربت إحداهما الأخرى بمسطح فقتلتها وجنينها فقضى النبي صلى الله عليه وسلم في جنينها بغرة وأن تقتل بها.[٤]

وهذه الروايات المروية عن النبي الاكرم' تؤيد المعنى المراد من القصاص في آياته.

المطلب الثالث: أثر القصاص ودوره في حفظ الحياة الاسلامية

بعد بيان المراد من القصاص في آياته الكريمة وهو من مستحدثات الشريعة الاسلامية وهو يختلف عما هو سائدٌ في الشريعة التوراتية وجاهلية العرب، وانتهاج والوسطية في معالجة جر ائم العمد من القتل وما دونه، والتي لو طبقت لحد من جرائم الفاسدين والمجرمين ولساد الامن

---

(١) الكافي، ج٧ ص٢٩٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البخاري(ت: ٢٥٦هـ)، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج٥ ص١٥٤.

(٤) النسائي(ت:٣٠٣هـ)، أحمد بن علي بن شعيب ، سنن النسائي، ج٨ ص٢٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

والامان والاستقرار بنسبة كبيرة في البلاد الاسلامية، كما هو واضحٌ في الدول التي تطبق هذا القانون الالهي العادل كما هو الحال وفي الجمهورية الاسلامية والمملكة العربية السعودية وان اختلفت طريقة التطبيق هذا القانون، إلا ان الامن والاستقرار والامان واضحٌ لمن زاره هذه البلاد وليس ذلك ال بفضل تطبيق قانون القصاص العادل والتي تمنع دول الاستكبار من تطبيقه في دولنا الاسلامية لا شاعة الفساد والجريمة وعدم الامن والاستقرار فيها، مع ابراز شعارات حقوق الانسان والحرية التي كلمة حق يرد بها باطل، من اجل استغلال مقدرات هذه البلدان ونهب ثرواته وعكس صورة سيئة عن الاسلام والمسلمين وهذه هي واحد من ادوات الحرب ضد الشريعة الخاتمة التي هي اساس العدل والصلاح لهذه الحياة لو طبقت بالصورة صحيحة، ومن هنا ندعوا لا قامة الندوات والمؤتمرات للتعريف بالأحكام الجزائية للإسلام العظيم وما هو تأثيره على حياة الفرد والمجتمع في اشاعة روح العدل والمساواة والحقوق والاستقرار، والتي تسود بشكل واضح الدول التي هي تحكمها القوانين الاسلامية، واشاعة الظلم وعدم الاستقرار وانعدام العدل والامن والامان بشكل واضح وكبير في الدول التي تبتعد عن تطبيق الشريعة الاسلامية من الدول التي نعيش فيها.

النتائج:

١- إن القصاص هو من مستحدثات الشريعة الاسلامية وهو يختلف عما كان سائد في الشرائع الاخرى كالشريعة التوراتية، وهو من خاص بالمسلمين وساكت عن غيرهم، كما وانه حكم ملزم وواجب التطبيق لمن اراده القصاص.

٢- المراد من مفردة القصاص عند بعض المفسرين المساواة والمماثلة وليس القود والمجازاة.

٣- القصاص هو التماثل بين القاتل والمقتول من حيث الذكورية والأنثوية والحرية والعبودية، فلا يقتص من غير المماثل بغيره أن كانت درجته اعلى، نعم الادنى يقتص منه من باب الافضلية والاولية.

٤- آية القصاص قيدت، آية النفس بالنفس المطلقة، مع بقاء فقراتها الاخرى على اطلاقها.

٥- جعل الفائدة من القصاص عامة وشاملة لأبناء المجتمع كافة، وذلك لعموم المخاطبين بها وهم أصحاب العقول، وبيان أن الهدف من القصاص ليس هو الانتقام للفرد، ولكن الهدف من

ISBN: 978-9922-21-412-2

وراءه هو المحافظة على حياة الجماعة، والمجتمع المسلم كلّه.

٦- معرفة أهمية القصاص وأثره من المساواة بين العقوبة والجريمة؛ وذلك لأجل الحد من تكرار الجرائم المماثلة.

٧- إنّ عدم تطبيق قانون القصاص يؤدي إلى الفوضى وانتشار الجريمة والفساد في المجتمعات الإنسانية، كما هو الحال في المجتمعات الأميركية والاوربية وغيرها التي تسودها الجريمة والفساد بكل جوانبه

٨. خاطبت الآية الكريمة (أصحاب العقول) باعتبارهم هم الذين يدركون الحكمة والغاية البالغة من القصاص؛ لأنّ أصحاب العقول لا تستهويهم الأهواء والشهوات، وإنمّا هم الذين يدركون الحقّ والحكمة وما ينبغي فله الحد من الجريمة.

٩. تستبطن الآية الكريمة رداً بليغاً على دعاة إلغاء عقوبة الإعدام والقصاص، بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان، وكأن الإنسان المقتول لا حق له في الحياة، وإنّما الحياة تقتصر على الجناة والقتلة، خصوصاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ما جاء في قوله تعالى:﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [1] لأنّ إلغاء هذه العقوبة يعني كثرة القتل في المجتمع وانتشار الفوضى ممّا يؤدي إلى انهيار هذه المجتمعات؛ ولأنّ القاتل بفعله لهذه الجريمة المتعمدة قطع كلّ الروابط التي تربطه بالجماعة، وهو مما يجعله عنصر تدمير وفساد في المجتمع، لذلك ينبغي أن يكون الدواء من جنس الداء عن طريق إبعاده عن المجتمع وحرمانه الحياة كما حرم المقتول من الحياة، لذلك يجب بتره من المجتمع.

المصادر:

القرآن الكريم.

١- الماوردي البغدادي (ت: ٤٥٠هـ) علي بن محمد، الأحكام السلطانية، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، المطبعة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الناشر: توزيع دار التعاون للنشر والتوزيع مكة المكرمة.

٢- الحلبي(ت:٤٤٧هـ)، تقي بن نجم، الكافي في الفقه، تحقيق: رضا أستادي، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام العامة - أصفهان.

(١) **المائدة: ٣٢.**

ISBN: 978-9922-21-412-2

٣- ابن زهرة الحلبي (ت: ٥٨٥هـ)، حمزة بن علي، غنية النزوع، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري / إشراف: جعفر السبحاني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: محرم الحرام ١٤١٧، المطبعة: اعتماد – قم، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

٤- المحقق الحلي (ت: ٦٧٦هـ)، نجم الدين جعفر بن الحسن، شرائع الاسلام، تحقيق: مع تعليقات: السيد صادق الشيرازي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٩، المطبعة: أمير – قم، الناشر: انتشارات استقلال – طهران.

٥- العاملي الشهيد الثاني(ت٩٦٥هـ)، زين الدين، مسالك الافهام، تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣، المطبعة: بهمن – قم، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية – قم – إيران.

٦- ابن الاخوة القرشي (ت: ٧٢٩هـ)، محمد بن محمد، معالم القربة، (الناشر: دار الفنون(كمبردج) طبعة مصر)

٧- الاصفهاني (ت: ٤٢٥هـ)، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤، الناشر: دفتر نشر الكتاب.

٨- الفراهيدي(ت:١٧٥هـ)، الخليل، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي – الدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٩، الناشر: مؤسسة دار الهجرة – إيران – قم.

٩- الحموي(ت:١٠٩٣هـ)، علي بن محمد خزانة الادب، تحقيق: محمد نبيل طريفي/إميل بديع اليعقوب، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٩٩٨م، المطبعة: بيروت – دار الكتب العلمية، الناشر: دار الكتب العلمية.

١٠- ابن فارس(ت:٣٩٥هـ)، احمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، سنة الطبع: ١٤٠٤، المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلامي، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي.

١١- العلوي، عادل، القصاص على ضوء القرآن والسنة (تقرير لبحث السيد المرعشي)، سنة الطبع: ١٤١٥، المطبعة: الحافظ، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة – قم المقدسة.

١٢- الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.

ISBN: 978-9922-21-412-2

١٣- الفيروز آبادي(ت:٨١٧هـ)، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مصححة من قبل للعلامة القرافي، صححنا مطبوعنا هذا على نسخة الأستاذ الأكبر والعلم الأشهر الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي المدني المكي، دار العلم للجميع - بيروت - لبنان.

١٤- الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ)، فخر الدين، مجمع البحرين، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: شهر يور ماه ١٣٦٢ ش، المطبعة: چاپخانه طراوت، الناشر: مرتضوي.

١٥- الفيومي (ت: ٧٧٠هـ)، أحمد بن محمد، المصباح المنير، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٦- المفيد (ت: ٤١٣هـ)، محمد بن محمد، المقنعة، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٠، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٧- العلامة الحلي(ت:٧٢٦هـ)، الحسن بن يوسف، تحرير الاحكام، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري / إشراف: جعفر السبحاني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٠، المطبعة: اعتماد - قم، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

١٨- أبن قدامة (ت: ٦٢٠هـ)، عبد الله، المغني، الطبعة: جديدة بالأوفست، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

١٩- أبن قدامة (ت: ٦٨٢هـ)، عبد الرحمن، الشرح الكبير، الطبعة: جديدة بالأوفست، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٢٠- الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، محمد بن إدريس، الام، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢١- الفاضل الهندي (ت: ١١٣٧هـ)، بهاء الدين محمد بن الحسن، كشف اللثام، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٦، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٢- النجفي الجواهري (ت: ١٢٦٦هـ)، محمد حسن، جواهر الكلام، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوچاني، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٦٥ ش، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢٣- مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، محمد جواد، فقه الامام جعفر الصادق عليه السلام، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢١ - ١٣٧٩ ش، المطبعة: الصدر - قم، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر - قم.

٢٤- ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، شهاب الدين، فتح الباري، الطبعة: الثانية، المطبعة: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

٢٥- الشربيني (ت: ٩٧٧هـ) محمد بن احمد، مغني المحتاج، سنة الطبع: ١٣٧٧ - ١٩٥٨ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٢٦- ابن منظور (ت:٧١١هـ)، محمد بن مكرم، لسان العرب، سنة الطبع: محرم ١٤٠٥، الناشر: نشر أدب الحوزة، قم - إيران.

٢٧- الرازي (ت: ٧٢١هـ)، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٤ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٢٨- السيوري الحلي (ت: ٨٢٧هـ)، جمال الدين مقداد، التنقيح الرائع، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمري، سنة الطبع: ١٤٠٤، المطبعة: مطبعة الخيام - قم، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة قم المقدسة.

٢٩- الكاشاني (ت: ٥٨٧هـ)، أبي بكر بن مسعود، بدائع الصنائع؛ الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م، الناشر: المكتبة الحبيبية - باكستان.

٣٠- ابن نجيم المصري (ت: ٩٧٠هـ)، زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق، تحقيق: ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨ - ١٩٩٧ م، الناشر: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣١- الطباطبائي (ت: ١٢٣١هـ)، علي، رياض المسائل، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤١٢هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٢- ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل: بيروت/ لبنان.

٣٣- الحقيل، سليمان بن عبد الرحمن، حقوق الانسان في الإسلام، ط:١، دار النشر: مطبعة الملك فهد، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، المملكة العربية السعودية/ الرياض.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٣٤- صالح، عبد العزيز، الشرق الادنى القديم، الناشر: مكتبة الانجلو المصرية، المطبعة: مطبعة محمد عبد الكريم حسان، رقم الإيداع: ٢٨٩٣ لسنة: ٢٠١٢م.

٣٥- الكتاب المقدس، العهد القديم، الاصحاح التاسع عشر، سفر التثنية، موقع البابا فرنسيس. https://popefrancis-ar.org/bible

٣٦-الكتاب المقدس، إنجيل متى الصحاح الخامس، https://almagd.tv/bible/mat/5/verse_17

٣٧- ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، المطبعة: لبنان – دار الفكر للطباعة والنشر، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر.

٣٨- القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٥، المطبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي/ بيروت.

٣٩- الامام العسكري×(ت:٢٦٠هـ)، الحسن بن علي 'التفسير المنسوب للإمام العسكري×، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي ﷺ، الطبعة: الأولى محققة، سنة الطبع: ربيع الأول ١٤٠٩، المطبعة: مهر – قم المقدسة، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف – قم المقدسة.

40-الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٤١- الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، محمد محسن، التفسير الأصفى، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨ – ١٣٧٦ ش، المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.

٤٢- فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، محمد بن عمر، تفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة/ ١٤٢٠هـ..

٤٣- الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، محمد حسن، الميزان، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٤٤- الخوئي (ت: ١٤١٣هـ)، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
٤٥- ملكيان، روح الله، مقالة له في نصوص معاصرة، بيروت، أغسطس/ ٢٣- ٢٠٢٣م.
٤٦- المحقق الأردبيلي (ت: ٩٩٣هـ)، أحمد بن محمد، زبدة البيان، تحقيق وتعليق: محمد الباقر البهبودي، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية - طهران.
٤٧- أبن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٩٩٢ م، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
٤٨- الكافي (ت: ٣٢٩هـ)، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٣٦٧ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.
49- الطوسي (ت: ٤٥٠هـ)، محمد بن الحسن، الاستبصار، تحقيق: تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.
٥٠- الطوسي (ت: ٤٥٠هـ)، محمد بن الحسن، التهذيب، تحقيق: تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٣٦٥ ش، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.
51- الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ) محمد بن الحسن، الوسائل (آل البيت)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤، المطبعة: مهر - قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.
٥٢- البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، سنة الطبع: ١٤٠١ - ١٩٨١ م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت.
٥٣- النسائي(ت:٣٠٣هـ)، أحمد بن علي بن شعيب، سنن النسائي، الطبعة: الأولى،سنة الطبع: ١٣٤٨ - ١٩٣٠م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان

ISBN: 978-9922-21-412-2

الهوية الاسلامية ،سماتها ،ومفهومها

م٠د عدنان حسن موسى سلمان العبيدي / جامعة ديالى / كلية العلوم الاسلامية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛ فإن الهوية تكتسب أهمية كبرى لدى الشعوب لأنها تحيى بهويتها وتمتاز بها عن غيرها فهي تعتبر عنصرا هاما واستراتيجيا لأمنها وقضية محورية لكيانها لأنها تحفظ سياج الأمة وبدونها يتحول الإنسان إلى كائن تافه فارغ تابع مقلد، ويتولد لديه ما يمكن أن نسميه بأزمة الهوية التي تفرز بدورها أزمة وعي، لذا أجمع الباحثون على أنه لا وجود لشعب دون هوية وأن أي شعب أو أمة تفرط في هويتها سيسهل استقطابها والهيمنة عليها وتذويب شخصيتها وبهذا تتلاشى مميزاته الخاصة فيصبح ذيلا أو ذنبا.

والهوية الإسلامية التي عرفت بأنها "الانتماء إلى الله ورسوله ﷺ وإلى دين الإسلام وعقيدة التوحيد وإلى عباد الله الصالحين" هي أشرف وأسمى هوية يتبناها المسلم وينضوي تحت لوائها ويعتز بالانتساب إليها والانتماء لها والموالاة والمعاداة على أساسها فهي تتميز بمرجعيتها الربانية، مستوفية لكل مقومات الهوية الذاتية المستقلة بحيث تستغني تماما عن أي لقاح أجنبي وتملك رصيدا تاريخيا عملاقا لا تملكه أمة من الأمم، وتشغل بقعة جغرافية متصلة ومتشابكة وتحيى لهدف واحد وهو إعلاء كلمة الله.

ونظرًا لما تشتمل عليه الهوية الإسلامية من القيم والمبادئ الحضارية والثقافة العالية والتنظيم الشامل والفكر الصافي والحركة والحيوية والتقدم والازدهار والشمول لجميع الميادين والحقول فإنه لم تكن صدفة أو عفوية أن كثيرا من القوى تآلبت عليها وسددت الطعنات نحوها لطمسها وتذويبها وصهرها في أتون الأممية لأنها تعتبر الخطر الماثل أمام القوى الراغبة في احتواء العالم الإسلامي والسيطرة عليه، والأعداء يدركون جيدا وثبت لديهم عبر مراكز بحوثهم ودراساتهم أن هذه الأمة عصية على الهزيمة إذا حافظت على هويتها الإسلامية وشخصيتها الإيمانية، وهذا واضح من خلال تصريحاتهم

ومن منطلق تأسيس هويتنا على ركائز متينة، وحرصا على متانة الهوية بما فيها من قيم أصيلة جاء هذا البحث، والهدف منه هو: تذكير شباب الأمة بمقومات الهوية الإسلامية وتبصرهم بالأخطاء التي تحدق بها، وأنه لا مخرج للأمة من محنتها المعاصرة إلا باستعادتها لهويتها، لأنها المخرج الوحيد لمواجهة التحديات المعاصرة التي تواجهها ولكن ضعف المسلمين في الوقت

ISBN: 978-9922-21-412-2

الراهن وتخلفهم وانبهارهم بحضارة الغرب وتقدمه في التكنولوجيا والأسباب المادية والمغلوب مولع بثقافة الغالب إلى جانب التحديات الداخلية المنبثقة من واقع المسلمين نتيجة الانحراف العقدي، والجمود والفساد الفكري والجهل، وضعف الارتباط بالهوية والثقافة الإسلامية في مناهج التعليم والتربية والخواء الروحي والهزيمة النفسية كل ذلك جعل بعض شبابنا يلتهب حماسة وتنفتح شهيته للثقافة الغربية وشعوره بالتقارب النفسي مع رموزها لما يسمع عنها أو يشاهد فيها من حرية ومناقشة ومصارحة وتحرر من القيم المقيدة للسلوك. وقد أنكر رسول الله ﷺ أن تكون أمة الإسلام تابعة أو ذيلا لغيرها فقال: .("لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" الحديث)[١]

ينكر الحديث على الأمة الإسلامية أن تفقد هويتها وأصالتها إلى حد تغدو فيه ذيلا وتابعا للآخرين من أصحاب الديانات السابقة والحضارات السائدة، ويعبر الحديث عن مدى التبعية الذيلية بقوله: "شبرا بشبر ذراعا بذراع"حتى لو دخل المقلدون جحرا، وهو أسوأ صورة للالتواء والضيق والظلمة وسوء الرائحة،لدخل وراءهم المقلدون، هذا مع حرص الإسلام الشديد في تشريعاته وتوجيهاته على أن تظل الشخصية المسلمة .(مستقلة متميزة في مخبرها ومظهرها حتى لا يسهل ذوبانها في غيرها، وبالتالي تفقد خصائصها٠ ويخبرنا الرسول ﷺ في حديث آخر أن أمة الإسلام سوف تتعرض لكثير من المخاطر والتحديات، ولكي يتمكّنوا من مواجهتها يجب أن تكون لهم شخصية قوية، وهوية متينة يحافظون على مقوماتها، لا أن يكونوا كغثاء السيل، يقول صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلمة على قصعتها، قالوا: أفمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير لكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله المهابة من قلوب أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن (يا رسول الله؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت)[٢]، هذا، وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وينفع به كاتبه وقارئه، إنه جواد كريم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول: تعريف الهوية الإسلامية

أولًا: تعريف الهوية:

---

[١] –رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: ٨٣٤٠ وأصله في صحيح مسلم برقم ٢٦١٢

[٢] –أخرجه الإمام أحمد برقم: ٢٢٣٩٧ وأبوداؤد في السنن ٤٢٩٧ والبغوي في شرح السنة ٤٢٢٤ وإسناده حسن٠

ISBN: 978-9922-21-412-2

الهوية هي: حقيقة الشيء التي تميزه عن غيره، فهي ماهيته وما يوصف به وقد عرفها المعجم الوسيط بأنها حقيقة الشيء أو الشخص التي تميّزه عن غيره. وفي تعريفه لمصطلح "الهُوَ" يذكر المعجم أنه: الغيب الذي لا يصح شهوده للغير كغيب الهوية المعبر عنه كُنْها باللا تعين، وهو أبطن البواطن". ويذكر المعجم معنى آخر للهوية حين تضاف إلى كلمة "بطاقة أو توصف بالنعت "الشخصية" لتجعلنا نحصل على مصطلح "بطاقة الهوية" أو "البطاقة الشخصية" المتداول حديثا، فيذكر أن الهوية بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله. وعرف الجرجاني الهوية: "بأنها "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق[١].

فالهوية إذًا تدور حول الذاتية والتفرد والسمات والسلوكيات التي تميز المجتمع أو الفرد عن غيره وترتبط بالانتماء ارتباطا وثيقا. وهي تعريف الإنسان نفسه فكرًا وثقافة وأسلوب حياة وتمثل مجموعة الأوصاف والسلوكيات والقيم التي تميزه عن غيره وتشعره بأنه ليس مجرد فرد فكرة، وإنما يشترك مع عدد كبير من أفراد الجماعة في عدد من المعطيات والمكونات والأهداف. وهي: مجموعة الحقائق والصفات والسلوكيات التي تميز الشخص عن غيره والمشتملة على فكره وثقافته وتاريخه وحضارته وآدابه وصفاته العقلية والجسدية والخلقية كما جاء في حديث أم المؤمنين صفية بنت حي رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء، غدا عليه أبي وعمي... قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: "أهو هو؟" قال: نعم والله، قال عمي: أتعرّفته وتثبته؟ قال: نعم" الحديث وفي قوله: "أهو هو؟" إشارة إلى هوية النبي ﷺ وأنه الموصوف في التوراة.[٢]

ثانيًا: تعريف الهوية الإسلامية:

وإذا كانت مقومات الهوية التي يجتمع عليها الأمة أو الشعب أو المجموعة من وحدة الدين والعقيدة والتاريخ والجغرافيا والأرض واللغة والثقافة والطموح وغيرها هي التي تشكل المرجعية الأساسية للهوية، فإننا نجد أن الهوية الإسلامية مستوفية لكل مقومات الهوية الذاتية بحيث تستغني تماما عن أي لقاح أجنبي عنها فهي: "هوية خصبة تنبثق عن عقيدة صحيحة، وأصول ثابتة رصينة، تجمع وتوجد تحت لوائها جميع المنتسبين إليها، وتملك رصيدا تاريخيا عملاقا لا تملكه أمة من الأمم، وتتكلم لغة عربية واحدة، وتشغل بقعة جغرافية متصلة ومتشابكة وممتدة،

---

[١] – إبراهيم مصطفى وزملائه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، ج ٢، ص ٩٩٨

[٢] –عبدالملك بن هشام المعافرى، سيرة ابن هشام، شركة الطباعة الفنية، القاهرة، ج ٢، ص ١١٩

ISBN: 978-9922-21-412-2

وتحيا لهدف واحد هو: إعلاء كلمة الله تعالى.(وتعبيد العباد لربهم وتحريرهم من عبودية الأنداد[١]) الهوية الإسلامية هي الانتماء إلى الله ورسوله ﷺ وإلى دين الإسلام وعقيدة التوحيد التي أكمل الله بها الدين وأتم بها النعمة وجعلنا بها خير أمة أخرجت للناس وصبغنا بفضلها بخير قال تعالى ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾ [٢]

الهوية الإسلامية هي أشرف وأسمى هوية يتبناها المسلم وينضوي تحت لوائها ويعتز بالانتساب إليها، والانتماء لها، والانتصار لها، والموالاة والمعاداة على أساسها، فبها تتحدد شخصية المنتمي وسلوكه، وعلى أساسها يفضل بين الناس.

المطلب الثاني: الخصائص والسمات المميزة للهوية الإسلامية:

إذا كان لكل هوية ميزاتها وخصائصها، فإن الهوية الإسلامية انفردت بخصائص وقيم وسمات *تميزها عن سائر الهويات، وفيما يلي نشير إلى أهم هذه السمات، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ [٣] .

* هذه الهوية هي أشرف وأعلى وأسمى هوية يمكن أن يتصف بها إنسان، فقد استجمعت غايات الشرف، فهي انتماء إلى أكمل دين وأشرف كتاب، نزل على أشرف رسول، إلى أشرف أمة بأشرف لغة بسفارة أشرف الملائكة في أشرف بقاع الأرض، في أشرف شهور السنة، في أشرف لياليه، وبأشرف شريعة وأقوم هدى ٠

*هي متميزة عما عداها، وهذا التميز هو الذي يعطى للمنتسبين لها مقومات بقائهم ويحفظ عليهم ثقافتهم وأيدلوجيتهم فلا يذوبون في غيرهم، وقد شمل هذا التمييز كل جوانب الحياة بداية من العقيدة قال تعالى ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[٤]، ونهاية بالشكل الظاهر في الملبس والزي والهيئة ومرورًا بكل أمور الحياة العملية "ليس منا من عمل بسنة غيرنا [٥] .

*إنها هوية تستوعب كل حياة المسلم وكل مظاهر شخصيته، وتحدد لصاحبها بكل دقة ووضوح هدفه وغايته ووظيفته في الحياة ٠

* إن الانضواء تحت هذه الهوية والاندماج فيها لكل مسلم أيًا كان مكانه أو شكله أو لغته ليس

---

[١] – انظر: مجلة البيان، العدد ١٢٨ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ "ندوة الهوية الإسلامية"، المنتدي الإسلامي، لندن

[٢] – سورة البقرة الاية ١٣٨ ٠

[٣] – سورة الانبياء الاية ٩٢ ٠

[٤] – سورة الكافرون الاية ٦ ٠

[٥] – روى نحوه ابن حبان في صحيحه رقم: ٥

ISBN: 978-9922-21-412-2

اختياريا ولا مستحبا، ولكنه فرض متعين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ٠

*إنها تربط بين أبنائها برباط وثيق فتجعل الولاء بين أتباعها والمحبة بين أصحابها وتربط بينهم برباط الأخوة والنصرة والموالاة، فهم جسد واحد ٠

*وقد امتدح القرآن هذه الهوية وأثنى عليها باعتبارات منها: أنها أحسن قولًا، وأحسن عملًا، وأحسن قضية، وأحسن نسبة .

المطلب الثالث : الشباب وأزمة ضعف الهوية الإسلامية :

اولا : أسباب ضعف الهوية الإسلامية لدى بعض الشباب

يمكن أن نقسم هذه الأسباب والتحديات التي تواجه الهوية الإسلامية إلى نوعين:

الأول: الأسباب أو التحديات الداخلية المنبعثة من واقع المسلمين نتيجة الانحراف العقدي والسلوكي والجمود والإفساد الفكري والجهل وضعف الارتباط بالهوية والثقافة الإسلامية والخواء الروحي والهزيمة النفسية.

الثاني: الأسباب والتحديات الخارجية المتمثلة في عداوة الغرب للإسلام وطمس هويته ومحاولة تذويب هوية المسلمين وصهرها في أتون الأممية وإزالتها من الوجود لأنها تعتبر الخطر الماثل أمام القوى الراغبة في احتواء العالم الإسلامي والسيطرة عليه. أما الأسباب الداخلية فيمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١- الجهل بالدين وبالحضارة الإسلامية وتاريخها وضعف العناية بفقه السلف ومنهجهم.

٢- الغزو الفكري عقائديا واقتصاديا وثقافيا وأخلاقيا بشتى أساليب الغزو عبر وسائل الإعلام والانترنت وغيرهما، وتقليد العدو المستعمر بل القابلية للاستعمار.

٣- ضعف المسلمين وتخلفهم دولا وشعوبا وانبهارهم الشديد بحضارة الغرب وتقدمه في التكنولوجيا والأسباب المادية، والمغلوب مولع بثقافة الغالب .

٤- ضعف الارتباط بالهوية والثقافة الإسلامية في مناهج التعليم والتربية، وضعف الاهتمام بتعليم العقيدة الصحيحة في أغلب الدول الإسلامية.

٥- استبدال الهوية الإسلامية بالهويات القومية والجهوية.

٦- التحرر من القيم المقيدة للسلوك الإباحي تشبها بالتحرر الغربي الجنسي والسلوكي.

٧- الاختلال في القدوات والشخصيات النموذجية التي تستحق أن تقدم للناس وللشباب، فبعد أن كانت الأمة الإسلامية تقتدي وتعتز بكبار وعظماء الأمة في تاريخها الزاهر، قام المفسدون بتقديم حفنة من الأقزام من أهل الفكر المنحرف و الفن النتن ليتخذوا قدوات سيئة للشباب.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٨- الهجمة الإعلامية التي تصور المسلمين بصورة دونية.

وأما الأسباب الخارجية والتي تتمثل في عداوة الغرب للإسلام وهويته وثقافته، وفي تفريغ التربية والتعليم من مضمونيهما وتسطيح الأفكار، والحقائق العلمية والتربية، في عالمنا الإسلامي، وصولا إلى طمس الهوية الإسلامية وتذويبها وصهرها في أتون الأممية حتى لا يعود الإسلام إلى الساحة مرة أخرى، من أجل هذا فهم لا يتركون الأمة على هويتها الإسلامية وثقافتها [١]الإيمانية بل يعملون على زحزحتها عنها قال تعالى: ﴿**الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [٢] .

المبحث الثاني: الشباب وأزمة الهوية الإسلامية:

الهوية قضية محورية، والأمم إنما تحيى بهوياتها، فهي السمة التي تجعل من كل أمة ميزة تتميز بها عن غيرها، ولولا هذه الميزة لاختلطت الأمم بعضها ببعض، وفقد الإنسان جزءا من وجوده وكينونته وهو الانتماء والولاء الذي يشعره بالحياة والاطمئنان والاستقرار. لكن إذا ضعفت الهوية وطمست معالمها فإن ذلك يؤدي إلى أزمة: أزمة ذوبان الشخصية في ثقافة الغير والهيمنة عليها وتفتيتها عن طريق تدمير البنية التحتية لهويتها العقائدية والثقافية والفكرية التي يحفظ عليها سياج شخصيتها. يقول عبد العزيز التويجري: "إن الخطر الأكبر الذي يهدد الأمم والشعوب في هذا العصر، هو ذلك الخطر الذي يمس الهوية الثقافية والذاتية الحضارية والشخصية التاريخية للمجتمعات الإنسانية في الصميم، والذي قد يؤدي، إذا استفحل، إلى ذوبان الخصوصيات الثقافية التي تجمع بين هذه الأمم والشعوب، والتي تجعل من كل واحدة منها شعبا متميزا بمقومات يقوم عليها كيانه، وأمة متفردة بالقيم التي تؤمن بها وبالمبادئ التي تقيم عليها حياتها". ويقول محمد إسماعيل المقدم: "يمكنك أن ترى أزمة الهوية الإسلامية في الشباب الذي يعلق علم أمريكا في عنقه وفي سيارته، وفي الشباب الذي يتهافت على تقليد الغربيين في مظهرهم ومخبرهم... وفي كل ببغاء مقلد يُلغى شخصيته ويرى بعيون الآخرين، ويسمع بآذانهم، وباختصار يسحق ذاته ليكون جزءا من هؤلاء الآخرين ونحن نبين فيما يأتي أسباب ضعف الهوية الإسلامية لدى الشباب وأساليبه ومظاهره وأهدافه .

اولا :- أسباب ضعف الهوية الإسلامية لدى بعض الشباب

يمكن أن نقسم هذه الأسباب والتحديات التي تواجه الهوية الإسلامية إلى نوعين:

---

[١] – محمد مورو، الإسلام وأمريكا، حوار أم مواجهة طبع مصر، ص ٨١

[٢] – سورة البقرة الاية ٢١٦ .

الأول: الأسباب أو التحديات الداخلية المنبعثة من واقع المسلمين نتيجة الانحراف العقدي والسلوكي والجمود والإفساد الفكري والجهل وضعف الارتباط بالهوية والثقافة الإسلامية والخواء الروحي والهزيمة النفسية.

الثاني: الأسباب والتحديات الخارجية المتمثلة في عداوة الغرب للإسلام وطمس هويته ومحاولة تذويب هوية المسلمين وصهرها في أتون الأممية وإزالتها من الوجود لأنها تعتبر الخطر الماثل أمام القوى الراغبة في احتواء العالم الإسلامي والسيطرة عليه.

أما الأسباب الداخلية فيمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١- الجهل بالدين وبالحضارة الإسلامية وتاريخها وضعف العناية بفقه السلف ومنهجهم.

٢- الغزو الفكري عقائديا واقتصاديا وثقافيا وأخلاقيا بشتى أساليب الغزو عبر وسائل الإعلام والانترنت وغيرهما، وتقليد العدو المستعمر بل القابلية للاستعمار.

٣- ضعف المسلمين وتخلفهم دولا وشعوبا وانبهارهم الشديد بحضارة الغرب وتقدمه في التكنولوجيا والأسباب المادية، والمغلوب مولع بثقافة الغالب .

٤- ضعف الارتباط بالهوية والثقافة الإسلامية في مناهج التعليم والتربية، وضعف الاهتمام بتعليم العقيدة الصحيحة في أغلب الدول الإسلامية.

٥- استبدال الهوية الإسلامية بالهويات القومية والجهوية.

٦- التحرر من القيم المقيدة للسلوك الإباحي تشبها بالتحرر الغربي الجنسي والسلوكي.

٧- الاختلال في القدوات والشخصيات النموذجية التي تستحق أن تقدم للناس وللشباب، فبعد أن كانت الأمة الإسلامية تقتدي وتعتز بكبار وعظماء الأمة في تاريخها الزاهر، قام المفسدون بتقديم حفنة من الأقزام من أهل الفكر المنحرف و الفن النتن ليتخذوا قدوات سيئة للشباب.

٨- الهجمة الإعلامية التي تصور المسلمين بصورة دونية.

وأما الأسباب الخارجية والتي تتمثل في عداوة الغرب للإسلام وهويته وثقافته، وفي تفريغ التربية والتعليم من مضمونيهما وتسطيح الأفكار، والحقائق العلمية والتربية، في عالمنا الإسلامي، وصولا إلى طمس الهوية الإسلامية وتذويبها وصهرها في أتون الأممية حتى لا يعود الإسلام إلى الساحة مرة أخرى، من أجل هذا فهم لا يتركون الأمة على هويتها الإسلامية وثقافتها الإيمانية بل يعملون على زحزحتها عنها قال تعالى ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [1] .

---

[1] – سورة البقرة الاية ٢١١٧ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

وهذا هو التحدي الأكبر فلو حسمناه لحسمنا قدرا كبيرا من المشكلة، فحين تمسكنا بهويتها سُدنا العالم وخافت بأسنا الأمم، والأعداء يُدركون هذا جيدا لأنه ثبت لديهم عبر مراكز بحوث ودراستهم وجامعاتهم أن هذه الأمة عصية على الهزيمة إذا حافظت على هويتها الإسلامية وشخصيتها الإيمانية، وهذا واضح من خلال تصريحاتهم، قال نيكسون في كتابه: "انتهز الفرصة": "إننا لا نخشى الضربة النووية ولكننا نخشى الإسلام والحرب العقائدية التي قد تقضي على الهوية الذاتية للغرب" وقال "أبا ايبان" وزير خارجية إسرائيل السابق في محاضرة بجامعة "برنستون" الأمريكية في عام ١٩٦٧ م "يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبه الإسلامي بعد الهزيمة، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل، ولذا كان من أول واجباتنا أن نبقى العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي".[١]

وجاء في صحيفة "أحرونوت" اليهودية بتاريخ ١٨ لا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجة إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاما، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدا عن المعركة إلى الأبد، ولهذا يجب أن لا نغفل لخطة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأيّ شكل، وبأيّ أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش، لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا". وقال: لورانس براون ".. ولكن الخطر الحقيقي هو في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي"(٣٤). وقال سالا زار دكتاتور البرتغال (السابق: "إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم وبهذا يتضح أن هدف القوم الأكبر هو طمس هويتنا وتفتيتها ومحوها، فالهوية والثقافة بخصوصيتها ومكوناتها ومقوماتها هما المستهدف الأول ليحال بين الإسلام وبين الشعوب في حاضرها ومستقبلها حتى يسهل السيطرة عليها ودمجها في إطار النموذج الأمريكي الأقوى انبهارا والأشد افتنانا ولو بالقوة قال كلينتون في خطابه يوم تنصيبه رئيسا لأمريكا في ٢٠ يناير ١٩٩٣ م "إن أمريكا تؤمن بأن (قيمها صالحة لكل الجنس البشري، وإننا نستشعر أن علينا التزاما مقدسا لتحويل العالم إلى صورتنا"(٣٦ ومن قبله قال نيكسون: "إن على أمريكا أن تقوم بدور الريادة في العالم لتنشر أفكارها ومبادئها وتكون مثلا .(يحتذى بين دول العالم) [٢]

---

[١] – محمد مورو، الإسلام وأمريكا، حوار أم مواجهة طبع مصر، ص ٨

[٢] – انظر مجلة البيان، ندوة: هويتنا الإسلامية، العدد ١٣٠ جمادي الآخرة ١٤١٩ هـ.

ISBN: 978-9922-21-412-2

إن إخفاء صفة الشرعية والعالمية على هذه الهوية الغازية المركبة من عناصر متناقضة والمنطوية على روح العدوان على السيادة الثقافية للأمم واستغفالها والاستهتار بها تضليل للرأي العام العالمي، وتزوير لإرادة الشعوب، وتزييف للحقائق، واستهتار بالقيم الإنسانية، وانتهاك للقوانين الدولية، ودفع بالعالم نحو مزيد من الكوارث والحروب والصراعات. وإن إلزام العالم ولا سيما العالم الإسلامي بانتهاج نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي واحد هو عمل ضد سنن الله في خلقه، بقدر ما هو خروج على منطق التاريخ وقانون الطبيعة، ولئن كان مصير هذه السياسة الاستعمارية سائرا إلى إفلاس لا محالة، فإن هذا لا يمنع من استمرارها إلى أمد قد يطول في طمس الخصوصيات الثقافية والحضارية للهويات الوطنية للأمم والشعوب، لذا فإن الخطر الذي يتهدد الهوية الحضارية والخصوصيات الثقافية .(خطر حقيقي وواقع فعلا يتطلب جهودا كبيرة لمواجهته ومحاصرته[١] .

مظاهر ضعف الهوية الإسلامية لدى بعض الشباب:

تتكاثر المظاهر التي تدل على ضعف الهوية الإسلامية لدى بعض شباب الأمة انبهارا بالغرب وتطلعا لمشابهة الأمريكيين والغربيين مع الشعور بالدونية والانكسار. يقول عصام هاشم: "يوم أن ضيع أفراد الأمة هويتهم، وذهبوا يتخبطون في دياجير ظلمة الحضارة المعاصرة بحثا عن هوية، ظهرت نسخة مشوهة من الحضارة الغربية بين شباب بلاد الإسلام، حيث ظهر من يقلدهم في لباسهم وأكلهم وشربهم وقصات شعورهم.. ظهرت من فتيات الإسلام كذلك من تعرّت وتفسخت وتركت حجابها وظهرت [٢]على شاشات الفضائيات والقنوات مغنية أو راقصة أو مقدمة ومن مظاهر ضعف الهوية أيضًا:

ظهرت قمصان وبنطلونات امتلأت بالفصوص والنقشات، قصات غريبة، وملابس مشققة، ربطات ونظارات سوداء في الليل.

تقليعات شبابية لا فتة تتمثل في الأزياء الضيقة والأثواب المطرزة ولبس البناطيل تحت الخصر والسلاسل وماسكات الشعر.

غطاء رأس لا يلبسه إلا الشاذون في الغرب. قمصان وربطات مكتوب عليها عبارات جنسية، باللغة الإنجليزية. يقول الشيخ محمد بن

---

[١] – محمد مورو، الإسلام وأمريكا، حوار أم مواجهة،ص ١ ٠

[٢] – www.almisk.net – : ٥١ –

إسماعيل: "... إن مظاهر الأزمة متكاثرة، ويمكنك أن تراها في: الشباب الذي يعلق علم أمريكا في عنقه أو في سيارته...". وفي الشباب الذي يتهافت على تقليد الغربيين في مظهرهم ومخرجهم وفي الشباب الذي يتهافت على تقليد الغربيين في مظهرهم ومخرجهم. وفي المسلمين الذين يتخلون عن جنسية بلادهم الإسلامية بغير عذر ملجئ ثم يفتخرون "بالفوز" بجنسية البلاد الكافرة. وفي الجاسوس والعميل الذي يخون أمته، ويبيع وطنه، ويفشي أسراره... وفي كل ببغاء مقلد يلغي شخصيته، فيرى بعيون الآخرين ويسمع بآذانهم ويسحق ذاته ليكون جزءا من أولئك الآخرين، والعجيب أنه يعود مذموما مخذولا من هؤلاء جميعا فيتحقق فيه قول القائل:.(باء بالسخطتين فلا عشيرة رضيت عنه ولا أرضى عنه العدا إنها مأساة، يقول بعض من أسلم من الغربيين: "نحمد الله أننا عرفنا الإسلام قبل أن نعرف المسلمين وإلا لما أسلمنا، قرآنا عن الإسلام فسرّنا ما فيه فاعتنقناه، فلما رأينا المسلمين ها لنا البون الشاسع بين المقروء والمشاهد".[1]

أسس استعادة الهوية الإسلامية

استعرضنا في المبحث السابق أسباب ضعف الهوية الإسلامية لدى الشباب، وذكرنا مجالات وأساليب إضعاف الهوية الإسلامية ومظاهرها. واتضح من خلال العرض والتحليل مدى خطورة هذا الأمر على حاضر الشباب ومستقبلهم، عقيدتهم وشريعته من قيمهم ومثلهم، تعليمهم وتربيتهم أفرادهم ومجتمعاتهم، كما اتضح أن هجوم الاعداء على الهوية الإسلامية لإضعافها وطمسها قديم وحديث، صليبي وصهيوني، شامل وعميق، ممتد ومتسع، قريب المدى، وبعيد المدى، لا يترك جانبا أو نظاما في حياة المسلمين إلا ويحاول التسلل إليه، والتغلغل فيه. وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من وضع الخطط الكفيلة والبرامج اللازمة المناسبة لمواجهة هذا الخطر وصد سهامه ومعالجة سمومه، ومثل هذه الحالة لا ينبغي أن تقتصر فيها على موقف الدفاع، بل لا بد لها من إستراتيجية نشطة، وحركية لا تنقطع، وفكر لا يصدأ، وتجديد لا يبلى حتى نستعيد الوعي بالهوية الموجودة التي صارت كأنها صفحة مكتوبة تراكمت عليها (طبقات الأتربة حتى صارت غير مقروءة فالواجب هو إزالة هذه الأتربة، وإحياء الأفكار والقيم التي يطلب الوعي بها، وهذا يتم بتحديد الوسائل والأسس ولعل أهم أسس لاستعادة الهوية الإسلامية الضائعة يمكن بلورتها في النقاط التالية :-

١- الشمولية: إذا كانت الجهود لطمس الهوية الإسلامية من جوانب متعددة وأساليب مختلفة فلا بد أن يكون الدفاع كذلك عن جميعها، وإلا ما معنى أن يكون التعليم مثلا معبرا عن وجهة نظر

[1] - انظر: مجلة البيان، ندوة: هويتنا الإسلامية، العدد ١٣٠ ، جمادي الاخرة ١٤١٩ هـ.

الدولة الإسلامية ثم يترك الإعلام أو الاقتصاد أو التربية في أيدي العابثين؟ ما معنى أن تخرج الجامعات شبابا إسلاميا حيا ثم يجد مؤسسات الإنتاج والخدمات في بلده تتجه في كل سلوكياتها وجهة غربية؟ ما معنى أن تتعلم الفتاة المسلمة في مدرستها وجامعتها من وجهة نظر إسلامية ثم يطاردها التلفاز في حجرة نومها بكل ما هو خارج ومكروه من هنا ينبغي أن يوزع الجهد ليشمل جميع الجهات والقطاعات مع التركيز على القطاعات الأهم

مثل: أ- البيت، ب- المدرسة، ج- الإعلام.

أ- فالبيت هو أول مؤسسات تكوين الشخصية وبناء الهوية الإسلامية وتأثيره أعمق من غيره ويمكنه القيام بأدوار غاية في الأهمية شريطة:

أن يكون كل فرد فيه قدوة للطفل في الكلمة والسلوك والمعاملة والعبادة، والمظهر والجوهر والسر والعلن. أن يشيع فيه جو الروحانية الصافية التي يبدو فيها الارتباط بالله في أوضح صوره وأقوى مظاهره كالحرص على الصلاة جماعة واحترام القيم الدينية، والتمسك بالفضيلة والأمانة والصدق. أن تقدم فيه المعلومة الدينية بالأسلوب المناسب لإدراك الأطفال، الملائم لمستوى نموهم حتى يثير اهتمامهم ويحرك مشاعرهم. أن تكون الأخلاق فيه إسلامية أصيلة دون تقليد أو مظهرية أو تمثيل، غرسا للقيم وتأصيلا للوعي وتربية للضمير وتنمية للأخلاق وتوجيها للسلوك وبذلك يصبح البيت الأساس المتين .(والركن الركين لاستعادة الهوية الإسلامية ب أما المدرسة فدورها مهم في تشكيل الأجيال الناشئة وبناء الهوية الإسلامية والمطلوب: تحقيق التوازن بين التعليم الديني والتعليم الحديث على النحو الآتي:

لا تجوز المطالبة بتصفية التعليم الحديث أو إلغاء التعليم الديني، بل المطلوب أن يتطور الاثنان

معا مستندين إلى الدين فكرا وأهدافا، وتوجيها واتجاها منهجا ومحتوى. أن يتحول النشاط الديني في المدرسة إلى طاقة حية أو شعلة متأججة، وفكر خصب تستثمر فيه كل الإمكانات. ومن الخطأ أن يقتصر النشاط الديني على وعظ وخطابة، أو أن تكون أنشطة هزيلة الإمكانات، محدودة الموارد، وخطورة ذلك أن الشباب بدون إقناع وجذب قد ينصرف إلى أنشطة أخرى، وفي النهاية نتحسر عليه، ولهذا لا بد أن نغير وسائلنا بحيث يجد الشباب تحت مظلة النشاط الديني كل ما يستهدفه من رياضة وترويح، وكل ما يفيده من نشاط وفكر، وبذلك نحمي شبابنا.

أن تتوثق الصلة بين أهداف جميع المواد وأهداف المواد الشرعية.[1]

---

[1] – حسان محمد حسان، وسائل مقاومة الغزو الفكري،ص ١٦

ISBN: 978-9922-21-412-2

أن تحترم الإدارات التعليمية مناهج الدين، وتعطيها من الاهتمام والرعاية ما تعطيه لدروس الرياضيات واللغة الإنجليزية(٥٦). بهذا تحقق أهداف تربوية وتعليمية وثقافية ونحمي شبابنا ونؤمن مستقبله ونحافظ على هويته الإسلامية.

ج- الإعلام:

الإعلام وأجهزته تخاطب جميع فئات الأمة، وتقوم بتشكيل أجيال وفق قيم ومناظير في قليل أو كثير عن الإسلام وعقيدته. ولكي يؤدي الإعلام دوره في إرساء القيم الإسلامية والخلق الإسلامي، ويقوم باستعادة الهوية الإسلامية الضائعة للشباب المسلم فلا بد أن يلتزم بالآتي:

التوازن بين الاهتمامات الخبرية والفكرية، ولا يسقط الجرعة الترفيهية بحيث تكون حصيلة ذلك كله شخصية إسلامية عالية الوعي والثقافة بشرع الله وبأوضاع المسلمين وبالمعطيات الحضارية الراهنة. الإسهام في تأصيل القيم الإسلامية والمنهج الإسلامي في الحياة الاجتماعية من خلال التزام المادة الإعلامية بالفكر الإسلامي التصدي للحملات المغرضة والسموم الإعلامية التي يبثها أعداء الإسلام والجاهلون به على السواء الجمع بين خصائص المنهج الإسلامي وخصائص الأساليب الإعلامية الحديثة.

د – التنسيق بين الهيئات والدول:

من المستحيل على هيئة أو بلد إسلامي بمفرده أيا كان حجمه أو إمكاناته أن يواجه حملات إضعاف الهوية الإسلامية بمفرده أو أن يتغلب على الطوفان بمعزل عن إخوانه في الله، لكن يمكن ذلك بحيث تتكامل الجهود وتتكاتف الإمكانات وتتآزر القوى. ومن هنا فعلى جميع الهيئات والدول الإسلامية أن تغلق باب الخلافات وتفتح باب الوفاق وتوجه إمكاناتها وجهدها نحو الخطر الداهم وبذلك تصنع الحاجز الحقيقي، والسد المنيع ضد التسلل والتغلغل فلو نجح المسلمون في تحقيق قوله تعالى ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [1]

٣- الاعتماد على الذات:

من المستحيل أن نحمي الهوية الإسلامية معتمدين على أفكار مستوردة ونظريات مستعارة بل لا بد أن نرتكز على عقيدة الإسلام وشريعته ومثله وقيمه ومفاهيمه، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. ولتحقيق ذلك لا بد من الآتي:

أ- أن تكون لدى الدول الإسلامية المعلومات الكافية والعميقة الخاصة بها تضم نظم حياتها وخططها من مصادرها وفق آخر الإحصاءات والبيانات المتوافرة.

---

[1] – سورة المائدة الاية ٢

ISBN: 978-9922-21-412-2

ب- أن يكون العاملون في هذا الحفل يحملون صفات شخصية وعلمية وفنية تجعلهم على مستوى القدرة والكفاءة والإتقان بحيث يكونون على مستوى المسئولية.

ج- أن يكون لدينا علم تام ومعرفة كافية بسماسرة التغريب ومروجيه وبالطرق والمسالك التي يسلكونها لإضعاف الهوية الإسلامية وطمسها، وكذلك طرق مكافحتها وتفنيدها حتى نرد عليها بموضوعية وأسلوب قوى رصين دون مبالغة أو تهويل وبدون خروج عن المحجة البيضاء والرسالة السمحاء حتى نواجه الفكر بالفكر والعلم بالعمل.[١]

٤- الصدق والموضوعية:

لكي نعد الخطة الكافية الكاملة لمواجهة الذين يعملون على إضعاف الهوية الإسلامية وتذويبها، وللرد على سموعهم وأحقادهم ومكائدهم فلا بد أن نضيف إلى الأسس السابقة: الصد ق والموضوعية والأمانة والالتزام، وهذا منهج الإسلام وطريقته فقد قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [٢] .

ومهما بالغ أو افترى الأعداء والمغرضون، فالإسلام يأمرنا بأن نرد بموضعية وأمانة وصدق، وأن تكون مقاومتنا واضحة الهوية، بينة المقصد صادقة المحتوى، قائمة على محاربة الظنون، ونبذ الإشاعات وإطراح الريب. ونحن نعلم أن أجهزة التخريب والغزو الفكري والثقافي قد حاولت طمس معالم هذا الدين وإخفاء محاسنه وتشويه حقائقه، وتذويب الهوية الإسلامية وتفتيتها عن طريق تدمير البنية التحتية لأصولها العقائدية والثقافية والفكرية، لهذا علينا درء هذه الشبهات وإزاحة هذه التراكمات بالعودة إلى النبع صافيا . وإلى الحق ناصعا نتلمس القوة في قوة ديننا دونما تزوير أو تكلف أو تبرير [٣] .

فعن طريق هذه الأسس من الشمولية والتنسيق والاعتماد على الذات والصدق والموضوعية إلى جانب الإخلاص والعمل الجاد والدراسة المتأنية والخطط والبرامج المتقنة المدروسة يمكننا بإذن الله استعادة الهوية الإسلامية، وهذا وعد الله لنا كما قال سبحانه ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [٤] .

---

[١] – حامد عبدالواحد، الإعلام في المجتمع الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ١٤٠٤ هـ ص ٩٤

[٢] – سورة التوبة، الآية: ١١٩ .

[٣] – حسان محمد حسان، وسائل مقاومة الغزو الفكري،ص ١١

[٤] – سورة سورة التوبة، الآية: ٣٣ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

وقال ﷺ: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة"[1]، وأخبر ﷺ أن "الهوية الإسلامية" ستكون هي هوية الذين يقاتلون اليهود حتى إن الحجر والشجر ليقول: "يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله" ٠ هذه بعض أهم أسس استعادة الهوية الإسلامية الضائعة ٠

وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية

بعد أن استعرضنا أسس استعادة الهوية الإسلامية الضائعة نبين هنا وسائل وأساليب الحفاظ على الهوية الإسلامية تلك الهوية الربانية التي تظل باقة وقائمة إلى قيام الساعة ويهيئ الله لها من يحميها ويحرسها ويحفظها عبر الأزمان المتعاقبة، ولكن سنة الله في التدافع بين الخير والشر، والحق والباطل ماضية ٠

وفيما يلي أذكر وأقترح بعض الوسائل التي ينبغي العناية بها حراسة لهوية الأمة وحرصا على مستقبلها وعلى أجيالها ٠

١- الثقة بمنهج الله ووعده وحكمه، والتعلق به، والإيمان أنه المنهج الحق الصالح لكل زمان ومكان، والمنهج الوحيد الذي يصلح للخليقة، لأنه رباني لا بشرى، وسؤاله الهداية والثبات عليه من غير تبديل ولا تغيير.

٢- التعلق بكتاب الله قراءة وفقها وتدبرا وعملا، ولو أقبل الخلق على كتاب الله والانتهاج بنهجه لأجارهم سبحانه من الفتن، فالقرآن شفاء ورحمة وأمان.

٣- تربية النشء على الهوية الإسلامية تربية متأصلة، وربطه بتاريخه ولغته وعقيدته، وغرس معاني العزة والافتخار بانتمائه للإسلام، وتحذيره من شبهات أهل الزيغ والهوى مع قوة الاقتناع، وأدب الحوار، فالتنشئة الصحيحة هي أول عملية في التربية على الهوية الإسلامية.

٤- إنشاء مراكز الأبحاث والدراسات التي تؤصل للهوية الإسلامية وتقترح وسائل لتحصين المجتمع المسلم من الغزو الفكري الذي يستهدف طمس هويته وتذويب خصوصيته.

٥- تثقيف المجتمع بسيرة النبي ﷺ وكيفية الاستفادة منها في واقعنا المعاصر من خلال عرضها بأسلوب عصري، يستطيع أن يستفيد منها السياسي والعسكري والإداري والعالم بشكل يسير ومبسط.

---

[1] – رواه الإمام أحمد برقم: ١٨٤٠٦ بسند حسن وأبوداؤد الطيالسي ٤٣٨ والبزار كما في البحر الزخار رقم: ٢٧

٦- نشر التاريخ الإسلامي الصحيح وتبسيطه وتقريبه للناس، واستخدام جميع الوسائل الممكنة لإبراز تاريخ الإسلام ورجالاته، والرد على الشبهات المثارة حوله.

٧- كشف سماسرة التغريب ومروّجيه وفضح علاقاتهم وأساليبهم في طمس الهوية الإسلامية، ورصد تحركاتهم والإنكار عليهم، والتحذير منهم ومن منهجهم وخطرهم.

٨- ربط المجتمع المسلم بمصادر التلقي الصحيحة وبمناهج الاستدلال وبالعلماء الربانيين وتعليمه العلم الشرعي، ونشر الكتب التي ترسخ الهوية وتحافظ عليها.

٩- إبراز الرموز الإسلامية التي حفظ الله بها الهوية وإظهار مكانتها ونشر سيرتها، وحثّ الناس بالاقتداء بها، وإبراز جهودها في حراسة الهوية، وفي الرد على الدخلاء والعملاء.

١٠ - العناية باللغة العربية وتعليمها والتحدث بها فاللغة وعاء الثقاة والاعتزاز بها، والابتعاد عن إدخال الكلمات غير العربية في الحديث، وتربية النشء على حبها، والتعلق بها، والحديث معهم بها.

١١ - إعداد المناهج المدرسية التي تعالج الظواهر المتجددة في المجتمع وتواكب التطور، وترسخ القيم الإسلامية الحميدة.

١٢ - ضبط الاستفادة من الحضارة والثقافة الغربية وتطورها العلمي والتكنولوجي، والحذر من الانفتاح المطلق المذموم الذي يؤدي إلى ضياع الهوية وذوبان الشخصية.

١٣ - العناية بالتعليم والمحافظة عليه، وتطويره وتحديث مناهجه وبرامجه والحرص على عدم المساس به، والإنكار على من يسعى لإفساده وتغريبه، والحذر من خطط الأعداء التي تسعى للسيطرة عليه والتأثير فيه.

١٤ - إنشاء المراكز والمؤسسات التي تعتني بجمع كلمة المسلمين وتوحد صفهم وترصد الانحرافات الفكرية، والتعقيب عليها وتفنيد الشبه، والجواب عن الشكوك والاثارات التي تخرج من بعض المارقين على قيم الإسلام ومبادئه، والجهاد الفكري ضدها.

١٥ - تجديد الخطاب الدعوي والثقافي الإسلامي وتطويره، بحيث يلائم العصر مع المحافظة على الثوابت القطعية.

١٦ - تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي تسيطر على عقول الكثير من الناس كالتواكل والعجز، والهزيمة النفسية، والانبهار بحضارة الغرب.

١٧ - ضرورة وضع ضوابط وقيود للاستفادة من وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، ومن أهمها: (القنوات الفضائية، وشبكة الانترنت، وسد طرق الانحراف وذوبان الهوية) ٦٦

ISBN: 978-9922-21-412-2

هذه بعض أهم وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية التي يجب العناية بها.

المصادر

القران الكريم

١ – – إبراهيم مصطفى وزملائه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الفكر، دمشق٠

٢ – حامد عبدالواحد، الإعلام في المجتمع الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ١٤٠٤ ٠

٣– حسان محمد حسان، وسائل مقاومة الغزو الفكري طبعة دار احياء التراث العربي بيروت

٤– الحوار شريعة وواقعا وتاريخا٠ د منير محمد الغضبان ٠ طبعة دار السلام للطباعة والنشر والترجمة مصر ٠

٥– عبدالملك بن هشام المعافرى، سيرة ابن هشام، شركة الطباعة الفنية، القاهرة.

٦ – محمد مورو، الإسلام وأمريكا، حوار أم مواجهة طبع مصر ٠

المجلات:

مجلة البيان، العدد ١٢٨ ربيع الآخر ١٤١٩ هـ "ندوة الهوية الإسلامية"، المنتدي الإسلامي، لندن ٠

ISBN: 978-9922-21-412-2

مُؤَشّرات البنية المَاليَّة التحتيَّة وتأثيرها في العِرَاق

أشراف: أ.م.د حمدية شاكر مسلم/ جامعة بغداد -كلية الإدارة والاقتصاد
الباحث : حيدر حسن معن سعدون- ديوان الرقابة المَاليَّة الاتحادي
الباحث : أيوب رزاق محمد/ جامعة بغداد -كلية الإدارة والاقتصاد

المقدمة

تعد التنمية البشريَّة أحد أهم الموضوعات والمتجددة دائماً في الدراسات الاقتصاديَّة بل تجدها محور اهتمام كل نظريات التنمية الاقتصاديَّة ، والدراسات التي تعني بموضوعات البلدان النامية والتي تم التأكيد عليها في أهْداف الالفية الثالثة للتنمية الاقتصاديَّة المُسْتَدَامَة من قبل البرنامج الانمائي للأمم المتحدة . إن تحقيق العدالة الاقتصاديَّة تحد من عدم المساواة، وبذلك تحقق ما جاء في الهدف رقم (١٠)* ثم القضاء على الفقر وتحقيق الاستدامة والتي تضمنها الهدف رقم (١) وهذا يعمل على مساعدة الاقتصادات على الازدهار كما في الهدف رقم (٨) ، وتحقيق العدالة والسلام من خلال بناء مجتمعات مسالمة لا يهمش فيها احد كما تضمنها الهدف (١٦) ، وبذلك يتحقق التخصيص الأمثل والتوزيع العادل للموارد بغية اشباع الحاجات العامة وضمان حقوق الأجيال القادمة، والاسراع بتنفيذ خطط التنمية المُسْتَدَامَة، وهذا ما اعطى السياسة المَاليَّة القدرة على تحقيق أهْداف العدالة الاقتصاديَّة.

أما السياسة المَاليَّة في العِرَاق المعتمدة على الايرادات النفطية في التمويل ، فإنها وبسبب تأثرها بالتغيرات الحاصلة في القطاع الاستخراجي أفرزت العديد من المشكلات الاقتصاديَّة منها التفاوت في توزيع الدخول وعدم الاستغلال الأمثل للموارد ؛ إذ أن (انخفاض التراكم الرأسمالي ، الفقر ، البطالة ، ارتفاع نسبة الأمية ، تردي الخدمات الصحية ، انخفاض نصيب الفرد من الدخل ، ارتفاع الانفاق العسكري ، ارتفاع النفقات الجارية على حساب الاستثمارية) تدل على فشل إدارة السياسة المَاليَّة في تنفيذ الخطط الموضوعية ذات البعد الاستراتيجي التي تخدم عمليَّة التنمية الاقتصاديَّة المُسْتَدَامَة ، لذا كان من نتائجها ضعف العدالة الاقتصاديَّة التي تعمل على ضعف الأمن المجتمعي وضعف الاثنين يخلق مجتمعات تعتاش على الصراعات تاركة وراءها مجتمع متخلف ترتفع فيه نسبة الأمية وتضعف انتاجية الفرد وتعطل المشاريع، فتتوقف عجلة الاقتصاد؛ بسبب ضياع الموارد البشريَّة والمادية وهدرها وفشل الخطط التنموية.

* - هذه الاهداف ضمن اهداف التنمية المستدامة للالفية الجديدة ٢٠١٥ – ٢٠٣٠ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

أهمية البحث:-

١- أيجاد بنية مَاليَّة تحتية تنعكس بالتطور الايجابي على الاسواق المَاليَّة، والقطاع المصرفي والسياسة النَقْديَّة (الائتمان)، والموازنة العامة وتمويلها من مصادر الدخل الحقيقية المتولدة داخل الاقتصاد، وتكون السياسة المَاليَّة ذات أهْداف تنموية.

٢- التنمية البشريَّة المُسْتَدَامَة تهدف إِلَى التطوير الاقتصادي والاجتماعي طويل الأمد، ولذلك على البنى المؤسساتية من خلال القوانين والانظمة والتعليمات، استراتيجية واضحة ومحددة المعالم ومن خلال البنية المَاليَّة والتنمية البشريَّة بما يخلق حالة التوازن بين الجيل الحالي والأجيال اللاحقة.

مشكلة البحث :

يعاني الاقتصاد العِرَاقي من مشكلتين رئيستين هما الحالة الريعية (النفط والمال النفطي) باعتباره المصدر الوحيد للتمويل ، وفجوة التنمية التي تعبر عن العلاقة بين الموارد المتوفرة ومدى تحقق نسب التطور في كافة القطاعات الاقتصاديَّة والحياة الاجتماعية، أذن كيف يمكن معالجة هذه المشكلتين؟ وهل البنية المَاليَّة التحتيَّة والتنمية البشريَّة تحقق هذا الغرض؟

هدف البحث:-

١- تحديد دور البنية المَاليَّة التحتيَّة في تمويل التنمية الاقتصاديَّة في العِرَاق.

٢- دراسة وتحليل مُؤَشّرات البنية المَاليَّة التحتيَّة وتحدياتها وطرق معالجاتها في العِرَاق.

٣- إسهام البنية المَاليَّة التحتيَّة في تمويل التَنْمِيَة البشريَّة في العِرَاق.

٤- تشخيص فجوة التَنْمِيَة الاقتصاديَّة من خلال البنية المَاليَّة التحتيَّة والتَنْمِيَة البشريَّة في العِرَاق.

١-١-٤ فرضية البحث:- ((تسهم البنية المَاليَّة التحتيَّة في تطوير وتمويل التَنْمِيَة البشريَّة، والذي بدوره ينعكس على التَنْمِيَة الاقتصاديَّة في العِرَاق)).

البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة في العِرَاق

المستخلص:

في هذا البحث نستعرض مُؤَشّرات للبنية التحتيَّة المَاليَّة في العِرَاق من خلال تحليل دور الهياكل المؤسسية والمؤسسات المنتجة للاستثمار وأهمية القطاع المالي في تعزيز الاقتصاد المستدام الذي أخذ زمام المبادرة في جهود بناء القطاع المالي. نظام يدعم النمو المستدام. ومع ذلك ، ينبغي إدراك أنه في بيئات العمل غير المريحة ، ودعم فرضية قوة السوق ، يجب ملاحظة أن

الأسواق المصرفية الأكثر تركيزًا تتميز بمستويات أعلى من ترشيد الائتمان. كما تكشف نتائجنا أن البِنْيَة التحتيَّة المَاليَّة في العِرَاق لم تؤد دورها كما ينبغي ، ، وبالتالي لا يمكن تمويل الاقتصاد المحلي بطريقة مُسْتَدَامَة.

البنى المؤسساتية

أن التنظيمات الحديثة لبناء الدولة تقوم على فكرة إنشاء مُؤَسّسات الدولة وهي التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وأكدت المدرسة المؤسسية أن البنى المُؤَسّساتية هي الإطار الملائم الذي يحقق شرط أسَاسي للنمو والتَنْمِيَة الاقتصاديين وتعد هذه المدرسة البنى المُؤَسّساتية دالة التطور الطبيعي للمجتمع ، وفي العِرَاق تم صياغة العقد الاجتماعي بعد عام ٢٠٠٣ ومن خلال الدستور صدر عام ٢٠٠٥ يكون شكل الحكم فيه جمهورياً نيابيًّاً (برلمانياً) ديمقراطيًّاً كما جاء في المادة الأولى ، واستقلالية القضاء لا سلطان عليه لغير القانون المادة (٨٧) أما السلطة التنفيذية (الحكومة) يتم منحها الثقة من خلال مجلس النواب، ويرشح رئيس الجمهورية رئيس مجلس الوزراء، وبذلك تحول نحو بنى مُؤَسّساتية ذات سلطات مستقلة.

وجاءت الأهْداف الإنمائية للألفية الثالثة بضرورة مشاركة المجتمع بشكل تنسيق من خلال مُؤَسّسات المجتمع المدني في صياغة الرؤيا والاستراتيجية والسياسات مع البنى المُؤَسّساتية مِنْ أجَل تنفيذ تلك الأهْداف، وإجْرَاءات التحول الاقتصادي من الاقتصاد المخطط مركزياً إلَى اقتصاد يعتمد آليات السوق وهذه الرؤية واضحة لدى الحكومة العِرَاقية إلَا أنَّها غير متحققة، حيث أن الانظمة والقوانين ولم تحقق الحكومات المتعاقبة صيغة متوازنة وإيجاد آلية سليمة للانتقال من سيطرة القطاع العام إلَى القطاع الخاص مع عدم وجود قاعدة بيانات متكاملة ذات شفافيَّة التي تكون مُؤَشّرات التَنْمِيَة البشريَّة وأهْداف الإنمائية للألفية الثالثة على سبيل المثال لا الحصر لا توجد احصائيات حول الأراضي الزراعية سواء إحصائية عام ٢٠٠١ وبسبب النمو السكاني تحول الكثير الأراضي الزراعية إلَى سكنية القريبة من مراكز المدن ودون أي إجْرَاءات قانونية وإدارية.

إن تحقيق الاستقرار السياسي والذي يتبعه استقرار اقتصادي هو الموضوع الأبرز من بين الموضوعات خلال العقد الاخير وما رافقه من تداعيات خطيرة من الاختلالات هيكلية في الاقتصاد العِرَاقي، فالموازنة العامة التي تشكل دالة الطلب الكلي هي دالة للطلب الاستهلاكي وهي رهينة أسْعَار النفط العالمية ، والذي يبنى عليه توقعات النمو في الناتج المحلي الاجمالي، ومن الصعب إجْرَاء تغيرات كبيرة في الموازنة وتأتي في مقدمتها تغيير سياسة التوظيف والأجور

ISBN: 978-9922-21-412-2

في مُؤَسّسات الدولة التي تسمح وبشكل تدريجي الانتقال من المورد الوحيد إِلَى اقتصاد متنوع يستهدف استقرار مالي في الموازنة والقطاع المصرفي والتركيز على أهْداف التَنْمِيَة البشريَّة، لأن الناس فيها هم الوسيلة والهدف والغاية (صالح :٧٥-٧٨ :٢٠١٠).

إن تقارير التَنْمِيَة المُسْتَدَامَة والبيانات المتوفرة وأداء الحكومات وفق مُؤَشّرات التعليم والصحة ومتوسط الدخل مع نسبة نمو الناتج المحلي الاجمالي كأهْداف متوسطة الأجَل وللمدة (٢٠١٥-٢٠٢٠) والتحولات التي يشهدها الاقتصاد والمجتمع وتحسين نوعية الحياة يقع العِرَاق في مراتب متأخرة بالتسلسل بين الدول (١٠٥) ومؤشر التَنْمِيَة المُسْتَدَامَة (٥٨) بينما تونس تقع (٥١) ومؤشر التَنْمِيَة المُسْتَدَامَة (٦٥,١) متقدمة على كل الدول العربية ، وهذه النتائج تأتي وفق تقدم في البِنْيَة التحتيَّة الاقتصاديَّة وانهاء حالة الفقر المدقع والنمو الانتاجية ومقدار التلوث الحاصل والقدرة والتكيف على مواجهة انتكاسة COVID-19 وهي تحديات تخص الهشاشة الاقتصاديَّة (عبدمولاه:٥-٨ :٢٠٢٢).

في الأجَل الطويل يقع على عاتق البنى المُؤَسّساتية إيجاد بيئة استثمارية التي تخفض تكاليف الاستثمار ويشجع الاختراعات والابتكارات وحماية الحقوق الفكرية مع توفير مصادر التمويل وحوكمة الاقتصاد (Governance of the economy) من الأدوات التي تؤمن الاستثمار طويل الأجَل ، وفي الاقتصاد العِرَاقي لم توفر البنى المُؤَسّساتية هذه البيئة؛ بسبب ضعف السياسات الاقتصاديَّة والبيروقراطية العالية مما يرفع تكاليف الاستثمار، فضلاً عن الفساد المستشري في المُؤَسّسات الحكومية مع تعدد الجهات التي تمنح الموافقات الرسمية في حين تجربة مصر تكون هناك نافذة واحدة للحصول على الموافقات الرسمية، مما يقلل الجهد والتكلفة وتوجيه الاستثمارات وفق مسارات التَنْمِيَة المُسْتَدَامَة (البريكان واخرون:١٠٦-١١١ :٢٠٠٦).

عدم تكافؤ الفرص واحدة من إشكاليات التي يغني منها الاقتصاد العِرَاقي، فالحصول على الوظيفة ذات المزايا الاقتصاديَّة والاجتماعية لا تخضع إِلَى مزايا التعليم والخبرة والكفاءة، بل إِلَى الانتماءات السياسية والفئوية وهو ترشيح من السلطة التشريعية وما نتج عنها في الحكومات ، وبالتالي فإن هذه الوظائف في الكادر المتقدم للمُؤَسّسات الدولة لان تعمل بكفاءة عالية لأنها لا تملك المهارات الادارية والفنية المطلوبة لتلك الوظيفة والأمر لا يتوقف على هدر الموار،د بل يتعدى إِلَى تراجع في مستويات عدالة الاجتماعية وتراجع مؤشر راس المال البشري في الاقتصاد العِرَاقي ، وبهذا تكون فرص كبيرة إِلَى اهدار فرصة معرفة المواهب والقدرات في

ISBN: 978-9922-21-412-2

المجتمع ويشكل حافزا أسَاسياً إلَى التفاوت غير العادل، وعندئذ تكون البنى المُؤَسّساتية مصدر عدم المساواة في العدالة الاجتماعية بدلاً من تحقيقها(سكانلون:٢٠٢١: ١٥٩-١٦٤).

وبناء على التحليل السابق لا يكون التفاوت في توزيع الدخول بين الفئات العليا والدخول المنخفضة للطبقات العاملة مع عدم العدالة الضريبية يكون التفاوت سمة تمتاز بها الفئة العليا هي الوحيدة، بل يمتد إلَى مجمل النشاط الاقتصادي في الأجَل الطويل ، حيث تعثر المُؤَسّسات يضعف حالة التوقع في الاستثمارات وينحصر الاستثمار في الموارد الريعية التي تحقق مكاسب سريعة دون تكوين راس مال الثابت طويل الأجَل ، وفي الاقتصاد العِرَاقي برزت الاستثمارات النفطية من خلال جولات التراخيص وانسحاب بعض الشركات العالمية لعدم وضوح الرؤية تجاه مسارات الاقتصاديَّة وحالة الاستقرار السياسي (غرانوفيتر:٢٠٢١:٩١-٩٧).

جدول (١) مُؤَشّرات الحوكمة للبنى المُؤَسّساتية للمدة(٢٠٠٥-٢٠٢٠)

السنة	الفساد	حكم القانون	فعالية الحكومة	الكفاءة التنظيمية	الصوت والمسالة	الاستقرار السياسي
٢٠٠٥	-١,٣٧	-١,٧٢	-١,٦٤	-١,٣٥	-١,٣٠	-٢,٦٩
٢٠٠٦	-١,٤٥	-١,٨٤	-١,٧٣	-١,٣٩	-١,٢٨	-٢,٨٣
٢٠٠٧	-١,٤٦	-١,٧٧	-١,٥٧	-١,٣٢	-١,١٣	-٢,٧٧
٢٠٠٨	-١,٤٦	-١,٧٠	-١,٢٤	-١,١٥	-١,١٠	-٢,٤٧
٢٠٠٩	-١,٣٣	-١,٥٦	-١,١٨	-١,٠١	-١,٠٢	-٢,١٨
٢٠١٠	-١,٢٦	-١,٤٥	-١,٢٠	-١,٠٥	-٠,٩٩	-٢,٢٤
٢٠١١	-١,١٧	-١,٤٥	-١,١٣	-١,٠٩	-١,٠٧	-١,٨٥
٢٠١٢	-١,٢٢	-١,٤٦	-١,١١	-١,٢٥	-١,٠٨	-٢,٠١
٢٠١٣	-١,٢٨	-١,٤٥	-١,١٠	-١,٢٤	-١,٦	-٢,٤٨
٢٠١٤	-١,٣٣	-١,٣٣	-١,١١	-١,٢٥	-١,١٤	-٢,٢٦
٢٠١٥	-١,٣٧	-١,٤٢	-١,٢٥	-١,٢٤	-١,١٣	-٢,٣١
٢٠١٦	-١,٣٩	-١,٦٣	-١,٢٧	-١,١٣	-١,٠٢	-٢,٣١
٢٠١٧	-١,٣٧	-١,٦٤	-١,٢٧	-١,٢٠	-١,٠٥	-٢,٣١
2018	-١,٤٠	-١,٧٦	-١,٢٦	-١,٢٢	-٠,٩٩	-٢,٥٦

ISBN: 978-9922-21-412-2

2019	-١,٣٧	-١,٧٦	-١,٣٢	-١,٠٨	-٠,٩٠	-٢,٦٠
2020	-١,٣٢	-١,٧٨	-١,٢٩	-١,٣٢	-١,٠١	-٢,٤٦

Source: The Worldwide Governance Indictors ,2021 Update Aggregate Governance Indictors 1998-2021 www.govindicators.org متاح على الموقع

نلاحظ من الجدول القيم السالبة للمُؤَشّرات الحوكمة للبنى المُؤَسّساتية، ولهذا فإن على البنى المُؤَسّساتية وعلى الأمد المتوسط والطويل العمل على تصحيح المسار في رسم استراتيجية وسياسيات اقتصاديَّة واجتماعية مِنْ أجَل تحويل تلك المُؤَشّرات السالبة إلَى مُؤَشّرات إيجابية مما يمكن إيجاد بيئة اقتصاديَّة سليمة تشجع الاستثمار الخاص والاصلاحات المَاليَّة والمصرفية وتطوير البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة.

٤-٢-١-٢ المُؤَسّسات المنتجة للاستثمار

تشير النظرية المؤسسية الحديثة ،أن من أفضل آليات والسبل التي من شأنها تحقيق استراتيجية التَنْمِيَة الاقتصاديَّة ، هي تلك آليات التي تستند إلَى آليات المؤسسية البحثيَّة التي تعطي مدة نسبية على بقية الترتيبات المؤسسية الأخرى ، وتعمل هذه المُؤَسّسات على تأمين الكفاءات والخبرات في الأنشطة المختلفة التي لا يمكن للأفراد والمشروعات الاقتصاديَّة بلوغها .

وتؤدي هذه المُؤَسّسات البحثيَّة دوراً جوهرياً في تأمين كتلة حاسمة من الموارد البشريَّة والمَاليَّة ، بالإضافة إلَى تخفيض تكاليف البحث العلمي والابتكارات عن طريق توزيعها بين الشركاء المعنيين في هذه الأبحاث ، وبذلك تسهل الوصول إلَى المعلومات والقدرة على التعاون الفعلي بين الخبراء الباحثين ذوي المشروعات الإنتاجية الأخرى شرطين أسَاسين لنجاح عمل هذه المُؤَسّسات (باطويح واخرون:٧-١١ :٢٠١٩).

وفي دراسة عن الاقتصاد والاسواق في الالفية الثالثة (جيريمي رفكين) ٢٠٠٥ والذي قسم وظائف الاقتصاد بين القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين وكما مبين في الجدول (٢) :

جدول (2) مُؤَشّرات الاقتصاد بين القرن العشرين والحادي والعشرين

المُؤَشّرات	اقتصاد القرن العشرين	اقتصاد القرن الحادي والعشرين

سعة الاقتصاد -اسواق -حدود المنافسة -الشكل التنظيمي -البِنْيَة -مصدر القيمة	 مستقرة قومية بيروقراطي مادية تصنيعية مواد خام /راس مال طبيعي	 حركية عالمية علاقات متشابكة خدمية / معلوماتية لتطوير تكنولوجيا التصنيع رأسمال انساني واجتماعي
الأعمال -تنظيم الانتاج -المحرك الرئيسي للنم -المحرك التقني -مصدر ميزة التنافسية -أهمية الابحاث/الابتك -العلاقات	 انتاج كبير راس مال /عمل الماكنة خفض تكاليف في الموازنة بين المنخفض والمتوس اداء منفرد	 انتاج المرن ابتكار/ معرفة الرقمية الابتكار، الجودة ،والقدرة عل التكيف مع حركة الاقتصاد كبير /مصدر رئيس للأعمال تعاون ، وتفوق
المستهلكون/ العمال -الاذواق -المهارات -طبيعة التوظيف	 ثابتة مهارات محدودة مستقرة	 سريعة التغير مهارات واسعة لديها القدرة على التكيف وفق المتغير التكنولوجي الاعتماد على تأسيس المشروعات الخاصة والتعاقد وفق اسس المشروع

ISBN: 978-9922-21-412-2

الحكومة -القطاع المالي -العلاقة مع القطاع الخاص -التنظيم -الخدمات الحكومية	توفير مصادر التمويل قواعد تنظيمية قيادة وسيطرة دولة الرفاه	توسيع وتخفيض الخدمات المَاليَّة والمصرفية المساعدة على خلق فرص استثمارية وتشجيع النمو مرن يرتكز إِلَى السوق دولة مخوَلة /البيئة

المصدر: جون هارتلي ،الصناعات الابداعية ،الجزء الثاني ، ٢٠٠٧، ص١٧١

ومن الجدول أن التحولات الكبيرة في الهيكل الاقتصادي تفرض على البلدان النامية والمتطورة المزيد من التقدم مِنْ أجَل الميزة التنافسية، وتطوير الخدمات المَاليَّة وتشجيع الاستثمار الابداعي كأساس النمو في الناتج والتشغيل ، أما بالنسبة للاقتصاد العِرَاقي على الرغم من سعة أسواقه وتزايد معدلات النمو السكاني وزيادة الطلب إلَا أنَّه لم يستطيع القطاع الحقيقي (القطاع العام والقطاع الخاص) من سدة فجوة النقص السلعي، ، وبالتالي لا يوجد الطلب لتطوير طرق الانتاج التكنولوجي ، على الرغم من توفر مصادر البحث العلمي والتفوق الابداعي في الجامعات العِرَاقية إلا أن لا توجد علاقات تشابكية بين المُؤَسّسات التعليمية والقطاع الحقيقي ، وهذا شكل بطبيعة الحال عدم وجود انفاق خاص على البحث والتطوير وفي القطاع العام كانت نسبته أقل (١%) من الناتج المحلي الاجمالي في حين بلغت متوسط هذه النسبة في الاقتصاد العالمي أكثر من (٢٨%) وفي الدول العربية متجمعتاً أقل من (٣%) للمدة (٢٠١٠-٢٠٢٠) ، وقد تراجعت نسبة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم بعد أن كانت (٦٩%) عام ١٩٦٠ إِلَى (٣١%) عام ٢٠٢٠ والذي يبلغ (٧٢٠,٩) مِلْيَار دولار، وهذا يفسر لا تراجع في نسبة من الناتج المحلي الاجمالي بل دخول بلدان أكثر على المستوى العالمي مثل كوريا (١١٢,٩) مِلْيَار دولار والصين (٥٨٠,٨) مِلْيَار دولار وفلندا وسنغافورة وروسيا وماليزيا بحدود (٥٠) مِلْيَار دولار ، وجميع هذه البلدان كان نقطة بداية التطور في الخدمات العامة، وتكوين راس مال اجتماعي استطاعت على أثره نمو في الناتج المحلي الاجمالي مكنها من تمويل البحث والتطوير (CRS analysis of Organization for Economic Development and Cooperation, OECD .Stat database,, 2020)

ومن الجدول أيضاً أن طبيعة التوظيف وسياسات التشغيل اصبحت أكثر ديناميكية ومتغيرة وهذا نتج عن تغيرات في طبيعة الوظيفة والمهارات المطلوبة مما يتطلب زيادة في المهارات ، وبالتالي التعليم يكون فيه وفق للعمر الوظيفي مما يتطلب تطوير القدرات في المُؤَسّسات التعليمية ، استطاعت المُؤَسّسات التعليمية العِرَاقية من الزيادة بشكل افقي وزيادة عدد الجامعات الحكومية والأهلية والتي بلغ عددها عام ٢٠٢٠ أكثر من (٨٥)[١] وأن نتاج تلك الجامعات موجه بشكل رئيس إِلَى التوظيف الحكومي المستقر ، وهذا النوع من التوظيف لا يحسن مستوى المهارات والقدرات العاملين فيه، مما يضف الانتاجية مع زيادة الرواتب والأجور بشكل سنوي ويثقل كاهل الموازنة العامة في تعويضات الموظفين (احصاءات التعليم :وزارة التخطيط :٢٠١٩-٢٠٢٠).

وتم تسجيل (٥٣١) براءة اختراع ومنح (٥٨) شهادة نموذج صناعي و (٨) شهادات للجودة في الجهاز المركزي للتقييس والسيطرة النوعية لعام ٢٠٢٠ ، وهذا لم يظهر في المنظمة العالمية لحماية الحقوق الملكية الفكرية (World Intellectual Property Organization) (WIPO) العِرَاق للمدة (٢٠٠٣-٢٠١٩) فتوفر المُؤَسّسات التعليمية والاكاديمية الجامعية العِرَاقية، ومن خلال التجربة الفرنسية التي ربطت تلك المُؤَسّسات مع القطاع الحقيقي من خلال تشريع قانون يتضمن أنشا صناديق تمويلية وحشد البحث العلمي لتطوير استراتيجية وطنية للميزة التنافسية في مجال الاختراعات والابتكارات والتطور التكنولوجي ونقل الانتاج المعرفي إِلَى الميادين التطبيقية ، وفي العِرَاق يمكن دراسة الواقع وما يعتريه من صعوبات في استثمار للموارد الطبيعية والاقتصاديَّة المتاحة ، مع تكوين قاعدة بيانات تكون متوفرة بين المراكز البحثيَّة والمُؤَسّسات التعليمية والاكاديمية عن طريق شبكة (إنترانت) (نابشيما:٢٠٠٨ :٣٨٨-٣٩٢).

أن البِنْيَة التحتيَّة للمُؤَسّسات المنتجة للاستثمارات متوافرة على مستوى الاقتصاد العِرَاقي ، وأن مركز الابحاث هي جزء أَسَاسي من المُؤَسّسات المنتجة للاستثمارات وتعمل هذه المُؤَسّسات على كافة جوانب المتعلقة بحياة الانسان، أي لديها علاقات تشابكية مع مختلف القطاعات وهذا القصور كبير في العلاقات المتشابكة بين الاطراف التي تتفاعل معها وايضاً مع العلاقات بين البنى المُؤَسّساتية لتوفير القوانين والانظمة والتعليمات، مما يصعب التوقع أو التنبؤ بالمستقبل والذي يمكن رسم الشكل (١)

شكل (١) يوضح مفهوم استشراف المستقبل

[١] بعض الجامعات تحت التأسيس

ISBN: 978-9922-21-412-2

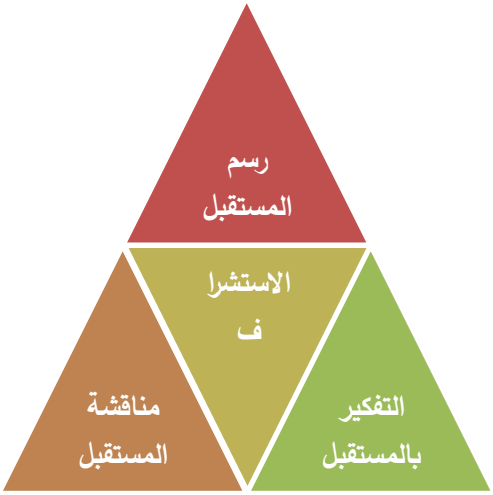

المصدر: أحمد الهنداوي واخرون ،استشراف المستقبل وصناعته ،القنديل ، الامارات ،٢٠١٧: ص٢١.

ومن الشكل المتقدم فإنّ دور المُؤَسّسات المنتجة للاستثمار هي الموجه الحقيق لإدارة دفة الاقتصاد والترابط بين القطاع الحقيقي والقطاع المالي من والرؤية ورسم الاستراتيجية والسياسات المتعلقة بها في المجالات الخمسة وهي :

١- السياسة والتشريعات والقوانين

٢- مُؤَسّسات الأعمال وطبيعتها المستقبلية

٣- التكنولوجيا والاختراعات والابتكارات

٤- المشاركة المجتمعية

٥- المحافظة على البيئة واستدامتها

القطاع المالي

إنَّ استدامة التَنْمِيَة وتحقيق الرفاهية الاقتصاديَّة والاجتماعية وتوسيع خيارات الناس في الحصول على مصادر الدخل أمر لا يمكن تحقيقه دون وجود قوة اقتصاديَّة فعالة مبنيةٌ على نمو استثماراته وانتاج السلع والخدمات وزيادة القيمة المضافة ، وبهذا المعنى أن التَنْمِيَة تحقق نمو الانتاج والانتاجية كوسيلة من وسائل التَنْمِيَة وهذه الوسيلة ترتبط بعناصر كلفة الاستثمار مع نمو الفائض المتحقق منها في الأجَل القصير والمتوسط على اقل تقدير، وأن التمويل ليس بديلاً عن الموارد الحقيقية ، إلَا أنَّه يلعب دورًا حاسمًا في عمليَّة التَنْمِيَة الاقتصاديَّة ، ولهذا السبب تسير التَنْمِيَة الاقتصادي ونمو البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة جنبًا إلَى جنب و اعتبر شومبيتر القطاع المالي أحد العاملين الرئيسيين (الآخر هو ريادة الأعمال) في عمليَّة التَنْمِيَة الاقتصاديَّة برمتها وكل

نماذج التَنْمِيَة العلمية والعمليَّة أوجدت هذا الترابط ، وفيما يخص البحث أن تحديد كلفة الاستثمارات تبدء من البنى المُؤَسّساتية والمُؤَسّسات المنتجة للاستثمارات وهذا الشرط الضروري ، أما الشرط الكافي فهو طريقة وكلفة تمويل هذه الاستمارات وهذا يشكل الترابط بين القطاع الحقيقي والقطاع المالي وآلية التوازن بينهما ، وفي الاقتصاد العِرَاقي يمكن تناول القطاع المالي من خلال القطاع المصرفي وسوق العِرَاق للأوراق المَاليَّة (Mahajan &Others :2003:4-6)

اولاً : القطاع المصرفي العِرَاقي

القطاع المصرفي الشرط المسبق لنمو القطاع المالي فهو يحقق الاستقرار النقدي والمالي وتوسيع الخيارات المصرفية أمام المدخرين اصحاب الفوائض النَقْديَّة، وكذلك توسيع خيارات التمويل أمام المستثمرين ، فهو يدير الطلب على النقد وعرض النقد.

ويتكون القطاع المصرفي العِرَاقي من البنك المركزي والجهاز المصرفي وهو يحمل في طياته الكثير من المُؤَشّرات سنحاول التعرف على أهم تلك المُؤَشّرات .

البنك المركزي العِرَاقي

ورد في الدستور العِرَاقي الجديد البنك المركزي العِرَاقي ضمن الهيئات المستقلة ،ففي المادة (١٠٣) ثانيا (البنك المركزي مسؤولا أمام مجلس النواب) ، ويقصد بمصطلح الاستقلالية(Independence) ، إعطاء البنك المركزي الحرية في وضع السياسة النَقْديَّة بما يتلاءم مع الأوضاع الاقتصاديَّة العامة للدولة (جالبريث :٢٠٠٠ :١٥٧-١٥٩).

انتقل البنك المركزي العِرَاقي إِلَى الادوات الغير مباشرة في السياسة النَقْديَّة ومكافحة الاتجاهات التضخمية السائدة بالاقتصاد منذُ العقد الاخير وصولاً إِلَى الاستقرار بالأسْعَار والمحافظة على مستويات متدنية من التضخم كما موضح بالجدول (٣)

جدول (٣) نسبة الفائدة ونسبة التضخم

السنة	الفائدة %	نسبة التضخم %
٢٠٠٥	٧	٣٧
٢٠٠٦	١٦	٥٣,٢
٢٠٠٧	٢٠	٣٠,٨
٢٠٠٨	١٦,٧٥	٢,٧
٢٠٠٩	٨,٨٣	٢,٦

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢٠١٠	٦,٢٥	٢,٤
٢٠١١	٦	٥,٦
٢٠١٢	٦	٦,١
٢٠١٣	٦	١,٩
٢٠١٤	٦	٢,٢
٢٠١٥	٦	١,٤
٢٠١٦	٤,٣٣	٠,٦
٢٠١٧	٤	٠,٢
٢٠١٨	٤	٠,٤
٢٠١٩	٤	-٠,٢
٢٠٢٠	٤	٠,٦

المصدر ، البنك المركزي ، النشرة السنوية (سنوات مختلفة) ، الجدول من عمل الباحث

نلاحظ من الجدول (٣) أن أسْعَار الفائدة (٧%) عام ٢٠٠٥ وللمدة (٢٠٠٦-٢٠٠٩) أخذت بالصعود كإِجْرَاء اداري لكبح التضخم وللمدة (٢٠١٠-٢٠٢٠) انخفض من (٦,٢٥) إِلَى (٤%) وهذا أدَّى إلى أن معدل التضخم السنوي كمتوسط للمدة (٢٠٠٥-٢٠٠٩) نسبة (٢٥,٢%) وللمدة (٢٠١٠-٢٠١٢) نسبة (٤,٧%) كان عامل استقرار في مستويات الأسْعَار ، لكن بعد عام ٢٠١٣ انخفض (١,٩%) هذا الانخفاض لم يساعد على الاستقرار فإن انخفاض نمو الأسْعَار لا يساعد توقع نمو الأسْعَار بالمستقبل مما يعزز التوقعات المتشائمة بالنسبة لنمو للاستثمارات أما المدة (٢٠١٦-٢٠٢٠) فقد كانت مواجهة العصابات الارهابية وما تلاها من أحداث ثورة شعبية ضد الفساد ورافقه إِجْرَاءات الغلق بسببCOVID-19 (صالح :٢٠١٩ :٦-٩).

أهم مُؤَشّرات البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة في العِرَاق هي :

١- الشمول المالي في العِرَاق

وبدء العمل في هذا المؤشر في العِرَاق منذُ عام ٢٠١٥ اعتماداً على مبادرة البنك المركزي في تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة برصيد (١) ترليون دينار لكافة المصارف والمشاريع الكبيرة برصيد (٥) ترليون دينار للمصارف الحكومية المتخصصة بهدف تمويل زيادة التشغيل

ISBN: 978-9922-21-412-2

وانخفاض معدلات الفقر في العِرَاق ، أم بالنسبة لمبادرة المشروعات والصغيرة والمتوسطة يمكن توضحيها من خلال الجدول (٤)

جدول (٤) مبادرة (١) ترليون

السنة	المبلغ (مِلْيَار دينار)	عدد المصارف
٢٠١٥	٦	٢٤٢
٢٠١٦	١٦,٥	٦٥٠
٢٠١٧	١٨,٥	٩٢٣
٢٠١٨	٢٥,١	١٤١٤
٢٠١٩	٧٩,٢	٢٢٧٦
٢٠٢٠	٣٤١,٤	١٣٤١
المجموع	٤٨٦,٧	

المصدر :الاستقرار المالي والنقدي ،البنك المركزي العِرَاقي سنوات مختلفة ،الجدول من إعداد الباحث

ومن الجدول آنف الذكر أن نسبة تنفيذ المبادرة (٤٨,٦%) خلال (٦) سنوات ولم يستطيع البنك المركزي من الوصول الهدف المنشود على الرغم من تدني أسْعَار الفائدة التي بلغت أقل من (٤%) وأن السبب في ذلك صعوبة الإجْرَاءات المصرفية اضافة إلَى ذلك تراجع الاستثمارات الصغيرة؛ لعدم اليقن بتلك الاستثمارات. وفيما يخص مبادرة (٥) ترليون موضحة في الجدول (٥)

جدول (٥) لمبادرة المشروعات الكبيرة (مِلْيَار دينار)

السنة	المصرف الزراعي	المصرف الصناعي	المصرف العقاري	صندوق الاسكان
٢٠١٧	١٥,٨٣٢	١٧,٦٦٧	٦٠٠	٨٢٤
٢٠١٨	٢٧,٥٥٩	٩٢,٦٠٦	٦٦٥	٨٥٩
٢٠١٩	٥٠,٨٠١	٩٦,٦٥٢	٦٦٥	١٠٠٩
٢٠٢٠	٥٣	١١٤	٧٠٠	١٢٠٩
المجموع	١٤٧,١٩٢	٣٢٠,٩٢٥	٢٦٣٠	٣٩٠١
التخصيص	١٦٦٦	١٦٦٦	٨٣٤	١٣٣٤

ISBN: 978-9922-21-412-2

نسبة التنفيذ	%٨,٨٣	%١٩,٢٦	%٣١٥,٣	%٢٩٢,٤

المصدر :الاستقرار المالي والنقدي ،البنك المركزي العِرَاقي سنوات مختلفة ،الجدول من إعداد الباحث

ومن الجدول قطاع الاسكان استحوذ على النصيب الاكبر من مبادرة البنك المركزي بسبب الزيادة السكانية وارتفاع أسْعَار العقارات بعموم العِرَاق وهي أحد المُؤَشّرات على تراجع نوعية الحياة ، وبالتالي تراجع مُؤَشّرات التَنْمِيَة البشريَّة ، أمّا القطاع الزراعي والصناعي لم تستطيع تلك القطاعات من زيادة الانتاج والاستثمار فيها ومع الزيادة السكانية فإن هناك فجوة في استغلال الموارد المتاحة ، وبالتالي قصور في التشغيل مع أنها مصدر رئيس من مصادر التشغيل والتَنْمِيَة الاقتصاديَّة عموماً.

المؤشر التجميعي للشمول المالي

استخدام البنك المركزي العِرَاقي المؤشر التجميعي من قبل منظمة التحالف العالمي للشمول المالي، ولا يدخل العِرَاق ضمن قائمة الدول المشاركة ، وبحسب توفر قاعدة البيانات للجهاز المصرفي وفي البداية استخدم اثنين من الابعاد هما :-

١- الوصول وفيه عدة مُؤَشّرات

أ- نسبة الانتشار المصرفي التي تبين عدد فروع المصارف إِلَى كل (١٠٠) الف نسمة، وهذه النسبة تؤثر على لخدمات المصرفية المقدمة للعائلات والشركات من عدد فروع المصارف

ب- عدد ATM / عدد البالغين : والبالغين هم من تجاوز سن (١٥) سنة، وهذه النسبة مقدار حصول الأفراد على الأموال نقداً وهي ترتبط بالتطور الحاصل في الجهاز المصرفي.

ت- نسبة الكثافة المصرفية : وتشير إِلَى عدد فروع المصارف إِلَى الف كم٢ وهنا التباعد الجغرافي بين أطراف المدن ومراكزها

٢- عدد ATM و POS وتشير إِلَى عدد أجهزة الصراف الآلي ومنافذ التحويل النقدي الاستخدام وفيه المُؤَشّرات التالية:-

أ- حجم القروض والودائع إِلَى الناتج المحلي الاجمالي (GDP) وهذه النسبة تمثل مقدار الخدمات المصرفية المقدمة إِلَى الافراد والشركات

ب- عدد الحسابات والودائع إِلَى عدد البالغين، وهي نسبة السكان الحاصلين على الخدمات المصرفية توجيه الفائض النقدي الذي بحوزتهم نحو المصارف.

ت- عدد حسابات القروض إلَى عدد البالغين وهي نسبة السكان الحاصلين على تمويل من الجهاز المصرفي ويمكن تمثيل ذلك في الجدول (٦)

جدول (٦) الأبعاد والمُؤَشّرات الفرعية للمؤشر التجميعي للشمول المالي

الابعاد	المؤشر الفرعي	٢٠١٥	٢٠١٦	٢٠١٧
الوصول	نسبة الانتشار المصرفي	٣,٢٨	٢,٨١	٢,٧٣
	عدد ATM /عدد البالغين	٢,٦	٢,٩	٢,٤
	عدد الفروع /الف كم٢	٢,٧٩	٢,٤٥	١,٩٩
	عدد ATM و POS	١,٣٣	١,٥٢	٢,٤٣
الاستخدام	حجم القروض والودائع /GDP	٢١,٧	٢١,٣	٤٦,٥
	عدد الحسابات والودائع / عدد البالغين	٦,٥	٦,٨	٥,٥
	عدد حسابات القروض /عدد البالغين	٠,٢	١,١	٣,٢
المؤشر التجميعي		١٠,٥	١٠,٤	٢٠,٨٧

المصدر :الاستقرار المالي والنقدي ،البنك المركزي العِرَاقي سنوات مختلفة ،الجدول من إعداد الباحث

وفي عام ٢٠١٨ استخدم البنك المركزي ثلاث ابعاد هي (الوصول) (Access) و(الاستخدام) (Usage) و (النوعية) (Quality) والاخير هي جودة الخدمات المصرفية المقدمة، ولم يتم قياسها بسبب عدم توفر البيانات بشأنها، وهذه البيانات استقصائية من خلال استبانة تملء من قبل زبائن المصارف وهذا يتطلب ثقافة ووعي مصرفي بين المتعاملين مع الجهاز المصرفي وهي متراجعة بسبب الطبيعة المصرفي التي تنحصر بين مصرفي الدولة

ISBN: 978-9922-21-412-2

الرافدين والرشيد وتعاملهم مع الزبائن أدَّى إلَى انخفاض الثقافة والوعي المصرفي. بقية الأبعاد كما في الجدول (٧)

الجدول (٧) الأبعاد والمُؤَشّرات الفرعية للمؤشر التجميعية للشمول المالي

الابعاد	المؤشر الفرعي	٢٠١٨	٢٠١٩	٢٠٢٠
الوصول	نسبة الانتشار المصرفي	٢,٢٦	٢,٢٥	٢,٢١
	الكثافة المصرفية	٤٤,١٦	٤٤,٢٥	٤٥,٦
	100/ ATM نسمة	٢,٣٧	٢,٨	٢,٧
	عدد 100/POSنسمة	٥,٥٤	٢٧,٨	٢٩,٥
الاستخدام	الخدمات الإلكترونية	٥٤,٩	٦٨,٢	٦٩,٣
المؤشر التجميعي		٢٢,٠٩	٢٥,٤	٢٥,٨

المصدر :الاستقرار المالي والنقدي ،البنك المركزي العِرَاقي سنوات مختلفة ،الجدول من إعداد الباحث

٢- التَنْمِيَة المَاليَّة في العِرَاق

ضمن مُؤَشّرات التَنْمِيَة البشريَّة توسيع الخيارات أمام الناس وهذه الخيارات تكون في أتجاهين، الأول زيادة قدراتهم ومهارتهم مِنْ أجَل استيعاب التغيرات الحاصلة في سوق العمل طبقاً للتغيرات التكنولوجية والوسائل الحديثة المستخدمة في العمل ، والثاني أن يكونوا قادرين غلى توفير مستلزمات والادوات التي تنمي مشاريعهم واستثماراتهم الخاصة وهذا يتطلب إمكانيات مَاليَّة تفوق قدرتهم لذلك يدفعهم إلَى الجهاز المصرفي مِنْ أجَل طلب الائتمان ولهذا فإن التَنْمِيَة المَاليَّة هي أحدى مُؤَشّرات البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة التي تبين مقدار تطور وتأثيرها على التَنْمِيَة البشريَّة من خلال ثلاث مُؤَشّرات فرعية :-

ISBN: 978-9922-21-412-2

أ- الاحتياطيات المصرفية بالنسبة للناتج المحلي الاجمالي

إن تطور الودائع المصرفية يشير إِلَى تطور الجهاز المصرفي العِرَاقي بجذب السيولة النَقْديَّة وتحويلها من إِلَى سيولة نقدية لدى المصارف ، وهذا التطور مبني بشكل أَساسي على تطور وسائل الدفع في الاقتصاد العِرَاقي من نقدي إِلَى مصرفي عبر التحويل بين الحسابات المصرفية ومن خلال توطين رواتب موظفي الدولة تمكن الجهاز المصرفي العِرَاقي من التطور في هذا الجانب الا أن نسبة نموه لا تساعد البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة على النمو ومن خلال الجدول (٨)

الجدول (٨) النقد المصدر والودائع المصرفية (مليون دينار)

السنة	GDP(1)	الحكومي (٢)	القطاع الخاص(٣)	المجموع (٤)	العملة المصدرة (٥)	4/1 %	5/1 %
2005	73,533,598.60	4252815	3689917	7942732	9112837	10.8	12.4
2006	95,587,954.80	12177046	4751249	16928295	10968099	17.7	11.4
2007	111,455,813.40	16786388	9402538	26188926	14231700	23.5	12.7
2008	157,026,061.60	17909288	11615671	29524959	18492502	18.8	11.7
2009	130,642,187	25896259	12686218	38582477	21775679	29.5	16.6
2010	167,093,204.40	34236047	13711185	47947232	24342142	28.7	14.5
2011	184,220,817.40	37957482	17442817	55400299	28287361	30.07	15.3
2012	216,811,690.30	40890395	21115540	62005935	30593647	28.6	14.1

14.4	28.56	34995453	68855487	24450014	44405473	241,506,072.10	2013
13.5	27.86	36071593	74073336	24702632	49370704	266,332,655	2014
17.5	33.05	34168633	64344061	23636904	40707157	194,680,972	2015
21.3	31.6	42075230	62348733	23708420	38640313	196,924,142	2016
17.8	29.7	40343309	67048631	26093354	40955277	225,722,375.50	2017
16.1	30.6	40498067	76892927	27363385	49529542	251,064,480	2018
17.7	30.8	47638603	82106425	30708684	51397741	266,190,571.30	2019
30.1	42.7	59987098	84924168	35920533	49003635	198,774,325.40	2020

المصدر: الجدول باعتماد بيانات البنك المركزي النشرة السنوية سنوات اعلاه

الشكل (٢) الاتجاهات البيانية للإصدار النقدي والودائع وGDP

ISBN: 978-9922-21-412-2

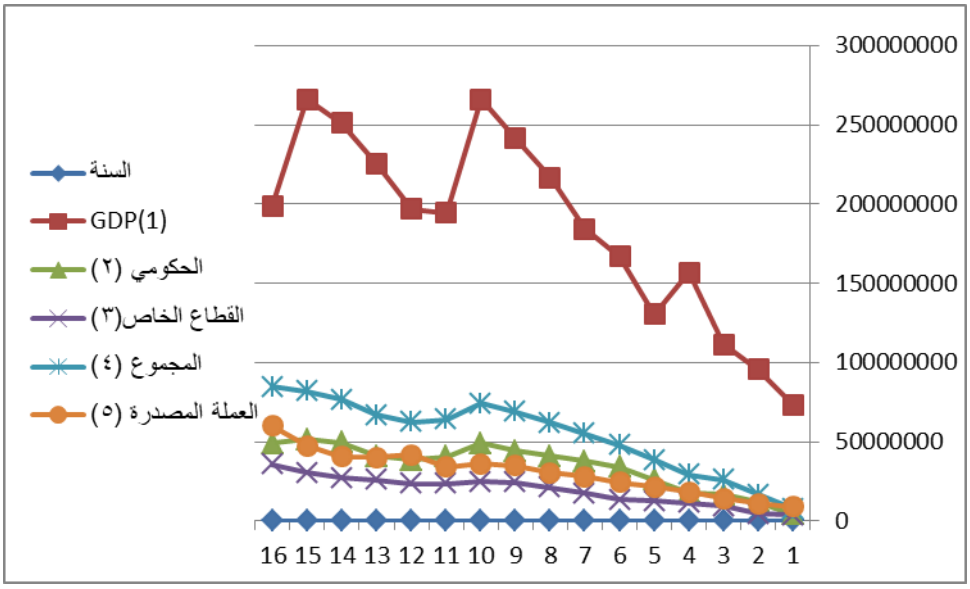

نلاحظ من الجدول (٨) والشكل البياني أعلاه أن نمو الناتج المحلي الاجمالي من نمو الودائع المصرفية، ولهذا فإن الناتج لا يتم تمويله عبر النشاط المصرفي، بل يعتمد على الواردات المَاليَّة المتأتية من المبيعات النفطية وقد بلغ متوسط نسبة سنوات الدراسة (٢٧,٥%) وهذا المؤشر الفرعي الأول الذي لا يساعد على تطور البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة في تمويل الاقتصاد ، أما المؤشر الفرعي الثاني وهو الاصدار النقدي الذي بلغ متوسط نسبة سنوات الدراسة (١٦%) وهو نسبة أقل من (٢٠%) عدا عام ٢٠٢٠ وذلك بسبب COVID-19 وإِجْرَاءات الغلق الاقتصادي لمواجهة الوباء العالمي ، ولهذه الاسباب فإن انخفاض نسبة نمو البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة في العِرَاق وعدم قدرتها على تمويل الاستثمارات ونمو قطاعاته الاقتصاديَّة وتراجع التَنْمِيَة الاقتصاديَّة.

وفي حالة المؤشر الفرعي الثالث والذي يتناول الائتمان المصرفي وهي نسبة الائتمان إِلَى الناتج المحلي الاجمالي كما في الجدول (٩)

الجدول (٩) نسبة الائتمان بالنسبة إِلَى GDP (مليون دينار)

السنة	GDP(1)	الائتمان (٢)	2/1%
2005	73,533,598.60	1717450	2.3
2006	95,587,954.80	6065501	6.3
2007	111,455,813.40	5549748	4.9
2008	157,026,061.60	6257064	3.9
2009	130,642,187	51761907	39.6

ISBN: 978-9922-21-412-2

30.8	51512441	167,093,204.40	2010
32.2	59376537	184,220,817.40	2011
33.5	72612878	216,811,690.30	2012
34.6	83619037	241,506,072.10	2013
31.9	85031460	266,332,655	2014
39.7	77285840	194,680,972	2015
35.7	70461730	196,924,142	2016
29.06	65604207	225,722,375.50	2017
25.4	63823580	251,064,480	2018
25.3	67322333	266,190,571.30	2019
37.8	75267893	198,774,325.40	2020

المصدر: الجدول باعتماد بيانات البنك المركزي النشرة السنوية سنوات اعلاه

وقد بلغ متوسط نسبة سنوات الدراسة (٢٥,٦%) وهي نسبة منخفضة ولا تؤشر إِلَى تمويل القطاع الخاص العِرَاقي من الجهاز المصرفي بل يعتمد على رؤوس الأموال الخاصة في تمويل استثماراته، ومما سبق نتوصل إِلَى أن التَنْمِيَة المَاليَّة لم تكن من مُؤَشّرات البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة التي تؤثر في الاقتصاد العِرَاقي لذلك على السياسة النَقْديَّة ومنبعها البنك المركزي تطوير الجهاز المصرفي، وهي مهمة صعبة بسبب سيطرة المصارف الحكومية على أغلب العمليات المصرفية فقد بلغت نسبة استحواذ هذه المصارف على الودائع لسنوات الدراسة (٨٧%) والمصارف الأهلية نسبة (١٣%) وهذه النسبة ارتفعت بعد عام ٢٠١٥ بسبب عمليَّة توطين الرواتب لموظفي الدولة، ولم يكن أي دور بالنسبة للودائع الحكومية في المصارف الاهلية خاصةٌ حالات التعثر التي شهدتها المصارف الأهلية مثل مصارف (الوركاء ، الاقتصاد ، دار السلام وغيرها) .

٣- العمق المصرفي والمالي العِرَاقي

ويمثل عمق الجهاز المصرفي واختراقه للاقتصاد الوطني ومدى مساهمته بالنشاط الاقتصادي من خلال الانتشار والكثافة المصرفية على الرغم من انها دخلت ضمن المؤشر التجميعي للشمول المالي وفقاً لنموذج البنك المركزي العِرَاقي إلَا أنَّه يمكن إيضاحه بطريقة أكثر أهَميَّة من الطريقة

التي يعرضها البنك المركزي، وذلك من خلال عرض النقد الواسع (M2) إلَى الناتج المحلي الأجمالي كما في الجدول (١٠)

جدول (١٠) العمق المالي للجهاز المصرفي (مليون دينار)

السنة	GDP	عرض النقد M2	العمق المصرفي %
2005	73,533,598.60	14684000	19.9
2006	95,587,954.80	21080000	22.05
2007	111,455,813.40	26956076	24.2
2008	157,026,061.60	34919675	22.2
2009	130,642,187	45437918	34.7
2010	167,093,204.40	60386086	36.1
2011	184,220,817.40	72177951	39.2
2012	216,811,690.30	75466360	34.8
2013	241,506,072.10	87679504	36.3
2014	266,332,655	90727801	34.06
2015	194,680,972	84527493	43.4
2016	196,924,142	90466420	45.9
2017	225,722,375.50	92857100	41.1
2018	251,064,480	95390700	37.9
2019	266,190,571.30	103441100	38.8
2020	198,774,325.40	119906046	60.3

المصدر: الجدول باعتماد بيانات البنك المركزي النشرة السنوية سنوات اعلاه

ومن الجدول أن افضل نسبة كانت عام ٢٠٢٠ (٦٠,٣%) وهي غير حقيقية بسبب حالة الاغلاق بسبب COVID-19 وتوقف النشاط الاقتصادي في حين بلغ متوسط نسبة سنوات

ISBN: 978-9922-21-412-2

الدراسة (٣٥,٧%) وهي نسبة ضئيلة التي بلغت في دولة البحرين نسبة (١٢٧%) ولنفس المدة (٢٠٠٥-٢٠٢٠) وهذه النسبة لا تحقق النمو المستهدف من قبل السياسة النَقْديَّة للمساهمة في معدلات نمو الناتج المحلي الاجمالي ولذلك لا تؤشر تأثير الجهاز المصرفي على مُؤَشّرات التَنْمِيَة البشريَّة بأي حال فعلى البنك المركزي إِجْرَاء اصلاحات مَاليَّة عميقة في الجهاز المصرفي

أما العمق المصرفي فنعني به الحجم الإجمالي للأصول المصرفية بالنسبة إِلَى الناتج المحلي الإجمالي فقد بلغت هذه النسبة (٧٣%) من الناتج المحلي الإجمالي بحسب تقديرات البنك الدولي ، و الذي أشاره إِلَى صعوبة استخراج هذه النسبة بسبب أن موازنة مصرفي الرافدين والرشيد تخضع لعمليَّة هيكله لتعثر ديون الحكومة و القطاع الخاص على حدٍ سواء ، وأن موجودات هذين المصرفين يمثلان حوالي (٧٠%) من موجودات الجهاز المصرفي العِرَاقي ،بينما تصل هذه النسبة في دول الجوار ما بين (٩٥%-١٢٠%) ، وفي عام ٢٠١٢ تمت أعادة تقيم رؤوس اموال المصارف وفقاً للمعايير المحاسبة الدولية مما سبب انخفاض كبير فيها ، وبالتالي انخفاض بحجم الوصول المصرفية المرجحة بالمخاطر على الرغم من سلامة تلك الإِجْرَاءات إلا أنها خفضت بشكل كبير حجم الوصول مع أعادة هيكلة مصرفي الرافدين والرشيد المتلكئة بحسب دراسة إِجْرَاءها البنك الدولي عام ٢٠١٠ يكون تحليل هذا المؤشر الفرعي لا تستند إِلَى ارقام فعلية حقيقة (البنك الدولي:٢٠١١ :٣٣).

قد يبدو لوهلة ما أن العمق المالي والعمق المصرفي ، من شأنه أن يزيد من صعوبة رسم السياسات النَقْديَّة، وذلك بسبب صعوبة السيطرة على حجم اكبر من كلفة الدين العام وحجم الائتمان، ألا أن الواقع غير ذلك تماما، إذ أن فعالية السياسة النَقْديَّة تتناسب طرديا مع تكامل البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة ، أكثر من تأثرها بحجم كلفة الدين العام أو الائتمان العام، وضع أسس السياسة النَقْديَّة والطريقة العمليَّة لبناء القدرات الجهاز المصرفي على خلق الودائع ، وبالتالي الائتمان، واستخدام الأدوات غير المباشرة (سوزان لرين واخرون :٢٠١٣: ٢٦-٢٧).

٤- السَّلامة المصرفية وتحويل الأموال

يأتي دور الاستقرار المالي للجهاز المصرفي ضمن هذه الأوليات للبنك المركزي العِرَاقي مع الرقابة الإشرافية وتحليل المُؤَشّرات البيانات المحاسبية وتشخيص الاثار المَاليَّة للعمليات المصرفية وتكوين جهاز إنذار مبكر، وتأتي أول هذه المُؤَشّرات رؤوس أموال الجهاز المصرفي ونموها مع نمو الناتج المحلي الاجمالي كما موضح في الجدول (١١)

جدول (١١) نمو رؤوس أموال المصارف بالنسبة لنمو الناتج (مليون دينار)

السنة	GDP1	رؤوس أموال المصارف٢	عدد المصارف	نمو رؤوس أموال %	2/1 %
2005	73,533,598.60	1040156	35	86.4	1.4
2006	95,587,954.80	1852792	35	56.13992288	1.9
2007	111,455,813.40	2987699	36	62.01401145	2.6
2008	157,026,061.60	4199023	42	71.15224184	2.6
2009	130,642,187	5377593	43	78.08368912	4.1
2010	167,093,204.40	6252640	45	86.00515942	3.7
2011	184,220,817.40	8396723	50	74.46524079	4.5
2012	216,811,690.30	11251398	54	74.62826397	5.1
2013	241,506,072.10	14034643	54	80.168751	5.8
2014	266,332,655	16452237	56	85.30537823	6.1
2015	194,680,972	12316901	57	133.5744844	6.3
2016	196,924,142	12228297	65	100.7245817	6.2
2017	225,722,375.50	12629467	69	96.82353974	5.5
2018	251,064,480	14014205	71	90.11903993	5.6
2019	266,190,571.30	12613246	73	111.1070457	4.7
2020	198,774,325.40	12635753	76	99.82187844	6.3

المصدر: الجدول باعتماد بيانات البنك المركزي النشرة السنوية سنوات أعلاه

الجدول ١١ أن نمو الناتج المحلي الإجمالي لا يعتمد على تمويل المصارف وحركة توسعها، وهذا يجعل من المؤشر ذات تأثير محدود على البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة والتَنْمِيَة البشريَّة حيث أن أفضل نسبة (٦,٣%) عام ٢٠١٥ و٢٠٢٠ بسبب تراجع نمو الناتج وبلغ متوسط نسبة سنوات الدراسة (٤,٥%) وهذه النسبة لا تسهم لشكل ملحوظ في تمويل الاستثمارات وتوسيع خيارات الناس مِنْ أجَل تنمية قدراتهم المَاليَّة ورفع مُؤَشّرات التَنْمِيَة البشريَّة والدفع بعمليَّة التَنْمِيَة.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وقد بدء (RTGS) بوزارة المَاليَّة ومصارف عدد (٣٦) عام ٢٠٠٧ ، وفي عام ٢٠٢٠ بلغ عدد المصارف المشاركة (٧٥) مصرف اضافةٌ إِلَى هيئة التقاعد الوطنية وبملغ أجمالي (١٩٨) مِلْيَار دينار وبنسبة (٨٠%) من المدفوعات العِرَاقية (الاستقرار المالي والنقدي :٢٠٢٠: ١٤١).

وفي سبيل الرقابة والأشراف من قبل البنك المركزي على الجهاز المصرفي تحليل مُؤَشّرات السَّلامة المَاليَّة للجهاز المصرفي في عام ٢٠١٧ وكما في الجدول (٢٥)

جدول (٢٥) مُؤَشّرات السَّلامة المَاليَّة للجهاز المصرفي

المؤشر	٢٠١٧	٢٠١٨	٢٠١٩	٢٠٢٠
١-مؤشر كفاية راس المال	%١٨١	%٢٨٥	%١٧٣	%٢٥٣
٢-مؤشر السيولة				
LCR	%٥١٩	%٤٧٧	%٢٢٣	%٢١٩
NSER	%٤٦٠	%٣١٨	%٢١٨	%٢٠٧
٣-مؤشر جودة الموجودات				
أ-نسبة القروض غير العاملة /أجمالي القروض	%١١,٤	%١٢,٦	%٩,٩	%١٠,٦
ب- نسبة القروض غير العاملة/أجمالي الموجودات	%٣,٧٠	%٣,٩٥	%٣,١٢	%٣,٤
ج- نسبة القروض غير العاملة/راس المال	%٣٠,٣	%٣٢,٤	%٢٦,٨	%٢٦,٣
٤-مؤشر الإيرادات والربحية				
أ-نسبة العائد على الموجودات	%٠,٨٥	%٠,٥٣	%٠,٧٩	%٠,٩٠
نسبة العائد على حقوق الملكية	%٩,٢	%٤,٤	%٦,٩	%٧,٣٣

المصدر: بيانات البنك المركزي تقرير الاستقرار المالي لسنوات أعلاه

ومن الجدول المتقدم يتبين أن مُؤَشّرات السَّلامة المَاليَّة مرتفعة السيولة منخفضة الأرباح ويعمل الجهاز المصرفي وفقاً لهذه النسب بدرجة عالية من التحوط مما يفسر ضعف الائتمان المصرفي، واستخدم البنك المركزي العِرَاقي معايير بازل (II) في حين منطقة الإسكوا تطبق معايير بازل

(III) ، وهذه فجوة في المعايير والمُؤَشّرات في الجهاز المصرفي العِرَاقي ، وبالتالي يخفض تطور البِنْيَة المَاليَّة التحتيَّة وتمويل النشاط الاقتصادي.

٥- السَّلامة التنافسية

تتوقف قدرة الجهاز المصرفي على التجاوب مع السياسة النَقْديَّة على سلامة الوحدات المصرفية أساسا؛ وذلك لأنّ الوحدات المصرفية التي لا تتمتع بأوضاع مَاليَّة صحيحة وبسيولة ملائمة تبقى خارج التجاوب والتحرك وفق إشارات أسْعَار الفائدة إذا كانت السلطة النَقْديَّة تستعمل قناة السوق المفتوحة أو قناة أعادة الخصم ، كما تبقى خارج هذه الدائرة إذا كانت السلطة النَقْديَّة تستعمل قنوات النسب المَاليَّة للملاءة والسيولة وقناة السيطرة على الائتمان بالأدوات غير المباشرة (الإسكوا :٢٠١٤: ٢٧).

إن المنافسة هي بمثابة صمام الأمان بالنسبة لكفاءة الجهاز المصرفي، ولهذا ظهرت مُؤَشّرات التَنْمِيَة البشريَّة والأهْداف الإنمائية في تقارير الاستقرار المالي والنقدي من عام ٢٠٢٠ حيث أن سلامة الجهاز المصرفي والأهْداف التنموية مترابطة ، فقد استحوذت المصارف الحكومية (٧) على (٧٧%) كنسبة متوسطة للمدة (٢٠٠٥-٢٠٢٠) على الموجودات المصرفية ونسبة (٨٥%) من إجمالي الودائع ولنفس المدة ، واستحوذت المصارف المحلية الأهلية على نسبة الودائع المصارف الأهلية (٩٧,٧٩%) والأجنبية (٢,٢١%) ، وهذا يعكس عدم السَّلامة التنافسية بين المصارف العاملة في العِرَاق؛ وذلك لأنّ المصارف الحكومية وخاصةٌ مصرفي (الرافدين ، الرشيد) تستحوذ على ودائع الموازنة العامة والثقل الأكبر فيها رواتب موظفي الدولة، الأمر الذي يؤشر الاختلال الواضح بين المصارف الحكومية وبقية المصارف، ولذلك يستوجب على البنك المركزي تشجيع الاندماج بين المصارف الأهلية لتكون ذات ثقل في السوق المصرفية وتشجيع الحكومة على تنويع إيداعاتها المَاليَّة بين المصارف وزيادة الثقة في المصارف الأهلية، بعد أن المصارف الأجنبية فقد ثقة المستهلك المالي بهذه المصارف.

٦-شفافيَّة السياسة النَقْديَّة في العِرَاق

شفافيَّة السياسة النَقْديَّة تجاه الجمهور والمتعاملين فأنها الأكثر أهَميَّة وخطورة، فمن الأهَميَّة بمكان أن تعكس البيانات المصرفية التكاليف الحقيقية للائتمان والخدمات المصرفية الأخرى، لا لغرض تدخل السلطة النَقْديَّة لتحديدها وإنما للاستعانة بها في تقديرها تدخل من السلطة النَقْديَّة وكذلك الأمر بالنسبة للمُؤَسّسات المَاليَّة مثل بنوك الاستثمار وأسواق الأوراق المَاليَّة ، وبعد قرار الحكومة رقم (٢٨١) لسنة ٢٠١٧ لتوطين الرواتب لم تكن الرؤية واضحة لدى الكثير حول

التعاملات المصرفية وما هي العمولات والرسوم المصرفية بشأن إصدار البطاقات الائتمانية، وكذلك كلفة الاقتراض وأقساطها الشهرية وكيفية حسابها، وهذا يفسر جزء من تراجع دور الجهاز المصرفي في الاقتصاد العِرَاقي (علي :٢٠٢١: ٣٤٣-٣٤٦).

ثانياً- سوق العِرَاق للأوراق المَاليَّة

سوق العِرَاق للأوراق المَاليَّة من قبل مجلس محافظين إدارة السوق تراقب من قبل هيئة ، ومن أهم أهْدافها المنصوص عليها في قانون (٧٤) ، تشجيع الادخار وتطوير الوعي الاستثماري عن طريق تنمية روح الاستثمار في الأوراق المَاليَّة وتوجيه المدخرات نحوها ، وهذا يتطلب توفير المناخ المناسب لتفاعل العرض والطلب على الأوراق المَاليَّة المتداولة في السّوق من خلال ترسيخ أسس التداول السليم الواضح ، والعمل على تحقيق العدالة والكفاية والشفافيَّة في معاملات الأوراق المَاليَّة ، وتامين التعامل بما يكفل سلامة وصحة وسهولة وسرعة ودقة التعامل لحماية الاقتصاد والمتعاملين في السّوق ، وحماية حملة الأوراق المَاليَّة والمستثمرين من الممارسات غير العادلة أو غير السليمة التي تنطوي على استغلال ثقة المتعاملين في الغش والخداع أو تلاعب ، وحماية صغار المدخرات ، وتنظيم ومراقبة التزام الجهات المصدرة للأوراق المَاليَّة التي صدرتها ، ومراقبة تعامل الأفراد المقربين من أعضاء الإدارة وكبار المساهمين والمستثمرين فيها ، وتحديد وتوفير المعلومات التي يجب الإفصاح عنها لحاملي الأسهم والسندات ونشر المعلومات وتحليلها لتحقيق الأهْداف التي وجدت مِنْ أجَلها السّوق

بهدف تقييم قدرة أسواق الأوراق المَاليَّة على جذب المدخرات وتخصيصها ، وثمة حاجة إِلَى استعراض ثلاث مُؤَشّرات أداء رئيسية هي :- عمق السّوق ، وسيولته ، وتركيزه .

أ- عمق السّوق Market Depth

يقصد بعمق السّوق ، أنه هناك أمر البيع والشراء مستمرة للأوراق المَاليَّة ، ونتيجة لهذا التعامل النشط بيعا وشراء فإنّ أي خلل في توازن الكميات المطلوبة أو المعروضة عادة ما يسفر عن تغيير طفيف في السعر، وهو ما يعني ضآلة الخسائر الرأسمَاليَّة اذا حدثت على العكس من السّوق غير العميق أي الضحل (Shallow Market) بعدم استمرارية البيع والشراء، وأن أي خلل في الكميات العرض والطلب يسفر عن تغيرات كبيرة في سعر الأوراق المَاليَّة.

ففي حالة زيادة العرض عند الطلب تنخفض أسْعَار الأوراق المَاليَّة مما يعرض حاملي الأوراق المَاليَّة إلَى خسائر كبير قد تضطره إلَى تأجيل قرار البيع ، أما في حالة زيادة الطلب عند العرض، فقد يرتفع سعر الورقة إلَى درجة يضطر معها المستثمر الراغب في الشراء إلَى الانتظار على أمل انخفاض السعر، و يبدو فأن طول فترة الانتظار حتى يرتفع السعر(حالة زيادة العرض عند الطلب) أو ينخفض (حالة زيادة الطلب عند العرض) مرهون بتحقيق التوازن (equilibrium) بين العرض والطلب.

ألا أن هذا المؤشر قد لا يعطي الصورة الواضحة عن مدى عمق السّوق المالي في الاقتصاد، ولهذا ترى الأدبيات الحديثة، أن عمق السّوق ينعكس في ارتفاع مستوى القيمة السّوقية نسبة إلَى الناتج المحلي الإجمالي، ويفترض أن نشير هذه إلَى زيادة في الأوراق المَاليَّة المسجلة في البورصة أو قيمتها في السّوق، ما يدل على دور سوق الأوراق المَاليَّة آخذه بالنمو بوصفه مصدرا من مصادر التمويل للعوامل الاقتصاديَّة وكنظام نشط لحشد المدخرات المحلية ، وفي سوق العِرَاق للأوراق المَاليَّة يمكن قياس هذه النسبة من خلال الجدول (١٢)

جدول (١٢) نسبة القيمة السّوقية (مليون دينار)

السنة	G.D.P	Market Value	القيمة السّوقية %
2005	73533598	31601014	٤,٣
2006	95587954	1949549	2.0
2007	111455813	3812067	3.4
2008	157026061	2282983	1.4
2009	130642187	3125923	2.4
2010	167093204	3446713	2.04
2011	184220817	4930232	2.64
2012	216811690	5597363	2.6
2013	241506072	11451368	4.7
2014	266332655	9520626	3.5

ISBN: 978-9922-21-412-2

4.3	8503943	194680972	2015
4.7	9354696	196924142	2016
3.6	8190983	225722375	2017
4.5	11350356	251064480	2018
4.3	11661912	266190571	2019
7.0	14033993	198774325	2020

الجدول من أعداد الباحث استناداً إلَى

المصدر :- التقرير السنوي ،سوق العِرَاق للأوراق المَاليَّة ،بغداد ، العِرَاق، للسنوات المذكورة أعلاه.

تشير البيانات المتاحة من هذا الجدول أن اعلى قيمة سوقية للسوق العِرَاقي للأوراق المَاليَّة تصل إلَى (٧%) في عام (٢٠٢٠) وأدنى نقطة وصل اليها هي (١,٤٥%) في عام (٢٠٠٨) وبلغ متوسط الفترة (٢٠٠٥-٢٠٢٠) (٣,٦%)، وان تراجع القيمة السّوقية نسبة إلَى الناتج المحلي الإجمالي يعود إلَى عدم استقرار الأوضاع السياسية والأمنية من جهة ومن جهة أخرى ارتفاع واردات العِرَاق المَاليَّة المتأتية من النفط ونسبة مساهمته في الناتج المحلي الإجمالي.

ب – سيولة السّوق Market Liquidity

ويمكن تقييم هذا المؤشر من خلال معدل دورات الأسهم في سوق العِرَاق وهو يبين نشاط السّوق في تحويل الأسهم والسندات إلَى السيولة النَقْديَّة مما يوفر غطاء للاسهم والسندات المتداولة في السّوق وهي عمليَّة تمويل الشركات الراغبة بتمويل شركاتها من السيولة النَقْديَّة وكذلك بيع جملت الأسهم والسندات في السّوق وسرعة تحويلها إلَى السيولة النَقْديَّة لتغطية نفقات أو الذهاب بها الاستثمارات الحقيقية ويمكن تقيم معدل دوران الأسهم في سوق العِرَاق .

وأن اعلى معدل دوران للاسهم بلغ (٢٨,٧) لقطاع المصارف يعود ذلك لارتفاع الأسهم المتداولة في المصارف، حيث أن رؤوس أموالها يعتبر الأكبر من بقية الشركات وهذا القطاع ضمن القطاعات الخدمية للأنشطة الاقتصاديَّة الرئيسية في حين أن معدل دوران الأسهم للشركات الصناعية للمتوسط المدة (٢٠٠٥-٢٠٢٠) بلغ (٧,٥%)، وقد بلغ المتوسط السنوي (٩,٥%) وهذا يعني أن مستوى السيولة متدني في سوق العِرَاق للأوراق المَاليَّة، وذلك يعود لأن الشركات المَاليَّة المسجلة في السّوق أن صفقات تداول الأسهم تتم بين عدد محدود من

المستثمرين المحليين والأجانب على حد سواء، أي أن الصفقات تكون بين المستثمرين الأسَاسيين، وهي دائرة مغلقة يتم التداول فيها الأسهم ومحدودية تأثير الشركات الوسيطة في السّوق.

ج- تركز السّوق Market Concentration

يتركز التداول النشط في سوق العِرَاق لـلأوراق المَاليَّة بثماني وشركتي المشروبات الغازية بغداد و الشمَاليَّة مصارف وتشكل أسهم هذه المصارف نسبة (٥٨,٣١) وشركتي المشروبات الغازية وتشكل أسهمها نسبة (١٣,٦٥) من مجموع الأسهم الكلية المتداولة في السّوق خلال الفترة (٢٠٠٥-٢٠٢٠) و أن النسبة الباقية من الأسهم المتداولة وزعت بين باقي القطاعات السّوق مما يعطي صورة للمستثمر مدى استقرار السّوق وعدم وجود تقلبات كبيرة ،وهو أيضا أي القطاعات الأكثر نشاط في مجمل النشاط الاقتصادي ،وقد بلغ معدل استقرار الأسْعَار في السّوق نسبة (٧,٤%)، وهذا ناتج أيضا عن سياسة السّوق أن لا يتجاوز ارتفاع أو انخفاض أسْعَار الأسهم عن (١٠%) عن سعر إغلاق الذي تم تثنيته في الجلسة السابقة.

الاستنتاجات

١- لم تحقق البِنْيَة التحتيَّة المَاليَّة ودورها الأسَاسي في الموارد المَاليَّة وتوجيهها بين القطاعات الاقتصاديَّة المختلفة دورها ، لا في سياسة مَاليَّة حكيمة ولا سياسة نقدية فاعلة ، مما أثر على استخدام الموارد الاقتصاديَّة المتاحة ، لذا أصبح الاقتصاد مستورداً صافياً للسلع والخدمات وفقد الجزء الأكبر من الإيرادات المتولدة. المورد الوحيد هو أموال النفط والنفط لتغطية تلك الواردات.

٢- من أهم مكونات البِنْيَة التحتيَّة المَاليَّة المُؤَسّسات المنتجة للاستثمار. وتعتمد هذه المُؤَسّسات على قدرات بشرية متقدمة لكنها غير فعالة ولم تظهر أي نتائج لا على مستوى المُؤَسّسات القطاعية الحكومية ولا على مستوى الجامعات. وقد أثر ذلك سلباً على التَنْمِيَة البشريَّة في العِرَاق.

٣- أن تقاطع دور السياسات المَاليَّة والنَقْديَّة في الاقتصاد العِرَاقي وهيمنة السياسة المَاليَّة على الدور الأكبر في الاقتصاد العِرَاقي واحتكار المورد الوحيد (أموال النفط والنفط) أضعف دور السياسة النَقْديَّة. ، وبالتالي الاعتماد على الميزانية في التمويل ، وهذا يظهر بشكل أوضح في مبادرة البنك المركزي بخمسة تريليونات دينار في تمويل القطاعات (الزراعية والصناعية) عام ٢٠١٥ ، ولم تكن هناك نتائج على أرض الواقع.

٤- إن اعتماد التمويل على الميزانية كمصدر وحيد لتمويل التَنْمِيَة البشريَّة في العِرَاق لم يؤد إِلَى تنمية وتأهيل القدرات والمهارات البشريَّة على الرغم من التمويل الفعلي للجهات القطاعية (التعليم، الصحة ، البعد البيئي). وهي نسبة بلغت أكثر من (١٢٠٪)، وهذا يدل على عدم حصافة السياسة المَاليَّة باستخدام الموارد المَاليَّة المشتقة من النفط وأموال النفط.

٥- لم تؤد الأسواق المَاليَّة والنَقْديَّة إِلَى تنمية في التمويل ولم تحقق التنويع الاقتصادي لدخل الفرد العِرَاقي. بل تعتمد الأسواق النَقْديَّة (النظام المصرفي) على نافذة العملات الأجنبية وتختلف أسْعَار الصرف بين السعر الرسمي والسعر في السّوق الموازية ، وتكون أرباحها معظم نشاطها. أما بالنسبة لسوق العِرَاق للأوراق المَاليَّة ، فقد ظل حجم التداول فيه معتمداً على أسهم البنوك الخاصة ، حيث تشكل هذه البنوك وشركات القطاع الخدمي رؤوس أموال كبيرة داخل هذا السّوق.

٥- ضعف دور الأسواق المَاليَّة والنَقْديَّة في الاقتصاد العِرَاقي ، حيث أن العمق المالي والمصرفي للنظام المصرفي يقاس بمفهوم العرض النقدي الواسع (M2) بالنسبة للناتج المحلي الإجمالي. بنسبة (٣٥٪) وهي نسبة منخفضة في منطقة الإسكوا ، والعمق المصرفي ويعبر عن حجم الأصول المصرفية بالنسبة للناتج المحلي الإجمالي (٦٥٪) ، ويظهر هنا أن مصرفي الرافدين الرشيد يمتلكان النسبة الأكبر فيها. أما سوق العِرَاق للأوراق المَاليَّة ، فقد بلغت نسبة حجم تداول الأوراق المَاليَّة إِلَى الناتج المحلي الإجمالي (٧٪). والسبب الآخر هو أنها أسواق ضحلة ، ولهذا السبب تتدهور البِنْيَة التحتيَّة المَاليَّة في تمويل الاقتصاد العِرَاقي.

المصادر

١- البريكان ،سعود ،علي بلبل ، إبراهيم الكراسنة ،المُؤَسّسات والنمو الاقتصادي في الدول العربية ،صندوق النقد العربي ،معهد السياسات الاقتصاديَّة ،أبو ظبي ،٢٠٠٦.

٢- البنك المركزي العِرَاقي ،التقرير الاقتصادي السنوي ،دائرة الإحصاء والأبحاث ، للسنوات (٢٠٠٥-٢٠٢٠).

٣- البنك المركزي العِرَاقي ،النشرة الإحصائية السنوية ،دائرة الإحصاء والأبحاث ، للسنوات (٢٠٠٥-٢٠٢٠).

٤- البنك المركزي العِرَاقي ،تقرير الاستقرار المالي ، قسم الاستقرار النقدي والمالي للسنوات (٢٠١٥-٢٠٢٠).

٥- تحليل الأداء الاقتصادي وتقييم النمو والإنتاجية في منطقة الإسكوا ، الأمم المتحدة ،اللجنة الاقتصاديَّة والاجتماعية لغربي أسيا ،نيويورك ، ٢٠٠٧.

٦- تقرير مقومات الحكم في البلدان العربية ، التحديات في بلدان التحول نحو الديمقراطية ، الأمم المتحدة ،اللجنة الاقتصاديَّة والاجتماعية لغربي أسيا (الإسكوا)،٢٠١٣.

٧- تي، أم. سكانلون، لماذا اللامساواة ذات أهَميَّة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ،الكويت ، ٢٠٢١.

٨- دونالد أبلسون، هل هناك أهَميَّة للمُؤَسّسات البحثيَّة تقويم تأثير معهد السياسة العامة ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،أبو ظبي ، ٢٠٠٧.

٩- ستفين بي ،جنكينز ،جون مايكلرايت ، منظور جديد للفقر والتفاوت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ،الكويت ، ٢٠٠٩.

١٠- سوتو،هرناندو دي، لغز رأس المال لماذا تنجح الرأسمَاليَّة في الغرب وتفشل في كل مكان آخر، الهيئة العامة للكتاب السوري ،دمشق ، ٢٠١٠.

١١- صالح ،مظهر محمد ، السياسة النَقْديَّة للعراق :بناء الاستقرار الاقتصادي الكلي والحفاظ على نظام مالي سليم ،مركز باليت للطباعة والنشر، بغداد ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٩.

١٢- صالح ،مظهر محمد ،مدخل في الاقتصاد الساسي للعراق ،الدولة الريعية من المركزية إلَى ديمقراطية السّوق، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٠.

١٣- العاني، عماد محمد علي ،السياسات المَاليَّة والتدخل الحكومي ،مكتبة العِرَاق للطباعة والنشر ، ٢٠١٨.

١٤- عبدمولاه، وليد ،التخطيط الاستراتيجي للتنمية ، المعهد العربي للتخطيط بالكويت ، ٢٠١٢.

١٥- علي، أحمد إبريهي ، الاقتصاد النقدي وقائع ونظريات وسياسات ، دار كربلاء للطباعة والنشر ، العِرَاق ، الطبعة الثانية ، ٢٠٢١.

١٦- غرانوفيتر،مارك س، المجتمع والاقتصاد ،إطار ومبأدَّى ،المجلس الوطني للثقافة والفنون ،الكويت ، ٢٠٢١

أثر معرفة الفرد بمقوِّمات الهوية الإسلامية في استقرار وتنمية الأسرة المسلمة

أ.د. منتهى عبد الزهرة العزَّاوي/كلية التربية – الجامعة المستنصرية
Muntaha51@yahoo.com
أ.د. موفق عبدالعزيز الحسناوي/ عميد المعهد التقني في الشطرة – الجامعة التقنية الجنوبية
Pdmh2005@stu.edu.iq

ملخَّص البحث :

وفي ظل التغيُّرات السريعة التي أفرزتها طبيعة العصر وخصوصية المرحلة الحالية في مختلف المجالات الثقافية والاجتماعية والتربوية تواجه الهوية الإسلامية العديد من التحديات والمتغيرات والتكنلوجية والمعلوماتية المعاصرة التي أسهمت في ظهور اتجاهات وقيم وسلوكيات غير مألوفة أثَّرت سلباً على المجتمعات الداخلية ممَّا أدَّى إلى إضعاف الولاء للوطن والانتماء إليه ، بل تجاوز ذلك ليؤكِّد على الانهزامية الثقافية وترك الموروث التاريخي الأصيل . وفي ضوء ذلك أصبح الاهتمام بالهوية الإسلامية ومقوِّماتها وتعزيزها وتنميتها لدى الأسرة المسلمة وبنائها واستقراها مطلباً مهمَّاً وأساسيَّاً في ظلِ هذه التحديات والأزمات والمتغيرات المعاصرة .

ويهدف هذا البحث إلى التعرُّف على دور الهوية الإسلامية ومقوِّماتها وأثرها في استقرار وتنمية الأسرة المسلمة .

وتحدَّد البحث ببعض المقوِّمات والمرتكزات متمثلةً بالجوانب الدينية ، والتاريخية ، والثقافية ، والقيمية والأخلاقية ، وفي هذا الشأن لا بُدَّ من تساؤلٍ عن دور معرفة الفرد بمقوِّمات الهوية الإسلامية وأثرها في تنمية واستقرار الأسرة المسلمة لمواجهة كثير من التحديات والصعوبات التي تحدث على مستوى النظام الاجتماعي والثقافي ، وما كتب عنها في هذا المجال . واتَّبع البحث المنهج التأريخي الوصفي لغرض تحقيق أهدافه . واشتمل على مباحث متعدِّدة لتحقيق تلك الأهداف .

وقد استنتج البحث أهمية دور الهوية الإسلامية ومقوِّماتها وأثرها في استقرار وتنمية الأسرة المسلمة . وأوصى الباحثان بالإكثار من إجراء هذه البحوث لبيان مدى الحرص على تكامل الأدوار وتظافر الجهود من قبل الأسرة المسلمة من أجل حماية أبنائها من مخاطر وأدوات العولمة المتعدِّدة ، وتعزيز وتنمية الهوية الإسلامية وأثرها واستقرارها على الأسرة المسلمة والمحافظة عليها أمام التحديات والمتغيرات في العصر الحالي .

مقدِّمة :

كلَّما أمعنَّا النظر في محيطنا وتأمَّلنا أكثر في واقعنا المعاصر ، نجد أنَّ المشاكلَ التي تُفرَض والأسئلة التي تُطرَح على عالمنا الإسلامي تتزاحم عليه وتتفاقم يوماً بعد يوم ، ممَّا يتطلب الاستجابة السريعة والتأثُّر المباشر بما هو موجود ، ووجوب تقديم الحلول والأجوبة لهذه المشاكل والأسئلة ، بالسرعة التي يتطلَّبها عصرُنا الذي نعيشه ، بما يمكن أن يحقِّق التغلب على المسافات وبما ينسجم مع قيمنا ومبادئنا وثوابتنا وهويتنا وخصوصياتنا التي لا مجال للتغيير أو النقاش أو المساس بها ، وبما يتناسب وينسجم مع روح العصر ومتطلباته أيضاً ، وإلَّا فاتنا الزمن وخلَّفنا ورائه .

أولاً : مشكلة البحث :

نتيجة للتطورات العلمية والتكنولوجية الكبيرة التي حدثت في العالم وخاصَّة في مجالات الاتصالات والمعلومات ونشر الثقافات المختلفة وترويجها بين الشعوب ، ومحاولة السيطرة من قبل القوى الكبرى على مقدَّرات الشعوب وتهديم مقوِّمات الهوية الإسلامية في كافة الجوانب القيمية والأخلاقية والدينية والثقافية والتاريخية لدى أبناء تلك الشعوب وأُسَرِها وخاصة الشعوب الإسلامية من خلال محاولة نشر الثقافة الغربية الزائفة البعيدة عن الفضيلة والإصلاح وبذل الأموال الكبيرة وإعدادهم خطط طويلة الأمد لهذا الغرض وانتظار النتائج على المدى البعيد .

لقد تعرَّضت الأمة الإسلامية خلال تاريخها الطويل لسلسلة من التحديات الكبيرة والخطيرة دخلت خلالها أمتُنا في مواجهات شتى ، من أجل الحفاظ على وحدتها وخصوصيتها الثقافية والحضارية . وتأتي ظاهرة العولمة كحلقة أخرى من سلسلة حلقات التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ، وتتميز عن سابقاتها من حيث الكم والنوع والقوة والقدرة .

فقد أثَّرت الإفرازات السلبية لهذه الحضارة الزائفة البعيدة عن مبادئ الإسلام الحنيف والفكر التربوي الأصيل الذي جاء به الرسول الكريم محمد ﷺ واستقاه من فيض علمه الكبير المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في جوانب الحياة المختلفة ومنها الجانب الأخلاقي ، والقيمي ، والديني ، والثقافي ، والتاريخي لدى أبناء المجتمع والأسرة المسلمة ، والتي أصبحت تؤثِّر بصورة قد تكون سلبية على استقرار الأسر وأبنائهم من خلال بعض التصرُّفات غير الأخلاقية التي لا تنسجم مع القيم الأخلاقية ومبادئ الإسلام الحنيف وسيرة أهل البيت عليهم السلام ممَّا يؤدي إلى انتشارها وشيوعها في هذه الأسر وفي المجتمع على المدى البعيد ممَّا قد يؤدي إلى تهديم البناء الأسري للمجتمع الإسلامي.

ISBN: 978-9922-21-412-2

فإن الهوية الإسلامية تمثِّلُ أهميةً لكلِّ فرد ومجتمع وأمة ، ذلك أنَّ الهوية هي التي تُعطِي للفرد قيمته وللمجتمع كيانه وللأمة تماسكها وبقاؤها ، ولم تزل الأمم تعنى بهوياتها وتتمسَّك بها لتجدَ نفسها وتحقِّق معنى الحياة (سيهر ، 2009) .

فإن الأمة الإسلامية قد ميَّزها الله سبحانه وتعالى عن بقية الأمم بهوية فريدة ونوعية في مصادرها وأصولها وفروعها تبعث بالاعتزاز والفخر والثقة بالنفس وتزيد من تماسك المجتمع والفرد ، في حدِّ ذاتها لأنَّ أهم ركيزة تقوم عليه هو الإسلام الذي هو بمثابة الإطار الديني والأخلاقي الذي تتشكَّل فيه هوية المسلم بمختلف مكوِّناتها واللغة والثقافة ، ومن خلاله تنضبط إليه عناصر الهوية فتنطبع بروحه وتتجِّه على الطريق الذي يرسمه القرآن الكريم والسنَّة النبوية (إسماعيل ، 1997) .

فإن الأمة إذا فقدت هويتها تفقد معها استقلالها وتميُّزها وتفقد بالتالي كلَّ شيء لأنَّها تصبح بلا محتوى فكري أو رصيد حضاري ، فتتفكك أواصر الولاء وتنهار شبكة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأمة وهذه ممَّا تؤثر على أبناء الأسر المسلمة وهويتهم (الشهري ، 2008) .

لذا يمكن القول ، ومن الغرابة بمكان ، ومنذ زمن ، أنَّ الكثير من المجتمعات الإسلامية ، وعلى مستوى الرجال ، والنساء ، وخصوصاً الأطفال ، والشباب ، يقومون بتقليد المجتمعات الغربية في لغاتهم وثقافتهم ، وفي ملابسهم ، بل وفي كثير من أساليب ، وطرق حياتهم المختلفة ، وهذا أمرٌ مؤلم ومؤسف جداً في وقتنا الحالي ؛ لأنَّ الاستمرار في قبول هذه المؤثرات ، ومتغيرات العصر وعدم السعي إلى تغييرها ، وعدم الاعتزاز بالهوية الإسلامية يجعل مجتمعاتنا قابعة في ظلِّ التبعية ، والتقليد ، ثم الإحساس بالدونية .

ومن خلال هذا التأثير أصبح من الضروري العمل الجاد لتعزيز الهوية الإسلامية لدى أبناء المجتمع وأسرهم وتنميتها لديهم ودعم مقوِّماتها ومرتكزاتها وتعميق مفهومها في عقولهم وربطهم بتاريخهم ولغتهم وعقيدتهم وغرس معاني الولاء والعزة والافتخار بانتمائه للإسلام ، والفكر التربوي الأصيل الذي جاء به الرسول الكريم محمد (ﷺ) وأئمة أهل البيت عليهم السلام (عبد اللطيف ، ٢٠١٨).

يتضح ممَّا تقدَّم دور الأسر والمسؤولية التي تقع على عاتقها ورعايتها لمسؤولية اجتماعية متكاملة الأبعاد تفرضها طبيعة التحولات التي فرضتها عملية التغيير الشاملة في المجتمع ممَّا يستلزم الحفاظ عليهم من خطر التحديات والمتغيرات الثقافية من خلال المؤسسات التربوية والتعليمية ، فضلاً عن ذلك المساجد والمراجع العظام والجمعيات والمنظمات والمراكز والإرشاد

والتوجيه في المؤسسات التربوية التي من مهامها الأساسية التي يجب أن تقوم بها هو تعزيز الهوية الإسلامية بوسائل جديدة تتماشى مع ظروف ومتطلبات القرن الواحد والعشرين ، وفي الوقت نفسه تكون قادرة على مواجهة التحديات والتهديدات التي تواجهها ، وإنَّ هذه التحديات غايتها وهدفها ذوبان هوية الإنسان وانصهارها في غيرها بفعل تحديات العوامل ، وتسعى إلى هدف أحادي هو إخضاع العالم لثقافة واحدة ، وهوية واحدة ، وبالتالي مسخ هوية الأمة والسيطرة على مقدَّراتها والهيمنة عليها . ومن هنا كان من الضروري أن يقوم المجتمع والأسرة المسلمة بالمسؤولية تجاه المحافظة على الهوية الاسلامية ، وتبدأ هذه المسؤولية من خلال المؤسسات التربوية والتعليمية ، فالأسرة تُعَد العمود الفقري لأي مجتمع ، والاهتمام بها هو اهتمام بالمجتمع كلِّه ، وتنميتها تخدم بصورة مباشرة المجتمع وتنميته ، فهي الإدارة الحقيقية التي تقوم بإعداد وتأهيل القدرات والمهارات البشرية ، وهي النواة التي يقوم على أساسها ترابط المجتمع ، ويشتد كيان الدولة في ظلِّ كيانات أسرية مستقرة ، مترابطة ومتراصة ، والأسرة هي التي تقوم على أسس الفضيلة والأخلاق فتكون بذلك قد اختصرت طريقاً صعبة على مجتمع يتطلع لآمال كبيرة ، حيث يسهل في هذا الحال إعداد أفراد مؤهلين لخدمة الوطن وتنميته وفقاً لتلك القيم التي ربتهم الأسرة عليها (السليماني ، ٢٠١٧) .

وبلحاظ ما تقدم يجب نعلم أنَّ هذا لا يعني الاستسلام ، والانقياد لكلِّ ما جاء به الغرب والشرق ، ويخالف الشريعة الإسلامية وهويتها وتعاليمها ، بل الواجب الحق هو أن نعملَ ، ونجتهدَ كما عمل غيرنا من المجتمعات في المحافظة على هويتهم ، ونعرف الأسباب الحقيقية وراء هذا التراجع ، والتقليد الأعمى لكلِّ قادمٍ من الخارج ، ثم نتعاون جميعاً في وضع ورسم الخطط والبرامج والاستراتيجيات والسياسيات ، ونوفر الإمكانات المتاحة ، وسوف تستقيم سلوكيات المسلمين والمحافظة على ابنائنا واستقرارهم والتي تقع المسؤولية على الأسرة ودورها في غرس مقوِّمات الهوية الإسلامية فترتفع رايةُ أمَّتِنا عاليةً خَفَّاقة .

ولذلك كان لا بُدَّ من العمل على تحصين الأسر في المجتمع الإسلامي ضد هذه القيم الأخلاقية السلبية وإفرازات الحضارة الغربية الزائفة من خلال بيان القيم الأخلاقية الفاضلة في سير أهل بيت النبوة عليهم السلام ومنهم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ودورها الكبير الذي من الممكن إيضاحه لأبناء المجتمع من أجل بناء الأسرة الاسلامية .

وهنا تكمن مشكلة البحث ، إذ لا بُدَّ من إظهار دور وأثر الأسرة المسلمة المهم والكبير في بناء فكر أبنائها وتنميتهم ، وإعادة الصياغة والتعزيز والحفاظ على الهوية الاسلامية وبناء

ISBN: 978-9922-21-412-2

الشخصية السوية المعتزة بدينها وقيمها وغرسها في نفوسهم ، و تنمية الوعي بمقوِّمات الهوية الإسلامية وأبعادها التي تتضمَّنها الورقة البحثية متمثلةً بالجوانب الدينية ، والتاريخية ، والثقافية ، والقيمية والأخلاقية ، وفي هذا الشأن لا بُدَّ من تساؤلٍ عن دور معرفة الفرد الهوية الإسلامية وأثرها في تنمية واستقرار الأسرة المسلمة وفي مواجهتهم لكثير من التحديات والصعوبات التي تحدث على النظام الاجتماعي والثقافي ، ومن هنا يمكن تحديد مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الآتي :

ما أثر معرفة الفرد لمقومات الهوية الإسلامية في استقرار وتنمية الأسرة المسلمة ؟

وعليه يأتي هذا البحث محاولةً متواضعة من قبل الباحثَين في هذا المجال . نسأل الله القبول والتوفيق

ثانيا: أهمية البحث

لقد فتحت العولمة قضايا الهوية على نطاق عالمي واسع ، وأخذ الحديث يقترن بصورة متلازمة تقريباً بين الهوية والعولمة والاصطدام والتعارض بينهما .

ولعلَّه من المرات القليلة خلال القرن العشرين الميلادي المنصرم الذي ينفتح فيه أوسع حديث واهتمام في العالم حول قضايا الهوية ، وما يتهدَّدها من مخاطر الإلغاء والإقصاء أو الذوبان والانصهار ، بل وحتى الافتراض الثالث وهو الانبعاث والاستنهاض ، وبهوسٍ لم يجرِ سابقاً كما يجري الآن في ظل العولمة .

وفي ظل التغيرات السريعة التي أفرزتها طبيعة العصر وخصوصية المرحلة الحالية في مختلف المجالات الثقافية والاجتماعية والتربوية تواجه الهوية الإسلامية العديد من التحديات والازمات التي أسهمت في ظهور اتجاهات وقيم وسلوكيات غير مألوفة أثَّرت سلباً على المجتمعات الداخلية ممَّا أدَّى إلى إضعاف الولاء للوطن والانتماء إليه ، بل تجاوز ذلك ليؤكِّد على الانهزامية الثقافية وترك الموروث التاريخي الأصيل .

ويعد تغير المقوِّم الثقافي من أبرز التحديات التي تواجهها الهوية الإسلامية في ظل الانفتاح الإعلامي والمعلوماتي والاتصالاتي ، والتي لها تأثير على ثقافة الفرد والمجتمع وعلى أصل العقيدة الإسلامية واللغة العربية كما تؤثر على الجوانب القيمية والأخلاقية لأفراد المجتمع (الحارثي ، ٢٠١٣) .

إنَّ من الواجب على الأسر المسلمة والمسلمين كافَّة في كل مكان ليس المحافظة على الهوية الإسلامية فحسب ، بل الواجب عليهم الدعوة إليها بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، ونشرها

في كافة أصقاع الدنيا لأنَّها مستمدَّة من ديننا القويم ، وهو أشرف الأديان ، وخاتمها ، وإذا كان غيرنا من المجتمعات غير المسلمة يفتخر ، ويعتز بهويته أيَّما اعتزاز ، وهي هوية جلُّها ممسوخ من الأخلاق ، والقيم الفاضلة ، فنحن أحق بالافتخار ، والاعتزاز بهويتنا ، التي هي فعلاً متميزة لأنَّها معتمدة على أصول ربانية ، وتتماشي مع الأخلاق ، والقيم ، والفضائل السامية ، والفطر ، والعقول السليمة (إسلام ، 2002) .

وتكتسب الأسرة أهميتها من كونها أحد الأنظمة الاجتماعية المهمة التي يعتمد عليها المجتمع كثيراً في رعاية أفراده منذ قدومهم إلى هذا الوجود ، فهي تشرف على تربيتهم وتلقينهم ثقافة المجتمع وتقاليده وتهيئتهم لتحمُّل المسؤوليات الاجتماعية .

ومن هنا تأتي أهمية معرفة الفرد الهوية الإسلامية ومقوِّماتها والحفاظ عليها لكل المجتمعات ، فهي وحدة مصيره ، وغاية وجوده ، وعنوان بقائه ، فإذا كان الحق لكلِّ شعوب الأرض أن ينتموا الى خصوصيتهم الثقافية وذكر تاريخ امتدادهم عبر الأجيال للحفاظ على كينونتهم الذاتية ؛ فمن باب أولى للمجتمعات المسلمة أن تحرص على هويتها الإسلامية والحفاظ عليها من خلال دعم عوامل البقاء والاستمرار ، وتعزيز مقوِّماتها وأبعادها الحضارية ، إذ تمثِّل ذاتيتنا الثقافية اللغة ، فالإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هو هوية مشتركة لكل مسلم ، كما أن اللغة التي تتكلم بها ليست مجرد أداة للتعبير ووسيلة للتخاطب ، وإنَّما هي الفكر والذات والعنوان ، بل ولها قداسة المقدَّس التي أصبحت لسانه بعد أن نزل بها نبأ السماء العظيم (عمارة ، ١٩٩٩) .

١- تهدف هذه الورقة البحثية إلى التأكيد على الهوية الإسلامية ومقوِّماتها ودورها في الحفاظ على هوية المجتمع واستقراره وعنصر بقائه وثباته أمام المتغيرات والتحديات والأزمات التي تواجهه لتثنيه عن خصائصه الأصلية .

٢- تبيِّن دور الأسرة المسلمة في تنمية واستقرار الهوية الإسلامية والحفاظ على مقوِّماتها لدى أبنائها وتنميتها ومدى قدرتهم في تأدية الواجب وتقوية مقوِّمات ودعائم الهوية بأبعادها ومبادئها المتمثلة بالجوانب (الدينية ، والتاريخية ، والثقافية ، والقيمية والأخلاقية) .

٣- الدور الذي يمكن أن يلعبه المسؤولون والجهات المعنية بالأسرة ، والقيادات التربوية ، وكافة المؤسسات الأخرى المهتمة بالتنمية واستقرار الأسرة المسلمة في المحافظة على مقوِّمات الهوية الإسلامية .

٤- توضِّح تسليط الضوء على أهمية مفهوم الهوية الإسلامية ومقوِّماتها في رسم المعالم الثقافية للمجتمعات الإنسانية .

٥- تبيِّن الورقة البحثية دور مفهوم الهوية الإسلامية ومقوِّماتها في توجيه سلوكيات وعلاقات أفراد المجتمع الإسلامي .

٦- تنبيه الشعوب المسلمة إلى ضرورة التمسُّك والحفاظ على مظاهر وممارسات الهوية الإسلامية ضد هجمات العولمة الثقافية .

٧- تُبرِز أهمية الهوية الإسلامية ودورها في تشكيل شخصيات الفرد والأسرة المسلمة في ظلِّ المتغيرات المعاصرة التي يشهدها العالم .

٨- تشكِّل للباحثين والدراسين منطلقاً لدراسات مستقبلية في مجال الهوية الإسلامية ومقوِّماتها .

ثالثاً : هدف البحث :

يهدف البحث إلى التعرُّف على أثر معرفة الفرد بمقوِّمات الهوية الإسلامية في استقرار وتنمية الأسرة المسلمة .

رابعاً : حدود البحث :

تحدَّد البحث ببعض متغيرات مقوِّمات الهوية الإسلامية وأثرها في استقرار وبناء الأسرة المسلمة ومن كتب عنها في هذا المجال .

خامساً : تحديد المصطلحات :

الهوية الإسلامية : عرَّفها كلٌّ من :

١- (سلوم ، ١٩٨٥) " على أنَّها مجموعة الخصائص التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرِّف عن نفسه في علاقته بالجماعة التي ينتمي إليها والتي تميِّزه عن الأفراد المنتمين للجماعات الأخرى ، وهذه الخصائص لا تأتي مصادفة ، بل تتجمع عناصرها وتطبع الجماعة بطابعها " (سلوم ، 1985) .

٢- (السليماني ، ٢٠١٧) " بأنَّها مجمل السمات والخصائص التي تميِّز الشخصية المسلمة وتضمن وحدة الأمة الإسلامية وتفرُّدها عن الأمم من خلال التمسك بثوابت الدين الإسلامي واللغة العربية والاعتزاز بتراث الأمة وتاريخها العريق " (السليماني ، 2017) .

٣- (الشرقاوي ، ٢٠٠٤) " هوية أي أمة هي عبارة عن تراكم المعارف والثقافات ، والتجارب والصراعات ، والأفكار والمؤلفات والكتابات ، كل هذا يشكِّل المرجعية الأساسية للشعوب . بخلاف الهوية الإسلامية التي تتميز بمرجعيتها الربَّانية الثابتة والصحيحة ، والمحفوظة أبداً ،

ISBN: 978-9922-21-412-2

والتي تتمثل في الوحي بمصدريه ، وبهذا تميزت هذه الأمة عن سائر الأمم " (الشرقاوي ، 2004) .

٤- (ليلى ، ١٩٩٨) " تعريف الإنسان نفسه فكراً وثقافة وأسلوب حياة . أو هي مجموعة الأوصاف والسلوكيات التي تميز الشخص عن غيره " (ليلى ، 1998) .

ويعرِّف الباحثان الهوية الإسلامية تعريفاً نظرياً وهو الإيمان بعقيدة هذه الأمة ، والاعتزاز بالانتماء إليها ، واحترام قيمها الحضارية والثقافية ، وإبراز الشعائر الإسلامية والاعتزاز والتمسُّك بها ، والشعور بالتميُّز والاستقلالية الفردية والجماعية ، والقيام بحق الرسالة وواجب الشهادة على الناس ، وهي محصلة ونتاج التجربة التاريخية لأمة من الأمم أيضاً ، وهي تحاول إثبات نجاحها في هذه الحياة .

خامساً : منهج البحث :

استخدم البحث المنهج التأريخي الوصفي الذي يتَّسم بالدقَّة في عملية العرض والتحليل للمباحث التي تضمنها .

سادساً : مباحث البحث :

دور الأسرة المسلمة في المحافظة على استقرار الهوية الإسلامية :

تعيش الأسرة المسلمة أمام تحديات ومتغيرات كبيرة تجاه أبنائها ، خاصة في هذا العصر وما يشهده من تقدم التكنولوجيا ووسائل الاتصالات والمعلومات ، التي غزت العالم بمغرياته وتحدياته ، جعلت الأسرة تقف في موقف كبير تجاه تربية أبنائها وحمايتهم من الانزلاق والذوبان في ثقافات الآخرين ، وخاصة ما تجره العولمة من صهر للهوية الإسلامية وتذويبها في ثقافتها . ومن أهم أهداف العولمة هي كيفية هدم وتفكيك نسيج المجتمع الإسلامي ، وأهم مكوِّناته الأسرة المسلمة ومحاولة التأثير عليها من خلال تغيير نمط العلاقات الأسرية والترابط الأسري بين الأزواج وظهور علاقات جديدة بمسمَّيات عولمية تسوِّق لثقافة جديدة وقوانين وضعية في ظنَّهم تحرِّر الأسرة من التبعية وتهدِّم التنظيم الداخلي للأسرة ، كذلك مساهمتهم من خلال تغيير نمط الثقافة الأسرية وخاصة عالقة الأبناء بالآباء وضعف التواصل الأسري بينهم من عهد قريب ؛ من خلال إلهائهم وإشغالهم بوسائل التواصل الاجتماعي فساهمت في تقريب البعيد وبما يحتِّم على الأسرة المسلمة ضرورة الوعي والتربية بمقومات الهوية الإسلامية من الجانب الديني ، والتاريخي ، والثقافي ، والقيمي والاخلاقي ، وأن كل مرتكز من هذه المرتكزات له ما يهدِّده ويضعِّفه من شخصيَّتها حتى تتعرض للتلاشي واندثار هويتها فتغيب عنها أدوات العولمة ومحاربتها لهوية

الأمة وطمس الوجهة الصحيحة ممَّا يعرِّضها للتشتُّت واللَّهث وراء القوى وتحقيق التبعية للآخر، وهذا غاية جهدهم في فقدان الأمة بوصلة هويتها . ومن هنا كان لا بُدَّ للمؤسَّسات التربوية والتعليمية القيام بدورها في هذا الشأن الكبير ، وتأتي الأسرة في مقدمة تلك المؤسسات ، وعلى رأسهم الوالدين ، فدورهم عظيم في تحمل العبء والمسؤولية الكبيرة تجاه أفراد الأسرة وتحقيق القوامة الفاعلة في التربية السليمة والصحيحة (محسن ، ١٩٩٨) .

ثم تأتي المؤسسات التعليمية التي تعد من المؤسسات المهمة التي لها دور أساسي في تعزيز الهوية الإسلامية الأمر الذي يتطلب العناية بالنظام التعليمي وفلسفته ومناهجه وأدواته لترسيخها في نفوس المتعلمين ليعكس تقدُّم المجتمع وتماسكه .

فالتعليم من أهم الوسائل في غرس وتعزيز الهوية الإسلامية فمتى كان التعليم قوياً ومرتبطاً بالهوية كان له الأثر في الحفاظ على هوية أفراد المجتمع .

ومن خلال اطِّلاع الباحثان على الدراسات السابقة والأدب التربوي التي لها علاقة بالدراسة توصلا إلى أنَّ لكل هوية سمات ومقوِّمات الهوية الدينية والأساسية والتربوية ممَّا لها أثر على دورة الأسرة المسلمة تجاه استقرار أبنائهم في التربية والمحافظة على مقوِّمات الهوية الإسلامية فإنَّ من أهم السمات والمقوِّمات الهوية الإسلامية .

سمات الهوية الإسلامية :

أولاً : أنَّها هوية متميزة عن غيرها من الهويات ، وهذا التميُّز هو الذي يعطي كل جماعة أو أمة مقوِّمات بقائها ويحفظ لها ثقافتها وخصوصيتها ، فلا يذوبون في ثقافات أو هويات غيرهم من الأمم.

ثانياً : أنَّ الهوية الاسلامية تستوعبُ حياةَ المسلمِ كلَّها ، وكلَّ مظاهر شخصيته ، فهي تامة الموضوع ، محددة المعالم ، واضحة الملامح ، تحِّدد ملامحها ، وبكل دقة ووضوح ، وظيفتها وهدفها وغايتها في هذه الحياة .

فوظيفة المسلم نجدها في قوله تعالى :﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ سورة الذريات الآية (٥٦) ، فالعبادة بكل أنواعها المادية والمعنوية ، هي الوظيفة الأولى والمطلب الأول من المسلم، والهدف من هذه الحياة نجده في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ سورة الأحزاب الآية (٧٢) .

ISBN: 978-9922-21-412-2

فهدف المسلم في هذه الحياة هو النجاح في حمل الأمانة والخلافة على هذه الأرض وعمارتها ، وقيادة البشرية لما فيه الخير والسعادة لهم في الدنيا والآخرة .

وغاية المسلم من كل هذا الفوز برضا الله سبحانه وتعالى ونيل ثوابه في الآخرة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ سورة الذريات الآية (٥٦) .

ثالثاً : ومن سمات الهوية الإسلامية أيضاً أنَّها تجمع وتوحِّد تحت لوائها جميع المنتسبين إليها ، وتربط بينهم برباط وثيق ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، ويقول رسولﷺ في خطبةٍ له وسط أيام التشريق : " يا أيُّها الناس ، ألا أنَّ ربَّكم واحد ، وأن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلَّا بالتقوى) . ويقول رسولﷺ أيضاً : " مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهرِ والحمَّى " (محسن ، ٢٠٠٠) .

أمَّا مقوِّمات الهوية الإسلامية التي تؤمن بها ، فهي حسب الأهمية بالنسبة لمشروعنا الحضاري النهضوي الإسلامي تتمثَّل بالآتي :

١- مقوِّم يتضمَّن المجال الديني :

يعتبر المقوِّم الديني من أول المرتكزات والعوامل الأساسية للهوية الإسلامية وأثرها واستقرار الأسرة وأبنائها بكل ما يحمله المقوم الديني من عقيدة وعبادات وفكر وقيادة وقيم وسلوك ، ومنهاج تشريع ، منهاج شامل لكل جوانب الحياة ومفاصله العامة والخاصة والتزام قيم وأخلاق وعلم وعمل ، فمن جملة مبادئه وقيمه وأحكامه تستمد الهوية روحها . وقال تعالى في محكم كتابه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة ، آية ٣) .

لذا فإنَّ المقوِّم الديني مرتكَز أساسي للهوية الإسلامية وأثرها واستقرار الأسرة وآبائهم وعامل مهم لبنائها ، فالخطأ في ظاهره وباطنه يفضي إلى قصور في الانتماء للهوية ويؤدي إلى انحرافها وطمس معالمها .

فهذه التربية الأصيلة والمنهج الإسلامي الفريد يدعو المسلم إلى تفرُّده وتميُّزه بالهوية الإسلامية الأصيلة فالهوية الإسلامية هي القاسم المشترك الوحيد للأمة ويجب المحافظة عليها وإظهار الانتماء والاعتزاز بها ولا شك أنَّ هويتنا الأصيلة هي الهوية الإسلامية ، فالقاسم

ISBN: 978-9922-21-412-2

المشترك الوحيد على كبرها هو الإسلام وإذا ما انحنينا إلى الإسلام جانباً فمن المستحيل أن نجد قاسماً مشتركاً تتفق أو تلتقي عليه الأمة الإسلامية (محمد ، 1976) .

لذا يمكن القول إنَّ العقيدة الإسلامية كمرجع أول ومصدر أساسي لحضارتنا وفكرنا وسلوكنا وولائنا ونهضتنا كون العقيدة الإسلامية المقوِّم الأهم والأكبر الذي يجمعنا مع مختلف شعوب وقوميات وأمم العالم الأخرى الداخلة في الدِّين الإسلامي حيث ينضوي تحت لوائها كل مسلم أيَّاً كان لونه أو لغته أو المكان الذي يتواجد فيه ، فتحيل الجميع تحت معتقد واحد هو (الإسلام) وتحت مسمى واحد هو (المسلمون) .

وفيما يأتي أهم نقاط المقوِّم الديني :

١- ترسيخ اليقين بدين الإسلام وغرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم وتناول الجانب الإيماني في تعميق الإيمان بأركان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

٢- التربية لها دور في تعظيم أهمية أركان الاسلام وتطبيقها التطبيق الأمثل من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله ، وعلى التنوُّع في أداء النوافل من العبادات منها الصدقة ، والصوم ، والصلاة، والإحسان ، وقراءة القرآن ، وطلب العلم وغيرها ، والتي تؤكِّد على الهوية الإسلامية .

٣- العمل على التذكير والتنبيه على بطلان كتب الديانات الأخرى بسبب تحريفها ورفض كل ما يتناول تعاليم الإسلام بسوء سواء في التشكيك فيه أو النيل منه ورفض كل ما يُسِئ للنبي محمد ﷺ وأهل البيت عليهم السلام .

٤- العمل على توجيه التربية على الاعتزاز واحترام مقوِّمات الشعائر الدينية وتعظيمها في نفوسهم وإقامتها بها .

٥- التأكيد باستمرار وتذكيرهم على أهمية الإخلاص لله ونبينا محمد ﷺ وأهل البيت عليهم السلام وأداء الشعائر والعبادات .

٦- التوجيه والعناية على أهمية التمسُّك بهدي القران الكريم والسنَّة ، والتمسُّك بعقيدة أئمة أهل البيت عليهم السلام بحدودها وضوابطها الشرعية .

٧- غرس التربية على ممارسة الشعائر وتوجيههم للدفاع عن الدِّين الإسلامي إذا انتهكت محارمه وارتكبت معاصيه .

٨- العمل على التوجيه لخطورة الاستهزاء بالدِّين الإسلامي وعلماء الدين والنيل منهم .

ISBN: 978-9922-21-412-2

٩- العمل على التوجيه على التربية في تمييز الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام بخصائص وسمات ومميزات متعدِّدة جعلها علامة لهم ونبراساً يتميَّزون بهم عن غيرهم من سائر أمم الأرض في شتى مناحي الحياة الدينية ، وهي الهوية التي يُعرَفون بها ويتميزون بها عن غيرهم .

٢- مقوِّم يتضمَّن المجال التاريخي:

ثم يأتي بعد ذلك مقوم المجال التاريخي كأحدِ مقوِّمات الهوية الإسلامية وهو امتداد للحديث عن الدِّين ؛ فقد ارتبط التاريخ في نشأته ارتباطاً وثيقاً بالحديث الشريف في المنهج والموضوع والأشخاص، وتبرز أهميته بالنسبة للهوية الإسلامية في إيضاح موقف الأمم السابقة من الأمة الإسلامية والتعرُّف على شبهم وأباطيلهم وما صنعته ثقافتها عبر الأجيال ، فأصبح كل جيل يمثِّل حقبة تاريخية له أحداثه ووقائعه في تسطير وتنقل للأجيال القادمة ، لكي يكون شاهداً على إنجازها وتحدِّياتها ، لغرض إشحاذ الطاقات والإمكانات لغرض تحقيق الأهداف والغايات المرجوَّة ، ونقلها إلى الأجيال القادمة (محسن ، ٢٠٠١) .

لذا يمكن القول إنَّ المقوِّم التاريخي المشترك الذي ساهم في صناعته ليس أبناء الإسلام من العرب وغيرهم فحسب ، لا بل كان لغير العرب من المسلمين أدوار رئيسية وفاعلة في صياغة مجريات الأحداث التي مرَّت بها أمتنا الإسلامية وكان لهم محطات مضيئة ، والمقوِّم التاريخي له من الخطورة والجدِّية في تحقيق الأهداف بما عجز عنها غيرها من الأفكار والأساليب أو التي تحقِّقها بالشكل المطلوب .

وفيما يأتي أهم نقاط مقوِّم المجال التاريخي :

١- العمل على التربية وغرس حب سيرة النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم والاطلاع على تاريخ أهل البيت عليهم السلام ، ومعرفة تفاصيل حياتهم ومعرفة غزواتهم وجهادهم على أعدائهم ، للاقتداء بهم والسير على نهجهم وطريقهم في شؤون حياتهم كله .

٢- التعرُّف وإبراز سيَر وقصص الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام وما بذلوه وعانوه في نشر دعوتهم وتحمُّل أذى قومهم وما قدموه من تضحيات للدين الإسلامي في الجوانب كافة .

٣- العمل على التوعية والتحذير من المشكِّكين في تاريخ الأمة الإسلامية والساعين للنيل من رمزها الحضاري .

٤- التأكيد والحرص على زيارة معالم وآثار الحضارة الإسلامية في بقاع الأرض كافة .

ISBN: 978-9922-21-412-2

٥- الاهتمام والعناية بتوافر كتب التاريخ الإسلامي وأهل البيت من المؤلفات والمصادر والأطاريح والرسائل العليا والدوريات ، والعمل في الحث على مطالعتها وقراءتها لغرض زيادة الخبرات والمعارف والعمل لحوار معهم حول الأحداث التاريخية واستلهام أهم الدروس والعبر منها ، وتوظيفها في حياتهم المهنية والعملية والأسرية .

لذا يمكن القول إنَّ أهمية الجانب الديني والتاريخي يعتبر كمقوِّم من مقوِّمات الهوية الإسلامية في الوقت الحالي في ظلِّ الحملات المسيئة ضد الإسلام ممَّا يسهم في الرد على شبههم التي يثيرونها ضد الهوية الإسلامية .

٣- مقوم يتضمن المجال الثقافي:

لا شك أنَّ لكلِّ أمة من أمم الأرض ثقافتها وحضارتها التي تميِّزها عن الغير ، فالثقافة هي التي تشكِّل بناء المجتمعات وتنسج حضارتها ، إذ لم تقم نهضة في أمة إلَّا وكانت الثقافة في قلب مشروعها ، كما لم تتعثَّر أمة وتتخبَّط في حالات الانتكاس والتقهقر إلَّا وكان السؤال الثقافي ومحاولة الجواب عليه في قلب جهودها للخروج من عثراتها ، واستعادة مكانتها وانطلاقها (المجلس ، ١٩٨٣) .

لذا يمكن القول إنَّ الوحدة الثقافية المشتركة بين أبناء هذه الأمة ، وهذه الوحدة للثقافة هي بالأساس نابعة من المقوِّمات الأربعة السابقة ، ومستندة عليها ، فالأمة التي يربطها ويجمعها ويوحِّد بينها دين واحد ولغة واحدة وتاريخ مشترك وتراث ساهم الجميع في صنعه ، لا بُدَّ وأن تكون لها ثقافتها الخاصة وفلسفتها المتميزة في النظر في الكون وخالقه والحياة والمجتمع والآفاق ، وحتى طبيعة سير هذه الحياة والقوانين والسنن التي تحمها ، والمصير الذي ستنتهي إليه .

وفيما يأتي أهم نقاط مقوِّم المجال الثقافي :

١- توضيح خطورة التقليد الأعمى والذوبان في الثقافات الأخرى ، وتوجيه الأبناء نحو الانفتاح على الثقافات الأخرى والاستفادة منها بوعي دون ذوبان وانبهار .

٢- العمل على الحث وتوعية الأبناء والمؤسَّسات التربوية للتحدث باللغة العربية الفصحى ، والتشجيع على تعلُّمها وإتقانها ، وإظهار الشعور بالفخر والاعتزاز تجاهها .

٣- التأكيد على التنبيه على أنَّ ضعف التمسُّك باللغة العربية يؤدِّي إلى ضياع هويتنا وحضارتنا الإسلامية وأنَّ حمايتنا للغتنا وثقافتنا هي حماية لديننا الإسلامي .

٤- التوعية بالحفاظ على الموروث من العادات والتقاليد الاجتماعية التي لا تتعارض مع ثوابت الدِّين .

٥- الحث بالتربية على إحياء مظاهر الفرح والاحتفال بأعياد المسلمين ، والتحذير من الفرح والاحتفال بالأعياد غير الشرعية .

٦- التحذير من أفكار الغلوّ والتطرُّف والتشدُّد التي تتعارض مع هويتنا الإسلامية ، والتربية على قيم الاعتدال والوسطية والتسامح وقبول التعدُّد الثقافي من منطلق هويتي وثقافتي الإسلامية .

٧- تربية الشعور في نفوس الأبناء على عظم رسالة الإسلام وعالميتها ورحمتها للعالمين ، والتوعية على خطر العولمة الثقافية وتأثيرها على المجتمعات الإسلامية .

٤- المقوم القيمي والأخلاقي:

وتعد القيم والأخلاق حقيقة الإنسان وكينونته ، والمعبّر الحقيقي عن شخصيته وسلوكه ، وتمثِّله في واقع المجتمع ، وتربية الأبناء واستقرارهم عليه يمثِّل صمَّام الأمان لهم ، وسلامتهم من الانحدار الأخلاقي ، والعبث الفكري ، والضعف التربوي ؛ إذ لا تنهار المجتمعات وتضعف إلَّا بضعفِ قيمها ولا تقوى إلَّا بقوَّةِ قيمها . ومن هنا تستمد التربية القيمية والأخلاقية قوتها في بناء الإنسان وإيجاد الدافع الحقيقي له من أجل الحفاظ على هويته ، والتطلُّع نحو رسمِ مستقبله وتحقيق أهدافه ، وتُحدِّد نوع العلاقة بينه وبين مجتمعه ، فعند التزام الإنسان بقيم وأخلاق مجتمعه تجعله يحظى بالقبول الاجتماعي ، والتوافق النفسي ، والرضا الذاتي (علياء ، ب ت).

وفيما يأتي أهم نقاط المقوِّم القيمي والأخلاقي :

١- العمل على الحث بتربية الأسرة المسلمة أبنائها على القيم والمبادئ الإسلامية والمحافظة عليها .

٢- حرص الأسرة على تربية أبنائهم على خلق العدالة والمساواة ونبذ الظلم والاستبداد مع القريب والبعيد ، والتوعية المستمرة على نبذ العصبية والعنصرية مع القريب والبعيد .

٣- التأكيد على نشر وخلق الرحمة والعطف بين المسلمين وتعظيم قيم الوحدة والأخوة بين أفراد المجتمع ونبذ الفرقة والاختلافات والنزعات .

٤- العمل على توجيه الأسرة أبنائها إلى التواصي بالحق والثبات عليه والبعد عن إشاعة فتن الشبهات والشهوات .

٥- التحذير من أفكار التغريب والانحلال الأخلاقي التي تسلخ هويتنا وقيمنا ، والحث على اكتساب خلق العفة والطهر والحياء .

٦- العمل على توجيه الأسرة لأبنائها على مصاحبة الأخيار الصالحين في حياتهم ، والاستفادة من جميل علمهم وأدبهم .

٥- مجال مقوِّم التكوين النفسي المشترك :

ومن مقوِّمات الهوية الإسلامية أيضاً ما يمكن أن نطلق عليه اسم (التكوين النفسي المشترك) ويشمل العادات والتقاليد والأخلاق والمشاعر والأحاسيس والأعياد ومناسبات الأفراح والأحزان ومقاييس الذوق والجمال والحب والطعام والشراب واللباس والروابط الأسرية التي تصل في كثير من الأحيان درجة التقديس ، كلُّ هذه وغيرها من الأمور التي تتصف وتتميَّز بها الجماعة التي تحمل الهوية الإسلامية وتنتمي إليها ، والتي كان للدين الإسلامي الدور الأعظم في تشكيلها وصقلها وتهذيبها .

إنَّ أحد أهم الأزمات التي تعاني منها الهوية الإسلامية هي ضعف ارتباط وتمسُّك واعتزاز المسلمين بها ، وعدم فهمهم وتقديرهم لمفهومها وسماتها ومقوماتها ، وبالتالي للدور الذي يمكن أن تلعبه في هذا الصراع الحضاري ، وإنَّ من أهم أولويات رفع هذه الأزمة هو الإصلاح الحضاري الشامل سواء على مستوى مؤسَّسات الدولة الرسمية ، أم على مستوى الخطاب الإسلامي ، وحتى على مستوى الشعوب ومدى فهمهم لهذه القضية واستيعاب دورهم فيها .

الاستنتاجات:

من خلال ما تمَّ عرضه في مباحث البحث يمكن تلخيص أهم الاستنتاجات التي توصَّل إليها البحث:

١- تبين نتائج الورقة البحثية هذه بأنَّ للعولمة آثار خطيرة على تهديم الهوية الدينية ؛ وذلك من خلال ما تنشره قنوات إسلامية من عمليات تمس حياة الأفراد سواء منها ما يمكن تسميتها بالإجهاد أم حرية التعبير عن الراي العام أم حرية الدفاع عن حقوق الإنسان ، وغيرها من المفاهيم التي تنشرها القنوات الإسلامية .

٢- اظهرت نتائج الورقة البحثية أهم المقوِّمات التي تسهم في بناء الهوية الدينية ومنها العقيدة الإسلامية أي السنَّة الإسلامية التي اتَّبعها الفرد منذ ولادته في الحياة ، وكذلك مقوِّم التاريخ الإسلامي والمقوِّم التراثي للإسلام ، وغيرها من المقوِّمات التي تسهم في بناء أو تشكيل الهوية الاسلامية وتنميتها في الأسرة المسلمة .

٣- أظهرت الورقة البحثية أنَّ للتفكك الاجتماعي دور مهم في هدم الهوية الدينية ابتداءً من الأسرة المسلمة وانتهاءً بالمجتمع .

التوصيات :

في ضوء الاستنتاجات التي توصَّلت إليها الورقة البحثية ، يوصي الباحثان بما يلي :

١- الحرص على تكامل الأدوار وتظافر الجهود التربوية بين الوالدين في الأسرة المسلمة من أجل حماية أبنائهم من مخاطر وأدوات العولمة المتعدِّدة ، وتعزيز الهوية الإسلامية والمحافظة عليها أمام تحديات العصر والمتغيرات الحاصلة .

٢- ينبغي الاهتمام باللغة العربية ومناهج التعليم ؛ والتي من خلالها يمكن غرس مفهوم الدِّين بشكله الكامل للأفراد ، فإنَّ الاهتمام باللغة يسهم في تفعيل إيجابيات الإسلام وعالميته وعدالته وحضارته وثقافته وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم .

٣- ضرورة مواجهة العولمة عن طريق المواصلة بالتعليم والتدريب والتثقيف ورفع الكفاءة من أجل النهوض بواقع ديني إسلامي سليم .

٤- ضرورة الحرص على غرس القيم والمبادئ الإسلامية في نفوس الأبناء ، وتنشئتهم عليها التنشئة السليمة حتى يتشرَّبوها وتكون سلوكاً فيهم يُعرَفون بهويتهم الإسلامية ، وتحصين الأبناء ووقايتهم من أفكار التعري والانحلال الأخلاقي التي تسلخ هويتنا وقيمنا .

٥- العمل على تكامل الأدوار وبذل المزيد من الجهود من قبل االمؤسَّسات التربوية والتعليمية والمؤسسات الأخرى كافة في سبيل تحصين المجتمع ، ورفع الوعي بأهمية مقوِّمات الهوية الإسلامية وسبل المحافظة عليها ، وفق دائرة المسؤولية المناطة لكل مسؤول عن رعيته ، من أعلى مؤسَّسات الدولة إلى أدناها في ظل الأزمات والمخاطر وتحديات العولمة الثقافية التي تستهدف هويتنا الإسلامية وتضعف حيويتها .

٦- ينبغي أن تقوم وسائل الإعلام في الحفاظ على الهوية الإسلامية ودعمها ، فضلاً عن استيراد البرامج التي تهدم الهوية ، كما على العلماء وقادة الرأي ورجال الدِّين أن يمارسوا الضغط على وسائل الإعلام التي تنشر برامج تشوِّه معالم الدِّين الإسلامي .

٧- العمل على محاربة أسباب التخلُّف والفساد النفسي لدى الأفراد من أجل النهوض في شتى الميادين دينياً وثقافياً وسياسياً ؛ فإنَّ من سنن الله سبحانه وتعالى التغيير ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم ﴾ (سورة الرعد ، الآية ١١)

٨- التربية على الاعتزاز بالتاريخ الإسلامي وقدواته ورجالاته عبر القرون ، ومن أهم الأساليب التي تعزِّز الهوية والذاكرة التاريخية لدى الأبناء هي الحوار والنقال معهم حول الأحداث التاريخية واستخلاص أهم الدروس والعبر منها ، والحرص على توفير كتب التاريخ الإسلامي الموثقة وحث الأسر الأبناء على قراءتها ومشاركتهم المتعة المعرفية في تكوين شخصياتهم ، وتقديم القدوات المؤثرين عبر التاريخ كنماذج للتأسِّي بهم .

ISBN: 978-9922-21-412-2

٩- التأكيد على أهمية الانتماء الثقافي للأمة الإسلامية عبر وعائها اللغوي وهي اللغة العربية ، وإظهار مكانتها في عقول الأبناء وأنَّها لغة القرآن ورسالة الإسلام فيجب الاعتزاز بها والتحدُّث بها ، ففقدانها فقدان للهوية والقيم ، ومعرفة اللغة تحمل في طياتها فكراً ، وجعلها ثقافةً وسلوكاً .

١٠- العمل على العناية بالجانب التطبيقي عند تطوير المقررات والمناهج وتضمينها الأنشطة التي تسهم في مواجهة المتغيرات والمستجدات الثقافية .

المقترحات :

استكمالاً لهذا البحث وتعميماً للفائدة يقترح البحث إجراء بحوث ودراسات ضمن المجال نفسه لغرض الاستفادة من الهوية الإسلامية ومقوِّماتها في أثر معرفة الفرد بمقوِّمات الهوية الإسلامية في استقرار وتنمية الأسرة المسلمة .

المصادر :

- القرآن الكريم .
- علي محمود أبو ليلى ، ١٩٩٥ ، الأسرة والمجتمع صراع الهوية والتقريب ، ط١ ، دار قرطبة .
- محسن عبد الحميد ، ٢٠٠١ ، مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها شركة الرشد للطباعة والنشر ، بغداد ، ط١ .
- محسن عبد الصمد ، ٢٠٠٠ ، العولمة من المنظور الإسلامي .
- أحمد ريان(ب . ت) من فقه الأسرة .
- إسلام ويب (٢٠٠٢) ، مفهوم الأخلاق في الإسلام .
- العسيف ، رضي محمد (٢٠١٨) ، الاستقرار العائلي الزهراء مثالاً ، مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية .
- المجلسي ، محمد باقر (١٩٨٣) ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- أمة الله عبد المطلب (ب . ت) ، رفقاً بالقوارير نصائح للأزواج .
- سلوم عبد الله ١٩٨٥، الإسلام والقومية الإسلام والأمة ، دار الحرية للطباعة .
- سيهر ، خليل نوري ، ٢٠٠٩ ، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، مركز البحوث والدارسات الإسلامية العراق ، بغداد ، ط١ .
- عبد اللطيف بن إبراهيم (٢٠١٨) ، دور الأسرة في رعاية الأولاد .

- علي بن عبده (٢٠١٣) ، تعريف الأسرة .
- علياء سعيد إبراهيم (ب . ت) ، فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأثرها الأخلاقي في بناء الأسرة ، المسابقة الثالثة ، مركز الدراسات الفاطمية في البصرة .
- الحارثي، فهد ، ٢٠١٣ ، إسهام أعضاء هيئة التدريس في تنمية الوعي بمقومات الهوية الإسلامية دراسة ميدانية على طلبة كلية التربية بجامعة الباحة ، بحث منشور بمجلة التربوية بجامعة الطائف ، ص٢٣-٣٠ .
- ليلى عبد الرشيد عطار (١٩٩٨) ، آراء ابن الجوزي التربوية دراسةً وتحليلاً وتقويماً ومقارنة ، ط ١ ، منشورات أمانة للنشر ، أمريكا .
- محسن عبد الحميد ، ١٩٩٨، صراع الأفكار في المجتمع الإسلامي ، ط١، مطبعة وزارة التربية .
- محمد فاضل زكي ، ١٩٧٦ ، الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ط٢ .
- إسماعيل سعيد (١٩٩٧) ، التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين ، مجلة المسلم المعاصر ، عدد : ٨٥ ، ص٩ .
- الدليمي إبراهيم ، ٢٠٠٢ ، دراسة عن الأسرة والتنشئة الاجتماعية للطفل العربي في ظل العولمة ، مجلة الآفاق العراق ، العدد ٩ ، ص٧٢ .
- الأميني ، إبراهيم (٢٠٠٣) ، فاطمة الزهراء المرأة النموذجية في الإسلام ، ترجمة (علي جمال الحسيني) ، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، قم ، إيران .

ISBN: 978-9922-21-412-2

إحياء النزعة الإنسانية بهويَّة إسلامية ضمن العملية التربوية للإمام الصَّادق عليه السلام

م.م. الشيخ أسامة العتابي

المقدِّمة :

الدِّين ظاهرة واكبت البشرية منذ وجودها على سطح الأرض ، والإنسان كائن متديِّن ، وإن تباينت تعبيراته ، واختلفت تجلِّيات ومظاهر الدين في حياته ، كما أنَّ حياة الفرد إذا كانت مفرغة من أية مشاعر دينية ، أو مستغنية بشكلٍ تام عن المتطلبات المعنوية ، لا تصبو للمتعالي ، ولا تتوق للا متناهي ، ولا تسعى لقول ما لا يمكن قوله ، أو التعبير عن ما لا يمكن التعبير عنه ؛ لأنَّ حاجة الإنسان إلى الدِّين تنبثق من أعماقه ، حتى لو اجتاحت بعض المجتمعات جائحة تناهض الدِّين وما يتصل به ، فإنها سرعان ما تضمحل وتعاود الظواهر الدينية حضورها الأبدي من جديد ، وربَّما بفاعلية وضراوة . وما دامت حياة الإنسان تفضي إلى الموت ، والإنسان كائن يتوق للخلود ، وينشد الأبدية بطبيعته ، فلا يمكن أن يصلَ إلى اليوم الذي يستغني فيه عن الدِّين ، لأنَّ الدِّين هو المشروع البشري الذي يضع الإنسان نفسه في موضعه الصحيح .

إلَّا أنَّ الدِّين وبسبب الخطاب المتطرِّف فيه ، انتقل من كونه تربية روحية إحيائية للإنسان ، إلى خطاب حمل التعصُّبات والكراهيات والنزاعات ، والتي استتبعها انقساماتٍ وحروب مزمنة ، تُغذِّيها على الدوام الجماعات الدينية المتطرِّفة ، وراح يتحدَّث عن نماذج متنوعة ممَّا تبثُّهُ الفضائيات والمواقع والصحف الإلكترونية والمنابر ، وأدبيات السلفية الجهادية وغيرها من تلك الجماعات ، مع عدوانها الواسع على السلَّم الأهلي ، ودعواتها التحريضية لتفتيت المجتمعات . ولا يمكن تجاهل أثر تلك الخطابات التي لوَّثت المجال الاجتماعي العام ، وهشَّمت مرتكزات العيش المشترك . وأنَّ تاريخنا ليس منزَّهاً وبريئاً من هذا الخطاب ، فهو مليء بالانزلاقات والخروج عن الرُّوح القرآني والسلوك النبوي ، خروجٌ يصلُ أحياناً إلى الحروب ، وإراقة الدماء ، والظلم بكلِّ أنواعه ، والتعذيب بكلِّ أشكاله ، وردُّ السيئة بالحسنة ، وعدم احترام الآخرين ، فتجد الكراهية والتعصُّب والعنف واضحاً في حياة المجتمع المسلم المعاصر ، في الأسرة ، والعشيرة ، والوطن ، والدولة ، والطفل ، والمرأة ، والمدرسة ، والمؤسسة ، وعنف الإنسان ضدَّ أخيه الإنسان ليس أمراً طارئاً في الحياة ، بل هو سلوك واقعي موجود يجب أن نعترف به .

من هنا جاء البحث عن النزعة الإنسانية في الدِّين وضرورة إحيائها ، وإظهار الخطاب الدِّيني الذي يهتم بالإنسان أولاً ، في الاعتراف ببشريته في الأرض ، وتصحيح نمط علاقته بربِّه ، وعلاقته مع الأخرين ، وعلاقته مع الطبيعة ، وذلك من خلال استلهام الميراث المعنوي العميق

ISBN: 978-9922-21-412-2

، واستدعاء التجارب الروحية التربوية التي تهتم بالإنسان ، والتوكؤ على منهجيات ومفاهيم ، مستوحاة من شخصيات ربَّانية في التاريخ ، انتهجت الدِّين بصورته الإنسانية ، وأحيت الإنسان من خلال منهج تربوي تتجلَّى فيه الصفات الجمالية والروحية والمعنوية .

غير أنَّ مراجعة نقدية للتاريخ ، وقراءة تحليلية للنصوص ، وتقويم للموروث من منظور مختلف ، يمكن أن تفتح لنا نافذة على البؤر المُضيئة والثراء والتنوع في النصوص الدِّينية ، ويمكننا في ضوء هذا النمط من التعاطي مع النص والتراث التعرُّف على المنطلقات الأساسية ، والأهداف العامة ، والمقاصد الكليَّة التي يُمكن من خلالِها إحياء الإنسان من ذلك الخطاب المتطرِّف ، وتربيته بالصورة الإيجابية ، طبقاً لتلك النصوص التي تُفصِح عن الروح الانسانية فيها ، في قبال مادة وفيرة زُرِعَت في المجتمع ذات تفسيرات متوحشة للنصوص ، تحكي عن إسقاطات لإيديولوجيا إقصائية ومعتقدات قمعية . وفي كل مرة تستغل الحكومات المستبدَّة هذا النمط من التفسيرات لتكريس نفوذها ، وبسط هيمنتها على حياة الناس ، بحيث توظِّفُها بأساليب بشعة لمراقبة الضمائر وتفتيش العقائد . وأولئك المستبدِّين يعلمون بأنَّ إحياء النزعة الإنسانية في الدِّين يسارع في تقويض عروشهم ، ويفضح المشروعيات الزائفة التي يسوِّغون بها طغيانهم . وهذا يعني أنَّهُ متى تغيب الحرية تذبل النزعة الإنسانية ، ومتى تعم الإنسانية تسود قيم التعدُّدية وحق الاختلاف ، وأخلاقياتها في المجتمع .

وكان الإمام جعفر بن محمد الصَّادق (عليه السلام) من الشخصيات الأولى التي سعت إلى إحياء النزعة الإنسانية في الدِّين ، وإظهاره بتلك الصورة من المحبة والتسامح واحترام الآخرين ، فضلاً عن وجودِ منهجٍ خاص لتنظيم علاقة الفرد بالله تعالى والمجتمع والأسرة والمؤسسة والتعليم وكل مجالات الحياة ، هذا الإمام الذي أسَّس لثقافة الآخر، وثقافة الحُب ، وثقافة التربية ، وثقافة الانتماء ، وثقافة المواطنة ، وثقافة الدولة ، وثقافة الإنسان . نعم الإنسان هو الحاضر الأول في جميع خطاباته وكلماته وسلوكه وفكره ، فقد أسَّس له تربويات يسير عليها ، كالتربية العقلية ، والتربية البدنية ، والتربية العملية ، والتربية على أحكام الشريعة ، والتربية الاجتماعية ، وغيرها من التربويات . كما حاول تنمية الفرد والمجتمع ، كتنمية الحياء ، وتنمية الضمير ، وتنمية الوجدان ، وتنمية الذات ، وتنمية الروح ، وأصبح مؤسِّساً لكثير من مشاريع التنمية البشرية .

كلُّ ذلك كان ضمن منهجٍ أعدَّه الإمام (عليه السلام) للإنسان على اختلاف دينه وعقيدته واتجاهه الفكري ، منهجٌ رباني ، شمولي ، واقعي ، متوازنٌ ، معتدلٌ ، تدخَّل في جميع مجالات الحياة ، حتى أصبح مدرسة للعطاء المستمر ، والإنتاج الدائم على المستوى النظري والعملي ، وفي جميع

المجالات الفكرية والعقائدية والفقهية ، وعلى مدى العصور والأزمنة ، منهجٌ يراعي الإنسان في جميع مقوِّماته ، وينظر إليه من جميع جوانبه ، وهذا هو محور بحثنا المقدَّم إلى جامعة وارث الأنبياء (عليه السلام) في مؤتمرها السنوي الرابع ، ونسأل الله تعالى التوفيق للجميع .

قراءةٌ مختصرةٌ في السِّيرة الذاتية :

اسمه : الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي ، الهاشمي ، القرشي ، المدني[١] .

والده : الإمام محمد بن علي بن الحسين الشهيد في كربلاء[٢] ، الملقَّب بالباقر الذي بقر العلم ، أي : شقَّه ودخل فيه[٣].

والدته : فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي [٤] .

ألقابه : لقِّب الإمام بألقاب كثيرة ، منها : الصَّادق ؛ لصدق حديثه في مَقاله وفعله[٥] ، والفاضل ؛ لأنَّهُ كان أفضل أهل زمانه وأعلمهم في جميع العلوم [٦] ، والصابر ؛ لأنَّه صبر على المحن الشاقة والخطوب المريرة التي تجرَّعها من خصومه الأمويين والعباسيين [٧] ، والطاهر ؛ لأنَّه

---

١) ينظر: ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان(٣٥٤هـ/٩٦٥ م) مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأمصار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط/١، دار الوفا- القاهرة، ١٩٩١م ، ص١٢٧؛ الأصبهاني، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله(٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،ط/٤، دار الكتاب العربي- بيروت، (د.ت) ج٣، ص١٩٢ ؛ إبن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان، (د.ط)، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ١٩٤٨م، ج١، ص٣٢٧ ؛ المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن (٧٤٢هـ/١٣٤١م) تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط/١، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٠م، ج١، ص٢٠٢؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد علي البجاوي، (د.ط)، القاهرة، ١٩٦٣م ، ج ٦، ص٢٥٥.

٢) الزبير، أبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب(٢٣٦هـ/٨٥٠ م)، نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط/٢، دار المعارف- مصر، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٦٣.

٣) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(٨١٧هـ/١٥٠٥م)، القاموس المحيط، (د.ط)، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٣م، مادة بقر.

٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج٦، ص ٢٥٥ .

٥() ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، مصدر سابق، ص١٢٧.

٦) سبط بن الجوزي، شمس الدين يوسف(٦٥٤هـ/١٢٥٦م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (د.ط)، من مصورات مكتبة أمير المؤمنين العامة- النجف الأشرف، (د.ت)، ج ٥، الورقة ١٦٦.

٧) المصدر نفسه، ج٥ ، الورقة ١٦٦ .

أطهر إنسان في عمله وسلوكه واتجاهاته [١] ، والقائم ؛ لقيامه بإحياء الدِّين والدفاع عن الشريعة الإسلامية ، والكافل ؛ لكفالته للفقراء والمحرومين ، والمنجي ؛ لنجاة من أهتدى بهديه [٢] .

ولادته : اختلفت الروايات التاريخية في سنة ولادته منها : عام ٨٠هـ[٣] ، ومنها : عام ٨٢هـ[٤] ، ، ومنها : عام ٨٣هـ [٥] .

نشأته : نشأ في أسرةٍ كريمة من أشرف أسر العرب والمسلمين وأسماها ، تلك الأسرة التي أنجبت خاتم الأنبياء والرسل محمد (ﷺ) ، وأنجبت عظماء الأمة من الأئمة من بعده ، فقد ورث من أسرته خصالهم العظيمة ، وسجاياهم الطيبة ، ترعرع في ظلِّ البيت النبوي ، فجدُّهُ لأبيه الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) ، إمامُ المدينة ، وأكثرُ أهلها نبلاً وعلماً ، عاش معه اثنتي عشرة سنة ، ووالده الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) الذي كان مناراً للعلم والمعرفة ، فدرس وتعلَّم وانتهل من علومهما ، حتى أصبح رائداً لجميع مدارس الفكر الإسلامي [٦] .

أوصافه : كان ربع القامة ، أي : بين الطويل والقصير ، حالك الشعر ، أي : شديد السواد ، جعد ، أشم الأنف ، أي : ارتفاع قضبة الأنف وحسنها واستوائها ، أنزع رقيق البشرة ، دقيق المسربة ، على جسده خيلان حمرة [٧] . يقول مالك بن أنس : " ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وورعاً ، لا يخلو من أحد ثلاث خصال : إما صائماً أو قائماً أو ذاكراً ،

---

١) المصدر نفسه، ج٥ ، الورقة ١٦٦.

٢) ابن شهر أشوب، أبي عبد الله محمد بن علي (٥٨٨هـ/١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، (د.ط)، المكتبة الحيدرية– النجف الأشرف ١٣٦٧هـ/١٩٥٦م، ج ٤، ص٢٨١–٢٨٢.

٣) الزركلي، خير الدين الدمشقي(١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، الأعلام، ط/٥ ، دار العلم للملايين– بيروت، ١٤١٠هـ، ج٢، ص١٢٦.

٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر(٢٨٤هـ/١٢٢٨م)، تاريخ اليعقوبي، (د.ط) – بيروت، ١٩٦٠م، ج٢، ص٣٨١.

٥) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي (٣٢٩هـ/٩٤٠م)، الكافي، دار الكتب الإسلامية– طهران، ج١، ص٤٧٢.

٦) ينظر: لاوند، رمضان، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) علم وعقيدة، (د.ط)، دار مكتبة الحياة– بيروت، لبنان، (د.ت) ص٢؛ أبو زهرة، محمد، الإمام الصادق، حياته وعصره آراؤه وفقهه، ط/١، دار الفكر العربي– القاهرة ، ٢٠٠٥م.

٧) المجلسي ، محمد باقر(١١١٢هـ/ ١٦٨٨م) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط/٢، مؤسسة الوفاء– بيروت– لبنان، ١٩٨٣م، ج٤٧، ص٩.

وكان من عظماء العبَّاد وأكابر الزهَّاد ، الذي يخشون ربهم ، كثيرُ الحديث ، طيّب المجالسة ، كثير الفوائد "[١] . فهو " الإمام الصادق ، والعلم الناطق ، بالمَكرمات سابق ، وباب السيئات راتق ، وباب الحسنات فاتق ، لم يكن عيَّاباً ولا سبَّاب ، ولا صخَّاباً ولا طمَّاعاً ، ولا خدَّاعاً ، ولا نمَّام ولا ذمَّاماً ، لا أكولاً ولا عجولاً ، لا ملولاً ولا مكثاراً ، لا ثرثاراً ولا مهذاراً ، لا طعَّاناً ولا لعَّاناً "[٢] .

زوجاته : لقد تزوَّج بعدَّة حرائر ، واشترى عدد من الجواري ، منهنَّ : السيِّدة فاطمة بنت الحسين بن الإمام زين العابدين(عليه السلام)[٣] ، وأم حميد المصفَّاة البربرية[٤] ، وأُمُّ مالك بن أنس[٥] ، ، وأم أبي حنيفة[٦] ، وأم وهب البحتري[٧] ، وأم سالمة [٨] .

أولاده : له عدد من الأولاد منهم : إسماعيل بن جعفر ، مات شاباً في حياة أبيه [٩] ، والإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) ، الإمام القدوة [١٠] ، وعبد الله الأفطح أكبر أولاده ، سُمِّي بالأفطح ، لأنَّهُ كان أفطح الرأس ، أي : عريض الرأس وعريض القدمين والفخذين ، وقالت الأفطحية بإمامته[١١] ، وإسحاق بن جعفر ، كان من أهل الفضل والصلاح ، والورع والاجتهاد [١٢] ، ومحمد بن جعفر ، الذي كان سخياً وشجاعاً ، وكان يرى برأي الزيدية في الخروج بالسيف[١٣] ، وعلي بن جعفر، ذو

---

١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، مصدر سابق،ج٢، ص٢٦٣.

٢) لاوند ، رمضان، الإمام جعفر الصادق، علم وعقيدة، مصدر سابق، ص٢٩ – ٣٠.

٣) الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى(٦٩٢هـ/١٢٩١م)، كشف الغمة في معرفة الائمة، طبعة حجرية، ١٢٩٤م، ج٢ ، ص١٦١.

٤) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب، مصدر سابق، ج٤، ص٣٢٣.

٥) ابن شهر أشوب ، مناقب آل أبي طالب ، مصدر سابق، ج٤، ص٢٨٤ .

٦) المصدر نفسه، ج٤ ، ص٢٨٤ .

٧) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٨٥.

٨) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٨٥.

٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦، ص ٢٦٩

١٠) الرازي ، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (٣٢٧هـ) الجرح والتعديل ، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج ٨، ص ١٣٩.

١١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (٤١٣هـ/١٠٢٢م) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، (د.ط)، مطبعة دار المفيد– طهران، (د.ت)، ص٣٨٥.

١٢) المصدر نفسه، ص٣٨٩.

١٣) المصدر نفسه، ص٣٨٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الجلالة والشأن الكبير، والفضل الرفيع ، الثقة المأمون في الحديث ، والعباس بن جعفر ، كان فاضلاً نبيلاً [١] .

تلامذته : تميَّز الإمام بكثرة تلاميذه وطلَّابه ، حتى أحصى أهل الحديث عددهم ، فكانوا أربعة آلاف رجل[٢] منهم ، أبان بن تغلب ، من وجوه القرَّاء في الكوفة ، نحوياً مفسِّراً فقهياً كبيراً ، حتى أوجع قلب الإمام بفقده [٣] ، وإبراهيم بن أدهم أحد أئمة التصوُّف ، ومشاهير محدِّثي وقته ، ، عُرِف بالعبادة والزهد [٤] ، وأبو حنفية النعمان ، الإمام فقيه الملة ، وعالم العراق[٥] ، وإبان بن بن عمر الأسدي الكوفي ، من محدِّثي وثقاة الشيعة [٦] ، وجابر بن حيان الكوفي ، من مفاخر علماء الشيعة وكبارهم في الفلسفة والحكمة والفلك والنجوم [٧] ، ومالك بن أنس ، حجة الأمة ، وإمام دار الهجرة [٨] ، وغيرهم كثير .

المبحث الأول : الإطار العام لمصطلحات البحث :

١ – الإنسانية :

لقد تنوَّعت معاني مصطلح (الإنسانية) ممَّا جعله غامضاً ، وتشير البدايات الأولى لنشأته إلى أنَّ أول من أستخدمه المؤرخ الألماني (جورج فويت) عام ١٨٥٦م ؛ وذلك لوصف الحركة التي ازدهرت لإحياء التعليم الكلاسيكي أثناء فترة عصر النهضة في أوروبا ، من أجل إحياء التعاليم الكلاسيكية في النهضة الإيطالية . وكلمة إنساني "Humanist" مشتقة من المصطلح الإيطالي "umonista" في القرن الخامس عشر ، ويعنى المعلم أو الباحث العلمي. ثم من خلال الثورة الفرنسية وبعدها بقليل بدأ مصطلح الإنسانية يشير إلى الفلسفات والأخلاق التي ترتبط بالإنسان ذو الاهتمام بأية مفاهيم إلهية ، ومع بداية الحركة الأخلاقية في ثلاثينات القرن

---

١) المصدر نفسه، ص ٣٨٧.

٢) المصدر نفسه، ص٣٩٠.

٣) الشبستري، عبد الحسين، الفائق في رواة أصحاب الإمام الصادق، ط/١، مؤسسة النشر الإسلامي– قم المقدسة، ١٤١٨م، ج١، ص٢٦.

٤) السلمي؛ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين (٤١٢هـ/١٠٢٠م)، طبقات الصوفية، ط/١، دار الكتاب العربي– القاهرة، ١٣٧٢هـ، ص٣٣

٥) الشبستري، الفائق من رواة الإمام الصادق، مصدر سابق، ج١، ص٣١.

٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج٦، ص٣٩٧.

٧) الشبستري، الفائق من رواة الإمام الصادق، مصدر سابق ج١، ص٢٧٧.

٨) ابن حيان، مشاهير علماء الأمصار، مصدر سابق، ص٧٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

العشرين أصبح مصطلح "الإنسانية" مرتبطاً بنحوٍ متزايد مع الفلسفة الطبيعية ، ومع العلمانية[١] . كما وأن مصطلح الإنسانية أو الأنسنة أو النزعة الإنسانية لم يظهر في الثقافة العربية حسب ما تذكره الموسوعات والقواميس المختصة ، إلا في القرن التاسع عشر وبالتحديد عام ١٨٠٨م ، حيث استعملها أحد علماء التربية الألمان "F.J.Nithommer" ، وكان يقصد من خلالها الدلالة على نظام تعليمي تربوي جديد يقترحه ويهدف منه إلى تكوين الناشئة عن طريق الثقافة والآداب القديمة [٢] . وبناء على ذلك نلاحظ أن مفهوم النزعة الإنسانية في ظهوره الأول يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدعوة إلى إعادة بناء النظم التعليمية والتربوية ، والعودة من ناحية أخرى إلى الآداب القديمة التي تقدِّم المثل الأعلى في السلوك والمعرفة [٣] .

٢- النزعة الإنسانية :

لفظة تطلق ويُراد منها: " أن المركزية في الوجود تكون للإنسان ، تنطلق من معرفة الإنسان ، وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته ، سواء بإخضاعه لقوى خارقة للطبيعة البشرية، أم بتشويهه من خلال استعماله استعمالاً دونياً ، دون الطبيعة البشرية "[٤] . وتُعرَّف أيضاً بأنَّها " نظرية ترفض تبنِّي كل أشكال الاغتراب والاضطهاد وتطالب باحترام الكرامة الإنسانية "[٥] . كما أنَّها تنقسم إلى نزعة إنسانية مؤمنة لا تخرج عن الدين والنظرة اللاهوتية للوجود ، وإلى نزعة إنسانية ملحدة ، وتعني التمرُّد على الله ، وعلى الدِّين ، وعلى اللاهوت من أجل العناية بالإنسان ، وهكذا شكَّلت النزعة الإنسانية أو الأنسنة من خلال التنوير الأوروبي واحداً من أعمدة الحداثة الغربية ، حيث تمثل قطيعة حاسمة مع كل نظرة

---

(١) Wikipedia. Org/ wiki-إنسانية.

٢) عاطف أحمد، النزعة الإنسانية "دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط"، ط/٢، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان- القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٧-١٨.

٣) الدواي، عبد الرزاق، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ط/١، دار الطليعة للطباعة- بيروت، ١٩٩٢م، ص١٨٩.

٤) أندريه نتاف، الفكر الحر، ترجمة: رندة بعث، ط/١، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، دار المدى- دمشق، ٢٠٠٥م، ص٦٣.

٥) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، ط/١، منشورات عويدات- بيروت، ١٩٩٦م، المجلد٢، ص٥٦٩.

لاهوتية صادرت كيان الإنسان باسم الإيمان ، وتمثِّل في الوقت نفسه تأسيساً لفلسفة ورؤية جديدة تُحِلُّ الإنسان محلَّ المركز من الوجود [١] .

ويقصد الباحث النزعة الإنسانية في منظور الإمام الصادق(عليه السلام) ، هي تلك النزعة الإيمانية التي أوكل لها الإمام اهتماماً بالغاً في تربية الإنسان ، من أجل صلاحه ، وتصحيح نمط علاقته بربه ، وعلاقته بأسرته ، وعلاقته بالمجتمع ، وعلاقته بالطبيعة ، وعلاقته بكل أجزاء الوجود ، وتحويل تلك العلاقة من صراع مسكون بالخوف والرعب والقلب إلى علاقة تتكلم لغة المحبة ، وتبتهج بالوصال مع الله تعالى والآخرين ، وتقديم فهم مبسَّط للتربية الروحية للإنسان ، من خلال محاربة الغرائز ، والعمل على اجتثاثها ، كما يُقصد بالنزعة الإنسانية في منظور الإمام ، هي الدعوة للسلام ، واحترام الكائن البشري مهما كان انتماؤه ، وعقيدته ، ومواطنته ، وجنسيته ، وفكره ، فضلاً عن تربيته اتجاه أسرته ومحيطه ومجتمعه ، كل ذلك من خلال الغوص في أعماق كلماته ، ورسائله ، وخطبه ، واكتشاف منابع السلام ، والتسامح والحوار مع الإنساني الآخر ، وتقديم التجربة الصادقية ، كتجربة روحية تطهيرية تنزيهية سامية في التاريخ ، من أجل إحداث مصالحة بين المتديّن ومحيطه [٢] .

كلُّ ذلك من خلال المنهج التربوي الذي رسمه لنا الإمام الصادق (عليه السلام) في تراثه ، والذي لو انفتح الإنسان عليه، لاستطاع أن يجدَ جواباً عن كلِّ سؤالٍ يتَّصل بالحياة الإنسانيَّة ، في كلِّ أبعادها السياسيَّة والاجتماعيَّة ، تلك الثروة الموسوعيَّة الّتي أغنت العالم الإسلامي بكافة صنوف العلم والمعرفة والأخلاق ، فإنَّنا إذا درسنا أحاديث الإمام الصَّادق ، نجد أنَّها تشمل كلَّ المفردات الإنسانية / الإسلاميَّة ، وأنَّها كانت منفتحةً على القضايا التي كانت تُثَار في ذلك الوقت ، بحيث أنَّهُ كان يعيش قضايا عصره ، ولم يكن معزولاً عن الواقع . فمنه نتعلَّم رحابة الصدر ، وسعة الأفق ، والإحساس بالمسؤوليَّة ، فعندما كان يجلس مع الزنادقة والملاحدة ، ويستمع إلى كلِّ ما لديهم من أفكارٍ حادَّة ضدَّ الإسلام والمسلمين ، كان ينفتح عليهم بالكلمة الطيِّبة ، وبالأسلوب الحكيم ، وبالحجَّة القويَّة ، حتى اهتزَّ بعضهم ، ويقال إنه "ابن المقفَّع" ، فقال : " ما منهم أحد

١) ينظر: هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، ط/١، دار الطليعة للطباعة– بيروت، ٢٠٠٥م، ص٧٧.
٢) الرفاعي، عبدالجبار، إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، ط/٢، دار التنوير للطباعة– بيروت، ٢٠١٣م، ص٩–١٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أوجب له اسم الإنسانيَّة إلا ذلك الشيخ الجالس "[١] ، لأنَّ رحابة الإنسانيَّة كانت في فكره ، وفي قلبه ، وفي أسلوبه [٢] .

٣- العملية التربوية :

تُعرَّف التربية بأنَّها : " تنمية القابليات الإنسانيَّة الكامنة في باطن الإنسان ، وإخراجها إلى مرحلة الفعليَّة "[٣]، أي : بناء الإنسان وإعداده وتقويم جانب الخير فيه ، وحذف كلِّ مظاهر الانحراف ؛ إذ إنَّ التربية تهدف إلى غرس روح التفكير العلمي ، والذي يُعدُّ من أهمِّ الأهداف التي تتولَّاها ، وفيه يتمُّ إصلاح الإنسان بالمطلق [٤] . وحينئذٍ ؛ فالعمليَّة التربوية هدفها بناء الإنسان بناءً صالحاً ؛ ليخدم نفسه ومجتمعه وبلده والإنسانية جمعاء ، والقائمون على العملية التربوية يسعَون جاهدين إلى تضمين أفضل الفلسفات في ميادين التربية والتعليم ؛ للوصول إلى أفضل الأُطر والنظريات والأُسس التي تُسهِم في بناء الإنسان . لأنَّ التّربية العشوائيَّة ، المبنيَّة على أُسس وقواعد علميَّة ، تُبدِّد الطاقات والجهود ، وتخلق الاضطراب في المجال النفسي والسلوكي ، وتَحرِف الأهداف والغايات عن مسارها الحقيقي ؛ من هنا كانت الحاجة الضرورية إلى منهج تربوي ثابت في أُصوله ، واضح في مقوِّماته[٥] . وعلى ذلك ؛ تكون التربية عمليَّة إعداد وتنشئة وتوجيه وإصلاح ، وقيادة للإنسان في مختلف مراحل حياته وأبعاد كيانه ، للوصول به إلى مرحلة النضج والكمال ، وبنائه بناءً روحيَّاً وفكريَّاً وسلوكيَّاً وجسديَّاً متوازناً وسليماً ، يمكِّنه من أداء رسالته ، والتعبير عن إنسانيَّته [٦] . مع خلق بذرة التفكير في عقول المتعلِّمين حتى تكون جزءاً من شخصياتهم ، ويعتادون عليه سواء في اكتساب المعرفة وطلب العلم ، أو في جوانب الحياة المختلفة ، إعداداً شاملاً متكاملاً متَّزناً [٧] .

---

١) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج٣، ص٤٣.

٢) فضل الله، محمد حسين، الإنسانيّة في فكر الإمام الصّادق(عليه السلام)، ندوة الشام الأسبوعية، بتاريخ، ١٦/ ٣/ ١٩٩٦م، موقع بينات، http://arabic.bayynat.org.

٣) مطهري، مرتضى، التربية والتعليم في الإسلام، ترجمة: أحمد القبانجي، ط/١، مطبعة شريعت، قم المقدسة، ١٣٨٥ش، ص٤٧.

٤) ينظر: مؤسسة البلاغ، المعالم الأساسية للمنهج التربوي في الإسلام، ط/٢، مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٦م، ص٢١-٢٢.

٥) العذاري، شهاب الدين، ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت(عليهم السلام)، ط/١، إصدار مركز الرسالة- قم المقدسة، ٢٠٠٣م، ص٥.

٦) المعالم الأساسية للمنهج التربوي في الإسلام، مصدر سابق، ص ١١.

٧) الحيلة، محمد محمود، التصميم التعليمي نظرية وممارسة، ط/٦، دار المسيرة للطباعة والنشر،٢٠١٦م، ص١٩.

النظام التربوي للإمام الصادق (عليه السلام) :

إنَّ النظام التربوي من خلال الروايات الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) يتناغم مع الروح العامَّة لأُسس التربية الإسلاميَّة ؛ باعتبار وحدة المنبع الإلهي ، لأنَّ الفلسفة التربوية عند الإمام الصادق (عليه السلام) تهدف إلى تشكيل نظام تربوي رصين قائم على أُسس علميَّة ؛ ولأنَّ أغلب الفلسفات التربوية الوضعية تعتمد على أنظمة تربوية وفلسفية بشرية ، وعلى الرغم من تقدُّم وتطوُّر بعضها لكنَّها لا تستطيع أن تصمدَ أمام التحدِّيات التي تفرزها المجتمعات ، والمشكلات التي تظهر بين الحين والآخر ؛ لأنَّ التربية وأنظمتها كافَّة كلَّما كانت صحيحة تركت أثراً إيجابياً على تنشئة الفرد وعلى سلوكه وتصرفاته ، والعكس صحيح ، أي : كلَّما كانت التربية ليست بالمستوى المطلوب تركت أثراً سلبياً على تكوين الفرد [1] . وكلُّ ما صدر عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، من توجيهات تربويَّة ، كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم والسنَّة النبويَّة الشريفة ، وبالدور الذي أُوكل إليه كإمام معصوم . ويتجلَّى ذلك عند استقراء توجيهاته (عليه السلام) والتي سيعرضها الباحث ، من خلال نظرته للفرد والمجتمع ، وتأكيده على أنَّ البناء الاجتماعي الصحيح يتكوَّن من النهوض بتربية الفرد وتعليمه القِيَم والأنظمة الصحيحة ، التي حوت كلَّ النُّظُم المتناهية التنظيم وعلى جميع أصعدة طبقات المجتمع [2] .

كما أنَّ تربية الفرد والمجتمع في منظور الإمام الصادق (عليه السلام) يجب أن تأخذَ مبدأ الوسطية والاعتدال ، وعدم الاهتمام بجانب على حساب الجوانب الأُخرى ؛ لأنَّ سعادة الفرد لا تتحقق من جهة واحدة ، فحاجاته متنوِّعة ، ويجب أن تراعى كلُّها ، ويُوازَن بين الحاجات البيولوجية والسيكولوجية والعقلية والاجتماعية ، وإنَّ غياب الرؤية الصحيحة لاستقراء السلوك الإنساني ، وكيفيَّة بناء الشخصية المتَّزنة بجوانبها المختلفة ، أدَّى بأصحاب الفكر التربوي إلى البحث عن الأساليب الصحيحة في بناء الفرد والمجتمع ، وتربيتهما على أُسس ذات أثر عميق تواكب التغيرات الحاصلة في الفكر والسلوك ؛ لذا نسمع صيحات من علماء التربية والتعليم ومنظِّري فلسفتهما ، يدعون إلى إعادة النظر في الفلسفات التربوية القائمة اليوم ؛ لأنَّها لم تَعُد قادرة على أن تبني الأُسس الصحيحة في التربية والتعليم ، أو لعجز بعضها أو أغلبها عن مواجهة

---

١) الموسوي، نجم، النُّظُم التّربوية عند الإمام الصادق عليه السلام (رؤية تحليليّة)، مجلة الإصلاح الحسيني، تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، العدد الثامن، السنة الثانية، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٢٨٦.

٢) المصدر نفسه، ص٢٨٦– ٢٨٧.

المشكلات القائمة في سلوك الفرد والمجتمع ، وإنَّ هذه الفلسفات التربوية الوضعية لم تَعُد قادرة على بناء الإنسان بشكل متوازن يُحقِّق تفاعل الروح والجسد ويُنمِّي العقل [١] . وكما هو معلوم ، فإنَّ فلسفة التربية في الإسلام توازن بين طلب الدنيا وطلب الآخرة ، فلا تمنع الإنسان من التمتُّع بالطيِّبات الدنيوية كالمأكل والمشرب والملبس والإشباع العاطفي والجنسي ؛ لأنَّ الحرمان يولِّد القلق والاضطراب ، وهي في الوقت نفسه توجِّه الإنسان بالالتزام بالأوامر والنواهي الإلهية ، فلا يطغى طلب الدنيا على طلب الآخرة بالانغماس بالطيِّبات دون قيود ، ولا يطغى طلب الآخرة على الدنيا بحرمان الإنسان من متعه المشروعة [٢] .

واليوم إذ أفرزت الحضارة الماديَّة أبشع صور الفساد الاجتماعي ، وأقسى مراتب الاستبداد السياسي ممَّا لا عهد للإنسان به منذ أقدم العصور ، ورغم ما تتبجَّح به الدول الكبرى من بلوغها درجة قياسية في التكنولوجيا ، فإنَّ المفاهيم الحضارية والمادِّية الماسكة بزمام الأُمور ، والتي تقف وراء هذا التقدُّم العلمي ، هبطت إلى درجة من الانحطاط والتأخُّر ؛ لأنَّها تعاملت مع الإنسان بتصوُّر مادِّي هبط به إلى أدنى مستويات الفشل الاجتماعي ، ولا زال المتخصِّصون في شؤون التربية يبذلون جهوداً كبيرة للوصول إلى منهج تربوي قادر على تربية الإنسان والمجتمع على أُسس سليمة صالحة ، إلَّا أنَّها لم تتَّفق على نقاط مشتركة يمكنها أن تكونَ ميزاناً ومعياراً للجميع ؛ لاختلاف العلماء والباحثين في متبنَّياتهم الفكرية ، ولاختلافهم في معرفة القوى المؤثِّرة في حركة الكون والحياة والمجتمع والتأريخ [٣] .

من هنا جاءت أهمية هذا البحث ؛ في طرح رؤية تربويَّة جديدة تأخذُ معطياتها من الأفكار التي أكَّدتها الرسالة السماوية السمحاء ، وتصدَّى لها الثقل الثاني الذي تركه الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) ، وهم آل البيت (عليهم السلام) ، بأحد شخصياتها البارزين وهو الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الذي رسم معالم العملية التربوية ، من أجل إحياء الإنسان وتصحيح علاقته بالوجود ، سواء على نطاق السماء ، أو على نطاق الأرض .

المبحث الثاني : مجالات تربية الإنسان في فكر الإمام الصادق (عليه السلام) :

---

١) المصدر نفسه، ص٢٨٧.

٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

٣) المصدر السابق، ص ٢٨٨- ٢٨٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

عندما نراجع تراث الإمام الصادق(عليه السلام) ، نجد أنَّ الحضور الإنساني واضحاً وجلياً فيه ، حيث سعى في تكوين شخصيَّة الإنسان بجميع جوانبها الجسديَّة والنفسيَّة والروحيَّة ، ويمكن عرض ذلك من خلال مجالات متعدِّدة [١] :

أولاً : في مجال الوراثة :

حيث دلَّت جملة من الروايات أنَّ الإنسان يرث الخصائص والصفات الجسمية من آبائه وأجداده ، فورد عن الإمام قوله : " أنَّ الله تعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه وبين أبيه إلى آدم ، ثم خلقه على صورة أحدهم، فلا يقولنَّ أحدٌ هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي "[٢] . وقد أثبت العلم الحديث هذه الحقيقة أيضاً ، " بأنَّ نصف الوراثة من الأبوين ، وربعها من الجدود ، وثمنها من آباء الجدود ، وهكذا "[٣] . فالوراثة تؤثِّر في تحديد خصائص وصفات الفرد ، سواء كانت جسمية كالطول أو اللون ، أو عقلية كالذكاء أو البلادة ، أو غيرها من الصفات [٤] .

ثانياً : في مجال البيئة :

حيث تشترك البيئة مع الوراثة في البناء التربوي للإنسان ، وتلعب دوراً مهماً في صياغة شخصيته ، ومدى تكييفها مع الواقع الاجتماعي ، وذلك من خلال ما يلي :

– الأسرة ، حيث لها الدور الكبير في تحديد مقوِّمات الشخصية الإنسانية : الفكرية والعاطفية والنفسية ، وينعكس التعامل مع الأبناء على اتِّزانهم النفسي والانفعالي ، لذا يختلف هذا الوضع من فردٍ لآخر في أسرة واحدة أو متعدِّدة ، تبعاً لنوع المعاملة معه من حيث الرعاية أو الإهمال [٥] ، وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق في الاهتمام بالأسرة [٦] .

---

١) ينظر تفصيلاً: الموسوي، ضياء، الفكر التربوي عند الإمام جعفر الصادق(عليه السلام)، أطروحة مقدمة إلى مجلس جامعة سانت آلمنس كجزء من متطلبات درجة دكتوراه في فلسفة التربية الإسلامية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي القمي(٣٨١هـ/٩٩١م)، علل الشرائع،(د.ط)، المكتبة الحيدرية– النجف الأشرف، ١٩٦٦م، ص ١٠٣.

٣) عاقل، فاخر، علم النفس التربوي، ط/١، دار العلم للملايين– بيروت، ١٩٨٥م، ص٣٩.

٤) دويدار، عبد الفتاح، سيكولوجية النمو والارتقاء، ط/١، دار النهضة العربية– بيروت، ١٩٩٣م، ص٨١.

٥) الدر، إبراهيم، الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، ط/١، الدار العربية للعلوم– بيروت، ١٩٩٤م، ص١٧١.

٦) الطبرسي، الفضل بن الحسن(٥٤٨هـ/١١٥٤م)، مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضي– النجف الأشرف، ١٤١٠هـ، ص٣٠٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

– الأصدقاء والأصحاب : حيث تنعكس آراؤهم ومشاعرهم وممارستهم على مقوّمات شخصية الإنسان عن طريق الاحتكاك والتلقين والاستهواء ، التي تُهَيء العقول للتلقي ، والقلوب للاستجابة ، فقد ورد عن الإمام : " أنَّ مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح "[١] ، و قوله أيضاً : " جالسوا أهل المروَّات ، فإنَّهم لا يرفثون في مجالسهم " [٢] .

– المجالس وحلقات الذكر : فلها آثار ملموسة على الإنسان أيضاً ، تأثُّراً بالجماعة التي تتألف منها المجالس وحلقات الذكر ، حيث تخلق أجواء تربوية فكرية سلوكية ، تؤثِّر تدريجياً في المشاركين فيها ، كما ورد عن الإمام قوله : " تزاوروا فإنَّ في زيارتكم إحياءٌ لقلوبكم ، وذكر لأحاديثنا "[٣] .

– المساجد : وهي من الأماكن والأجواء الإيمانية الروحية التي تسهم في تربية الإنسان ، وإحياء روحه ، وإصلاحه وتغييره ، فهي بتعبيره (عليه السلام) : " رحمةٌ منتظرة ، فيها تركٌ للذنوب ، وحياةٌ للقلوب "[٤] .

– العلماء : حيث لهم قدسية خاصَّة ، يؤثِّرون عن طريقها في الأفكار والعواطف والإرادات الإنسانية ، وهم ليسوا مجرَّد وُعَّاظ ومعلِّمين لطقوس دينية أو فروض منطقية ، إنَّما هم قادة روحانيين يتحملون مسؤولية الهداية والصلاح ، وبتعبير الإمام " يقتدى بهم ، وترفق أعمالهم ، وتقتبس آثارهم "[٥] ، وبتعبيرٍ آخر " أنَّ كلامهم دواء"[٦] .

– الدولة : فإنَّ أخلاق الحاكم وأفكاره تنعكس على الناس خيراً أو شراً ، وهذا ما أشار إليه الإمام بقوله : " ثلاثة تجب على السلطان للخاصَّة والعامَّة ، مكافاة المحسن بالإحسان ليزدادوا رغبةً فيه ، وتغمُّد ذنوب السيئ ليتوبَ ويَرجِعَ عن غيّه ، وتآلفهم بالإحسانِ والإنصاف "[٧] .

ثالثاً : في مجال الغرائز :

---

١) الأربلي ، كشف الغمة في معرفة الائمة، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٩.

٢() الحراني، أبو محمد ابن شعبه الحسن بن علي(القرن الرابع الهجري)، تحف العقول، تحقيق: علي اكبر الغفاري، ط/١، مؤسسة النشر الإسلامي– إيران ، ١٤٠٤هـ، ص٢٠٥.

٣() الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٦.

٤() الحراني، تحف العقول، مصدر سابق، ص١٦٦.

٥) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق،ج١، ص١٦٦.

٦) المصدر نفسه، ج١ ، ص ١٦٥.

٧) الحراني، تحف العقول، مصدر سابق، ص٢٣٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

حيث تتفاعل الغرائز في مشاعر الإنسان ، فقد تتحكَّم بإرادته ، ويكون منسجماً معها ، فمن العقل تتفرَّع غريزة التديُّن والتكامل ، وغريزة الأمن والاستقرار ، ومن الشهوة تتفرَّع غريزة الجوع والجنس وغيرها من الغرائز ، لذلك ورد عن الإمام : " أنَّ أوَّلَ ما عُصِيَ اللهُ به ستَّةَ أشياء ، حبُّ الدُنيا، وحُبُّ الرئاسة ، وحبُّ الطعام ، وحبُّ النوم ، وحبُّ الراحة ، وحبُّ النساء "[١] . لذلك قد نصح بقوله : " لا تدع النَّفسَ وهواها ، فإنَّ هواها رداها ، وتركُ النَّفسِ وما تهوى أذاها ، وكفُّ النَّفسِ عمَّا تهوى دواها "[٢] .

رابعاً : في مجال الاخلاق :

وهو أشرف العلوم ، ومُرشِد النفوس إلى الفاضل من الصفات والأعمال ، فيذكر الإمام : " أنَّ نفسَكَ رهينةٌ بعملك"[٣] ، " وأنَّ الإيمانَ أفضلُ من الإسلام ، وأنَّ اليقينَ أفضلُ من الإيمان ، وما من شيءٍ أعزُّ من اليقين"[٤]. " وأنَّ السعادةَ سببٌ خيِّر يتمسَّكُ به السعيد فيجرُّهُ إلى النجاة "[٥] ، " وأنَّ أحسنَ من الصدقِ قائِلُه ، وخيرٌ من الخيرِ فاعِلُه "[٦] .

خامساً : دور القيم المعنوية :

ولها مجالات كثيرة منها :

– الإيمان بالله تعالى : وهو من أهم القيم التي لها تأثيرٌ كبير في شخصية الإنسان ، لأنَّ " انعدام الشعور الديني يسبِّبُ كثيراً من مشاعر القلق والخوف من المستقبل ، والشعور بعدم الأمان ، والنزوع نحو النزعات المادية البحتة ، كما يؤدِّي إلى فقدان الشعور بمعنى ومغزى الحياة ، ويؤدِّي ذلك إلى الشعور بالضياع "[٧] . وأنَّ " البشرية لا تستريح حتى يتجرَّد الإنسان من من عوائقه ونزعاته ، ولا يكون التجرُّد إلَّا إذا ارتبط بالله تعالى "[٨] . فالإيمان له آثارُهُ في جميع مقوِّمات الإنسان النفسية ، والعقلية ، والخلقية ، كما هو التزام واستشعار للرقابة الإلهية ، لذا قال رجلٌ للإمام الصادق : أوصني ، فقال له : " لا يراكَ اللهُ حيثُ نهاك ، ولا يفقِدُكَ حيثُ أمرك ،

---

١) المصدر نفسه، ص ٢٠٩ .
٢) الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج٢ ، ص٣٣٦.
٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٣١.
٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣١.
٥) الحراني، تحف العقول ، مصدر سابق، ص ٨٩.
٦) الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج٣ ، ص١٥١.
٧) العيسوي، عبد الرحمن، دراسات في تفسير السلوك الإنساني، دار الراتب الجامعية– بيروت، ١٤١٩هـ، ص١٣٩.
٨) المبارك، محمد، نحو إنسانية سعيدة، ط/١، دار الفكر– بيروت، ١٣٨٩هـ، ص ١٣٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

فقال الرجل : زدني ، فقال(عليه السلام): ما أجدكَ مُزيدَاً ، فقال له : خفْ اللهَ كأنَّكَ تراه ، وإنْ كنت لا تراه فإنَّه يراك "[١] .

– الإيمان بالثواب والعقاب : باعتبار أنَّ الحياة الأخرى هي بمثابة حافز على إصلاح النفس والضمير ، وحافز للتسامي والارتقاء في جميع مقوِّمات الشخصية الإنسانية ، فضلاً عن آثارها الدنيوية أيضاً ، فقد وردت عدَّة روايات عن الإمام الصادق (عليه السلام) حول السنن المرتبطة بالثواب والعقاب ، كقوله: " صلة الأرحام تزكِّي الأعمال ، وتنمِّي الأموال ، وتدفع البلوى ، وتيسِّر الحساب " وقوله : " ما من نكبة تصيب العبد إلَّا بذنب " و " أنَّ الذنبَ يَحرِمُ الرزقَ "[٢] .

– ذكر الله تعالى : فإنَّ ذكر الله اطمئنانٌ للقلوب ، ويحقِّق التوازن النفسي والانفعالي داخل النفس الإنسانية ، وهو أحد أعمدة الصحة النفسية ، التي تساهم مساهمة فعَّالة في ارتقاء الإنسان سلَّم الكمال والمسيرة الصالحة .

– ذكر الموت : حيث له دورٌ مهمٌ في ضبط النفس الإنسانية والردع عن عمل القبيح ، فقد ورد عن الإمام الصادق قوله : " ذِكْر الموت يُمِيتُ الشهوات في النفس ، ويقطعْ منابت الغفلة ، ويقوِّي القلب بمواعد الله ، ويَرِقُّ الطبع ، ويكسر أعلام الهوى ، ويُطفِي نار الحصر ، ويحقِّر الدنيا "[٣] .

– الاعتراف بالذنب : فله دورٌ كبير في تهذيب النفس وإصلاحها ، وتشخيص أسباب القلق والاضطراب النفسي ، وأنَّ الاستغفار للذنب يسهم في اجتثاث آثاره السلبية على القلب والإرادة ، لذا يقول الإمام : " لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار "[٤] ، وقوله أيضاً : " من أذنب من المؤمنين ذنباً ، أجَّل من غدوة إلى الليل، فإن استغفر لم يكتب له " و" إذا أكثر العبد من الاستغفار ، رُفِعَت صحيفته وهي تتلألأ "[٥] .

– التوبة : وهي باب من أبواب الهداية والإصلاح ، يرجع فيها الإنسان إلى الرحمة الإلهية ، والطمأنينة القلبية ، فلا عقد نفسية ، ولا حجب ظلمانية ، ولا ضبابية في السلوك والاستقامة ،

---

١) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق ، ج٧٦، ص٢٥٥.

٢) الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج٢ ، ص٢٧١ ، و ص ٢٦٩ .

٣) الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى(١٠٩١هـ/١٦٨٠م)، المحجة البيضاء، (د.ط)، قم المقدسة، ج٨، ص٢٤٢.

٤) المصدر السابق، ج٧، ص ٥٨.

٥) الطبرسي، مكارم الأخلاق، مصدر سابق، ص٣١٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وبدونها يعيش الإنسان القلق والاضطراب الروحي ، لذلك فالتوبة لها آثارها الإيجابية على قلب الإنسان ، كما قال الإمام : " إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكته سوداء ، فإن تاب انمحت ، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه ، فلا يفلح بعدها أبداً "[١] .

وهذه المجالات التي تقدَّم الحديث عنها ، مرتبطةٌ بنظام منهجي أسَّسه الإمام الصادق (عليه السلام) في نظرته للوجود ، وللمعرفة ، وللطبيعة الإنسانية ، وأن الأهداف التربوية العامة والخاصّة قائمة على هذه الثلاثية :

أولاً : الوجود : حيث أنَّ الإسلام جعل الله تعالى غاية الوجود ، وأن كل شيء في هذا الوجود آية تنطلق بقدرته وحكمته ورحمته ، وجعل الإمام الصادق (عليه السلام) الإيمان بالله والمعرفة به منطلقاً لسلوكيات الإنسان ، كتنزيه الله تعالى عن كلِّ شيء " فلا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعمائه العادُّون ، ولا يؤدِّي حقَّهُ المجتهدون"[٢] ، وأنَّ أحوال الخلق من إنسان وفلك وحيوانات ونباتات كلها تدلُّ على وجوده ، " فإنَّ اللهَ تعالى خلق العالم وألَّفَ أجزاءه ، ونظَّمها على ما هي ، فالعالم كالبيت فيه جميع ما يحتاج إليه عباده ، والإنسان كالملك لهذا البيت [٣] . وأنَّ كمال المعرفة بالله تعالى هي الانتهاء عمَّا نهى عنه ، حيث يقول الإمام : " فيما ناجى الله عزَّ وجل به موسى : ما تقرَّب إليَّ المقرَّبون بمثل الورع عن محارمي"[٤] . كما أنَّ كلَّ صفات الله تعالى لا يمكن أن يحيط بها أحد ، وبتعبير الإمام " فوق المثال بما لا نهاية " و" الأوهام تقتصر عن إدراكه " و" وتروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك ما دونه "[٥] .

إضافة لذلك أنَّ نظرة الإمام الصادق عليه السلام للكون الذي هو أحد أجزاء الوجود ، نظرة معرفية منطلقة من الرُّوح القرآني ، الذي يدعو إلى التأمُّل في الوجود ، والمتمعِّن برسالة التوحيد إلى تلميذه المفضل بن عمر الجعفي ، يلاحظ عدَّة أمور [٦] :

- أنَّ الإمام يقول بالطبيعة الخيِّرة ، وأنَّها خالية من أيِّ شر .

---

١) الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤٩ .

٢) الإمام جعفر الصادق، رسالة التوحيد ملحقة بكتاب عبد القادر محمود، الإمام جعفر الصادق رائد السنة والشيعة، (د.ط)، إصدارات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب– القاهرة، (د.ت)، ص٢٢٤.

٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤.

٤) ينظر: فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والتربية، تعريب: فاضل الميلاني، ط/٣، مؤسسة الأعلمي– بيروت، (د.ت)، ج١، ص١٢.

٥) الإمام جعفر الصادق، رسالة التوحيد، مصدر سابق، ص٢٤٩.

٦) المصدر السابق، ص٢٤٠ – ٢٤٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

- أنّ الإمام يتناول أتِّساع الفلك ، واختلاف طبائع النجوم ، وطبائع القمر .
- أنَّ اختلاف حركة الشمس ، وحركة الأرض ، وتولُّد الفصول الأربعة وطبائعها ، كلُّها تصبُّ في مصلحة الإنسان ونفعه .
- أنَّ الأرضَ وما عليها من سعة ، إنَّما هُيِّئَت لتكون مستقرَّاً للأشياء ، فيتمكن الإنسان من السعي إليها .
- أنَّ كثرة الماء وتدفُّقَه في العيون والأودية فيه فائدة للإنسان والحيوان والنبات .
- أنَّ الجبال أوتاد الأرض ، منها تنبع المياه ، وفيها فائدة للثمار .
- أنَّ الكون وما فيه خُلِقَ لنفع الإنسان ، فلا يوجد هناك شيء خسيس ، فربَّما كان الخسيس في سوق المكتسب نفسياً في سوق العلم ، فليس هناك شيء رفيعٌ وشيءٌ خسيس .
- أنَّ الترابَ والحديد وكلَّ أجزاء الطبيعة وُجِدَت لتوفير حاجات الإنسان ، لذا فهو مكلَّف بتحصيل الانتفاع بها .

لذلك نجد أنَّ نظرة الإمام إلى الوجود والكون قد أستفاد منها حتى علماء الطبيعة في تكوين نظرياتهم ، كما تمثَّل ذلك في تلميذه جابر بن حيان ، الذي أخذ عن الإمام علمه ، وأخذ " طبائع الأشياء ، وخواص المعادن ، ومزج الأشياء ببعضها "[١] .

ثانياً : المعرفة : حيث رسم الإمام الصادق (عليه السلام) طريقاً منهجياً للمعرفة ، والمبني على أُسس أربعة[٢] :

١- النظر إلى الشيء أموجودٌ هو أو غير موجود ؟ .

٢- معرفة ماهيَّة الشيء في ذاته .

٣- معرفة كيف هو وما صنعته ؟ .

٤- معرفة لماذا ؟ ولأيِّ علَّة نشأ ؟ .

هذه هي أهداف المعرفة عند الإمام الصادق ، أمَّا أدواتها فهي : الحس ، والعقل ، والحدس ، لذا يقول الإمام في رسالته : " وأعلم يا مفضَّل أنَّ أعجب من هؤلاء المُعطِّلة الذين راموا أن يُدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل ؟ لأنَّه فوق مرتبة العقل ، كما لا يدرك بالبصر ما هو فوق مرتبته ، فإنَّك لو رأيت حجراً يرتفع في الهواء ، علمت أنَّ رامياً رمى به ، فليس هذا العلم من قبل البصر ، بل من قبل العقل ، لأنَّ العقل هو الذي يُميِّز ، فيعلم أنَّ الحجر لم يذهب علواً من

---

١) أبو زهرة، محمد، الإمام الصادق حياته وعصره آراؤه وفقهه، مصدر سابق، ج٢، ص٥١١.

٢) جعفر الصادق، رسالة التوحيد، مصدر سابق، ص ٢٤٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

تلقاء نفسه ، أفلا ترى كيف وقف البصر عند حدِّه فلم يجاوزه ؟ كذلك العقل يقف عند حد من معرفة الخالق ، فلا يعدوه ولكن يعقله بعقلٍ أقوى ، فإنَّ فيه نفساً ولم يعاينها ولم يدركها بحاسة من الحواس"[١] . وهذا النص يؤكِّد أنَّ العقل قد يعجز عن إدراك الحقائق التي فوقه ، وهذا ليس طريقاً لإنكار المعرفة ، بل يُعَدُّ سبيلاً ودليلاً للإثبات أيضاً ، وقصور العقل عن معرفة نفسه دليلٌ على ضعفه ومحدودية معرفته ، ويمكن أن نستنتج من ذلك عدَّة أمور ، أهمُّها [٢] :

- أنَّ الله تعالى خالق العالم وما فيه ومن فيه ، دبَّره ونظَّمهُ وأحكمه .
- أنَّ صفات الله تعالى هي صفات كمال لا صفات إحاطة ، وليس للعقل طريقاً في إحاطتها .
- أنَّ الدليل على وجوده تعالى دليل عقلاني علمي ، وأنَّ معرفته واجبة ، وهي أول طريق الدين وكمال معرفته .
- الطريق إلى معرفة الله تعالى ، من خلال إبداعاته وتمام صنعه ، وتدبيره ورعايته للوجود .
- أنَّ الإيمان بالله تعالى والتعرُّف إليه ليس كلام فقط ، بل هو سلوك وتقوى ، وتجنُّب الذنوب ، والتمسُّك بما يحب الله تعالى ، وشكره واستغفاره ، وهذا معناه : أنَّ التربية لا تكون تربية عقلية نظرية ، بل هي تربية سلوكية قائمة على العقيدة .

ثالثاً : الطبيعة الإنسانية : تناول الإمام الصادق (عليه السلام) بعضاً من أمور الطبيعة الإنسانية ، منها :

- الجسم : حيث يقول الإمام عنه : " لقد دبَّره الله جنيناً ، وهو محجوب في ظلماتٍ ثلاث ، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ، ولا دفع أذى ولا استجلاب منفعة ، ولا دفع مضرة ، ويُجرِي الله له من دم أمِّه ما يغذوه كما يغذو الماء النبات ، حتى إذا كَمُلَ خلقه ، واستحكم بدنه يُولَد ، ثمَّ يتغذَّى من ثدي أمِّه لبناً موافقاً له ، ولا يزال كذلك حتى إذا تحرَّك واحتاج للغذاء الصلب ، طلعت أسنانه وأضراسه ليمضغ الطعام ، فيلين عليه ، ويسهل استساغه ، فلا يزال كذلك حتى يدرك "[٣] ، ثم يقول في موضعٍ آخر " فالجوع يقتضي الطعام الذي به حياة البدن والنصب ، يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن ، ولو كان الإنسان إنَّما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة

---

١) الإمام جعفر الصادق، رسالة التوحيد، مصدر سابق، ص٢٤٨.
٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٨ – ٢٥٠.
٣) المصدر نفسه، ص٢٢٦– ٢٢٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

بدنه إليه ، ولم يجد من طباعه شيئاً يضطرُّه إلى ذلك ، كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالثقل والكسل ، حتى ينحلَّ بدنُه فيهلك ، وكذلك إنَّما يصير إلى النوم بالتفكير في حاجته إلى راحة البدن ، كان عسى أن يتثاقل عن ذلك فيدفعه حتى ينهد بدنه "[١] . وهذا النص يؤكِّد مدى علم الإمام بوظائف الجسم الإنساني ، الخاضع لعمليات النمو المتوالية ، التي تبدأ منذُ أن يكونَ جنيناً إلى أن يهرم ، وأنَّ كلَّ عضوٍ فيه مُعَد لأداء وظيفة معيَّنة .

– الفطرة، حيث يرى الإمام أنَّ الإنسانَ مفطورٌ على التوحيد ، " حتى يبيّن لهم ويعرِّفَهم ما يُرضِي الله وما يُسخِطَه "[٢] ، " وأنَّ اللهَ تعالى لا يهدي إلى الكفر "[٣] .

– الفروق الفردية ، حيث يرى الإمام أنَّ هناك فروق فردية قائمة بين الناس ، من أجل التباين في الصنائع ، وتحقيق المنفعة ، فاختلافهم لعلَّه ، وفروقهم لغاية ، فهو يقول : " لا يكاد إثنان منهم يجتمعان في صنعة واحدة ، وعلى ذلك أنَّ الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعبائهم لما يجري بينهم من المعاملات ، وهذا ليس يحدث في الطير والوحش ، والتشابه به لا يضير الحيوان وليس الإنسان " [٤] .

– الوراثة والبيئة : أما الوراثة فقد ورد عنه (عليه السلام) : " وتجب على والده ثلاث خصال : اختيار لوالدته ، وتحسينه اسمه ، والمبالغة في تأديبه "[٥]. وأمَّا البيئة ، فقد نهى الإمام عن تزويج شارب الخمر[٦] ، ونهى عن تزويج المرأة الزانية ما لم تتب [٧] ، ونصح بزيارة الأخيار وتجنُّب الفجَّار [٨] ، كذلك نصح بعدم مخالطة خمسة أشخاص " الأحمق فإنَّهُ يريد أن ينفعكَ فيضرَّك ، والكذَّاب فإنَّ كلامَهُ كالسراب يقرِّب منك البعيد ، ويباعد منك القريب ، والفاسق فإنَّهُ يبيعك بأكله أو شربه ، والبخيل فإنَّه يخذلك فيما تكون أحوج إليه ، والجبان فإنَّه يسلِّمُكَ ويتسلَّم الدية "[٩] .

---

١) المصدر السابق، ص٢٢٧.
٢) فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والتربية، مصدر سابق، ص٣.
٣) الإمام الصادق، رسالة التوحيد، مصدر سابق، ص٥١.
٤) المصدر نفسه، ص٢٣٢.
٥) فلسفي، محمد تقي، المصدر السابق، ج٢، ص٩٠.
٦) المصدر نفسه، ج١، ص٩٠.
٧) المصدر نفسه، ج١، ص١٢٦.
٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦ ، ص٢٦٣.
٩) اليعقوبي، التاريخ، مصدر سابق، ج٢، ص٣٨٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

– البلاء والابتلاء : وهي سنَّة كونية لتمحيص الإنسان ، ومعرفة خيره من شرّهِ ، وشكره من صبره ، حيث يقول الإمام : " إذا قطعت الريح شجرة أو نخلة أخذها الصانع الرفيق ، واستعملها في ضروب من المنافع ، كذلك يفعل المدبِّر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم فيصيّرها جمعيها إلى الخيرة والمنفعة "[١] .

– القوى المعنوية : وهي ضرورة من ضرورات الشخصية الإنسانية ، بحيث إذا فقد إحداها أصبح ناقصاً ، وأهمُّها (الفكر والعقل) فالعقل له أهمية قصوى في معرفة الحقائق والأشياء ، وهو الأداة الأولى من أدوات المعرفة الإنسانية ، يخضع أيضاً لعمليات النمو والتدرُّج ، فالإنسان يولد بذهن ضعيف ، ومعرفة ناقصة ، ثم ينمو حتى يحكِّم العقل في أمورِ حياته ، حيث يقول الإمام : " يولد الإنسان ويكون ناقص العقل ، فهو يخرج إلى الدنيا غافلاً عمَّا فيه أهله ، فيلقى الأشياء بذهنٍ ضعيف ، ومعرفة ناقصة ، ثم لا يزال يتزيَّد في المعرفة قليلاً قليلاً ، وشيئاً بعد شيء ، وحالاً بعد حال ، حتى يؤلِّف الأشياء ويتمرَّن عليها ، فيخرج من حدِّ التأمُّل لها والحيرة فيها ، إلى التصرُّف والاضطراب في المعاش بعقله وحياته ، والاعتياد والطاعة ، والسهو والغفلة والمعصية "[٢] . كما أنَّ وظيفة هذه القوى المعنوية هي الفهم عن الله ، والفهم عن الإنسان ، وعليه ما فيه صلاح الدنيا والدِّين ، حيث يقول الإمام : " به يعرف الله تعالى ، وبه يتذكر النسيان ، وعن طريقه يسلو الإنسان عن مصائبه ، وينسي خبراته السيئة ، فيستطيع الاستمرار في حياته "[٣] .

الأهداف العامَّة والخاصَّة في تربية شخصية الإنسان :

بعد أن عُرِضَ الإطار الفكري للنظام التربوي الخاص في بناء شخصية الإنسان ، وفق منظور الإمام الصادق (عليه السلام) ، وجد الباحث أنَّ الإمام لم يغفل أيَّ جزءٍ من تصوُّرهِ عن الإنسان ، بل وضَّح دورَهُ في جميع مجالات الحياة ، لذلك يمكن من خلال ما تقدَّمَ بيان الأهداف العامَّة والخاصَّة المستوحاة من أقوال وكلمات الإمام (عليه السلام) ، التي منها :

– معرفة الله حقّ معرفته ، بالوقوف على ما أمر به ونهى عنه ، وما يترتَّب على ذلك من التزامٍ وإخلاص .

---

١) الإمام الصادق، رسالة التوحيد، مصدر سابق، ص٢٤٦.

٢) المصدر نفسه، ص٢٣٨.

٣) المصدر نفسه، ص٢٣١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

- التربية الخلقية والالتزام بمكارم الأخلاق ، وترجمتها في سلوك فعلي في حياة الإنسان ، إذ لا معنى للخلق بدون عمل .
- التربية العقلية ، وتدريب حواس الإنسان ، حتى تنمو نموًّا متدرِّجاً ، والانتقال من حالة الجهل إلى العلم .
- التربية البدنية ، وتدريب الجسم ، حتى ينموَ نموًّا متدرِّجاً، والانتقال إلى تمام الإدراك ، والحركة الفاعلة .
- التربية العملية ، وتدريب الإنسان في سبيل استثمار الأشياء استغلالاً يتوافق مع طبائعها ومع تحقيق مصلحته .
- التربية الشرعية ، وتدريب الإنسان على معرفة الأحكام الشرعية والالتزام بأوامرها .
- التربية الاجتماعية ، وتدريب الإنسان على العيش مع غيره ، المختلفين معه أو المتفقين .
- التربية على التعايش مع الابتلاء ، والتأدُّب بأدبِ الله تعالى معه .
- تنمية صفة الحياء فهي مفتاح كل خير ، وبتعبير الإمام " لولاه لم يقر ضيف ، ولم يوف بالعداة ، ولم تفضِ الحوائج ، ولم يتحرَّ الجميل ، ولم يتنكَّب القبيح في شيء ، حتى أنَّ كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنَّما يفعله الحياء ، فإنَّ من الناس لولا الحياء لم يرعَ حقَّ والديه ، ولم يصل ذا رحم ، ولم يؤدِّ أمانة ، ولم يَعِفْ عن فاحشة "[١] .
- تنمية الضمير، وهو الرادع الداخلي الذي يساعد الإنسان على اتِّخاذ السلوك والقرار الصالح والسليم في حياته ، فهو الواعظ الذي يردعه عن القبيح ويدفعه إلى عمل الحسن ، وهو الرقيب عليه في جميع الأحوال والظروف ، وبتعبير الإمام عن والده الباقر " من لم يجعل اللهَ له من نفسه واعظاً ، فإنَّ مواعظَ الناسِ لن تُغني عنه شيئاً "[٢] .
- تنمية إثارة الوجدان ، من خلال عدَّة سنن تؤثِّر في الوجدان الإنساني ، كسُنَّة صيانة عِرض الآخرين ، فقد ورد عن الإمام قوله " برُّوا أيَّامَكم ببرِّكم أبناؤكم ، وعُفُّوا عن نساءِ الناسِ تَعُفَّ عن نساءكم "[٣] .

---

١) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج٢، ص٢٥.
٢) الحراني، تحف العقول، مصدر سابق، ص٢١٤.
٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

- التقويم الذاتي ومحاسبة النفس ، حيث يُعَد عمل هام وضرورة نفسية اجتماعية في تنمية الذات الإنسانية ، ولها الأثر الكبير في تعيين سلوكه ، ومستوى طموحه ، لذلك فإنَّ معرفة النفس ومحاسبتها توجّه الإنسان نحو الصلاح ، وسوف ينشغل بعيوب نفسه ويترك عيوب الآخرين ، لذا ورد عن الإمام " أنَّ أنفع الأشياء للمرء سبقه الناس إلى عيب نفسه "[١] ، وكذلك قوله : " حقٌّ على كلِّ مسلمٍ يعرفُنا أن يَعرِضَ عملَهُ في كلِّ يوم وكلِّ ليلة على نفسه ، فيكونُ محاسبٌ نفسَه ، فإذا رأى حسنةً استزاد منها ، وإن رأى سيِّئةً استغفرَ منها لئلَّا يخزى يوم القيامة"[٢] .

- التقويم الاجتماعي ، وهي عملية موازنة الإنسان نفسه بغيره من أفراد المجتمع ، والتي من خلالها يتعرَّف الإنسان على نواحي القوة والضعف في نفسه وسلوكه ، كما ورد عن الإمام " أحبُّ أخواني إليَّ من أهدى إليَّ عيوبي"[٣] .

أساليب العملية التربوية :

استعمل الإمام الصادق (عليه السلام) في العملية التربوية لشخصية الإنسان ، عدَّة أساليب ، منها :

- القدوة ، حيث يُعَدُّ المربّي أكثرَ أفراد المجتمع للتشبُّه به ثم تقليده ثم الاقتداء به ؛ لأنَّهُ على علاقة متواصلة مع الناس والأفراد المراد تربيتهم ، سواء أكان والداً أم والده أم معلّماً أم عالم دين ، فقد ورد عن الإمام : " أنَّ العالِم إذا لم يعمل بعمله زلَّت موعظتُه عن القلوب كما يزِلُّ المطر عن الصفا "[٤]، وأنَّ " من لم ينسلخ عن هواجسِه ولم يتخلَّص من آفات نفسه وشهواتِها ، ولم يهزم الشيطان ، ولم يدخل في كنفِ اللهِ وأمانِ عصمَتِه ، لا يصلح له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأنَّهُ إذا لم يكن بهذه الصفة فكلَّما أظهرَ أمراً كان حجَّةً عليه ، ولا ينتفع الناسُ به " [٥]، وشبَّه الإمام المربّي باليقظان حيث ذكر : " أنَّ مثل الواعظ والمتَّعظ كاليقظان والراقد ، فمن استيقظ عن رقدته وغفلته ومخالفاته ومعاصيه ، صلُحَ أن يوقِظَ غيرَه من ذلك الرقاد "[٦] . وأكَّدَ الإمام على أن تكونَ القدوة الأولى هو الرسول وأهلُ بيته الأطهار [٧] .

---

١) المصدر نفسه، ص٢٧٣.
٢) المصدر نفسه، ص٢١١.
٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٣.
٤) الكليني ، الكافي، مصدر سابق، ج١، ص٤٤.
٥) النوري، ميرزا حسين الطبرسي، مستدرك الوسائل، (د.ط)، مؤسسة آل البيت- بيروت، (د.ت)، ج١٢، ص٢٠٣.
٦) المصدر نفسه، ج١٢، ص ٢٠٣.
٧) الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج٨، ص٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

– الإنصاف والإيثار ، فلهما دورٌ كبير في خلق الأجواء الروحية والنفسية لنمو حركة تربية الإنسان .

– أسلوب الخطابة ، وهو من أساليب التربية الشائعة ، وقد استخدمها الإمام في كثيرٍ من مواضع وجوده .

– القصص ، وهي بطبيعتها محبَّبة لدى الناس ، ومؤثِّرة فيهم ، وفاعلة في الذهن أكثر من غيرها ، وأسهلها للحفظ .

– الأمثال ، وهي إحدى وسائل التربية التي استعملها الإمام في طريق الهداية والصلاح ، إذ يذهب إلى : " أنَّ الدنيا كمثل البحر كلَّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله "[1] .

– العبرة والموعظة ، وهي إحدى وسائل التربية لتنوير العقل والقلب ، واستخلاص المفاهيم والقيم الكامنة وراء الأحداث .

– الحوار ، وهو من أفضل الوسائل في التربية والإصلاح ، وقد تميَّز به الإمام في حواره مع جميع البشر .

نستخلص ممَّا تقدَّم أنَّ منهج الإمام الصادق (عليه السلام) في تربية الإنسان تميَّز بعدَّةِ مميِّزات [2] :

١– ربانية المنهج : أي أنَّهُ منهجٌ ربَّاني موضوعٌ من قبل الله تعالى ، عن طريق نبيِّه الأكرم ، مروراً بأهلِ بيته .

٢– شمولية المنهج : أي يمتاز بالشمولية ؛ فهو يراعي الإنسان بجميع جوانب حياته ، وجميع مقوِّمات وجوده .

٣– واقعية المنهج : أي ينطلق من واقع الإنسان ، وخصائصه السلوكية المرتبطة بالمحيط الذي يعيشه الفرد .

٤– وسطية المنهج بين التوازن والاعتدال : فهو منهجٌ يضع لكل شيء حدوده وقيوده ، فلا يطغى جانب على آخر، ولا ناحية على أخرى ، فهو يراعي حاجات الإنسان ، الجسدية ، والروحية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، كما يراعيها من ناحية الذكر والأنثى ، والدنيا والأخرى . وأنَّ الدعوة إلى التوازن والاعتدال شاملة لجميع المرافق والميادين ، ومنها الميدان النفسي للإنسان ، فالتوازن فيه مطلوب ، بمختلف الظروف والأحوال المحيطة بالإنسان .

---

١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٦.

٢) ينظر: فلسفي، محمد تقي، الأفكار والرغبات بين الشيوخ والشباب، ط/١، مؤسسة الأعلمي– بيروت، ١٤١٥هـ، ج١، ص١٨٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٥- التداخل بين المنهج وبقية المناهج للحياة : حيث لا تصادم ولا تضاد ولا تناقض في فكر الإمام الصادق حول تداخل المناهج الأخرى مع منهجه التربوي ، ما دام الهدف الأساسي هو بناء الإنسان ، وإنجاح مسيرة التربية ، وإشاعة الأخلاق الفاضلة . كتدخُّل المنهج الاجتماعي ، والمنهج الاقتصادي ، والمنهج السياسي ، وبقية المناهج.

٦- أن الإنسان كان له حضور واسع في فكر الإمام الصادق (عليه السلام) من خلال :

- تعريف الإنسان بنفسه وعالمه .
- تعريف الإنسان بخالقه وثوابه وعقابه .
- تعريف الإنسان بالأنبياء والأئمة والأوصياء .
- تعريف الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقته الاجتماعية .
- تنمية العواطف الإنسانية ، وتحكيم القيم والمفاهيم الصالحة .
- تعريف الإنسان بشخصيته فكرياً وعاطفياً وسلوكياً ، وإعداده بصورة متوازنة .
- توظيف الطاقات في اتِّجاه الخير والصلاح والسمو والتكامل .
- تنمية روح الإخلاص عند الإنسان .
- مراعاة العواطف الإنسانية .
- تحكيم المفاهيم والقيم الصالحة في الواقع .

المبحث الثالث : إشكالية الحوار والتسامح[1] بين الفكر الحداثوي والفكر الصَّادقي :

واحدةٌ من إشكالية النزعة الإنسانية ، أنَّ العلاقة بين الدِّين والتسامح أصبحت ذات إشكالية ومحطَّ نظر عند الباحثين والمفكِّرين المعاصرين . ويمكن تلخيصها بالسؤال التالي : هل الدِّين يقود إلى التسامح أم إلى التعصُّب؟ فهناك من يرى أنَّ الدِّين هو سبب الانقسام في المجتمع ، ويؤدِّي دوماً إلى التوتُّر بين الناس ، بينما يرى آخرون أنَّ الدِّين ربما يكون قوة للخير . يحاول

---

١) التسامح مصطلح له معاني كثيرة منها هو عبارة عن " رؤية متفهمة أو متحررة فكرياً حيال العقائد والممارسات المغايرة أو المضادة، لعقائد الشخص المتسامح وممارساته". ينظر: مجموعة مؤلّفين، التسامح وجذور اللا تسامح ، ط/١، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد، ٢٠٠٥م، مليكان، مصطفى: مفهوم التسامح – اطلالة على الركائز النظرية، ص ٨١. كما هو "احتمال المرء بلا اعتراض كل اعتداء على حقوقه الدقيقة بالرغم من قدرته على دفعه، وأن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه وان كانت مضادة لأرائك. وأن يحترم المرء آراء غيره لاعتقاده إنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة. ينظر: صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ط/١، دار الكتاب اللبناني- بيروت، مكتبة المدرسة، ١٩٨٢م، ص٢٧١- ٢٧٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الباحث هنا كشف ارتباط التسامح بالتديُّن من خلال تناول تجربة الإمام الصادق(عليه السلام) ومقارنتها بالتجارب الفكرية والعملية للتسامح الغربي الحديث ، باعتباره آخر ما وصل إليه الفكر الإنساني في تجربته الطويلة [١] .

ومن المعلوم أنَّ فكرة التسامح هذه قد أُلصِقَت (نظرياً على الأقل) بما عُرف بعصر الأنوار في أوروبا . لكنَّ هذا المبدأ الإنساني ، للاستدراك والتوضيح ، لم يكُنْ من صنع أوروبا ، أو حِكراً عليها ، كما يتصوّر بعض الباحثين . نعم إنَّ فكرة التسامح بشكلها المعاصر أوروبيّة النشأة ؛ بسبب ارتباطها بالثورة على الدِّين ونزعتها العلمانية ، لكنَّ ذلك وحده لا ينفي قيام التسامح لدى الثقافات الأخرى ، كما أنَّ ذلك دليلٌ على اختلاف التجربة التاريخية التي نشأ في أحضانها التسامح ، بما يقود للقول إنَّ حاصل كل تجربة تاريخية ، ربَّما يقود إلى شكلٍ مختلف من العلاقة بين الدِّين والتسامح [٢] . فمثلاً هناك جذور لفكرة التسامح في الفكر الدِّيني المسيحي ، خصوصاً عندما يتم مراجعة عبارات ونصوص السيد المسيح (عليه السلام) ، الدَّاعية إلى مسامحة الأعداء ، وتحمُّل الأذى من أجلهم ، إلَّا أنَّ احترامه كقيمة أساسية لم يصبح واقعاً ملموساً وشائعاً إلَّا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وذلك مع تحوُّل التسامح المسيحي إلى أحضان العلمانية ، وأنَّ ظهور العلمانية الأوروبية كان مرتبطاً كليَّاً بظهور الفكر العقلاني في أوروبا . والذي كان أبرز سماته ، نزعة معاداة رجال الدِّين . وأنَّ هذه العقلانية قد ارتبطت بالطبقة الارستقراطية وبصفة اللا أخلاقية [٣] . وفي ظل تلك الظروف تشكَّلت طبقة المثقفين الأوربيين العلمانيين ، التي قامت على معاداة الدين . لذلك تبدو المبادئ العقلانية لفكرة التسامح الإنساني التي حمل لواءَها ممثلو هذا التيار ، على خصامٍ تام مع الدِّين [٤] . فأصبحت نزعة التسامح الإنسانية الأوروبية مبنيَّةً على معارضة الأديان باعتبارها عدمٌ للتسامح والكراهية ، وقد تحوَّل دعاة العقلانية من أحضان العقيدة الدِّينية المسيحية الخالصة إلى النزعة الربوبية ، ومن ثمَّ إلى عقيدة الدِّين الطبيعي الذي كان حاضنة للعلمانية . ونمت نزعة التسامح بشكل اطِّرادي مع ازدهار ما

---

١) ينظر: فؤاد كاظم جبر، جوهر التسامح ديني أم علماني؟! الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) مثالاً، مجلة ينابيع الألكترونية ، مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت. http://alhikmeh.org/yanabeemag/?p=6531.

٢) المصدر نفسه.

٣) ينظر تفصيلاً: علبي، عاطف، من الفكر الحر إلى العلمنة، ط/١، دار الطليعة– بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٥ وما بعدها.

٤) المصدر نفسه، ص٢٦.

سمّي بدِّين العقل . وفي حقيقة الأمر ، ما هو إلَّا نزعةٌ علمانية خالصة[١] . ويمثِّل خروجاً على روح البروتستانتية ، بقدر ما كان خروجاً على روح الكاثوليكية . فإذا كان قد وجد مكاناً له في البروتستانتية أكثر من الكاثوليكية ، فليس السبب أنَّ المذهب الأول كان أكثر تسامحاً في اختلاف الرأي من الثاني ، لكن لأنَّ الانقسامات بين البروتستانت جعلت التسامح أمراً ضرورياً [٢] .

وربَّما كان أفضل مثال على تلك المرحلة ما جاء في رسالة جون لوك ، المفكر الإنكليزي المشهور ، حول التسامح ، تلك الرسالة التي تُمثِّل أحد الأسس النظرية الكبرى في عقيدة التسامح المعاصرة في الغرب ، وقد شكَّلت صياغة نظرية راقية المستوى ، بل إنَّها مثَّلت فكراً جديداً على أوروبا المتعصِّبة في ذلك الوقت ، فقد كتب لوك : " ولكي نقول الحق ، وكما ينبغي لكلِّ إنسان مع آخر ، لا يجوز استبعاد وثني أو مسلم أو يهودي من الدولة بسبب دينه ، وإنَّ الإنجيلَ لا يأمر بشيء كهذا ، والكنيسة لا تحكم على من هو خارجها ، والدولة تقبل الناس بوصفهم ناساً طالما كانوا أمناء مسالمين ، مجتهدين "[٣] .

لكن على الرغم من هذا الرقيّ الأخلاقي لفكر لوك ، بما يجعله من روَّاد حركة التسامح في الفكر الإنساني ، فإنَّ معنى التسامح لديه بقي مُقيَّداً إلى حدٍّ بعيد بمَعايير سياسية واجتماعية متعدِّدة ، فعلى الصعيد السياسي مثلاً ، لم يتسامح لوك مع الكاثوليك ، بحجَّة أنَّهم كانوا يدينون بالولاء إلى غير إنجلترا ، كذلك استثنى كلَّاً من الملحدين ، على اعتبار أنَّه لا أمان لمن لا يؤمن بالله ، وأصحاب الآراء التي تتنافى مع المجتمع الإنساني ، أو مع القواعد الأخلاقية الضرورية للمجتمع المدني [٤] . كذلك كان لوك مدافعاً ولو بشكل جزئي عن الرِّق . أمَّا دفاعه عن الحرية ، فقد وُصِفَ بأنَّه دفاع عن الأثرياء من أبناء طبقته ومجتمعه المدني آنذاك[٥]. وظلَّ معيار التعامل الاجتماعي والسياسي والأخلاقي في أوروبا هو ما يمكن تسميته بـ(النظرة

---

١) ينظر: جون هرمان راندال، تكوين العقل الحديث، ترجمة وتحقيق: جورج طعمة – برهان دجاني، ط/١، المركز القومي للترجمة– بيروت، ٢٠١٣م، ج١، ص ٤٤٦.

٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٣٤– ٤٣٥.

٣) لوك، جون، رسالة في التسامح ، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مركز دراسات فلسفة الدين– بغداد، ٢٠٠٥م، ص١٢٠.

٤) المصدر نفسه، ص٥٨.

٥) ينظر: رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ترجمة وتحقيق: أحمد الشيباني، ط/٣، دار النفائس، ١٩٩٤م، ص١٣٢.

المركزية الدينية المسيحية) ، فالأفراد الآخرون غير المسيحيين ، كانوا يبدون مجرَّدين من الفضائل الأخلاقية ، لأنّهَم ببساطة ليسوا مسيحيين . لذلك بقيت النظرة إلى الأديان السماوية الأخرى أسيرة العادات والتقاليد المتوارثة ، فالمسلمون ، بحسب تلك العادات الفكرية المتوارثة ، لا يملكون أخلاقاً وهم ليسوا نظيفين ، بل إنَّ الإسلام نفسَه سيبقى مجرَّداً حتى وقتنا الحاضر ، من أيّ فضيلةٍ أخلاقية ، وقد شكَّلت بعض أفكار روسو وفولتير ، المتسامحة ، وقتها ، بخصوص الإسلام ، خرقاً واضحاً في سياج المنظومة الفكرية الأوروبية المتوارثة ، علماً أنَّ هذه الأفكار تبدو في المعيار المعاصر ، أبعد ما تكون عن التسامح أو الموضوعية [١] .

وهذه المقدِّمة التاريخية تجرُّنا إلى الفكرة الأهم التي يعتنقها الأوروبيون عامة ، وكثيرٌ من مفكِّري العالم الإسلامي ، وهي تتمحور حول مدى إمكانية جعل الدين متلائماً مع مبدأ التسامح ؟ وبلغة أخرى : أنَّه كلَّما ازداد إيمان المرء شدَّة ، يصبح تسامحه أقل مع كلِّ رأيً مخالفٍ لرأيِه ، فالمرءُ لا يتسامح مع الخطأ الفاضح [٢]. فالتسامح ، يُدين بالفضل الأكبر في نجاحه إلى تعصُّب المذهبيين ، الذين لم يستطع الاضطهاد بكلِّ أنواعِهِ أن يرغمهم على الارتداد عن مذاهبهم ، وهؤلاء كانوا بدورهم متعصِّبين . ولو قُدِّرَ لأيّ مذهبٍ من مذاهب البروتستانتية أن يستولي على السلطة ، لما كان أتباعه يتورَّعونَ عن اقترافِ كلّ ما هو بعيد عن التسامح . وهكذا عندما أمسى المجتمع يتألَّف من عددٍ من المذاهب الدينية المختلفة ، أصبح من الضرورة اختراع نظرية للدَّولة لتسمح لمختلف طوائفها بالتعايش معاً ، وتحول دون اقتتال الطوائف مع بعضها [٣] .

وهذا ما ذهب إليه المفكِّر الإيراني عبد الكريم سروش ، من خلال مقارنته بين المذاهب الفكرية المختلفة ، حيث يصل إلى استنتاج ، أنَّ الليبرالية أكثرُ وفاءً للنزعة الإنسانية من بقية المذاهب الأخرى . وأنَّ المجتمع الدِّيني والملتزم بشريعة خاصة لا يتلاءم بحالٍ من الأحوال مع أصول الليبرالية وفروعها ، وأنَّه لا يمكن للإنسان المتديّن أن يكونَ ليبرالياً [٤] ، إلَّا أنَّ هناك رأيٌ على الضِّد منه ، فلا يرى المفكِّر المصري الدكتور توفيق الطويل أي تلازم بين الإيمان والتعصُّب ، " فالإيمان لا يستلزم التعصُّب ولا يقتضي التزمُّت إلا عندَ من صَدِئَت قلوبُهم وأظلمَ

---

١) المصدر نفسه، ص١٣٣.

٢) المصدر نفسه، ص١٠٥.

٣) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

٤) سروش، عبد الكريم، الدين العلماني، ترجمة: أحمد القبانجي، ط/١، مؤسسة الانتشار العربي- بيروت، ٢٠١٠م، ص٨٥- ٨٦.

الجهلُ عُقولَهم ، وأكلت الإحن والأحقاد صدورَهم ؛ وإذا نزل الإيمان السمح بالقلب السليم ، ملأه صفاءً وبدَّل غيابتِه نوراً . فالتعصُّب يلازم الإيمان في العصور التي يعتريها الركود العقلي ، ويزايله حين يمحى الوجود باستنارة العقل ، إذ تتَّسع جوانب النفس وتصفو القلوب ، ويجتمع في المؤمن وحي القلب ومنطق العقل من غير أدنى تعارض . ومن هذا كلِّه نرى خطأ الزعم القائل : بأنَّ الإيمان لا يحتمل التسامح ، ولعلَّ الأصح أن يقال : أنَّ الإيمان والتسامح لا تربط بينهما علاقة تضاد أو تناقض تمنع اجتماعهما معاً ، إنَّما تقوم علاقة التضاد بين التعصُّب والتسامح ، واجتماع الضدَّين عند المناطقة محال "[١] . إلَّا أنَّ البعض يشترط لحصول التسامح في المجتمع الديني أن يصار إلى نقد التراث الديني من خلال اجتهادات جديدة ، من أجل استمرار حقوق الإنسان بمعناها المعاصر ، واستيعابها داخل ثقافتنا الدينية ، عندئذٍ يمكن لمجتمعنا الديني الانسجام مع التسامح ، وقبوله كمبدأ سياسي/ اجتماعي [٢] .

ومن الواضح ، أنَّ الذين يحاججون بكون المسيحية أكثرَ تسامحاً من الإسلام ، إنَّما يقيسون ذلك على أوروبا القرن التاسع عشر ، بأوضاع العالم الإسلامي في القرن العشرين . مع أنَّ هذه المقارنة غير صحيحة أصلاً ؛ لأنَّ هؤلاء الباحثين يجعلون فضيلة التسامح مسيحية ، أي أنَّها مرتبطة بالدِّين ، لكنَّ تاريخ التسامح الأوروبي ، يناقض ذلك تماماً . وهذه ليست المرة الأولى التي يُطرَح فيها مثلَ هذا التساؤل . ففي مطلع القرن العشرين ، كتب الشيخ محمد عبده ردَّاً على الكاتب فرح أنطون ، في فكرة ترابط التسامح بالمسيحية ، وارتباط الغلوّ والتطرُّف بالدين الإسلامي . فأورد الشيخ عبده أمثلةً تاريخيةً وكلاميةً مقارنة بين أصول المسيحية والإسلام ، كما استعرض أمثلةً من تسامح الإسلام [٣] . فأجاب عن السؤال التالي : متى ولع المسلمون بالتكفير والتفسيق ، ورمي زيد بأنَّهُ مبتدعٌ وعمرو بأنَّه زنديق ؟ أن ذلك بدأ فيهم عندما بدأ الضعف في الدِّين يظهر بينهم ، وأكلت الفتن أهلَ البصيرة من أهله ، تلك الفتن التي كان يُثيرُها أعداءُ الدِّين في الشرق والغرب لخفض سلطانه وتوهين أركانه . وتصدَّر القول في الدِّين برأيهِ مَن لم تمتزج روحُهُ بروحِ الدِّين ، وأخذ المسلمون يظنُّونَ أنَّ مِنَ البدع في الدِّين ما يُحسِن إحداثه لتعظيم شأنه ، تقليداً لمن كان بين أيديهم من الأمم المسيحية وغيرها ، وتولَّى شؤون المسلمين جهَّالهم ،

---

١) الطويل، توفيق، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ط/١، الزهراء للإعلام العربي– القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٨.

٢) ينظر: شبستري، محمد مجتهد، بحث اشكالية التسامح، ص٩٠، في كتاب التسامح وجذور اللا تسامح ، مصدر سابق.

٣) ينظر: محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، تحقيق: محمد عماره ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت، ١٩٧٢م .

وقاموا في إضلالهم ، فقد حدث الغلوّ في الدين ، واستعرت نيران العداوات بين النظَّار فيه ، وسهُلَ على كلٍّ منهم ، لجهله بدينه ، أن يرميَ الآخر بالمروق من الدِّين لأدنى سبب ، وكلَّما ازدادوا جهلاً بدينهم ازدادوا غلوّاً فيه بالباطل"[١] .

أمَّا مثال الإمام جعفر بن محمد الصَّادق (عليه السلام) الذي نتناوله في بحثنا هذا يدحض الزعم القائل : إنَّ الدِّينَ مرتبطٌ بالتعصب من جهة ، كما أنَّه يؤكِّد إمكان قيام تسامح ديني إلى أبعد الحدود . فإنَّ المثال الإسلامي الذي نقدِّمه هنا ، يشير لا إلى أسبقية واضحة على الفكر الغربي بخصوص التسامح فحسب ، إنَّما إلى فهم أرقى وأكمل مما قدَّمه الغرب [٢] .

فمثلاً نرى في إحدى الوصايا ، يخاطب الإمام الصادق (عليه السلام) أبا بصير قائلاً : " يا أبا محمد لا تفتِّش الناس على أديانهم فتبقى بلا صديق "[٣] ، هذه الكلمات تحمل أكثر من معنى ، لكن جميعها تشير إلى المدى الواسع من التسامح الذي يؤمن به الإمام ويدعو إليه أصحابه عند تعاملهم مع الناس . ويمكن أن نجدَ تطبيق هذه الدعوة في حياته (عليه السلام) ، فمن المعلوم أنَّ أيَّ حديثٍ عن مدرسة الإمام ، لا بُدَّ وأن يتعرَّض بالتفصيل لعلاقة الإمام بظهور المذاهب المغالية والإلحادية ، التي انتعشت وقتذاك ، وبشكلٍ لافتٍ للنظر. ويمكننا من خلال دراسة متأنِّية لحياته أن نلاحظَ أنَّ موقفَهُ من المغالين والملحدين قد اتَّسم بالتمايز والاختلاف . فهو يتَّخذ من جهة موقف الشدِّة والصرامة والقطيعة مع الغلاة ، كما يقول للمفضل بن يزيد : " يا مفضَّل لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تصافحوهم ولا توارثوهم "[٤]. ومن جهة أخرى ، أنَّ هذا الموقف لا تجدهُ مع الملحدين والمشكِّكين من الزنادقة والدهريين وأمثالهم . بل نرى وهو يطلب من أصحابه دعوة هؤلاء إلى المناظرة والمحاورة . كما بلغ من عناية الإمام (عليه السلام) بهذا الأسلوب ، أنَّه كان يدعو أصحابه من النابهين وأهل الفكر فيهم إلى عقد مجالس المناظرة في ما بينهم للتمرُّن والتدريب على مواجهة الخصوم . فقد روى الكشي أنَّ جماعةً من أصحاب الصادق (عليه السلام) منهم جميل بن درَّاج ، وعبد الرحمن بن الحجَّاج وجماعة يبلغون نحواً من خمسة عشر رجلاً أو يزيدون ، اقترحوا على هشام بن الحكم أن يناظرَ هشام بن سالم في التوحيد وصفات الله سبحانه ، وكلاهما من البارزين بين أصحاب الإمام في الفقه والكلام والفلسفة وغيرها من العلوم ، فعقدوا مجلساً لهذه

---

١) المصدر نفسه، ص٣٤٠.

٢) ينظر: أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية الفقهية، مصدر سابق، ج١، ص٦٨٨.

٣) الحراني، تحف العقول، مصدر سابق، ص٢٢٢.

٤) المصدر نفسه، ص٢٧٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الغاية، ودار بينهما الجدل والحوار على جميع الافتراضات التي يمكن أن تكون موضع جدل وحوار بينهم وبين أخصامهم من الزنادقة والمنحرفين [١] .

وكثيراً ما دخل الإمام الصادق (عليه السلام) في حوارات مع الملحدين والدَّهريين حول مسائل إثبات الألوهية والاعتقادات والتصوُّرات الدينية الأخرى ، ليصلَ بالمُلحِد إلى الإيمان أو ليتركه وشأنه . حيث يروي الطبرسي عن هشام بن الحكم ، " أن زنديقاً أتى من مصر إلى الإمام الصادق وكان قد سمع عن علم الإمام فجاء إلى المدينة فلم يصادفه بها ، فخرج إلى مكة فانتهى إليه – وهو في الطواف– فدنا منه وسلَّم ، فقال له أبو عبد الله : ما اسمك؟ قال : عبد الملك . قال : فما كنيتك؟ قال : أبو عبد الله . قال أبو عبد الله الصادق : فمن ذا الملك الذي أنت عبده ، أمِن ملوك الأرض أم من ملوك السماء؟ وأخبرني عن ابنك أعبد إله السماء ، أم عبد إله الأرض ؟ فسكت. فقال أبو عبد الله : قل! فسكت. فقال : إذا فرغت من الطواف فائتِنَا ، فلما فرغ أبو عبد الله من الطواف أتاه الزنديق ، فقعد بين يديه ونحن مجتمعون عنده . فقال أبو عبد الله : أتعلم أنَّ للأرضِ تحتاً وفوقاً. فقال : نعم. قال: فدخلت تحتها؟ قال: لا. قال: فهل تدري ما تحتها؟ قال: لا أدري إلَّا أنّي أظنُّ أن ليس تحتها شيء. فقال أبو عبد الله : فالظن عجز ما لم تستيقن ، ثم قال له : صعدت إلى السماء؟ قال: لا ، قال : أفتدري ما فيها ؟ قال: لا. قال: فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟ قال: لا. قال: فالعجب لك! لم تبلغ المشرق، ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل تحت الأرض، ولم تصعد إلى السماء، ولم تخبر ما هناك فتعرف ما خلفهن ، وأنت جاحد بما فيهن، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟!. فقال الزنديق : ما كلَّمني بهذا غيرك. قال أبو عبد الله : فأنت من ذلك في شك، فلعل هو ولعل ليس هو. قال: ولعل ذلك. فقال أبو عبد الله: أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم، ولا حجة للجاهل على العالم. يا أخا أهل مصر، تفهم عني ، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان ولا يستبقان، يذهبان ويرجعان، قد اضطرَّا ليس لهما إلَّا مكانهما ، فإن كانا يقدِّران على أن يذهبا فلم يرجعان. وإن كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً ؟ اضطرَّا والله يا أخا أهل مصر. إن الذي تذهبون إليه وتظنون من الدهر، فإن كان هو يذهبهم، فلم يردُّهم؟ وإن كان يردُّهم، فلم يذهب

---

١) ينظر: الحسني، هاشم معروف، سيرة أهل البيت(عليهم السلام)، (د.ط)، المكتبة الحيدرية– النجف الأشرف، ج٢، ص٢٥١– ٢٥٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

بهم؟ أما ترى السماءَ مرفوعة، والأرض موضوعة، لا تسقط السماء على الأرض، ولا تنحدر الأرض فوق ما تحتها، أمسكها والله خالقها ومدبّرها. قال: فآمن الزنديق على يديه (عليه السلام) "[1] .

هذا يؤكِّد أنَّ الإمام كان يشجِّع على الحوار مع هؤلاء الملحدين والزنادقة ، حتى أدخل بنفسه في حوارات مشتركة معهم . ولم نجد رواية واحدة أنَّ الإمام أشار إلى ارتدادهم ، أو وجوب قتلهم أو استتابتهم ، رغم تصريحهم أمامه بالكفر البواح ، وتشكيكهم بالله ورسوله وسائر العقائد الدينية واستهزائهم بالشعائر الإسلامية . وأنَّ ما سطَّرته صفحات التاريخ عن المجالس الحوارية والحلقات النقاشية التي عقدها الإمام معهم حتى داخل بيت الله الحرام، تعكس جو الحريَّة الفكرية السائدة آنذاك ورحابة الإسلام في تقبُّل الآخر ، كما هو لا كما نريده ، والإصغاء إلى أفكارهم بعيداً عن كلِّ أشكال القمع الفكري [2] . فكان التسامح الصَّادقي واجب ديني واجتماعي وأخلاقي ولا يمثِّل منَّةً أو فضلاً . وأنَّ هذا الفهم يتجاوز التصوُّر المسيحي للتسامح ، الذي تقتضيه الظروف ، كما يشير إلى ذلك المفكِّر عبد الرحمن بدوي ، " وهو بالتالي ليس عقيدة . فإن اقتضت الظروف – السياسية غالباً – أن يتسامح مع المذاهب والأديان الأخرى ، لأنَّ عدم التسامح سيؤدِّي إلى شرور أكبر، فإنَّ من المندوب – ولا يقال من الواجب – التسامح [3] .

وبالتالي فإنَّ النزعة الإنسانية التي أراد أن يؤسِّس لها الإمام الصادق في الفكر الإسلامي بصورة عامة ، إنَّما تمثِّل أصلاً وعقيدة . أي أنَّ التسامح عنده مسألة جوهرية – روحية ، وأمرٌ واجب ، فهو ليس مرتبطاً بالظروف ، كما لا يخضع للتأويل المتبدِّل ؛ لأنَّ التسامح هنا مولودٌ في حضن الدِّين ، أي على عكس التسامح العلماني الأوروبي ، الذي انتهى بتقاطع حقيقي مع الدِّين التقليدي . وكما رأينا ، فإنَّهُ لا أوروبا المسيحية ولا مفكِّرو العلمانية في القرن التاسع عشر ، قد تعاملوا مع الملحدين والزنادقة بمثل الطريقة الإنسانية التي تعامل بها الإمام (عليه السلام) . وقد بقيت أوروبا حتى وقتٍ قريب تعامل الملحدين على أنَّهم خارجين على المذهب الرسمي الذي تعتنقه الأغلبية ، فكانت القطيعة الاجتماعية والدينية هي الأسلوب الأمثل والأوحد الذي تمارسه أوروبا . لكنَّ الإمام الصادق (عليه السلام) انتهج أسلوباً آخر ، يختلف تمام الاختلاف عن ما تقدِّمه أوروبا . وكانت نتيجة المنهج الذي اتَّبعَهُ (عليه السلام) ، أنجع وأكثر تأثيراً في الخصم ، من الأسلوب

---

١) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن(٥٤٨هـ/١١٥٤م)، الاحتجاج ، (د.ط)، مؤسسة الأعلمي– بيروت، ١٩٨١م، ص٢٣٤–٢٣٥.

٢) الخشن، حسين، صفحات من تاريخ الإلحاد في الإسلام، مجلة بينات، العدد: ١٢٦، ٥ آب ٢٠٠٥، ص٧.

٣) لوك، رسالة في التسامح، مقدمة عبد الرحمن بدوي، مصدر سابق، ص٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الذي اتَّبعته أوروبا . فأسمع لابن أبي العوجاء ، وهو الزنديق المشهور، الذي لا يؤمن بالإسلام، والذي طالما تحاور مع الإمام (عليه السلام) كيف يتحدَّث عن الإمام بقوله : لأن كان للإسلام حقيقةً لما انتهى أمر وصيَّة محمد إلَّا إلى جعفر بن محمد. والله ما رأيناه إلا هبناه واقشعرَّت جلودنا لهيبته "[1] .

إذن يمكن القول وباطمئنان ، إن الإمام الصادق (عليه السلام) قد سبق مارتن لوثر ، وجون لوك ، وسبينوزا وغيرهم من مفجِّري حركة الإصلاح الديني في أوروبا ، في وضع مبدأ الحوار مع الملحدين والكافرين . فقد عمَّق (عليه السلام) هذا المبدأ من خلال التسامح الأخلاقي وعدم اللجوء إلى الأساليب المتطرِّفة في التعامل مع الآخر المختلف فكرياً وعقائدياً . فكان بحق يمثِّل إماماً للحوار ، الذي كان ينفتح على الرأي الآخر ، مهما كانت قساوته فكان لا يتعقَّد من الشخص الذي يأتيه وهو يُنكِر أساس العقيدة ، بل كان يأخذ بيده من أجل أن يعرِّفه بمنهج التَّفكير ؛ كيف يفكِّر ليصلَ إلى الحقيقة ، لأنَّ مشكلة الكثير من الناس ، أنَّهم قد يملكونَ مفردات العلم ، لكنَّهم لا يملكون منهج التَّفكير والأسلوب الذي يمكن أن يفتح عقل الإنسان في التعرُّف على الحقيقة لذلك ، قد يخطئون في الطَّريق[2] .

الخاتمة :

من خلال ما تقدَّم استعرض الباحث بعض الأقوال والأحاديث للإمام الصادق (عليه السلام) فوجدها تشكِّل مجموعةً من النُّظُم التَّربوية والأخلاقية ذات المضامين العالية ، التي تُعطي فلسفة واقعية موضوعية ذات صلة بالمنهج التَّربوي السماوي الذي جاءت به الرسالة المحمدية السمحاء ، من أجل إحياء النزعة الإنسانية في الدِّين ، وإنقاذه من التراث الذي مُلِئَ بنصوص العنف والاقتتال والكراهية ، وعدم الاهتمام بالإنسان ومجالات حياته الفكرية والاجتماعية والسياسية والدينية .

ومن خلال ما تقدَّم من بحث توصَّلنا إلى النتائج الآتية :

١- إنَّ المشروع التَّربوي وفلسفته المثالية عند الإمام الصادق (عليه السلام) ، هو مشروع ناجح يصلح لكلِّ المجتمعات من حيث التَّربية والتعليم والتنشئة ، أو من حيث حل المشكلات القائمة للإنسان .

---

١) الحسني، سيرة أئمة أهل البيت، مصدر سابق، ج٣ ، ص٢٧١-٢٨٠.

٢) فضل الله، محمد حسين، منهج الإمام الصَّادق، في الحوار، ندوة الشام الأسبوعيّة، ٢٠٠٠/٦/٢٤م. موقع بينات، مصدر سابق.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢- إنَّ فلسفة التَّربية عند الإمام الصادق (عليه السلام) تعمل على بناء الإنسان أينما وُجِد ، ليتربَّى وفقاً للقيم السماويَّة الحقيقيَّة الصادقة الملائمة لكلِّ مكانٍ وزمان .

٣- إنَّ الصراع بين الفلسفات التَّربوية القائمة أثبت فشلها جميعاً في إيجاد حلول للوضع التربوي القائم والارتقاء به ؛ لأنَّها فلسفات وضعيَّة غير دقيقة وغير متينة في صياغتها ، وغير واقعية في علاجاتها .

٤- لم تترك فلسفة التَّربية عند الإمام الإنسانَ في محطة دون أُخرى ، فهي ترافقه في مسيرة حياته منذ نشأته إلى أن يأذن الله برحيله من هذه الدنيا ، وتهتمُّ به وهو جنين في بطن أُمِّه ، إلى مرحلة ولادته ، وصولاً إلى شيخوخته.

٥- تركيز الإمام على أهميَّة استعمال الأساليب التَّربوية الناجحة في التعامل مع الأبناء ؛ لأنَّ نجاحَ التَّربية منوطٌ بنجاح الأساليب التَّربوية المستعملة .

٦- تأكيد الإمام في مواقف مختلفة على مبدأ التعامل مع الناس بصورة عادلة ، من غير تمييز أو مفاضلة بين أحد على حساب آخر ، فالكلُّ سواء في العملية التَّربوية ومن دون تمايز بين غني أو فقير ، أو غير ذلك.

٧- جعل الإمام مبدأ الانفتاح كعامل أساس في مكوِّنات التَّربية ، مؤكِّداً على ضرورة الابتعاد عن الانغلاق والجمود وعدم التفاعل مع مجريات الحداثة ، بل إنَّهُ (عليه السلام) خطَّ الأُسس العامَّة للانفتاح التَّربوي والعلمي الواعي على ما هو مفيد مع مراعاة بقاء التَّربية الإسلاميَّة هي الأصل ، لكن لا بأس بأخذ ما هو مفيد من النظريات الأُخرى .

٨- اهتمام الإمام بتربية أتباعه ، وإحياء الوازع الداخلي فيهم ، وتنمية الحرص على أداء الواجبات ، فضلاً عن تربيتهم في كيفية إدارة الخصومات والحوارات ، مع زرع المحبَّة واحترام الناس على اختلاف دياناتهم واتِّجاهاتهم.

المصادر والمراجع :

١. الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى(٦٩٢هـ/١٢٩١م)، كشف الغمة في معرفة الائمة، نسخة من الطبعة الحجرية، ١٢٩٤م.

٢. الأصبهاني، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله(٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط/٤، دار الكتاب العربي- بيروت، (د.ت).

٣. الإمام جعفر الصادق، رسالة التوحيد ملحقة بكتاب عبد القادر محمود، الإمام جعفر الصادق رائد السنة والشيعة، (د.ط)، إصدارات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب– القاهرة، (د.ت).

٤. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، ط/١، منشورات عويدات– بيروت، ١٩٩٦م.

٥. أندريه نتاف، الفكر الحر، ترجمة: رندة بعث، ط/١، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، دار المدى– دمشق، ٢٠٠٥م.

٦. جون هرمان راندال، تكوين العقل الحديث، ترجمة: جورج طعمة – برهان دجاني، ط/١، المركز القومي للترجمة– بيروت، ٢٠١٣م.

٧. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان(٣٥٤هـ/٩٦٥ م) مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأمصار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط/١، دار الوفا– القاهرة، ١٩٩١م.

٨. الحراني، أبو محمد ابن شعبه الحسن بن علي(القرن الرابع الهجري)، تحف العقول، تحقيق: علي اكبر الغفاري، ط/١، مؤسسة النشر الإسلامي– إيران ، ١٤٠٤هـ.

٩. الحسني، هاشم معروف، سيرة أهل البيت(عليهم السلام)، (د.ط)، المكتبة الحيدرية– النجف الأشرف، (د.ت).

١٠. الحيلة، محمد محمود، التصميم التعليمي نظرية وممارسة، ط/٦، دار المسيرة للطباعة والنشر،٢٠١٦م.

١١. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن أبي بكر (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان، (د.ط)، مكتبة النهضة المصرية– القاهرة، ١٩٤٨م.

١٢. الدر، إبراهيم، الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، ط/١، الدار العربية للعلوم– بيروت، ١٩٩٤م.

١٣. الدواي، عبد الرزاق، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ط/١، دار الطليعة للطباعة– بيروت، ١٩٩٢م.

١٤. دويدار، عبد الفتاح، سيكولوجية النمو والارتقاء ، ط/١، دار النهضة العربية– بيروت، ١٩٩٣م.

١٥. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد علي البجاوي، (د.ط)، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٦. الرازي ، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (٣٢٧هـ) الجرح والتعديل ، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ت).

١٧. الرفاعي، عبدالجبار، إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، ط/٢، دار التنوير للطباعة– بيروت، ٢٠١٣م.

١٨. رونالد سترومبرج ، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ترجمة وتحقيق: أحمد الشيباني، ط/٣، دار النفائس، ١٩٩٤م.

١٩. الزبير، أبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب(٢٣٦هـ/٨٥٠ م)، نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط/٢، دار المعارف– مصر، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢٠. الزركلي، خير الدين الدمشقي(١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، الأعلام، ط/٥ ، دار العلم للملايين– بيروت، ١٤١٠هـ.

٢١. أبو زهرة، محمد، الإمام الصادق، حياته وعصره آراؤه وفقهه، ط/١، دار الفكر العربي– القاهرة ، ٢٠٠٥م.

٢٢. سبط بن الجوزي، شمس الدين يوسف(٦٥٤هـ/١٢٥٦م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (د.ط)، من مصورات مكتبة أمير المؤمنين العامة– النجف الأشرف، (د.ت).

٢٣. سروش، عبد الكريم، الدين العلماني، ترجمة: أحمد القبانجي، ط/١، مؤسسة الانتشار العربي– بيروت، ٢٠١٠م.

٢٤. السلمي؛ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين (٤١٢هـ/١٠٢٠م)، طبقات الصوفية، ط/١، دار الكتاب العربي– القاهرة، ١٣٧٢هـ

٢٥. الشبستري، عبد الحسين، الفائق في رواة أصحاب الإمام الصادق، ط/١، مؤسسة النشر الإسلامي– قم المقدسة، ١٤١٨م.

٢٦. ابن شهر أشوب، أبي عبد الله محمد بن علي (٥٨٨هـ/١١٩٢م)، مناقب آل أبي طالب، (د.ط)، المكتبة الحيدرية– النجف الاشرف ١٣٦٧هـ/١٩٥٦م.

٢٧. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي القمي(٣٨١هـ/٩٩١م)، علل الشرائع،(د.ط)، المكتبة الحيدرية– النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

٢٨. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ط/١، دار الكتاب اللبناني– بيروت، مكتبة المدرسة، ١٩٨٢م.

- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن(٥٤٨هـ/١١٥٤م)،

٢٩. الاحتجاج ، (د.ط)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ١٩٨١م.
٣٠. مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضي- النجف الأشرف، ١٤١٠هـ.
٣١. الطويل، توفيق، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ط/١، الزهراء للإعلام العربي- القاهرة، ١٩٩١م.
٣٢. عاطف أحمد، النزعة الإنسانية "دراسات في الفكر العربي الوسيط"، ط/٢، مركز القاهرة للدراسات حقوق الإنسان- القاهرة، ١٩٩٩م.
٣٣. عاقل، فاخر، علم النفس التربوي، ط/١، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٨٥م.
٣٤. العذاري، شهاب الدين، ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت(عليهم السلام)، ط/١، إصدار مركز الرسالة- قم المقدسة، ٢٠٠٣م.
٣٥. علبي، عاطف، من الفكر الحر إلى العلمنة، ط/١، دار الطليعة- بيروت، ١٩٨٦م.
٣٦. العيسوي، عبد الرحمن، دراسات في تفسير السلوك الإنساني، دار الراتب الجامعية- بيروت، ١٤١٩هـ.
- فلسفي، محمد تقي:
٣٧. الأفكار والرغبات بين الشيوخ والشباب، ط/١، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ١٤١٥هـ.
٣٨. الطفل بين الوراثة والتربية، تعريب: فاضل الميلاني، ط/٣، مؤسسة الأعلمي- بيروت، (د.ت).
٣٩. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(٨١٧هـ/١٥٠٥م)، القاموس المحيط، (د.ط)، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٣م.
٤٠. الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى(١٠٩١هـ/١٦٨٠م)، المحجة البيضاء، (د.ط)، قم المقدسة. (د.ت).
٤١. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي (٣٢٩هـ/٩٤٠م)، الكافي، دار الكتب الإسلامية- طهران، (د.ت).
٤٢. لاوند، رمضان، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) علم وعقيدة، (د.ط)، دار مكتبة الحياة- بيروت، لبنان، (د.ت).
٤٣. لوك، جون، رسالة في التسامح ، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد، ٢٠٠٥م.
٤٤. المبارك، محمد، نحو إنسانية سعيدة، ط/١، دار الفكر- بيروت، ١٣٨٩هـ.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٤٥. المجلسي ، محمد باقر(١١١٢هـ/ ١٦٨٨م) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط/٢، مؤسسة الوفاء- بيروت١٩٨٣م.

٤٦. مجموعة مؤلّفين، التسامح وجذور اللا تسامح ، ط/١، مركز دراسات فلسفة الدين،- بغداد، ٢٠٠٥م.

٤٧. محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، تحقيق: محمد عماره ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ١٩٧٢م .

٤٨. المزي، يوسف بن الزكي (٧٤٢هـ/١٣٤١م) تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط/١، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٠م.

٤٩. مطهري، مرتضى، التربية والتعليم في الإسلام، ترجمة: أحمد القبانجي، ط/١، مطبعة شريعت، قم المقدسة، ١٣٨٥ش.

٥٠. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (٤١٣هـ/١٠٢٢م) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، (د.ط)، مطبعة دار المفيد- طهران، (د.ت).

٥١. مؤسسة البلاغ، المعالم الأساسية للمنهج التربوي في الإسلام، ط/٢، مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٦م.

٥٢. النوري، ميرزا حسين الطبرسي، مستدرك الوسائل، (د.ط)، مؤسسة آل البيت- بيروت، (د.ت).

٥٣. هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، ط/١، دار الطليعة للطباعة- بيروت، ٢٠٠٥م.

٥٤. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر(٢٨٤هـ/١٢٢٨م)، تاريخ اليعقوبي، (د.ط) - بيروت، ١٩٦٠م.

- مجلات:

٥٥. الخشن، حسين، صفحات من تاريخ الإلحاد في الإسلام، مجلة بينات، العدد: ١٢٦، ٥ آب ٢٠٠٥م.

٥٦. فؤاد كاظم جبر، جوهر التسامح ديني أم علماني؟! الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) مثالاً، مجلة ينابيع الألكترونية، مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت.

٥٧. الموسوي، نجم، النُّظُم التّربوية عند الإمام الصادق عليه السلام (رؤية تحليليّة)، مجلة الإصلاح الحسيني، تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، العدد الثامن، السنة الثانية، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- مواقع الكترونية:

– فضل الله، محمد حسين ، موقع بينات ،http://arabic.bayynat.org :

٥٨. الإنسانيّة في فكر الإمام الصّادق(عليه السلام)، ندوة الشام الأسبوعية، بتاريخ، ١٦/ ٣/ ١٩٩٦م.

٥٩. منهج الإمام الصَّادق(عليه السلام)، في الحوار، ندوة الشام الأسبوعيّة، ٢٤/٦/٢٠٠٠م.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الانحرافُ الدِّيني وأثرُهُ على العملية التَّربوية والتَّعليمية

م.م حسين عبد الحسن ضامن/ تربية ميسان

المقدِّمة :

إنَّ العملية التربوية [١]تتأثَّر إيجاباً وسلباً بالفكر الدِّيني من حيث الاستقامة والانحراف ، في الوقت الذي تمثِّل فيه القاعدة الأساسية التي تستند عليها العملية التعليمية ؛ وذلك لتقدُّم التربية على التعليم ، قال رسول الله (ﷺ) : ((ما من مولودٍ يُولَد إلَّا على الفطرة فأبواهُ اللذان يهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه))[٢] ، وهذا ممَّا يكشف عمَّا جاءت به أهداف الرسالة الإسلامية ، إذ قدَّمت التربية على التعليم، قال تعالى : ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[٣] ، فالاستقامة الفكرية العقدية المتمثِّلة بالدِّين بالفطرة والدِّين السليم لها دور كبير في صيانة الإنسان تربوياً وتعليمياً اتجاه الانحرافات الفكرية ، التي يُراد منها سلب القيم الفكرية والأخلاقية منه ، ولذا جاء التأكيد على أهميتهما في القرآن والسنَّة الشريفة.

ومن هذا المنطلق جاء موضوع بحثنا لبيان أثر الانحراف الدِّيني السَّلبي على العملية التَّربوية وانعكاساتها على العلمية التعليمية والتنمية الفكرية لدى المتعلم ؛ إذ لا يمكن أن تؤدِّي غرضها وتُحقِّق أهدافها في ظلِّ الانحراف الفكري والعقدي ، ولا سيَّما حين أصبح شبابُنا يعيشونَ في ظلِّ الثقافات الدَّخيلة على المجتمع الإسلامي ، التي تدعو إلى انسلاخ الفرد عن الدِّين والقيم الإنسانية والمبادئ القيمية ، فضلاً عن البرامج المختلفة التي تدعو للانحراف السلوكي والأخلاقي ، وعليه ينبغي التصدِّي بشتَّى الأساليب والطرق لمواجهة هذه الافكار التي باتت سبباً من أسباب الانحراف الدِّيني والثقافي .

مفهوم الانحراف لغةً واصطلاحاً :

الانحراف لغةً هو الميل والعدول والمجانبة ، قال الزبيدي : ((الْحَرْفُ مِن كُلِّ شَيْءٍ: طَرَفُهُ وشَفِيرُهُ وحَدُّهُ، ومِن ذلك حِرْفُ الْجَبَلِ، وهو: أَعْلاَهُ الْمُحَدَّدُ..... واحْرَوْرَفَ: مَالَ وعَدَلَ، كانْحَرَفَ وتَحَرَّفَ، نَقَلَهُ الجَوْهَرِيُّ، وقال الأَزْهَرِيُّ : وإِذا مَالَ الإِنْسَانُ عن شَيْءٍ يُقَال: تَحَرَّفَ، وانْحَرَفَ،

---

(١)– موضوع " علوم التربية " الذي هو بمعنى إرشاد الأطفال ، وهو علم مستحدث جديد. ينظر: منية المريد، الشهيد الثاني محمد مكي العاملي، ص٥٧

(٢) – من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي الصدوق، ج٢، ص٤٩.

(٣) – الجمعة: ٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

واحْرَوْرَفَ)) [١].

وأمَّا الانحراف اصطلاحا : فيأتي بمعنى هو ((أن يكون الشخص في الطريق الصحيح ثمَّ يميل عنه وينحرف لأسباب معيَّنة . أو هو الابتعاد عن المسار المحدَّد ، أو هو انتهاك لقواعد ومعايير المجتمع ، ووصمة تلصق بالأفعال أو الأفراد المبتعدين عن طريق الجماعات المستقيمة داخل المجتمع (جاك دوغلاس) ، أو هو انتهاك القواعد الذي يتميَّز بدرجة كافية من الخروج على حدود التسامح العام في المجتمع (كلينارد)..))[٢] .

أمَّا الانحراف في الشريعة : فهو مجانبة الفطرة السليمة واتِّباع الطريق الخطأ المنهي عنه دينياً ، أو الخضوع والاستسلام للطبيعة الإنسانية دون قيود..[٣] ، والشخصية المنحرفة في نظر الشارع المقدَّس هي من يقوم صاحبها بعمل يُفسِد النظام ويحول دون تطبيقه على واقع الحياة ممَّا يلحق الضرر بالمصلحة الفردية أو الاجتماعية أو كليهما .

وإنَّ كلَّ الظواهر السلوكية الخاطئة هي ثمرة الجهود المبذولة لتحطيم الإنسان وسلب عقله وفكره وفطرته للسيطرة على إنسانيته [٤] .

مفهوم الدين لغة واصطلاحا :

الدِّين لغةً : الدِّين " في الأصل بمعنى الجزاء والثواب ، ويطلق على " الطاعة " والانقياد للأوامر [٥].

قال الفراهيدي : الدِّين : الجزاء لا يُجمَع لأنَّهُ مصدر، كقولك : دان الله العباد يدينهم يوم القيامة أي يجزيهم ، وهو ديَّان العباد. و الدِّين: الطاعة ، و دانوا لفلان أي أطاعوه [٦] .

وأمَّا الدِّين اصطلاحاً : هو ((مجموعة العقائد والقواعد والآداب التي يستطيع الإنسان بها بلوغ السعادة في الدنيا ، وأن يخطو في المسير الصحيح من حيث التربية والأخلاق الفردية والجماعية)). [٧]

---

(١) تاج العروس، الزبيدي، ج ١٢، ص ١٣٦.

(٢) موسوعة من حياة المستبصرين، مركز الابحاث العقائدية، ج٥، ص٤٩٨.

(٣) – موقع: شبكة النبأ المعلوماتية، مقالة بعنوان (ظواهر الانحراف في المجتمع)، عبدالله ابراهيم الصالح، مجلة النبأ العدد ٦٤، رمضان ١٤٢٢هـ الرابط(https://annabaa.org).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) العين، الخليل الفراهيدي، ج٨، ص٧٢ ؛ مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، ج٦، ص٢٥١ .

(٦) العين، الخليل الفراهيدي، ج٨، ص٧٢.

(٧) .الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم شيرازي، ج ٢، ص٤٢٩.

قال الشيخ السبحاني: ((إنَّ الدِّين حسب اصطلاح القران هو الطريقة الإلهية العامة التي تشمل كل أبناء البشر في كل زمان ومكان ولا تقبل أيَّ تغيير وتحوِّل مع مرور الزمن وتطوِّر الأجيال ، ويجب على كلِّ أبناء البشر اتِّباعها وهي تُعرَض على البشرية في كلِّ أدوار التاريخ بنحوٍ واحد دونَما تناقض وتباين))[١] .

ولعلَّ التعريف الأول هو الأفضل حيث أنَّهُ يشير إلى عنوان العقيدة ويعتبر الدِّين عاملاً من عوامل التربية التي هي خلاف الانحراف .

مفهوم الأثر لغةً واصطلاحاً :

الأثر لغةً : قال ابن منظور: ((والأَثر: بقيَّة الشيء، والجمع آثار وأُثور. وخرجت في إِثْره وفي أَثَره أَي بعده. وأَتْتَرْتُه وتَأَثَّرْته : تتَّبعت أَثره ؛ عن الفارسي . ويقال: آثَرَ كذا وكذا بكذا وكذا أَي أَتْبَعه إِياه..... والأَثر ، بالتحريك : ما بقي من رسم الشيء . والتأْثير : إِبْقاءُ الأَثر في الشيء. وأَثَّرَ في الشيء : ترك فيه أَثراً)). [٢]

وقال الطريحي : ((والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء)). [٣]

وأمَّا التأثير اصطلاحاً فقد عُرِّفَ بعدَّة تعاريف :

١- إنَّ التأثير هو : عبارة عن توجيهات لنشاطات المؤسَّسات أو الأشخاص إلى المكان الصحيح ، عبر استعمال الأنشطة الإدارية الأساسية ، مثل القيادة ، والتنظيم ، والإشراف والتواصل ، ومن الجدير بالذكر أنَّ هذا المفهوم حصر التأثير بالعمليات الإدارية فقط ، بينما تخصُّصاته غير منحصرة بالإدارة فقط .

٢- التأثير: هو إضافة حالة نفسية تم إنتاجها عن طريق إضافة أفكار جديدة لدى المتلقين ، تقوم بجعلهم عند تحرُّكهم مدفوعين بهذه الحالة النفسية ، وبمجموعة من الأفكار والمعلومات التي لديهم ، ولهذه الحالة النفسية أدوار كبيرة جداً ، فهي أساسية في تغيير سلوك الفرد أو مجموعة من الأفراد لمدَّة محدَّدة في اتجاه معين ، ونلاحظ في هذا التعريف أنَّه يقوم بالتركيز على إضافة الأفكار ، بينما التأثير قد يكون عن طريق الصقل والإرشاد إلى الأفكار الموجودة سابقاً عند الفرد .

٣- التأثير : إنَّه يكون بسبب نتيجة التفاعلات الاجتماعية بين سببين ، وهما المؤثِّر والمتأثِّر،

---

(١) أنظر: المجتمع العراقي بين القيم الاصيلة و الطارئة، عبد الرضا البهادلي، ص١٧٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٤، ص٥.

(٣) مجمع البحرين، فخرالدين الطريحي، ج٣، ص١٩٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

بحيث يقوم بإنتاج ردة فعل معينة عند المؤثِّر ، ويُلاحَظ في هذا التعريف أنَّ التأثير يحتاج لحصوله إلى تفاعل بين المؤثِّر والمتأثِّر .

٤- إنَّ التأثير : هو قوة تكون لدى القائد أو سيطرة معيَّنة يكتسبها ، وعلى أساسها يستطيع أن يؤثِّر في سلوك الآخرين [١] .

ولعلَّ التعريف الرابع هو الأصح ؛ لشموله جميع الموارد ومنها موضوع بحثنا ؛ إذ إنَّ الانحراف هو نتيجة حاصلة من هيمنة الآخرين على الفرد .

مفهوم التربية لغةً واصطلاحاً :

توجد تعاريف متعدِّدة في اللغة العربية لمفردة (التربية) ، ونذكر منها الرأي الذي تبنَّاه كثير من فقهاء اللغة : يقول ابن سيدة في معنى الرب : ((أصله الاشتقاق من التَّربية وهي التَّنشئة... وقيل للمالك رب لأنَّهُ يملك تنشئة المربوب ... ومنه رُبَّان السفينة لأنَّه ينُشِئُ تدبيرها ويقوم عليها..)) [٢].

وقد اعتبر بعض فقهاء اللغة أنَّ أصل مفردة (رب) هي : إصلاح الشيء والقيام عليه [٣] .

وأمّا اصطلاحاً فقد عرَّفها بعض التربويون الإسلاميون بأنَّها : ((تنشئة إنسان سيئ شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه ابتغاءَ سعادة الدَّارين وفق المنهج الإسلاميّ))[٤] .

ويمكن لنا تعريف التربية : بأنَّها قيام ولي الطفل أو المأذون له من قبله قولاً وعملاً بصناعة [٥] هوية الطفل (شخصيته)... في جميع جوانبها البدنية والقلبية والعقلية وبمختلف الأبعاد الحياتية (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية و...) ، بهدف إيصاله إلى كماله .. بشكل تدريجي وبنحوٍ مستدام من خلال اعتماد مجموعة من الأصول والأساليب والتقنيات المستخرجة من المصادر الإسلامية أو المنسجمة معها .

أمَّا التربية في اصطلاح بعض علماء وفلاسفة الغرب فهي ((كل ما نفعله نحن من أجل

---

(١) انظر: موقع (موضوع)، مقالة (تعريف التأثير لغة و اصطلاحا)، آية الطبر، ٢٠ اكتوبر ٢٠٢٢، الرابط: (https://mawdoo3.com).

(٢) المخصص، ابن سيدة علي بن اسماعيل النحوي اللغوي، ج٥ ق٢، ص١٥٤-١٥٥.

(٣) معجم مقاييس اللغة ابن زكريا، احمد بن فارس،ج٢، ص٤٨٢ -٤٨٤.

(٤) أصول التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، ص١٩.

(٥) مفردة (صناعة) مستعارة من قوله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ ، سورة طه، ٣٩.قال الطبرسي في المجمع: ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ أي لتربى وتغذى بمرأى مني أي. يجري أمرك على ما أريد بك من الرفاهة في غذائك. ج٧، ص٢١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أنفسنا وكل ما يفعله الآخرون من أجلنا حين تكون الغاية تقريب أنفسنا من كمال طبيعتنا)) [١] .

وتستعمل كلمة التربية في العلوم المعاصرة بأحد معنيين :

الأول : التربية بالمعنى الأعم : وتشمل تربية الإنسان في مختلف جوانب شخصيته وأبعاد حياته و(تتضمن كل عملية تساعد على تشكيل عقل الفرد وخُلُقه وجسمه) .

الثاني : التربية بالمعنى الخاص : وتعني غرس المعلومات والمهارات المعرفية خلال مؤسسات معينة أُنشئت لهذا الغرض [٢] .

مفهوم التعليم لغةً واصطلاحاً :

التعليم في اللغة على وزن تفعيل من العلم ، قال الراغب : العِلْمُ : إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء. والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفيّ عنه . فالأوّل: هو المتعدِّي إلى مفعول واحد نحو : ﴿ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [٣]. والثاني: المتعدِّي إلى مفعولين ، نحو قوله: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ﴾ [٤] ، والعِلْمُ من وجهٍ ضربان : نظريّ وعمليّ. فالنظريّ : ما إذا عُلِمَ فقد كَمُل ، نحو : العلم بموجودات العالَم . والعمليّ : ما لا يتمّ إلَّا بأن يعمل كالعلم بالعبادات ... وأَعْلَمْتُه وعَلَّمْتُه في الأصل واحد ، إلَّا أنَّ الإعلام اختصَّ بما كان بإخبار سريع ، والتَّعْلِيمُ اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المُتَعَلِّمِ . قال بعضهم : التَّعْلِيمُ: تنبيه النَّفس لتصوُّر المعاني، والتَّعَلُّمُ : تنبّه النَّفس لتصوُّر ذلك ، وربَّما استُعمِل في معنى الإعْلَامِ إذا كان فيه تكرير، نحو: ﴿ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ ﴾ [٥]، فمن التَّعْلِيمُ قوله : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ [٦]،.. ونحو ذلك. وقوله: ﴿ وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ﴾ [٧]، فتَعْلِيمُه الأسماء : هو أن جعل له قوَّة بها نطق ووضع أسماء الأشياء [٨] .

وأمَّا التعليم اصطلاحاً : فهو إعطاء العلم وإكسابه للآخرين بحيث يتم رفع الجهل عن أنفسهم

---

(١) أنظر: علم اجتماع التربية، عبدالله الرشدان، ص٢٥.

(٢) اصول التربية، محمد منير مرسي، ص٨ .

(٣) الانفال: ٦٠.

(٤) الممتحنة: ١٠.

(٥) – الحجرات : ١٦.

(٦) – الرحمن : ١-٢.

(٧) – البقرة : ٣١.

(٨) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٨١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وهو عملية موجَّهة إلى العقل والجانب الذهني عند الإنسان [1] .

أهمية الدِّين ودوره في الحياة :

لقد اتَّضح من تعريف الدِّين أنَّهُ أمرٌ مكنون في فطرة الإنسان ، غير أنَّه يجب علينا أن نعرفَ أهميته في حياة الإنسانية ، وأنَّه له التأثير الكبير في حياته العلمية والاجتماعية ؛ ولأجل الوقوف على هذه الأهمية للدِّين في هذه المجالات الحيوية نشير إلى بعضها :

أولاً : الدِّين مبدع للعلوم :

نحن نستعرض في هذا البحث مدى تأثير النظريتين المتضادَّتين (الدِّين والإلحاد) حول نشوء العالم، في استكشاف الحقائق والتطلُّع إلى السنن السائدة فيه ، من دون جنوح – فعلاً – إلى صحة إحدى الفرضيتين. لا شكَّ أنَّ في تفسير العالم وتبيينه نظريتين متقابلتين لا تجتمعان أبداً ، وسنبيِّن فيما بعد الصحيح منهما ، غير أنَّ الذي نركِّز عليه هنا هو تحديد تأثير كل واحدة من النظريتين على تكامل العلوم ورقيِّها .

النظرية الأولى : تعتمد على أنَّ العالم من الذرَّة إلى المجرَّة إبداع عقل كبير، غير متناهٍ في القدرة والعلم ، فهو بعلمه وقدرته أبدع العالم وخلقه .

النظرية الثانية : إنَّ مادَّة العالم أزلية ليس للعلم ولا القدرة ، الخارجين عنها ، أي صنع وتأثير فيه ، فلو وجدت فيه سنن، فإنَّما هي وليدة الصدفة أو ما يشبهه من الفروض العلمية التي تشترك جميعها في القول بإفاضة المادَّة الصمَّاء العمياء على نفسها السنن والقوانين ، وعليه فإنَّ الباحث عن الكون لو تذرَّع بالنظرية الأولى يجدُ في نفسه حافزاً على التحقيق وإحساساً بأنَّ العالم غير منفك عن السنن والنظم ، وعليه أن يتفحص عنها . وهذا بخلاف الباحث المعتنق للنظرية الثانية ؛ لأنَّ تحقُّق الصدفة أو التضاد السائد بين أجزاء المادة ، لا يورث العلم بحتمية حدوث سنن وأنظمة في داخل المادة حتى يبحث عنها الإنسان فلا يصح للباحث عن سنن العالم والمستطلع للحقائق السائدة فيه ، أن يتكئَ على منصة الدِّراسة إلَّا أن يكون معتقداً بالنظرية الأولى دون النظرية الثانية . وهذا ما ادَّعيناه في صدر البحث من أنَّ العقيدة الدينية خلَّاقة للعلوم وباعثة للتحقيق .

ثانياً : الدِّين دعامة الأخلاق :

قد تعرَّفتَ على دور الدِّين في إثارة روح التحقيق في الإنسان ، لكنَّ له دوراً آخر في تركيز الأخلاق وتحكيم أصولها في المجتمع ، وممَّا لا شك فيه أنَّ إقامة الأخلاق والتمسُّك بالقيم

(١) التربية الإسلامية للطفل، إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ص٢٢ الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

الأخلاقية ، لا ينفكُّ عن الحرمان في بعض الأحايين وترك اللذائذ النفسانية في ظروف أُخَر ، وعندئذ يجب أن نبحثَ عن عامل النجاح في هذا المعترك . فمن جانب : إنَّ الإنسان مقهور للميول النفسانية والغرائز المتعدِّية التي لا تعرف لنفسها حدَّاً ، وهي تريد أن تفجِّر أمامها ، وتنال كل شيء ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر : إنَّ الفطرة الإنسانية توحي إلى صاحبها بحفظ القيم والعمل بالأخلاق . وعند ذلك يجد الإنسان في نفسه صراعاً عنيفاً بين ميوله ، فلا بُدَّ لنجاحه في هذا المعترك من عاملٍ يرجِّح كفَّة الفطرة الإنسانية المُوحية بحفظ الأخلاق والعمل بالقيم ، وهنا يتجلَّى الدِّين بصورة عامل قوي يرجِّح كفَّة الأخلاق ، ويُوحِي للإنسان بالعمل بالقيم وكبح جماح الغرائز، لأنَّ المتديِّن يعتقد بأنَّ كل ما يعمل من خير وشر في هذه الدنيا ، سيحاسبه الله سبحانه عليه بأشد الحساب وأدقه ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[1]. وهذا بخلاف ما إذا كان ملحداً ولم يعتقد بكتاب ولا حساب لا في الحياة ولا بعدها ، فلا يرى في معترك صراع الغرائز رادعاً عن نقض الحدود وتجاهل القيم غير عنصر ضعيف التأثير يدعى بالفطرة الإنسانية ، التي سرعان ما تتقهقر أمام طوفان الشهوات، والنزوات. وهذا شيء واضح .

ثالثاً : الدِّين حصن منيع في خضم متقلبات العالم :

إنَّ الحياة في هذا الكوكب حليفة التعب والوصب ، والإنسان يعيش في السرَّاء والضرَّاء ، يفقد الأعزَّة ويواجه البلايا والنوازل إلى غير ذلك من الملمَّات المؤلمة، فما هي السلوى في مواجهة علقم الحياة وحنظلها؟ أقول إنَّ الدين هو السلوى الكبرى التي تجعل الإنسان جبلاً راسخاً تجاه الحوادث المؤلمة غير متزعزعٍ في البلايا ولا متزلزل عن الكوارث ، لماذا ؟ لوجهين :

الوجه الأول : أنَّه يعتقد أنَّ ما يجري في الكون من خير وشر، هو من مظاهر مشيئة الخالق الحكيم الذي لا يصدر منه شيء إلَّا عن حكمة ولا يفعل إلَّا عن مصلحة ، فهذه الكوارث، مرةٌ ظواهرها، حلوةٌ بواطنها.

الوجه الثاني : أنَّ الإنسان إذا صبر تجاه المصائب يكون مأجوراً عنده سبحانه بصبره واستقامته، قال سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [2]، فعند ذلك يتجلَّى الدِّين كدواء يسكِّن الآلام ويخفِّف المصائب، غير أنَّ المادي في ذاك المجال فاقد البلسم لجراحات حياته، وفاقد

(١) يونس: ٦١.

(٢) البقرة، ١٥٧

ISBN: 978-9922-21-412-2

الدواء لاضطراباته، فلأجل ذلك نرى الانتحار شائعاً بين تلك الزمرة، عند المصائب والمحن[١] .

أنواع الانحراف الديني وصوره :

تتنوَّع حالات الانحراف عن الدِّين بأنواع مختلفة واتجاهات متعدِّدة تبعاً للبيئة التي تنشأ منها هذه الانحرافات ، ويمكن اختصارها بما يأتي :

١ – إنكار الخالق أو ما يسمى بالإلحاد : وهذا هو الإلحاد القديم الذي حاربه الأنبياء (عليهم السلام) ولا زال هذا الانحراف موجوداً ، وهذا هو أوضح حالات الانحراف عن الدِّين في كل القرون .

٢ – نظام العولمة والحركات العلمانية وسلبياتها : إنَّ من أهم ما يميِّز نظام العولمة الغربية هو تحكيم النظام الاقتصادي الرأسمالي في العالم، ويحكم هذا النظام الجديد الجهات والأشخاص العلمانية [٢] التي لا تخضع للشرائع الإلهية، ولا تلتزم بأحكام دينية، فالدراسات الاقتصادية أو التجارية، وكذلك الإحصائية والاجتماعية هي التي تحكم العولمة الغربية وترسم لها خطوطها العريضة والعامة حتى وإن كان فيها ضرر على مجموعات كبيرة من الناس [٣] . ومن ركائز هؤلاء العلمانيين محاربة الدِّين ، وتريد أن تفصلَ الدِّين عن الحياة أو القضاء على الدِّين تماماً بكلِّ أشكاله ، ومحاربة القيم الدِّينية التي تقف أمام مشاريعهم الاقتصادية التي تخالف الشرع والدِّين ، فمن فعالياتهم الاقتصادية إحداث الملاهي والقنوات المبتذلة التي تدرُّ عليهم بالأرباح . والتي تحارب الدِّين بشكل واضح ، لذا العلمانية توجِّه للدِّين الخطاء التي تحدث سواء على الصعيد الفكري أو الاجتماعي أو الاقتصادي ، وتسند كل أنواع التخلُّف وعدم القدرة على مواكبة الحياة أو قيادتها .

ومن هنا لا يمكن للمسلم أن يحافظ على دينه في ظلِّ الحكم أو الفكر العلماني لأنَّ العلمانية تصادم الأخلاق و القيم الإسلامية . يقول الجواهري : إنَّ الأخلاق عند العلمانيين تتصادم مع الأخلاق الإسلامية في نقاط منها :

---

(١) الالهيات، تقرير بحث الشيخ السبحاني للمكي، ج ١، ص٢٠.

(٢) العلمانية كلمة مترجمة عن كلمة « Secularism » الإنجليزية وهي اللا دينية أو الدنيوية، بمعنى عدم الصلة بالدين أو تكون الصلة بالدين علاقة تضاد. فقد قالت دائرة المعارف البريطانية في هذه المادة « بأنها حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها... انظر: بحوث في الفقه المعاصر، حسن الجواهري،ج٣،ص١٧

(٣) فقه العولمة، محمد الحسيني الشيرازي، ص٣٢٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

١- أنَّ الأخلاق في الإسلام مرتبطة بالدِّين . بينما الأخلاق عند العلمانيين تقوم على أساس نفعي بعيداً عن الدِّين .

٢- يقر الإسلام الغريزة الجنسية ،... ويهدي هذه الغريزة الجنسية إلى أن تتحرك نحو الزواج المشروع الذي تتجسَّد فيه لكل من الزوجين السكينة والمودة والرحمة وتتألف منه الأسرة التي هي نواة المجتمع . وكل شيء خارج هذا النطاق الشرعي يكون زناً حراماً يُعاقَب عليه فاعله . قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾[١]. فحرَّم كلَّ الوسائل التي من شأنها أن تيسِّر وقوع فاحشة الزنا كالنظر والتبرج وإبداء الزينة والخضوع بالقول والخلوة بالأجنبية وأوجب نقائضها ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾[٢] .

بينما نرى العلمانية قد أتاحت الفرصة للجنسين ليتصرفا كما تحلو لهما شهواتهما ولا مشكلة في ذلك، بل المشكلة في نظرها تكون عند الإسلام الذي ضخَّم القضية وأعطاها من الاهتمام أكثر ممَّا يلزم ! ! .

وعلى هذا التناقض كيف يمكن لمسلم أن يلتزم بعقيدة الإسلام وبنظام علماني ؟[٣] ، ومنذ ظهور العلمانية والحداثة[٤] والى يومنا هذا وهي تحارب الدِّين بشتى الوسائل وقد استطاعت أن تجلبَ لها أنصاراً كثراً ، بل حكمت وسيطرت على كل مقدرات المسلمين [٥].

٣- الحركات الدِّينية المنحرفة : لا يخلو زمن من ظهور هذه الحركات المنحرفة والضالَّة عن الدين والإسلام ، ولعلَّ من أبرزها في الوقت المعاصر، الحركة الوهابية التي ظهرت للعالم بقيادة محمد الوهاب والتي تولَّدَ منها القاعدة وداعش وبوكو حرام وغيرها من الحركات التي أضرَّت بسمعة وقدسية الدِّين الإسلامي وسبَّبت الكراهية والتنكُّر للدِّين بين أبناء الدِّين نفسه .

آثار الانحراف الدِّيني على العلمية التربوية :

---

(١) الاسراء، ٣٢.

(٢) الاحزاب، ٣٢.

(٣) بحوث في الفقه المعاصر، حسن الجواهري،ج٣،ص٤٩

(٤) الحداثة: هي منهج فكري ومذهب اجتماعي في الحياة ضد الله والدين الذي أرسله الله للبشر فهو تحرّر فكري من سيطرة الله في الأرض. وهذا أحد معنييها.

(٥) انظر: أمان الامة من الاختلاف، لطف الله الصافي الكلبايكاني، ص١١. وكذلك: تصحيح القراءة، خالد البغدادي، ص٢٢٢

ISBN: 978-9922-21-412-2

١- الابتعاد عن الله تعالى :

من الواضح أنَّ الشخص الذي ينحرف هو في الحقيقة يتَّجه إلى الجهة التي لا يريدها الله تعالى ويكون أسيراً لهوى نفسه ويكون قربنه ومعلمه الشيطان فينغمس في الضلال ويتنكَّر لكل ما يرتبط بالرحمان ، وبالتالي يبتعد عن الحق وطريق الهدى . قال الشيرازي : ((إنَّ الغفلة عن ذكر الله ، والغرق في لذات الدنيا ، والانبهار بزخارفها ومغرياتها يؤدِّي إلى تسلُّط شيطان على الإنسان يكون قرينه دائماً ، ويلقي لجاماً حول رقبته يشدُّه به ، ويجرُّه إليه ليذهب به حيث يشاء !)) [١].

٢- غياب القدوة الحسنة في التربية والتعليم وظهور القدوة المنحرفة :

لا بُدَّ من الإشارة إلى أهمية ودور القدوة الحسنة في تربية وهداية الإنسان ، إذ إنَّ من المناهج الأساسية التربوية في الإسلام هي القدوة الحسنة ، حيث من الملاحظ أنَّ الهداية في كثير من الأحيان لا تتحقَّق بمجرد إعطاء المفاهيم والأفكار والنظريات ، وإنَّما تشكِّل (القدوة الحسنة) عنصراً أساسياً في هذه المناهج ؛ فمثلاً القرآن الكريم عندما يريد أن يحدِّد الصراط المستقيم في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[٢] يحدِّده من خلال هؤلاء القدوة الذين أنعم الله عليهم ، والذي يشاهد الإنسان مصاديقهم في مختلف الأدوار. ومن هنا عندما تغيب القدوة الحسنة يحل محلُّها القدوة المنحرفة والسيئة ، وبالنتيجة سيؤثِّر ويتأثَّر به الطالب ويقتدي بهذا المنحرف من الناحية الفكرية والسلوكية [٣] ، فلا بُدَّ من أن يكونَ المعلم قدوة حسنة للطالب في القول والعمل، ومن هنا يقول (أبو حامد الغزالي) حين يعدِّد واجبات المعلم: ((يجب أن يكونَ المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله، لأنَّ العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد، وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فإنَّه سمٌ مهلك، سخَّر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه، فيقولون لولا أنَّهُ أطيبُ الأشياء وألذُّها لما كان يستأثر به)). [٤]وذكر في كتاب الإيمان والكفر:((أنَّ القدوة

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله الأمثل، ناصر مكارم شيرازي، ج١٦، ص٥٥

(٢) الحمد:٦.

(٣) انظر: تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم، ص٢٦٤.

(٤) احياء العلوم، الغزالي، نقلا عن شرح رسالة الحقوق، حسن القبانچي، ص٦١٦

الحسنة والمثال الفعلي – أي التأثير دون إقناع منطقي – تقوم بدور كبير في تكوين الاتجاهات . فالأفعال أعلى صوتاً من الأقوال ، وإيحاء السلوك أقوى من إيحاء الألفاظ)) [١] .

٣- ظهور السقوط الأخلاقي في العلن :

من الواضح في وقتنا المعاصر عدم وجود قانون يحاسب على كل انحراف حتى ولو كان فكرياً ، ولذا فإنَّ المنحرفين حين يعلمون أن لا رقابة عليهم سوف يعلنون عن وجودهم علناً وبالتالي ظهور الانحراف في الشارع وهم يتفنَّنون في مساوئ الأخلاق فترى فيهم الكذب والغش والتبرُّج والتعرّي والزِّنا وارتياد الملاهي والخمور وبالنتيجة يكون هذا السقوط الأخلاقي ظاهراً للعيان ، وهو أمرٌ خطير على المجتمع الإسلامي ، وبالجملة فإنَّ الكفر والنفاق والعصيان يجمع كل مساوئ الأخلاق والأفعال القبيحة والصفات السيئة .

٤ – انتشار ظاهرة الانحراف في المجتمع :

الظاهرة هي كل ما يعلم بالمشاهدة والانحراف قد يكون ظاهرة فردية لها آثارها الخاصة وقد يكون ظاهرة اجتماعية ، والظاهرة الفردية هي التي تؤثّر في وجود الظاهرة الاجتماعية حينما تتكرَّر الانحراف من هذا الشخص أو ذاك الشخص ، وتصبح حالة ملحوظة في المجتمع ، وهنا يسقط المجتمع في الحضيض فإنَّ الظواهر الاجتماعية السلبية إذا فشت في المجتمع تدَمِّره تدميراً ، وخصوصاً إذا انتشرت ظاهرة الانحراف عن الدِّين فيه .

٥ – عدم الاجتناب عن المال الحرام :

من الأمور التي تساعد في تنمية التفكير والسلوك عند الإنسان طبيعة الغذاء الذي يتناوله حيث إن هناك العديد من الأطعمة والأشربة تلعب دوراً مهمَّاً في تفعيل النشاط العقلي أو تساعد على خمول العقل عنده ، هذا من الناحية الفسيولوجية[٢] ، ولكن من الناحية الروحية أيضاً لها تأثير كبير على الإنسان بشكل عام ، طبعاً هذا من منظور وملاحظة التراث الديني، فعن النبي (ﷺ) : لا يدخل الجنة من نبت لحمه من السحت ، النار أولى به[٣] وعن الإمام الباقر (عليه السلام): إنَّ الرجلَ إذا أصابَ مالاً من حرام لم يُقبَل منه حج ولا عمرة ولا صلة رحم حتى أنَّهُ يفسد فيه

---

(١) الايمان و الكفر وآثارهما على الفرد والمجتمع، ص٨٢.

(٢) يعود أصل كلمة physiology إلى اللغة الاغريقية، ويتكون من شقين فيزيو ويقصد به الطبيعة أو الأصل والجزء الآخر لوجيا وتعني العلم. هو علم دراسة وظائف الأعضاء والأجهزة الحيوية ويتضمن ذلك كيف تقوم الأجهزة العضوية، والخلايا، والجزيئات الحيوية بالعمليات الكيميائية والفيزيائية في الكائنات الحية.

(٣) مسند أحمد، احمد بن حنبل، ج٣، ص٣٩٩.

الفرج [١]. والواضح من هذه النصوص الدِّينية أنَّ آكل الحرام يبتعد عن الدِّين ويكون في صنف المنحرفين [٢]. وبالتالي عندما يتغذَّى الإنسان على الحرام سوف ينحرف عن الدِّين بشكلٍ قهري . قال أمير المؤمنين(عليه السلام) : بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ [٣] طبعاً المقصود من المال الحرام المعنى العام الذي يشمل كل تصرُّف في مال الغير قال الآلوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُوآ أمْولَكُم بَيْنَكُم بالْبَطل ﴾ ، والمراد من – الأكل – ما يعمُّ الأخذ والاستيلاء، وعبَّر به لأنَّه أهم الحوائج – وبه يحصل إتلاف المال غالباً [٤] .

آثار الانحراف الديني على العلمية التعليمية :

١– وجود ظاهرة الانحراف في المجال التعليمي :

من الطبيعي عندما يكون المنحرفون هم من لهم السطوة أو أن يكون لهم دور في وضع الخطط والمناهج للتعليم فإنَّهم سوف لا يضعون ما ينسجم ومبادئ الدِّين بل سيضعون ما ينسجم ويخدم أهدافهم والتي غالباً ما تكون ضدَّ الدِّين وقيمه ، وبالتالي سيكون للانحراف موطئ قدم في هذه المؤسسة المهمة وكذلك تدمير القيم الدينية في هذه المؤسسات التعليمة بيد المنحرفين المتسلِّطين عليها وظهور المناهج المنحرفة بشكل رسمي في التعليم أيضًا ، والتي يجب أن تكون حسب الرؤية الدِّينية عامل من عوامل تكامل وبناء الإنسان المسلم دينياً وأخلاقياً من الناحية التربوية .

٢– عدم الثقة بالمعاهد العلمية :

عندما يتولَّى المنحرفون المعاهد العلمية فإنَّه بطبيعة الحال لا يمكن للمؤمن أن يطمئن لهؤلاء في كل أفعالهم حتى التعليمية ؛ لما يراه من أنَّهم لا يأبهون عن كل قول أو فعل تدعوهم اليه شهواتهم ورغباتهم ولا يهمُّهم سقوط موقعهم العلمي لأنَّ من لا يبالي بسقوط منزلته ودناءة همَّته فهو ناقص العقل ، ونقصه يوجب عدم الثقة به .

٣– ظهور المناهج الإلحادية في مناهج التعليم :

إنَّ الانحراف عن الدِّين يؤدِّي إلى الانحراف الفكري في مسائل الدِّين والعقيدة ... إلى غير

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٧، ص٩١.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج١، ٥٩٧، انظر: الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي الفلسفي، ج١، ص٨٦

(٣) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص٤٠٢.

(٤) روح المعاني، الالوسي، ج٢، ص٧٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ذلك من معاني الانحراف ؛ ومنها الانحراف في المناهج ، بمعنى أنَّ هؤلاء سيضعون مناهجاً منحرفة في التعليم تتناسب وافكارهم الضالَّة ، ويعرضون مناهجهم في المعاهد التعليمية وهذا يؤثِّر على أفكار الطلاب والمتعلِّمين خصوصاً وأنَّهم لا يملكون أي معلومة حول الدِّين والإشكاليات المطروحة على المستوى الفكري والفلسفي والاخلاقي وحتى السياسي .

٤- تخوُّف وقلق الأولياء من التعليم :

من الواضح في الفكر الإسلامي أنَّ التعليم هو المقدِّمة الأساسية لحصول التربية ، قال الشيرازي : ((التعليم " مقدَّم أو " التربية " ؟ في أربعة مواضع ذكر القرآن مسألة التربية والتعليم باعتبارهما هدف الأنبياء ، وفي ثلاثة مواضع منها قُدِّمت التربية على التعليم في البقرة وآل عمران والجمعة [١]، وفي موضعٍ واحدٍ تقدَّم التعليم على التربية (آية بحثنا)[٢]. ونعلم أنَّ التربية لا تتم إلَّا بالتعليم . لذلك حين يتقدَّم التعليم على التربية في الآية فإنَّما ذلك بيان للتسلسل المنطقي الطبيعي لهما . وفي المواضع التي تقدَّمت فيها التربية ، فقد يكون ذلك إشارةً إلى أنَّها الهدف ، لأنَّ الهدف الأصلي هو التربية ، وما عداها مقدِّمة لها))[٣]. فإذا كان التعليم الذي هو مقدِّمة للتربية يسوده الانحراف فإنَّ ذلك يجعل الأولياء في قلق على مستقبل أبنائهم عندما يرسلوا أبنائهم إلى المعاهد التربوية .

٥- غياب الرؤية الصحيحة التي توصل الطالب إلى الكمال :

إنَّ ممارسة الإنسان للأعمال الصالحة والحسنة هي أحد الأساليب الأساسية لتكامله بحسب طبعه ، وتكمن الفائدة الحقيقية للإنسان في ممارسته لهذا العمل أو ذاك في استجابته لأمر الله تعالى ، وهو ما يعبَّر عنه (بالتقوى) والذي يتكامل الإنسان من خلالها ويزدادُ قرباً من الله سبحانه تعالى . فإذا غابت هذه الرؤية عن التعليم وصار مكانها التعليم المنحرف الذي يأخذ الانسانَ بعيداً عن الله تعالى فلا يحصل على التكامل الذي يريده الله تعالى منَّا والذي فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة . ومن هنا يمكن أن يقال إنَّ للإنسان حالاتٍ ثلاث هي :

الأولى : حالة الاستقامة ؛ ويكون فيها في موضع الرحمة والنعمة الإلهية وفي طريق التكامل والصعود.

---

(١) البقرة، ١٥١ – آل عمران، ١٦٤ – الجمعة، ٢.

(٢) قال تعالى في سورة البقرة ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ ١٢٩.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم شيرازي، ج١، ص٣٨٥ .

الثانية : حالة التمرُّد على الله تبارك وتعالى ؛ ويكون فيها في موضع الغضب الإلهي وفي طريق التسافل والتنازل .

الثالثة : حالة التَّيه الذي لا يعرف معه الطريق المستقيم وهل هو في صعود وتكامل أم في حالة نزول وتسافل ؛ وهذه الحالة هي حالة (الضلال)[١] . والمنحرفون هم من يشكِّلون الحالة الثانية والثالثة فلا يمكن أن نتصوَّر فيهم أنْ يرتقوا بالإنسان إلى الكمال الإلهي .

٦- تدنِّي التعليم بشكلٍ عام وظهور الغش في الامتحانات :

تدنِّي التعليم له أسباب متعدِّدة ؛ ومن تلك الأسباب الانحراف الديني الشامل لكل شيء ، وبطبيعة الحال سوف يحصل الفساد الأخلاقي والإداري والمهني ، وبالتالي يتدنَّى التعليم كما هو الحال في العراق عندما كثر الفساد والإفساد المتعمَّد من قبل المنحرفين ؛ فقد خرج العراق من التصنيف العالمي لجودة التعليم ، وهو كارثة ونذير شؤم كما أنَّ من نتائج تدنِّي التعليم بروز بعض الظواهر السلبية التي منها ظاهرة الغش في الامتحانات .

٧- انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية :

من آثار الانحراف الدِّيني ما نراه اليوم من انتشار الدروس الخصوصية ؛ قال البهادلي : ((من الظواهر السلبية التي دخلت إلى التعليم في السنوات الأخيرة ظاهرة تفشِّي الدروس الخصوصية والتي يلقيها الأستاذ على بعض الطلاب خارج المدرسة وأخذ الأجرة من الطالب وهي تكلِّف الطالب وأهله الكثير من الأموال بحيث أصبح الكثير من الطلاب إذا لم يدخل في الدروس الخصوصية قد لا ينجح أو قد لا يحصل على الدرجات العالية التي تؤهِّله للحصول على الكليات العلمية))[٢] .

طرق معالجة الانحراف الدِّيني والحد من آثاره :

إنَّ أسباب الانحراف مختلفة ومتنوِّعة ، وإنَّ مواجهة كل سبب تفرض علينا اتِّخاذ طريقة معينة وخاصة به ؛ ولذا لا بُدَّ من حصر أسباب الانحراف ، ومن ثمَّ وضع خطة متكاملة لعلاج تلك الأسباب ، كلٌّ على حدة ، فمثلاً إذا كانت الأسباب ناشئة من أمراض نفسية ، فلا بُدَّ من الرجوع في هذه الحالة إلى أطباء الأمراض النفسية ، وإذا كانت الأسباب اجتماعية تربوية ، فلا بُدَّ أيضاً من الرجوع إلى ذوي الاختصاص في علم الاجتماع والتربية ؛ لوضع الحلول المناسبة لها ، وإذا كانت الأسباب ناشئة من الوضع الاقتصادي كالفقر ؛ فلا بُدَّ من معالجة هذه الحالة حسب

(١) أنظر: تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم، ص٢٢٨.

(٢) المجتمع العراقي بين القيم الاصلية و الطارئة، عبد الرضا البهادلي، ص١٦٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الإمكان ، وإذا كانت الأسباب منبثقة من الوضع الحاكم في البلد أو بعبارة أخرى : ناشئ من مخلَّفات السلطات الظالمة التي تحكم البلد ، والتي تسعى بشكل وآخر إلى إشاعة الانحراف في المجتمع ، فهنا يأتي دور التصدِّي لمواجهة الظالم والظالمين بشتَّى الطرق والوسائل الممكنة ، وبعد هذا الإيجاز في تصنيف علاج الانحراف علينا أن نبيِّن بعض حالات العلاج بشكلٍ منفرد ؛ لما لها من الأهمية ، وعلى النحو التالي :

١ – التعويد على الالتزام الديني :

إنَّ التديُّن فطرة إنسانيَّة لها جذور متأصِّلة في ذات الإنسان ، وأنَّ كلَّ إنسانٍ لا بُدَّ له من دين وطريقة في الحياة ، ولكن هذه الطريقة قد تكون خاطئة وقد تكون صائبة . فإذا كانت خاطئة فإنَّها ستدفع صاحبها إلى الانحراف ، وممارسة الطقوس والشعائر الخرافيَّة التي لا تكون لها نتيجة سوى الانحطاط والضلال . ولكن إذا كانت هذه الطريقة صحيحة فإنَّها ستُرشِد صاحبها إلى الطريق التعبُّديّ السليم ، وتقوده نحو شاطئ الأمان والسلام .

وعليه أن يستعينَ الإنسان بعقله ؛ ليهتديَ به إلى الجهة الدينية التي يمكن الوثوق بها في تلقِّي معارفه الدينية ؛ حتى لا يقع في الانحراف ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾ أي إلى مصادر علمه . فإذا ما التزم الفرد بالدِّين في شؤون حياته وأصبح ملكة في سلوكه ، فسوف لا يصدر منه إلَّا كل حسن وجميل في نظر الدِّين والعقل والقانون والعرف ، وبهذا السلوك سوف يعطي صورة نيِّرة عن الإسلام والدِّين بعيداً عن التطرُّف والانحراف .

ومن هذا المنطلق جاءت النصوص الدينية في الحث على تعويد الطفل على التكاليف الدِّينية والالتزام بالدِّين الصحيح قبل البلوغ ؛ ليكونَ ذلك منهجاً له لما بعد البلوغ ، قال الشهيد الثاني : ((المراد بالتمرين التعويد على أفعال المكلَّفين ليعتادها قبل البلوغ ، فلا يشقُّ عليه بعده)) [١]؛ وهذا ما ورد في أدعية شهر رمضان : ((اللهم إني أسألك حسن الظن بك ،... وأعوذ بك أن تبتليني ببليَّةٍ تحمِّلني ضرورتها على التعوُّد بشيءٍ من معاصيك....))[٢] .

٢ – الالتزام الأخلاقي :

يُعدُّ الالتزام الأخلاقي الأساس في تكوين الحالات الإنسانية ، العقلية والعلمية والسلوكية ، وفي تكوين المشاعر والأحاسيس ، وفي تكوين المحبَّة والبغض ، وما إلى ذلك ؛ ولعلَّه لعدم الالتزام الاخلاقي ينتهي البعض إلى درجة من السقوط الأخلاقي ، بحيث لا يبالى بكلِّ شيء ،

(١) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، مكي العاملي، ج١ ص٢٣٨

(٢) المقنعة، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، ١٧٥

حتى في العطف على اليتيم . فإذا فقد الإنسان الدَّاعي والمحرِّك الوجداني والعاطفي ، والميزة الروحيّة ، أدَّى به إلى نتائج خطيرة ، منها الخروج عن حالة التوازن ، والإمعان في الانحراف ، إلى درجة التَّكذيب بالدِّين وقيمه الأخلاقية ، وغيرها من نتائج الانحراف الأخلاقي.

وعليه فلا يجوز أن يستهين أحد بأهمية الأخلاق في حياة الإنسان ، لحساسية القيم والمعايير التي يتحرَّك الإنسان على أساسها ؛ إذ إنَّها تنشأ في الغالب عن الحالة الأخلاقية كما هو واضح . وذلك يؤكِّد خطورة وأهمية دور الأخلاق التي تغرس في النفس المعاني الإنسانية وصفات الخير، وتنشؤها، وترشدها. وكم لها من تأثير على مستقبل الإنسان ، بسبب عمق تأثُّر الحالة الفكرية والإيمانية والمعرفية بالميزات الروحية ، وبالأخلاق . حتى أنَّ فقدها (أي القيم والمعايير) يؤثِّر على سلامة المعرفة لدى الإنسان ويؤدِّي إلى أن يجحد بالدِّين علناً .

وهنا تبرز أهمية الالتزام بالأخلاق ؛ لما لها من صلة بالجانب المعرفي والعلمي والتربوي ، ولعلَّ ما ورد من أنَّ العلم ليس بكثرة التعلُّم ، وإنَّما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء ، أنَّ المقصود ليس هو العلوم المادية طبعاً ؛ فإنَّها ممَّا يصل إليه المؤمن وغير المؤمن . وليست المسألة في أن يتعلَّم الإنسان في المدرسة ، أو لا يتعلّم فيها ، بل القضية هي أنَّ هناك درجات من العلم ، لا يحصل عليها المتعلِّم إلاَّ من خلال الأخلاق والإيمان والسلوك المستقيم ، حتى إذا أخلَّ بهذا الجانب ، وحرم من الصفاء الروحي ، فإنَّه يُحرَم من درجات وأنواع من العلوم [1] .

٣ – الثبات والاستقامة على الحق :

إنَّ من أهم الآفات التي يصاب بها الفرد والمجتمع ، هو عدم المحافظة على شعلة الحق والوقوف إلى جانبه ، وبطبيعة الحال سيتجه نحو الانحراف إلى الباطل ، فينعكس في أفكاره وأخلاقه وسلوكه ، ومن هنا جاء التأكيد في الفكر الإسلامي على الاستقامة على الحق حتى ولو كان الحق لا ينسجم مع رغباته النفسية أو الاقتصادية أو العلمية أو السياسية قال تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[2] قال النقوي : ((إنَّ الحقَّ عبارة عن طريق المستقيم والصِّراط السَّوي الذي ليس فيه انحراف واعوجاج ، وهذا لا يمكن لأحد إلَّا بالاستقامة وعدم التَّزلزل والاضطراب ، ولا شكَّ أنَّ الوصول إلى هذا المقام من أشكل المشكلات ، ولذلك قال رسول الله (ﷺ) : شيَّبتني سورة هود لمكان هذه الآية (فاستقم كما أمرت) وهذا

(١) انظر: تفسير سورة الماعون، جعفر مرتضى العاملي، ص٢٥ بتصرف

(٢) هود: ١١٢-١١٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

بخلاف الباطل ولذلك نقول الباطل يطلبنا ونحن نطلب الحقَّ))[1]. فلا بُدَّ من أن يعوِّدَ الإنسان نفسه على الاستقامة والثبات سواء في الحياة العامة أو في المجال التربوي العلمي.

٤ – التكافل الاجتماعي وحل مشكلة الفقر :

منذ أن ظهر الإسلام دعا إلى مبدأ التكافل الاجتماعي ، ورفع شعاره ، ودعا المسلمين إلى تطبيقه في جميع مجالات حياتهم ؛ لأنَّ غايته نفي جميع ألوان البؤس وأنواع الشقاء ، ويقود مجتمعهم إلى شاطئ الخير والرفاهية ، ومن معالم التكافل المحبة والإخاء ؛ فإنَّ الهدف الأسمى الذي ينشده الإسلام هو غرس بذور المحبة في أعماق القلوب ودخائل النفوس ، وقد وصف النبي (ﷺ) المسلمين في تعاطفهم وتوادّهم بقوله : ((مثل المؤمنين في توادهم ورحمتهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى، والسهر)) . ومن الطبيعي أنَّ الحب إذا ساد بين المسلمين فإنَّهم حتماً يشتركون في السرَّاء والضرَّاء ، ويعطف بعضهم على بعض، وأنَّ مبدأ التكامل الاجتماعي يقوم أيضاً على أساس التعاون بين أفراد المسلمين في جميع أمورهم ، وقد دعا القرآن الكريم إلى ذلك قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2] و كذلك ألزم الإسلام المؤمنين بالإنفاق على بعض الفئات تحقيقاً للتكافل الاجتماعي بين المسلمين ، ولإقصاء الفقر والعوز عن البلاد ، فإذا ما تحقَّق هذا المبدأ انتفى عامل الفقر ، وبهذه الرؤية الدِّينية في التكافل الاجتماعي أُغلِقَ الباب أمام الانحراف الذي يكون منشؤه الفقر .

٥ – مواجهة المنحرفين والملحدين لمنع طمس الهوية الدينية :

نحن نعلم بأنَّ المنحرفين يسعون بشتى الوسائل إلى طمس الهوية الدِّينية في المجتمع الإسلامي ، سواء من خلال الحكَّام المنحرفين ، أو من طريق نشر ثقافتهم المنحرفة ، أو بواسطة إثارة الشكوك المزيَّفة في قيم الإسلام ، أو بواسطة الهيمنة العالمية على اقتصاد العالم أو الدول الإسلامية ، ومن هنا لا بُدَّ من المواجهة لهؤلاء في كافة المستويات ، ومنها فيما يتعلق بالجانب التربوي والعلمي ، وذلك من خلال إعداد المنهج المتكامل والمواكب لتغيُّرات الزَّمان ، ومن خلال رفع مستويات المعلمين والمدرسين والأساتذة في الجامعات أيضاً من الناحية العلمية والثقافية ، وكذلك المواجهة الاجتماعية لهؤلاء المنحرفين من خلال قطع العلاقة معهم وعدم السماح لهم بالمساس بالقيم الإسلامية .

---

(١) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي النقوي الخراساني، ج٥، ص٤٦١.

(٢) – المائدة: ٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٦ – الاعتدال والواقعية في طرح الفكر الإسلامي :

إنَّ المقصود بالاعتدال ، عدم التطرُّف أو الإفراط [١] . ولقد انتهج الإسلام منهج الاعتدال والعقلانية والواقعية ، في كل أفكاره وتشريعاته ، وأنَّ الإسلام دينٌ وَسَط [٢]، وتعاليمه زاخرة بالتأكيد على الاعتدال، وبالنظرة الشموليَّة المستوعبة ، وبضرورة الابتعاد عن الإفراط ، والنظرة الضيِّقة الأُحاديّة الجانب إلى الأُمور. ورسول الله (ﷺ) – الذي كان يعرض الإسلام بوصفه منهاجاً للتكامل المادِّي والمعنوي ويؤكِّد شموليَّته وكماله في استيعابه المصالح الفرديَّة والاجتماعيَّة – كان يرى الإفراط والنظرة الأُحاديّة الجانب أكبر خطر على أُمَّته ودينه. ولم يزل ينبِّه على هذه الحقيقة طيلة عمره المبارك ، فقد كان (ﷺ) يقول: ((لا يقوم بدين الله إلَّا من حاطه من جميع جوانبه))[٣]، وكان يرى أنَّ الذين يحملون النظرة الشموليَّة المستوعبة للدِّين ، ويُحيطون بجميع التعاليم الدينيَّة في مجال الفكر، والقول، والتكامل الفردي والاجتماعي هم وحدهم الذين تُثمِر جهودهم في نصرة الدِّين ، وكان يحرص على تعليم ذلك لأُمَّته. ومن هذا المنطلق لو أنَّ الأمة الإسلامية أخذت منهج الاعتدال الذي سنَّه لهم النبي (ﷺ) لما وقعوا في التطرُّف والإفراط سواء في فهم نصوص الإسلام أو التعامل مع الآخرين ، ولذا كان الفهم الخطأ لنصوص الإسلام منشأً للتطرف والانحراف فلا بُدَّ من فهم الإسلام بشكل صحيح والالتزام به ونشره في أوساط الأمة ليسود منطق الاعتدال والوسطية في الأمة[٤] .

٧ – الشعور التام بالمسؤولية التربوية :

إنَّ الإسلام لم يوجب شيئاً أو أمراً على معتنقيه ، إلاَّ ليعمِّقَ في ذواتهم الشعور بالمسؤوليَّة ، ويزرع في نفوسهم الشعور بالعلاقة بين الحقِّ والواجب ، وليضيِّق بذلك دائرة أنانيَّتهم ، وليُدرِك الإنسان أنَّ عليه واجبات لا تتوازن معادلة الحياة الفرديَّة والاجتماعيّة والعلاقة التعبُّديَّة بالله (عزَّ وجلَّ) إلاّ بإثبات هذه الحقوق والواجبات .

ومن هنا قال حسن معن في كتابه حول الشعور بالمسؤولية عند المؤمن والمنحرف : ((الإحساس الأخلاقي، والشعور بالمسؤولية. وكما يختلف الإنسان المؤمن عن الإنسان الجاهلي (المنحرف) في طريقة الشعور بالحياة، وقيمتها ومعناها، كذلك يختلف عنه في الإحساس

---

(١) معجم الفاظ الفقه الجعفري، احمد فتح الله، ص٦٠.

(٢) قال تبارك وتعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير،ج٣، ص١٧٦.

(٤) أنظر: موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة و التاريخ، محمد الريشهري، ج٦، ص٢٥٨ نقلته بالمعنى

الأخلاقي، ونحن نعرف: أنَّ للعقل البشري مدركاته العملية التي بها ما ينبغي وما لا ينبغي فعله ، إلَّا أنَّ الإنساني الجاهلي (المنحرف)- بسبب اتِّجاهه إلى الدُّنيا من الناحية العملية – يجمِّد هذا الشعور الإنساني الرائع فلا يعيش أي مسؤولية أخلاقية في الحياة ، أمَّا الإنسان المؤمن ، فإنَّ طريقته في التعامل مع الكون ، ومع الله تعالى ، ومع الذات تُنشِّط عنده كافة المشاعر الأخلاقية ، والإحساس الأخلاقي بالالتزام والمسؤولية . والمقاييس الثابتة للسلوك التي تفوق معاني اللذة والشهوة . إنَّ افتقاد الشعور بالمسؤولية ، والالتزام ، والقيمة الأخلاقية للأفعال من أوضح معالم الشعور الجاهلي (المنحرف)، شعور الإنسان الضائع الذي ينغمس في لذَّته ما أمكنه الانغماس، والتردي والقلق الذي جعله يتذبذب بين العوالم المشتِّتة للنفس، والسلوك. ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾[1] بينما يعليّه الإنسان المؤمن ((فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ – كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا – أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا – تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا – أَوْ أُتْرَكَ سُدًى أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً))[2] ، والإنسان المؤمن لا يحسُّ إحساساً أخلاقياً بالحياة وينمّي مدركاته العملية من خلال تنميته للإحساس بالعبودية لله تعالى فقط وإنَّما يشعر بالمسؤولية أمام ظواهر معيَّنة في الحياة ، وبأهداف معيَّنة محدَّدة . فالإنسان المؤمن يشعر بالمسؤولية تجاه ذاته . ومن أجل تغييرها، وتوجيهها نحو الله تعالى، مسؤولية التوبة والعودة إلى الله والاستغفار من الذنوب ، والإقلاع عن السيئات مسؤولية تنمية العلاقات مع الله تعالى ، ومسؤولية التنمية الثقافية ، وتلافي نقاط الضعف الروحي والنفسي، والعملي، التي لا ينفكُّ عنها إنسان ، وكذلك يشعر بالمسؤولية تجاه الناس والانحراف الذي يعيشون فيه ويشعر بأنَّه راعٍ ، ومسؤول عن رعيته[3] .

وعليه فالشعور بالمسؤولية تجاه الانحراف الاجتماعي هو نقطة افتراق الطالب المتديِّن عن غيره من الطلاب ومن المؤكَّد عندئذ أنَّ الشعور بالمسؤولية عند الطالب المتديِّن يختلف من الناحية العملية عن ذلك الطالب المنحرف ، فلا بُدَّ من خلق إحساس الشعور بالمسؤولية عند الطلَّاب بشكل في المناهج التربوية حتى نحصل على جيل يشعر بالمسؤولية .

يقول الفلسفي : ((إنَّ الشعور بالمسؤولية والاعتماد على النفس أحد الأركان المهمة لسعادة الفرد والمجتمع . إنَّ الانتصارات العظيمة التي أحرزها الرجال الأفذاذ في العالم، والترقيات

---

(١) محمد ١٢.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص٤١٨.

(٣) النظرات حول الاعداد الروحي، حسن معن، ص١٤٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

العلمية والاجتماعية والاقتصادية التي حصلوا عليها، مدينة إلى وعي المسؤولية الفردية من قبلهم وما يستتبع ذلك من نشاط دائب وجهد متواصل. إن الانتصارات العلمية إنَّما تنال الأشخاص الذين يطمئنُّون إلى أنفسهم بالمواصلة والسهر والجد والجهد . والطالب الذي لم يدرس جيداً ، ولم يجهد نفسه بالمقدار الكافي ، ثم يدخل قاعة الامتحان معتمداً على الآخرين ، ومستنداً على مساعدة المصحِّح ، وتسامح المراقب لا ينال المدارج العلمية الراقية))[١].

وقبل كلِّ شيء لا بُدَّ من القول أنَّ الأسرة هي الميدان العملي لتطبيق تعاليم الشعور بالمسؤولية والوجدان، وإظهار ذلك كلِّه بصورة بارزة ظاهرة أمام عيني الطالب. يقول في كتاب نحن وأطفالنا : ((إن الأسرة التي ينتشر فيها الوفاء والتضحية ، الصدق والشهامة في الأقوال والأفعال ، الأمانة والشجاعة في العمل، الإيثار والتواضع ... ترسم نموذجاً صالحاً للأطفال)[٢]، ويقول أيضاً : ((إن جميع هذه العوامل تتجلَّى لعيني الطفل بالتدريج خلال حياته ، وفي الحين الذي يتلقَّاها بصورة تلقائية يتطبَّع عليها بدوره))[٣].

إنَّ محيط الأسرة مدرسة تستطيع أن تنمِّي المواهب الكامنة في نفس الطفل ومنها تحمُّل المسؤولية، وكذلك تعلِّمه دروساً في العزَّة والشخصية ، الشهامة والنبل ، التسامح و... وغير ذلك من القيم الإنسانية العليا التي تنطبع في شخصيته . فإنَّ الأفراد الذين تلقَّوا تربية صالحة منذ الصغر ، ونشأوا على الشعور بالمسؤولية ومعرفة الواجب الملقَى على عاتق كل منهم ، يسلكون في الحياة باستقامة من دون تكلُّف ، ويلزمون رعاية الحق والعدل دائماً ... إنَّهم لا يحومون حول الذنب أصلاً ، ولا يفكِّرون في الخروج على القانون والاعتداء على حقوق الآخرين أبداً . من هنا نستنتج أنَّ التربية الصالحة المتَّبعة في دور الطفولة من أهم العوامل التي تساعد الطالب في مواجهة الانحراف .

النتيجة النهائية ..

لقد توصلنا من خلال بسط البحث عن موضوعنا إلى مجموعة من النتائج الكلية ، نلخِّصها بما يلي:

١- تبيَّن من خلال تعريف الدِّين أنَّ نشأته كانت أمراً فطرياً ، وأمَّا الانحراف عن ذلك إنَّما هو بسبب عوامل متعدِّدة . بعضها خارج عن إرادة المتعلِّم ، لذا كانت ظاهرة الانحراف شائعة في

(١) الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي الفلسفي، ج٢، ص٢٠٨.
(٢) نحن وأطفالنا، ريموند بيج، ص٣.
(٣) المصدر نفسه، ص٤.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الأوساط التعليمية.

٢- إنَّ للدِّين أهمية كبيرة في حياة الإنسان ، وبالأخص الدِّين الإسلامي ؛ لما يمتلك من خصائص ومميِّزات تميِّزه عن باقي الأديان .

٣- إنَّ ما تتركه آثار الانحراف على المستوى العلمي والأخلاقي والاجتماعي لدى الطالب ، يشكِّل ظاهرة خطرة على المجتمع بشكل عام ، ولهذا تطلَّب تهيئة مجموعة من الأساليب العلاجية الملزمة لمواجهة حالات الانحراف الفكري والسلوكي .

٤- إنَّ التربية الصالحة المتَّبعة في مرحلة الطفولة من أهم العوامل التي تساعد الطالب في مقاومة الانحراف ، ولذا تطلَّب الأمر تنقية المناهج التربوية والتعليمية التي يتلقَّاها الطالب للنهوض وبناء الأجيال على أسس تربوية إسلامية سليمة ، بما يؤهِّلُهم ويحصِّنُهم من تأثيرات مظاهر الغزو الثقافي المنحرف .

٥- ينبغي على للمعلم أن يكون متخلِّقاً بالأخلاق الحسنة ، إذ إنَّ التربية والتعليم متقارنان متلازمان. يضاف إلى ذلك أنَّ المعلم إذا كان غير صالح ولا يعمل بعلمه ، فمن المحتمل أن يعرض موضوعات سقيمة في تضاعيف موضوعات صحيحة ، والمتعلِّم غير منتبه لذلك. أو أنَّه يطرح موضوعاً صحيحاً لا يعمل به فتنتقل حالته هذه إلى المتعلِّم ؛ لكونه القدوة للمتعلِّم في القول والعمل .

مصادر البحث

- القرآن الكريم .
١. إحياء العلوم، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
٢. أصول التربية، محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
٣. أصول التربية الاسلامية، خالد بن حامد الحازمي، دار عالم الكتب، المدية المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ.
٤. الإلهيات، تقرير بحث الشيخ السبحاني للمكي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ط٤، ١٤١٣هـ.
٥. أمان الأمة من الاختلاف، لطف الله الصافي الكلبايكاني، نشر المطبعة العلمية ، قم ، ط١، ١٣٩٧هـ.
٦. الأمثل في تفسير كتاب الله الأمثل، ناصر مكارم شيرازي، نشر: دار إحياء التراث، لبنان بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م

٧. الإيمان والكفر وآثارهما على الفرد والمجتمع، إعداد مركز الرسالة، الناشر: مركز الرسالة، ط١، ١٤١٩ هـ.
٨. بحوث في الفقه المعاصر، حسن الجواهري، نشر: مجمع الذخائر الإسلامية، قم، ط١،١٤٢٢هـ.
٩. البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
١٠. تاج العروس، الزبيدي، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت،ط١، ١٤١٤هـ .
١١. التربية الإسلامية للطفل، إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ط١، ٢٠١٧م.
١٢. تصحيح القراءة، خالد البغدادي، نشر مطبعة ستاره، قم، ط١، ١٤٢٧هـ.
١٣. تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي ، قم، ط١، ١٤٢٠ هـ.
١٤. تفسير سورة الماعون، جعفر مرتضى العاملي، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
١٥. روح المعاني، الالوسي، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
١٦. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، مكي العاملي، الناشر: انتشارات داوري ، قم المقدسة، ط٢،١٤١٠هـ.
١٧. شرح رسالة الحقوق، حسن القبانچي، شركة الأعلمي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
١٨. الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي الفلسفي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م .
١٩. علم اجتماع التربية، عبدالله الرشدان، دار الشروق، عمان، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٠. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدى المخزومي الدكتور إبراهيم السامرائي مؤسسة دار الهجرة ، قم، ط٢،١٤١٠هـ.
٢١. فقه العولمة، محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر بيروت، ط١، ب.تا.
٢٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، نشر أدب الحوزة، قم، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٣. المجتمع العراقي بين القيم الاصلية و الطارئة، عبد الرضا البهادلي، الناشر مركز الهدى للدراسات الحوزوية، قم، ط١، ٢٠٢٠م.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢٤. مجمع البحرين، فخرالدين الطريحي، تحقيق السيد احمد الحسيني عنيت بنشره – المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية سوق بين الحرمين، پاساژ مهتاش، ط١، ١٣٨٦هـ.
٢٥. المخصص، ابن سيدة علي بن اسماعيل النحوي اللغوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ب.تا.
٢٦. مسند أحمد، احمد بن حنبل، دار صادر بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٧. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله، ص٦٠ الطبعة الاولى مطبعة المدخول الدمام ١٤١٥ هج ١٩٩٥ م
٢٨. معجم مقاييس اللغة ابن زكريا، احمد بن فارس،ج٢، ص٤٨٢ –٤٨٤، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هج
٢٩. مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي النقوي الخراساني، ج٥، ص٤٦١، الناشر: قم المقدسة تاريخ النشر: ٢٠١٥/٠١/٠١ الناشر :مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى .
٣٠. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٨١. تحقيق صفوان عدنان داوودي منشورات طليعة النور الطبعة الثانية ايران: مطبعة سليمان زاده ، تاريخ الطباعة ١٤٢٧ هج.
٣١. المقنعة، محمد المفيد، ١٧٥، قم المقدسة، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الثانية، التاريخ ١٤١٠ هـ. ق
٣٢. موسوعة الإمام علي في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، ج٦، ص٢٥٨.
٣٣. موسوعة من حياة المستبصرين، مركز الأبحاث العقائدية، ج٥، ص٤٩٨
٣٤. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج١، ٥٩٧، قم المقدسة، الناشر دار الحديث، الطبعة الاولى، المطبعة اعتماد، التاريخ ١٤٢٢هج
٣٥. نحن وأطفالنا، ريموند بيچ، ص٣، المترجم للغة الفارسية: منير مهران، الناشر: امير كبير، تاريخ النشر: ١٣٣٧ هج ش الطبعة الاولى.
٣٦. النظرات حول الإعداد الروحي، حسن معن، ص١٤٢، بيروت لبنان، الناشر: مؤسسة العارف للمطبوعات الطبعة: الثانية،التاريخ ١٩٩٢م .
٣٧. نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص٤٠٢ الطبعة الأولى، بيروت ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م .
٣٨. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٧، ص٩١. تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام

لإحياء التراث –١٣٧٢. قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٤ ق = ١٣٧٢.

المواقع الإلكترونية

٣٩. موقع (الموضوع)، مقالة (تعريف التأثير لغة و اصطلاحا)، بقلم آية الطبر، ٢٠ اكتوبر ٢٠٢٢، الرابط (https://mawdoo3.com/) .

٤٠. موقع (شبكة النبأ المعلوماتية)، عبدالله ابراهيم الصالح، مقالة بعنوان (ظواهر الانحراف في المجتمع)، تاريخ النشر في مجلة النبأ العدد ٦٤–رمضان ١٤٢٢/كانون الأول ٢٠٠١، الرابط(https://annabaa.org).

ISBN: 978-9922-21-412-2

أثر المؤسسات التربوية والتعليمية في الحفاظ على الهوية الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي / كلية التربية – الجامعة العراقية
أ.د. برزان مُيّسر حـــامد الحميـــد / كلية التربية للعلوم الأنسانية – جامعة الموصل
dr.barzan_78@yahoo.com

مقدمة:

الحمد لله الذي تَفَرَّد بجلال ملكوته ، وتوحَّد بجمال جبروته ، ونصلي ونسلّم على عبده المصطفى ، وأمينه المجتبى ، وآله مصابيح الدُّجى ، وأصحابه مفاتيح الهدى ، وبعد :

فلقد تعرضت الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل لسلسلة من التحديات الكبيرة والخطيرة ، دخلت عبرها في مواجهات شتى،من أجل الحفاظ على هُويتها الإسلامية وثقافتها، فالاستعمار لم يرحل عن الأراضي العربية والإسلامية إلا وخلّف وراءه العديد من المساوئ التي رجعت بالمجتمع إلى الوراء ، أبرزها التخلّف والتبعية والتجزئة ، والتي كان لها الأثر الأكبر في إضعاف الهُوية الإسلامية التي تميَّزت بقوتها في العصر الزاهر للمسلمين ، ولقد حاول المستعمرون بشتى السبل ، والوسائل كافة أن يقضوا على حضارة الأمة الإسلامية ، وأن يزيلوا معالم شخصيتها ، ويفقدونها هُويتها ، ويدمروا قواها الداخلية ، ويضعفوا مقوماتها ، بعدما كانت مثالاً للأمم في عزتها ، وسيادتها ، وحضارتها ، وحرصها على العدالة والأخلاق .

إن أخطر صراع يعيشه المسلم اليوم هو صراع الهُويات في زمن العولمة والغزو الفكري والثورة المعلوماتية ، فالهُوية والثقافة ومقوماتها المستهدف الأول في هذا الصراع والتدافع الحضاري ، بل إن وظيفة العولمة اليوم محو الهُويات والثقافات للأمم والشعوب ومسخها ، أو على الأقل تهميشها لصالح هُوية واحدة وثقافة واحدة ، ولخطورة الموضوع وأهميته حرصنا أن نبحث فيه بكل عناية ، ونوليه كل اهتمام ، بل ويجب علينا أن نعيد النظر في مجموعة الأفكار والنظريات والمواقف بما يتناسب وخطورة المرحلة ، ويعالج البحث عدة تساؤلات يمكن طرحها :

- ما مفهوم الهُوية الإسلامية ؟ وما هي مصادرها ؟
- هل يختلف مفهوم الهُوية من علم لآخر ؟
- ما هي سمات الهُوية الإسلامية ؟ وما هي أبرز جوانبها ؟

- ما هي مقومات الهُوية الإسلامية ؟ وما هي المظاهر التي تدل على وجودها؟
- ما هو حكم الحفاظ على الهُوية الإسلامية ؟
- ما هي المخاطر والتحديات التي تتعرض لها الهُوية الإسلامية ؟
- ماهي الوسائل والسبل اللازمة لمواجهة التحديات التي تتعرض لها الهُوية الإسلامية؟
- ما هي الأسباب التي تجعل بعض الأنظمة التربوية العربية لا تتلاءم مع التربية الإسلامية الصحيحة ؟
- ما هو عمل المؤسسات التربوية والتعليمية في تدعيم الهُوية الإسلامية ؟

أما الهدف من البحث ، فهو :

١- غرس الهُوية الإسلامية وتقويتها والحفاظ عليها .

٢- التعرف على المظاهر التي تدلّ على وجود الهُوية الإسلامية وتدعيمها .

٣- التعرف على مفهوم الهُوية الإسلامية وأهم مقوماتها .

٤- التعرف على أهم التحديات التي تواجه الهُوية الإسلامية وتشكل خطراً عليها.

٥- وضع تصور للمهام الذي يمكن أن تؤديه المؤسسات التربوية في تدعيم وتقوية الهُوية الإسلامية .

وتكمن أهمية البحث في محاولته لرسم خارطة طريق للخروج من التخلّف الحضاري الذي أصبح العالم العربي والإسلامي يعيش فيه ، والكشف عن الأسباب الداخلية والخارجية التي أضعفت الهُوية الإسلامية وكيفية مواجهتها ، ووضع تصور للعمل الذي يمكن أن تؤديه التربية في القضاء على أسباب ضعف الانتماء للهُوية الإسلامية أو تقوية وتدعيم الهُوية ، وتكمن أهمية البحث أيضاً بوضعه خطوط عريضة ، وأفكار واضحة للباحثين ، لإشباعها دراسة من شأنها أن تدعم وتقوي الهُوية الإسلامية عن طريق جملة من التوصيات والمقترحات .

أما منهجنا في البحث فأعتمد المنهج الوصفي التحليلي ، بعد جمع الحقائق والمفاهيم حول موضوع الهُوية وتحليلها وربطها بالأحداث والمتغيرات في عصرنا الحالي ، وصولاً الى الحقيقة وبر الأمان ، رغم قلة المصادر التي عالجت هذا الموضوع ، أو اعتماد المفكرين على مصطلحات مختلفة إلا أنها تعالج الأمر نفسه ، كاستخدامهم لمفهوم (الانتماء الإسلامي) مثلاً بدلاً عن الهُوية الإسلامية .

ISBN: 978-9922-21-412-2

المبحث الأول: الهُوية في اللغة والأصطلاح تعريف

- **المطلب الأول : الهُوية لغةً**

جاء في لسان العرب : " قال ابن الاعرابي[١] : هُوية أراد أهُوية فلما سقطت الهمزة رُدت الضمة الى الهاء .. وفي الحديث: " إذا عَرَّسْتم فاجتنبوا هُوِيَّ الأرض"[٢] وهي جمع هُوَّة ، وهي الحفرة والمطمئن من الأرض" [٣] ، وجاء في القاموس : " و (هُوِيّاً) بالفتح والضم ، وهَوَيَاناً : سقط من عُلُوٍ الى سُفْلٍ ، كا نْهوَى ، والرَّجُلُ (هُوَّةٌ) بالضم : صَعِدَ ، وارتفع ، و أو (الهَوِيُ) بالفتح : للإصعادِ ، و(الهُوِيُّ) بالضم : للإنحدار" [٤]

وجاء في المنجد : " الهُوية : (هو) ضمير للغائب المفرد المذكر ، ويقال للمثنى (هما) ، وجمع المذكر (هم) ، ويقال للمؤنث المفرد : (هي) ، وللمثنى : (هما) ، وللجمع : (هن) . والهُوية : حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية ، وذلك منسوب الى (هُوَ) . والهُوْهُوْ : لفظ مركب من هُوَ هُوَ ، جُعِلَ جُعِلَ ، اسماً معرفاً باللام ومعناه الاتحاد بالذات " [٥] .

والهُوية بضم الهاء ، ولا يصحُ فتحها ، وهو خطأ شائع على ألسنة الكثير ، ولا أحد ينطق بها بفتحها ، لأن أصل الهُوية هي كلمة (هُو) . [٦]

- المطلب الثاني : الهُوية إصطلاحاً .

---

(١) هو ابو سعيد ، احمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم المعروف بأبن الاعرابي (٢٤٦-٣٤٠هـ) . ينظر : معجم ابن الاعرابي ، لمؤلفه ابن الاعرابي ، تحقيق: عبد المحسن ابراهيم ، دار ابن الجوزي ، ط١ (د.م، ١٩٩٧م) ، ص أ .

(٢) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، غريب الحديث ، تحقيق : د. عبد المعطي امين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت،١٩٨٥) ، باب الهاء مع النون ، ج٢،ص٥٠٥.

(٣) ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر ، ط١ ، (بيروت ، د.ت) ، (٣٧٦/١٥) .

(٤) الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، دار احياء التراث العربي ، ط٢ ، (بيروت ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) ، ص١٢٣٥ ؛ الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، معجم الصحاح ، بعناية : خليل مأمون ، دار المعرفة ، ط٤ ، (بيروت ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م)، ص١١١٠-١١١١ .

(٥) مجموعة من الباحثين : المنجد في اللغة والاعلام ، دار المشرق ، ط٣٨ ، (بيروت ، ٢٠٠٠م) ص٨٧٥ .

(٦) ينظر : معجم تصحيح لغة الأعلام العربي ، (٢٨٠/١) .

ISBN: 978-9922-21-412-2

يُعدُّ مفهوم الهُوية من المواضيع أو الأمور المختلف فيها ، إذْ تخضع الهُوية في تعريفها للعلم الذي يحقق فيها ، وأن لكل علم تعريفه الخاص بها ، ويختلف من علمٍ لآخر[١] ، وكثيراً ما يستعمل هذا المصطلح في علم الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الكلام وأكثر من ذلك في علم النفس الاجتماعي.[٢]

فعلم النفس يُعرّف الهُوية على أنّها : " كون الشيء نفسه أو مثيله من كل الوجوه ، الاستمرار والثبات وعدم التغير " .[٣]

وعلم الفلسفة يعرفها على أنّها : " حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى ايضاً وحدة الذات". [٤]

وعلم الاجتماع يُعرفها على أنّها : " عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره ، اي تحديد حالته الشخصية " [٥]، أما مفهوم الهُوية العربية عند النسابين فتتضمن رابطة الدم التي تمثل الهُوية الحقيقية لمن ينتمي الى القبائل العربية ، ومن ثم الى الأمة العربية ، وإهتم علماء النسب بهذه الرابطة وعدّوها الموضوع الحقيقي للهُوية العربية فشكلت الأنساب إطاراً للهُوية القومية التي انشغل النسابون من أجل الحفاظ عليها ، وتحديد مفهومها ، ومتابعة العربي والأنساب العربية رغم الامتداد الزماني والبعد المكاني. [٦]

---

(١) ينظر: العاني ، د.خليل نوري : الهُوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، مركز البحوث والدراسات – ديوان الوقف السني ، ط١ ، (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م) ، ص٤٠ .

(٢) ينظر : المصدر ذاته ، ص٤٠ ؛ حامد ، كمال عجمي ، الهُوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة ، رسالة دكتوراه ، جامعة الازهر – كلية التربية – قسم اصول التربية الإسلامية ؛ شريف يونس: الهُوية وسلطة المثقف في عصر ما بعد الحداثة ، مقال منشور على شبكة الانترنيت،٢٠٠٢/١٢/٢٢م .

(٣) فاخر عاقل : معجم علم النفس ، دار العلم للملايين ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٨٥م) ، ص٥٥ .

(٤) المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، المطابع الاميرية ، (القاهرة ، ١٩٧٩م) ، ص٢٠٨ .

(٥) بدوي ، احمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، ط١، (بيروت ، ١٩٧٧م)،ص١٨٥

(٦) عجمي، الهُوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة ، ص٨ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

وعلماء الكلام والعقائد يعرفونها على أنّها : " الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق" .[١]

وبشكل عام تتفق معاجم المصطلحات على أهم شيء في تعريف الهُوية ، على أنها : "الهُوية :هي الذات" [٢]. أو **أنّها** : " الخصوصية والتميز عن الغير" أي هي حقيقة الشيء ، أو الشخص الذي تُميّزه عن غيره [٣]وقيل : أن الهُوية ، هي الحقيقة الجزئية ، بمعنى أن الماهية إذا أعدّت مع التشخص سمّيت هُوية ، قيل : أن الهُوية بمعنى الوجود الخارجي .

المبحث الثاني :الهُوية الإسلامية سماتها ومقوماتها ، وفيه ثلاثة مطالب

- **المطلب الأول : تعريف الهُوية الإسلامية**

عرفنا مما تقدم إن الهُوية مصطلح يستعمل لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فرديته وعلاقته مع الجماعات ، كالهُوية الوطنية أو الثقافية أو الدينية ، وأنّها مجمل السمات التي تميّز شيئاً عن غيره أو شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها ، كل منها يحمل عدة عناصر في هويته ، وعناصر الهُوية شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة ، وبعضها الآخر في مرحلة أخرى ، والهُوية الدينية تدل على ميزات مشتركة أساسية لمجموعة من البشر ، تميزهم عن مجموعات أخرى .

إن تحديد المفاهيم من الوسائل المهمة في البحث العلمي ، ومفهوم الهُوية الإسلامية لا يخرج عن ذلك ، ولكي نعطي تعريفاً عاماً للهُوية الإسلامية يمكننا القول :

- أنها تعني : " السمات والسلوكيات والمقوّمات التي تميّز المسلمين عن غيرهم ، وتكوّن ذاتهم ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً وواضحاً بالوطنية والقومية المنبثقة عن الإسلام". [٤]
- أنها تعني: " الإيمان بعقيدة هذه الأمة ، والاعتزاز بالانتماء إليها ، واحترام قيمها الحضارية والثقافية ،وإبراز الشعائر الإسلامية ، والاعتزاز والتمسك بها ، والشعور بالتميّز والاستقلالية الفردية والجماعية ، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ والشهادة على الناس" ، وهي أيضاً :

(١) العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، ص٤٥ .

(٢) م . ن : ص٤٦ .

(٣) م . ن : ص٤٥-٤٦ .

(٤) عجمي، الهُوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة ، ص٨ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

" محصلة ونتاج التجربة التاريخية لأمة من الأمم وهي تحاول إثبات نجاحها في هذه الحياة" (١).

تتعدد جوانب الهُوية فثمة جانب ثقافي وسياسي واجتماعي وغير ذلك ، كما تتعدد الهُويات التي تنبثق عن الهُوية الإسلامية ، فهناك الهُوية العربية ، والهُوية الفردية ، والهُوية الاجتماعية وغير ذلك ، وكلها لا تتعارض مع الهُوية الإسلامية ما دامت تنبثق هذه الهُويات عن الإسلام. كما أن العناصر التي يمكنها بلورة هُوية الامة كثيرة ، أهمها الإشتراك في الارض ، واللغة ، والعقيدة ، والتاريخ ، والحضارة ، والثقافة ، والطموح ، وغير ذلك .

وجاء في القرآن الكريم مدح وتعظيم لهذه الهُوية ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (٢) ، وقال تبارك وتعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلاً ﴾ (٣) ، وقال عز وجل : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٤) ، وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (٥)، وقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (٦) ، فنحن لسنا أمة منطقة الشرق الأوسط لكننا منطقة الأمة الوسط ، وقال عز وجل في شرف هذه الهُوية :﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٧) (٧)، ثم ذكر حيثيات هذه الخيرية بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ آمَنَ أهل الكِتابِ لَكَانَ خيراً لهمُ منْهمُ المؤمِنونَ وأكثْرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾ . (٨)

---

(١) العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، ص٤٥ .

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣ .

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٥ .

(٤) سورة المائدة ، جزء من الآية : ٣ .

(٥) سورة البقرة، الآية : ١٣٨ .

(٦) سورة البقرة ، جزء من الآية : ١٤٣ .

(٧) سورة آل عمران، جزء من الآية :١١٠ .

(٨) سورة آل عمران، جزء من الآية :١١٠ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

إنّ الهُوية الإسلامية انتماء إلى الله عز وجل ، وإلى رسول الله (ﷺ) ، وإلى عباد الله الصالحين وأوليائه المتقين، من كانوا ، ومتى كانوا ، وأين كانوا ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ* ومَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١) ، وقال تبارك وتعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢) ، وقوله جلّ في علاه ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (٣) وقال عز وجل: ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٤) ، وقال سبحانه وتعالى على لسان المؤمنين : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤمِنُ بِالله وَمَا جَاءَنا مِنَ الحَقّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدخِلنا رَبُّنَا مَعَ القَومِ الصَالِحِينَ﴾ .(٥)

ومن لطائف الإشارات ، وأبلغ العبارات ، في إدراك حقيقة كنه الهُوية الإسلامية ، وتأصيلها ، ما أشار إليه سيد قطب رحمه الله تعالى عند كلامه عن أحوال العرب عند مبعث رسول الله – ﷺ– وبداية دعوته لهم ، كانت أخصب بلاد العرب وأغناها في يد غيرهم من الأجناس فلم يُثرها – ﷺ– دعوة إلى القومية العربية تستهدف تجميع قبائل العرب ، لاستخلاص وإستنقاذ أرضهم من المغتصبين ، كما أنه (ﷺ) وجد أن المجتمع العربي كان كأسوأ ما يكون عليه المجتمع توزيعًا للثروة وتحقيقًا للعدالة، فكانت هناك قلة قليلة تملك المال والتجارة والترف وتتعامل بالربا فتتضاعف تجارتها ومالها... وكثرة كثيرة لا تملك إلا الشظف والجوع والفقر والعوز، فلم يُثرها رسول الله (ﷺ) راية اجتماعية ليجمع حوله الغالبية العظمى من الناس في وجه طغيان المال والشرف والجاه .

---

(١) سورة المائدة ، الآيتان :٥٥-٥٦ .

(٢) سورة التوبة، الآية:٧١ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية : ١٠٥ .

(٤) سورة آل عمران، الآية :٥٣ .

(٥) سورة المائدة، الآية: ٨٤ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

كما أنه (ﷺ) أقام الهُوية على التوحيد الخالص من إفراد الله سبحانه وتعالى بالنسك والحكم والولاء، بعد إفراده تبارك وتعالى بالربوبية ، بقول الله جل وعلا :

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) ، وقال تعالى: ﴿ أفغير الله ابتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزلاً من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ (٢) وقوله عز وجل ﴿ أغير الله أتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض وهو يُطعم ولا يُطعَم قل إني أُمرتُ أن اكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾ (٣) وقوله جل وعلا: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٤) ، وبذلك أسقط شرعية أي وضع يقوم على التمرد على سلطان الله –عز وجل– بإشراك غيره معه في الولاء أو الحكم أو النسك أو الربوبية، وبذلك لا يكون لأي وضع علماني أو قومي . يقوم على أساس الاجتماع على غير الإسلام والانتساب إلى غير الشرع ، شرعية إسلامية يستند إليها بدعوى أن القائمين عليه مسلمون !!.

كما أنه (ﷺ) أسقط شرعية الافتراق الديني والدنيوي، وقد بين رسول الله (ﷺ) اختلاف الناس واتباع الهوى وفقدان الهُوية الحقيقية النابعة من جذور الأمة الإسلامية بقوله – ﷺ : « وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة»، (٥) قالوا ومن هي يا رسول الله ؟ قال: « ما أنا عليه وأصحابي». وفي رواية: «الجماعة». وبذلك أبطل – ﷺ– تعدد الهُويات من داخل الدين كما أبطلها من خارجه .(٦)

---

(١) سورة الأنعام، الآية:١٦٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية:١٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٥) اخرجه ابو داود في سننه ، بالرقم (٤٥٩٦) ، باب (شرح السنة) ، من حديث الصحابي ابي هريرة (رضي الله عنه) ، ٦٠٨/٢ .

(٦) ينظر: الشاطبي ، أبو اسحاق ، الاعتصام ، المكتبة التجارية الكبرى ، (مصر) ، ١٩١/٢–١٩٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

- **المطلب الثاني : سمات الهُوية الإسلامية .**

لكل هُوية سماتها التي تميزها عن غيرها ، ومن أهم سمات الهُوية الإسلامية هي :

- أولاً : إنها هُوية متميزة عن غيرها ، وهذا التميز هو الذي يعطي كل جماعة أو أمة مقومات بقائها ، ويحفظ لها ثقافتها وخصوصيتها ، فلا يذوبون في ثقافات أو هويات غيرهم من الأمم.
- ثانياً : أن الهُوية الإسلامية تستوعب حياة المسلم كلها ، وكل مظاهر شخصيته ، فهي تامة الموضوع ، محددة المعالم ، واضحة الملامح ، تحدد لحاملها وظيفته وهدفه وغايته في هذه الحياة. (١)

- فوظيفة المسلم تجدها في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) ، أي: تحقيق العبودية لله تعالى، وهي تتمثل في طاعة الله تعالى في جميع الأمور الدينية والدنيوية ، وهذا شرط أساسي لتحقيق العدل المطلق والالتزام بالقيم والأخلاق والسلوك الطيب ، فعن معاذ رضي الله عنه قال : " كنت رديف النبي (ﷺ) على حمار يقال له عفير ، فقال : يا معاذ ! هل تدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله اعلم ، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئاً" (٣)، والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال" . وأوصل ربعي بن عامر (رضي الله عنه) رسالة مختصرة عن العبوية لله تعالى الى كسرى مفادها : " أن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها وسعة الآخرة"، فالعبادة بكل أنواعها هي المطلب الأول من المسلم للقيام به في هذه الحياة .

اما الهدف ، فنجده في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٤)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ . (٥)

---

(١) الهُوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، ص٤٥ .

(٢) سورة الذاريات ، الاية : ٥٦ .

(٣) مسند احمد بن حنبل ، بالرقم (٢٢٠٩٣) ، باب (حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه)) ، (٢٣٤/٥) .

(٤) سورة البقرة ، جزء من الاية : ٣٠ .

(٥) سورة الاحزاب ، الاية : ٧٢ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

فهدف المسلم في هذه الحياة هو النجاح في حمل الأمانة ، أمانة الخلافة على هذه الارض ، وعمارتها ، وقيادة البشرية لما فيه الخير والسعادة لهم في الدنيا والآخرة ، ووعدهم الله تعالى بالنصر والتمكين ، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ نْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ . (١)

- أما مهمة المسلم : فهي عمران الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هو أنشأكمْ من الأرضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٢) ، فبعد العبودية لله تعالى وحده ، وحمل أمانة الخلافة في الأرض ، أمر ﷺ هذه الأمة بعمران الأرض ، وخدمة الخلق ، وتقديم الخير لهم، لتنال هذه الأمة الخيرية، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣) والتقرب الى الله تعالى بخدمة الخلق ، قال (ﷺ) : " خير الناس أنفعهم للناس" . (٤)
- أما غاية المسلم من كل هذا، الفوز برضا الله تعالى ونيل ثوابه في الآخرة ، قال تعالى:﴿ يُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٥)

- ثالثاً : إنها تجمع وتوحد تحت لوائها جميع المنتسبين إليها ، وتربط بينهم برباط وثيق ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٦) ، وقال (ﷺ) في أحد خطبه : " يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا

---

(١) سورة النور ، الآية : ٥٥ .

(٢) سورة هود ، الآية : ٦١ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

(٤) الالباني ، صحيح الجامع ، بالرقم (٣٢٨٩) باب – احب الاعمال الى الله ، من حديث جابر، (٤٦/٢) .

(٥) سورة الفتح ، الاية : ٥ .

(٦) سورة الحجرات ، من الاية : ١٠ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى"[١] . وقال (ﷺ): " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد ،إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . [٢]

- رابعاً : إنّها سبب للإبداع والتميّز والنهوض الحضاري ، فهُويتنا تشكلت عبر التاريخ حتى أصبحت منا وأصبحنا منها ، فعملية التنمية لا يمكن أن تتم من خلال برنامج اقتصادي وسياسي عام ، فالبشر لا يتحركون في إطار العام ، وإنما يتحركون في إطار الخاص يعرف احتياجاتهم ويأخذ في الاعتبار توجهاتهم وأشواقهم وأحزانهم ، وأعتقد أن ظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد والنزعة الاستهلاكية الشرسة يزيد من أهمية قضية الهُوية وضرورة التمسك بها[٣] . وبطبيعة الحال، فالإنسان الذي لا هُوية له لا يمكنه أن يبدع ، فالانسان لا يبدع الا اذا نظر للعالم بمنظاره هو وليس بمنظار الآخرين ، لو نظر بمنظار الآخرين ، أي لو فقد هويته ، فإنه سيكرر ما يقولونه ويصبح تابعاً لهم ، كل همه أن يقلدهم أو أن يلحق بهم ويبدع داخل إطارهم ، بحيث يصير إبداعه في تشكيلهم الحضاري ، كما يحدث لكثير من العلماء العرب الذين يهاجرون الى الغرب. هذا ما أدركه لورد ماكولي، السياسي والكاتب الانجليزي، ففي خطاب له في البرلمان الانجليزي في ٢/شباط/١٨٣٥ ، قال : " لقد سافرت في الهند طولاً وعرضاً ولم أرَ شخصاً واحداً يتسول أو يسرق لقد وجدت هذا البلد ثرياً لدرجة كبيرة ، ويتمتع أهله بقيم أخلاقية عالية ودرجة عالية من الرقي ، حتى إنني أرى أننا لن نهزم هذه الأمة ، إلا بكسر عمودها الفقري وهو تراثها الروحي والثقافي" .[٤]

- **المطلب الثالث : مقومات الهُوية الإسلامية**

لاشك ان لكل أمة من الأمم مجموعة من الثوابت والمقومات تحرص على المحافظة عليها وتحاول أن تحوطها بسياج من الضمانات ووسائل الحماية لئلا تُمسَّ أو تُغيَّر أو تُبدَّل او تُحرَّف

---

(١) اخرجه الامام احمد في مسنده برقم (٢٣٥٣٦) باب (ترتيب البناء) من حديث ابي نضرة ، الشيباني ، احمد بن حنبل : مسند احمد ، مؤسسة قرطبة ، (مصر ، د.ت) ، ج٥ ، ص٤١١ .

(٢) اخرجه مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب ، (القاهرة،١٣٧٤هـ)،صحيح مسلم، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) بالرقم (٦٧٥١) من حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) ، ج٨، ص٢٠ .

(٣) الهُوية والحركية الإسلامية ، ص١٤٩ .

(٤) م . ن : ص١٤٩ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

أو يُستخفَّ بها . ولعلَّ أهم ثابت مشترك تشترك الأمم كلها في الاعتراف به بعدّها ثابتاً ، وتحيطه بوسائل المحافظة ، هو هُوية الأمة ومقومات تلك الهُوية ، فهُوية الأمة هي كينونتها التي لا تستطيع التخلّي عنها أو التسامح في أي جانب من جوانبها أو أي جزء من مقوماتها ، وقد تختلف هُويات الأمم في عناصرها ومقوماتها ، فما تعدّه أمة من الأمم جزءاً من هُويتها قد لا تعدّه أمة أخرى كذلك ، لكن القدر المشترك بين الأمم كلها هو ضرورة احترام هُوية الأمة ، والمحافظة عليها بكل مقوماتها وعناصرها ، وكل الامم ترى واجباً عليها بذل الغالي والنفيس ، وإرخاص المهج والأرواح في سبيل المحافظة على هُويتها وسائر مقومات تلك الهُوية .

ولا تقوم الهُوية القوية على فراغ ، وإنما لا بد لها من مقومات قوية تبنى عليها ، ومن أهم دعائم ومقومات الهُوية الإسلامية هي :

- **المقوم الأول : العقيدة الإسلامية**

فيعد القرآن والسنة المرجعية العليا ومصدر الحياة العقائدية والتشريعية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وإليهما يرجع عند الاختلاف، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمفَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [1] . وتمثل المظاهر العقائدية عصب الهُوية الإسلامية ، إذ لاغنى عنها للفرد والمجتمع ، فهي المصدر الأساسي والمرجع الأول لحضارتنا وفكرنا وسلوكنا وولائنا ونهضتنا.

- **المقوم الثاني : اللغة العربية**

فاللغة العربية ، هي لغة القرآن الكريم ، وهي الوعاء الذي يعبَّر به عن التراث ، والعروبة عامل يجمع ويشمل جميع المسلمين على اختلاف قومياتهم ، ذلك ان كل مسلم هو عربي بالضرورة ، فلا يحتاج المسلمُ لأن يكون عربياً في النسب حتى تكمل عروبته في نظر الإسلام، فقال (ﷺ) : " مولى القوم منهم " [2]، وقال (ﷺ) : " الولاء لحمة كلحمة النسب"[1] ، وعندما أختلف

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

(٢) النسائي ، احمد بن شعيب ، السنن الكبرى ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت ، ١٤١١هـ) ، (٥٨/٢) ، بالرقم (٢٣٩٤) ، باب (مولى القوم منهم) من حديث الحسن (رضي الله عنه) .

ISBN: 978-9922-21-412-2

المهاجرون والأنصار في موضوع الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله عنه) ، وأراد كل منهم أن يتشرف بانتساب سيدنا سلمان إليه ، فقال المهاجرون : سلمان منا ، وقال الأنصار : سلمان منا ، فقال (ﷺ) : " سلمان منا أهل البيت" [٢]. ثم ان الإسلام مرتبط بالعروبة ، والعروبة مرتبطة بالإسلام، وللعرب خصوصية في نظر الإسلام، لأن القرآن عربي ، والنبي (ﷺ) عربي ، وحملة الدعوة الأوائل الذين نزل الدين فيهم وتحملوا أعباءه وإيصاله للناس كافة هم من العرب . ولذلك قال (: (ﷺ" ... حب العرب ايمان وبغضهم كفر..."[٣] ، وقوله (ﷺ) لسلمان الفارسي (رضي الله عنه) : " ثم يا سلمان ، لا تبغضني فتفارق دينك" فقلت : يا رسول الله ! وكيف أبغضك وبك هداني الله عز وجل ؟ قال : " تبغض العرب فتبغضني" . [٤]

- **المقوم الثالث : التاريخ الاسلامي .**

يمثل المنطلق الذي تبدأ منه الهُوية الإسلامية ، وعلى هداه تسير لتعالج سلبيات الحاضر ، وترسم معالم المستقبل ، والتأريخ الإسلامي ملك لجميع المسلمين ، لأنهم ساهموا جميعاً في صناعته ، فالعرب المسلمون كانت لهم محطات مضيئة ، ومواقف مشرفة ، فضلاً عن المسلمين غير العرب الذين كان لهم أدوار رئيسة وفاعلة في صياغة مجريات الأحداث التي مرت بها أمتنا الإسلامية ، فمن يستطيع أن يتناسى دور القائد البربري المسلم طارق بن زياد الذي فتح بلاد الاندلس وفتح صفحة جديدة في التأريخ الأوربي والانساني معاً ، وكذلك دور الامام الفارسي المسلم محمد بن اسماعيل البخاري صاحب كتاب الجامع الصحيح المسند أو صحيح البخاري على الشهرة ، والذي يعد أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ، والقائد الكردي المسلم صلاح الدين الايوبي الذي فتح القدس وحررها من الصليبيين في معركة حطين الفاصلة ، فحق لكل مسلم من أية جنسية أو قومية أن يتفاخر ويتغنى بتاريخ الإسلام والاستفادة من تجاربه ، لما للتجربة

---

(١) النيسابوري ، محمد بن عبد الله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : د. مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٩٠) ، (٣٧٩/٤) ، بالرقم (٧٩٩٠) .

(٢) المستدرك على الصحيحين ، (٦٩١/٣) بالرقم (٦٥٤١) .

(٣) أخرجه الحاكم والطبراني عن أنس (رضي الله عنه) .

(٤) أخرجه الامام احمد في مسنده .

ISBN: 978-9922-21-412-2

التأريخية من تأثير بالغ على واقع الجماعات والشعوب ، قال الدكتور عبد العظيم محمود الديب : " التأريخ هو ذاكرة الأمة ، والذاكرة للأمة كالذاكرة للفرد تماماً ، بها تعي الأمة ماضيها ، وتفسر حاضرها ، وتستشرف مستقبلها .

- **المقوم الرابع : التـــــــــــراث .**

يعد أحد المرتكزات الأساسية للهُوية ، ونعني بالتراث : " النتاج الحضاري الذي ينحدر من خصائص أمة من الامم المتفاعلة مع البيئة التي نشأت فيها ، بكل ما تحتويه من تجارب وأحداث صبغتها بصبغة خاصة ، وأسبغت عليها ملامحها الثقافية ومميزاتها الحضارية التي تميزها عن الأمم الأخرى التي لها بدورها أنماط حياتها وأعرافها وتقاليدها". (١)

- **المقوم الخامس : الوحدة الثقافية المشتركة .**

الوحدة الثقافية المشتركة بين أبناء الأمة ، والمنبثقة من المقومات السابقة ومستندة عليها، فالأمة التي يجمعها دين واحد ولغة واحدة وتأريخ مشترك وتراث ساهم الجميع في صنعه ستكون لها ثقافة وفلسفة متميزة للحياة.(٢)

- **المقوم السادس : التكوين النفسي المشترك .** (٣)

ويراد به العادات والتقاليد والاخلاق والمشاعر والأحاسيس والاعياد ومناسبات الأفراح والاحزان ومقاييس الذوق والجمال والحب والطعام والشراب واللباس والروابط الاسرية، والذي كان للدين الاسلامي الدور البارز في تشكيلها وتهذيبها .

المبحث الثالث : أثر المؤسسات التربوية والتعليمية في تدعيم وتقوية الهُوية الإسلامية

مما لا شك فيه أن العلم وبناء الأمم والنظر في سنن بناء الأمم ... ضرورة من ضروريات مقّومات الهُوية الإسلامية .

---

(١) شريف كناعنة، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، حققه ونقحه وأعده للنشر: مصلح كناعنة، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية ، رام الله – فلسطين، بالتعاون مع مؤسسة فورد بالقاهرة ، ٢٠١١م، ص ١٦١ .

(٢) كناعنة، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، ص ١٩٣ .

(٣) عجمي، الهُوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة ، ص٢٨ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

إن الأمة الإسلامية أمة عظيمة، وهذه حقيقة لا ينكرها إنسان ولا يجحدها جاحد ... وكيف تُنكَر وقد ذكرها الله سبحانه في كتابه العزيز في أكثر من موضع ، بل لم يكتف بالإشارة إلى عظمتها ، ولكنه عز وجل ذكر تصريحاً أنها خير الأمم مطلقاً ، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [١]، فهذه شهادة ربانية تثلج الصدور ، وتنعش القلوب ، وتزرع الثقة اليقينية في قلوب الأمة أنها مهما تقادم عليها الزمان ستظل وتبقى خير أمة أخرجت للناس إلى قيام الساعة ، وهذا يتوجب علينا ان نجمع هذا الخير لننسج منه أداء متوازن منضبط له أهداف واضحة يسير بخطوات متتابعة يكمل الجيل الحالي الجيل السابق ، ويبني للأجيال القادمة في المستقبل ، أي تفعيل مبدأ " توريث الأجيال " إذ يقوم الجيل الأول من الروّاد بتهيئة الجو المناسب للإبداع من خلال إصلاح النظام السياسي والتعليمي ، وإظهار قيم تقديس العمل ، وإحترام الوقت ، والابداع الفردي ، والتطوير المستمر لعالم الإبداع ، وتحويل الإبداع الفردي الى مؤسسي ، وتبنّي رسم الخطط والاستراتيجيات ، ورسم السيناريوهات في مجال الصناعة والتجارة والزراعة والاقتصاد ... قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ* إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [٢] . ومع هذه الحقيقة اليقينية الثابتة ، إلا أن هذا لا يمنع أن يحدث للأمة هنّات وأزمات ، ومحن وأحن ، ولا يُستغرب أن يأتي عليها زمان يتقدّم عليها غيرها ، وتتراجع الأمة عن المكانة السامية التي أرادها الله عز وجل لها ، ويُصدِّق ذلك قوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [٣] فليست هناك أمة – بما فيها أمة الاسلام– تبقى قوية أبد الدهر ، وإنما تتناوب الأمم قيادة الأرض ، ولكن وعد رب العالمين أن هذه الأمة الإسلامية العظيمة ستظل باقية الى يوم القيامة.

---

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ١١٠ .

(٢) سورة الانبياء ، الآيتان : ١٠٥-١٠٦ .

(٣) سورة آل عمران ، جزء من الآية :١١٠ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

لابد من تهيئة المسلمين لأداء عمل أساس في صناعة عالم الغد عالمياً ، وعلى الغرب أن يدرك ذلك ، وإنما يتحقق ذلك عن طريق إستكمال التخصصات ، وتحقيق الاحتراف في كل تخصص ، ليكون مرجعاً في مجاله ، وتزكية التخصص في ما ينفع الأمة به ، كما ويتحقق بإعداد الدعاة وصناعة جيلاً منه بعيداً عن المحاصصة والحزبية الضيقة ، والتجرد عن الذات ، ويكونوا جنوداً لله تعالى .

محاولة ايقاف صراع الهُويات واستبداله بمبدأ احترام الهُويات ، والانطلاق للعمل ، لأن الفكر المتطرف والمنحرف ينمو في مثل هذه الأجواء ، ليحقق الهدف الذي ينشده بإضعاف الإسلام والدولة والمجتمع من خلال العنف والقتل والتهجير والاضطهاد ، وهنا يدخل المجتمع في نفق مظلم ، ولا بد من نشر ثقافة إحترام الهُويات بدلاً من إصطدامها ، لأن الخاسر الأكبر هو الشعب والأجيال فضلاً عن هدر الأموال ، ولكل طائفة أو جماعة هُويتها الخاصة التي تعتز بها ، وأية محاولة عنيفة لتغيير الواقع ستشكل أزمة ، فلا بد من التعايش والشراكة في الوطن لا في الهُويات الخاصة .

العمل على توفير المتطلبات التربوية اللازمة لتدعيم الهُوية الإسلامية، ونقصد بها مجموعة الأمور والشروط التربوية التي لا بد من توافرها ، لتدعيم وتقوية الهُوية الإسلامية ، فيمكن عن طريق التربية الإسهام في معالجة الضعف والخلل الذي حدث للهُوية الإسلامية ، ويمكن عن طريقها أيضا مواجهة التحديات والأسباب التي تشكل خطراً على الهُوية .

لابد أن تصبح الهُوية الإسلامية سلوكًا ليس للفرد فحسب بل للمجتمع ، ولنعلم أن لكل هوية صبغة تسود عليها ، فممارستك للهوية هي على نطاق ضيق إن لم تؤثر في المجتمع الذي تعيش فيه ، ولذلك نرى هنالك دولاً ومؤسسات تمارس" الهُوية الدولية " من خلال وسائل إعلامها وتنشئتها لأجيال متعددة تستطيع حشده وقت اللزوم بل و الأدهى من ذلك قامت بتجنيد " محللين ومسوقين من ذات الوطن .. من نفس الأمة حتى تستطيع إصابة العصب وتسميم الجسد بسرعة ودون بذل وقت وجهد كبيرين" [١] . ومما يجب علينا التحقق مما نتلقّى ، ونب ثقافة قائمة

(١) كناعنة، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، ص ١٩٥ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

على التحقق والتنقيح والتدبّر، ولا ندع العولمة تمحو هويتنا و أحلامنا و كياننا، ونستسهل الأمور وتتحول الهُوية الغربية من مجرد أمر سلبي إلى ثقافة وسلوك عند الفرد والمجتمع ، فلقد رفع هؤلاء شعارات محببة لكل مسلم ألا وهي العمل من أجل الإسلام... العمل من أجل الأمة... العمل من أجل الإنسانية... ولكنها شعارات غير قادرة على أن تخفي ما وراءها من نوايا سيئة ، لأن الأمة أصبحت لا تؤمن بالشعارات بعد أن روعت في أكثر من مناسبة بما وراءها من مقاصد سيئة، وأغراض دنيئة ، الأمر الذي جعلها تشك في كل داعية مجهول الهُوية فتمحص سلوكه مع ربه، وسلوكه مع نفسه، وسلوكه مع غيره قبل أن تفتح له قلبها، وتصغي إلى ما يقول. وأمة وصلت إلى هذا الحد من الحذر والحيطة عسير على الأدعياء أن ينالوا منها شيئاً، أو يجدوا لهم مكاناً في أرضها وبين صفوفها.

عندما نجري دراسة دقيقة وفاحصة ومتأنية لكتاب الله عز وجل وسنّة نبيه (ﷺ) والقصص والتاريخ وأحداث الواقع يتبين لنا بما لا يدع مجالاً للشك ، أن هناك عدّة عوامل تُسهم بشكل متفاعل وقوي في بناء أيّ أمة ، وياتي على رأس هذه العوامل (العلم) فهو أمر ضروري لازم لكل من أراد القيام ببناء أمة – مسلمًا كان أم غير مسلم – والعلم الذي نعنيه هنا ليس العلم الشرعي فحسب وإنما العلم الحياتي بكافة فروعه كذلك ، كالطب والهندسة والعلوم الصرفة ، والفلك والكيمياء والجغرافيا ، وكل ما من شأنه يصلح حياة البشر ويحسّن معيشتهم ، فهذا علم لا بد منه ، ليشكل دعامة مع العلم الشرعي من دعامات الأمة الإسلامية.[١]

فدين الإسلام دين يقوم على العلم ويرفض الضلالات والأوهام جملة وتفصيلاً، ونزل الوحي أول ما نزل بخمس آيات تتحدث حول العلم ، قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ .[٢]

خاتمـــــة :

(١) ينظر : مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – (٨ / ١٢٠) .

(٢) سورة العلق، الآيات ١ –٥ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

فبعد دراسة الهُوية الإسلامية ومقوماتها ، وسماتها ، والتحديات التي تواجهها ، دراسة مستفيضة ، نجمل أبرز النتائج التي خلصنا بها ، وعلى النحو الآتي :-

١- الهُوية لغة : جمع هُوَّة ، وهي الحفرة والمطمئن من الأرض ، ونستنتج منه أن الهُوية هي الشيء الذي تسكن إليه ، وتطمئن اليه ، وتشعر من خلاله بالحماية والأمان ، وهو مشتق من كلمة (هُو) ، وأختلف في تعريفها إصطلاحاً حسب العلم الذي يحقق فيها ، إذ لكل علم تعريفه الخاص بها ، ويمكننا القول أن الهُوية يحتوي مضمونها على الذاتية والتفرد والسمات والسلوكيات التي تميز المجتمع عن غيره ، فهي حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية .

٢- إن أخطر صراع يعيشه المسلم اليوم هو صراع الهُويات في زمن التحديات ، كالعولمة ، والغزو الفكري ، والثورة المعلوماتية ، والتغريب ، والتشويه ، والتفرقة ، .. وإن أمتنا الإسلامية تعرضت لسلسلة من هذه التحديات عبر تاريخها الطويل . ودخلت عبرها في مواجهات شتى .

٣- ان وظيفة العولمة محو الهُويات والثقافات للأمم والشعوب ومسخها ، أو تهميشها لصالح هوية واحدة وثقافة واحدة .

٤- الهُوية الإسلامية هي السمات والسلوكيات والمقومات التي تميز المسلمين عن غيرهم ، وتكون ذاتهم ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً واضحاً بالوطنية والقومية المنبثقة عن الإسلام ومن أهم سماتها : (أنها متميزة ، وتستوعب حياة المسلم كلها ، وأنها تامة الموضوع ، محددة المعالم ، واضحة الملامح ، وأنها تجمع وتوحد المنتسبين إليها برابطة وثيقة وأنها سبب للإبداع والتميّز) .

٥- أهم مقومات الهُوية الإسلامية (العقيدة ، واللغة العربية ، والتاريخ ، والتراث ، والوحدة الثقافية المشتركة ، والتكوين النفسي المشترك ، والتمسك والاعتزاز بها) .

٦- ولمواجهة التحديات التي تواجه الهُوية الإسلامية ، لابد من استغلال نقاط القوة في الحضارة الإسلامية وتعميق مفاهيم الهُوية الإسلامية ومظاهرها في نفوس المسلمين وفي مناهج التربية والتعليم ، وجعل اللغة العربية أساسا للمناهج ، وإعطاء الدين دوره الحقيقي وإزالة سوء الفهم والتعميق لمفهوم الإسلام ، وإعادة صياغة الأهداف والتخطيط الاستراتيجي ، وتفعيل الاعلام الاسلامي الهادف ، وتفعيل مبدأ احترام الهُويات وايقاف صراع الهُويات ، ومقاومة التحديات

ISBN: 978-9922-21-412-2

الداخلية والخارجية عبر ايجاد مشروع التمكين الحضاري للبيت المسلم ، وبناء حائط الصد الفكري ، وتحقيق الفاعلية الفردية ضمن قالب الانجاز الجماعي .

٧- إنّ التفريط في أمر الله عز وجل ، والوقوع فيما نهى عنه ، والأعراض عن شريعته ، من أعظم أسباب المصائب ، التي أدت إلى ضياع الهُوية الإسلامية .

٨- إنّ الإسلام هو دين الله الذي فطر الناس عليه جميعًا ، ومن انحرف عنه فقد حاد عن الصراط المستقيم فلا سعادة له ولا أمان إلا بالإسلام . إن الهُوية الإسلامية المتميزة هي فطرة الله التي فطر الناس عليها { صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة} لا يعرفها ثم يرغب عنها إلا من سفه نفسه ، وإلا من استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .

٩- إنّ الاختلاف والجدل سبب من اسباب هلاك الامم والشعوب .

١٠- إن إتباع الهوى وحب الأنا سبب من أسباب الفرقة وتأخر نهوض الأمم .

١١- لابد من تجديد الخطاب الاسلامي ومسار الدراسات الإسلامية .

١٢- الحث على طلب العلم ، فيه تبنى الأمم ، وهو ضرورة من ضروريات مقومات الهُوية الإسلامية ، ولهذا جاءت كلمة (إقرأ) أول ما نزل من القرآن الكريم ، (وعلّم آدم الأسماء) أول ما تعلّم الإنسان ، ، و(خلق القلم) أول ما خلق رب العالمين .

١٣- عمل الفلترة العلمية والاخلاقية عندما نقتبس من حضارة الغرب والشرق .

١٤- لا بد من معرفة أسباب النصر والتمكين .

١٥- بث الوعي الفكري والثقافي الذي يعتمد على منهج الاعتدال والوسطية في المسائل الدينية، ونبذ الغلو والتطرف.

١٦- إظهار ثقافة التسامح والتغافر واللين بين الشعوب والأمم الإسلامية.

١٧- تذكير الأمة بمحاسن الوحدة وثمراتها على كل الصعد، وتحذيرها من الفرقة والتنابذ ومآلاتها المخيفة.

١٨- حشد كل طاقات الأمة الثقافية والعلمية والفكرية والاقتصادية ضمن منظومة الوحدة الإسلامية لتحقيق الحلم الإسلامي الكبير.

١٩- إنشاء مراكز علمية للبحوث والدراسات في كل العالم الإسلامي تعنى بمستقبل الوحدة وتطويرها والحفاظ على مكتسباتها.

٢٠- نشر ثقافة الأمل وترك كابوس اليأس لنثبت للعالم أن الأمة ما زالت قادرة على التوحد وان الهدف ما زال قائماً وبالإمكان تحقيقه.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢١- تفعيل كل ما ورد أعلاه وذلك عبر المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في التخاطب بين الشعوب عبر استغلال وسائل الاتصالات الحديثة كالفضائيات والانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي.

٢٢- اجتماع مفكري الأمة الذين يؤمنون بحتمية وأهمية الوحدة بين فترة وأخرى للتداول والتشاور في كل ما يطرأ ويستجد على الساحة السياسية للأمة الاسلامية ووضع الحلول الطارئة لذلك .

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- ابراهيم سلمان الكروي ، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ، ط٢ ، مطبعة ذات السلاسل ، (الكويت ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .
- ابراهيم مدكور وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، (القاهرة ، ١٩٧٢م)
- أنور الجندي ، مقدمات العلوم والمناهج.
- ابن أبي شيبة الكوفي ، أبو بكر عبد الله بن محمد ، مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ط١ ، (الرياض ، ١٤٠٩هـ) .
- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٨٧م) .
- ابن الاعرابي ، معجم ابن الاعرابي ، تحقيق: عبد المحسن ابراهيم ، دار ابن الجوزي ، ط١ (د.م، ١٩٩٧م) .
- ابن القيم ، زاد المعاد .
- البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر ، دار طوق النجاة ، ط١، ١٤٢٢هـ .
- بشير الصقّال ، اليقظة الإسلامية ، بغداد – الموصل ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
- ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، غريب الحديث ، تحقيق : د. عبد المعطي امين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت،١٩٨٥) .

- إبن حزم ، علي بن احمد ، الإحكام في أصول الأحكام ، مطبعة الإمام ،ط١، (القاهرة ، ١٤٠٤هـ) .
- ابن تيمية ، احمد عبد الحليم ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم ، تحقيق:محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، ط٢ ،(القاهرة ، ١٣٦٩هـ) .
- ابن خزيمة ، محمد بن اسحاق : صحيح ابن خزيمة ، تحقيق : محمد مصطفى الاعظمي ، المكتب الاسلامي ، (بيروت ، ١٣٩٠) .
- ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار صادر، ط١،(بيروت ، د.ت) .
- أبو داود ، سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي، سنن ابي داود ، ضبط وتعليق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .
- بدوي ، احمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، ط١ ، (بيروت ، ١٩٧٧م) .
- البلاذري ، ابو الحسن ، فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد رمضان ، مطبعة السعادة ، (مصر ، ١٩٥٩) .
- جمعة أمين عبد العزيز ، قراءة في ركائز المشروع الحضاري الإسلامي ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، ١٤٢٤-٢٠٠٣ .
- الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، (بيروت ، ١٤٠٥هـ) .
- الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، معجم الصحاح ، بعناية : خليل مأمون ، دار المعرفة ، ط٤ ، (بيروت ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م) .
- حامد ، كمال عجمي ، الهُوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة ، رسالة دكتوراه ، جامعة الازهر – كلية التربية – قسم اصول التربية الإسلامية .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، (ت٨٠٨هـ) ، المقدمة ، تحقيق : حجر عاصي ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت ، ١٩٨٨) .
- محسن عبد الحميد ، تجديد الفكر الاسلامي ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، (فيرجينيا – امريكا ، ١٤١٦-١٩٩٥) .
- محسن عبد الحميد ، مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها .

ISBN: 978-9922-21-412-2

- الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم ، مؤسسة الرسالة ، ط٩ ، (بيروت ، ١٤١٣هـ) .
- رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار ، دار المعرفة ، (بيروت ، ١٩٨٤) .
- رسول محمد رسول ، الغرب والاسلام ، (بيروت ، د.ت) .
- رشيد العبيدي ، الحركة الاستشراقية .
- روبر بريغالت ، اثر الثقافة الاسلامية في تكوين الانسانية ، ترجمة : السيدة ابو النصر احمد الحسيني ، ط١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (القاهرة ،د.ت) .
- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، (القاهرة ، ١٩٨٥) .
- سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، القسم الاول ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، ١٩٦٢م) .
- سيد مطيع الرحمن ، الإصولية الإسلامية ، ورقة مقدمة الى ندوة من أجل عالم عادل وتقدم دائم ، بيت الحكمة ، ٢٠٠٢ .
- السرجاني ، أ.د. راغب : العلم وبناء الأمم ، مؤسسة أقرأ ، ط١ ، (القاهرة ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) .
- شريف يونس : الهُوية وسلطة المثقف في عصر ما بعد الحداثة ، مقال منشور على شبكة الانترنيت ، ٢٠٠٢/١٢/٢٢م .
- الشيباني ، احمد بن حنبل : مسند احمد ، مؤسسة قرطبة ، (مصر ، د.ت) .
- شريف كناعنة، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، حققه ونقحه وأعده للنشر: مصلح كناعنة، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية ، رام الله – فلسطين، بالتعاون مع مؤسسة فورد بالقاهرة ، ٢٠١١م.
- الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد ، المعجم الاوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، دار الحرمين ، (القاهرة ،١٤١٥هـ) .
- الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، المطابع الاميرية ، (القاهرة ، ١٩٧٥م) .
- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير تأريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت ، ١٤٠٧هـ) .

ISBN: 978-9922-21-412-2

- العاني ، د.خليل نوري : الهُوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، مركز البحوث والدراسات – ديوان الوقف السني ، ط١ ، (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م) .
- عبد العزيز بن عثمان ، العولمة والحياة الثقافية في العالم الاسلامي ، موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم على شبكة الانترنيت .
- العلواني ، د. طه جابر ، اشكالية الردة والمرتدين ، مركز دراسات فلسفة الدين ، ط٢ ، (بغداد ، ٢٠١١) .
- عبد الله سلوم ، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية ، بغداد ،١٣٩٢هـ– ١٩٧٢.
- عماد الدين خليل ، مدخل الى التاريخ الاسلامي ، الدار العربية للعلوم ، (لبنان) ، والمركز الثقافي العربي ، ط١ ، (المغرب ، ١٤٢٦–٢٠٠٥) .
- عماد الدين خليل، مدخل الى الحضارة الإسلامية ، الدار العربية للعلوم ، (لبنان) ، والمركز الثقافي العربي ، ط١ ، (المغرب ، ١٤٢٦–٢٠٠٥) .
- عماد الدين خليل وحسن الرزو ، دليل التاريخ والحضارة في الاحاديث النبوية الشريفة ، مكتب الأردن للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، عمان ، ٢٠٠٣م .
- عماد الدين خليل ، حول اعادة كتابة التاريخ الاسلامي ، دار الثقافة ، (الدوحة ، ١٩٨٦م)
- عبد الحليم محمود ، أوروبا والإسلام ، مطبعة الاهرام التجارية ، (القاهرة ،١٩٧٣).
- عبد الحميد أبو سليمان : أزمة العقل المسلم ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالي للفكر الإسلامي ، فيرجينيا – ١٩٩٤م ، الطبعة الثالثة .
- عبد الغفور محمد طه القيسي ، العلم والعلماء في القرآن الكريم ، ط١ ، مركز البحوث والدراسات الاسلامية – ديوان الوقف السني ، (بغداد ، ٢٠٠٨) .
- عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية – العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، ١٩٦٣) .

ISBN: 978-9922-21-412-2

نحو اصلاح المنظومة الاسرية وفقا للشريعة والقانون

م. م. جمانة جاسم علي الاسدي
د. امال علي عبد الحسين الموسوي
جامعة كربلاء – كلية القانون
Jumana.j@uokerbala.edu.iq

المقدمة

اولًا- موضوع البحث:

تعدُّ الأُسرة هي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الفرد المبادئ الأساسية للقيم والمعتقدات التي تكون البذرة الأولى لبناء المجتمع، فالأسرة هي نواة المجتمع ويحافظ عليها القانون، كما تعد الخلية التي يتكون منها جسم المجتمع البشري، فاذا صلحت صلح المجتمع كله، واذا فسدت فسد المجتمع كله، وتستقر المنظومة الاسرية في ظل مقومات احكام الله، وتكمن أهمية هذه المنظومة في بناء شخصية الفرد ليكون قادرا على القيام بدوره في الحياة فيتم تعزيز قيم ومبادئ الاحترام والتقدير والالتزام بما فرض الله على افراد المنظومة الاسرية، وتكتسب الاسرة اهميتها لكونها أحد الأنظمة الاجتماعية المهمة التي يعتمد عليها المجتمع كثيرا في رعاية افراده منذ قدومهم الى هذا الوجود، وتربيتهم وتلقينهم ثقافة الدين الإسلامي وتهيئتهم لتحمل مسؤولياتهم الاجتماعية على اكمل وجه.

إذ حرص الشارع الحكيم على تنظيم مؤسسة الاسرة، وضبط الأدوار وتوزيع الاختصاصات ضمانا لاستقرارها، وكذا اهتم بتنظيم العلاقة بين افراد الاسرة سواء على المستوى التشريعي او السلوكي او الأخلاقي، وفصّل في شأنها تفصيلا دقيقا، وإنَّ حفظ الاسرة هو حفظ الدين، وبناء الانسان الصالح والاستقرار النفسي في الاسرة، اذ نجد في القرآن الكريم تفصيلات تشريعية وقيميّة وارشادية لمختلف مكونات الاسرة واهتماما بتنظيم علاقاتها وفق منظور شرعي ببيان حقوق وواجبات افرادها، لاسيما ما ذكر في الآيات القرآنية التي خصها بها.

ثانيًا- أهمية الموضوع:

لعل من الموضوعات التي تحتاج الى تسليط الضوء عليها هو كيفية اصلاح المنظومة الاسرية بما يطابق الشرع والقانون، وبالنظر الى أهمية موضوع الاسرة والمنظومة المتكونة منها، وأفكار الغرب التي ساعدت في هدم تلك المنظومة، حيث لم نجد معالجة تشريعية حقيقة وفاعلة من تنظيم وتحديد حقوق وواجبات هذه المنظومة، فلابد من مراجعة النصوص التشريعية ومن

اهمها قانون الأحوال الشخصية رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩م، الذي سبب الكثير من الإشكاليات التي أدت الى تعقيد وتفكيك الاسرة، وهنا أتت ضرورة وجود تشريعات تدبيرية واحترازية للمحافظة على كيان تلك المنظومة بدلا من هدمها، فالاختلال الذي يصيب تلك المنظومة يؤدي الى تفكك منظومة القيم والمبادئ لتلك الاسرة، لذا نحن بحاجة الى تظافر الكثير من الجهود والتعاون من جميع الجهات المسؤولة سواء الفردية او المجتمعية الى جانب دور الدولة وما يصدر عنها من تشريعات، فضلا عن اتباع الأسس الشرعية في الالتزام بما فرض الله لكل فرد من افراد الاسرة المسلمة.

ولا يخفى على القارئ الكريم ان الإصلاح يجب ان يرتكز على قواعد متينة مستمدة من اسس رصينة، ولا اساس اقوى واشد من القران الكريم، الذي له جذور عميقة في شرعنا الإسلامي المتمثل في رسم الطرق السالكة للخير والصلاح والاصلاح، فهو المصدر الأول للشرع الحنيف والاساس الاقوى لكل سلوك قويم.

ثالثًا- مشكلة البحث:

لقد اصابت الاسرة في الآونة الأخيرة الكثير من مشاكل التفكك والضياع، مما اثر بشكل كبير على بناء مجتمع ناصح ومعافى، فكان لابد من الالتفاتة الى تغيير جوهري في بعض نصوص القانون وإحلال نصوص شرعية محله، واجراء الكثير من التعديلات في نصوص القانون التي لا تتوافق مع احكام الله سبحانه وتعالى، المتعلقة بالمنظومة الاسرية وارجاعها الى الشريعة الإسلامية وتحديدا الاحكام التي جاء بها القران الكريم والسنة النبوية الشريفة، على اعتبار ان الاسرة التي تحمل رسالة الأنبياء وتطبق احكام القران الكريم لها دور فعال في بناء المجتمع وتقديم الصورة الاسمى للأسر المثالية.

ومن هنا بات أمر الاهتمام بالمنظومة الاسرية والبحث في المشاكل التي تواجه الاسرة أمر في غاية الأهمية، اذ ما أردنا أنْ نحافظ على كيان الاسرة في ضوء هيمنة الأفكار والسلوكيات الغربية المناهضة للتماسك الاسري، كما ان البحث في الإصلاح الاسري وفقا للشريعة والقانون يستحق بذل كل الجهد والاهتمام لإيجاد وسائل وحلول من منطلق الحرص على المجتمع الذي نعيش فيه ومن باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومكافحة كل ما من شأنه زعزعة الأمن العقائدي للأسر المسلمة.

رابعًا- خطة البحث:

وعليه قسمنا البحث الى مبحثين خصصنا الأول منه لدراسة مفهوم المنظومة الاسرية في الإسلام، وقسمنا المبحث على مطلبين تطرقنا في المطلب الأول لتعريف الاسرة، فيما بحثنا في المطلب الثاني دور الاسرة في الاسرة، وتناولنا في المبحث الثاني المعالجات الشرعية والتشريعية لتطوير المنظومة الاسرية، وقسمنا هذا المبحث ايضًا على مطلبين، بحثنا في المطلب الأول منه في المعالجات الشرعية، فيما خصصنا المطلب الثاني المعالجات التشريعية، وانهينا البحث بخاتمة عملية تتضمن اهم النتائج التي توصلنا اليها بعد البحث والتقصي في غمار هذه الدراسة الموجزة، وكذا ذكرنا بعض التوصيات التي نأمل أنْ يؤخذ بها.

المبحث الأول : مفهوم المنظومة الأُسرية في الإسلام

تنشأ الاسرة بعقد زواج بين الزوج والزوجة وانجاب الأولاد، فهي تقوم على العلاقة بين مجموعة من القيم والمبادئ ومن أهمها، بر الوالدين، وصلة الارحام، وهناك واجبات وحقوق بين طرفيها وما نتج عنها من ذرية، وما اتصل بها من أقارب، فالأسرة القوية المترابطة القادرة على تنشئة الأبناء نشأة سليمة، تربيهم على أدب واخلاق وتعاليم الإسلام وتصقلهم بالأيمان، فبمثل هذه الاسر يقوم المجتمع كله على أساس متين، ولكي تكون الاسرة قوية لابد ان تكون أعمالهم وسلوكهم نموذجا عمليا لما يطلبه الإسلام، وقدوة حسنة لمن حولهم من الأُسر، وعلى كل افراد لمنظومة الاسرية ان يستشعر عظم مسؤوليته تجاه الله سبحانه وتعالى، فالإسلام قام بعملية التوعية والحث على الزواج، ودعا لتسهيل مستلزماته، ليعتبر الاسرة احب بناء في الحياة اليه، فضلا على أنَّه دعا لصيانة النفس وللاستقامة السلوكية والسكن والطمأنينة والاستقرار.

الاسرة مكوّن أساسي للمجتمع الإنساني، وإنَّها ظاهرة كونية للكائنات الحيَّة التي تعيش على سطح البسيطة بصورة عامة، والأسرة لها تأثير واضح على المجتمع البشري بصورة خاصة، فهي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الفرد فن الاخلاق والقيم والمعتقدات التي تكون البذرة الأولى في زراعة وتنشئة بناء شخصية الفرد مما له تأثير في علاقاته الاسرية والاجتماعية، ولها دور رسالي مهم لرسم صورة حضارية تاريخية في مختلف المجتمعات الإنسانية.

المطلب الأول: تعريف الاسرة

التعريف اللغوي

بالرجوع الى الأصل اللغوي لكلمة الاسرة، لوجدنا انها تنحدر من الجذر اللغوي (أسر)، لكونها مشتقة من الاسر، وهو يدل على الإمساك والقيد، واسره يأسره أسراً، وإسارة: شده بالإسار،

ISBN: 978-9922-21-412-2

والإسار ما شد به وهو القيد، ومنه الأسير، واسرة الرجل: عشيرته ورهطه لأنه يتقوى بهم[١]، والاسرة أيضا الدرع الحصين، وبهذا التعريف اللغوي يجعل من الاسرة الحصن الحصين الذي يصعب اختراقه وبهدمه تضيع العلاقات في شتات المجتمع.

التعريف الشرعي

لم يرد مصطلح الاسرة في القران الكريم بشكل صريح، لكنه كان اصطلاحا معروفا عند العرب يدل على جماعة الرجل، حيث كانت العرب تطلق كلمة الاسرة للدلالة على قدر من التجمع البشري، وعند الرجوع الى مفهوم الاسرة في ادبيات التداول الإسلامي فإننا نجد انها تعني الشد والامساك والاسر، إذ تعد الاسرة نموذجا للاجتماع بين الرجل والمرأة، فهي بذلك اسر وقيد لكلا الطرفين، وكما تعني أيضا أي يشد بعضها بعضا، وتربطهم أواصر قوية تجعل علاقتهم قوية وثابتة، كما انها حصن للإنسان بتثبيت مصدر وجوده وتنشئته وتكوينه، فقد اعطى الإسلام للأسرة اهتماما بالغا ووضع الأسس والقواعد السليمة في بناء الاسرة قبل الزواج مبتدأ في حسن اختيار الزوج والزوجة، مؤكدا على اختيار صفة الدين على بقية الصفات لأثر ذلك في بناء الاسرة الصالحة كي تكون بعيدة عن كل البعد عن الانحرافات الخلقية والاضطرابات التي تهدد امن الاسرة واستقرارها.

وان نظام الاسرة في الإسلام مبني على أسس شرعية واحكام فقهية، ونظم الإسلام فيها الحقوق والواجبات حسب الاختلافات التكوينية والفروق الفردية بين افراد الاسرة، مراعيا فيها الدور المناسب الذي يقوم به كل فرد منهم، فالأسرة في الإسلام لها ركنان اساسيان هما الزوج والزوجة، وركنان تابعان لهما، الأولاد وذوي القربى الممتدة في الإسلام[٢]

التعريف الاصطلاحي:

لم ترد لفظة الاسرة في القران الكريم، الا أنَّ القران الكريم والسنة النبوية ركَّزا على لفظ الاهل، حيث قال تعالى عز و جل في كتابه الحكيم: ﴿"فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها﴾"[٣]، وقال الرسول (ﷺ): "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"[٤]، ولكن هذا لا يعني

---

(١)محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الانصاري ، لسان العرب ، ص ٢٠ .

(٢)محمد مصطفى شلبي ، احكام الاسرة في الإسلام ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر، ١٩٧٧ ، ص ١٥.

(٣) سورة النساء : اية : ٣٥ .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل ازواج النبي (ص) ، ح ٣٨٩٥ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

عدم استعمال القران الكريم والسنة النبوية للفظة "الاسرة" بشكل تام، ولا يعني عدم وجود مضمونها واحكامها وواقعها، بل هي موجودة مضمونا وواقعا واحكاما لكون القران الكريم والسنة النبوية ركزا على معنى الزواج والتزويج وما يتعلق بهما من احكام وحقوق وواجبات للدلالة على معنى الاسرة، وكذلك ما جاء في كتب الفقه القديم في أبواب الخطبة والمهر والزواج والطلاق والنفقة والنسب والحضانة والارضاع والوصية والميراث، كل ذلك للتأكيد على مفهوم الاسرة وأهميتها ومكانتها ومالها وما عليها، ولإبراز دورها الفعال في بناء المجتمع(١).

ولم يعرِّف المشرع العراقي الاسرة الاّ أن المادة الثالثة من قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩م عرفت الزواج على انه: "عقد بين رجل وامرأة تحل له شرعا غايته انشاء الحياة الزوجية والنسل"، وفي المادة ٣٨ من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١م نصت على انه: "اسرة الشخص تتكون من ذوي قرباه، ويعتبر من ذوي القربة من يجمعهم اصل مشترك"، والمادة ٣٩ من القانون ذاته نصت بانه: "١-القرابة المباشرة هي الصلة بين الأصول والفروع وقرابة الحواشي هي الرابطة ما بين اشخاص يجمعهم اصل مشترك دون ان يكون احدهم فرعا للآخر".

وتبدأ الاسرة بذلك الرباط الوثيق والميثاق الغليظ بين الرجل والمرأة عن طريق الزواج الشرعي وعليه تعرف الاسرة من الناحية الاصطلاحية بانها: "الرابطة الاجتماعية التي تتكون من زوجين واطفالهما وتجمعهم الإقامة المشتركة والالتزامات الاجتماعية والاقتصادية"(٢).

فالأسرة هي الجماعة التي ارتبط ركناها بالزواج الشرعي والتزمت بالحقوق والواجبات بين طرفيها، او هي النواة الأساسية في المجتمع البشري واهم جماعاته الأولية التي تساهم في كافة النشاطات الاجتماعية المادية والروحية والعقائدية والاقتصادية(٣).

وعرفها احد الفقهاء بانها: "جماعة من الافراد يتفاعلون مع بعضهم بعضا، وهي تعتبر الهيئة الأساسية التي تقوم بعملي التطبيع الاجتماعي للجيل الجديد، أي انها تنقل إلى الطفل خلال نموه جوهر الثقافة لمجتمع معين، إذ يقوم الابوان بغرس العادات والتقاليد أو المهارات

(١) محمد أبو زهرة ، محاضرا في عقد الزواج وآثاره ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ٩١ .

(٢) جمعة عطا الله عبد الرؤوف حمدان ، أثر الخلافات الزوجية في الاسرة والمجتمع " دراسة مقاصدية " أطروحة دكتوراة ، جامعة النجاح الوطنية ، القدس ، ٢٠٢١ ، ص ١٥٦ .

(٣) محمد مصطفى شلبي ، احكام الاسرة في الاسرة ، الطبعة الرابعة ، الدار الجامعية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١٢٩ .

الفنية والقيم الأخلاقية في نفس الطفل، وكلها ضرورية لمساعدة العضو الجديد للقيام بدوره الاجتماعي والمساهمة في حياة المجتمع"[١].

فالأسرة هي المؤسسة الأولى التي ينشأ فيها الطفل، فهي تقوم بوظيفتها المتمثلة في نقل ثقافة المجتمع من عادات وتقاليد وقيم ومهارات الى الجيل الجديد، إذ تعتبر هذه الوظيفة من بين اهم الوظائف التي تقوم بها الاسرة[٢]، وعرفها اخر على انها: "وحدة بنائية تتشكل من رجل وامرأة تصل بينهما علاقات معنوية متماسكة مع الأطفال والاقارب، في حين وجودها يكون مستندا على الدوافع الغريزية والمصالح المتبادلة والشعور المشترك الذي يتناسب مع تطلعات وامال افرادها"[٣].

ويمكن لنا تعريف الاسرة بانها: "مجموعة من الأشخاص الطبيعيين توجد بينهم رابطة الزوجية والقرابة الى الدرجة الرابعة، ومن تم ضمه الى افراد العائلة وفق القانون".

المطلب الثاني : دور الاسرة في المجتمع

الاسرة باعتبارها الخلية الأساسية في المجتمع فهي تعكس ما يتصف به من حركية ومن تماسك أو تفكك ومن قوة او ضعف ومن تقدم او تخلف، فالأسرة هي تلك التي تمد المجتمع بمختلف الفئات النشيطة فهي تؤثر فيه وتتأثر به، فبصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد.

وتقع مسؤولية الأبناء على الوالدين في المرتبة الأولى والتربية بشكل عام والتربية الدينية بشكل خاص، فهي مسؤولة عن السلوك السوي والمرضي لله تعالى، لذا يجب على الاسرة وعن طريق دورها التربوي بأنْ تهتم وتجاهد بالكثير من المسائل التي لها اثرها على المجتمع من حيث غرس الآداب والاخلاقيات والمفاهيم الإسلامية التي تدعم حياة الفرد على أداء دوره اتجاه ربه والآخرين، فالآباء والامهات هم القدوة والمثل الأعلى في التصرفات والسلوك، والأبناء مهما كبروا فهم بحاجة دائمة الى التوجيه والنصح والإرشاد وبحاجة لخبرات ومعلومات وتجارب من هم اكبر سنًا.

---

(١) محمد حسن ، الاسرة ومشكلاتها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ ، ص ٢٠ .

(٢) د . عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع الصناعي ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٥٥٠ .

(٣) عبد القادر القصير ، الاسرة المتغيرة في مجتمع المدنية العربية ، دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والاسري ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص ٣٣ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

إنَّ النظام الاجتماعي في الإسلام جزء من الدين، وتدور حوله معظم النصوص الدينية، ومن اهم الأنظمة للأسرة التي وضحها الإسلام هي احكام الزواج والطلاق والنسب والميراث، وتقرير الدعائم الرئيسة لصيانة الاسرة وحمايتها من الاعتداء عليها، فالجانب الاسري من حياة المسلمين يعد جزءا كبيرا من نظامنا الإسلامي في سعته وشموله، والاسرة منذ بداياتها الأولى وحتى اليوم كانت تقوم بعده وظائف دينية وخلقية وتربوية، وان التربية الممزوجة بالتربية الدينية تساهم في بناء شخصية تتمتع بالاتزان والثبات، وغرس قيمة الاستشعار بمخافة رب العالمين، وان الله سبحانه وتعالى يراقب كل الأفعال والاقوال لغرس عقيدة ثابتة، مفادها ان الله مطلّع على اعمال جميع الافراد وسوف يحاسبهم عليها، مما يجعل الفرد يتحكم في افعاله ويرفعها لمحكمة الضمير، وهذا ما يربي الوجدان النفسي لدى الفرد(١).

ومما تجدر الاشارة اليه إنَّ الأسرة في فكر الإسلام هي رسالة الشرائع الإلهية لإحياء إنسانية الانسان، وبعث روح الاخلاق القيمية في وجوده وحماية الاسرة من طغيان الدوافع الشهوانية المادية، ومكافحة كل عوامل إضعافه وترسيخ وجوده وتقوية بنيته(٢).

فقد وجَّه القران الكريم انظارنا الى أصل خلق الله من أسرة واحدة (آدم وحواء) ثم أنشئ عن ذلك الأصل الاسرة، ومن اجل بناء مجتمع قوي وصادم في وجه كل الاخطار المحدقة وكل أوجه الصراعات التي عاشتها الامة الإسلامية(٣)، فالأسرة بالنسبة للمجتمع كمثل المعهد الذي يخرج الافراد المتدربين أي يخرج الجيل الذي يشحذ ارادته ويقوم هواه فيقتحم ساحة المعركة مدافعا عن الحق، والعكس يشكل عالة على المجتمع.

فالأسرة هي التي تنجب افرادا فاعلين في ساحة الحياة، حيث أصبحت المرأة لها الشراكة الكاملة مع الرجل، والخلل في وظائف الاسرة يتمثل عند ظهور الصراع وغياب الوالدين عن الاسرة لفترات طويلة وعدم المتابعة لتصرفات الأبناء، وسوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، مما يجعل الافراد عرضة للانحراف والاجرام، وتفكك الاسرة وتدهور وظائفها يعود سلبا على وضع الأبناء وعلى عقولهم وتوجيههم باتجاه تحقيق أهدافهم المستقبلية، وان التغير

---

(١) د . محمد عقله ، نظام الاسرة في الإسلام ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الرسالة ، عمان ، ٢٠٠٢ ، ص ١١٩ .

(٢) محمد مصطفى شلبي ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) نجد في عهد الرسول الأعظم من الاسر التي اثبتت صمودها وقيامها بدورها الرسالي اتجاه أبنائها وهي اسرة (آل ياسر) التي واجهت الموت واستشهد الابوان ولتكون أولى الشهادات في الإسلام شهادة اسرة ال ياسر ا، ولكنها انجبت عماراً، ذلك الذي كان في يوم من الأيام معيارا للحق والباطل.

الاجتماعي ساهم في تراجع تطور المنظومة الاسرية في المنافسة بين المرأة والرجل في كثير من ميادين العمل وسعي المرأة للحصول على مراكز اجتماعية مرموقة وهذا اعطى للمرأة نوعا من الاستقلال الاقتصادي وشغلها عن دورها الأساسي تجاه اسرتها، كما ان غياب الاب عن الاسرة من اجل العمل أو نتيجة الوفاة والطلاق وبقاء الأبناء مع احد الوالدين أدى الى اختلال البناء الاسري مما يجعل دور الاسرة غير فعال بل يشكل عبئا على المجتمع[١].

فقد وضع الإسلام أسس وقواعد سليمة في بناء الاسرة قبل الزواج مبتدأ يحسن اختيار الزوج والزوجة، مؤكدا على اختيار صفة الدين على بقية الصفات، لأثر ذلك في بناء الاسرة الصالحة السليمة من الانحرافات الخلقية والاضطرابات السلوكية التي تهدد أمن الاسرة واستقرارها، فضلا على ذلك نجد نظام الاسرة في الإسلام مبني على أسس شرعية واحكام فقهية توازن بين الحقوق والواجبات، حسب الاختلافات التكوينية والفروق الفردية بين افراد الاسرة مراعيا فيها الدور المناسب الذي يقوم به كل فرد منهم.

المبحث الثاني: المعالجات الشرعية والتشريعية لتطوير المنظومة الاسرية

للحفاظ على المنظومة الاسرية عِبر عدِّها الخلية الأساسية لكيان الامة، لابد من البحث في حلول شرعية وتشريعية وإيجادها للحد من التفكك الاسري لأنها من اهم مكونات المجتمع وعليها تبنى الامة كما سبق واشرنا، ولا شك ان الحماية الاسرة والمجتمع ككل من التشظي والانقسام، وان كانت هذه المحافظة تحققت على حساب حقوق المرأة وحريتها وكرامتها، وعندما نالت المرأة في العصر الحديث مجالا اكبر من التعلم واكتسبت المزيد من خبرات الحياة وفهم معطيات وتحديات حاضرها، فأنها لم تعد قادرة على تحمل ما كانت تتحمله اسلافها في الماضي من صبر على مشاكل افراد الاسرة[٢].

وإنَّ القضية التي تفرض نفسها على واقع المسؤولية في الاسرة، هي قضية تنشئة الفرد في داخلها، ليكون إنسانًا في الله، ومطيع فيما يفرضه القانون عليه من التزامات وواجبات ليندفع الانسان في طريق التخطيط لتحقيق العنصر الوقائي الداخلي والخارجي فعن طريقها تكون الضمانة لتحقيق المناعة الذاتية ضد الانحراف والسقوط، وبناء الشخصية الإسلامية.

---

(١) عبد المعطي حسن جابر ، الاسرة ومشكلات الأبناء ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار سحاب للنشر ، ٢٠٠٤ ، ص ٢١٢.

– ٢د. خالد عبد الرحمن ، بناء الاسرة المسلمة ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٥ .

وعلى غرار كثير من الدول العربية نعتقد أنَّه يجب أن يسن قانون خاص بالمنظومة الاسرية وهناك محكمة متخصصة بقضايا الاسرة، وان ترجع هذه المحكمة في فصل هذه القضايا الى الشريعة الإسلامية حصرا بأحكام القران الكريم تتضمن هذه القضايا كل ما يتعلق بالأسرة[1]، كما لابد من وجود تشريعات تدبيرية واحترازية للمحافظة على كيان الاسرة بدلا من هدمها فاختلال المنظومة الاسرية يعني اختلال المجتمع، وللمحافظة على منظومة القيم والمبادئ للأسرة بحاجة الى جهد كبير وتعاون من جميع الجهات المسؤولة سواد افراد في الاسرة ذاتها او المجتمع عامة، ويمكن للمشرع ان يعالج بعض المسائل ويجعلها نصوصا او تعليمات او توجيهات، ومنها الالتزام بما امر الله تعالى للزوج والزوجة والاختيار الصحيح والمناسب واتباع الأسس الشرعية في اختيار الزوج أو الزوجة.

ويمكن ان تتم المعالجة عن طريق سن قوانين تعمل على رفع المستوى الثقافي للمتزوجين وتشجيع الزوجين على الاهتمام بالأسرة؛ لأنَ المسؤولية تقع على عاتقهم حصرًا، فالهدف الرئيس من الزواج هو بناء اسرة متماسكة لتكوين جيل صالح في المجتمع، فالأسرة بحاجة الى منهج تربوي ينظم مسيرتها، فيوزع الأدوار والواجبات ويحدد المهام والاختصاصات للمحافظة على تماسكها المؤثر في انطلاقة عملية التربية الصحيحة للطفل على وفق الضوابط الدينية والمنطقية التي تضمن في نهاية المطاف الوصول الى الغايات والاهداف الإلهية من خلق الانسان.

المطلب الأول: المعالجة الشرعية للمنظومة الاسرية

إنَّ القران الكريم يحمل في طياته المعالجات المتنوعة والمتعددة للتغلب على المشكلات التي تواجه الجميع، وعند الرجوع الى كلمة الإصلاح نجدها كلمة اصيلة لها قواعدها المتينة واسسها الثابتة وطرقها الرصينة، مرسومة ومحددة بشكل دقيق لا لبس فيه ولا غموض، ومن هذه القواعد التي يجب الرجوع اليها هي التمسك بكتاب الله واتباع احكامه.

وعند تقصّي نصوص القران الكريم والسنة المطهرة نجد الشارع الحكيم قد رسم الطريق المستقيم لتكوين الاسرة الصالحة، فبين اختيار الزوجة وكيفية انشاء عقد الزواج وطريقة المعاشرة الزوجية، وارشد كلا الزوجين الى ما له من حقوق قبل الاخر، وما عليه من التزامات، ولم يغفل عن النزاع الذي يحدث بينهما لسبب او لأخر، فوضع العلاج المتدرج المناسب لكل خلاف، ثم وضع الطريقة المثلى لأنهاء هذا العقد إذا ما استحكم الخلاف وباءت الحياة الزوجية بالفشل، وما

(١) د . أنيس شهيد محمد ، الخلافات الزوجية وتأثيرها على سلوك الأبناء ، بحث منشور في مجلة كلية القانون ، جامعة القادسية ، ٢٠١٧ ، ص ٣٨ .

يترتب على هذا الانهاء من اثار، وبيَّن حقوق الأولاد قبل والديهم صغارا وكبارا، وما للوالدين عليهم من حقوق(١).

وإنّ الاسرة المسلمة تواجه التحديات امام الأفكار الغربية التي تدعو الى تحرر المرأة وعدم الالتزام بكل احكام الله.

إنَّ استقرار الحياة ونظامها يتوقف في نظر الإسلام على الحياة الزوجية العائلية، فالنظام الاسري هو النظام الانجح في تأمين ما يحتاج إليه الانسان من استقرار وامان عاطفي ونفسي، وقد نظمها الإسلام بأحسن وجه، حيث قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (٢).

وإنَّ الأُسرة المسلمة هي المحيط الحيوي الذي يجري عن توارث القيم الدينية بين الأجيال، وقد أصبحت الاسرة المسلمة هي النواة المستهدفة ونقطة الاختراق، فلابد من اصلاح شريعة الاسرة وقوامها، ومن المعالجات التي وضعها الإسلام لتنظيم الحياة الاسرية هي:

١. الايمان بأن الحياة الموحدة بحاجة الى قيادة موحدة، فلابد من قيادة في الحياة الزوجية تجري على وفق أحكام القرآن المجيد، ولهذا فرض الإسلام قيادة الزوج على الزوجة، وجعل القيمومة على الزوجية فقط لصالحها وتدبير امورها لخصوصية في الزواج تعفي الزوجة من مسؤولية النفقة وترتيب احتياجات بيت الزوجية، ثم ان إعطاء القيادة بيد الزوج قد تتمثل في أمور عديدة كلها بيد الزوج على شكل حتمي، مثل النفقة والطلاق والمهر، والاذن او المنع من الخروج من البيت، والرجوع في العدة وغير ذلك من الأمور (٣).
٢. لقد أكد الإسلام على الجانب الروحي الذي يلبي رغبة الانسان ويمنع من مفاسد الشهوة الجنسية وتتم هذه الرغبة عن طريق الإباحية التي فرضها الله عن طريق الزواج.

---

(١) د . أسماء بن تركي ، الاسرة بين التشريع الإسلامي والفكر الوضعي ، بحث منشور في مجلة المجتمع والرياضة ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، ديسمبر ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، ٢٠١٨ ، ص ٣٤ .

(٢) سورة الروم : اية ٢١ .

(٣) ازهار خلف الهواري ، نجاح حسين الهبارنه ، العوامل المؤدية الى التفكك الاسري وانحراف الاحداث في المجتمع الأردني ، بحث منشور في مجلة كلية التربية ، جامعة الازهر ، العدد ١٨٦، الجزء الثاني ، ابريل ، لسنة ٢٠٢٠ ، ص ٢٤٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٣. المودة والمحبة، هي أساس الالفة، فالحياة الاسرية تختلف عن حياة التاجر مع عملائه، فالارتباط بين الزوج والزوجة لم يكن الهدف منه اشباع الحاجات المادية كما في صاحب المصنع مع عملائه، لان الهدف من ارتباط الزوج هو لإنشاء اسرة صالحة بعقها المادي والمعنوي، والارتباطات الروحية لا يمكن تلبيتها الا إذا قامت الحياة على الالفة والمودة والسكينة.

٤. الاختيار الصحيح لكل من الزوجين، فالاختيار الصحيح من اهم أسباب نجاح الاسر، وسوء الاختيار يكون سببا لعدم الاستقرار واستمرار الحياة الزوجية.

٥. المعاشرة بالمعروف حيث قال الله تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ [١]، فالمعاشرة بالمعروف ليس معناها منع الأذى عنها بل انْ تحتمل الأذى منها.

المطلب الثاني: المعالجة التشريعية للمنظومة الاسرية

لقد حظي تنظيم الاسرة بعناية، تمثلت في سن مجموعة من القوانين المتعلقة بتنظيم شؤون الاسرة من زواج وطلاق ونسب وميراث وغيرها من الاحكام، وعلى الرغم من ان الدولة العراقية قد الزمت نفسها بالمحافظة على كيان الاسرة فقد نصت المادة ٢٩ / أولا / ب من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥م على انه: "تحافظ الدولة عن كيان الاسرة ككل وقيمها الدينية والأخلاقية والوطنية"، الا ان قانون الأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩م النافذ في بعض نصوصه مخالف للشريعة الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بموضوع الحضانة من حيث رفع سن الحضانة الى ١٥ سنة، فكانت نظرة رجال القانون والعلماء هذه مخالفة في العديد من احكامها للشريعة الإسلامية نصا وروحا، لأنَّها تؤدي الى تفكيك الاسرة العربية، فالإفساد التشريعي واضح في مجال الاسرة.

حيث نصت المادة (٢) من دستور العراق النافذ على أنَّ الدين الإسلامي دين الدولة الرسمي وانه أساس التشريع، فلابد للمشرع المعاصر اجراء تغيير جذري في نصوصه لقانون الأحوال الشخصية وتعديلاته، وما يجب عليه في هذا الشأن متجنبا سن قوانين وتشريعات لا تتوافق مع احكام القران الكريم، والحاجة الى تحديد ما يخالف الشريعة لتقويمها ومراجعتها؛ لأنَّها تمثل حلقة من مسلسل التغريب للمجتمع والأمة لارتباطها بمنهج عام لمحاربة الدين؛ ولأنَّه ترتب عليها آثار سلبية ومدمرة للأسرة كعزوف الشباب عن الزواج وارتفاع نسبة حالات الطلاق، وحرمان الاب

(١) سورة النساء : ايه : ١٩ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

من رؤية أبنائه ورعايتهم، وتفشي العلاقات غير الشرعية، ومن ثمَّ تنشأ اسر مفككة الى غياهب الانحراف والجريمة(١).

وعلى المشرع انْ يعدَّ العلاقة بين الزوج والزوجة علاقة مشاركة في جميع مناحي الحياة وكل منها يتحمل مسؤولية الاسرة على قدم المساواة بدلا من تركها للزوج فقط، وعِبر هذا المقتضى التشريعي يلاحظ على انْ المشرع يتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية التي تتأسس على المساواة والعدالة، وتكون في بعض المسائل ترجع حصرا للزوج، وإنَّ هناك بعض الامور ترجع حصرا للزوجة، مع ان المفترض هو وجوب التشاور بين الزوجين في اتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون المنظومة الاسرية، مع احترام الراي الاخر لكلا الطرفين، ويمكن للمشرع ان يلزم الإباء بتعليم أبنائهم وعدم السماح لهم بترك الدراسة، وان يتحمل الاب المسؤوليات كافة حتى ينشأ الأبناء النشأة الصحيحة.

وأما بالنسبة للمادة (٥٧) من قانون الاحوال الشخصية فيمكن تعديل المادة بما يوجب مصلحة الطفل دون الاكتراث بالمسائل العاطفية والكيدية، ولتجنب ذلك وتحقيق تلك المصلحة نقترح واستنادا إلى الشريعة الإسلامية ان تكون الحضانة للرجل كمسؤولية عليه ولما كان الرجل مسؤول عن النفقة ووجوب العمل خارج الدار فمن الطبيعي ان يضطر ترك الطفل عند زوجته أو والدته، الا ان الام احق به من الجميع فهنا نرى ان يلزم القانون الاب بعرض رعاية وحضانة الطفل على الام وتحت ولايته فان قبلت بها فهي أولى ولها اجرة الحضانة وان رفضت او تزوجت تخير الاب في حاضنته، مما يساعد الامر على تقارب الام والأب ومن ثمَّ يتم التقليل من حالات الطلاق وتحجيمها، ويبدو ان الحكم الإلهي في سر الحضانة تكون بعد السنة للولد او بعد السنتين او سبع سنوات للبنت ما هي الا قيد فرضه الله سبحانه وتعالى كي لا يصل الرجل او المرأة الى حالة الانفصال المطلق.

وهنا لابد من الاشارة إلى موقفنا من ضرورة عدم تمرير مشروع قانون مناهضة العنف الاسري لسنة ٢٠١٩ بشكله الحالي كونه يشتمل على الكثير من الملاحظ المخالفة للدين الاسلامي، مع اعترافنا متأسفين بضرورة تشديد العقوبات الموجودة في قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩م التي تخصُّ التعنيف والضرب والترهيب وغيرها من حالات التجني بين افراد الاسرة الواحدة، وتجدر الاشارة في هذا السياق إلى ان العراق لا يشكو من الحاجة الى تشريعات جديدة

(١) محمد جغام ، صوفيا شراد ، الحماية القانونية للاسرة المفهوم والتجليات ، بحث منشور في مجلة الدراسات والبحوث القانونية ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة بسكرة ، المجلد ٧ ، العدد ١ ، ٢٠٢٢ ، ٣٤٠ .

تسن عبثيا وتمرر في دهاليز البرلمان ليلًا، فما قانون حماية الطفل وقانون مناهضة العنف الاسري الا السم المدسوس العسل، ولكن اين اللبيب الذي يفهُم!

نأمل من المشرع العراقي وضع معالجات لازمة لحل مشاكل الاسرة والمجتمع كالعنف الاسري والابتزاز الالكتروني والمخدرات وظاهرة الطلاق عن طريق تشريع قوانين لازمة لحماية الاسرة من التفكك والضياع تراعي بالدرجة الاساس وتطبق الشريعة الإسلامية في اصلاح المنظومة الاسرية مع الحفاظ على القيم المجتمعية ونشر ثقافة الوعي الاسلامي لكل افراد الاسرة ومعرفتهم بكل ما يلقى على عاتقهم من مسؤولية، وهنا لابد من نبذ فكرة دور الايواء للزوجات والاطفال، وغيرها من المعالجات التي لا يتم اللجوء اليها الا ختامًا ومع انتهاء جميع الحلول وليس في مقدمتها على ما نصَّت عليه هذه المشروعات القانونية.

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة بحثنا الموسوم: (نحو اصلاح المنظومة الاسرية واثرها على المجتمع)، الذي تضمن بيان تعريف الاسرة واهميتها في بناء مجتمع صالح، اصبح من الضروري الوقوف دراسة أهميتها واثارها على المجتمع، وبيان وسائل الحماية والمعالجة الشرعية والتشريعية للحد من حالات التفكك الاسري او انهيار الاسرة بشكل كامل، ومن ثمَّ يكون الأبناء ضحية لذلك التفكك، وفي ختام هذه الدراسة كان لابد لنا من تدوين أهم النتائج التي توصلنا اليها، والاشارة الى ما يستحق طرحه من مقترحات نأمل أنْ يؤخذ بها من لدن المعنيين.

اولًا- النتائج:

١. إنَّ للأسرة في الإسلام وظيفة مقدسة ورسالة سامية في المجتمع والحياة، لذلك توالت عليها ضربات الأعداء وأفكار الغرب من الخارج لهدم صرحها ونخر كيانها ونقض أسسها ودعائمها.
٢. يتبين لنا انَّ أثر الشريعة واضح في الحفاظ على كيان الاسرة وحمايتها من التفكك والابتعاد عن الفرقة والنزاع عن طريق الاحكام التي وردت في القران الكريم.
٣. وضع الإسلام أسس وقواعد سليمة في بناء الاسرة قبل الزواج مبتدأ في حسن اختيار الزوج والزوجة مؤكدا على اختيار صفة الدين على بقية الصفات لأثر ذلك في بناء الاسرة الصالحة المسلمة السليمة.

٤. اتضح لنا ان المشرع العراقي لم يكن في بعض نصوص قانون الأحوال الشخصية العراقي وتعديلاته وفيما يتعلق بالحضانة في المادة (٥٧) انه قد خالف الشريعة الإسلامية وساعد ذلك في تفكك الاسرة وضياعها.

٥. لم تكن هناك معالجة تشريعية فعلية لإصلاح المنظومة الاسرية والحفاظ على كيان الاسرة من التشتت في بعض مشاريع القوانين المطروحة حديثًا على البرلمان العراقي، فيما نرى ان التشريع الإلهي كان أكثر حرصا وتشددا لتماسك الاسرة وعدم تفككها عن طريق الكثير من الاحكام التي وردت في القران الكريم والتي اشارت الى الكثير من الأمور لحماية هذه المنظومة بدلًا عن دور الايواء وإلقاء القبض على الآباء.

ثانيًا- التوصيات:

١. نحن بحاجة لإعلاء قيمنا الروحية والدينية التي تنتصر لمؤسسة الاسرة وضرورة الحفاظ عليها من الانهيار عن طريق اللجوء الى احكام القران الكريم والامتثال لها، والدعوة اليها بالسِّر والعلن بالجهر والقلم.

٢. يجب على كل افراد المنظومة الاسرية تعلم فنون التعامل بالحسنى والتسامح والعفو والتغاضي عن عيوب الآخر، وسعي الابوين بإخلاص لتقوية العلاقة بينهما بعيدا عن العصبية والغضب، والتواصل المستمر والحوار معهم واسباغ الحنان وحل كل مشكلة يتعرضون لها بعقلانية ومنطقية.

٣. تقع على المجتمع بمؤسساته التربوية والإعلامية والدينية مسؤوليات كبيرة في التوعية والنصح والارشاد بأهمية الاسرة والتوجه نحو الحفاظ عليها من كل انهيار او تفكك.

٤. يقع على متقلدي وسائل التواصل الاجتماعي في نشر الوعي بضرورة الترابط الاسري عن طريق نشر البرامج ومشاركتها التي تحث على دور الاسرة بالمجتمع واهمية الاسرة والعواقب التي يذهب اليها الحال بتفككها وضياعها.

٥. ويقع على القانون الدور التشريعي في تعديل او إضافة بعض النصوص القانونية لإصلاح المنظومة الاسرية معِبر معالجة بعض الإشكاليات التي لا تتوافق مع الشرع الاسلامي، ولاسيَّما فيما يتعلق بالطلاق والحضانة والتعنيف التي خالفت الشريعة.

٦. يجب ان يكون هنالك دور فعال للتشريعات القانونية المنظمة للعلاقات الاسرية بإقامة العدل وتحقيق التوازن الاسري وفق ضوابط الشريعة الإسلامية، وبمراجعة بعض المسائل المتعلقة بالحضانة وحق السكنى.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المصادر

القرآن الكريم

اولًا– المصادر باللغة العربية

١. الكتب الفقهية

١. سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل ازواج النبي (ص) ، ح ٣٨٩٥ .

٥. الكتب القانونية

١. خالد عبد الرحمن ، بناء الاسرة المسلمة ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

٢. عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع الصناعي ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠.

٣. عبد القادر القصير ، الاسرة المتغيرة في مجتمع المدنية العربية ، دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والاسري ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٩ .

٤. عبد المعطي حسن جابر ، الاسرة ومشكلات الأبناء ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار سحاب للنشر ، ٢٠٠٤ .

٥. محمد أبو زهرة ، محاضرا في عقد الزواج وآثاره ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

٦. محمد حسن ، الاسرة ومشكلاتها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ .

٧. محمد عقله ، نظام الاسرة في الإسلام ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الرسالة ، عمان ، ٢٠٠٢ .

٨. محمد مصطفى شلبي ، احكام الاسرة في الإسلام ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، ١٩٧٧ .

٩. محمد مصطفى شلبي ، احكام الاسرة في الاسرة ، الطبعة الرابعة ، الدار الجامعية ، بيروت ، ١٩٨٣ .

ثانيًا– الرسائل والأطاريح الجامعية

١. جمعة عطا الله عبد الرؤوف حمدان ، أثر الخلافات الزوجية في الاسرة والمجتمع " دراسة مقاصدية ، أطروحة دكتوراه، جامعة النجاح الوطنية ، القدس ، ٢٠٢١ .

ISBN: 978-9922-21-412-2

ثالثًا– البحوث والمقالات العلمية

١. ازهار خلف الهواري ، نجاح حسين الهبارنه ، العوامل المؤدية الى التفكك الاسري وانحراف الاحداث في المجتمع الأردني ، بحث منشور في مجلة كلية التربية ، جامعة الازهر ، العدد ١٨٦، الجزء الثاني ، ابريل ، لسنة ٢٠٢٠.

٢. أسماء بن تركي، الاسرة بين التشريع الإسلامي والفكر الوضعي ، بحث منشور في مجلة المجتمع والرياضة ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، ديسمبر ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، ٢٠١٨.

٣. أنيس شهيد محمد ، الخلافات الزوجية وتأثيرها على سلوك الأبناء ، بحث منشور في مجلة كلية القانون ، جامعة القادسية ، ٢٠١٧.

٤. محمد جغام ، صوفيا شرَّاد، الحماية القانونية للأسرة المفهوم والتجليات ، بحث منشور في مجلة الدراسات والبحوث القانونية، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة بسكرة ، المجلد ٧ ، العدد ١ ، ٢٠٢٢.

رابعًا– القوانين

١. دستور العراق النافذ لسنة ٢٠٠٥م .

٢. قانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١م .

٣. قانون الاحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩م .

٤. قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩م .

٥. مشروع قانون مناهضة العنف الاسري العراقي لسنة ٢٠١٩م .

ISBN: 978-9922-21-412-2

"التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية في ظل التحديات المعاصرة"

م. د. مروان كاظم وجر الساعدي/جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الانسانية

المبحث الاول: التعريف بالبحث

مقدمة البحث :

لم يحدث في تأريخ الأمة الإسلامية، على امتداد أربعة عشر قرناً من عمرها، أن إهتم المفكرين المسلمون بصورة عامة والعرب خاصة بموضوع الهوية، كما اهتموا له على مدى القرنين الماضيين. ويرجع السبب في ذلك إلى : الشعور والإحساس بل وتلمس الخطر الذي يهدد هويتهم وحاضرتهم وتأريخهم، على عدو قوي وخطير يريد هذا ويعمل جاداً عليه، مما ولدّ قناعة لدى نخبة من العلماء المصلحين بضرورة الانتباه لهذا الموضوع الخطير والتصدي له، عبر السير في عملية تغيير وإصلاح للواقع السيئ الذي تعيشه الأمة الإسلامية، فكان هذان السببان : الشعور بالخطر، والشعر بالحاجة إلى الإصلاح والتغيير، هما اللذان ولدا الاهتمام بموضوع الهوية لدى المفكرين الإصلاحيين، هوية النهضة التي يرومون القيام بها في ذلك الوقت (العاني، ٢٠٠٩، ١٥).

وفي ظل التغيرات السريعة التي أفرزتها طبيعة العصر وخصوصية المرحلة الحالية في مختلف المجالات الثقافية والاجتماعية والتربوية تواجه الهوية الإسلامية العديد من التحديات التي أسهمت في ظهور اتجاهات وقيم وسلوكيات غير مألوفة أثرت سلباً على المجتمعات الداخلية مما أدى إلى إضعاف الولاء للوطن والانتماء إليه بل تجاوز ذلك ليؤكد على الانهزامية الثقافية وترك الموروث التاريخي الأصيل (أل داود، ٢٠٢٢، ٤٧). ومن ثَمَّ أصبحت الهوية الإسلامية في موقع التهديد من قبل ظاهرة العولمة حيث يراد لهوية الأمة الإسلامية أن تفرغ من مقوماتها الأساسية المتمثلة في الدين الإسلامي، واللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، والتراث الإسلامي، وذلك لصالح هوية عالمية واحدة تتشابه فيها المبادئ والقيم والتقاليد والأعراف وأنماط الحياة العامة دون اعتبار لذاتية أي أمة أو حدودها الثقافية أو الجغرافية أو السياسية (المطرفي، ٢٠١٦، ١٥). من هنا يأتي دور التربية للتصدي لتلك التحديات والمتغييرات التي تواجهها الهوية الإسلامية. ومن هذا المنطلق يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال الاجابة على السؤال التالي، ما دور التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية في ظل التحديات المعاصرة.

أولاً : مشكلة البحث :

ISBN: 978-9922-21-412-2

تتحدد مشكلة البحث من خلال الاجابة على السؤال التالي، ما دور التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية في ظل التحديات المعاصرة ؟ وهذا يتطلب الاجابة عن تساؤلات البحث الآتية :-

١. ما الإطار المفاهيمي للهوية الإسلامية ؟
٢. ما التحديات المعاصرة واثرها على الهوية الإسلامية ؟
٣. ما دور التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية ؟

ثانياً : أهمية البحث :

يمكن تحديد أهمية البحث الحالي بما يأتي :-

١. يساير البحث الحالي حاجة ومتطلبات المجتمع العربي والإسلامي، في ظل التحديات والمتغييرات التي تواجهها الهوية الإسلامية.
٢. تقديم صورة واضحة عن مدى إسهام دور التربية على الإعتزاز بالهوية الإسلامية في ظل التحديات المجتمعية والعالمية المعاصرة.
٣. يساهم البحث في الحفاظ الهوية الإسلامية ، من خلال تفعيل دور التربية الأسرية، والمدرسة في ترسيخ ثقافة الانتماء والاعتزاز بالهوية الإسلامية.
٤. التجديد التربوي في وسائل وادوات التربية، ومدى أهميتها وفاعليتها في ترسيخ قيم الانتماء والافتخار بالهوية الإسلامية لدى النشىء والشباب.
٥. توضيح مدى خطورة المد العولمي والغزو الثقافي على الهوية الإسلامية، وعن كيفية العمل على مواجهتها وتحصين جسد الأمة من كل ما يمس هويتها ومكانتها.
٦. قد يفيد البحث الحالي الجهات المختصة والمسؤولة على المؤسسات التربوية الحكومية وغير الحكومية.
٧. إن يفسح البحث الحالي المجال إمام الباحثين والدارسين، من خلال الاستفادة من نتائج البحث.

ثالثاً : أهداف البحث :

يهدف البحث الحالي التعرف إلى دور التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية في ظل التحديات المعاصرة ؟ وهذا يتطلب التعرف إلى الأهداف الآتية:

١. التعرف إلى الإطار المفاهيمي للهوية الإسلامية.
٢. التعرف إلى التحديات المعاصرة واثرها على الهوية الإسلامية ؟
٣. التعرف إلى دور التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية.

ISBN: 978-9922-21-412-2

رابعاً : منهج البحث :

يستخدم البحث الحالي المنهج الوصفي الذي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما هي، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها تعبيراً كيفياً، أو تعبيراً كمياً، ومن ثم تحليل أبعادها لاستخلاص تعميمات تؤدي إلى تقدم المعرفة.

خامساً :حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي في معرفة الاطار المفاهيمي للهوية الإسلامية، فضلاً عن معرفة التحديات المعاصرة واثرها على الهوية الإسلامية، مع توضيح دور التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية في ظل التحديات المعاصرة.

سادساً : تحديد مصطلحات البحث :

١. مفهوم التربية :

- يعرف (رحمة، وشماس، ٢٠١٤) التربية بأنها : منظومة ثقافية تنطوي على تعليم وتعلم أعضاء المجتمع صغاراً وكباراً، مجموعة من المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم والمعتقدات وسواها من عناصر الثقافة الإنسانية، وذلك بهدف تنمية شخصياتهم تنمية متوازنة متكاملة، وإعدادهم للحياة والمحافظة على المجتمع وتطويره وتحسين نوعية الحياة فيه (رحمة، وشماس، ٢٠١٤، ٢٦).
- ويعرف الباحث التربية بأنها : عملية ضرورية تستهدف بناء الانسان، من الجانب، العقلي، والجسمي، والعاطفي، والاجتماعي، وتنمي فيه جميع القدرات والمهارات التي تصونه وتأهله وتمكنه من التعامل مع المشكلات والصعوبات التي تواجه الفرد في الحياة الخاصة والعامة.

٢. مفهوم الهوية الإسلامية :

- يعرف (بارشيد، ٢٠١٨) الهوية الإسلامية بأنها : هي مجموعة من الخصائص والصفات المشتركة التي يشترك فيها جميع أفراد ومجموع الأمة الإسلامية وتميزهم عن غيرهم من الأمم والمجتمعات، والمتعلقة بالمرتكزات والمقومات الأربع من الدين والتاريخ والثقافة والقيم والأخلاق الإسلامية (بارشيد، ٢٠١٨، ٤٥٣).
- ويعرف (اسماعيل، ٢٠١٨) الهوية الإسلامية بأنها : الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والإعتزاز بالإنتماء إليها، واحترام قيمها الثقافية والحضارية، وإبراز الشعائر الإسلامية والإعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ

ISBN: 978-9922-21-412-2

والشهادة على الناس وهي أيضاً محصلة ونتاج التجربة التأريخية لأمة من الأمم وهي تحاول إثبات نجاحها في هذه الحياة (اسماعيل، ٢٠١٨، ١٢).

- يعريف الباحث الهوية الإسلامية بأنها : تمثل مجموعة من الخصائص والمبادئ والسلوكيات التي تميز المسلمين عن غيرهم من الأمم والمجتمعات، والتي تجعل للفرد المسلم كيان وانتماء وقيمة ذاتية ومجتمعية، لما اكتسبته هويته الإسلامية من أهمية راسخة سماوية، محفوظة عظيمة الأصل والمصدر والمرجعية.

الدراسات السابقة :

دراسة (نمر، ٢٠١٥): بعنوان " ضوابط الحفاظ على الهوية الإسلامية في عصر العولمة " هدفت الدراسة إلى التعرف على : ضوابط الحفاظ على الهوية الإسلامية في عصر العولمة. مفهوم العولمة، وخطورتها على الهوية الإسلامية. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها : خطورة العولمة على الهوية الإسلامية والشخصية الإسلامية. إن الهوية الإسلامية تقف أمام تحديات جسام ومنها العولمة، وهذه التحديات لا تستثني أحداً، فهي تنزع الإنسان من عقيدته وثقافته، من حيث يدري أو لايدري.

دراسة (آل داود، ٢٠٢٢)، بعنوان " درجة إسهام مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز مقومات الهوية الإسلامية في ضوء بعض المتغيرات المعاصرة " هدف البحث إلى التعرف على : درجة إسهام مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز مقومات الهوية الإسلامية في ضوء بعض المتغيرات المعاصرة. واستخدم البحث المنهج الوصفي المسحي. وأظهرت نتائج إلى أن درجة مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز مقومات الهوية الإسلامية من وجهة نظر الطلاب في جميع الجوانب الثلاثة جاءت بدرجة كبيرة.

دراسة (بارشيد، ٢٠١٨)، بعنوان "الدور التربوي للأسرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية من وجهة نظر الآباء والأمهات بالمدينة المنورة " هدفت الدراسة إلى معرفة دور الأسرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية من وجهة نظر الآباء والأمهات بالمدينة المنورة. من خلال أبعادها ومقوماتها الأربعة (الدين، والتاريخ، والثقافة، والقيم والأخلاق). واستخدم البحث المنهج الوصفي المسحي. وتوصل الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها : أن درجة دور الأسرة التربوي في المحافظة على الهوية الإسلامية من وجهة نظر الآباء والأمهات على المحاور ككل جاءت بدرجة عالية جداً. وجود فروق ذات دلالة إحصائية لدرجة الدور التربوي للأسرة في الحفاظ على

الهوية الإسلامية في الجانب القيمي والأخلاقي، تعزى لمتغير الدراسة (النوع) لصالح الأمهات، وعدم وجود فروق دالة إحصائية في باقي الجوانب.

دراسة (الزبيدي، ٢٠١٦)، بعنوان " دور التعليم الجامعي في مواجهة آثار العولمة على مقومات الهوية الإسلامية" هدفت الدراسة إلى التعرف : على دور التعليم الجامعي في مواجهة آثار العولمة على مقومات الهوية الإسلامية، وضع تصور مقترح لتفعيل دور التعليم الجامعي في مواجهة آثار العولمة على مقومات الهوية الإسلامية. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي بشقيه المسحي والتحليلي. توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها : درجة تحقق دور التعليم الجامعي في مواجهة آثار العولمة على مقومات الهوية الإسلامية جاءت متوسطة، لجميع المحاور، (أهداف التعليم الجامعي، المقررات الدراسية، الأنشطة الطلابية، طرق التدريس، أساليب التقويم، الأستاذ الجامعي). درجة أهمية دور التعليم الجامعي في مواجهة آثار العولمة على مقومات الهوية الإسلامية جاءت عالية جداً لجميع المحاور.

التعقيب على الدراسات السابقة :

من خلال استعراض وتحليل الدراسات السابقة وعناصرها الرئيسة يمكن رصد العديد من جوانب الاستفادة منها : من حيث الكتب والمراجع المتعلقة بموضوع البحث الحالي. فضلاً عن الإطار الفكري للدراسات السابقة، كذلك الاستفادة من الإطار المفاهيمي للهوية الإسلامية ، أيضاً الاطلاع على مناهج البحث المتبعة في الدراسات السابقة لاختيار منها الأنسب والأكثر تماشياً مع طبيعة البحث الحالي، وكذلك الاستفادة من نتائج وتعميمات تلك الدراسات وأهم ما توصلت اليه من توصيات تتعلق بذات الموضوع.

المبحث الثاني: الإطار المفاهيمي للهوية الإسلامية

أولاً : مفهوم الهوية والهوية الإسلامية

لا يشك عاقل في أهمية الهوية لكل فرد، ومجتمع، وأمة، ذلك أن الهوية هي التي تعطي للفرد قيمته، وللمجتمع كيانه، وللأمة تماسكها، وبقاءها، والهوية هي الجانب المعنوي الأهم في الكيانات، سواء الفرد، أو المجتمع، أو الأمة، ولم تزل الأمم تعنى بهوياتها، وتتمسك بها حتى أنها تحيي القديم المندثر منها، لتجد نفسها، وتحقق معنى حياتها.

والمتأمل لواقع الناس والأمم اليوم يدرك العناية الفائقة لدى الأمم والشعوب بهوياتها، حتى أنها تبذل الغالي والنفيس للحفاظ عليها، بل لإحيائها بعد زوال واندثار (عبد الرزاق، ٢٠١٤، ٣٩).

وتعرف الهوية بأنها الامتياز عن الاخر، والمطابقة للنفس، أي خصوصية الذات، وما يميز الفرد أو المجتمع عن غيره من خصائص ومميزات ومن قيم ومقومات، فالهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهري، والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والأمم (علوان،٢٠١٤، ١٨٦).

أيضاً تعرف الهوية بأنها : " المقوم الذي يكونه الفرد عن فكره، وسلوكه اللذين يصدران عنه من حيث مرجعهما الاعتقادي، والاجتماعي، فهي تعريف الإنسان نفسه فكراً، وثقافة وأسلوب حياة (عبد الرزاق، ٢٠١٤، ٤٣).

ومفهوم الهوية الإسلامية لا يخرج عن هذا النطاق، فإذا أردنا أن نعطي تعريفاً عاماً لهذه الهوية، فإننا نستطيع أن نقول أنها تعني :" الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة، وواجب البلاغ والشهادة على الناس وهي أيضاً محصلة ونتاج التجربة التاريخية لأمة من الأمم وهي تحاول إثبات نجاحها في هذه الحياة (العاني، ٢٠٠٩، ٤٥).

ويعرف (إبراهيم، ٢٠٢٢) الهوية الإسلامية بأنها : " السمات والسلوكيات والمقومات التي تميز المسلمين عن غيرهم، وتكون ذاتهم وترتبط ارتباطاً واضحاً بالوطنية والقومية المنبثقة من الإسلام".

ويعرف (مدد، ٢٠٢٠) الهوية الإسلامية بأنها: السمات والخصائص التي تميز الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم والجماعات، وتتجسد لدى أبنائها من خلال الإيمان بعقيدتها وإظهار شعائرها، مع الشعور بالتميز والاستقلالية وعدم التبعية للغير بشيء من ذلك (مدد، ٢٠٢٠، ١٢).

ثانياً : أهمية الهوية الإسلامية :

إن للهوية الإسلامية أهمية عظمى في حياة المسلمين، لأنها تتميز بارتكازها على الوحي المعصوم – القرآن الكريم والسنة المطهرة – فهي ربانية، ثابتة، محفوظة بحفظ الله تعالى لها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن هنا فهي بعيدة عن الأهواء والزلات والأخطاء، وتحافظ على خصوصية وذاتية الفرد والمجتمع والأمة، وتنهى عن التبعية المقيتة لغيرها.

ولا شك أن ذلك يعطي لهذه الهوية عمقا تاريخيا ويبرهن عن عظمتها وقوتها التي استطاعت أن تستمر عبر ما مضى من قرون وسنوات، فليست منهجا مهترا لم يولد إلا قبل سنوات، أو فكرا

جري تعديله وتصويبه المرات تلو المرات، بل هو ثابت لا يحتاج في ذاته إلى التطور والتغير، فالذي وضعه يرى بلا حدود من الزمان والمكان، ويعلم بلا عوائق من الجهل والقصور، ويختار بلا تأثر من الشهوات والانفعالات، ومن ثم يضع للبشرية كلها في جميع أزمانها وأطوارها أصلا ثابتا، تتطور هي في حدوده وترتقي وتتقدم وتنمو (حسان، ٢٠١١، ١٦١- ١٦٢).

وقد تحققت عالمية هذه الرسالة وقت أن تمسك المسلمون بجميع مبادئها. وقد أظهر الإسلام والمسلمون ما في دين الله من عناصر العالمية، وبينوا أن تلك العناصر تستطيع الإستجابة لمتطلبات الواقع التي تتضمن متغيرات الزمان والمكان، وتستطيع أيضاً التكيف مع الإستمرارية الحضارية بنفس الدرجة التي تحافظ فيها على أصالتها، وجوهرها كعقيدة غراء تتفق مع فطرة الإنسان السليمة في كل زمان ومكان، وهذا ما جعل الإسلام فعلاً رسالة عالمية وموجه للعالمين (حربي، ٢٠٠٨، ١٤٤).

فالهوية الإسلامية متفردة لا تقبل القسمة لأنها هوية واحدة لا تتغير ولا تتبدل ولا تتنوع، ولا تختلط بغيرها من الفلسفات المنحرفة، ولكنها تقبل التعايش مع غيرها من الهويات داخل المجتمع المسلم، لكنها تبقى صاحبة السيطرة والمبادرة، وهذا أمر طبيعي بديهي إذ إن صاحب الحق لا يقبل بغيره مسيطرا عليه، ولو قبل فذلك دليل على شكه فيما لديه، وهذا مما يلغي مصداقيته، والإسلام يدعو أتباعه لقبول الحق ونشره وإنكار الباطل ورده، والواجب على المسلم أن يوصل ما يراه حقا إلى الآخر ويجذبه إليه لا أن يتخلى عن قناعاته ومعتقداته، ومع ذلك فالهوية الإسلامية تتعايش مع الآخر، وتعطي له مساحة يتحرك فيها متحفظا بهويته دون أن تمس، فهي أولاً: تعترف بوجوده، بل بدوام وجوده، والإسلام يختلف عن الأديان والمذهبيات الفكرية التي لا مكان فيها لغير المنتمين لهويتها، بل نستطيع أن نجزم بأنه لا يوجد في غير الإسلام ما فيه من اهتمام بهذا الآخر، وتفصيل للمواقف التي تتخذ معه في أحواله وأحوالهم المختلفة، وهي ثانياً : تحتفظ لهم وجودهم المادي، كما تحتفظ لهم وجودهم الفكري، ويشدد في عقوبه الاعتداء عليهم، كما ينهى عن ظلمهم والاعتداء عليهم، وثالثاً: فهي تحفظ عليهم هويتهم فلا يجبرون على التخلي عنها، ومع حفظ هويتهم وعدم إجبارهم على التخلي عنها ورعايتهم، فإنها تدعوا أبناء المجتمع الإسلامي إلى العناية بهم وإرشادهم إلى الهدى والحق (حسان، ٢٠١١، ١٦٢- ١٦٣).

ثالثاً : خصائص وسمات الهوية الإسلامية :

تتصف الهوية الإسلامية بمجموعة من الخصائص، حيث اكتسبت أهميتها من خصائص سماوية عظيمة، إذ بدا عليها منذ ظهورها الأثر العظيم في قبول الناس لها، وإيمانهم بالمقاصد التي بشرت بها، ومنها الآتي (نمر، ٢٠١٥) و(إبراهيم، ٢٠٢٢) :

١. هوية العقيدة : من خصائص الهوية الإسلامية أنها تضم تحتها كل مسلم، أياً كان مكانه أو شكله أو لغته، فلأهل الإسلام مميزاتهم الخاصة بهم، والتي تجعلهم كلهم تحت معتقد ومسمى واحد.

٢. ربانية الهوية : أيضاً من خصائص الهوية الإسلامية أن مصدرها من عند الله نزلت من اللوح المحفوظ على نبينا محمد (ﷺ) المبلغ لهذه الرسالة، ووصفها القرآن الكريم بالكمال والتمام والرضا، قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] فهي باعتبار مصدرها تخالف الهويات الوضعية التي هي من صنع البشر.

٣. هوية محفوظة : من خصائص الهوية الإسلامية أن الله تعالى تكفل بحفظها، وهو الذي لا يبدل القول لديه، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر :٩]، وقيض رجالاً لحفظها، ووفق علماء أجلاء خصهم بالعلم لحفظ معالمها من التحريف، وصيانة مصادرها من التغيير والتبديل.

٤. المرونة والموضوعية والشمول لكنها محددة : من خصائص الهوية الإسلامية أنها كاملة ومرنة وشاملة تستوعب حياة المسلم كلها وكل مظاهر شخصيته، وتحدد لصاحبها بكل دقة الهدف والغاية من هذه الحياة.

٥. ومن سمات الهوية الإسلامية عنايتها بكافة الطوائف والأعراق وكل من ينضوي تحت لوائها ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات : ١٠] (إبراهيم، ٢٠٢٢، ٥٨– ٥٩).

٦. الأصالة والعزة والقوة والكرامة : أنها مصدر للعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ومصدر للكرامة والانتصار، قال تعالى : ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء : ١٣٩].

٧. مصدر الأخوة الإسلامية : تعد مصدر للاخوة التي تربط بين أبنائها برابط وثيق، والإسلام حث على العلاقات الإنسانية القائمة على الخير والصلاح والتي تنبع من عقيدة صحيحة وقلب سليم، لما لها من تأثير متبادل بين الأخوة، وهي وقاية من المفاسد التي تنعكس على المجتمع.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٨. الثبات والرسوخ : فالهوية الإسلامية ثابتة لا تتأثر بأبواق العدو أو وسائل إعلامه بل تظل متمسكة بعقيدتها ودينها معتصمة بحبله، والرسوخ سمة تميزت بها الهوية الإسلامية عن بقية الأديان الأخرى وهذه الخاصية جعلها الله تعالى سائراً إلى يوم الدين.

٩. مواكبة التقدم العلمي : حرصت الهوية الإسلامية على التقدم العلمي ومواكبته، فلا تتأخر عن ركب التقدم ولا تضعف ولا مانع من الاستفادة من الاخرين واستفادة الاخرين منها، فالحكمة ضالة المؤمن، وفي ظل المتغيرات لا الهوية الإسلامية بل تظل ثابتة في اتجاها الراشد.

١٠. التسامح : الإسلام دين التسامح وبين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ذلك، قال الله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٩]، ونحن بحاجة شديدة إلى مبدأ التسامح وفق المنظور الإسلامي الذي هو من خصائص الهوية الإسلامية والتعايش بين الناس بشكل كبير، نظراً للتقدم العلمي والتكنولوجي.

١١. الحفاظ على الضرورات الخمس : الإسلام أمر بالمحافظة على النفس البشرية وحذر من العدوان على النفس البشرية أو الأموال أو الأعراض، وأمر بإعمار الأرض ورفض العنف والتدمير، وأمر المحافظة على النفس البشرية لا يقتصر على المسلمين فقط، بل ويشمل غير المسلمين أيضاً أهل الكتاب الذين لم يقاتلوا ولم يعتدوا ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم، وأمرنا بالبر والقسط ﴿ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة :٨].

١٢. جوهرها إنساني التصرف والتوجه : الهوية الإسلامية تدعوا إلى الخير والعطاء، والمحبة والسلام، فلا تفرض الهيمنة، ولا تعمل على جعل الحياة جحيماً وشقاق وشحناء وبغضاء وحقد وكره وزج البشرية في حروب شتى ودماراً وخراباً للبلاد والعباد لا تحتمله البشرية جمعاء.

١٣. إقامة العدل ومنع الظلم أو المحاباة أو التحيز : الإسلام دين عالمي يتجه برسالته إلى البشرية كلها، تلك الرسالة التي تأمر بالعدل والإحسان وتنهي عن الظلم، وترسي مبادئ السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش السلمي بين البشر جميعاً في جو من المحبة والإخاء بين الناس، بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم (نمر، ٢٠١٥، ٣٢-٤٥).

رابعاً : مقومات الهوية الإسلامية :

من مقومات الأساسية للهوية الإسلامية التي نؤمن بها، والتي تتمثل بالآتي (العاني، ٢٠٠٩) :

المقوم الأول : العقيدة الإسلامية كمرجع أول، ومصدر أساسي لحضارتنا، وفكرنا، وسلوكنا، وولائنا، ونهضتنا، كون العقيدة الإسلامية المقوم الأهم، والأكبر، الذي يجمعنا مع مختلف الشعوب، وقوميات، وأمم العالم الأخرى الداخلة في الدين الإسلامي حيث ينضوي تحت لوائها كل مسلم أيا كان لونه، ولغته أو المكان الذي توجد فيه، فتحيل الجميع تحت معتقد واحد، وهو الإسلام، وتحت مسمى واحد هو المسلمين.

المقوم الثاني : اللغة العربية، ومن مقومات هويتنا الإسلامية، عروبتنا ولغتنا العربية، لغة القرآن الكريم، نعم فالعروبة عامل يجمع ويشمل جميع المسلمين على اختلاف قومياتهم، وذلك إن كل مسلم هو عربي بالضرورة فلا يحتاج المسلم لأن يكون عربياً في النسب حتى تكمل عروبته في نظر الإسلام.

المقوم الثالث : التاريخ المشترك، الذي اسهم في صناعته أبناء الإسلام من العرب وغيرهم، لا بل كان غير العرب من المسلمين ادوار رئيسة وفاعلة في صياغة مجريات الأحداث التي مرت بها أمتنا الإسلامية، وكان لهم محطات مضيئة ومواقف مشرفة، اسهمت وبشكل فعال ومؤثر في تغيير مجرى حياة الأمة الإسلامية.

المقوم الرابع : التراث، والذي يعد أحد المرتكزات الأسلامية للهوية وتعني بالتراث،" النتاج الحضاري الذي ينحدر من خصائص أمة من الأمم المتفاعلة مع البيئة التي نشأت فيها، بكل ما تحتويه من تجارب وأحداث صبغتها بصبغة خاصة، وأسبغت عليها ملامحها الثقافية ومميزاتها الحضارية التي تميزها عن الأمم الأخرى التي لها بدورها أنماط حياتها وأعرافها وتقاليدها.

المقوم الخامس : الوحدة الثقافية المشتركة بين أبناء هذه الأمة، وهذه الوحدة الثقافة هي بالأساس نابعة من المقومات الأربعة السابقة، ومستندة عليها، فالأمة التي يربطها ويجمعها ويوحد بينها دين واحد ولغة واحدة وتأريخ مشترك وتراث اسهم الجميع في صنعه، لا بد وأن تكون لها ثقافتها الخاصة وفلسفتها المتميزة في النظر إلى الكون وخالقه والحياة والمجتمع والآفاق وحتى طبيعة سير هذه الحياة والقوانين والسنن التي تحكمها، والمصير الذي سينتهي إليه.

المقوم السادس : التكوين النفسي المشترك، ويشمل العادات والتقاليد والأخلاق والمشاعر والأحاسيس والأعياد ومناسبات الأفراح والأحزان ومقاييس الذوق والجمال والحب والطعام

والشراب واللباس والروابط الأسرية التي تصل – في كثير من الأحيان – درجة تقديس، كل هذه وغيرها من الأمور التي تتصف وتتميز بها الجماعة التي تحمل الهوية الإسلامية وتنتمي إليها.

المقوم السابع : التمسك بالاعتزاز بالهوية الإسلامية، وهو من الركائز الأساسية، والذي بدونه أو بهشاشته تكون الهوية معرضة لخطر الذوبان في الهويات الأخرى، وبالتالي السقوط الحضاري لهذه الأمة، " فما من مدنية تستطيع أن تزدهر أو أن تظل على قيد الوجود، بعد أن تخسر إعجابها بنفسها وصلتها بماضيها (العاني، ٢٠٠٩، ٤٧– ٥٥).

المبحث الثالث: التحديات المعاصرة واثرها على الهوية الإسلامية

من الواضح أن وجوه معركة التحدي المعاصر والتي ساحتها الرئيسة (الهوية) ترمى – كما رمت في القديم– إلى محاولة استئصال العقيدة الإسلامية، أو على الأقل محاولة تشويهها، لأنة واضح للعيان أثر العقيدة الإسلامية في استقامة الهوية والحفاظ عليها، ولأن الهوية هي رمز المسلم، ولا تتشكل من عنصر واحد أو من جانب معرفي واحد، تعدد مجالات التحدي بتعدد صوره وأشكاله، فكانت التحديات السياسية والفكرية والنفسية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية، ولكل واحد من هذه المجالات خطط وأسلحة، منها الظاهر والخفي، وبعضها هجومي، وآخر دفاعي، وهنا حقيقة في غاية الأهمية في مسألة الهوية، وهي أن التحول المفاجئ من شأنه أن يشبع نوعاً من الاضطراب ولا يصل إلى النتائج المطلوبة، وأينما ذهب المؤثر عاد كل شيء إلى أصله (الياسين، ٢٠١٢، ٢٠٩).

من هذا تواجه الهوية الإسلامية الكثير من الأخطار والتحديات التي تحاول القضاء عليها وإزالتها، عن طريق تذويبها في غيرها من الهويات بخطط وبرامج معدة بإحكام من قبل أعداء الإسلام، وتتعدد هذه التحديات وتتنوع لتشمل جميع الجوانب العقائدية والثقافية والأخلاقية والاجتماعية... وغيرها لكل أمم العالم، ولكن ضررها على الهوية الإسلامية أمر واضح، لأن الهوية الإسلامية ذات خصوصية منفردة، فهي تحتوي الهويات الأخرى وترفض أن يحتويها احد لأنها ربانية المنبع (حسان، ٢٠١١، ١٧٨).

وأهم هذه التحديات : العولمة، والغزو الفكري، والاستشراق، ووسائل الإعلام، التي تعمل بوقا لنشر أفكار الغرب وتشكل تهديدا خطيراً على الهوية الإسلامية وغيرها.

العولمة الثقافية واثرها على الهوية الإسلامية :

يعد مفهوم العولمة من المفاهيم المعاصرة التي استطاعت أن تفرض نفسها بقوة على الساحة الدولية سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، كما أصبحت الشغل الشاغل للعديد من المفكرين

والباحثين في مختلف المجالات والميادين، وقد تعددت الجوانب التي نظر إليها الباحثون لهذا المفهوم ما بين التركيز على الجانب الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو السياسي، أو الثقافي. وكما تنوعت الجوانب التي ركز عليها الباحثون في تناولهم لمفهوم العولمة، تنوعت أيضاً آراؤهم ما بين التأكيد والرفض لها.

والعولمة ليست ظاهرة اقتصادية فقط فهي أكثر من ذلك، فالتغيرات السياسية والتكنولوجية المصاحبة لها جعلت للمفهوم العديد من الأبعاد (محمود، ٢٠١٦، ١٣).

فالعولمة مفهوم مراوغ، ومتعدد الدلالات، ومختلف المعاني، وعمومية استخدام المصطلح، تجعل من الصعب إيجاد مفهوم خاص له يتمتع بالقبول الجماهيري شائع الإستعمال.

ومع هذا هناك تعريفات كثيرة للعولمة، علي حرب الذي فيه يقول " العولمة بمعناها الظاهر هي التبادل المعمم على المستوى الكوني". وبالإمكان عكس هذا التعريف للقول إن " العولمة هي تعميم التبادلات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية على نطاق الكرة الأرضية. إنها عملية تحريك للأشياء والأفكار والأشخاص بصورة لا سابق لها من السهولة والديمومة والشمولية (حربي، ٢٠٠٨، ٧١).

كما عرف العولمة أيضاً بأنها : نزعة توفيقية تسعى إلى توحيد كل أقطار كوكب الأرض في منظومة واحدة على أساس مثلث أضلاعه هي : الاقتصاد، والمعرفة، والتقدم العلمي والتكنولوجي. ويقصد بضلع الاقتصاد الأساس الذي يجاوز اقتصاد الدولة بمعناه المعروف من خلال ما يسمى بالشركات متعددة الجنسية، أما الأساس المعرفي فيعتمد على ثروة المعلومات الهائلة التي حولت العالم بالفعل إلى قرية كونية صغيرة، أم الضلع الثالث فيقصد به التقدم العلمي والتكنولوجي المذهل الذي الذي يتغير من عام إلى عام، ولا يصبح حكراً على قطر دون القطر الآخر (نشوان، ٢٠٠٥، ٦٠).

وعليه فيمكن أن تعرف العولمة الثقافية بأنها : محاولة تعميم أفكار ومفاهيم ومبادئ ونظم وقيم ومعتقدات، وأنماط من السلوك والعادات، وطرائق المعيشه الغربية، وإعطائها صبغة العالمية، ثم محاولة إحلالها بل وفرضها على حساب الأفكار والثقافات والقيم والمبادئ والأخلاق والأنماط السلوكية والمعيشية الخلصة بالمجتمعات الأخرئ، لا سيما المجتمعات الإسلامية (محمد، ٢٠٠٧، ١٢).

آليات العولمة الثقافية وتأثيرها على الهوية الإسلامية :

ISBN: 978-9922-21-412-2

يرى الكثير أن التحديات الثقافية من التحديات المهمة والخطيرة للعولمة، وذلك من منطلق أنها تمثل غزوا ثقافيا للمجتمعات وتهدد خصوصيتها، وكثير من الأدبيات التي تناولت التحديات الثقافية للعولمة رأت الثقافة للعولمة رأت أنها تهدف إلى إخضاع الشعوب وهدم ثقافتها وطمس هويتها ومعالمها. ومن ثم تحقيق التبعية الكاملة للدول المهيمنة، كما يرون أن عولمة العالم الثالث بالثقافة الغربية ليست نقل ثقافة أصيلة وتقنيةحديثه بقدر ماهي في الحقيقة قشور للثقافة الليبرالية دون محتواها، فالحديث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والانفتاح الاقتصادي وقضايا الإرهاب والسلم والأمن تبقي في رصد الصراع ما دام الغرب يمارس محاولات الاستلاب الثقافي من خلال نظم تعليمية تتجاوز أصول الثقافة المحلية (محمود، ٢٠١٦، ٣٨).

وثمة من أخذ بالبعد الثقافي للعولمة، فعدها محاولة لوضع شعوب العالم في قوالب فكرية موحدة، بقصد سلخها عن ثقافتها وموروثها الحضاري.. فتكون العولمة نظاماً يقفز فوق حدود الدولة والوطن والأمة.. إنها مظام يهدف إلى رفع الحواجز والحدود، نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية للأمة من أي محتوى، ويدفع بها إلى التفتيت والتشتيت، ليربط الناس بعالم اللاوطن واللاأمة واللادولة (رحمة، والشماس، ٢٠١٤،٤١٨).

وهي وفقا لهذا المنظور أيضاً تسعى لتذويب الحواجز الثقافية والفكرية والاقتصادية بين المجتمعات، فهي محاولة لبناء المجتمع الإنساني على مقياس الثقافة الواحدة والحياة الواحدة، ومن ثَمَّ فهي ثقافة الشركات العابرة للجنسيات والقوميات والثقافات، كل هذا يثير التساؤل حول وضع الهوية الثقافية العربية الإسلامية، ومدى تأثر الشخصية العربية فكريا وتربويا وثقافياً، ولغويا، وتاريخيا بذلك، خاصة بعد أن أصبحت العولمة لا يتوقف تأثيرها على النواحي الاقتصادية والسياسية، بل تمتد أيضاً لتطال ثقافة الشعوب وهويتها القومية والوطنية، وترمي إلى تعلم نماذج وأنماط من السلوك ومنظومات من القيم وطرائق العيش، ومن ثَمَّ أصبحت الثقافة العربية الإسلامية مهددة بما يسمى بالغزو الثقافي (محمود، ٢٠١٦، ٣٨).

وقد انعكست هذه الأفكار في السياسات الاقتصادية الليبرالية التي تطبق الأن في مختلف دول العالم دون مشاركة الناس أو موافقتهم عليها بزعم أن العولمة قد أدمجت اقتصاد كل دول العالم في اقتصاد عالمي موحد تحت شعار " العالم سوق واحد" بفضل ثورة الاتصالات الحديثة المتمثلة في الكمبيوتر، والانترنت والأقمار الصناعية.. وغير ذلك (حربي، ٢٠٠٨، ٦٥).

وعلى هذا تمثل العولمة تحدياً ثقافياً غير مسبوق، تحدياً ذو طابع إرتقائي خاص قائم على الاجتياح الثقافي، ويتم هذا الاجتياح على ثلاث آليات هي (حربي، ٢٠٠٨) :

ISBN: 978-9922-21-412-2

١. تفقد الدول الصغيرة ثقافتها تحت ضغط إجتياح التيار الثقافي العالمي، وتبدأ في التخلي بالتدريج عن خصائصها الثقافية لصالح الثقافة العالمية، وهي مرحلة دقيقة على استلاب الثقافات المتعددة لصالح الثقافة العالمية الواحدة.

٢. الانقسام والتفكك والتشرذم الداخلي، وظهور الشروخ والصدع الثقافية والحضارية، وظهور الثقافة الوطنية في صورة باهتة عاجزة عن تقديم الشخصية الراقية، في الوقت الذي تظهر فيه ثقافة العولمة الزاهية الألوان والإرتقائية.

٣. ظهور روابط وجسور وأدوات تحليلية مهمتها الرئيسة إيجاد معايير قيم للعبور عليها إلى الثقافة العالمية، والوصول بالفكر الثقافي إلى إرجاء المعمورة، ومن ثم يحدث نوعاً من التواجد الثقافي (حربي، ٢٠٠٨، ٨٧-٨٨).

من ذلك تشكل هذه العولمة خطراً جسيماً على الهوية الإسلامية، حيث إن ثقافتها تهدد وتزاحم ثقافتنا الإسلامية، بل أنها تهدد كياننا ووجودنا كله، حيث ينشأ عنها تدابير تحمل في عروقها وجوهرها قبائح ورزايا المجتمعات الأخرى، التي تتعارض تماماً مع الإسلام وطبيعته وقيمته، ومن ثم لا تتمشى مع طبيعة المجتمعات الإسلامية (محمد، ٢٠٠٧، ١٣).

مخاطر العولمة الثقافية على الهوية الإسلامية :

أولاً : المجال الديني ويتمثل في الآتي :

١. نشر ثقافة الكفر والإلحاد لأن كثيراً من الشعوب لا يؤمنون بدين ولا يعترفون بعقيدة سماوية، أو يعتنقون الديانات السماوية المحرفة ويعلمون على نشرها ودعوة الناس إليها.

٢. التشكيك في المعتقدات الدينية، والاستهانة بالمقدسات لدى الشعوب المسلمة لصالح الفكر المادي الإلحادي، وإحلال الفلسفة المادية الغربية محل العقيدة الإسلامية، وإضعاف عقيدة الولاء والبراء لدى المسلمين.

٣. محاولة استبعاد الإسلام وتنحيته عن الحكم والتشريع والتربية والأخلاق، وإفساح المجال للنظم والقوانين الوضعية على اختلاف مشاربها لتحل محل تعاليم الدين القويم.

ثانياً : المجال الاقتصادي ويتمثل في الآتي :

العولمة في بعدها الاقتصادي، تعني هيمنة الشركات الاقتصادية، والمؤسسات المالية الكبرى واحتكار الأسواق، ومصادر الغنى والثراء المادي من طرف الأقوياء، وتسخير الضعفاء لخدمة التوجه الاقتصادي، الأمريكي بامتياز، ومن الأدوات التي تستخدمها لتحقيق أهدافها :

ISBN: 978-9922-21-412-2

البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية والشركات العابرة للقارات (مدد، ٢٠٢٠، ٢٣- ٢٤).

ثالثاً : المجال الثقافي ويتمثل في الآتي :

ويتمثل المجال الثقافي الامتداد الأوسع لحركة العولمة الثقافية، ومن آبرز التحديات التي تأتي بها العولمة، والتي تطال كافة العناصر المكونة للوجود الديني أو الانتمائي للدول المستهدفة عبر وسائل متبعة لنشر ثقافة التغريب والعولمة، ومن ذلك (نمر، ٢٠١٥) :

١. تحريف المفاهيم الدينية، كي تتفق مع الأفكار التي تروجها العولمة المعاصرة، وذلك باستبعاد الإيمان بالغيبيات واعتباره مضاداً للعقلانية العلمانية.
٢. إيجاد فئات وشرائح ومؤسسات في المجتمعين العربي والإسلامي تعمل كوكيل للثقافة الغربية، وذلك بتقديم المساعدات المالية لمشاريع أبحاثها، وعقد الندوات واللقاءات التي تدعم توجهاتها الثقافية للهيمنة على الثقافتين العربية والإسلامية.
٣. إنشاء مجموعة من المراكز والمؤسسات التي تؤثر مباشرة على الثقافة العربية، مثل : الجامعات التبشيرية ومراكز اللغات والترجمة ومؤسسات خيرية ومدارس أجنبية يتمثل دورها جميعاً في التأثير الفكري والتربوي واللغوي على طلبة العلم والمعرفة، وفرض مناهجها وأفكارها مع التقليل من مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية، ثم القيام بالتبشير والتنصير (والخطورة كل الخطورة تكمن في تخريج هذه الأجيال على النهج المريب من التغريب) وهي أجيال لن تعود لها صلة بماضيها وتراثها وثقافتها ولن يكون لها ولاء ولا انتماء لآبائها وأقرانها ممن يتخرجون من المدارس العربية، وكأننا بذلك نعمل على إيجاد حالة من الانفصام في شخصية المجتمع وبنيته الأساسية تبدو آثاره في ظاهرة استعلاء لغوي ومباهاة بلغة الغرب وثقافاتهم وإعلامهم.
٤. يعد الإعلام مرتعاً خصباً وميزاناً فسيحاً يتم من خلاله الغزو الثقافي لإشاعة الفواحش والمنكرات من أجل تحطيم القيم والثوابت الأخلاقية، ولقد تحولت وسائل الإعلام إلى قنوات لبث سموم ونشر للرذيلة والانحطاط بالغريزة البشرية، وانهيار السلوك الإنساني، والتباس الحق بالباطل، والهدى بالضلال، والخير بالشر.
٥. إن قنوات التلفزة تشكل تهديداً خطيراً ومعول هدم للهوية الإسلامية الحضارية والثقافية من خلال بث البرامج والأفلام والمسلسلات الخليعة والمسرحيات الهابطة، ولقد كشفت دراسة قام بها تسعة من أطباء علم النفس على مدى خمس سنوات في جريدة الرأي الكويتية عام

١٩٩٢، أظهرت أن البرامج المتلفزة تؤثر على الأطفال المراهقين وتدفعهم إلى الصراعات، وتجعلهم أكثر تقبلاً للعنف الجنسي، وكشفت هذه الدراسة أيضاً أن أفلام الرسوم المتحركة التي تعرض صباح العطلة الأسبوعية تتضمن مشاهد عنف تزيد بمعدل أربع أو خمس مرات عما يشاهد في الأفلام التي تعرض بعد ذهاب الأطفال للفراش، فعلى الرغم من كل هذه الظاهرة التي وضحتها كل هذه الدراسات نرى تكالب أجهزة الإعلام على هذه المنتجات الإعلامية (نمر، ٢٠١٥، ٧٨-٧٩).

رابعاً : المجال السياسي ويتمثل في الآتي :

عملت العولمة على إخضاع العالم للمصالح الأمريكية " القطب الواحدة" وخدمة الكيان الصهيوني مع العمل على محاربة الدول الإسلامية وتمزيقها باستخدام الأقليات الدينية والعرقية والأحزاب والمنظمات التي تسير في ركابها، فالعولمة نظام يقفز فوق حدود الدولة والوطن والأمة، فهي تقوم على الخصخصة إي نوع ملكية الأمة والوطن والدولة ونقلها إلى القطاع الخاص المرتبط بقوى العولمة، والذي يحقق أهدافها ومتطلباتها وهكذا تتحول الدول إلى جهاز تابع لقوى العولمة (مدد، ٢٠٢٠، ٢٥).

مظاهر العولمة الثقافية واثرها على الهوية الإسلامية :

يمكن تلخيص أبرز مظاهر العولمة الثقافية في النقاط الآتية :

١. انتشار أساليب الحياة الجديدة للدول الغربية وفي مقدمتها أمريكا في كل البلاد العربية والإسلامية، وأنماط العلاقات وبخاصةً بين النشىء الجديد.
٢. سيادة ثقافة الصور السمعية والبصرية، التي أضعفت الثقافة الشفوية والمكتوبة، ولا سيما لدى النشىء والشباب، وتولت العديد من أدوارها بسرعة وكفاءة عالية لتشكيل شخصياتهم.
٣. التوسع المذهل لأنماط الحياة الغربية في اللبس والمأكل والمشرب وفي الزيارات البينية والاحتفال في المناسبات العامة والخاصة وسواها.
٤. تغلغل الثقافة الاستهلاكية بين مكونات المجتمعات العربية والإسلامية وشرائحها، حتى وصلت إلى أقاصي المناطق الريفية النائية، وما يتبع ذلك من تنميط متزايد للسلوك المحكوم بالقيم المادية وملذاتها والمدفوع بشهوات النفس.
٥. اختفاء العديد من التقاليد والعادات العربية والإسلامية الحميدة قي البلاد العربية، ولا سيما في مناطق التحضر.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٦.ضعف التزام مجاميع واسعة – من المجتمعات العربية – بالقيم الإسلامية والعربية والمعايير الاجتماعية وفضائل الأخلاق في الحياة الخاصة والعامة.

٧.تراجع دور الدول وقوى المجتمعات الإسلامية والعربية في المحافظة على أنماط الثقافات الوطنية والتزام السكان بها.

٨.انتشار مظاهر الفردية والذاتية والأنانية والغربة، وما يترتب على ذلك من تراجع صور الانتماء للأسرة والجماعة والقبيلة والمنطقة والمجتمع.

٩.ضعف انتماء النشء والشباب العربي إلى أوطانهم وأمتهم، وهويتهم الإسلامية، لأن تلاشي الزمن والمكان الناتج عن تقنية الإعلام والاتصالات والمعلومات ، أضعف ارتباطهم بالأرض والأهل والواقع وهمومه.

١٠. بروز تناقضات وصراعات إثنية بين هويات أجيال المجتمعات العربية، بين الجيل القديم والجيل الجديد، وبين قوى المجتمع وشرائحه (محمد، ٢٠١١، ١٠٧).

وهكذا تتوالى التحديات على الهوية الإسلامية، والتي تتطلب من أهل التربية والتعليم، أن يبذلوا جهوداً لمواجهة هذه التحديات، من خلال التعامل معها بجدية وتخطيط واعٍ ومدروس، وفق أسس علمية ترفع من مكانة الهوية الإسلامية، وتجددها باستمرار في الشكل والمضمون، وهذا يتطلب من المؤسسات التربوية العمل في الاتجاهين التاليين (رحمة، والشماس، ٢٠١٤) :

١.نشر الوعي بالعولمة: يعتقد الكثيرون في العالم، بأن العولمة أصبحت قدراً محتوماً، لكن الحقيقة أيضاً هي أن العولمة غير قابلة للرفض المطلق أو القبول المطلق، ولذلك يجب فهمها على أنها نظام متشابك الأبعاد، والتعامل معه في إطاره الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي والتربوي، لأن العلاقة بين هذه الأبعاد قوية وثابتة، لا يجوز تجاهلها.

ولذلك فإن الخطوة الأولى في التعامل مع العولمة، تتمثل في توعية الناس بطبيعة هذه الظاهرة، وأبعادها وأهدافها القريبة والبعيدة، ولا سيما أن الكثير من الناس يجهلون حقيقة هذه الظاهرة، حتى وإن سمعوا بها، ومن المتوقع أن تستمر إفرازات العولمة وتفاعلاتها مدة طويلة، قبل أن تضبط وتنتظم في بنيتها وتكتمل، ومن واجب المفكرين والدارسين، متابعة تطورات العولمة وتوضيحها للناس بأساليب علمية وموضوعية.

٢.توفير إطار مرجعي للتعامل مع العولمة : يقصد بالإطار المرجعي، مجموعة المسلمات الخاصة بتقييم (التقويم) الأسس والمفاهيم والأفكار التي تقوم عليها العولمة من جهة، والسلوكيات الإنسانية المختلفة المتعلقة بها من جهة أخرى، فلا يمكن لأمتنا الإسلامية العربية

ISBN: 978-9922-21-412-2

أن تتخلى عن القيم الإنسانية، كصلة الأرحام واحترام حقوق الإنسان، والرحمة بالفقراء والتسامح، والتعاون على الخير، ولكن المطلوب ليس اعتراف الناس بهذه الأصول القيمية فحسب، بل المطلوب تربية الناشئة عليها وإبراز نماذج وقدرات تتجسد في حياتهم وسلوكياتهم (رحمة، والشماس، ٢٠١٤، ٤٢٨- ٤٢٩).

المبحث الرابع: التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية

إن التربية، التي تمثل المخرج والحضن والرابط والتي تمثل غاية التنشئة ووسيلة تدريبها واكتشاف قابليتها وتنمية مهاراتها تبقى هي المسؤول الأول عن تشكيل هذه الرؤية بوسائلها المتعددة، وهي المسؤول الأول عن صناعة سلوك الإنسان وطرق تفكيره وإيقاظ وعيه العام، هي المسؤول عن جميع أنشطته، مسؤول عن تنمية خصائص وقدراته وتزكية نفسه وتنمية عقله وبناء جسمه، ومسؤول عن الارتقاء بوسائله وإكسابه المهارات المعرفية والسلوكية والوجدانية، وتأهيله للمستقبل، وبناء مجتمعه، وتصويب رؤيته، ليكون في مستوى قيمه وإسلامه، بحيث يدرك رسالته في الحياة من خلال إيمانه ، كذلك يمتلك الرؤية الشاملة والثقافة المتكامله عن إسلامه، يمتلك الأدوات المطلوبة للمضي في هذه الحياة وفق قيمه ومتطلبات عصره (محمد، ٢٠١١، ١١).

لذلك نقول : إن سياسة التربية ومناهجها، التي لا تبصر معطيات العصر ومتطلباته ولا تسلح النشىء برؤية الطريق وطريق التعامل تعاني من " اغتراب الزمان" والتربية التي تستدعي مناهج ووسائل وأدوات من (الآخر) دون إبصار لمستوى ومكونات (الذات) وعمرها الحضاري ومعادلتها الاجتماعية ومرجعيتها الشرعية إنما تزرع البذور في الهواء، وتحرث في البحر، وتعاني من اغتراب المكان، مهما تجملت وادعت، لذلك أنه من الثابت حضارياً أن الأمم التي تطورت إنما تطورت من خلال تنمية (الذات) وتطويرها، الأمر الذي مكنها من الإفادة من (الآخر)، وأن استيراد المناهج والسياسات الجاهزة ساهم بتكريس العجز والتخلف، وقضي على عقلية الإبداع والمبادرة، وتحول إلى الاستسلام وتكديس الأشياء وعاطالة الأفكار(محمد، ٢٠١١، ١١).

وفي ضوء ذلك فإننا نؤكد على دور التربية في التعامل مع العولمة، وكما يأتي (نشوان، ٢٠٠٥):

١. إن الثقافة العربية والإسلامية، غيرها من الثقافات الأخرى ينبغي ألا تكون إستاتيكية جامدة بل ينبغي أن تكون ديناميكية متفاعلة مع غيرها من الثقافات، تأخذ وتعطي، تفيد زتستفيد، وتؤثر وتتأثر مع المحافظة على المبادئ الأساسية لها. فالتغيرات الثقافية حادثة لا محالة ولكن لا بد من استيعاب هذه التغيرات وتطويعها بما يخدم الثقافة والهوية العربية والإسلامية.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢. ينبغي أن تعمل ثقافتنا العربية الإسلامية على تهيئة الفرد والمجتمع لما يجري وما هو قادم من متغيرات اجتماعية وثقافية وسياسية من خلال برامج رصينة باستخدام وسائل الإعلام المختلفة ووسائل الاتصال الحديثة، والإنترنت وبيان الدور الهام الذي لعبه المسلمون الأوائل في الحضارة البشرية لتنمية الميول والاتجاهات الإيجابية في النفوس والاعتزاز بمنجزات الأمة والهوية الإسلامية.

٣. ولمواجهة العولمة الثقافية ومؤثراتها السلبية على ثقافتنا وهويتنا الإسلامية ينبغي أن تتوحد جهود العالمين العربي والإسلامي وتتكامل في البحث العلمي والتكنولوجي من خلال تبادل الخبرات، وهي، بدون شك، لا يستهان بها من أجل بناء قوة علمية وتكنولوجية يحسب حسابها.

٤. ولحماية الهوية العربية والإسلامية : لا بد من تعزيز أدواتها ووسائلها ولعل من أهم مصادر الثقافة بعد التلفاز الكتب والصحف والنشرات والمجلات العلمية، فالمتتبع للحركة الثقافية في العالم العربي يحلظ بسهولة أننا. وبرغم دخولنا إلى القرن الحادي والعشرين، ما زلنا تقليدين في نشر ثقافتنا، كماً وكيفاً.

٥. ولتعزيز الثقافة والهوية العربية والإسلامية : في عالم العولمة اليوم لا بد من إجراء المزيد من البحوث والدراسات وعقد الندوات العلمية والمؤتمرات التي تبحث في كيفية مواجهة العولمة الثقافية، وذلك من خلال مراجعة واقع الثقافة العربية الإسلامية ودراسة جوانب القوة والضعف فيها، والوسائل اللازمة لتطويرها (نشوان، ٢٠٠٥، ٧٩- ٨١).

متطلبات التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية :

تتحدد متطلبات التربية على الاعتزاز بالهوية والإسلامية ومكانتها في الآتي (الياسين، ٢٠١٢) :

١. تعزيز الهوية بأقوى عناصرها، وهو العودة إلى الإسلام، وتربية الأمة عليه بعقيدته القائمة على توحيد الله سبحانه، والتي تجعل المسلم في عزة معنوية عالية ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون :٨]، وبشريعته السمحة وأخلاقه وقيمه الروحية وتقوية الصلة بالله – سبحانه وتعالى – واليقين بنصره وتمكينه للمؤمنين إذا استجابوا لربهم واقاموا بأسباب النصر.

٢. العناية باللغة العربية في وسائل الإعلام، ومناهج التعليم، وتسهيل تدريسها وتحبيبها للطلاب، ومن العناية باللغة العربية: تفعيل التعريب، والترجمة، والتقليص من التعلق باللغات الأخرى إلا في حدود الحاجة اللازمة.

٣. إبراز إيجابيات الإسلام وعالميته، وعدالته، وحضارته، وثقافته، وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم، ليستلمهموا أمجادهم، ويعتزوا بهويتهم.

٤. العمل على نهوض الأمة في شتى الميادين، دينياً، وثقافياً، وسياسياً، وعسكرياً واقتصادياً، وتقنياً، ومحاربة أسباب التخلف والفساد، وأن نغير ما بأنفسنا من تخلف وتقاعس، فإن من سنن الله – سبحانه وتعالى – التغيير ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ﴾ [الرعد :١١]، وقد نبه القرآن الكريم على أهمية العمل ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة :١٠٥].

٥. مواجهة مساوئ العولمة بالتعليم والتدريب والتثقيف والتحصين ورفع الكفاءة وزيادة الإنتاج ومحاربة الجهل وخفض معدلات الأمية المرتفعة عند المسلمين.

٦. تقليص الخلافات بين المسلمين من حكومات وشعوب وجماعات بالاعتصام بكتاب الله عز وجل ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران :١٠٣]، ثم التعامل معها إن وجدت بثقافة إيجابية فاعلة ناصحة، حتى لا يجد الأعداء ثغرة ينفذون من خلالها.

٧. ضمان الحرية الثقافية وتدعيمها، حيث إن حرية الثقافة وإن كانت تنبع من العدالة في توزيع الإمكانات والإبداعات الإنسانية على الأفراد فإنها في الوقت نفسه عامل أساسي في إغناء الحياة الثقافية وزيادة عطائها.

٨. أن نتعرف على العولمة الثقافية، والكشف على مواطن القوة والضعف فيها، ودراسة سلبياتها وإيجابياتها برؤية إسلامية منفتحة، غايتها البحث والدراسة العلمية، وإدراك وفهم التناقضات التي تكتنف فكرة العولمة وكشف الزيف الذي تتستر قواها خلفه.

٩. التنسيق والتعاون بصورة متكاملة في وزارات التربية والتعليم، والتعليم العالي، والثقافة والإعلام، والأوقاف والشؤون الإسلامية، والعدل للمحافظة على الهوية الإسلامية من أي مؤثرات سلبية عليها.

١٠. أن تقوم وسائل الإعلام بواجباتها في الحفاظ على الهوية ودعمها، فضلاً عن استيراد البرامج التي تهدم الهوية دون نظر أو تحميص، كما أن على الدولة والعلماء وقادة الرأي ورجال الأعمال الضغط على وسائل الإعلام الخاصة – كل بما يستطيع – لمراعاة هوية الأمة وقيمها.

ISBN: 978-9922-21-412-2

١١. أن يقوم التعليم بتعزيز الهوية وكشف العولمة ومضارها، ويتحتم على الإعلام التربوي استخدام كافة الوسائل والأساليب والطرق المتاحة كي ينجح في تأصيل القيم والمهارات والمعارف والمعلومات في مؤسسات المجتمع ومنظماته.

١٢. تنشيط التفاعل والحوار الثقافي العربي مع ثقافات الأمم الأخرى، وأ، نثري ثقافتنا العربية والإسلامية، بما نراه ينفعنا ولا يضرنا من الثقافات الكونية الأخرى، وفي الوقت نفسه نعرف تلك الثقافات العالمية بما عندنا من تراث وتقاليد وقيم اجتماعية عريقة.

١٣. تشجيع المؤسسات الدعوية داخل البلاد الإسلامية وخارجها على ممارسة عملها ودعمها بكل طريق مادياً ومعنوياً وتوجيهياً، وعدم السقوط في فخ الأعداء بتصيد أخطائها وتشويه سمعتها عند حدوث خطأ ما، وإنما بالنصيحة الإيجابية الفاعلة (الياسين، ٢٠١٢، ٢٨٨-٢٩٤).

ايضاً ومن أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية الاصيلة لابد من مواجهة الغزو الشامل للعولمة، ويمكن اجمال أهم العوامل التي تستطيع التربية من خلالها الحفاظ على هويتنا الإسلامية بل وتعزيزها مقابل الثقافة الغازية، لنتمكن من استعادة دورنا الحضاري بين الأمم الأخرى، ويكون لنا دور فاعل في اطار النظام الدولي وليس دور من فعل كما يراد لنا أن نكون، وكالآتي (علوان، ٢٠١٤) :

١. التركيز على دور العقيدة الإسلامية في بناء الشخصية الإنسانية في العالم الاسلامي، التي ستمكن الفرد المسلم من الحفاظ على شخصيته وعدم الذوبان والانصهار في القيم الحضارية الأخرى التي تتعارض مع المعتقدات الإسلامية التي تربى عليها الفرد المسلم تربية صحيحة، فبناء الإنسان المسلم ليكون في حجم التحدي، وتربيته على أخلاقيات عقدية تمنحه المناعة الحضارية المطلوبة ستمكنه من مواجهة الاختراق الثقافي الغربي.

٢. التخلص من كل الانظمة السياسية المستبدة التي تحاول تكبيل العقل في العالم الاسلامي، ولا تقدم اي حافز للشعوب للابداع والابتكار، وهذا أحد أسباب هجرة الادمغة إلى خارج العالم الاسلامي.

٣. إصلاح الأوضاع العامة إصلاحاً شاملاً، في إطار المنهج الإسلامي القويم، وبالأسلوب الحكيم، ومن خلال الرؤية التربوية الشاملة إلى الواقع في جوانبه المتعددة، من أجل اكتساب المناعة ضد الضعف العام الذي يحد من حيوية الأمة ويشل حركتها الفاعلة والمؤثرة، فضلاً عن تسوية الخلافات بين دول العالم الاسلامي، والاحتكام إلى مبادئ الإسلام الخالدة لفض

النزاعات، ولإقامة علاقات أخوية متينة، تحقيقاً للمصالح المشتركة، وجلباً للمنافع، ودراءاً للأخطار التي تهدد الشعوب الإسلامية قاطبة.

٤. التركيز على دور اللغة العربية بعدها أهم وسائل تحقيق الوحدة والتماسك فضلاً عن الانسجام الاجتماعي، إذ تبقى الأمة محافظة على كيانها طالما حافظت على لغتها وثقافتها.

٥. توعية الناس ثقافياً من خلال العمل على رفع المستوى الفكري لابناء الأمة المسلمة واشاعة قيم الإسلام الاصيلة.

٦. الحفاظ على الاسرة وقيمها الاسلامية، لأنه في رحاب الاسرة يتلقى الطفل العقيدة والقيم والمبادئ ويتعرف في ظلها على الهوية الدينية والوطنية.

٧. أن تأخذ الهوية والثقافة الإسلامية مكانتها ضمن العولمة الثقافية الغربية، اعطاء هذه الثقافة القدرة على النمو الطبيعي عن طريق الإعتراف الحقيقي بدور العقل في إنماءه الثقافة الإسلامية، ولابد من الإعتماد على العقل البشري والتجربة الإنسانية، وأن نستفيد من معطيات الجيل الجديد، فلا يمكن أن تبقى هذه الثقافة اسيرة عقدة انتاج الاسلاف.

٨. ضرورة تعزيز الاجتهاد والتجديد في الفقه لنتمكن من استيعاب المستجدات، فضلاً عن التجديد في الخطاب الديني الإسلامي واصلاحه بما يؤهله ليكون عاملاً مساعداً في مواجهة العولمة الثقافية، فالثقافة الإسلامية، قادرة على الصمود في ميدان التدافع الحضاري.

٩. إعادة الثقة للذات الإسلامية خاصة بعد الانهيار الذي اطاح بما تبقى من الإيمان بالقوة والقدرة على مواجهة التحديات (علوان، ٢٠١٤، ١٨٩– ١٩٢).

أدوار التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية :

اولاً : دور التربية الأسرية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية :

تعيش الأسرة أمام تحدي كبير تجاه أبنائها و بخاصة في هذا العصر وما يشهده من تقدم التكنولوجيا ووسائل الاتصال، التي غزت العالم بمغرياته وتحدياته، جعلت الأسرة تقف في امتحان كبير تجاه تربية أبنائها وحمايتهم من الانزلاق والذوبان في ثقافات الآخرى، وخاصة ما تجره العولمة من صهر الهوية الإسلامية وتذويبها في ثقافتها. ومن أهم أهداف العولمة كيفية هدم وتفكيك نسيج المجتمع الإسلامي، وأهم مكوناته الأسرة المسلمة ومحاولة التأثير عليها من خلال تغيير نمط العلاقات الأسرية والترابط الأسري بين الأزواج وظهور علاقات جديدة بمسميات عولمية تسوق لثقافة جديدة وقوانين وضعية في ظنهم تحرر الأسرة من التبعية وتهدم التنظيم

الداخلي للأسرة، كذلك مساهمتهم من خلال تغيير نمط الثقافة الأسرية وخاصة علاقة الأبناء والآباء وضعف التواصل الأسري بينهم (بارشيد، ٢٠١٨، ٤٤٩).

وفي وضعية كهذه تبرز أهمية دور الأسرية في تحصين الناشئة وتوجيههم وتهيئتهم للدخول في معترك الحياة الصاخبة التي نعيشها اليوم، كذلك تربيتهم على الاعتزاز بهويتنا الإسلامية، في ظل الاختراق الكبير والواسع للعولمة الثقافية.

ويمكن تحديد أدوار الأسرة في التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية، من خلال الآتي (الجبوري، ٢٠٢٢) و(بارشيد، ٢٠١٨) :

١. من الضروري ان تنهض الأسرة بدورها الحقيقي في التربية وغرس الهوية الإسلامية في ذات الفرد منذ الصغر.
٢. تشكل الأسرة الاساس للتربية والمعرفة، لذا يجب ان تسعى إلى صياغة الفرد صياغة اسلامية وتعده اعدادا كاملا من حيث العقيدة والاخلاق والقيم والمشاعر والذوق، والفكر الذي يساهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية.
٣. ان تكون الأسرة اجيالا تشعر بأنتمائها للهوية الإسلامية، وتعيشه وتعتز به. ولا شك ولاريب ان بناء الهوية لدى الشباب ترتكز على صور الذات لديه التي تربى وترعرع بواسطة تربية والديه.
٤. التربية للنشء بما يرضي الله، والتحاور معه بتبيين فساد شبهات أهل الزيغ والهوى، مع قوة الإقناع، وتفعيل أدب الحوار، فالتنشئة الصحيحة على التحصين العقدي هي أول عملية في التربية الأسرية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية.
٥. التصدي من خلال تربية الأبناء، إلى محاولات تذويب الهوية الإسلامية وقطع صلة الأمة بدينها الحق، مع تحرير الهوية الإسلامية من كل مظاهر الخور والتبعية والتقليد (الجبوري، ٢٠٢٢، ٧٦٥).
٦. الحرص على تكامل الأدوار وتظافر الجهود التربوية بين الوالدين في الأسرة المسلمة من أجل حماية الأبناء من مخاطر أدوات العولمة المتعددة، وتعزيز الهوية الإسلامية والمحافظة عليها أمام التحديات العصرية المتسارعة.
٧. زيادة الاهتمام والحرص من قبل الأسرة المسلمة على جوهر الهوية الإسلامية ومقومها الأساسي (المقوم الديني) بمفهومه الشامل والمتكامل بشقيه الإيماني والتعبدي، بشتى السبل

والوسائل حتى يربط الفرد بهويته ارتباطاً متكاملاً ويعتز بها وينتمي إليها انتماءً صادقاً من حيث الشعور والتطبيق.

٨. التربية على الاعتزاز بالتاريخ الإسلامي وقدراته ورجالاته عبر القرون، ومن أهم الأساليب التي تعزز الهوية والذاكرة التاريخية لدى الأبناء هي الحوار والنقاش معهم حول الأحداث التاريخية واستخلاص أهم الدروس والعبر منها.

٩. التأكيد على أهمية الانتماء الثقافي للأمة الإسلامية عبر وعائها اللغوي وهي " اللغة العربية" وإظهار مكانتها في عقول الأبناء وأنها لغة القرآن ورسالة الإسلام، فيجب الاعتزاز بها والتحدث بها، وجعلها ثقافة وسلوكاً، لأن اللغة تحمل في طياتها فكراً ومعرفة وقيماً، ففقدانها فقدان للهوية والدين.

١٠. ضرورة الحرص على غرس القيم والمبادئ الإسلامية في نفوس الأبناء، وتنشئتهم عليها التنشئة السليمة حتى يتشربوها وتكون سلوكاً بارزاً فيهم يعرفون بهويتهم الإسلامية، وتحصين الأبناء ووقايتهم من أفكار التغريب والانحلال الأخلاقي التي تسلخ هويتنا وقيمنا (بارشيد، ٢٠١٨- ٤٦٤).

ثانياً : دور المؤسسات التعليمية في تفعيل التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية :

تحتل التربية في العصر الحاضر أهمية كبرى في تنمية الموارد البشرية، باعتبارها اداة بناء الإنسان علمياً وخلقياً وسلوكياً، الإنسان القادر على إحداث التنمية الاجتماعية والثقافية، وهو بالتالي هدف التربية وأداتها الرئيسة والفاعلة.

ولذلك أخذ دور التربية والتعليم يتعاظم إلى أن احتل الأولوية والصدارة في عمليات البناء والإصلاح والتطوير. فالمجتمع الذي لا ينطلق من دور التربية وأهميتها في تطوين العنصر البشري، يظل عاجزاً عن تحقيق انطلاقته الاجتماعية المتقدمة. ولا سيما أن التربية تمثل النظام الرائد بين الأنظمة الأخرى في المجتمع، وتتمتع بالفاعلية والتأثير في هذه الأنظمة، بما ينعكس في المقابل على تنمية دورها في التحديث المستمر، وهذا يتطلب من التربية أن تحدد سماتها العامة، وتعمل على إدخال المستجدات العالمية. بما يتناسب مع أهداف المجتمع الذي تعمل في إطاره، وبما يمكنها من مواجهة التحديات العولمية (رحمة، الشماس، ٢٠١٤، ٤٣٠).

أن تعبئة المؤسسات التربوية والتعليمية من أجل تحقيق هذا الهدف في الاعتزاز والحفاظ على الهوية الإسلامية، يتم من خلال العناية والاهتمام الحقيقي الكبير من لدن القائمين على الدولة في العالم الاسلامي، إذ تحتاج هذه المؤسسات إلى تطوير مناهج وطرق واساليب التدريس التي

يفترض أن تجمع بين تلقين المعارف وبين زرع القيم الأخلاقية، والمبادئ السليمة والعقيدة الصحيحة ليكون لدينا جيل محصن ضد مشاريع الغزو الثقافي وتحديات العولمة، مع التركيز على التعليم النافع الذي يفيد الفرد والمجتمع، والذي يربي الأجيال على الاعتزاز بالهوية الإسلامية، كذلك على ثقافة العصر ويفتح أمم تلك الأجيال آفاق المعرفة (علوان، ٢٠١٤، ١٩١).

ويمكن تحديد أدوار المدرسة في التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية، من خلال الآتي (الشيباني، ١٩٨٦) و (اسماعيل، ٢٠١٨) :

١. ترسيخ قيمة الاعتزاز بالهوية الإسلامية في نفوس الطلاب، من خلال الإيمان بالعقيدة الإسلامية والسمات والسلوكيات التي تميز المسلمين عن غيرهم من الأمم وقوة الإنتماء للأمة الإسلامية والاعتزاز بتاريخها وإبراز الشعائر الإسلامية والتمسك بها.
٢. دور المدرسة في غرس وتنمية الهوية الإسلامية لدى الطلاب، من حيث تعريفهم بمصادر الهوية الإسلامية والإقتداء بالشخصيات الإسلامية البارزة، وربطهم بقضايا الأمة الإسلامية.
٣. تحصين الطلاب ضد الشبهات التي تدور حول الإسلام، وتوضيح ضوابط الإنفتاح على الثقافات الأخرى، أيضاً توجيههم نحو البرامج الصالحة لهم ولمجتمعهم في وسائل الإعلام.
٤. ربط الطلاب بقضايا الأمة الإسلامية من خلال المناهج الدراسية، والنشاط الطلابي، والندوات واللقاءات الدورية والتفاكر لوضع حلول القضايا تتلائم مع تعاليم الدين الإسلامي مع روح العصر الحديث (اسماعيل، ٢٠١٨، ٥٩- ٦٠).
٥. تنمية الميول والاتجاهات الايجابية نحو تعليم اللغة العربية والتربية الدينية لدى المتعلمين، بحيث يصبحون أكثر ميلاً وأشد رغبة في تعلمها، وأكثر حرصاً على مواصلة تعلمها بطرقهم الذاتية، حتى بعد تركهم للمدرسة وانقطاعهم عن الدراسة الرسمية، وأكثر حباً وتقديراً لها، وأكثر ثقة بها، وأكثر إيماناً بأهميتها كلغة للقرآن الكريم وللسنة النبوية المطهرة كوعاء للتراث الإسلامي وللثقافة الإسلامية في أزهى وأبهى عصورها وكرابط من أهم الروابط الشقافية المشتركة بين شعوب الأمة الإسلامية.
٦. الاعتزاز بالهوية الإسلامية، من خلال اصطباغ ذوات المتعلمين بروح تعاليم الإسلام وأخلاقياته السامية، فتؤكد معاني الصدق والأمانة والإخلاص والرحمة والشفقة ولين الجانب والأخذ بالحسنى، وتتجنب العنف والقسوة والقهر والظلم وكل ما من شأنه أن يخرج عن مكانة الإسلام وهويته.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٧. الحفاظ على الهوية الإسلامية، من خلال دعم الحياة الدينية والروحية في المجتمع، وبناء مجتمع إسلامي تنتصر فيه القيم الدينية والخلقية، وتنتشر فيه الثقافة الإسلامية الصحيحة، ويرتفع فيه الوعي الديني، ويسود فيه الفهم الصحيح لمبادئ الدين وتعاليمه وأحكامه.

٨. إحياء التراث الإسلامي ونشر الثقافة الإسلامية السامية بين نفوس الطلاب، وتحصينهم من أمراض التحلل والتفسخ ومن موجات الإلحاد والتشكيك في قيم الدين وصلاحية تعاليمه لروح العصر ومن دعوات التغريب.

٩. تمكين الطلاب من اكتساب المعارف والمعلومات الدينية الصحيحة التي تمثل الفهم الصحيح والسليم لنصوص وأحكام ومقاصد الشريعة الإسلامية وعقائد الإسلام وتوجيهاته السامية بما ينفع في الدنيا والآخرة.

١٠. بناء الفرد الطالب المؤمن بربه وبأنبياء الله ورسله وما انزل عليهم من كتب سماوية وما أوحى إليهم من وصايا وتعاليم جميعاً إلى توحيد الله وتحقيق الخير والعدل للإنسان وباليوم الآخر وما فيه من مغيبات وبقضاء الله وقدره، والقوى في نزعنه الدينية وفي ضميره الديني والخلقي والعامر قلبه بحب الله وتقواه وخشيته والثقة الكاملة به.

١١. تكوين الطالب المسلم القادر على تأدية عباداته وشعائره الدينية بالطريقة والكيفية التي أمر بها الدين، والقادر على ضبط معاملاته وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية حسب تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية (الشيباني، ١٩٨٦، ١٥٤-١٦٦).

الخاتمة :

١. أن الهوية الإسلامية التي تمثل كيان الأمة تتعرض اليوم إلى الكثير من التحديات والاساليب العدائية الممنهجة، في عصر العولمة والغزو الفكري والثقافي، الذي يسعى جاهداً إلى طمس معالمها، وإفساد عقيدتها، وتشويه تاريخها، وسلخها عن القيم والمبادئ وتذويبها في غيرها من الهويات بخطط وبرامج معدة بإحكام من قبل أعداء الأمة الإسلامية، وتتعدد هذه التحديات وتتنوع لتشمل جميع الجوانب العقائدية والثقافية والأخلاقية والاجتماعية.

٢. يشكل البعد الثقافي للعولمة، أخطر أنواع العولمة على المجتمعات الإنسانية، علمياً وثقافياً. إذ تسعى إلى هدم الثقافات الخاصة للشعوب ودمجها في ثقافة عامة واحدة،

وهي الثقافة العالمية، أي انصهارها في الثقافة الغربية باعتبارها الأقوى، مما يحتم على الأسرة والمدرسة ضرورة الوعي بالتربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية ومكانتها.

٣. تمثل التربية وهي المسؤول الأول عن صناعة سلوك الإنسان وطرق تفكيره وإيقاظ وعيه العام. إذ فلابد من تفعيل دورها وعناصرها في مواجهة الغزو الشامل للعولمة. التي تستطيع التربية من خلالها تنمية الوعي بحقيقة الهوية الإسلامية وأهميتها ومكانتها والاعتزاز بها، والتمسك والدفاع عنها، لنتمكن من استعادة دورنا الحضاري بين الأمم الأخرى.

٤. ينبغي على الثقافة الإسلامية الانفتاح على الأخرين والاستفادة من فرص العولمة والتقدم العلمي والتقني، وتطوير ثقافتنا وتحسين أوضاعنا.

٥. أن من أهم التحصينات الثقافية للحفاظة على الهوية الإسلامية، قيم الانفتاح والتسامح والعدل والمساواة، والشورى بين الجميع.

٦. التأكيد على الاعتزاز بالهوية الإسلامية، ذلك من خلال إعادة صياغة النظم التعليمية في بلادنا لما يحقق الهدف في المحافظة على الهوية الثقافية الإسلامية.

٧. على الأسرة بذل الجهود الكبيرة في سبيل مواجهة التحديات كالعولمة والغزو الفكري وغيرها، والبحث عن كيفية تطوير قدرات الانسان بما يتلاءم وسمات العصر الحالي.

٨. أن دور المدرسة في التربية الاعتزاز بالهوية الإسلامية، يتم من خلال : ترسيخ قيمة الاعتزاز بالهوية الإسلامية في نفوس الطلاب، ربط الطلاب بقضايا الأمة الإسلامية من خلال المناهج الدراسية، تنمية الميول والاتجاهات الايجابية نحو تعليم اللغة العربية والتربية الدينية لدى المتعلمين. إحياء التراث الإسلامي ونشر الثقافة الإسلامية السامية بين نفوس الطلاب.

المصادر:

القران الكريم

١. إبراهيم، هناء حسن، دور منهج التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية في تعزيز القيم والهوية الإسلامية في ضوء متطلبات عصر العولمة، رسالة دكتوراه، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، ٢٠٢٢.

٢. اسماعيل، هناء حسن إبراهيم، دور المعلم في تعزيز الهوية الإسلامية في ضوء متطلبات عصر العولمة، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية الدراسات العليا، ٢٠١٨.

٣. آل داود، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، درجة إسهام مقررات الثقافة الإسلامية في تعزيز مقومات الهوية الإسلامية في ضوء بعض المتغيرات المعاصرة، المجلة العلمية لكلية التربية – جامعة اسيوط، المجلد(٣٨)، العدد (٤)، ٢٠٢٢.

٤. بارشيد، عبدالله محمد، الدور التربوي للأسرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية – من وجهة نظر الآباء والأمهات بالمدينة المنورة، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، المجلد (٤)، العدد (٣)، ٢٠١٨.

٥. الجبوري، دعاء رحمن عبود، الهوية الاسلامية ووسائل الحفاظ عليها، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، المجلد (١٤)، العدد (٥٧)، ٢٠٢٢.

٦. حربي، خالد، العولمة بين الفكرين الإسلامي والغربي، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٨.

٧. حسان، حسن عبد الغني حسن، الهوية الإسلامية – رؤية تأصيلية في ضوء التحديات المعاصرة، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، المجلد(٨)، العدد (٢٥)، ٢٠١١.

٨. رحمة، أنطون، والشماس، عيسى، التربية العامة وفلسفة التربية، دار الملايين للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١٤.

٩. الزبيدي، عبدالله سعيد محمد، دور التعليم الجامعي في مواجهة آثار العولمة على مقومات الهوية الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ٢٠١٦.

١٠. العاني، خليل نوري مسيهر، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ط١، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ٢٠٠٩.

١١. عبد الرزاق، عبد الرزاق أحمد، الهوية الإسلامية – مقوماتها – ووسائل الحفاظ عليها، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، المجلد(١)، العدد (٢٨)، ٢٠١٤.

١٢. علوان، بتول حسين، مقومات الحفاظ على الهوية الثقافية الاسلامية، مجلة كلية الاسلامية الجامعة، المجلد (١)، العدد (٢٨)، ٢٠١٤.

١٣. محمد، احمد علي الحاج، العولمة والتربية – آفاق مستقبلية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ٢٠١١.

١٤. محمد، اسماعيل علي، العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، ط٢، دار تنوير للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.
١٥. محمود، مديحه فخري، العقلية العربية في زمن العولمة، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥.
١٦. مدد، صادق قاسم حسن، معالم تعزيز الهوية الإسلامية في القرآن الكريم، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (٧)، العدد (٣٨)، ٢٠٢٠.
١٧. نشوان، يعقوب حسين، التربية في الوطن العربي، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
١٨. نمر، أماني على محمد، ضوابط الحفاظ على الهوية الإسلامية في عصر العولمة، رسالة ماجستير، جامعة القدس، ٢٠١٥.
١٩. الياسين، جاسم بن محمد بن المهلهل، الهوية الإسلامية، ط١، شركة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

معادلات الاعتدال في الشخصية الإسلامية- رؤية إسلامية معاصرة

م. د. حميد علي راضي الدهلكي/ جامعة الإمام الصادق- كلية الآداب

المقدمة:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١)

الاعتدال والوسطية من سمات إسلامنا وعقيدتنا، وان قاعدة: (لا افراط ولا تفريط) أو (لا غلو ولا تقصير) هي السائدة في جميع أمور الحياة وشؤونها وقضاياها، فهنالك اعتدال بين الإيمان والعلم، وبين العلم والعمل، وبين الفكر والعاطفة لإنتاج معادلات السلوك السوي، وهناك معادلات الواقعية بين متطلبات الروح والجسد، وبين الدنيا والاخرة، وبين المرونة والشدة في التعامل مع الآخرين، وبين الثابت والمتغير لتحديد العلاقات واسلوب التعامل الحضاري.

والاعتدال ليس عقيدة فكرية، ولا منهجاً نظرياً فحسب، وانما هو اساس مهمة تطبيقية وعملية تنفيذية من اجل تحصيل السلوك المتوازن، والاعتدال في كل صغير وكبير من شؤون الحياة لتوليد المثالية النموذجية في المجتمع الإسلامي من اجل رقيه وتكامله.

ان معادلات الاعتدال في الشخصية الإسلامية تمثل مرتكزاً لأصالة الهوية للشخصية الإسلامية، التي يراد لها ان تطمس أو تتميع أو تذوب أو تغير شكلها وأنماط حياتها لتنسجم مع ما يسمى بالواقع المتحضر الذي تدنى وتسافل لتغيير فطرة الله وخلقه وتكوينه بمسميات الشذوذ الجنسي، والزواج المثلي وأمثاله.

لهذا كلما ارتقت مقومات واركان معادلات الاعتدال وعناصرها في المجتمع المسلم وأصبحت سائدة وحيّة ونافذة ومطبقة، وكلما صار المجتمع رصيناً ويقف سداً منيعاً امام اعداء الله واحزابهم الشيطانية، وكلما تضاءلت اثار الاعتدال في مجتمع ما بسبب غياب المقومات أو ضعفها أو عدم إمكان تنفيذها انحدر المجتمع وتسارع نحو التفكك والسقوط للهاوية، لهذا يأتي هذا البحث

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

لتأصيل الشخصية الإسلامية لإعادة قراءة الشخصية بنظرة معاصرة لتبيان معالمها بين الاصالة الإسلامية والتأصيل السلوكي النابع من الفكر والعاطفة.

اهمية الموضوع:

تعد الشخصية الإسلامية حجز الزاوية والاساس للبناء الفوقاني لتشييد مجتمع إسلامي وإنساني ناجح ومتحضر. وفي واقعنا المعاصر تعرضت الشخصية الإنسانية عموماً والإسلامية خصوصاً إلى عملية تشويه وتغيير لهويتها وأصالتها لمسخ فطرتها وأصالتها وسحق إنسانيتها عبر برامج منظمة واساليب شيطانية حديثة وماكرة، أمثال الالحاد، والمخدرات، والشذوذ الجنسي، والزواج المثلي وغيرها، ويأتي هذا البحث لإماطة اللثام وازالة الغبار المتراكم الذي علق بها وأراد تشويهها وإبعادها عن مسرح الحياة والتحضر.

إشكالية البحث:

بحثت الشخصية الإسلامية من باحثين ومؤلفين بشكل عام أمّا قرآنياً، أو روائياً، أو الجمع بينهما، وعلى الرغم من اهمية ما قدموه من الجانب المعرفي، إلى ان كتاباتهم امتازت بالسرد احياناً والتحليل أُخرى، دون الغوص لاكتشاف معادلات الاعتدال في الشخصية الإسلامية والتي هي جزء من كل المنظومات المعرفية واستنباطها ودراستها موضوعياً بلغة عصرية لاستخراج قوانين ومعادلات تصلح ان تكون مواد تشريعية للقارئ والباحث معاً، وهذا ما حاولنا بحثه.

دراسات سابقة:

١. الشخصية الإسلامية/ دراسة قرآنية، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ١٩٨٦م.
٢. الشخصية الإسلامية من منظور قرآني، مقوماتها وكيفية بنائها، د. فرج حمد سالم الزبيدي.
٣. العوامل النفسية واثرها في بناء الشخصية الإسلامية في القرآن/ دراسة موضوعية، د. عثمان فوزي علي العبيدي، ٢٠٠٤م.
٤. التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الشامي، ٢٠٠٤م.
٥. الشخصية الإسلامية، تأسيس وتأصيل الفكر، تقي الدين النبهاني، ٢٠٠٨م.

منهجية البحث:

ISBN: 978-9922-21-412-2

اعتمدت المنهج التوليفي الذي يجمع بين الوصف والتحليل والمقارنة، مستعيناً ومهتدياً بآيات الله كأساس ومرجع أوّلاً، ومتشرفاً بروايات السنة المطهرة كمؤيد ومعاضد لكتاب الله ثانياً، لاستنباط معادلات تصلح ان تكون مواد قانونية سهلة الحفظ والتداول للقارئين والباحثين.

هيكلية البحث:

تضمنت الدراسة ثلاثة مباحث مع مطالبها، تناول المبحث الأوّل فيها عن ملخص ومقدمة وبيان اهمية الموضوع وتوضيح معانيه اللغوية والاصطلاحية، مع إطلالة على صور من الاعتدال في القرآن الكريم وتوضيح مداليلها.

وتضمن المبحث الثاني على بيان معادلة المقومات في الشخصية الإسلامية بين الفكر والعاطفة من جهة، ومعادلة التوازن بين الإيمان والعمل، والعلم والعمل من جهة ثانية.

وتناول المبحث الثالث واقعية الاعتدال في الشخصية الإسلامية بين الروح والجسد من جهة وبين الدنيا والاخرة من جانب ثان، واقعية التعامل مع الآخرين بين المرونة والشدة من جانب ثالث.

لتختم الدراسة عن بيان أهم النتائج والمصادر.

المبحث الأوَّل: إضاءة على معادلات الاعتدال في الشخصية الإسلامية

هناك العديد من معادلات الاعتدال في الشخصية الإسلامية يمكن استنباطها من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولكنّا نقتصر على بعضها وفقاً لمقتضيات البحث ومتطلباته، ونقف عند بعض المطالب.

المطلب الأوَّل: المعاني اللغوية والاصطلاحية:

أوّلاً: المعادلة: عادل بين الشيئين، إذَا ساوى بينهما[1] والاعتدال في اللغة كون الشيء متناسباً، أو صيرورته كذلك؛ فإذا مال شيءٌ فأقمته تقول: عدلتهُ فاعتدل، ولا يفرق اهل اللغة بين الاعتدال

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري اليميني، ٤٤٢٣/٧

والاستقامة، والاستواء فهم يقولون: استقام الشيء إذَا اعتدل واستوى، ويقولون أيضاً استوى الشيء إذَا استقام واعتدل[١]

ثانياً: الاعتدال لغةً واصطلاحاً

الاعتدال لغة: عَدَلَهُ، يَعْدلَهُ، عدلاً، وعَادَلَهُ، معادلةً: وازَنَهُ، وكذا: عَادَلَ: بين الشيئين وَعَدَلَهُ في المحمل، وعَادَلَهُ: ركب معه، والعَدْلُ: المثلُ، والنَّظير.[٢] والعِدْل والعَدِيلُ، فيما يُدْرَكُ بالحاسّة، كالموزونات، والمعدودات والمكيلات[٣]

الاعتدال اصطلاحاً: توسط حال بين حالين في كم أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل. والعدالة هي الاعتدال والاستقامة، وهي الميل إلى الحق[٤]

ثالثاً: الشخص لغة واصطلاحاً:

الشخص لغة: كل جسم له ارتفاع وظهور وغلب في الإنسان والشخصية: اسم مؤنث منسوب إلى شخص.[٥]

الشخص اصطلاحاً: وتطلق على الإنسان، (وعند الفلاسفة) الذات الواعية بكيانها، المستقلة في ارادتها، ومنه الشخص الاخلاقي، وهو من توافرت فيه صفات تؤهله للمشاركة العقلية والاخلاقية في مجتمع إنساني.

رابعاً: الإسلام لغة واصطلاحاً

الإسلام لغة: الانقياد المتعلق بالجوارح كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [٦]

---

(١) المصباح المنير، ولسان العرب، وتاج العروس، والصحاح، المواد (عدل، قوم، سوى)، الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٣/٥.

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ٤٤٢٣/٧

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، ٤٤٦/٢٩.

(٤) كتاب التعريفات: ١/ ١٤٧.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. احمد مختار عبد الحميد عمران، ٢/ ١١٧٤.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الإسلام اصطلاحاً: الخضوع والانقياد لما اخبر به رسول الله (ﷺ)، وفي الكشاف ان كل ما يكون الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام، وما أوطأ القلب اللسان فهو إيمان.(١)

المطلب الثاني: صور من الاعتدال في القرآن والسنة

نؤكد في مبحثنا هذا ان الاعتدال المنبثق من نصوص القرآن الكريم، والسنة الشريفة، من اجل معرفة مقاصد الشريعة، وتبيان رؤية إسلامية اصيلة قائمة على الالتزام الواعي بدين الله وشريعته قلباً وقالباً، وبشعار (لا افراط ولا تفريط) كأسلوب لمنهج الحياة الدنيا ورجاء الاخرة، لنوضح صوراً من الاعتدال لبعض الآيات والروايات والتي تشكل تركيباً ونسيجاً للمفاهيم الإسلامية.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٢)

لقد عُنى القران الكريم تصريحاً وتلميحاً بتربية المسلمين على الاعتدال عاطفة وتفكيراً وسلوكاً، فنص على أننا امة وسط، أي بعيدة في كل شؤونها عن الحديّة، وهذا ما يؤهلها للشهادة على الأُمم، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: عدلاً خياراً، قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ (٣) ، أي: خيرهم واعدلهم، وخير الاشياء أوسطها، وقال الكلبي: يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير، لأنهما مذمومان في الدين.(٤)

وجاء في تفسير الكريم الرحمن مفصلاً لقوله تعالى: (....وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...) أي: عدلاً خياراً، وما عدا الوسط ، فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الامة وسطاً في كل أمور الدين، وسطاً في الانبياء، بين من غلافيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بخلاف المسلمين إذْ آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطاً في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى، وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة

(١)كتاب التعريفات، الجرجاني: ١/ ٢٣.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٤٣.

(٣) سورة القلم: الاية: ٢٨.

(٤) تفسير البغوي: ١/ ١٧٤/٤- ١٧٥.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الا في بيعم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يحرمون شيئاً، بل أباحوا ما دب ودرج.

أمّا الامة الوسط، فطهاراتهم اكمل طهارة وأتمها، واباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث، فلهذه الامة من الدين أكمله، ومن الاخلاق أجلها، ومن الاعمال افضلها، ووهبهم الله العلم والحلم، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لامة سواهم، فلذلك كانوا (امة وسطاً) (كاملين)، ليكونوا (شهداء على الناس) بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر اهل الاديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الامة بالقبول، فهو مقبول، وما شهدت به بالرد، فهو مردود.

فإنَّ قيل: كيف يقبل حكمهم على غيرهم، والحال ان كل مختصمين غير مقبول بعضهم على بعض؟

قيل: إنما لم يقبل احد المتخاصمين، لوجود التهمة، فاذا انتفت التهمة، وحصلت العدالة التامة، كما في هذه الامة، فإنما المقصود الحكم بالعدل والحق، وشرط ذلك، العلم والعدل، وهما موجودان في هذه الامة، فقبل قولها، فإنَّ شك شاك في فضلها، وطلب مزكياً لها، فهو اكمل الخلق، نبيهم ﷺ، فلهذا قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١)

وقد اعطت هذه الآية المباركة الاطار العام للوسطية بشكل مجمل، ومن ثم تأتي بقية الآيات المباركات لتفصل حسب موردها ومنها:-

أوّلاً: ان الشروط التي طلبت في بقرة بني اسرائيل يمكن تلخيصها في الاعتدال، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (٢)

فلا هي هرمة لا تلد، ولا هي صغيرة لم تلد الا ولداً واحداً، بل سوية وعوان أي: النصف التي بين ذلك، أي من افضل الانواع، وكذلك الشأن في لونها وعملها. (٣)

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ١/ ٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٨.

(٣) ينظر: تفسير الطبري، ابو جعفر: ٢/ ١٨٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ثانياً: ومن مواضع الاعتدال في حياة المسلم: الصلاة والاعتدال برف الصوت فيها، فلا يكون مرتفعاً اكثر من اللزوم، ولا مخافتاً إلى حد الإسرار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١).

فإنَّ المشركين كانوا إذَا سمعوا القرآن سبُّوه، وسبَّوا من أنزله و[سبُّوا] من جاء به؛ فأمره الله تعالى الاّ يجهر به، لئلا ينال منه المشركون، ولا يخافت به عن اصحابه فلا يسمعهم، وليتخذ بين الجهر والاسرار سبيلاً وسطاً، لكي لا تحصل الاذية من المشركين من جانب، ولكي لا يفوت المصلحة على اصحابه من جانب آخر.(٢)

ثالثاً: من صفات عباد الرحمن أنهم مقتصدون في الانفاق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٣)

ولزوم الاعتدال في هذا المجال ليس امراً هيناً؛ لأنَّ المال يغري النفوس بالحدّيْن الاسراف والتقتير، أي مجاوزة الحد والتموقع دونه، لهذا نلاحظ ان من صفات عباد الرحمن انهم ملتزمون في انفاقهم التوسط؛ فلا هم مسرفون ومتجاوزون للحدود التي شرعها الله تعالى، ولا هم بخلاء في نفقتهم إلى درجة التقتير والتضييق، وانما هم خيار عدول يعرفون ان خير الأمور أوسطها، فهم في حياتهم نموذج يقتدى به في القصد والاعتدال والتوازن؛ وذلك لأنَّ الاسراف والتقتير كلاهما مفسد لحياة الافراد والجماعات والامم، لأنَّ الاسراف تضييع للمال في غير محله، والتقتير إمساك عن وجوهه المشروعة، أمّا الوسط والاعتدال في انفاق المال، فهو سمة من سمات العقلاء الذين على اكتافهم تنهض الأمم، وتسعد الافراد والجماعات. (٤)

ونلاحظ ورود لفظ "بين" في وصف البقرة، والصلاة، والانفاق، وهي تدل على نقطة الوسط بين طرفين، وذلك هو الاعتدال الذي ينبغي له ان نتعلمه من القصص القرآني.

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ١١٠.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٣٩.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: ١٠/ ٢١٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

رابعاً: ومن صيغ الأوامر والنواهي الشرعية المعاش، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١)

وتشير الآية إلى معنى وهو: عليكم يا بني ادم ان تتجملوا بما يستر عورتكم، وأن تتحلوا بلباس زينتكم كلما صليتم أو طفتم، واحذروا أن تطوفوا بالبيت الحرام وانتم عراة. قال القرطبي: (يا بني ادم هو خطاب لجميع العالم، وان كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عرياناً، فإنه عام في كل مسجد للصلاة، لأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)(٢)، ثم امرهم سبحانه، أن يتمتعوا بالطيبات بدون اسراف ولا تقتير، فقال: وكلوا وشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين، أي: كلوا من المآكل الطيبة، واشربوا المشارب الحلال ولا تسرفوا لا في زينتكم، ولا في مأكلكم أو مشربكم، لأنه – سبحانه– يكره المسرفين.(٣)

وقال الامام ابن كثير: ((قال بعض السلف: جمع الله الطب في نصف أية في قوله – وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا))(٤) .

هذا مقياس الاستمتاع بالطيبات، ولا يقتصر الامر على المآكل والمشارب، بل يشمل جميع عناصر المعيشة، كاللباس والاثاث والمركب ونحو ذلك.

خامساً: واذا كانت الدار الاخرة هي امل الطالبين، وغاية الراغبين، ومستقر السالكين، وهي المطلب الاعلى، والمقصد الاسمى، فإنَّ الاشتغال بما يدخل الجنة لا يكون على حساب السعي من أجل الدنيا، لهذا قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (٥)، وبهذا يحدث التوازن والاعتدال في حياة المسلم، بعيداً عن التصوف اللاواعي الذي يخالف

(١) سورة الاعراب، الآية: ٣١.

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي: ٧/ ١٨٩.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي: ٥/ ٢٦٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣ / ٤٠٦.

(٥) سورة القصص، الآية: ٧٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

فطرة الله، وعن النزعة اللادينية التي تقطع الإنسان عن مستقر الاخرة، وتأسره في مستودع الدنيا وسجنها.

سادساً: الحب والبغض في الفكر والعاطفة والسلوك، إذْ نلاحظ ان المشاعر غالباً ما تكون ميداناً للغلو في الحب والبغض، فتجد الناس لا يلتزمون الاعتدال والوسطية في حبهم وبغضهم، وقد أهلك الغلو النصارى بحبهم للسيد المسيح (عليه السلام)، عندما ادعوا انه ابن الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ .[1]

وفي المقابل ما زال اليهود إلى يومنا هذا يعدّون السيد المسيح دعيّاً وابن زنا، قال تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ .[2]

ولم يقتصر الغلو على ما حكاه لنا القرآن الكريم فحسب، بل دخل في حياة الناس وسلوكهم وتقييمهم للأشخاص والمواقف، فنجد بعضاً من الفرق الإسلامية التي تدعي التشيع أو تنسب اليه، إذْ غالوا بعلي (عليه السلام)، وبالغوا في حبّه حتى ألهوه أو كادوا، وفي المقابل هناك طائفة الخوارج ومن سار على منهجهم من الذين غالوا ببغض علي (عليه السلام)، حتى قتلوه في محراب صلاته تقرباً إلى الله بزعمهم، وان الموقف القرآني والرسالي يحتم علينا ان ننظر للأمام علي (عليه السلام) بنظرة اعتدالية متزنة، لمنزلته وصحبته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسبق إيمانه، وقرابته من بيت النبوة، وفتوته وجهاده اعداء الله، ونصرته للدين وللحق، فنظرتنا لعلي (عليه السلام) نظرة المسلم المتدين بالضرورة، المعتدل والمنضبط بضوابط الشرع التي تمنعه من الغلو، ولهذا المسلم تدين يراعي الطبيعة البشرية وضعفها وطاقاتها المحدودة، بلا تكلف ولا عنت، ولهذا يرسم لنا علي (عليه السلام) منهجاً لحياة المسلم الحقيقي، حيث ينقل عليه السلام ويقول: دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: (إنَّ فيك من عيسى مثلاً، ابغضته يهود حتى بهتوا امّه، واحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به) الاّ وانه يهلك فيَّ إثنان: محبٌ مطرٍي يُقرّظني بما ليس فيَّ، ومبغض

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

يحمله شنآني على ان يبهتني، ألا اني لست بنبيٍّ ولا يوحي الي، ولكني أعمل بكتاب الله، وسنة نبيه ما استطعت، فما امرتكم من طاعة الله فحقٌ عليكم طاعتي، فيما أحببتم وكرهتم).[١]

سابعاً: وقد اكد الإسلام على الاعتدال في العبادة، إذْ نلحظ ان النبي(ﷺ) قد نهى الصحابة الذين تشددوا في العبادة إلى درجة هضم حقوق النفس والزوجة، ودعاهم إلى التزام سنته المتسمّة بالإعتدال، وإعطاء كل ذي حق حقه، وقال (ﷺ): (إنَّ هذا الدين يُسرٌ ولن يشاد الدين أحد الاّ غلبه، فسدّدِوا وقاربوا).[٢]

وقال المعلق مصطفى البغا[٣]*: [ش (يسر) ذو ير، (يشاد الدين) يكلف نفسه من العبادة فوق طاعته، والمشادة: المغالبة. (الاغلبه) ردّه إلى اليسر والاعتدال، (فسددوا) ألزموا السداد وهو التوسط في الاعمال].

وقد اوصى (ﷺ) بالاعتدال، لعلمه ان التشدد حالة طارئة، وعمره قصير، وخير الاعمال أدومها وان قلّ، وليس اكثرها وإن انقطع، والملاحظ انه بالابتعاد عن منهج الاعتدال بالشخصية الإسلامية بكل جوانبها، سيفسح المجال للتطرف ليساهم مساهمة كبيرة في تشويه صورة الإسلام البديعة والجميلة، ليجلب المشكلات للمسلمين وجماعاتهم ودولهم، وقضاياهم، وكلما كانت حياة المسلمين توسطاً واعتدالاً في نهجهم وسلوكهم، كلما جلب ذلك لهم الخير بكل انواعه، واصبح الاعتدال سوراً منيعة امام الغزو الثقافي والفكري والاخلاقي وغيره، ليمنع من التدخلات المغرضة في شؤون المسلمين ووحدتهم وخيراتهم وغيرها.

ثامناً: نختم مطلبنا هذا باخر صورة توخيا للاختصار عن المرأة التي تشكل نصف المجتمع، وهي الأم والاخت والزوجة والمربية وهي الاجمل في كل شيُ، ولكن حينما ابتعدت كثيراً عن المجتمعات المسلمة وعن احكام الشريعة، أصبحت مصدر مشكلات لا تحصى، وبابا يلج منه اعداء الإسلام بمكر ودهاء، إذْ تنازع تياران بنظرتهما للمرأة، الأوَّل: ينظر اليها ويعدها مجرد

(١) مسند الامام احمد، فضائل علي عليه السلام؛ ١٦/١ ح: ١٢٢ (حديث صحيح).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر: ١٦/١ ،ج: ٣٩.

(٣) استاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة- جامعة دمشق.

ISBN: 978-9922-21-412-2

عرض يصان؛ لأنها مفتاح الشرور، تضرب، وتهان، ويضيّق عليها، ولا تعطى حقوقها الزوجية، ولا استحقاقها من الإرث وغيره، بينما يعدّها التيار الثاني: مجرد جسم فوّار يلبي الشهوات المحرمة، يباع ويشترى وهو مادة للإشهار، ونشر الرذائل، والدعاية الرخيصة وامثال ذلك.

أمّا الإسلام فينظر إلى المرأة نظرة الاعتدال والاحترام، فهي مكرمة كالرجل، وهي إنسانة منضبطة بأحكام الشرع مثله في إطار خصوصيات الذكر والانثى، ويؤدي كل منهما مهامه ووظائفه بشكل طبيعي، فاذا غاب الاعتدال أو غيّب تغلبت النزعة الرجولية أو النسوية، وظهرت نظريات الجنس الثاني و"الرجلة"، والزواج المثلي، ونحو ذلك من الانحرافات الفكرية والسلوكية المنذرة بفناء النوع البشري، والمخالفة للفطرة السليمة التي اودعها الله تعالى في عباده ومخلوقاته، لهذا نؤكد في بحثنا هذا عن الاعتدال، وقد أوضحنا بعض معالمه وصوره القرآنية والتي ينبغي ان تترجم بخطاب إسلامي واع ومتزن، بعيداً عن العنف والتطرف بكل اشكاله وتمظهراته.

المبحث الثاني: معادلات الاعتدال في الشخصية الإسلامية

هنالك العديد من معادلات الاعتدال والتي تشكل بموجبها منظومة متكاملة لصناعة الشخصية الإسلامية التي تميزت وانفردت عن بقية الشخصيات الاجتماعية، ونبحث بعضاً من هذه المعادلات بمطالب:

المطلب الأوَّل: معادلة المقومات في الشخصية الإسلامية

الراصد للحركة الاجتماعية بشكل عام، يرى ان الناس متباينون ومختلفون في اللون، واللغة وغيرها، وهكذا خلقهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾.[1]

ان هذا الاختلاف جعل الله آية من آياته العظيمة، فنرى قدرة الله في خلقه، وكيف خلق السموات العظيمة، بارتفاعها وسعتها، وما فيها من كواكب ونجوم واجرام، تسير وتدور بموازين دقيقة، دون ان يتصادم بعضها ببعض، وخلق الارض وما فيها من بحار ويابسة، وجبال ووديان، وحيوانات

(١) سورة الروم، الآية: ٢٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

بأنواعها البرية منها والبحرية، ومن آياته كذلك اختلاف الوانكم بين اسود وابيض، واحمر واصفر، وكلكم ابناء رجل واحد وأم واحدة.

ونظراً لتطور الحياة الاجتماعية، وتداخل علاقاتها، وتضارب مصالحها، وغيرها من الاسباب بدأت الاختلافات في عقائد الناس الدينية، واختلاف آرائهم الفلسفية، وتباين اتجاهاتهم الفكرية، وتغاير رؤاهم السياسية، وميولهم العاطفية والنفسية، ومعاملاتهم وعاداتهم الاجتماعية، فهم يسيرون دروباً شتى، كما قال تعالى- عنهم في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ .[1] ان سعيكم لشتى، هذا جواب القسم، والمعنى: إنَّ عملكم لمختلف، وقال عكرمة وسائر المفسرين السعي: العمل، فساع في فكاك نفسه، وساع في عطبها، يدل عليه قوله ﷺ((الناس غاديان: فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها))[2].

وشتى: واحده شتيت. مثل مريض ومرضى، وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه، أي ان عملكم متباعد بعضه من بعض، لأنَّ بعضه ضلالة وبعضه هدى، أي: فمنكم مؤمن وبر، وكافر وفاجر، ومطيع وعاصٍ، وقيل: لشتى أي لمختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة، ومعاقب بالنار، وقيل: أي لمختلف الاخلاق، فمنكم راحم وقاسٍ، وحليم وطائش، وجواد وبخيل، وشبه ذلك.[3]

هذه الاختلافات في شخصية الافراد، لا تخرج بشكل عام عن جوانب ثلاثة تشكل المقومات الرئيسة لشخصية الإنسان المسلم والتي تكوّن المعادلة الاتية:-

السلوك	=	الفكر	+	العاطفة

ويمكن بيان عناصر هذه المعادلة بإيجاز:

(١) سورة الليل، الآية: ٤.

(٢) مسند الامام حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله: ٣٣٢/٢٢ ح: ١٤٤٤١ (اسناده قوي على شرط مسلم).

(٣) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي: ٢٠/ ٨٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

أوَّلاً: الافكار: وتدخل فيها المفاهيم ومجموعة التعاليم والآراء التي تقرر اتجاه الإنسان، ونوعية سلوكه، مضافاً إلى النظرة الفلسفية الشاملة للكون والحياة.

ويدخل فيها ما توصلت اليه التجربة والعلوم العصرية لاسيما تلك التي تتوافق مع القرآن ومقاصد الشريعة، ليشكل الجميع منظومة فكرية متكاملة تهدف أنسنة الدين، وتكامل الإنسان.

ثانياً :العواطف: وتدخل فيها مجموعة من العوامل النفسية المنبثقة عن المفاهيم المؤثرة في سلوك الإنسان في الحياة، كالاندفاع والإنكماش، والانشراح والانقباض، والحب والكراهية، والسعادة والحزن، والتأييد والمعارضة، والتسامح والحقد، والعَّزة والضِعة، وأمثال ذلك.

ثالثاً: السلوك ويدخل فيه جميع التصرفات الفردية الايجابية منها، والسلبية الناشئة عن المفاهيم والعواطف.

وعليه، تشكل الافكار قاعدة الانطلاق التي تنبثق العواطف من خلالها، وباندكاك وتمازج الافكار هذه مع العواطف المنبثقة عنها والمتفاعلة معها، تنتج السلوك الإنساني المجسَّد خارجاً، والذي يمثل الشخصية الإنسانية التي امتزجت افكارها مع عواطفها.[1]

وبسبب اختلاف هذه المقومات للشخصية الإنسانية تتباين الافراد من شخص لآخر، ولكنها تنقسم بشكل عام إلى قسمين رئيسين هما:-

١. شخصيات ملتزمة: وهي تلك الشخصيات التي تبني مقوماتها على مبدأ، أو مذهب حياتي معين، أو مدرسة مشخصة المعالم، كالشخصية الإسلامية، والشخصية الشيوعية، والشخصية الرأسمالية.
٢. شخصيات غير ملتزمة: وهي التي لا تبني ولا تتبنى مقوماتها على أي مبدأ أو مذهب، كشخصية الكثرة الكاثرة من المسلمين المعاصرين، إذْ انهم اخذوا العقيدة الإسلامية كعقيدة نظرية، وصلت لهم عن طريق بيئتهم وأهليهم وما تحمله من عادات وتقاليد وممارسات، ولم يأخذوها على انها أساس لمبدأ كامل، ومنظومة متكاملة، تنظم بموجبها اتجاه الشخصية وسلوكها في جميع المجالات.[2]

---

(١) ينظر: ثقافة الدعوة الإسلامية، الشهيد عارف البصري (رحمه الله)، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م: ١٦٩/١.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٧٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وما يهمنا هو ابراز الشخصية الإسلامية المعتدلة والتي هي: شخصية مبدئية اتخذت من العقيدة قاعدة لنظرتها الكبرى عن الكون والحياة، واساساً لمقاييسها، ومعياناً لافكارها، ومنهلاً لعواطفها، ومن احكام الإسلام منهاجاً شاملاً لجميع تصرفاتها وعلاقاتها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ .[١]

قيل: لشريعة الماء (شريعة)، لأنه يُشرع منها إلى الماء، ومنه سميت شرائع الإسلام "شرائع" لشروع اهله فيه، واما المنهج، فإنَّ أصله: الطريق البيّن الواضح. ومعنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمُّه، وسبيلاً واضحاً يعمل به.[٢]

ولهذا يؤكد القرآن الكريم في سورة الفاتحة ونحن نرددها في كل صلاة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٣]. على:-

أوَّلاً: طلب الهداية والتوفيق من الله لكي تنهج الشخصية الإسلامية الصراط المستقيم ليرتفع الإنسان إلى مستوى العبودية لله والاستعانة به تعالى: يتقدم هذا العبد من بارئه طالباً الهداية إلى الطريق المستقيم، طريق الطهر والخير، طريق العدل والاحسان، طريق الإيمان والعمل الصالح، ليهبه الله نعمة الهداية، كما وهبه جميع النعم الأُخرى.[٤]

ثانياً: الاستمرار على الهداية والسير على طريق التكامل، إذْ الإنسان يقطع فيه تدريجياً مراحل النقصان ليصل إلى مدارج الكمال، وطريق التكامل- كما هو معلوم- غير محدود، بل هو مستمر إلى اللانهاية؛ لأنَّ الكمال المطلق لله وحده، وجميع ما سواه يسيرون نحوه.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ابو جعفر الطبري: ١٠/ ٣٨٤.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

(٤) تفسير الامثل، ناصر مكارم الشيرازي: ١/٤٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ثالثاً: ينبغي للشخصية الإسلامية ان تدعو لنفسها بالهداية وبلوغ الكمال، وفي الوقت نفسه تدعو للآخرين إلى ذلك، وهذا جزء من تكليفها ومسؤوليتها، ما دامت في طريق الدعوة، واحقاق الحق، وتبيان الحقائق، للوصول إلى الحقيقة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .(١)

قال ابو جعفر الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (ﷺ) قل، يا محمد، هذه الدعوة التي ادعو اليها، والطريقة التي انا عليها من الدعاء إلى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الالهة والاوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته (سبيلي)، وطريقتي ودعوتي، (ادعو إلى الله) وحده لا شريك له، (علي بصيرة) بذلك، ويقين عليم مني به أنا، ويدعو اليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وآمن بي.

رابعاً: وينبغي للشخصية الإسلامية اتخاذ القدوة الحسنة التي بلغت مراحل متقدمة من الكلمات والتكامل؛ لتكون لها اسوة حسنة، كالرسول (ﷺ) واهل بيته (عليهم السلام)، والصحابة المنتخبين، والتابعين لهن بإحسان، والقادة المصلحين والمضحين على طول مسار خط البشرية، ونذكر مثالاً في تفسير (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، عن الحسن العسكري (عليه السلام) قال: (أي أدم لنا توفيقك الذي اطعناك به في ما مضى من أيامنا، حتى نطيعك في مستقبل اعمارنا. والصراط المستقيم صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، وأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو، وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل. واما الطريق الآخر، فهو طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير الناس سوى الجنة).(٢)

خامساً: واذا كان الله تعالى ارشدنا وأمرنا إلى اتخاذ الرسول (ﷺ) قدوة حسنة كشرط لقبول اعمالاً في الدنيا ورضا الله عنّا في الآخرة، نلاحظ كذلك ان الرسول الاكرم (ﷺ) أوصى المسلمين باتباع المثل الاعلى بعد مماته، لكي يكون هو الطريق الموصل إلى الآخرة، لأنه الطريق

(١) سورة يوسف: الآية: ١٠٨.

(٢) معاني الاخبار، الصدوق: ص ٣٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المستقيم؛ ولأنه مع الحق، والحق معه، يدور حيثما دار، فعن علي (عليه السلام) قال: قيل يا رسول الله من نؤمِّرَ بعدك؟ قال: (إنْ تؤَمِّروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهداً في الدنيا راغباً في الاخرة، وان تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤَمِّروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم).[1]

سادساً: على الشخصية الإسلامية المعتدلة والسائرة على الطريق المستقيم أن تكلل طلبها بأن تكون من الذين انعم الله عليهم في مسيرتهم والذين خاطبهم القرآن بقوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.[2]

والملاحظ ان هذه الآية المباركة قد اشارت إلى المراحل الاربعة لبناء المجتمع الإنساني السالم والمتطور والمؤمن الذي يبدأ بـ:-

المرحلة الأولى: مرحلة نهوض الانبياء بدعوتهم الالهية سواء أكانت تغييرية أم اصلاحية.

المرحلة الثانية: مرحلة نشاط الصديقين، الذين تنسجم أقوالهم مع أفعالهم، لنشر الدعوة ومبادئها والتي جاء بها الانبياء (عليهم السلام).

المرحلة الثالثة: مرحلة الجهاد والكفاح بوجه العناصر المضادة الخبيثة في المجتمع، وفيها ستكون المواجهة الحاسمة، وسيقدم الدعاة الشهداء الابرار قرابين لدعوتهم ليسقوا بدمهم الطاهر شجرة التوحيد؛ لكي تبقى ورقاء مثمرة.

المرحلة الرابعة: مرحلة ظهور (الصالحين) في مجتمع توحيدي صالح ينعم بالقيم والمثل الإنسانية باعتباره نتيجة للمساعي والجهود المبذولة، فمجتمع يأتي تحقيقاً للوعد الالهي الذي وعد

(١) مسند الامام احمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند علي بن ابي طالب (رضي الله عنه): ٢/٢١٤، ح: ٨٥٩؛ الاحاديث المختارة أو المستخرج من الاحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما. ضياء الدين المقدسي: ٢/ ٨٦، ح: ٤٦٣ (حديث صحيح).

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

الله تعالى لعباده الصالحين، ولن يخلف الله وعده بقوله: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١).

سابعاً: ان هناك فرقاً بين الشخصية الإسلامية المعتدلة والملتزمة وبين غيرها، إذْ نلاحظ ان الأولى: تكون الشخصية فيها وحدة متكاملة يسود التناسق بين افكارها وعواطفها، وينظِّم الانسجام سلوكها وافعالها، فلا مجال للارتباك في الافكار والصراع بين المشاعر والتناقض في السلوك، الاّ بمقدار ما يحمله المبدأ أو المذهب من تناقض، بعكس الشخصية الأُخرى التي لا ترتبط مقوماتها العامة برباط واحد؛ فهي لا تعرف ابعاداً معلومة لمفاهيمها وآرائها، ولا تعرف التناسق بين عواطفها، ولا الانسجام بين سلوكها وتصرفاتها، وكما قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢).

ونتيجة للاعتدال في الشخصية الإسلامية بين أفكارها وعواطفها، نلاحظ أن سلوكها يعتمد المبدئية والاصالة في كل شيء، فلا تتحكم العاطفة فيها على حساب الاصالة الفكرية، ولهذا نقول: ليس من الشخصية الإسلامية في شيء ان يرتبط الشخص بأعداء الإسلام بروابط الود والاحترام، ويتبادل معهم مشاعر الحب والاخلاص، وان كان هذا العدو أقرب الناس إلى هذه الشخصية الإسلامية المعتدلة، حسباً ونسباً، وطائفة، وموقعاً، ومكانة اجتماعية؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخر يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أو أَبْنَاءَهُمْ أو إِخْوَانَهُمْ أو عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمان وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .(٣)

المطلب الثاني: معادلة المبادئ في الشخصية الإسلامية

(١) سورة الانبياء، الآية: ١٠٥؛ ينظر: تفسير الامثل، ناصر مكارم الشيرازي: ١/ ٤٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨؛ ينظر: ثقافة الدعوة، الشهيد عارف البصري: ١/ ١٧٠.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ينبغي للشخصية الإسلامية المعتدلة ان تتوافر عندها مجموعة من المبادئ تشكل بمجموعها منظومة لصناعتها لتكون قدوة وأسوة يحتذى بها، فهي شخصية مؤمنة بمبدئها، متألمة لواقعها، موضوعية في مواقفها، واقعية في تعايشها، حضارية بعقليتها وتطورها، نابذة للتطرف وتمظهراته، وغيرها من الاسس التي تدخل في صياغة هذه الشخصية المعتدلة؛ لكي تعطينا المعادلة الاتية:-

الاعتدال السلوكي	=	الإيمان	+	العمل

ونبحث بعنصري هذه المعادلة تباعاً:

أوّلاً: الإيمان

تمثل النفس الإنسانية إطاراً عاماً تحدد من خلالها معالم الشخصية الإنسانية، وهي التي تجعل من الإنسان شخصية متزنة متفاعلة مع نفسها وبيئتها الاجتماعية بمرونة وحركية ونجاح، وفي مقابل ذلك، قد تجعل النفس هذه الإنسان مضطرباً مرتبكاً يتحرك بوحي الانفعالات والمشاكل والعقد النفسية، فيعتزل الحياة، ويتهرب من المجتمع، أو انه يبادل الحياة والناس بنظرة عدائية متشائمة.

ورغم سعة النتاج الفكري في حقول علم النفس والتربية والاجتماع، الأ أنّ النفس تظل عالماً غامضاً مجهولاً يصعب فك اسرارها، والتعرف على كنهها، ويبقى الحل الحقيقي بيد الإنسان نفسه، فلقد وهبه الله سبحانه من العناصر الذاتية ما يمكنه أن يجعل من نفسه شخصاً سوياً متزناً، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [1]، وحدد الله سبحانه خطوات الطريق القويم ليسلكه في استقامة وهدى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [2].

(١) سورة الشمس، الآية: ٧-٨.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٥٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

وبين الله تعالى ابعاد حركة الإنسان وخطواته، وترك له حرية الحركة والاختيار، لتكون ارادته هي التي تحدد اتجاه مساره، أمّا إلى الهدى، وإما إلى الضلال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ أمّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ .(١)

ولا تكفي الارادة لوحدها لتحديد مسار الإنسان؛ لتخلق منه شخصية معتدلة، بل لابُد من خريطة طريق ترسم فيها المنهجية بشكل دقيق ليسير على ضوئها في تحديد علاقته مع الله، ومع نفسه، ومع بيئته ومجتمعه، وكل ذلك فصلّه الإسلام في تعاليمه، ووضعه أمام الإنسان ليربي نفسه وليجعل منها كياناً متوازناً يعيش الحياة والرسالة.(٢)

إنَّ المنهج التربوي الإسلامي يركّز على الخطوة الأولى والمرتكز الاساس وهي علاقة الإنسان وإيمانه بالله تعالى: لأنَّ الإيمان هو المقياس الذي يحدد بقية المديات في حركته مع نفسه، ومع توجهات وواجهات مجتمعه، فكلما ارتفع هذا المقياس الإيماني بالله، كلما اقترب الإنسان من الصورة المثالية والواقعية للشخصية المعتدلة ونشير اجمالاً إلى بعض الآيات والروايات التي تبين قيمة الإيمان ومنها:-

أوّلاً: قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمان فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .(٣)

ليست الشخصية الإسلامية المعتدلة شخصاً ينطق بالشهادتين وكفى، وليست شخصاً أحاط بأفكار الإسلام واحكامه، دون ان تتجسد هذه الافكار والمفاهيم والاحكام في شخصيته فتوجه سلوكه وتنظم علاقته بالله تعالى وبالناس، إذْ الإيمان مرحلة متأخرة تأتي بعد الإسلام، وتحتاج إلى جهد وجهاد وترويض للنفس وتربية ومراقبة ومحاسبة لكي تتحمل اعباء الرسالة وأحكامها ومفاهيمها، وما يحدث في واقع المسلمين منذ انطلاق الدعوة الإسلامية المحمدية والى يومنا

(١) سورة الدهر، الآية: ٣.

(٢) ينظر: التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الشامي: ص ٢٨.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

ISBN: 978-9922-21-412-2

هذا، أن اغلب العالم الإسلامي هو من المسلمين الذين لا يعرفون من الإسلام الاّ اسمه، ومن القرآن الاّ رسمه، لأنهم لم يرتقوا ليكونوا بمصاف المؤمنين.

ثانياً: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .[١] ، قال أبو جعفر الطبري: [يعني جعل ثناؤه بقوله: (وَلَوْ أَنَّهُمْ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا)]، ولو أن الذين يتعلمون من الملكين – من السحر – ما يفرقون به بين المرء وزوجه، (امنوا) فصدقوا الله ورسوله وما جاءهم به من عند ربهم، و(اتقوا) ربهم فخافوه وخافوا عقابه، لكان جزاء الله اياهم، وثوابه لهم على إيمانهم به وتقواهم إياه، خيراً لهم من السحر وما اكتسبوا به، (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ان ثواب الله إياهم على ذلك خير لهم من السحر وما اكتبوا به، وانما نفى بقوله (لو كانوا يعلمون) العلم عنهم: أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله، وقدر جزائه على طاعته.[٢]

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ .[٣]، قال ابن كثير: [فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ] أي: جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم، وقال ابن جُريج (آمنوا) بالله واعتصموا بالقرآن، رواه ابن جرير (فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ) أي: يرحمهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثواباً ومضاعفة ورفعاً في درجاتهم، من فضله عليهم وإحسانه اليهم. (وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) أي: طريقاً واضحاً قصداً قواماً لا اعوجاج ولا إنحراف. وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والاخرة، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الأُخرى صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات].[٤]

---

(١) سورة البقرة: الآية: ١٠٣.

(٢) تفسير الطبري، ابو جعفر الطبري: ٢/ ٤٥٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢/ ٤٨١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

ونستفيد من الآيات المباركات سالفة الذكر وغيرها، أن الإيمان هو الاساس والمنطلق لقبول الاعمال وبلوغ الثواب وانتهاج طريق الاستقامة والثبات عليه في جميع المواقف السلوكية والاعتقادية ليفضي إيمانهم هذا عبر طريقهم المستقيم إلى جنان الخلد ورضوان الله تعالى.

وهنالك احاديث أُخرى تتحدث عن الإيمان كمرتكزات للشخصية الإسلامية المعتدلة نكتفي بحديثين منها لمقتضيات البحث.

الأوَّل: علي بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن جميل قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوله عز وجل: [(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ)[1]))، قال: هو الإيمان، قال: (وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ)[2]، قال هو الإيمان، وعن قوله: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى)[3])) قال هو الإيمان][4].

ثانياً: قال الامام الصادق (عليه السلام) واصفاً المؤمن بقوله: (ينبغي للمؤمن ان يكون فيه ثمان خصال: وقوراً عند الهزائز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يظلم الاعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحةٍ، إنَّ العلم خليل المؤمن، والحلم وزيرهُ، والعقل أميرُ جنوده، والرفق اخوه، واللين والدُه)[5].

ومن هذه الروايات وغيرها يتضح ان الإيمان هو القاعدة الاساسية التي يقوم عليها البناء الشخصي، ولهذا حرص الإسلام على تربية الإنسان وتزكيته، ليصنع منه الإنسان الرسالي الذي تعيش الرسالة في روحه وأعماقه وتكون اكبر همه، ليمارس دوره في الحياة وفق خط تصاعدي متحدياً العقبات والصعاب مما يملكه من خزين إيماني وطاقة روحية تجعله صامداً ومتحدياً الاهواء والاغراءات الذاتية والخارجية، فالإيمان ليست كلمة تقال، انما هي حقيقة خفيفة في

(١) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٢) سورة المجادلة ، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني: ١٥/٢.

(٥) الآمالي، الصدوق: ٦٨٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

اللسان، وثقيلة في الميزان، ذات تكاليف لمن يتصف بها تعجز السماوات والارض والجبال عن حملها، ويشفقن منها، ويحملها المؤمن، ليكون متزناً ومتعادلاً يواجه الحياة بقوة وثبات، وتتحول المتاعب والمعاناة عنده إلى متعة في سبيل الله، فيعطي لها عن وعي وارادة القدرة على التحمل في مواجهة كافة الظروف والتحديات الصعبة، لهذا يبشر الله عباده المؤمنين بالغلبة والنصر والفتح بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ .[١]

ثانياً: العمل

المتابع لتاريخ النبوات والرسالات، والشريعة الإسلامية آخرها، نجد فيها أن القائد المصلح والمغيّر الاكبر محمد (ﷺ) قد أخضع نفسه لدورة تربوية إيمانية، إذْ كان منفرداً ومتأملاً ومتطلعاً ومتعبداً في غار حراء لما ينتظره في قابل الايام من تحمّل الرسالة ومصاعب التصدي والتحدي، لكي تسمو روحه، وتطهر نفسه، ليكون المصطفى من الخلق والمهيء والمستعد لقبول الرسالة وتبليغها، لينتقل دوره من الطاقة والخزين الإيماني، إلى الحركة والواقع الميداني.[٢]

لهذا نقول: لا ينحصر الإيمان في جو نفسي معزول عن الحياة، بل هو الدافع الاكبر للتحرك وسط الحياة، وللتفاعل الواعي والهادف مع أجزائها ومفرداتها، مع الناس والمواقف، وهذا ما نقرأه في الكثير من النصوص الإسلامية التي قرنت الإيمان بالعمل في علاقة عضوية متداخلة.[٣]

وقد أكد القرآن الكريم في العديد من آياته بقرن العمل بالإيمان من جهة وتقديم الإيمان على العمل من جهة أُخرى لأنه الاساس والباعث والمنطلق في عملية البناء والتبليغ الدعوي والارشادي من أجل تغيير المجتمع واصلاحه، ونذكر بعضاً من الآيات المباركة:

١. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ .[٤]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٢) ينظر: سيرة رسول الله وأهل بيته، هاشم الموسوي: ١/ ص ٥٢- ٥٣.

(٣) التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة: ص ٣١.

(٤) سورة البروج، الآية: ١١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢. قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ .(١)

٣. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا﴾ .(٢)

٤. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ .(٣)

يعني بالعلماء من صدق قوله فعله، من لم يصدق فعله قوله؛ فليس بعالم، ولهذا قال بعض المفسرين في تفسير آية: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) أي: (والمراد بالعلماء العلماء بالله وهم الذين يعرفون الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفة تامة تطمئن بها قلوبهم وتزيل وصمة الشك والقلق عن نفوسهم وتظهر آثارها في أعمالهم، فيصدق فعلهم قولهم، والمراد بالخشية حينئذٍ حق الخشية ويتبعها خشوع في باطنهم وخضوع في ظاهرهم، هذا ما يستدعيه السياق في معنى الآية)(٤).

أمّا السنة الشريفة ففيها العديد من الاحاديث والروايات التي تؤكد وتقرن الإيمان بالعمل نذكر بعضاً منها:-

١. حدثنا عبد السلام بن صالح الهروي، قال: كنت مع علي بن موسى الرضا عليهما السلام، وهو راكب على بغلة شهباء، ثم قال أبو الصلت الهروي لا أدري أكانت بغلة أو بغلاً، فدخل نيسابور وغدا في طلبه علماء البلد: أحمد بن حرب، وياسين بن النصر، ويحيى بن يحيى، وعدّة من أهل العراق، فتعلقوا بلجامة في المربعة، فقالوا: بحق آبائك الطاهرين حدثنا حديثاً سمعته من أبيك، فقال: حدثني أبي العبد الصالح موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي الصادق المصدوق جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي باقر علم الانبياء محمد بن علي، قال: حدثني أبي سيد العابدين علي بن الحسين، قال: حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي، قال: حدثني أبي سيد العرب علي بن أبي طالب، قال: سمعتُ النبي (ﷺ) يقول:

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٧.

(٢) سورة طه، الآية: ٧٥.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي: ١٧/ ٤٣.

ISBN: 978-9922-21-412-2

((الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان))[1] ورغم ان سند الحديث لا يشوبه شك في رجاله، وان الحديث قد نقل بكثرة عن مدرسة الجمهور كسنن ابن ماجة وغيره، وقد نقله بنصِّه، وذيله، قال ابو الصلت: (لو قرأ هذا السند على مجنون لبرأ)[2].

٢. قال رسول الله (ﷺ): (الإيمان والعمل قرينان لا يصلح كل واحد منهما الاّ مع صاحبه)[3].

٣. عن الامام الصادق (عليه السلام): في قوله عزَّ وجل: [(وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمان فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ[4])] قال: (كفرهم به، ترك العمل بالذي أقرّوا به)][5].

٤. عن الامام الصادق (عليه السلام): في معنى قوله: [(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ[6]) ، يعني بالعلماء من صدّق قوله وفعله، ومن لم يصدق قوله وفعله: فليس بعالم][7].

٥. وقال الامام الصادق (عليه السلام) أيضاً: (لا يقبل الله عملاً الاّ بمعرفة، ولا معرفة الاّ بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، إنما الإيمان بعضه من بعض)[8].

وهناك من الناس من يدرك رقي العقيدة الإسلامية وسموّ نظامها، ويستبعد إمكان إيجاد أمثال هذه الشخصية التي تقرن الإيمان بالعمل في واقع الحياة، ويتصور ان محاولة ايجادها ضرب من العبث والخيال، خصوصاً في مثل هذه الاوضاع الاجتماعية الفاسدة التي ضربت بكل مرافق الحياة، إنّ هؤلاء لم يتضح لديهم مفهوم الشخصية الإسلامية وحدودها؛ فليس المراد من الشخصية الإسلامية تلك التي وجدت كلها ضمن عنوان هذه الشخصية وتكون شخصية

---

(١) ترتيب الامالي الخميسية، الشجري، الجرجاني، ١/ ١٥، ح: ١٦.

(٢) سنن ابن ماجه، باب في الإيمان: ١/٢٥، ح: ٦٥.

(٣) شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة، اللاكائي، ص/٩٢٠، ح: ١٥٦٠.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥.

(٥) الكافي، الكليني: ٢/ ٣٨٤.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٧) الكافي، الكليني: ١/ ٣٦.

(٨) المحاسن، البرقي، كتاب مصابيح الظلم، باب المعرفة: ١ /١٩٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المعصوم (عليه السلام) في القمة من هذه الدرجات والمراتب؛ فإذا كان الاصل في إتجاه الشخص وسلوكه في الحياة منسجماً مع خط الإسلام، ولا يخرج عن حدوده الاّ في حالات نادرة فشخصيته نادرة، ولقد ضرب الله لنا مثلاً في شخصية رسوله الاكرم (صلى الله عليه وآله) بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ .[1]

فقد جسد الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) معالم الشخصية الإسلامية في ابهى صورها، وأرقى أشكالها، ثم تجَّسدت هذه الشخصية في أهل بيته المعصومين (عليهم السلام)، ثم في شخصيات كثيرة من الصحابة والتابعين وغيرهم من المسلمين في كرِّ الدهور [2]

ويرجع سبب نجاح الإسلام في تجسيد عقيدته ونظامه إلى بساطة عقيدته، وموافقتها للفطرة الإنسانية، لذلك فإنَّ بلوغ هذه المنزلة السامية ليس بالأمر المستحيل كما انه ليس بالأمر البسيط الميسر في كل حال، وإنما هو امر ممكن لكل إنسان إذَا توافرت لديه شروطهم من إخلاص النية لله تعالى والحرص على طاعة الله في السر والعلن. وعند تحليل النصوص القرآنية والروائية نستنتج الاتي:-

أوّلاً: تبين النصوص الشريفة مدى الترابط العضوي بين الإيمان والعمل، فهمها مقترنان معاً؛ وبذلك فإنَّ الإيمان لا يأخذ قيمته الايجابية، وصفته الصحيحة، وموقعه الحقيقي، فيما لو تجرد عن العمل؛ لأنه سيتحول إلى قيمة مهملة، وفي المقابل، فإنَّ العمل لا يكون له قيمة الاّ من خلال الإيمان، فهو أيضاً يصبح قيمة سلبية مهملة فيما لو فقد صاحبه الجانب الإيماني، لكنه يتحول إلى قيمة كبيرة إذَا ما سبقه الإيمان، وكان منطلقاً من قلب مؤمن بالله تعالى.

ثانياً: ان الإسلام يريد من الإنسان ان يحقق التوازن والتعادل في معادلة الإيمان مع العمل، لأنَّ في التعادل هذا سيرسم مساراً لتحديد العلاقة مع الله تعالى أوّلاً: فيكون مؤمناً به إيماناً صادقاً خالصاً، وفي الوقت نفسه عاملاً في سبيله بصدق واخلاص ثانياً، من اجل ان تكون شخصية إسلامية صالحة تنفع الإسلام والمسلمين، وترتفع في هذه الاجواء الإيمانية نحو درجات التكامل

(١) سورة الاحزاب ، الآية: ٢١.

(٢) ينظر: ثقافة الدعوة الإسلامية ٢/ ١٧١- ١٧٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

والرقي؛ لهذا يحرص الإسلام على توازن وتعادل الشخصية في جانبها الإيماني من جهة والعمل من جهة أُخرى؛ لأنَّ الاخلال بأحد ركني هذه المعادلة سوف يضعف الشخصية الإسلامية، ومن ثم تفقد روحيتها الإسلامية، وتبتعد عن منهج الإسلام.

ثالثاً: نلاحظ آثار ونتائج اختلال التوازن والتعادل في الشخصية الإسلامية في الميدان العملي، فلو ان مسلماً تحرك ميدانياً ودخل ساحة العمل وما يكتنفها من صراع وتحدٍ بدون رصيد إيماني وقاعدة عقيدة صلبة، فلا يكون حينئذ عاملاً للإسلام، لأنَّ اعماله ستكون صادرة عن رغبات وميول وأهواء ذاتية، يريد من ورائها تلبية حاجة النفس ورغباتها، وان كان تمظهرها وتموقعها إسلامياً، وسوف يصطدم بالمصلحة الإسلامية؛ لأنَّ هذه المصلحة لا تحقق رغباته الذاتية، مما يجعله يتجاوز مصلحة الإسلام ويسيء ال العمل الإسلامي ارضاء لرغباته واهوائه، وبذلك يتحول إلى مصدر فساد وازعاج داخل الوسط الإسلامي أو المجتمع بشكل عام، بدل ان يكون انموذجاً للعمل الصالح والمصلح والمؤثر في محيطه ومجتمعه.[1]

رابعاً: كلما كانت العلقة متجذرة بين الإيمان والعمل عند العاملين، كما وجد جيل من المصلحين تقع على عاتقهم تحقيق رغبة الله تعالى في أرضه باستخلاف هؤلاء المصلحين العاملين من أجل اعمار الارض واصلاحها، وتمكين الله لهم في ذلك، لتحقيق سعادة الدارين، لينالوا ثواب وجزاء اعمالهم في الدنيا والاخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ[2]﴾، وقد فسَّرها البعض بقوله: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ) أي: لا يهلكهم بشركهم (وأهلها مصلحون) فيما بينهم يتعاطون الانصاف ولا يظلم بعضهم بعضاً، وانما يهلكهم إذَا تظالموا، وقيل: لا يهلكهم بظالم منه وهم مصلحون في اعمالهم، ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات.[3]

خامساً: قد يسيء الإنسان الفهم ليفصل بين الإيمان والعمل، ليركز على الجانب الإيماني فقط لبناء الذات وتهذيبها وابعادها عن الملذات وعن معترك الحياة؛ ليعيش العزلة والانقطاع متوهماً

(١) ينظر: التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الشامي: ص ٣٣- ٣٤.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٧.

(٣) تفسير البغوي، مسعود البغوي: ٤/ ٢٠٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

في ذلك أنه رجل صالح وسالك لطريق الصلاح؛ لكنه في الحقيقة يسير في طريق آخر؛ لأنَّ الله تعالى لا يريد من عبده ان يعيش العزلة، وان ينقطع عن الحياة وملذاتها، وعن الناس ومشاكلهم ومتطلباتهم، بل يريد من الإنسان ان يحمل هموم الرسالة الكبيرة، وهي رسالة الانبياء والمرسلين، ويريد منه ان يكون خليفته في أرضه، وعليه مسؤولية النهوض بأعباء الرسالة والخلافة لإعمار الارض وتحقيق العدل في الرعية، وهي مهمة تحتاج إلى تقوى إيمانية متجذرة في النفس؛ لتكون درعاً حصينة أمام الأهواء والمغريات عندما تتصادم مع فتن الدنيا ومغرياتها وما اكثرها.

ان الإسلام يرفض ان يكون الإيمان مجرداً عن العمل، كما انه يرفض العمل الذي لا يتقعد على الإيمان، إذْ العمل والإيمان قطلبان مندمجان، لا يمكن لاحدهما التخلي عن الآخر؛ لأنَّ الإسلام يريد تفاعلهما معاً، لتلازم العلاقة العضوية بينهما، ويريد من الإنسان أن يكون مؤمناً عاملاً في الوقت نفسه؛ لكي يكون داعية مصلحاً من أجل خدمة الخط الرسالي ومصالحه، وخدمة المسلمين ومصالحهم، من هنا تأتي اهمية المعادلة في الاعتدال السلوكي التي تقرن الإيمان بالعمل.

المطلب الثالث: معادلة التوازن بين العلم والعمل

ان هذه المعادلة متفرعة عن سابقتها التي ربطت التوازن والاعتدال بين الإيمان كأساس والعمل كبناء، وهذه المعادلة تنطلق كذلك من العلم كمنطلق، والعمل كتطبيق، ولا يمكن انفصال أحدهما عن الآخر في الشخصية الإسلامية المعتدلة. ويمكن صياغة هذه المعادلة بالشكل الاتي:-

الاعتدال العلمي	=	العلم	+	العمل

من المقومات الاساسية في بناء شخصية الإنسان المعتدلة هي المستوى والرصيد الثقافي الذي يمتلكه، ومع تطور الحياة وتنوع اغراضها، ومتطلباتها، ومعضلاتها، وتحدياتها، أصبحت الثقافة عنصراً اساسياً في حياة الإنسان؛ ولا يستطيع مواكبة حركة المجتمع بدونها، ونشير إلى اهمية الثقافة بالنقاط الاتية:-

ISBN: 978-9922-21-412-2

أوَّلاً: ينبغي الاشارة إلى ان الثقافة لا تطلب لوحدها، بل هي من العلوم الالية التي تطلب لاجل غيرها، فهي المتاع الذي يمد الإنسان الرسالي المعتدل بالطاقة والسعي في حياته العملية والاجتماعية كعامل في سبيل الله.

وتزداد المهمة الثقافية للإنسان بإزدياد التحديات التي تواجه الشخصية الإسلامية المعتدلة والتي تهدف في مسارها إلى تغيير الناس على أساس الإسلام، وتزداد المهمة الثقافية إطراداً عندما تتسع آفاقها لتشمل كافة شرائح المجتمع، وعندها يزداد الاحتكاك والتصادم مع كل الظروف والمؤثرات الاجتماعية والفكرية والسياسية، مما يحتم على العاملين ان يمتلكوا ثقافة موسوعية ومتنوعة بسعة العمل المدياني، من اجل انجاح اساليبهم الدعوية والتغيرية.[١]

ثانياً: لا يكفي للشخصية الإسلامية ان تتمتع بثقافة عامة أو موسوعية أو متخصصة، ما لم يكن لها حس اجتماعي لنجاح مهمتها الرسالية، لأنَّ هذا الرصيد الثقافي قد يسبب له ارباكاً واضطراباً في تحركه ما لم يمتزج بالحس الاجتماعي، كما أن الذي يتمتع بحس اجتماعي مرهف ويفتقر إلى الثقافة العامة، مبرراً ان العمل الاجتماعي اجرائي وتنسيقي وعلاقاتي ولا يحتاج إلى ثقافة واسعة؛ لأنَّ عامة الناس ليسوا بهذا المستوى الثقافي. مثل هذا لا يمثل شخصية إسلامية معتدلة كذلك ويجعلها شخصية غير متوازنة في المجال الثقافي، كما ان التخصص الفكري في جانب من جوانب المعرفة والثقافة رغم اهميته؛ الاّ أن الاندكاك فيه دون التعرف على مجالات الثقافة سيكون ترفاً فكرياً، لا يخدم رسالة هذه الشخصية من جهة أُخرى، مضافاً إلى عدم تأثيرها العملي في الجانب الاجتماعي.

قال رسول الله (ﷺ): (نضَّر الله امرأً سمع منا حديثاً حفظه حتى يبلغه فربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربَّ حامل فقه ليس بفقيه).[٢]

ثالثاً: لابد من وجود الترابط والعلاقة العضوية بين الإيمان والعمل من جهة وكذلك الإيمان والعلم من جهة أُخرى، فبدون الإيمان وتشربه في الشخصية الإسلامية سوف تتسرب إلى نفس الإنسان

(١) ينظر: التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الشامي: ص ٤٠.

(٢) مسند أبي داود الطبالسي: احاديث زيد بن ثابت ، ٦١٨/٥/١

ISBN: 978-9922-21-412-2

الأهواء وحب الذات والنزعات الشريرة، فتجعله يحيد عن الهدف من وراء التحصيل الثقافي، إذْ يصبح العلم وسيلة دنيوية لخدمة الذات وتضخمها. وهذه من المخاطر الكبيرة التي يواجها الإنسان في حياته الثقافية، وقد حرص الإسلام على تنقية النفس من كل شوائب وامراض الذات، واكدت التعاليم الإسلامية على ضرورة الانطلاق من قاعدة إيمانية حقيقية وصلبة، لتأتي الثقافة منطلقاً من تلك القاعدة من اجل خدمة الإسلام ومصالحه ومقاصده وترسيخ هذه الثقافة في المجتمع الإسلامي، لتكون وسيلة من الوسائل التي تحتاجها الدعوة والتبليغ إلى الله تعالى، ولهذا جاءت الروايات الكثيرة لتؤكد على هذا المعنى ومنها:-

١. قال رسول الله (ﷺ): (من تعلم العلم ليباهي به العلماء، ويجاري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس اليه، أدخله الله جهنم).[١]
٢. قال رسول الله (ﷺ): (من تعلم العلم يحيى به الإسلام يكن بينه وبين الانبياء الاّ درجة).[٢]
٣. قال رسول الله (ﷺ) يا ابن مسعود: (من تعلم العلم ولم تعمل بما فيه حشره الله يوم القيامة أعمى، ومن تعلم العلم رئاءً وسمعة يريد به الدنيا نزع الله بركته وضيق عليه معيشته ووكله الله إلى نفسه، ومن وكله الله إلى نفسه فقد هلك، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾).[٣][٤]
٤. قال الامام علي (عليه السلام): (وإياكم أن تطلبوه لخصال أربع: لتباهوا به العلماء، أو تماروا به السفهاء، أو تراؤوا به في المجالس، أو تصرفوا به وجود الناس إليكم للترؤس...).[٥]

وتؤكد الاحاديث والروايات التي استعرضنا أمثلة منها على مسألة مهمة وحساسة وهي: ان الثقافة موضع ابتلاء كبير للإنسان، وان لم تقعَّد على اساس إيماني راسخ؛ فلا يمكن البناء الصحيح

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان، باب الانتفاع بالعلم والعمل به: ١/ ٩٦؛ ح: ٢٦٠ (حديث حسن).

(٢) جامع بيان العلم وفضله، يوسف القرطبي: ١/ ٢٠٧، ح: ٢٢٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٤) مكارم الاخلاق، الطبرسي: ص ٤٥١.

(٥) الارشاد، المفيد: ١/ ٢٣٠.

ISBN: 978-9922-21-412-2

عليها، لولوج الاهواء الذاتية التي تتسرب عبر الثقافة ودهاليزها لخدمة الشخص وذاته بعيداً عن المبادئ والاصالة الإسلامية ومقاصدها.

رابعاً: لابدُ من اعتماد العلم والثقافة التي تمس الواقع الاجتماعي وترصد مشاكل الناس، وتضع الحلول الناجعة لها ومعالجتها، فهنالك ثقافة ترفيه خارجة عن دائرة الحياة الاجتماعية العملية، لا تضر من جهلها، ولا تنفع من علمها مثل هذه الثقافة لا تخدم الشخصية الإسلامية المتزنة والمعتدلة.

- ويروى عن النبي (ﷺ) دخل المسجد فرأى جمعاً من الناس على رجل فقال: (ما هذا؟)، قالوا: يا رسول الله رجل علامة، قال: (وما العلامة؟) قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب واعلم الناس بعربية، واعلم الناس بشعر، وأعلم الناس بما اختلف فيه العرب، فقال رسول الله (ﷺ): (ذلك علم لا ينفع وجهل لا يضر).[١]
- وعن ابي موسى (عليه السلام) قال: [دخل رسول الله (ﷺ) المسجد فإذا جماعة قد طافوا برجال فقال: (ما هذا؟) فيل علامّة: فقال: (وما العلامة؟)، فقالوا : أعلم الناس بانساب العرب ووقائعها وايام الجاهلية والاشعار العربية، فقال (ﷺ): (ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه)، ثم قال النبي (ﷺ): (إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهن فهو فضل)].[٢]
- عن الامام علي (عليه السلام) قوله: (.... واعلم انه لا خير في علم لا ينفع، ولا ينتفع بعلم لا يحقُّ تعلمه)[٣]، ومن هنا أكد الشارع المقدس على حرمة أمثال السحر والشعوذة والكهنة وامثالها، والتي تبدو عند بعض الناس أنها ذات قيمة، ولكنها لا تستند إلى واقع موضوعي، ولا أسس علمية تنفع الإنسان في بناء الحياة والحضارة.[٤]

---

(١) جامع بيان العلم، وفضله، يوسف بن عبد الله القرطبي، باب معرفة باب اصول العلم وحقيقته: ١/ ٧٥٢، ج: ١٣٨٥.

(٢) اكافي، الكليني، كتاب فضل العلم، باب العلم وفضله وفضل العلماء: ١/ ٣٢، ج: ١.

(٣) نهج البلاغة، خطب امير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق وشرح محمد عبده: ٣/ ٤٠؛ تحف العقول، ابن شعبه الحراني، كتابه (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام)، ص ٧٠.

(٤) ينظر: التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الشامي، ص ٤٥- ٤٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

خامساً: لابدُ من توافر الشخصية الإسلامية المعتدلة على اعتماد منهجية ثقافية مهذبة ومحققة، ليحدد على ضوئها حاجاته للتحصيل العلمي، ليضطلع على القيام بمهام مسؤولياته سواء ما يتصل بدوره التغييري أو بمهمته الاصلاحية في الاجتماع والسياسة، فمن العبث ان يتجه في المجالات الثقافية لأجل تحقيق رغباته النفسية، وميوله ومتبنياته الشخصية، والتي لا علاقة لها بحركته وواقعه، ولهذا عبّر الامام علي (عليه السلام) عن هذا الشخص بأنه غير حكيم ومهوس بقوله: (التفكر في غير الحكمة هوس)، وفي نسخة أُخرى: (الفكر في غير الحكمة هوس)[1]، فلا فائدة في تحصيل الثقافة من دون تهذيب للاتجاه الثقافي للإنسان باتباع الحكمة في حسن توظيف ما تتعلمه الشخصية الإسلامية المعتدلة لعكسها على الواقع العملي، لدراسة مشاكله وايجاد الحلول الناجعة لمعالجتها.

سادساً: لابدُ من توافر التخصص الثقافي المعتدل في الشخصية المعتدلة، وهذه مسألة في غاية الاهمية، إذْ إنَّ التخصص مسألة اتفاقية ولا يختلف فيها اثنان؛ وذلك لأنَّ الاحاطة بكل ابواب المعرفة عملية صعبة وغير ممكنة وقد تكون مستحيلة، وفي الوقت نفسه لابد من التخصص في صنف من صنوف المعرفة شريطة ان لا تبتعد هذه الشخصية عن الافاق الثقافية والمعرفية والإنسانية الأُخرى، ولابدُ من توافر ثقافة عامة لهذه الشخصية الإسلامية بمستوى معقول، تضاف إلى ثقافته التخصصية.

وقد ينساق البعض إلى تحديد إتجاه ولون واحد من حقول المعرفة بحجة التمحص في الاختصاص؛ ليكون جديراً في ميدانه، بزعم أن الاحاطة بالمعارف الإنسانية عملية صعبة أو مستحيلة، لهذا يُفضي هذا الإنسان عمره في إتجاه واحد متوسعاً فيه إلى درجة الترف أو الغلو، فيستغرق في مجاله الثقافي وتخصصه بالدخول في جزئيات وتفصيلات تستهلك عمره الثمين، وتبعده عن واقع الحياة، فلا يستطيع تثقيف نفسه في المجالات الفكرية والثقافية الأُخرى، وقد تصاب مثل هذه الشخصية بعدم إتزانها بالجنوح بتخصصها إلى درجة المقايسة والحكم على الآخرين من خلال تخصصه ليصفهم بعدم العلم والدراية والجهل، مما يجعل هذه الشخصية

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٤٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

المتخصصة منتفخة الذات، متعالية على الغير، متأطرة بجدار سميك بعزلها عن بقية أفراد المجتمع ومتبنياتهم الثقافية والفكرية، فإذن التخصص مطلوب ومهم، شريطة ان لا يحبس المتخصص نفسه في اطار تخصصه، بل عليه ان يظل على صنوف والوان المعرفة الأُخرى، بمقدار ما يخدم تخصصه على اقل تقدير، ليكون موسوعي الثقافة، متخصص في أحد فروعها، كالذي (يأكل وجبة رئيسية ولا يتناسى أو ينكر بقية المقبلات)؛ لهذا ينقل الإمام علي (عليه السلام) قولاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، انه قال: (استرشدوا العقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا. قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له، سيد الاعمال في الدارين العقلُ، لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته لربه، اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محدثاً، ولا تكن الخامس فتهلك، نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فأداه كما سمع، فربَّ مبلغ أوعى من سامع. العلم اكثر من ان يحصى، فخذ من كل شيء أحسنه.....)[1].

ومن الطرائف التي يتحدث بها عن كثرة العلم وتوازنه واعتداله، ما تحدث به المازني عن محمد بن داود، عن أحمد، قال: إجتمع الخليل بن احمد وابن المقفع بالمربد فتفاوضا، ثم تفرقا، فسئل ابن المقفع عن الخليل، فقال: هو نهاية في العلم، لا تلد النساء مثله ابداً في زمننا هذا، وفيه شيء أفضل من علمه، عقله اكثر من علمه، وسُئل الخليل عن ابن المقفع، فقال: لا تلد النساء إلى الف سنة مثله: غير أن فيه عيباً، قيل له: ما هو؟ قال: علمه اكثر من عقله، واذا كان العلم اكثر من العقل؛ فهو مضرٌ بصاحبه[2].

لهذا يجب ان يكون التخصص في ميدانه مقياساً للحاجة، إذْ نلاحظ ان المتخصص حتى لو كان مثقفاً بالثقافة العامة، عليه ان يتخصص في ميدان من ميادين المعرفة بما يخدم حاجة العمل الإسلامي أو الاجتماعي أو السياسي؛ لأنَّ الاساس في تحصيل الثقافة هو لتوظيفها في معالجة الحاجة اليها، والدور المطلوب منها، سواء أكان ذلك على صعيد الفرد أو المجتمع

(١) كنز الفوائد، الكراجكي: ص ١٩٤.

(٢) المجالسة وجواهر العلم، الدينوري المالكي: ٥/ ٣٠٣، ح: ٢١٦٨.

ISBN: 978-9922-21-412-2

فالتخصص ليس هواية لتلبية حاجات النفس وهواها ورغبتها، بل يجب ان تأتي مع مقتضيات ومتطلبات ومصالح الإسلام ومقاصده ليرفع من شأن الامة وسموها، ورقي الفرد وتكامله.

ان ثنائية العلاقة بين العلم والعمل تظافرت بل تواترت الاحاديث والمرويات فيها؛ لأنها تشكل معادلة مهمة في الشخصية الإسلامية المعتدلة، ونختم هذا المطلب ببعض من هذه المرويات كأمثلة ومنها:-

١. ما روي عن الأئمة (عليهم السلام) في الحث على النظر في دين الله، والمعرفة لأولياء الله، قول الصادق (عليه السلام): (أحسنوا النظر فيما لا يسعكم جهله، وانصحوا لانفسكم وجاهدوها في طلب معرفة فلا عذر لكم في جهله، فإنَّ لدين الله أركاناً لا ينفع من جهلها شدّة اجتهاده في طلب ظاهر عبادته، ولا يضرُّ من عرفها فدان بها حسنُ اقتصاده، ولا سبيل إلى ذلك الاّ بعون من الله عزَّ وجل)[١].

٢. قال الامام الكاظم (عليه السلام): (أولى العلم بك ما لا يصلح العمل الا به، وأوجب العمل عليك ما انت مسؤول عن العمل به؛ وألزم العلم لك ما دلّك على صلاح قلبك واظهر لك فساده، واحمدُ العلم عاقبة ما زاد في عملك العاجل، فلا تشتغلن بعلم لا يضُرُّك جهله، ولا تغفلن عن علم ما يزيد في جهلك تركه)[٢].

ونستطيع دمج الإيمان بالعلم والعمل لصياغة المعادلة الاتية:-

الاعتدال في الشخصية العملية السلوكي	=	الإيمان	+	العلم	+	العمل

المبحث الثالث: واقعية الاعتدال في الشخصية الإسلامية

الدين الإسلامي دين سماوي رباني خاتم اختزن كل احكامه وتعاليمه وسننه وغيرها من خلاصة الاديان السابقة وشرائعها والتي انسجمت مع ظروفها وطبيعة الاشياء التي حكمتها وتحكَّمت بها، وزاد الله تعالى أموراً أُخرى من أحكام وتعاليم وغيرها، بما ينسجم وطبيعة الإسلام ومقتضياتها وتطلعاته ومقاصده؛ ليكون له اقتضاء للبقاء والاستمرار، وله القابلية والمرونة من الجمع بين الثابت والمتغير، وتوظيف أحدهما لخدمة الآخر، وفق متطلبات الحياة وتطور الزمن، وبهذا

(١) الارشاد، الشيخ المفيد: ٢/ ٢٠٥؛ كنز الفوائد، الكراجكي: ص ١٩٥.

(٢) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني: ص ١٢٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

تمتاز الشريعة الإسلامية على غيرها من الشرائع التي سبقتها بكونها دين واقعي وشريعة واقعية. ونركز في هذا المبحث على معادلات الواقعية ضمن مطالب إشارية دون الغوص في مضامينها لمقتضيات ومتطلبات البحث ومنها:-

المطلب الأوَّل: معادلة الواقعية بين الروح والجسد

خلق الله تعالى الإنسان في احسن تقويم وخلقة وهيأة، ومن كمال لطفه وتقديره خلقه للإنسان بصورة مركبة من الروح والجسد، واودع في كل منهما مقتضياته ومتطلباته، وراعى في تعاليم دينه حاجات الروح ومتطلبات الجسد وجمع بين مقتضياتهما، ووازن في متطلباتهما، وسد حاجتهما معاً، وأعطى لكل منهما حقه، من غير افراط ولا تفريط، بمعادلة واقعية لتحقيق التوازن والاعتدال بينهما. ونذكر مثالين لهذه المعادلة:-

أوَّلاً: القرآن الكريم

قال تعالى واصفاً امير المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أو مَا مَلَكَتْ إيمانهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ .[1] ، إِذْ نلاحظ ان غريزة الجنس حددها الله تعالى ولم يتركها سائبة تتحرك في فضاء الفساد كيفما تشاء، واين ما تشاء، ومتى ما تشاء، بل حدد ضوابطها ضمن دائرة الزوجية أو ما يملكه الإنسان من ملك اليمين ليزاول الإنسان من خلالهما رغبته الجنسية المقننة، وبهذا التقنين وازن الإسلام بين هذه الرغبة الجنسية وان لا تكون جامحة ومطلقة، وفي الوقت نفسه لم يعدمها من الإنسان مطلقاً، ليعيش العزلة والكهنوتية والرهبانية؛ لأنَّ الرغبة الجنسية حاجة ولابدُ من إشباعها وسدِّها، ولكن عبر طرائق صحيحة وشرعية اقرها الإسلام.

ثانياً: السنّة الشريفة

وقد وردت احاديث كثيرة تؤكد على معادلة التوازن بين الروح والجسد ومنها: عن عبد الله بن عمر قال: بلغ النبي (ﷺ) أنِّي اسرد الصوم، وأصلي الليل، فإما أرسل اليَّ، وإما لقيته، فقال:

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥- ٦.

ISBN: 978-9922-21-412-2

(ألمْ أَخْبَرك أنَّك تصوم ولا تفطر، وتصلي ولا تنام، فصم وافطر، وقم ونمْ، فإنَّ لعينك عليك خطاً، وإنَّ لنفسك وأهلك عليك خطاً)[١].

معادلة الواقعية بين الروح والجسد	=	تلبية متطلبات الروح	+	تلبية متطلبات الجسد

المطلب الثاني: معادلة الواقعية بين الدُنيا والآخرة

وهب الله الإنسان المال، والمتاع، والجاه، والقوة، وغيرها في الدنيا لتكون وسيلة ومعبراً للآخرة، فالمال وأمثاله ليس هدفاً بحد ذاته ليسعى الإنسان اليه، فقد امتدحه الله تعالى في آياته ووصفه بأنه قيام وقيمة، وأنه مدد، وأنه زينة وتمتع، وانه سبب للتفاضل، وسبب للاستخلاف وغيرها.

وذمة تعال كذلك في آياته لأنه؛ سبب للفتنة، وسبب لسخرية البعض على البعض الآخر، وسبب للبغي والكفر، كما أن الروايات عن المعصومين عليهم السلام مدحت المال مرة وذمته أُخرى، من هنا تأتي اهمية معادلة الواقعية بين الدنيا كمستودع والاخرة كمستقر، فالمال ممدوح عندما يكون مقدمة موصلة لمرضاة الله وآخرته، وعلينا إيجاد التوازن والواقعية بين الدنيا والاخرة من غير افراط لأحدهما أو تفريط، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ .[٢] ، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ .[٣]

جاء الإسلام وسطياً ومعتدلاً ومتوازناً وواقعياً بين الرهبانية والمادية، فهو يذم الرهبانية التي طغت على الفطرة والطبيعة البشرية، واعتبرتها سبباً للنقمة والشقاء والبعد عن الله تعالى، كما هو الحال عند بعض أهل الملل والطرق الذين اثروا الفقر والتقشف، وهجروا المال والنساء ومتاع الدنيا، وحرَّموا على انفسهم زينة الحياة الدنيا، وأذاقوا انفسهم ألوان العذاب الجسدي والنفسي بهدف السموّ الروحي، والتطهير المعنوي حسب زعمهم، فجاء الإسلام بقرآنه منكراً عليهم قائلاً: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب حق الاهل في الصوم، ص ٢٩٥، ح: ١٩٧٧.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

ISBN: 978-9922-21-412-2

خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ .[1] ، وقال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ .[2]، ونلاحظ ان الإسلام انكر وذم الرهبانية والانقطاع عن الدنيا من جانب، وفي الوقت نفسه ذم المادية التي نزلت بالإنسان إلى مستوى الحيوانية، إذْ اعتبرت جمع المال واكتنازه واحتكاره وغير ذلك هدفاً للحياة، كما هو الحال عند بعض الناس والشعوب والامم الذين عبدوا المال وعظَّموا المادة، وزعموا ان الحياة لعب ولهو وتفاخر بالأموال والأولاد، ولا تتحقق السعادة بنظرهم الا بجمع الدراهم والدنانير، فانكر الله عليهم ذلك في العديد من آياته، ومنها: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ .[3]

هذه هي الرؤية القرآنية الإسلامية المعاصرة التي ينبغي للشخصية الإسلامية اتخاذها، كما ان الرؤية الحديثية الإسلامية المعاصرة فيها من الاحاديث ما يذم المال وجمعه ويذم الدنيا تبعاً، واحاديث بعكسها تماماً، وثالثة توازن بين حب المال ومتاع الدنيا، قال الامام زين العابدين (عليه السلام): (أمّا حق مالِك فإنَّ لا تأخذه الاّ من حلّه، ولا تنفقه الاّ في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك، فاعمل فيه بطاعة ربك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع التبِعة).[4]

وخلاصة المعادلة في الدنيا والآخرة هي: ان تكون الدنيا ومتعها مزرعة للآخرة.

معادلة الاعتدال في الدنيا والآخرة	=	الدنيا مستودع	+	الآخرة مستقر

المطلب الثالث: معادلة الواقعية في التعامل مع الغير

(١) سورة الاعراف، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٣٧ -٣٩.

(٤) آمالي الصدوق: ٤٥٥/ح: ٦١٠؛ ميزان الحكمة، ٢٥٥/٨/ ح: ١٩٤٤٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

قنن الإسلام طريقة مثلى للتعامل مع من لا يدينون بدينه، ويعيشون في كنف الدولة الإسلامية بجوار اتباع الدين الحنيف، وان هذا التقنين مبني على مبدأين أساسيين يكوِّنان الأساس والمرتكز في تعامله الاعتدالي من اجل التعايش معهم وهما:

الأوّل: المبدأ الاخلاقي بجميع أشكاله وانماطه وتطلعاته العادلة، ومقوماته ومعانيه، وبما يشتمل على الصلابة في الدين من جانب، وترك المداهنة من جانب آخر.

الثاني: مبدأ المواجهة والعقاب العادل عند اعتداء الغير على حرمات الإسلام، ومجانبة الجور والعدوان.

وقد رسم القرآن الكريم والسنّة المطهرة اسس التعامل مع الآخرين ممن ينكرون الإسلام ويعيشون بكنفه مع باقي المسلمين، ونجد أن كلا المبدأين مجسدان في طريقة التعامل هذه، فقد صرح القرآن الكريم ببيان المبدأ الأوّل بآيات موضحاً ومادحاً لأخلاق نبي الإسلام العظيم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ[1]﴾، وفي الوقت نفسه يتحدى القرآن الكريم المشركين وينهى النبي (ﷺ) عن مهادنتهم أو ملاينتهم أو موافقتهم على مقترحاتهم الماكرة بقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ* وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ*هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ.[2]﴾

وقضية التعامل مع الغير تحتاج إلى مبحث واسع لبيان حدوده ومضامينه عبر استقراء آيات القرآن الكريم واحاديث المعصومين، إذْ حثَّ القرآن الكريم على حسن التعامل مع الوالدين وعلى برهما وان كان كافرين، كما يؤكد على حسن التعامل مع غير المسلمين حال كونهم مسالمين، وعلى استجارة المشركين حتى يبلغوا مأمنهم ويسمعوا كلام الله وغيرها، وتؤكد السنّة كذلك على حرمة الاعتداء على المعاهدين الذين يعيشون في كنف المسلمين، فعن رسول الله (ﷺ) قال: (الاّ من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلّفه فوق طاقته، أو اخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢)سورة القلم، الآية: ٩-١٢.

ISBN: 978-9922-21-412-2

حجيجه يوم القيامة) وأشار رسول الله (ﷺ) بإصبعه إلى صدره: (الاّ ومن قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله، حرَّم الله عليه ريح الجنة، وإنَّ ريحها ليوجد من سبعين عاماً).[1]

٦. والنبي الاكرم (ﷺ) انما يؤكد في مثل هذه الاحاديث الشريفة على حسن التعامل مع الكافرين والمشركين لكي يوضح لنا، ولمن يقرأ إسلامنا ان لغته هي التسامح والصفح والسلم والسلام، ويؤكد (ﷺ) على قوة المنطق لا منطق القوة، لكي تصاغ الشخصية الإسلامية المعتدلة والمتزنة بين المرونة والشدة فهي شخصية رحومة عطوفة على المسلمين، غليظة شديدة على الكافرين الذين يريدون طمس الإسلام وهويته، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...[2]﴾

ومع ان النبي شديد على الكفار ولكنه لم يقاتلهم الاّ عند مقاتلتهم إياه، والاّ عند نبذهم العهود والمواثيق معه (ﷺ)، ومع هذا وفي هذه الصورة نلاحظ اعتداله (ﷺ) وتوازنه معهم ولا يريد الاسراف في قتلهم والتنكيل بهم وارعابهم لانه يمثل رسالة السماء التي ينبغي لها ان تسود.

ويؤسفنا جداً ونحن نعيش واقعنا المتردي بكل جوانبه، أن أصبح المسلم شديداً وغليظاً على اخيه المسلم وعلى ابناء قومه وجلدته، ورحيماً وودوداً على الكافر وهذا هو الانقلاب في الشخصية الإسلامية التي ينبغي لها ان تراجع مواقفها كافة، لأنها إن لم تراجع فسوف تتراجع، كيف لا وقد أكدت روايات أهل البيت (عليهم السلام) على تجسير علاقة المسلمين ببعضهم، رغم اختلافهم ببعض مسائلهم العبادية وغيرها، فقد ورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) بحديث صحيح أنه قال لشيعته: (أوصيكم بتقوى الله في دينكم، والاجتهاد في الله، وصدق الحديث، وأداء الامانة إلى من إئتمنكم من بَرٍّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد (ﷺ)، صلّوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وادّوا حقوقهم، فإنَّ الرجل منكم إذَا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدى الامانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل، هذا شيعي فيسرني ذلك، اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا الينا كل مودة، وادفعوا عنّا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حُسن

(١) الاموال لابن زنجوية، كتاب افتتاح الارضين صلحا وسننها واحكمها، باب: ما يحل للمسلمين من أهل الذمة وما صولحوا عليه: ١/ ٣٧٩/ ٦٢١.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

ISBN: 978-9922-21-412-2

فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك، لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا الاّ كذاب، فإنَّ الصلاة على رسول الله عشر حسنات، احفظوا ما وصيتكم به واستودكم الله، واقرأ عليكم السلام)[1]، ونستطيع صياغة معادلة الاعتدال للتعامل مع الآخرين بالصياغة الاتية:-

معادلة التعامل مع الآخرين	=	تعضيد المؤيّد	+	كسب المحايد	+	تحييد المعادي

وهناك معادلات أُخرى امثال الشخصية الإسلامية بين الثابت والمتغير، بين النقل والعقل، وبين الدين والدولة، وبين المقاصد والوسائل، بين الفرد والجماعة، وغيرها، تركناها لمقتضيات ومتطلبات البحث.

النتائج

توصلت في نهاية المطاف عن بعض معادلات الشخصية الإسلامية المعتدلة إلى النتائج والتوصيات الاتية:-

أوَّلاً: قعِّدت معادلات الاعتدال في الشخصية الإسلامية على مبدأ (لا إفراط ولا تفريط)، أو (لا غلو ولا تقصير)، وكان مرجعنا في ذلك القرآن الكريم أوَّلاً، والسنّة المطهرة ثانياً كمرجعين للإستنباط، إذْ عُني القرآن والسنّة تصريحاً وتلميحاً بصياغة نظرية تهدف إلى تربية المسلمين على الاعتدال في العاطفة من جانب والفكر من جانب آخر لإنتاج السلوك الإسلامي المعتدل بكل أبعاده.

ثانياً: تعدُّ معادلات الاعتدال في الشخصية الإسلامية جزء من كل المنظومة الإسلامية باصولها وفروعها وتشريعاتها وعقائدها ومفاهيمها، وقد صيغت مقومات الشخصية

(١) تحف العقول، ابن شعبه الحراني، ص ٤٨٧.

ISBN: 978-9922-21-412-2

بمعادلات لسهولة حفظها وتداولها ومدارستها وزيادة بحثها من الباحثين؛ ولكي تكون شبيهة بالمواد القانونية التي يتداولها ذو الشأن والإختصاص.

ثالثاً: عرضت الدراسة صوراً قرآنية متعددة الابعاد عن معادلات الاعتدال والوسطية سواء أكانت متعلقة بشؤون الناس العبادية أم المعاملاتية، أو ما يتعلق بأمورهم الشخصية والعلاقاتية وغيرها.

رابعاً: أوضحت الدراسة وجود معادلات ترابط بين عناصرها، أمثال الترابط بين الإيمان والعمل من جهة، وبين الإيمان والعلم من جهة أُخرى لتحديد الاعتدال السلوكي الذي يجمع بين الإيمان والعلم والعمل ، وقد هدانا كتاب الله وسنة نبيه وآله من إيجاد هذا الترابط العضوي بين مقومات وعناصر الشخصية الإسلامية المعتدلة.

خامساً: بينت الدراسة على معادلة الواقعية في الشخصية الإسلامية المتمثلة بالتوازن والارتباط بين الروح والجسد من جانب، والدنيا والاخرة من جانب ثانٍ، والتعامل مع الغير سواء أكان مسلماً أم كافراً من جانب ثالث لاستنتاج معادلة واقعية تحدد طريقة التعامل مع الغير مفادها: تعضيد المؤيد، وكسب المحايد، وتحييد المعادي، وهي معادلة عملية يحتاجها العاملون في سيرهم السلوكي.

سادساً: اشارت الدراسة إلى وجود معادلات أُخرى لم تبحث لمقتضيات البحث، أمثال معادلات الاعتدال في الشخصية الإسلامية بين الثابت والمتغير، وبين النقل والعقل، وبين الدين والدولة، وبين المقاصد والوسائل، وبين الفرد والجماعة وغيرها.

سابعاً: وانتهت الدراسة عن معادلات الشخصية الإسلامية المعتدلة بضرورة توافر مرتكزات وأسس لتحقيق التوازن نذكرها كتوصيات ومنها:

١. ان تكون الشخصية المعتدلة متأملة لفهم الواقع بحيادية وتجرد، بعيداً عن الانفعالات النفسية والاحكام المسَّبقة، والوقوع تحت وطأة السوداوية، والتضخم الذاتي، أو الانهزام والانسحاق امام الاحداث.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢. أن تؤمن حقيقة بالتعايش مع الآخرين، وتستوعب آرائهم ونظرياتهم، والسعي بجد لإيجاد مساحات مشتركة لتبادل الرأي، ودراسة الفكر بلا انطواء عن الآخر، ولا ذوبان فيه، من اجل المحافظة على الهوية الشخصية.

٣. ان تتفاعل هذه الشخصية المعتدلة مع المجموع بعقلية مؤسساتية تؤدي إلى ترتيب المجتمع ترتيباً حديثاً على شكل منظمات ومؤسسات مدنية وحضرية من شأنها أن تعكس وجهات النظر لمجمل ما تفكر به الأمة وفق نظام عادل متوازن بعيداً عن التسلط والتعسف والاضطهاد.

٤. ان تتجنب التطرف بكل اشكاله وتمظهراته في الفهم والأداء، وفي البناء والتغيير، وفي النقد والانتقاد، فليس هناك امة اكثر ضرراً، واشد فتكاً على الفرد والمجتمع والدولة من آفة التطرف، والإتكاء على البعد الواحد والنظرة الأحادية لتقييم الاشياء وتقويمها، فالتطرف في المنظور الاجتماعي يساوي العمى، والتطرف في الاداء السياسي يساوي الجهل والتخلف، والتطرف في المنظور الديني يساوي التكفير وتعطيل التفكير.

المصادر:

١. الاحاديث المختارة أو المستخرج من الاحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، ضياء الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله الواحد المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان،، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢. الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣. الآمالي، أبو جعفر بن علي بن الحسين بن موسى بن بابوية القمي المشهور بالشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم- إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٦. تحف العقول، ابن شعبة الحراني (ت: ق ٤)، تحقيق: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

٧. ترتيب الآمالي الخميسية للشجري، يحيى بن الحسين بن اسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (ت: ٤٩٩هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨. تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٩. تفسير البغوي، ابو محمد الحسيني مسعود بن محمد بن الغراء الشافعي (ت: الفراء ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٠. تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١١. تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
١٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
١٣. التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الشامي، ديوان الوقف الشيعي، بغداد- العراق، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
١٤. ثقافة الدعوة الإسلامية، مؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ميسان- العراق، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
١٥. جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٦. جامع بيان العلم وفضله، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الاشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٧. الجامع لاحكام القرآن، تفسير القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد بن فرج الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: احمد البردوني وابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٨. سنن ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٩. سيرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وأهل بيته (عليهم السلام)، هاشم الموسوي، مؤسسة البلاغ، دار التوحيد، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٠. شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة، ابو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت: ٤١٨هـ)، تحيق: أحمد بن سعيد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
٢١. شمس العلون ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، المحقق: د. حسين عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٢. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، شرح وتعليق: د. مصطفى ديب البغا.
٢٣. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، (ت: ق٦)، تحقيق: حسين الحسيني البرجندي، دار الحديث، قم- ايران، الطبعة: الأولى.
٢٤. فضائل الصحابة، أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٢٥. الكافي، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي البغدادي (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران- ايران، الطبعة الرابعة، ١٣٥٦ش.
٢٦. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٧. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان.
٢٨. كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي (ت: ٥٤٩هـ)، مكتبة المصطفوي، قم- ايران، الطبعة: الثانية، ١٣٦٩ش.

ISBN: 978-9922-21-412-2

٢٩. المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر بن مروان الدينوري المالكي (ت: ٣٣٣هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، (البحرين- أم الحصم)، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، طبع عام ١٤١٩هـ.
٣٠. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، (ت: ٢٤٧هـ)، تحقيق: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران- ايران، طبع عام: ١٣٧٠هـ.
٣١. مسند ابي داود الطيالسي، ابو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٢. معاني الأخبار، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابوية القمي المشهور بالشيخ الصدوق، (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق وتعليق: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، طبع سنة ١٣٧٩هـ.
٣٣. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٤. مفهوم الاعتدال في الفكر السياسي الإسلامي، محمد عبد الكريم، ناهدة زبون، مجلة العلوم السياسية.
٣٥. مكارم الاخلاق، رضي الدين أبي نصر الحسن بن المفضل الطبرسي، (ت: ٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، الطبعة: السادسة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م.
٣٦. الموسوعة الكويتية، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، طبعة من ١٤٠٤- ١٤٢٧هـ.
٣٧. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٣٨. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني (ت: ق٥)، تحقيق: مدرسة الامام المهدي (عليه السلام)، الناشر: مدرسة الامام المهدي (عليه السلام) ، قم- ايران، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
٣٩. نهج البلاغة، خطب أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق وشرح: محمد عبده، دار الذخائر، قم- ايران، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

ISBN: 978-9922-21-412-2

التعلق بالله وعلاقته بالشعور بالأمن النفسي لدى طلبة الجامعة

م.د. قيس سلمان رجا الموسوي/ كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد

الملخص

تقوم الدراسة الحالية على فرضية تتمثل بالتعرف على مستوى التعلق بالله وعلاقته بالشعور بالأمن النفسي لدى طلبة الجامعة ، قام الباحث بعرض الاطار النظري والدارسات السبقة المتعلقة بالدراسة وترجمها الى اهداف تتمثل في التعرف إلى مستوى التعلق بالله لدى طلبة طلبة الجامعة مستوى الشعور الأمن النفسي لدى طلبة الجامعة لتعرف على العلاقة بين التعلق بالله والامن النفسي لدى طلبة الجامعة . وتحقيقا لأهداف البحث شمل البحث عينة بلغت (٢٠٠) طالبا وطالبة وبواقع (١٠٠) طالبا و (١٠٠) طالبة. من طلبة كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد والنتائج التي توصل اليها الباحث ، هنالك مستوى عالي من التعلق بالله لدى طلبة الجامعة ، وكذا الشعور بالامن النفسي لدى طلبة الجامعة ، وهنالك علاقة بين التعلق بالله والشعور بالامن النفسي لدى طلبة الجامعة.

الفصل الاول

مشكلة البحث

الانسان كائن وجداني ويظهر هذا الجانب في تفاعلاته مع الاخرين بغض النظر عما إذا كان تفاعلا إيجابيا أو سلبيا فقد يكرس الكثير من حياته في سبيل مساعدة الآخرين وإسعادهم

يعدّ الامن النفسي العناصر الحاسمة في استقرار حياة الانسان وتحرره من اشكال المخاوف والقلق والتوتر والصراع . فهي من اهم مقومات الصحة النفسية التي يحتاجها الفرفي تكيفه الشخصي والاجتماعي ليكون عنصراً فاعلاً ومؤثراً ومنتجاً في الجماعة(مطلك ، ١٩٩٤ ، ١)

ويعد التعلق بالله في الادبيات الدينية من ابرز مظاهر الشعور بالامن النفسي كثيرًا ما يوصف في الأدب الديني بان الله بجانب الشخص ، ممسكًا بيده ، ويراقبه. ومع ذلك ، قد تكون الإشارات الأخرى الأكثر واقعية ذات قيمة في تعزيز تصورات القرب من الله. توفر جميع الأديان أماكن عبادة واحدة فيها يمكن أن تكون أقرب إلى الله.كالمساجد والاضرحة المقدسة للانبياء والائمة والاولياء الصالحين والكنائس والمعابد.(Kirkpatrick,1999:16)

وبفعل الصراعات والتغيرات السريعة على المجتمع العراقي ، فهو اليوم بامس الحاجة الى تقوية الروابط الوجدانية والروحية التي من شانها تنمية الامن النفسي عنده ، والاطمئنان ولا سيما فئة السباب منهم لكونهم في بداية الانسجام أو عدم الانسجام مع الحياة وأن كل ما يمرون به في

هذه المرحلة الحرجة سيترك أثار عميقة في شخصيتهم ويؤثر على سلوكهم مستقبلاً ، لذا وجب رعايتهم والاهتمام بهم .

والعمل على توفير كل الظروف النفسية والاجتماعية التي تشجعهم على أداء الواجبات التي تقع على عاتقهم – باعتبارهم قادة المستقبل – بكل تحمس وإخلاص ودقة ،وبخلاف ذلك نكون قد أخرجنا شبابا سلبيا في سلوكه واتجاهاته غير راض عن نفسه أو مجتمعه فاقدا للأمن الذي يعتبر من أهم شروط الصحة النفسية السليمة (عباس ،٢٠٠١: ٣١) .

اهمية البحث

توفر الأديان طرقًا مختلفة للتعزيز تصورات القرب من الله . وان مبدأ معظم الديانات التوحيدية هو أن الله كلي الوجود ؛ يكون المرء دائمًا على مقربة من الله. كثيرًا ما يوصف في الأدب الديني بأنه دائمًا بجانب الشخص ، ممسكًا بيده ، ويراقبه. ومع ذلك ، قد تكون الإشارات الأخرى الأكثر واقعية ذات قيمة في تعزيز تصورات القرب من الله. توفر جميع الأديان أماكن عبادة واحدة فيها يمكن أن تكون أقرب إلى الله.كالمساجد والاضرحة المقدسة للانبياء والائمة والاولياء الصالحين والكنائس والمعابد. Bradshaw، ٢٠٠٢:٢٥) .)

كثيرًا ما شبه العلماء والكتاب الدينيون بالوقوع في الحب (جيمس ، ١٩٠٢ ؛ ثولس ، ١٩٢٣ ؛ أولمان ، ١٩٨٢). إن "الحب" الذي يختبره العابد في سياق علاقته مع الله ، بالطبع ، يختلف نوعياً عن ذلك الموجود في العلاقات الرومانسية بين البالغين ؛ يتضمن الأخير عادة النشاط الجنسي ، في حين أن الأول لا يشمل ذلك عادة. إن شكل "الحب" الذي يتم اختباره في سياق العلاقة مع الله يشبه إلى حد بعيد ارتباط الطفل النموذجي بأمه.

(Kirkpatrick and Shaver ,1992:26)

وقد بين القرآن الكريم الترابط المتين بين حاجات الفرد البيولوجية وحاجته إلى الأمن ، فقال تعالى : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف ﴾(قريش: الآيتان ٣-٤) وقوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت أمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (النحل : آية ١١٢) .

ربط الإسلام تحقيق الطمأنينة النفس وراحتها وسعادتها بالأيمان بالله سبحانه وتعالى والالتزام بأوامره كافة وأتباع ما جاء به القران الكريم الذي انزل ليكون هدى ورحمة للعالمين ولينقل الناس من الظلمات إلى النور ومن الخوف إلى الأمن مصداقاً لقوله تعالى ﴿الذين أمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله إلا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد –٢٨)٠

ان شعور الفرد بالامن النفسي يميل الى تعميم هذا الشعور على العالم من حوله ، ويرى في الناس الخير والحب فيتعاون معهم ويشعر بالارتياح لهم ، فيتقبله الأخرون وينعكس ذلك على تقبله لذاته. على الرغم من أن نظرية بولبي حول الارتباط تركز إلى حد كبير على الأصول التطورية لنظام التعلق ومظاهره في العلاقات بين الرضيع والأم ، فقد كان يعتقد بوضوح منذ البداية أن عمليات وديناميكيات الارتباط لها آثار واسعة على التطور الاجتماعي والأداء النفسي عبر مدى الحياة.

لقد أولى الباحثون اهتمامًا أقل لمسألة كيفية تأثير المعتقدات الدينية على السلوك والإدراك في غياب الضغوطات. وبالتالي ، هناك أدلة مباشرة أقل بكثير على وظيفة القاعدة الآمنة للدين مقارنة بوظيفة الملاذ الآمن (Granqvist, ٢٠٠٢:٣٤).

أن "الشعور بالأمان" هو الهدف المحدد لنظام التعلق. وبالمثل ، كان اعتبار القدرات المعرفية جزءًا مهمًا من "الانتقال إلى مستوى التمثيل" (Main، Kaplan، Cassidy & ، ١٩٨٥) الذي تم إجراؤه في بحث التعلق قبل ٣٠ عامًا. (McDonald, Beck and، ٢٠٠٤:٢٨)

وتأتي وتتمثل اهمية الدراسة الحالية على انها محاولة لدراسة التعلق بالله وماتمثله هذه العلاقة من بعد روحي وعلاقته بالامن النفسي لدى طلبة الجامعة باعتبار ان طلبة الجامعة يعدون من النخب الواعدة التي يتوقع منها التاثير بشكل فعال للشعور بالامن النفسي في المجتمع

اهداف البحث

١- التعرف على مستوى التعلق بالله لدى طلبة الجامعة.

٢- التعرف على مستوى الامن النفسي لدى طلبة الجامعة

٣- التعرف على مستوى العلاقة بين التعلق بالله والامن النفسي لدى طلبة الجامعة.

حدود البحث

- التعلق بالله

١- التعريف النظري : بما ان الباحث تبنى مقياس صالح فقد اعتد التعريف ذاته في التعلق بالله .

التعريف الاجرائي: هو الدرجة التي يحصل عليها المجيبين للاجابة على مقياس التعلق بالله .

ثانيا :الأمن النفسي _

١- عرفه (Maslow، ١٩٥٢) بأنه الشعور بالأمان والحماية والاستقرار وتجنب الألم والتحرر من الخوف والقلق ، وهو يتضمن أبعاد أولية ثلاثة هي المحبة والانتماء والسلامة. (الصلاحي ، ١٩٩٥: ٢٣)

٢- وقد تبنى الباحث تعريف مازلو (Maslow) للأمن النفسي باعتباره أدق وأشمل بين التعاريف السابقة ولان الباحث تبنى نظريته واعتمد على مقياسه للأمن النفسي (الصلاحي ، ١٩٩٥: ٢٣)(أما التعريف الإجرائي للأمن النفسي فهو يتمثل باستجابات أفراد عينة البحث على مقياس مازلو للشعور – عدم الشعور بالأمن النفسي معبرا عنها بالدرجة الكلية التي يحصل عليها(الطالب أو الطالبة) على فقرات هذا المقياس.

الفصل الثاني :الاطار النظري والدراسات السابقة

على الرغم من أن نظرية بولبي حول الارتباط تركز إلى حد كبير على الأصول التطورية لنظام التعلق ومظاهره في العلاقات بين الرضيع والأم ، فقد كان يعتقد بوضوح منذ البداية أن عمليات وديناميكيات الارتباط لها آثار واسعة على التطور الاجتماعي والأداء النفسي عبر مدى الحياة.

تمثل نماذج المعتقد الديني والسلوك مظاهر حقيقية لعمليات التعلق التي قد توفر في الواقع نافذة فريدة لعمليات التعلق في مرحلة البلوغ.

اولا :التعلق بالله

١- :نظرية فرويد

ترى بعض هذه النظرية أن العلق بالله تطور من خلال المخاوف اللاشعورية. فرويد الذي يعبر عن موقفه من التعلق بالله الذي طرحه في كتابه "الطوطم والتابو" الذي استند فيه إلى أسطورة تقول: إن أصل القبيلة أو الجماعة كانت من أسرة كبيرة فيها أب عنيف، وهو بمثابة الإله يحتفظ بالنساء – أي الأم وبناته – لنفسه ويطرد أبنائه حينما يكبرون. ، إذ يرى فرويد أن فكرة الإله تضخيم لفكرة الأب، وأن عقدة أوديب بدايات الدين والأخلاق والمجتمع ٤٠٠)، ويعني ذلك أن الدين ينشأ بوصفه صراعاً في مرحلة الطفولة المبكرة (تركي،١٩٨٠: ١٨١).

٢- نظرية بولبي

وفقًا لبولبي تقدّم الأديان العديد من الطرق التي يمكن للمؤمنين من خلالها الحفاظ على قربهم من الله. تصف معظم التقاليد التوحيدية الله على أنه كلّي الوجود، أي أنه متواجد في كلّ الأماكن وفي جميع الأوقات. على الرغم من اعتبار هذا الأمر أحد الجوانب الأساسية الدينية التي تخلق قربًا من الله، إلا أنه ليس السبيل الوحيد. تمتلك جميع الأديان مكانًا أو مبنىً يستطيع المؤمنون المجيء إليه بهدف العبادة والتقرّب من إلههم أو الله. تحتوي أماكن العبادة .

Bylsma, 1997:34))

يرى بولبي أن شكل التعلّق وظيفة من وظائف منظومة التعلّق، الذي يعمل بوصفه ملاذًا آمنًا في أوقات الخطر أو التهديد. وصف بولبي ثلاث مواقف من شأنها تنشيط سلوكيات التعلّق: الحوادث البيئية المخيفة أو المرعبة، المرض أو الأذى أو التعب، الانفصال عن شكل التعلّق أو تهديده بالانفصال . وصف بولبي القاعدة الآمنة وأثرها النفسي على هذا النحو: «عندما يكون الفرد واثقًا من وجود شكل التعلّق بجانبه كلّما رغب في ذلك، يصبح هذا الشخص أقل عرضةً للخوف الشديد أو المزمن مقارنةً بالشخص الذي لا يمتلك هذه الثقة لأي سبب من الأسباب». يمكننا أن نفهم بسهولة سبب اعتبار الله أكثر قواعد الأمان أمانًا. (Bowlby، ١٩٨٠: ٤٥))

٣- نظرية كيرباتريك وشافر

نظرية Kirkpatrick, & Shaver تعد الأساسية التي فسرت التعلق بالله ، إذ افترض المنظران أن التعلق يوفر إطارا غنيا لفهم الأبعاد المتنوعة للمعتقد الديني، الذي يظهر من، خلال نظر الفرد لله، كذلك اقترحا أن معظم جوانب سلوكياتنا الدينية ترتبط إلى حد كبيربعلاقة الطفل مع مقدم الرعاية، الذي يسعى إلى الحفاظ على علاقته مع الناس المهمين له. وبعد أن يتكون هذا النظام فانه يوجه مقدمي الرعاية والأصدقاء والأزواج والقوى الروحية، وبهذا الصدد يتنشط نظام التعلق اذا كان مقدم الرعاية غير موجود او ليس قريب بما يكفي عن الفرد ، مما يؤدي إلى تنشيط مجموعة من السلوكيات (مثل البكاء والتوسل والبحث عنه)في حين يكبح النظام هذه السلوكيات عندما يصبح مقدم الرعاية متوفرا Shaver،٢٠١٠ لقد وجد كيرباتريك وشافر إن هذه السلوكيات تظهر لدى الناس في العديد من الأديان، إذ يتضمن نظامهم التعلقي بدرجة أساسية أفكارهم، ومعتقداتهم، وتفكيرهم حو ل الله وعلاقتهم به. ووفقا لهذه النظرية فإن معرفتنا بكيفية ظهور عمليات التعلق الإنسانية، سيكون مفيدا جدا في فهم الطرائق التي يتعلق بها الناس بالله ويتفاعلون معه واشار كيركباتريك الى مجموعة من السلوكيات التي يتعلق في ضوئها الناس بالله ، هي) .التقرب من الله ، الله بوصفه ملجئ للشعور بالآمن ، الاستجابة إلى الانفصال والخسارة ، إدراك الله بوصفه قويا وحكيما). صالح ،٢٠٢١: ١٥٥- ١٦٧).

ثانيا :الامن النفسي

إن مفهوم الأمن النفسي للإنسان لا يقتصر على جانب واحد من جوانب الشخصية فحسب ، وإنما يتضمن الأمن في النواحي (الجسمية ، والاجتماعية ، والوجدانية ، والعقلية) ، وهو يعني

تحرر الشخص من الخوف ، والشعور بالثقة تجاه الآخرين والوصول إلى حالة الاطمئنان على صحته ومستقبله ومركزه الاجتماعي .

وفي مايلي عرض لابرز النظريات التي تعرضت لمتغير الامن النفسي .

نظرية فروم

فروم (Froom) يؤكد على الجانب الاجتماعي ، ويرى أن شعور الطفل بالامن والانتماء يتحقق من خلال التوحد مع الوالدين والاعتماد عليهم ، وان انفصاله عنهم يمثل تهديدا لكيانه وهدماً للشعور بالامن ، وباعثا على الخطر والشعور بالعجز والقلق كما يعتبر الشعور بالامان من متطلبات الصحة النفسية وان اعتماد الوسائل الدفاعية الهروبية كالانصياع ،هو مؤشر على فقدان الامن والاستقرار (شلتز،١٩٨٣،ص١٢)، وافترض فروم خمس حاجات تنتج عن الارتداد بين حاجة الامن والحرية وهي الحاجة الى الانتماء ،الحاجة الى التجاوز،الحاجة الى الارتباط بالجذور، الحاجة الى الهوية ،والحاجة الى الإطار المرجعي (هول ولندزي،١٩٧١،ص٧٤).

نظرية سوليفان

يفترض سوليفان (Salivan) ان الشخصية مركز دينامي لعمليات أساسية هي الديناميات والتي يعدها انماط ثابتة نسبيا من تحولات الطاقة باشكال مختلفة ،معتبرا عدم الشعور بالامن والاستقرار توترات حاجات الكائن العضوي الناتجة عن القلق والذي يصفه بانه خبرة توتر مردها لاخطار حقيقية او موهومة تهدد إحساس الفرد بالامن وتختلف شدته باختلاف خطورة التهديد لفاعلية عمليات الامن التي تكون في حوزة الشخص (داود والعبيدي،١٩٩٠،ص١٩٠-١٩١).كما افترض ان الناس مدفوعون بنوعين من الحاجات هي حاجات الامن والحاجات البيولوجية ،ويؤكد على دور العلاقات الشخصية والثقافة في تشكيل الشخصية (دافيدوف،١٩٨٨،ص٥٨٩-٥٩٣) ، ويؤكد سوليفان ان مشاعر عدم الامن والقلق لدى الفرد تشوه إدراكه للواقع كما تؤثر على نمو شخصية (wood ,1974,p١٤٥) .

نظرية ابراهام مازلو

يعد مازلو من ابرز العلماء الذين تناولوا موضوع الأمن النفسي وذلك لسببين:- الأول: انه وبعد أجرائه لحصيلة كبيرة من البحث العيادي والنظري حول مفهوم الأمن النفسي قام بوضع اختبار يعرف باسمه لقياس الشعوربالأمن (دواني و ديراني،١٩٨٣: ٥٠).

الثاني:وضع نظرية في الحاجات الإنسانية إذ رتب الحاجات الأساسية على شكل سلم هرمي قاعدته الحاجات الفسيولوجية وقمته الحاجة لتحقيق ألذات وجاءت الحاجة للأمن من حيث

الأهمية بعد الحاجات الفسيولوجية مباشرة ، ٠ ويقصد بالتدرج الهرمي أن الحاجات التي تقع في القاعدة يجب أن نشبع لتظهر بعدها الحاجات الأعلى منها الواحدة تلوه الأخرى ٠ (عبد الخالق، ١٩٨٩:٣٩١) ، وارجع مازلو (Maslow) أسباب عدم الشعور بالأمن النفسي إلى أساليب التنشئة الخاطئة التي يتعرض لها الأطفال فالتربية التي تتسم بالقسوة أو التسامح المتطرفين ومبالغين فيهما تؤدي إلى ظهور التوتر والقلق وفقدان الأمن النفسي (صالح ،٢٠٠٠:٧٩) ٠ كما أكد على الدور الكبير الذي يلعبه المجتمع في تهيات الظروف التي تساعد على سيادة القانون والاستقرار وإشباع الحاجات الضرورية للإفراد لينعموا بالأمن والاطمئنان (صالح، ١٩٨٧:١٣)٠

ويضيف مازلو أن الفرد الفاقد للامان هو الذي حرم نفسه أو حُرم من الإشباع الكافي لحاجاته الأساسية الأمر الذي يجعله غير قادر على التقدم نحو الهدف النهائي المتمثل بتحقيق الذات فيكون في حالة من القلق و التوتر وانعدام الأمن النفسي (اغروس ،١٩٨٩:٩٣ **0**)

الدرسات السابقة

اولا:التعلق بالله

١- دراسة كيرباتريك ٢٠٠٢

البعدان في الارتباط بالله وعلاقته بالتاثير والتدين وبناء الشخصية

هدفت هذه الدراسة إلى معالجة العديد من قيود البحث السابق حول نظرية التعلق والدين من خلال (١) تطوير ارتباط بعدي بمقياس الله ، و (٢) إثبات أن أبعاد الارتباط بالله تنبئ بمقاييس التأثير والشخصية بعد التحكم. من أجل الرغبة الاجتماعية والأبعاد الأخرى ذات الصلة بالتدين. تم إكمال مقاييس الاستبيان لهذه التراكيب من قبل عينة من طلاب الجامعات والبالغين من المجتمع (العدد الإجمالي = ٣٧٤ تم تحديد بعدين للارتباط بالله: التجنب والقلق. بعد التحكم إحصائيًا في الرغبة الاجتماعية ، والتدين الجوهري ، والأرثوذكسية العقائدية ، وصورة الله المحبة ، ظل التعلق القلق بالله مؤشرا هاما على العصابية ، والتأثير السلبي ، و (عكسيا) التأثير الإيجابي ؛ ظل التعلق المتجنب بالله مؤشراً عكسيًا مهمًا للخلود والقبول الرمزي (Kirkpatrickr،٢٠٠٢:٢٣)

٢- دراسة صالح (٢٠١٩)

تهدف الدراسة الحالية إلى تحديد البنية العاملية لمقياس التعلق بالله من خلال التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي، ولتحقيق هذا الهدف تم اختيار عينة عشوائية من طلبة الجامعة، التي

تألفت من ٢٥٠ طالبا. ومن ثم تم بناء النسخة الأولية من مقياس التعلق بالله من قبل الباحث، الذي تكون من ١١ فقرة. وقد حللت استجابات الطلبة على المقياس من خالل التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي. وأظهرت النتائج الدليل على جودة المؤشرات التي تدعم البنية العاملية للمقياس، التي تكونت من ثلاثة عوامل (الالتزام الروحي بالله، والسعي نحو الطمأنينة الروحية، ومناجاة الله) (صالح ،٢٠٢١: ١٦٥)

الفصل الثالث :منهجية البحث واجراءاته .

لغرض تحقيق أهداف البحث كان لابد من تحديد مجتمع البحث واختيار عينة ممثلة له وأعداد أداتين تتسمان بالموضوعية والصدق والثبات ومن ثم استعمال الوسائل الإحصائية المناسبة لتحليل بيانات البحث ومعالجاتها .

أولاً : مجتمع البحث

تحدد المجتمع للبحث الحالي بطلبة كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد ، إذ بلغ عددهم للعام الدراسي ٢٠٢١ – ٢٠٢٢ من الدراسة الاولية البالغ عددهم ، (٤٨٤٣) طالباً وطالبة ، بواقع (٢٥٨٣) طالباً ، و(٢٢٦٠) طالبة .

ثانياً : عينة البحث الأساسية

عمد الباحث إلى اختيار عينة البحث بالطريقة العشوائية المتعددة المراحل، إذ اختيرت الاقسام بطريقة عشوائية ثم اختارت الباحثة (٢٠٠) طالباً وطالبة من (٧) اقسام عشوائياً ، ، ووزعت العينة على وفق متغير الجنس .

ثالثاً : أداتا البحث

من أجل قياس المتغيرين اللذين شملهما البحث : التعلق بالله والامن النفسي، قام الباحث بتبني مقياس صالح ٢٠١٩ للتعلق بالله وتبني مقياس ماسلو للأمن النفسي .

اولا : مقياس التعلق بالله

تبنى الباث مقياس صالح ٢٠١٩ لان هذا المقياس يعد من المقاييس الحديثة ، وقريبا من البيئة التي اجري فيها البحث الحالي ، تكون مقياس صالح من (١٦)فقرة، يتم الإجابة عنها وفق طريقة ليكرت، التي تمثلت بخمسة بدائل(دائما–غالبا –احيانا–قليلا–ابدا(فإذا أجاب الفرد على الفقرة بـ دائما(تعطى له)خمسة درجات(في حين اذا كانت أجابته بـ (ابدا) تعطى له (درجة واحدة) . وتوصل الباحث في ضوء استعمال التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي أن مقياس التعلق بالله يتكون من ثلاثة عوامل، هي:

العامل الأول. الالتزام الروحي بالله :وتكون من سبع فقرات، ويمكن تعريفه بسعي الفرد إلى التقرب من الله تعالى من خلال الذكر والعبادة بهدف الشعور بالسعادة والرضا.

العامل الثاني. السعي نحو الطمأنينة الروحي :تكون من ست فقرات، ويمكن تعريفه بمحاولة الفرد ذكر الله تعالى وعبادته من اجل الشعور بالمعنى والأمان الروحي.

العامل الثالث. مناجاة الله: تكون من ثالث فقرات، ويمكن تعريفه بسعي الفرد نحو التكلم مع الله والتقرب إليه وقت الشدة أو ارتكاب الذنوب من اجل كسب رضاه وعدم الابتعاد عنه.

(صالح ،٢٠٢١: ١٦٤)

الخصائص السيكومترية

١- الصدق الظاهري

تم التحقق في البحث الحالي من الصدق الظاهري للمقياس وذلك من خلال عرض فقراته على مجموعة من المحكمين* ، واعتماد نسبة (٨٠ %) فاكثر من الاتفاق بين المحكمين بشأن صلاحية الفقرة او تعديلها .واتفق المحكمين على صلاحية المقياس .

٢- الثبات : تحقق الباحث من ثبات المقياس بطريقة إعادة الاختبار ، اذ تم تطبيقه على عينة الثبات جدول ، وتمت إعادة الاختبار عليهم بعد مرور (١٥) يوما ، وباحتساب معامل ارتباط بيرسون وقد بلغ ثبات المقياس (٨٢ ، ٠) .

الاجراءات الاحصائية لتحليل الفقرات (تمييز الفقرات)

المجموعتان المتطرفتان **Contrasted Groups**

تعد القوة التمييزية من الخصائص القياسية المهمة لفقرات المقاييس النفسية والتربوية ، كي يتمكن المقياس من الكشف عن الفروق الفردية بين الافراد في السمة المقاسة . ويقصد بالقوة التمييزية مدى قدرة الفقرات على التمييز بين ذوي المستويات العليا وذوي المستويات الدنيا من الافراد بالنسبة للسمة التي تقيسها الفقرة . (Shaw, 1967; 97)

ويشير جيزلي وآخرون الى ضرورة إبقاء الفقرات ذات القوة التمييزية في الصورة النهائية للمقياس واستبعاد الفقرات غير المميزة من الاختبار او تعديلها من جديد (. (Chisolli, et, al ، ١٩٨١؛ ٤٣٤

لذا قام الباحث باختيار(٢٠٠) طالب وطالبة من مجتمع بحثه كعينة مناسبة للتمييز.

ولحساب القوة التمييزية لفقرات مقياس التعلق بالله اتبع الباحث الخطوات الآتية: تطبيق الاداة على عينة التحليل الاحصائي البالغ حجمها (٢٠٠) طالب وطالبة من طلبة الجامعة تم

اختيارهم عشوائياً ، وقد قام الباحث بترتيب الدرجات التي تم الحصول عليها من خلال تطبيق الاداة على عينة التحليل الاحصائي من اعلى درجة الى ادنى درجة ، وحددت المجموعتان المتطرفتان في الدرجة الكلية بنسبة (٢٧%) من استمارات المجموعة العليا البالغ عددها (٥٤) استمارات و (٢٧%) من استمارات المجموعة الدنيا والبالغ عددها (٥٤) استمارات ، وبذلك يكون مجموع المستجيبين في المجموعة العليا والدنيا (١٠٨) طالب وطالبة من طلبة الجامعة . لحساب القوة التمييزية للفقرات تم استعمال T.Test ، كما اعتمد الباحث على محك ايبل (Eble) لاختيار الفقرات بحسب قوتها التمييزية اذ يشير ايبل ((Ebleالى ان الحد الادنى لقبول الفقرة على انها فقرة مميزة يجب ان لا يقل عن (٠,٢٠) فأكثر (Eble، ١٩٧٢؛ ٣٨٢) اتضح من الجدول ان جميع القيم التائية المحسوبة اعلى من القيمة الجدولية البالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٢١٤) وهذا يعني ان فقرات مقياس التعلق بالله مميزة ودالة احصائياً.

المؤشرات الإحصائية :

استخرجت بعض المؤشرات الإحصائية المتعلقة بخصائص النزعة المركزية ومقاييس التشتت والتوزيع التكراري تعرّف مدى قرب درجات عينة البناء أو بعده من المنحنى الاعتدالي (جدول ١٤) حيث تبين أن توزيع العينة يقترب من الاعتدال وهو مؤشر ايجابي، الجدول (٣) يوضح ذلك

بعض المؤشرات الإحصائية لعينة التحليل الإحصائي لمقياس التعلق بالله.

المؤشرات الإحصائية	القيمة
الوسط الحسابي	**65.77**
الوسيط	**73**
المنوال	**87**
الانحراف المعياري	**3.93**
التباين	**19.4**
المدى	**68**

– مقياس الأمن النفسي **Scal y Self–Securit**

تبنى الباحث مقياس ماسلو للشعور- عدم الشعور بالأمن النفسي " Maslws security-insecurity ineventory " المعرب لأهميته التي تبرز في تغطيته للأبعاد التي تمثل الإحساس بالأمن النفسي أو انعدامه (سمين ، ١٩٩٧ ، ١٠٥).

تصحيح المقياس

تكون الإجابة عن كل فقرة بـ(نعم) أو (لا) حسب انطباق مضمون الفقرة على المستجيب ، كما ان هناك إجابة (غير متأكد) على المستجيب أن يختارها إذا لم يكن متأكدا من مدى انطباق مضمون الفقرة عليه ، ويتم تصحيح الاختبار تبعا لمفتاح التصحيح المعد لذلك، اذ يقدر مستوى الفرد في الأمن النفسي بعدد الاستجابات الكلية على الاختبار وتحسب درجة واحدة لكل فقرة من فقرات الاختبار وذلك إذا أجاب المفحوص بإحدى الإجابات المدونة قرين كل سؤال في مفتاح التصحيح (عباس ، ٢٠٠١ ، ٣١٤) . وتمثل الدرجة من (٠- ١١) شعورا عاليا بالأمن النفسي ، والدرجة من (١٢- ٢٤) تمثل شعورا متوسطا بالأمن . في حين تمثل الدرجة بين (٢٥- ٦٩) شعورا عاليا بانعدام الأمن ، وعموماً تشير الدرجات الواطئة إلى الشعور بالأمن النفسي ، في الحين الذي تشير فيه الدرجات العالية إلى انعدام الشعور بالأمن

(دواني وديراني ، ١٩٨٣ ، ٥٣) .

الخصائص السيكومترية

٣- الصدق

تم التحقق في البحث الحالي من الصدق الظاهري للمقياس وذلك من خلال عرض فقراته على مجموعة من المحكمين* ، واعتماد نسبة (٨٠ %) فاكثر من الاتفاق بين المحكمين بشأن صلاحية الفقرة او تعديلها .واتفق المحكمين على قبول المقياس كما هو لان المقياس معد من منظر من اعمدة علم النفس ، نعم تم تعديل بعض الفقرات ضمنا بصورة تكيفية.

٤- الثبات : تم التحقق من ثبات المقياس بطريقة إعادة الاختبار ، اذ تم تطبيقه على عينة الثبات ، وتمت إعادة الاختبار عليهم بعد مرور (١٥) يوما وقد بلغ ثبات المقياس (٠,٨٥)

الاجراءات الاحصائية لتحليل الفقرات (تمييز الفقرات)

المجموعتان المتطرفتان **Contrasted Groups**

تعد القوة التمييزية من الخصائص القياسية المهمة لفقرات المقاييس النفسية والتربوية ، كي يتمكن المقياس من الكشف عن الفروق الفردية بين الافراد في السمة المقاسة . ويقصد بالقوة

التمييزية مدى قدرة الفقرات على التمييز بين ذوي المستويات العليا وذوي المستويات الدنيا من الافراد بالنسبة للسمة التي تقيسها الفقرة (Shaw, 1967; 97)

يشير جيزلي وآخرون (Chisolli, et, al) ، ١٩٨١الى ضرورة إبقاء الفقرات ذات القوة التمييزية في الصورة النهائية للمقياس واستبعاد الفقرات غير المميزة من الاختبار او تعديلها من جديد (Chisolli, et, al) ، ١٩٨١؛ ٤٣٤ .

لذا قام الباحث باختيار(٢٠٠) طالب وطالبة من مجتمع بحثه كعينة مناسبة للتمييز.

ولحساب القوة التمييزية لفقرات مقياس الشعور بالامن النفسي اتبع الباحث الخطوات الآتية: تطبيق الاداة على عينة التحليل الاحصائي البالغ حجمها (٢٠٠) طالب وطالبة من طلبة الجامعة تم اختيارهم عشوائياً ، وقد قام الباحث بترتيب الدرجات التي تم الحصول عليها من خلال تطبيق الاداة على عينة التحليل الاحصائي من اعلى درجة الى ادنى درجة ، وحددت المجموعتان المتطرفتان في الدرجة الكلية بنسبة (٢٧%) من استمارات المجموعة العليا البالغ عددها (٥٤) استمارات و (٢٧%) من استمارات المجموعة الدنيا والبالغ عددها (٥٤) استمارات ، وبذلك يكون مجموع المستجيبين في المجموعة العليا والدنيا (١٠٨) طالب وطالبة من طلبة الجامعة . لحساب القوة التمييزية للفقرات تم استعمال T.Test ، كما اعتمد الباحث على محك ايبل (Eble) لاختيار الفقرات بحسب قوتها التمييزية اذ يشير ايبل ((Ebleالى ان الحد الادنى لقبول الفقرة على انها فقرة مميزة يجب ان لا يقل عن (٠,٢٠) فأكثر (Eble، ١٩٧٢؛ ٣٨٢) اتضح من الجدول ان جميع القيم التائية المحسوبة اعلى من القيمة الجدولية البالغة (١,٩٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٢١٤) وهذا يعني ان فقرات مقياس الشعور بالامن النفسي مميزة ودالة احصائياً.

المؤشرات الإحصائية:

استخرجت بعض المؤشرات الإحصائية المتعلقة بخصائص النزعة المركزية ومقاييس التشتت والتوزيع التكراري تعرّف مدى قرب درجات عينة البناء أو بعده من المنحنى الاعتدالي (جدول ١٤) حيث تبين أن توزيع العينة يقترب من الاعتدال وهو مؤشر ايجابي، الجدول (٣) يوضح ذلك

بعض المؤشرات الإحصائية لعينة التحليل الإحصائي لمقياس الشعور بالامن النفسي.

المؤشرات الإحصائية	القيمة
الوسط الحسابي	**130**
الوسيط	**96**

ISBN: 978-9922-21-412-2

المنوال	87
الانحراف المعياري	26.25
التباين	143,00
المدى	68

الفصل الرابع

أولاً: عرض النتائج

الهدف الأول: تعرف التعلق بالله لدى طلبة الجامعة.

جدول (٣)

الاختبار التائي لدلالة الفرق بين المتوسط الفرضي والمتوسط الحسابي

عدد افراد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية		مستوى 0,05
				المحسوبة	الجدولية	
200	65,77	3,93	48	6,06	1,96	دالة

وبالنظر الى جدول (٣) نرى بأن القيمة التائية المحسوبة(٦,٠٦) هي أكبر من القيمة التائية الجدولية(١,٩٦) عند مستوى دلالة احصائية(٠,٠٥) درجة ودرجة حرية (١٩٩)درجة وهذا يعني ان عينة البحث الحالي من الطلبة لديهم مستوى عال من التعلق بالله، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة صالح (٢٠١٩) الذي اشار فيها الى ان التعلق بالله في بعض معانيه محاولة من الفرد لذكر الله تعالى وعبادته من اجل الشعور بالمعنى والأمان الروحي.

الهدف الثاني : تعرف الشعور بالامن النفسي لدى طلبة الجامعة.

لغرض تحقيق هذا البحث قام الباحث بحساب متوسط درجات الطلبة على مقياس(الشعور بالأمن النفسي لدى طلبة الجامعة) واظهرت النتائج حيث كان المتوسط الحسابي للمقياس (١٣٠) درجة وبانحراف معياري قدره(٢٦,٢٤) وعند مقارنة هذا المتوسط بالمتوسط الفرضي للمقياس الذي بلغ (٢٢٥) درجة وباستخدام معادلة الاختبار التائي لعينة واحدة مستقلة ،تبين ان القيمة التائية المحسوبة قد بلغت (-٥١,٣٥) درجة وهي ذات دلالة احصائيةٍ عند مستوى (٠,٠٥) ودرجة حرية (١٩٩) وجدول(٤) يوضح ذلك .

جدول (٤)

الاختبار التائي لدلالة الفرق بين المتوسط الفرضي والمتوسط الحسابي على مقياس الشعور بالأمن النفسي.

عدد افراد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية		مستوى 0,05
				المحسوبة	الجدولية	
200	130	26,24	225	−51,35	1,96	دالة

وبالنظر الى جدول () نرى بأن القيمة التائية المحسوبة(−٥١,٣٥) هي أكبر من القيمة التائية الجدولية(١,٩٦) عند مستوى دلالة احصائية(٠,٠٥) درجة ودرجة حرية (١٩٩)درجة وهذا يعني ان عينة البحث الحالي من الطلبة لديهم مستوى من الشعور بالأمن النفسي، وهنا تتثبت الدراسة الحالية اتفاق مع رؤية ماسلو حيث يعتقد الفرد ينتمي إلى جماعة ما بحثا عن الأمن وتجنبا للأذى الذي قد يشعر به إذا عاش بمفرده. وأن الميل للمخاطرة يزداد ويبرز إذا أزداد الشعور بالأمن .. وأن انخفاض الشعور بالأمن يؤدي إلى التصلب في السلوك الاجتماعي وكذا مع رؤية بولي لتعلق إذ يشكل الناس رؤية عالمية أن الله متاح لهم في أي وقت يحتاجون إليه، وانه يساعدم في الأوقات الصعبة، ويرعاهم ويمنحهم السكينة، مما يعطيهم هذا الاعتقاد العميق الثقة عند مواجهة صعوبات الحياة .

الهدف الثالث: التعرف على العلاقة بين التعلق بالله والشعور بالأمن النفسي لدى طلبة الجامعة. ومن اجل تحقيق هذا الهدف قام الباحث باستعمال معامل ارتباط بيرسون تم فحص العلاقة بين التعلق بالله والشعور بالأمن النفسي، وقد اظهرت قيمة المعامل(٠,٥٦) وكانت دالة احصائيا وباستعمال الاختبار التائي لفحص الدلالة معامل الارتباط اذا كانت القيمة التائية المحسوبة (٩,٣) أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (١,٩٦) عند درجة حرية (١٩٨) درجة ومستوى دلالة(٠,٠٥)درجة مما يعني توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية بين التعلق بالله والشعور بالأمن النفسي وجدول (٥)يوضح ذلك

جدول (٥) القيمة التائية لمعامل الارتباط بين التعلق بالله والشعور بالأمن

عدد العينة	معامل الارتباط بين التعلق بالله والشعور بالأمن	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية	مستوى الدلالة	الدلالة الاحصائية

ISBN: 978-9922-21-412-2

	النفسي		لمعامل الارتباط	الجدولية		
200	0,56	198	9,3	1,96	05،0	دالة

باعتبار ان طبيعة العلاقة مع الله توفر للفرد المتدين ملاذا امن ، حيث يرى المتدينون ان الله سبحانه تعالى دائما يكونون بجانبهم ووجوده يوفر لهم الملاذ والشعور بالأمن النفسي.

التوصيات "

١- اجراء دراسة لمعرفة العلاقة بين التعلق بالله والرفاهية الروحية

٢- اجراء دراسة حول التعلق باللة بين مدة واخرى للتعرف على مستوى الارتباط بالله سبحانه وتعالى.

الاستنتاجات

كشفت الدراسة عن وجود علاقة ايجابية بين التعلق بالله والشعور بالامن النفسي الامر الذي يؤشر الى التاثير الايجابي للاديان في تحقيق الصحة النفسية بالاعتبار ان انعدام الامن النفسي يؤثر بشكل على الصحة النفسية وقود الى الاضطرابات نفسية عديدة .

المصادر:

- القران الكريم

أغردس ، روبرت وجورج ،ستانبسيو(١٩٨٩):العلم في منظوره الحديث: ترجمة كمال خلايلي ، كويت: سلسلة عالم المعلافة٠

الصلاحي و عبد الله محمد (١٩٩٥): الأمن النفسي لدى طلبة كلية التربية باءب ،جامعة صنعاء وعلاقته بالتحصيل الدراسي (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة المستنصرية ، كلية التربية ٠

شلتز ، دوان (١٩٨٣): نظريات الشخصية، ترجمة حمد دلي الكربولي وعبد الرحمن القيسي : مطبعة جامعة بغداد٠

دواني ،كمال وديراني ، عيد (١٩٨٣): اختبار مازلو للشعور – عدم الشعور بالامن النفسي (دراسة صدق للبيئة الأردنية) ، مجلة الدراسات ، الجامعة الأردنية ، مجلد (١٠) ، العدد(٢)

سمين ، زيد بهلول (١٩٩٧) : الامن والتحمل النفسيان وعلاقتهما بالصحة النفسية . اطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية الاداب ، جامعة المستنصرية .

- عباس ، محمد علي (٢٠٠١):أثر النمط القياطي لمديري المدارس الإعدادية في مستوى شعور المدرسين بالأمن النفسي ، جامعة الموصل ، كلية التربية ، مجلة التربية والعلم ، العدد (٣٠) ٠
- صالح ، قاسم حسين(١٩٨٤):الإنسان من هو؟ ، بغداد :دار الحرية للطباعة والنشر٠
- صالح ،قاسم حسين (١٩٨٨):الشخصية بين التنظير والقياس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد
- صالح : علي عبد الرحيم (٢٠٢١) سيكولوجية التعلق .دار مسامير،العراق ،السماوة.
- مطلك ، فاطمة عباس (١٩٩٤) : بناء مقياس مقنن للامن النفسي لطلبة جامعة بغداد ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد .

هول ، ولندزي . ج (١٩٧١) : نظريات الشخصية ، ترجمة فرج احمد فرج وآخرون ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للنشر .

– هول ، كالفن ٠ س (١٩٨٨):مباديء علم النفس الفرويدي ، ترجمة دحام الكيال ، بغداد : مطبعة الرصافي ٠

ISBN: 978-9922-21-412-2

Bowlby, J. (1980). Attachment and loss: Vol. 3. Loss: Sadness and depression. New York: Basic Books. –

Bowlby, J. (1982). Attachment and loss: Vol. 1. Attachment (2nd ed). New York: Basic Books. –

Bowlby, J. (1988). A secure base. New York: Basic Books .

Ghicell , Edwin.Camplell ,Johnp and Zedeck , Sheldon(1981):" measurement theory for behaviour Csiences

- Granqvist, P. (2002). Attachment and religiosity in adolescence: Cross-sectional and longitudinal evaluations. Personality and Social Psychology Bulletin, 28(2), 260-270

- Kirkpatrick, L.A.; Davis, K.E. (1994). "Attachment style, gender, and relationship stability: A longitudinal analysis". Journal of Personality and Social Psychology.

66 (3): 502–512. doi:10.1037/0022-3514.66.3.502. PMID 8169762

قائمة المحتويات

عنوان البحث	رقم الصفحة
كلمة المؤتمر	٢
أبعاد التنمية المستدامة بمنظور اقتصادي وإسلامي م.م أحمد إبراهيم حسين : وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – دائرة البعثات والعلاقات الثقافية م.م. سوسن محسن حاشوش : وزارة التربية – مديرية تربية ذي قار - ثانوية تبارك للبنات	٥
الضمانات الشرعية لحصانة الهوية الاسلامية أ.د. صهيب محمد ناصر/ كلية التربية – الجامعة العراقية أ.م.د. زهور كاظم صادق/ كلية التربية الاساسية- الجامعة المستنصرية	٢٠
"الأنمي" وأثره في استلاب الهوية الإسلامية للشاب الجامعي العراقي : دراسة تحليلية م.م أماني نوري سعيد/ جامعة البصرة-كلية الآداب/قسم الترجمة	٤٤
العَلَاقَات العَامَّة ودورها في نشر الوعي والحفاظ على الهويَّة الإسْلاميَّة الباحثة : آمنة هاشم صيهود /جَامِعَة بابل ، كلية الآداب/ قسم الإعلام الباحثة : إستبرق قمر موسى الأسدي	٦١
الهوية الوطنية الاسلامية في العراق : دراسة في المحتوى والمضمون ا.د. حمدية صالح دلي الجبوري/جامعة القادسية - كلية التربية /قسم التاريخ م.د.عبد الكريم جعفر الكشفي مدير عام تربية ديالى السابق	٧٩
الهوية ومفهوم الحرية دراسة في العلاقة من منظور إسلامي مفهوم الحرية عند محمد حسين الطباطبائي أنموذجاً م.م. جعفر صادق أيوب الجزائري/ كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة – أقسام البصرة.	٩٧
الهَويَّة الإسلاميَّة وأثرها في التميّز المنظمي الباحث/ يحيى حسن عبد الموسوي	١٢٠
ثقافة الحوار وأثرها في تعزيز الهوية الإسلامية داخل الاسرة ، دراسة تحليله لواقع الحوار الاسري زين العابدين علي حسين علي / كلية الإداب جامعة القادسية	١٣٥
أثر المرشدين التربويين في المدارس الثانوية في ترسيخ الهوية الإسلامية لدى الطلبة م. م ظاهر حبيب موسى/ مديرية تربية ذي قار	١٤٨
مواقع التواصل الالكتروني واثرها بالمنظومة الثقافية والقيمية للشباب لتعزيز مفهوم الهوية الاسلامية دراسة ميدانية أ.م.د .حسين حسين زيدان/ وزارة التربية - م. م هديل علي قاسم / الجامعة العراقية	١٦٤
القرآن الكريم سبيل للحفاظ على الهوية الإسلاميّة من تأثيرات العولمة السلبيّة د. جليلة الدّاودي/ جامعة الزيتونة –تونس	١٩٠
الهوية الاسلامية والدراسات القرآنية الباحث / جميل فاضل خضر ايلخان بك- عضو الزمالة الدولية للإبداع والعلوم الانسانية – لندن	٢٠١

تحليل ودراسة دور معرفة النفس لتقوية الهوية الاسلامية من وجهة النظر الإمام علي عليه السلام ا.م.د. اصغر طهماسبي البلداجي/ جامعة فرهنكيان جمهورية ايران الاسلامية	٢١٧
دور التنشئة الاجتماعية الدينية في تكوين الهوية الإسلامية وتحدياتها (دراسة حالة أهداف التنمية المستدامة) أ.م.د. مسلم طاهري كل كشوندي/ كلية الالهيات- جامعة طهران راضيه قاسمي فيروزآبادي/ كلية المعارف والفكر الإسلامي ، جامعة طهران	٢٣٦
الهوية الاسلامية في ضوء التحديات المعاصرة ا.د. حسين عليوي ناصر – جامعة ذي قار	٢٤٨
دور منهج التربية الإسلامية في تعزيز الهوية الإسلامية الثقافية لمواجهة العولمة الثقافية – دراسة تحليلية أ. د صباح حسن عبد الزبيدي/ جامعة بغداد - مركز البحوث التربوية والنفسية	٢٦٥
هوية المرأة المسلمة في مواجهة التيار الإعلامي المعاصر وسائل التواصل الاجتماعي أنموذجاً م.م هند كامل خضير / مديرية تربية ذي قار	٣٠٣
نظرات في الهُوية الإسلامية وبيان سماتها ومقوماتها من خلال الدراسات التربوية والعقدية أ.د. عبد القادر عزيز احمد/ كلية التربية – الجامعة العراقية م . مهند مجيد رشيد/ كلية التربية – الجامعة العراقية	٣١٨
الهوية الاسلامية ومحاولات اختراقها ومسخها (بحث قرآني ؛ تفسير موضوعي) م.م. محسن وهيب عبد	٣٣٨
دور الدراسات الفكرية والعقدية الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة م. م. عبير سليم حسن الحلبي	٣٥٥
دور الفكر الإسلامي في مجابهة التحديات المعاصرة أ.د.ساجد صبري نعمان/كلية العلوم الإسلامية/الجامعة العراقية أ.م.د.عمار باسم صالح/كلية العلوم الإسلامية /جامعة بغداد	٣٨١
دور مؤسسة الأوقاف في الحفاظ على الأضرحة والمزارات في ظل وثائق الأرشيف العثماني مدينة الموصل نموذجا م.د. عصام صلاح الدين علي البياتي- الجامعة التقنية الشمالية / المعهد التقني كركوك	٣٩٩
التسامح الديني ودوره في تأصيل الهوية الاسلامية دراسة (نظرية – تحليلية) أ.م .د. سنان سعيد جاسم الاسدي- كلية التربية / جامعة البصرة	٤٢١
الفلسفة الاسلامية و المعرفة الدينية م.د. إبراهيم جاسم الموسوي/ كلية العلوم الاسلامية- جامعة وارث الانبياء	٤٣٤
الهوية الإسلامية للصحابي الجليل أبا ذر الغفاري: دراسة في السيرة العطرة أ.د. بشير هادي عودة الطائي الباحث: عبد الأمير عودة شاوردي جامعة البصرة – مركز دراسات البصرة والخليج العربي	٤٥٩

الغزو الفكري الغربي للمجتمع الإسلامي - دراسة في الأهداف والاستراتيجية - أ.د. محمد كاظم حسين الفتلاوي/ كلية التربية / جامعة الكوفة	٤٨٤
الابعاد العقدية للاعتقاد بالمهدي وآثارها في حفظ الهوية لإسلامية م.د شاكر عطية ضويحي الساعدي/كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الاسلامية الجامعة	٥٢٥
الأبعاد الفقهية للقصاص وآثارها في حفظ الهوية الإسلامية م.د طالب عبد الواحد شعلان المسعودي/ كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة	٥٥٣
الهوية الاسلامية ،سماتها ،ومفهومها م.د عدنان حسن موسى سلمان العبيدي / جامعة ديالى / كلية العلوم الاسلامية	٥٧٦
مُؤَشّرات البنية المَاليَّة التحتيَّة وتأثيرها في العِرَاق أشراف: أ.م.د حمدية شاكر مسلم/ جامعة بغداد -كلية الإدارة والاقتصاد الباحث : حيدر حسن معن سعدون- ديوان الرقابة المَاليَّة الاتحادي الباحث : أيوب رزاق محمد/ جامعة بغداد -كلية الإدارة والاقتصاد	٥٩٢
أثر معرفة الفرد بمقوِّمات الهوية الإسلامية في استقرار وتنمية الأسرة المسلمة أ.د. منتهى عبد الزهرة العزَّاوي/كلية التربية – الجامعة المستنصرية أ.د. موفق عبدالعزيز الحسناوي/ عميد المعهد التقني في الشطرة – الجامعة التقنية الجنوبية	٦٢٣
إحياء النزعة الإنسانية بهويَّة إسلامية ضمن العملية التربوية للإمام الصَّادق عليه السلام م.م. الشيخ أسامة العتابي	٦٤١
الانحرافُ الدِّيني وأثرُهُ على العملية التَّربوية والتَّعليمية م.م حسين عبد الحسن ضامن/ تربية ميسان	٦٧٩
أثر المؤسسات التربوية والتعليمية في الحفاظ على الهوية الإسلامية أ.د. عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي / كلية التربية – الجامعة العراقية أ.د. برزان مُيّسر حامد الحميد / كلية التربية للعلوم الأنسانية – جامعة الموصل	٧٠٣
نحو اصلاح المنظومة الاسرية وفقا للشريعة والقانون م. م. جمانة جاسم علي الاسدي/ جامعة كربلاء – كلية القانون د. امال علي عبد الحسين الموسوي/جامعة كربلاء – كلية القانون	٧٢٦
" التربية على الاعتزاز بالهوية الإسلامية في ظل التحديات المعاصرة " م. د. مروان كاظم وجر الساعدي/جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الانسانية	٧٤٣
معادلات الاعتدال في الشخصية الإسلامية- رؤية إسلامية معاصرة م. د. حميد علي راضي الدهلكي/ جامعة الإمام الصادق- كلية الآداب	٧٧٢
التعلق بالله وعلاقته بالشعور بالأمن النفسي لدى طلبة الجامعة م.د. قيس سلمان رجا الموسوي/ كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد	٨١٥